نزهة الانظار

في فضل علم التاريخ والاخبار

المشهورة بالرحلة الورثيلانية

للشيخ العالم الرباني والشريف النوراني

سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني

قدّس سرّه

ءامين







١٣٢٦
١٩٠٨

طبع في مطبعة بيير فونتانا الشرقية في الجزائر

كلمة للمصحح

الحمد لله الذي جعل الرحلة لبيته الحرام * من قواعد الاسلام * وامر بالسفر في البرور والبحور * فقال عزوجل هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور * وجاء في الخبر انه صلى الله عليه وسلم قال سافروا تصحوا وتغنموا * والصلاة والسلام * على خير الانام * سيدنا ومولانا محمد خاتم الانبياء والمرسلين * وعلى آله وصحبه الذين جابوا البسيطة من المغرب الاقصى الى بلاد الصين *

《 اما بعد 》 فالرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الانظار * في فضل علم التاريخ والاخبار * للامام العلامة * والاستاذ الفهامة * الشريف النوراني * الشيخ الحسين ابن محمد الورثيلاني * نسبة الى بني ورثيلان قبيلة قرب بجاية * أنفس تصنيف رصعت جواهره في وطن الجزائر * واعلق تأليف اشتهر بين البوادي والحواضر * لاشتماله على عوارف المعارف * وظرائف الطرائف * وأوابد العوائد * وفرائد الفوائد * ونسق الاوصاف الكاملة * وحل المسائل الشاكلة * تارة راتعا في رياض الفقه والحديث والتوحيد * وتارة واردا حياض التفسير والتاريخ والتجويد * وآونة طامحا الى التصوف والنصح والوعظ * باذلا في ذلك كله غاية الجهد والنكظ * واصلا جمانه بمرجان الحكايات الانيقة * ومرصعا وشاحه بياقوت الاشعار الرقيقة * وغير ذلك * مما هناك *

ولما كان هذا التأليف * الحسن الترصيف * مطمح الانفس * وغاية التأنس * أمر سمو الوالي العام بطبعه * لتعميم نفعه .

وقد اعتمدنا في التصحيح على اربع نسخ .

(١) نسخة مخطوطة بخطوط مغربية مختلفة مقابلة على نسخة منقولة من مسودة المؤلف مجموع صفحاتها ٦٤٢ في كل صفحة من ٢١ الى ٣٢ سطرا و٣٣ كراسة غير مخيطة متخللة بأوراق مورقة طولها ٢٧١ مليمترا في عرض ٢١٠ مليمترا .

(٢) نسخة مخطوطة بخطوط مغربية غالبها جميل مقابلة كالتي قبلها على مسودّة المؤلف مجموع أوراقها ٢٥٣ في كل صفحة ٢١ سطرا و٣١ كراسة غير مخيطة متخللة ايضا باوراق مورقة طولها ٢٠٧ مليمتر في عرض ١٩٠ مليمترا وهي اصح النسخ واقل بياضا .

(٣) نسخة مخطوطة بخطوط مغربية غالبها غير جيد مؤرخة بيوم الجمعة الفاتح لشهر شعبان عام ألف وثلثمائة وثلاثة عشر (١٣١٣) مجموع صفحاتها ٦٤٠ في ٣٧ كراسة غير مخيطة متخللة بأوراق مورقة في كل صفحة ٢٠ سطرا وطولها ٢٦٥ مليمترا في عرض ١٩٥ مليمترا .

(٤) نسخة مطبوعة على الحجر في حاضرة تونس سنة ١٣٢١ بتصحيح الشيخ علي الشنوفي والشيخ الامين الجريدي وهذه النسخة مشتملة على ثلاثة اجزاء في الاول ٢٥٠ صفحة وفي الثاني ٢١٤ صفحة وفي الثالث ٢٦٠ صفحة غير انه يمكن ان تعتبر نسخة مخطوطة بخط مغربي كاد لا يقرأ في بعض المواضع لانطماس الحروف وتعثّر القلم والتمجمج او تفشّي المداد وزيادة على ذلك لم ينبه في غير موضع عن البياض الموجود في الاصل .

هذا وقد بذلنا في التصحيح غاية الجهد * مع اننا معترفون بأننا لم نبلغ منزلة تسمو عن النقد * ولا سيما كون الاصول التي راجعناها عند الطبع مختلفة الروايات * مضطربة العبارات * وقد تعذر علينا كثيرا إصلاح التصحيف والتحريف * بعد مراجعة عدة من التآليف * وما العصمة والكمال * الا لذي القدر والجلال *

* محمد ابن ابي شنب *

ترجمة المصنف

الحمد لله وجد مكتوبا في آخر صحيفة من رحلة الشيخ البركة سيدي الحسين الورثيلاني ما نصه

يقول زابر هذه الاسطر الفقير الى الله القدير * عبد القادر بن محمد الصغير * وفقه الله لما يحبه ويرضاه * اعلم ايها الواقف ان مؤلف هذه الرحلة وجامعها هو مولانا وقدوتنا الى الله تعالى المحقق الكامل * العالم العامل * العارف بالله تعالى امام المحققين والمريدين * فاتح أقفال بعض غوامض اشارات العارفين * ومفسر رموز مشكلات المحققين السالكين * ذو الرتبة الالهية * والعلوم الربانية * والمنح الرحمانية * المقتفي لكتاب الله تعالى والسنة المحمدية * وهو الولي الصالح * والقطب الواضح * امام الطريقة * الجامع بين الشريعة والحقيقة * الفقيه النوراني * والعالم الرباني * سيدي الحسين بن محمد السعيد الشريف الورثيلاني * رحمه الله تعالى ونفعنا به كان اماما محققا بارعا في العلوم وتفقه حتى وصل الغاية في مذهب المالكية * ولا سيما قد فتح الله عليه بالافتتاحات الربانية * وله تصانيف عديدة * وتآليف مفيدة ﴿ منها ﴾ شرحه على القدسية للامام المحقق * والفهامة المدقق * سيدي عبد الرحمن الاخضري وهو شرح حسن اذ لم نعلم لها شرحا غيره ﴿ ومنها ﴾ شرحه على وسطى الامام السنوسي ﴿ ومنها ﴾ شرحه ايضا على محصل المقاصد للامام ابي العباس احمد بن زكري التلمساني غير انه مات فيه قبل تمامه ﴿ وشرح ﴾ ايضا خطبة شرح الصغرى للسنوسي ﴿ وله ﴾ حاشية جليلة على حاشية المحقق السكتاني التي وضعها على شرح السنوسي ﴿ وقد ﴾ وضع رسالة عجيبة على قول بعض الاولياء وقفت على ساحل وقفت الانبياء دونه لعله ابو الحسن الشاذلي والله اعلم ﴿ وله ﴾ رسالة اخرى في بعض قول الاولياء نسجت برنسا من ماء وغطيت به من الارض الى السماء الخ ﴿ ورأيت ﴾ له حاشية على صغير الخرشي مزبورة على هوامش الشرح ﴿ وقد ﴾ شطر

البردة ﴿ والقصيدة ﴾ التي للبوصيري اولها « يا رب صل على المختار من مضر » تشطيرا عجيبا بحيث لا تعرف بينه وبين الكلام الاصلي وغير ذلك من القصائد والتآليف والتقارير مما يطول تتبعه .

ولد رحمه الله تعالى على ما اخبرني به ابي عام خمسة وعشرين من الثاني عشر (١١٢٥) وتوفي على ما ذكره لي بعض تلامذته في شهر رمضان عام ثلاثة وتسعين من القرن (١١٩٣) وبعضهم قال عام اربعة وتسعين فعلى هذا عاش المؤلف ثماني وستين او تسعا وستين سنة انتهى .

هذا وقد ترجمه ايضا العلامة المحقق والفهامة المدقق الشيخ ابو القاسم محمد الحفناوي في القسم الثاني من كتابه الموسوم بتعريف الخلف برجال السلف المطبوع بالجزائر فقال هو الامام العالم العامل العلامة الكامل الاستاذ الهمام شيخ مشائخ الاسلام الورع الزاهد الصالح العابد المتبع لاثر الرسول الجامع بين المعقول والمنقول بحر الحقائق وكنز الدقائق مفيد الطالبين ومربي السالكين وقدوة العلماء العاملين وبقية السلف الصالحين محيي السنة والطاعن في نحور مخالفيها بالاسنة نادرة الزمان وبركة المسلمين في كل عصر واوان الجامع بين العلمين والكامل في النسبتين حامل لواء الشريعة والحقيقة ومعدن السلوك والطريقة ذو التاليف المفيدة والتصانيف العديدة العالم الرباني والقطب الصمداني والشريف النوراني الشيخ سيدي الحسين الورثيلاني نسبة الى بني ورثيلان قبيلة بالمغرب الاوسط قرب بجاية التابعة للجزائر كان رحمه الله مجاب الدعوة شديد السطوة لا تاخذه في الله لومة لائم ليله قائم ونهاره صائم

تـراه يصـلي ليلـه ونـهـاره * يظـل كثير الذكر لله سائحا

متعلقا برب الارباب متوكلا على الكريم الوهاب قد استوى عنده الذهب والتراب فهو ممن ترك الجيفة للكلاب وراى المصطفى في المنام فاحتضنه فاول ذلك بزهده في الدنيا والحطام ظهرت على يده الكرامات وخوارق العادات وشهد له اهل الصدق بالولاية الكبرى والمكاشفات ونصر الله به الدين وقطع به دابر الملحدين ولم يزل متضرعا لله في السر والنجوى يصدع بالحق ويقيم السنة صادق اللهجة واضح المحجة مستقيم الحجة قصد بيت الله مرارا وحجه طاهر الجنان رطب اللسان ناشط الاعضاء في العبادة والاركان

حلف الزمان لياتين بمثله * حنثت يمينك يازمان فكفر

كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ومناما رآه اكثر من ثلاثمائة مرة وفي بعضها قال له عند تعلقه به

تضلع من علم الشريعة بعد ما * تضلع من علم الحقيقة(١) وتدرعا

اخذ العلم عن والده واشياخ وطنه ثم رحل الى المشرق فحج واجتمع بالخضر عليه السلام بمكة المشرفة واجتمع بالشيخ الهماق(٢) صاحب الطريقة المشهورة بالمدينة المنورة ودخل مصر القاهرة فوجدها طافحة بالعلم والعلماء نيرة زاهرة فكرع واستفاد واخذ العلوم العالية عن اولائك الاسود والاسياد فممن اخذ عنه الصعيدي والحفناوي والجوهري والنفراوي والعقيقي والسيد البليدي والملوي والصباغ والعمروسي وخليل الازهري وعمر الطحلاوي والزياتي والاشبيلي وابي القاسم الربيعي والهاشمي وابن شعيب والكردي والفيومي واجازوه في العلمين ثم رجع من المشرق بعد ان امتلا وطابه وفاض عبابه فعلم وافاد والف واجاد ودعا الى الله العباد وقهر الجهلة اهل التصعب والعناد فمن تاليفه الرحلة السنية التي سارت بها الركبان وقد دعا لناسخها ومالكها وناظرها فهي حصن حصين ودرع متين ومنها شرحه على المنظومة القدسية للشيخ عبد الرحمن الاخضري في التصوف وحاشية على السكتاني وكتاب المرادي وقصيدة فيها خمسمائة بيت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم كالهمزية لكنها ميمية وشرح على خطبة الصغرى ورسالة جوابا على قول بعضهم خضت بحرا وقفت الانبياء بساحله ورسالة في حل اللغز الذي ارسله سيدي احمد بن يوسف الملياني الى علماء فاس فعجزوا عنه واما وفاته رحمه الله فقد راى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره انه يعيش الى السنة العاشرة من القرن الثالث عشر فتكون وفاته كما اخبر به الصادق المصدوق لانه لا ينطق عن الهوى ورؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق ومن رآه فقد راى الحق كما في صحيح البخاري اه ٠

---

(١) (٢) هكذا بالاصل

نزهة الانظار

في فضل علم التاريخ والاخبار

المشهورة بالرحلة الورثيلانية

للشيخ العالم الرباني والشريف النوراني

سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني

قدّس سرّه

آمين



١٣٢٦
١٩٠٨

طبع في مطبعة بيير فونتانا الشرقية في الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه

قال الشيخ الفقيه العالم الورع الزاهد شيخ الشريعة والحقيقة * وامام اهل الطريقة * العالم الرباني * والفقيه النوراني * سيدي الحسين ابن محمد السعيد الشريف الورثيلاني(١) رحمه الله تعالى ورضي عنه واعاد علينا من بركاته وافاض علينا من بحر اسراره وانواره بمنه ءامين

الحمد لله الذي خلق الانسان(٢) اطوارا * وجعل الشمس والقمر والنجوم انوارا * وسيرها من كون الى كون بحيث تقطع ابراجا ليلا ونهارا * فيا عجبا من رحلتها بسوق الاملاك اياها فهي ءاية النهار حقا مشهورا * خُلِق الانسان(٣) من نطفة امشاج لِيُبْتَلى وجُعِل سميعا بصيرا * فهُدِي الى السبيل اما شاكرا واما كفورا * ثم الابرار يشربون من كاس كان مزاجها كافورا * عينا يشرب بها المقربون اعني زمزم وذات المحبوب يفجرونها بالشوق(٤) تفجيرا * نعم يوفون بما به كلفوا من المناسك وما به عرفوا من الحقائق تذكرا وتذكيرا * يسمى(٥) العهد القديم والنذورا * ويخافون يوما كان شره مستطيرا * ويطعمون الطعام في البر والبحر على حبه والرغبة فيه لقلته وغلائه جائعا وضريرا * بحب وشوق وعشق في الله ونبيه ورضاهما لا يريدون جزاء ولا شكورا * فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسعيهم سعيا مقبولا مشكورا * وتجارة لن تبورا * ليوفيهم الله تعالى اجورهم ويزيدهم من فضله النظر الى

---

(١) في جميع النسخ الورتلاني — (٢) في نسختين للانسان — (٣) في نسختين باسقاط الانسان — (٤) في نسخة باسقاط بالشوق — (٥) في ثلاث نسخ سيما

وجهه وفد حججوا حجا مبرورا * ولقاهم ايضا نظرة ورحمة وهداية وعزا ورفعة ومعرفة وزهدا وبصيرة وسرورا * وجزاهم ايضا بما صبروا لتعب السفر ومشقته حرا وبردا وسفما(١) جنة وحريرا * فلا يرون في ظل العرش عذابا اصلا ولا شمسا ايضا ولا زمهريرا * فما احسنها من رحلة وظعن من الخلق الى الحق وان الى ربك المنتهى وسواه لم يكن شيئا مذكورا * فسبحان من وفق(٢) قوما بالسفر الى الحبيب صلى الله عليه وسلم وزيارة الاماكن الشريفة قدرا مقدورا * وخذل ءاخرين مع استوائهم في البشريات ألا له الخلق والامر تبارك الله يقول للشيء اخسا فيكون مذموما مدحورا * والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم سرمدا دائما بكرة واصيلا ليلا ونهارا * وعلى ءاله واصحابه اجمعين صلاة نحوز بها غدا حجابا عظيما من شر كل ذي شر مع لواء الحمد في حضرة القدس منشورا * وذلك مع الاباء والامهات والازواج والذرية والاحبة وفي جنة الفردوس تكون قصورا * وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة نشأت من صميم القلب وخلوص الاعتقاد خالية من الامتراء تكون لنا يوم القيامة فوزا ونورا * واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله ونبيه وقريبه صلى الله عليه وسلم اذ كان مؤيدا منصورا ﴿ وبعد ﴾ فاني لما تعلق قلبي بتلك الرسوم والاثار * والرباع(٣) والقفار والديار * والمعاطن والمياه والبساتين والارياف والقرى والمزارع والامصار * والعلماء والفضلاء والنجباء والادباء من كل مكان من الفقهاء والمحدثين والمفسرين الاخيار * والاشياخ العارفين والاخوان والمحبين المحبوبين من المجاذيب المقربين والابرار * من المشرق الى المغرب سيما اهل الصحو والمحو اذ ليس لهم مع غير الله قرار * انشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي * ويستحسنها الشادي * فانها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الاخبار مبينا فيها بعض الاحكام الغريبة والحكايات المستحسنة والغرائب العجيبة وبعض الاحكام الشرعية مع ما فيها من التصوف مما فتح به علي او منقولا من الكتب

(١) في نسخة باسقاط وسقما — (٢) في نسخة وفى — (٣) في نسختين والربع

المعتبرة سيما وان اعتمادي في ذلك على رحلة شيخنا وقدوتنا ومن على الله ثم عليه اعتمادنا سيدي احمد بن [محمد بن] ناصر [الدرعي الجعفري[1]] هذا واني انقل ايضا من بعض كتب التاريخ كنبذة[2] المحتاجة في ذكر ملوك صنهاجة ومختصر الجمان في اخبار اهل الزمان[3] وكذا حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة وغيرهما[4] مما يناسب المحل جعله الله خالصا لوجهه وعملا متقبلا بين يديه وحصنا حصينا من كل بلاء دينا ودنيا لمؤلفه وناسخه ومالكه وناظره ءامين يا رب العالمين ولذا قلت وعلى الله اعتمدت «اعلم» ايها الاخ لما اراد الله المشي منا الى الحج وقد سبق في علم الله ان يكون حجنا في عام تسعة وسبعين ومائة والف (١١٧٩) مع اجابة وتلبية للخليل عليه السلام حين قال له الله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق الاية حدث لنا العزم باذن الله تعالى «وسببه» ان الفاضل العالم الكامل الصالح اخانا في الله والمحب من اجله سيدي احمد الطيب الزواوي نجل الولي الصالح سيدي محمد السعدي من بني العزيز من وطن بني منجلات قدم الينا زائرا ووافدا علينا وطالع احوالنا لعل الله يفرج ما بنا من الفتنة مع بعض المخذولين الخارجين عن طاعة الله ورسوله في الاحكام الشرعية بعد اعطاء البيعة والاذعان في جميع الاحكام الشرعية ونبذ العوائد الردية والبدع الشنيعة كقطع الميراث واكل اموال الناس بالباطل واموال اليتامى ولين الجانب كالارامل فلما وصل الينا فرج الله عنا ذلك بعد ان وقع النصر من الله العزيز لقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره ولقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ووقع الصلح بين الفريقين واظهروا التوبة والذل والمسكنة والندم بعد ان كانوا ممتنعين منها ظاهرا وباطنا الفضل لله تعالى والشكر له جل جلاله «فلما» كان ذات ليلة من الليالي اذ[5] اجتمع سيدي احمد الطيب مع اخينا في الله سيدي احمد بن جود[6] وسيدي مهنا وكلهم ذوو الفضل والعلم والصلاح في دارنا فاخذوا في حديث الانتقال من

---

(١) طبعت هذه الرحلة في فاس بغير ذكر السنة — (٢) هكذا في جميع النسخ — (٣) لعله كتاب الجمان في مختصر اخبار الزمان — (٤) كذا في جميع النسخ — (٥) اذا — (٦) في نسخة جودي

الوطن فترقى بهم الكلام الى التحدث على الحج سنة اذ مع اننا سمعنا ان الشيخ الفاضل الكامل شيخ الركب سيدي محمد المسعود نجل الشيخ البركة سيدي الموهوب نجل الشيخ الولي الصالح والبدر الواضع سيدي محمد الحاج قد ضرب طبله(١) في المدينة المحروسة الجزائر على عادة الامراء في ذلك نعم كنا تواعدنا معه قبل على السفر جميعا وفق الله الكل الى صالح القول والعمل وذلك عام مشينا لزيارة النبي سيدي خالد عليه السلام على القول بنبوته وقد شهر غير واحد من المتاخرين رسالته بجبل الرس(٢) الملقب لان أوراس وكانت معجزته نارا(٣) وكانت رسالته قبل رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بمدة قريبة الا ان رسالته صلى الله عليه وسلم نسخت جميع الرسائل والشرائع الا ما بقي(٤) عن كونه لم ينسخ والذي شهر رسالته صاحب التآليف المشهورة والتصانيف المذكورة المتنفع بها غربا وشرقا جوفا وقبلة سيما بمحروسة مصر في الجامع الازهر اذ قد اقبلوا على تلك التآليف اقبالا كليا تدريسا وبحثا وشرحا وتعليقا بالحواشي وتطريرا سيدي عبد الرحمن الاخضري نفعنا الله ببركاته وافاض علينا من بحر انواره رضي الله عنه وانا سمعنا انه هو الذي اظهر قبره بعلم التربيع وهو مقام عظيم والوفود تاتيه من المشرق والمغرب للزيارة واما على القول بولايته فواضح لان قبور الاولياء لا تكاد ان تخفى وكذا نص على رسالته الخفاجي على الشفاء وما احسنها من زيارة وقد اجتمع فيها اكابر الفضلاء واعظم الصلحاء وتلاقينا في تلك الزيارة مع افاضل الزاب ونجبائه ولا شك ان اكثرهم مجاب الدعوة كالشيخ الفاضل الفقيه المدرس في مسائل المختصر للشيخ خليل بشرح القدوة صاحب الانوار الشيخ التتائي مع حاشية الشيخ مصطفى سيدي محمد الشريف من بني جلّال واهله من الاشراف والسيد عبد الباقي والفضلاء من الطلبة والفقيه الاديب سيدي عبد الباري واجتمعنا ايضا بالزاهد في الدنيا المتخلي عنها رأسا سيدي المبروك وسيدي المبروك هو تلميذ الولي الصالح

---

(١) في نسخة طنبه — (٢) في نسختين الرص — (٣) في نسختين نار — (٤) في نسخة باسقاط عن

الورع الزاهد سيدي احمد بن باباس(١) ونجليه سيدي المحفوظ وسيدي الطيب وسيدي المحفوظ كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم ويرى الله تعالى ايضا حسبما تراه في مراءيه وكان اخا لنا(٢) نفعنا الله ببركاته ءامين ﴿ وقد ﴾ كان سيدي المبروك رضي الله عنه حينئذ متبتلا منقطعا للعبادة وقد رأيته رضي الله تعالى عنه كانه خارج من القبر تعلوه صفرة وقد ظهر أثر التراب على وجهه فبتنا عنده في قريته وتكرم علينا غاية ودعا لنا ولاخواننا ومن تعلق بنا فلما اردنا الانفصال صبيحة تلك الليلة ذهب عائدا لزيارته سيدي احمد الطيب وكثير من الناس فلم اذهب انا معهم قصدا مني ان لا امنعه من العبادة في تلك العودة وما حصل لنا قبل كاف وذلك شاني مع كل مشتغل بالله تعالى فان كنت بطالا فلا اعوق الغير عما يعنيه .

﴿ وقد ﴾ دخلنا طولقة فاجتمعنا بها ايضا مع اهل الفضل والعلم وزرنا ايضا الشيخ المذكور والولي المشهور سيدي عبد الرحمن الاخضري في قريته المشهورة فلما وصلته وجدته كانه حي في قبره وذقت(٣) منه امرا عظيما يكاد الجاهل ان يحيله وقد زرت والحمد لله النبي سيدي خالدا مرة اخرى قبلها مع الجم الغفير والجمع الكثير نحو الالف وفيه من الافاضل ما لا يحصى كالسيد الفاضل الشيخ سيدي علي بن المبارك نجل سيدي علي الطيار وفي ذلك السفر زرت الشيخ الغوث ابا جملين في المسيلة افاض الله علينا من بركاتهم واعاد علينا من انوارهم ﴿ هذا ﴾ وان العهد مع سيدي محمد المسعود موثوق(٤) وعقد الجميع النية وعزموا على الحج جزما وكان عزمي بعزمهم غير ان عزمي لم يتقو(٥) ذلك العام الا اذا ذهبوا فاذهب معهم قطعا ان شاء الله تعالى وبعد ذلك اظهر الجميع عزمه الى الحج وانا اقول عزمي على عزمهم فاعان الله الكل فحجوا وقضوا مناسكهم حال الحياة تقبل الله من الجميع ﴿ نعم ﴾ علامة القبول موجودة ودلائل الخير حاصلة ان شاء الله تعالى وكيف لا اذ

(١) بباس — (٢) خالنا — (٣) تفت — (٤) باسقاط موثوق — (٥) لم يتفق

لم يسافروا الاحبا في الله ولله ومن الله(١) وشوقا في رسوله صلى الله عليه وسلم ودلائل الخير(٢) لا يمكن فشوها كان ذلك في الكعبة وعند المواجهة علمها بعض الفضلاء وقد شاهدنا(٣) ما لا يصح تخلفه بفضل الله تعالى وناهيك بزيارتهم وحبهم والاخذ منهم والا فالمحروم شقي ومن لم يحسن الظن غبي ﴿ وبالجملة ﴾ فلما سمع الناس من عمالة الجزائر بحج هولاء الفضلاء ونخبة العلماء حركهم ذلك الى شد الرحال الى بيت الله الحرام من كل بلد ووقع الضجيج من عامة المسلمين ومن خاصتهم وذلك من الحاضرة والبادية حتى ذهب جميعهم بنسائهم واولادهم ﴿ نعم ﴾ زاد عزمي وقويت(٤) همتي للمشي غير انه عارضني امر اوجب السفر مع الاخ في الله سيدي احمد الطيب الى ناحية زواوة وقرية تدلس [دلّس] لزيارة الشيخ الولي الصالح سيدي احمد بن عمر اذ سمعت به في صباي انه من اهل التصريف وقد اخبرني بذلك البعض من اهل الخير ممن يوثق بهم وكان رضي الله عنه يعرف اهل عصرنا ويطالع احوالهم ويعلم من كان من اهل التصريف منهم من المشرق والمغرب وانه اخبرني بان سيدي احمد الزروق بن مصباح وسيدي الحسين بن اعراب من بني يراثن وسيدي احمد ابن باباس(٥) الفليسي وسيدي احمد بن عمر التدلسي انهم من اهل الوقت وهو غير بعيد بل هو الحق ان شاء الله تعالى ﴿ نعم ﴾ هولاء فقهاء مدرسون متبعون للسنة وقد ظهرت عليهم ءاثار الفضل وانوار الحق مشرقة عليهم وقد صحبتهم واحببتهم وشهدت(٦) من جميعهم ما يدل على ذلك على ان سيدي ابن اعراب كان يحدثني عن رجال الغيب ويقول انهم قالوا ذا ويكون ذا ولو لا الاطالة لذكرت من كلامه ما فيه العجب العجاب من اطلاعه على بعض المغيبات ﴿ نعم ﴾ احوال الكشف فيه ظاهرة وقد روينا من اسراره(٧) رضي الله عنه وكذا من الجميع في محالهم وقد زرتهم مرارا مع اطلاعي على بعض اسرارهم والحمد لله تعالى ﴿ فانفصلنا ﴾ من مقامنا بنية الزيارة وقضاء الحوائج لبعض المسلمين من اصلاح ذات البين

---

(١) باسقاط ولله ومن الله — (٢) ودلائل اخر — (٣) شهد — (٤) قوت — (٥) ببباس —
(٦) كذا في جميع النسخ — (٧) في نسخة من بحره

اذ القتال بين المسلمين في وطننا كثير والفتنة بينهم قل ان ترتفع والهرج بينهم فوي ازال الله ذلك بمنه وكرمه وحكم السلطان غير نافذ فيهم اذ لا يقدر عليهم وان كانوا قريبا من الجزائر لكونهم تحصنوا بالجبال فلم يبق فيهم الا همة الصالحين واهل الخير فيجب على من يقبل منه ان يذهب اليهم ويصلح حالهم ليرتفع ما فيهم من المعصية وهي قوله صلى الله عليه وسلم القاتل والمقتول في النار الحديث وقد نص علماء بجاية على انه يجب على اهل الخير والصلاح ممن يقبل منه ان يصلح بين هؤلاء المسلمين والا عصى الله تعالى وقد نُصّ ايضا على انه لا يجوز حال قتالهم النظر اليهم ولا النزهة(١) فيهم لانها معصية فلا تجوز مشاهدتها وهو شريك بالنظر انظره في الاسئلة تره بالعيان « وبالجملة » فذهبنا لبعض القرى قد خربت من اجل ذلك ولعلها ترجع للعمارة وكان ذلك في يد متولي امرهم سلطان مجانة بتخفيف الجيم كما سمعته من بعض من يعرف ضبطه من الحذاق و يوثق به في اللغات وهو المعظم الاجل محب الصالحين الشريف المبارك محمد بن احمد بن القندوز المقراني ثم العباسي متوجهين الى تلك النواحي « ومررنا » على قبر الشيخ الولي الصالح والقطب الواضح رحمة وطننا وغيث بلدنا(٢) سيدي يحيى العيدلي نفعنا الله به امين وقد شهد بقطبانيته الشيخ الولي الصالح ذو التصانيف المفيدة سيدي عبد الرحمن الصباغ شارح الوغليسية وقد شرح البردة ايضا بان اختصر شرح الامام ابن مرزوق التلمساني عليها بعلوم سبعة ورثاه عند موته بقصيدة عظيمة وشهد له ايضا بالعلم الظاهر والباطن وان له كرامات عظيمة(٣) وشهد له بذلك(٤) ايضا بحر الولاية والعلم سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه ومثله في العلم والولاية سيدي التواتي البجائي وكان حكمه وفتواه لا يردان من بجاية الى توزر [ومثله طود العلم وشمس الحق والعرفان السيد الشيخ زروق وكفى بهم علما وديانة ونصحا للمسلمين(٥)] اما سيدي عبد الرحمن الثعالبي فانه رد(٦) رسالة للشيخ

---

(١) التفرّج — (٢) رحمة بلدنا وغيث وطننا — (٣) وان له من الكرمات شيء عظيم (هكذا) — (٤) باسقاط ذلك — (٥) ما بين القوسين ساقط في بعض النسخ — (٦) وردت [عليه]

سيدي يحيى بان شاوره على امور ثلاثة احدها من ازوج ابنتي والثانية من يكون وصيا على اولادي والثالثة تجعل تاليفا لاصحابي فاجابه الشيخ الثعالبي عنها بان بنتك زوّجها من تلميذك فلان واما الوصية فانت الوصي عليهم حيا وميتا واما التاليف فقد الفت ما فيه كفاية وكلان قد كبر سني ووهن عظمي فلا اقدر على التصنيف وهؤلاء كلهم في القرن التاسع رضي الله عنهم وارضاهم واما سيدي التواتي فقد عظمه غاية التعظيم بان كتب الشيخ سيدي يحيى بعد السلام والرحمة والبركة انك ذكرت شيئا من احوالنا في الصلاة منتقدا او قادحا فيها فاجابه رضي الله عنه بان قال له بعد تعظيمه بما يستحقه من التعظيم والله ما ذكرنا احوالك الا تبركا بها فقط وكيف لا وانك احييت امورا درست وطرقا ذهبت وانت المحق الفاضل صاحب الوقت او كلاما يقرب منه واما الشيخ زروق فقد ذكره في كناشه وانه الف بعض تآليفه في مسجده المعلوم في تَمُقْرا(١) رضي الله عنه ونفعنا به حاصله ذكره الشيخ زروق وعظمه غاية التعظيم بحيث اخذ عنه العلم الباطن وقال بعض العلماء هو الذي ملك للشيخ زروق اقطارا من البلدان والى ذلك اشار بقوله « وملكنيها بعض من كان مالكا » وقد سمعت ممن يوثق به ايضا انهما اختلفا في لفظ الجبروت هل هو بهمز او بغير همز [فقال الشيخ زروق بغير همز اذ لم يوجد في اللغة فعلوت هكذا بهمز(٢)] وقال الشيخ سيدي يحيى انما هو بهمز فلما اصاب الشيخ الريب قال له الشيخ سيدي يحيى انظره في اللوح المحفوظ بان مسح وجه الشيخ زروق فازال الله الحجاب عنه فراه كذلك ومن كرامات الشيخ سيدي يحيى انه لما بنى مسجده المعلوم اختلفوا في القبلة فلما اختلفوا فيها قال الشيخ سيدي يحيى لجبل فوق قريته انخفض فانخفض فتبينت لهم الكعبة وراها كل من كان هناك وهذا والله اعلم وان لم ير في الكتب غير انه(٣) تواتر عنه ذلك ومن كراماته رضي الله عنه ان الشيخ سيدي التواتي بعث بعض طلبته لسيدي يحيى ليوسل له

(١) تمغرا وتموقرا — (٢) ما بين القوسين ساقط في بعض النسخ — (٣) عوض قوله غير انه ورد في بعض النسخ فقد

شيئا من الزيت لان بلد الشيخ بلد الزيتون الى الان فبعث الشيخ سيدي يحيى للطلبة معزا اي عددا منه وقال لهم سوقوا المعز من غير كلام لاحد حتى تصلوا الشيخ فلما وصلوا اثناء الطريق بان وصلوا سوق الثلاثا لبني هارون وجدوا بعض اخوانهم من الطلبة فسألوهم عن الخبر فقالوا بعث معنا(١) عددا من المعز وغفلوا عن وصية الشيخ رضي الله عنه فلما ذهبوا لذلك المعز وجدوه جلودا من زيت وقد اسقط عليهم الكلفة [فلما فضحوا سر الشيخ رجعت لهم الكلفة(٢)] ثم انهم حملوها جلودا كذلك الى ان وصلوا الى بجاية الى الشيخ فاخبروه القصة وقال لهم لو سكتم لوصلوا كذلك ثم يرجعون زيتا فلما خالفتم وقع بكم ما وقع من الكلفة وبالجملة من كتم سر الاولياء وكذا سر الله انتفع به وادم له ذلك وكراماته رضي الله عنه كثيرة وقد كتبنا منها نبذة في شرحنا لوظيفته عند ختمه ولم اذكر فيه كرامة عظيمة لم ارها مسطرة غير انها تواتر امرها واشتهر وهو انه لما رجع من سياحته وقد مكث فيها مختفيا عن الناس نحوا من عشر سنين وامه في حال حياتها وجد اهل قريته اخذوا ثورا لحما فقسموه ولم يجعلوا نصيبا لامه من غير اكتراث بها فلما علم بذلك تغير من امرهم حيث لم يسهموا لها شيئا والحالة ان اللحم لم يبق منه شيء بل جعلوه في القدور ولم يجد شيئا باقيا الا الجلد والرأس فعند ذلك ورد عليه حال عظيم بان امسك الجلد من الذيل وقال له قم باذن الله فقام الثور يمشي كما كان اول مرة فلما شاهدوا منه ذلك خضعوا له وتواضعوا وذلوا واستكانوا وظهر امر الشيخ ظهورا بينا بحيث ان من تعدى عليه هلك بغتة وقد كان له زرع في أَمَالُو(٣) وبات فيه جماعة من الناس بخيلهم من غير علم ان الزرع للشيخ فلما اصبح الله بخير الصباح مات جميع خيلهم وحملوا سروجهم على اعناقهم ثم ان ذلك في ءاخر عمره ارتفع وسئل الشيخ عن ذلك فقال فعل الله ذلك ابتداء ليعلم بحالي الخلق وليظهرني فلما حصل المقصود من الظهور والنفع للخلق وظهرت الخصوصية وثبتت ودامت ارتفع ذلك والله اعلم

---

(١) في ثلاث نسخ لنا — (٢) ما بين القوسين ساقط في بعض النسخ — (٣) ونسخة المحال و

﴿ ولما ﴾ زرنا قبر الشيخ وسألنا الله بجاهه ان يمن بما فيه رضاه من السفر وان ييسر علينا امره وان يجعله مقبولا مع الاخذ في الاستخارة الشرعية وبالجملة فقبر الشيخ ترياق مجرب ذهبنا لبني عباس وبتنا عند الفضلاء الاشراف المحبين لنا جميعهم الصغير والكبير والذكر والانثى وتكرموا وفرحوا بنا فرحا شديدا ثم بعد ذلك لقرية المحب كل الحب اذ داره يد اهل الخير فيها يد واحدة الفاضل الفقيه الصالح الكامل سيدي محمد السعيد بن الطالب وانه فرح بنا ايضا فرحا شديدا وبعده ذهبنا لزيارة الشيخ الولي الصالح والبدر الواضح ترياق وطنه واميرا(١) بلده سيدي احمد بن عبد الرحمن جد اولاد مقران والله اعلم تلميذ الشيخ سيدي يحيى وقد سمعت انه قال للشيخ سيدي يحيى اني رأيت في النوم النار تخرج من بولي فعبرها له الشيخ بان قال يصير منهم اي من اولاده ما يصير(٢) من اهل الظلم والجور وكان الامر كما ذكر ولعل بركة جدهم تعمهم وكذا الشرف وقد رأيت طبقات ابن فرحون انه نص على شرفهم والله اعلم قلت وقد نص الشيخ عبد الباقي على ان الشرف يثبت بالشهرة عند قول المصنف ومصرفها بكسر الراء فقير الخ والاجهوري بضم الهمزة قال الناس على ما حازوا من انسابهم كحيازة الاموال يصدق الانسان شرعا في نسبه كما يصدق بان ما بيده ماله الا اذا كان مشهورا بالعداء والظلم فلابد ان يكلفه الحاكم باي وجه تملكه والا اخذه من يده لعل صاحبه ياتي اليد نص عليه الشيخ ابراهيم الشبرخيتي ﴿ هذا ﴾ ولما زرنا الشيخ وسالنا الله حوائجنا الدينية والدنيوية وامر السفر ايضا حسبما عند الشيخ سيدي يحيى ذهبنا لقضاء حوائج المسلمين فلما قضيناها من امير مجانة وغيره من عرفاء بني عباس ذهبنا لمحل الولي الصالح والشريف الواضح سيدي بهلول بن عاصم نفعنا الله به وبذريته وقد اشتهر امره انه تلميذ الشيخ سيدي يحيى كما كنا نسمع ذلك(٣) والله اعلم وانه ايضا تزوج بنت الشيخ المذكور وكراماته كثيرة وحال اولاده مع الناس كذلك ﴿ نعم ﴾ بدانا بزيارة الذاكر

---

(١) في نسخة امين — (٢) باسقاط ما يصير — (٣) في بعض النسخ باسقاط ذلك

لله كثيرا الفاضل الصالح الفقيه المحلى بحلية القبول سيدي محمد بن سعيد الشريف البابوري وقد اجتمعت معه حيا وزرته مرتين وقد سمعت انه تلميذ الشيخ سيدي احمد بن عبد العظيم وسيدي احمد هذا كان من المحقّقين في كل علم وشهد بولايته كل من راه من اهل عصره وقد سمعت ممن سمع سيدي ابراهيم الحاج البجائي انه سمع الحيتان في البحر تقول سبحان الله احمد بن عبد العظيم ولي الله «وسيدي» ابراهيم هذا كان صاحب الوقت في زمانه واني سمعت ممن يوثق بخبره ان السيد ابا القاسم الحاج صاحب قُراية في بجاية انه راى السيد ابراهيم في السماء الرابعة يجذب(١) الشمس مع الملائكة وكفى به واني سمعت العدل المبرز الكامل الصالح سيدي علي بن عبد الرحمن البجائي انه سمع من الفقيه الصالح سيدي يحيى الصنهاجي انه قال سمعت من سيدي ابراهيم هذا يقول لا يقف عند قبري شقي وتواتر عنه هذا الخبر وقبره معلوم وذلك داخل السور عند باب امسيور(٢) قرب قبر الشيخ ابي حامد الصغير ابي علي المسيلي «وسيدي» علي هذا سمعت منه انه قال رأيت فاطمة الزهراء في النوم فقالت انت من جيراننا ثم انه ذهب الى الحج ومات في المدينة المشرفة ودفن في البقيع بلغنا الله ومن تعلق بنا ببركة جميعهم «وكذلك» زرنا سيدي الهادي واولاده كان رضي الله تعالى عنه مقبلا على الله وله بسطة في الدنيا واقبلت عليه الناس ثم بعد ذلك امتحن ونجا بفضل الله تعالى بان تعدى عليه طلبة الشيخ سيدي احمد بن ادريس اذ بلغ امرهم الظلم والتعدي والفتنة للناس وهلاكهم وقطع شجرهم واصابتهم غيرة من الشيخ وحسد فعادوه وحرقوا قريته واخذوا ماله وقتلوا ولده ولما احاطوا بداره ولم يتركوا فرجة له يخرج منها ظنا منهم يمسكونه بايديهم ركب فرسه وهي طويلة جدا وهو رجل طويل بلغ فيه الغاية فلم ار رجلا مثله الا النادر وخرج من باب صغير بحيث لا يخرج منه الا الطفل المراهق او ربعة من الناس نعم لا يخرج مع ذلك الا بعسر فخرج

---

(١) بحذاء ويحيد — (٢) في نسخة ميسور

بفرسه على حاله فكل من راى ذلك وعلم حاله تعجب من ذلك كثيرا فنجاه الله تعالى وسلم ثم اني رأيت له قصيدة كبيرة في شان هولاء الطلبة المتعدين وان خصها بعض الاوزان الشعرية فان مذهب المتقدمين لا يشترطون ذلك وانما هو مذهب المتاخرين على انه ان استقامت حالة الانسان وكانت همته عالية متعلقة بالله تعالى لا يضره مخالفة القوانين الادبية ولا غلبة العجمة ولا قلة العلم وقد ذكر فيها انه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم انه قال له سيهلكهم الله بان قبلت فيما طلبته(١) فيهم وكان الامر كما ذكر بان شتت الله جموعهم وفرق امرهم تفريق ايدي (٢) سبا وان بقيت منهم حثالة فقد رق حالهم وضعف امرهم غير انه ان بقي منهم ولو واحد لا يخلو عن التعدي والظلم نعم بركة الشيخ سيدي احمد بن ادريس تنوب(٣) عليهم ولعل الله يهديهم او يهلكهم ان لم يعلم ذلك منهم وبركة الشيخ سيدي الهادي هذا ظاهرة على ذريته ارشدهم الله تعالى .

﴿ وزيارة ﴾ هذا الشيخ بعد ان زرنا مقام الشرفاء في بوجليل(٤) فانهم اهل فضل وبركة وعناية وقد اجتمعنا معهم في الجد الاعلى والشرف على ما كنا نسمعه من اعالي اسلافنا فلما وصلنا قرية اولاد الشيخ سيدي بهلول فعلوا ما امرناهم به من الصلح مع اعدائهم وردهم الى محلهم لانهم حرقوهم بالنار(٥) واخذوهم وقتلوا منهم ثلاثين واولاد الشيخ كثيرون غير ان فيهم من يقرأ القرءان ومن يفهم العلم وكثير منهم على طبع العامة من تقليدهم سيف الفتنة واحكام العوائد نعم غلب عليهم الكرم ﴿ ثم ﴾ بعد زيارتهم وقضاء الحوائج منهم ذهبنا لزاوية فزرنا وطنهم الحي والميت والظاهر والخفي على الجملة الى ان بلغنا بيت الفاضل الاخ سيدي احمد الطيب واجتمعنا بفضلاء من الناس ﴿ وبعد ﴾ ذلك عزمنا على زيارة الولي الكبير والقطب الشهير سيدي علي بن موسى ومررنا على بني منجلات وبني بترون وبني عيسى وغيرهم فلما وصلنا الشيخ سيدي علي بن موسى بتنا في مقامه المشهور

---

(١) تطلبه — (٢) يد — (٣) تتوب — (٤) بجليل ويحليل — (٥) بالترك — (٦) كذا

وضريحه الترياق(٦) وقد ظهر من امره نفعنا الله به ان من قصده لحاجة دنيوية او دينية يعطي لوكلائه وطلبة مقامه شيئا معلوما اذ كل حاجة بما تشترى من القدر المعلوم تقضى باذن الله تعالى وفضل الله عليه عظيم وصبغة الله عليه جالية وزائره مقبول وقبره دواء رباني وطب الاهي وقد كان في القرن التاسع معاصرا للشيخ سيدي يحيى العيدلي وصديقا له كراماته باهرة واحواله ظاهرة قلت قال الشيخ سيدي يحيى العيدلي علي بن موسى فيه خاصية الرقية لم تكن في احد من اهل عصره قال وقد رقى لي عكازا اي عصا وكنت ارقي به للناس فيظهر ءاثارها وقيل انه ذهب لبني يَمّل(١) في وادي بجاية(٢) واتوا له بولد كبير بلغ حد المشي وتجاوزه ولم يقدر على المشي بان صار مقعدا لا يقوم اصلا فمسح عليه ورقاه فمشى من حينه نفعنا الله به ومن كراماته ما اشتهر عنه انه اقام بقرة بعد ذبحها وقسم(٣) لحمها وسببه انهم لم يسهموا له الطلبة لانه كان خديما للطلبة وغير ذلك من كراماته وكان له مزود اذا امتلأ يكفيه ثمانية ايام بلغ الضيوف ما بلغوا الفا او اكثر افاض الله علينا من بركاته وجعلنا في زمرته بمنه وكرمه ﴿ ثم ﴾ ذهبنا بعد الزيارة وطلبنا عنده ما طلبناه عند الشيخ سيدي يحيى الى قرية تدلس المحروسة لزيارة سيدي احمد بن عمر اذ كنت صغيرا وقلبي متعلق به حتى جمع الله بيننا وبينه عام تسعة وسبعين ومائة والف (١١٧٩) فلما وصلنا فرح بنا فرحا عظيما وسر بنا سرورا قويا ودعا لنا بعزم وقوة همة من صميم قلبه وخلوص الاعتقاد واقمنا ثلاثة ايام فيها مع كرم عظيم وطيب ضيافة واحسان تام من اهلها عمرهم الله وجعل البركة فيهم ﴿ ثم ﴾ ان فضلاءها ونجباءها سالوني عن قول بعض الاولياء وقفت بساحل وقفت الانبياء دونه فزبرت عليه رسالة حسنة بما فتح الله به ارتجالا وكتبت فيه رسالة نحو كراسة صغيرة وقد قلت فيها ما حاصله انه وقف بساحل بعلمه الحقائق وزوال الحجاب عنه بان وقعت له شطحة من شطحات اهل الحقوق في ذلك الساحل لعدم تمكنه ورسوخه في علم

---

(١) في نسخة يجل — (٢) في نسخة زيادة ونواحيه — (٣) في نسختين وقسمة

الشريعة ولا في علم الحقيقة اذ هو متلون لا متمكن من الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم ءاياته زادتهم ايمانا لامن المتمكنين الذين اطمأنت قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب فوقف في ذلك الساحل وقوف اضطرار لا وقوف ادب لان صاحب هذا المقام محمول لا حامل وهو ممن ملكه الحال لا انه ملك الحال فكان وقوف الانبياء دونه اولى وامكن واليق لتمكنهم واشتغالهم مع السفرة والوحي هذا بمنزلة الخضر مع موسى عليهما السلام وقد كانت علوم عنده لم تكن لموسى عليه السلام مع ان موسى افضل منه بالاجماع غايته ان تلك مزية والقاعدة المقررة ان المزية لا تقتضي الافضلية فموسى قد اشتغل بما هو اعظم والخضر خصه الله تعالى بهذا الامر فلا يكون اولى ولا شك ان الخضر وقف بساحل من العلوم اللدنية والمواهب الكشفية لم يقف موسى بها اذ وقف دونها وهي علم الشريعة ولا شك ان ما يفعله الخضر في بادي الراي انه ممنوع شرعا في ظاهر الحال ولذلك قال له لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا فاذا علمت هذا علمت مثله في هذا القول من غير شك وقد قررته بوجهين ءاخرين فاستحسنوا ذلك مني غاية قل بفضل الله تعالى ﴿ ثم ﴾ ودعونا وفقهم الله وهداهم نحو مسيرة نصف يوم وفي تلك الجماعة دمنا العلامة المحقق الفهامة سيدي محمد الصغير بن رقية والفاضل الكامل سيدي محمد السعيد بن الطالب والمحب للخير واهله سيدي احمد بن علي نجل الشيخ سيدي يحيى العيدلي وسيدي احمد الطيب والشيخ الفاضل سيدي مهنا وخديم الصالحين الحاج علي البتروني وغيرهم وتلميذ سيدي محمد السكلاوي الجزائري اذ كان يقرأ عليّ كبرى الشيخ السنوسي بالشيخ اليوسي قراءة تحقيق في ايام الزيارة وغيرها وشاورنا سيدي احمد بن عمر على الحج فقال توكلوا على الله ﴿ ثم ﴾ رجعنا واخذنا على بني فراوسن بلد الشيخ ابن معطي صاحب الفية النحو الذي قال فيه ابن مالك « فائقة الفية ابن معطي » وسيدي محمد الزواوي صاحب المرائي المعلومة صديق سيدي سعيد السفري القسنطيني وصاحبه فنزلنا قرية الجمعة اعني الصهريج وهي

قرية عظيمة ذات بساتين وعيـون في وسط العمارة نحو مائة عين كما قيل ﴿ ونزلنا ﴾ عند المعظم سيدي محمد بن القاضي الشريف سلطان زواوة وعاهدنا على الحج ومشى معنا ثم مات رحمة الله عليه بعد خروجنا من المدينة المشرفة ودفن بين الينبع ونقب علي في شهر محرم سنة ثمانين ومائة والف (١١٨٠) ثم اتينا بني بوشعايب(١) وزرنا جلتهم ثم مررنا على بنـي يحيى وزرنا جلتهم ايضا وتلاقينا مع بعض فضلائهم اولاد الفقيه من قرية توقة(٢) ﴿ وزرنا ﴾ سيدي علي بن الطالب وهو ولي مشهور كان صبغة في عصره وكان ياتيه الرجـل فيبلـغ لله تعالى ساعتئذ وزرت قبره مرارا واني ادركت اصحابه المنورين جملة منهم سيدي احمد بن عمر وسيدي الموفق ابن ام رزق(٣) الصغير الا اني صغير وهو قد تجرد للعبادة وخدمة طلبة العلم وله كرامات كثيرة وورع شديد صاحب انقباض والمرابط سعيـد بن ثيقريـن(٤) واني ادركت منه المنى وانا صغيـر والولي الصالـح سيدي يحيى بن حمود(٥) وكلهـم اصحـاب وقت في عصرهم ﴿ ثم نزلنا ﴾ قرية الشيخ الفاضل ذي التصانيف الجيدة الولي الكبيـر والعالم الشهير صاحب وقته المحب للنبي صلى الله عليه وسلم وخليله سيدي احمـد بـن مزيان وهي وَرْجَة قريـة عظيمـة طيبة فيهـا بساتيـن وعين جاريـة وسـط داره ولـه خلـوة [معلومة له اليد العليـا في العلوم كلهـا المنقول والمعقـول وقد خمس البردة(٦)] بحيـث لا تفرق بين كلامـه والكلام الاصلي(٧) والف كتابـا في الصلاة على النبـي صلى الله عليـه وسلم لم يوجد له نظير لانه ذكر تصاريف اللغة وحاز يد السبق فيها وغير ذلك وله سر عظيم وانفعال جسيم فاين توجه الا والناس حافون به كلامه له حلاوة وطلاوة(٨) وقد تمكن في علم الاوفاق تمكنا كليا مع الكشف التام وقد اخبر عنـه انـه لا يفعل شيئا حتى يستـاذن النبي صلى الله عليه وسلم وله كرامات مشهورة وهي انه اتاه فقيره في ايام الحج فقال له والله ان احج في هذه الايام فلما الح على الشيخ وذلك في زمان الخريف اعطى له عنقـودا فكمل

---

(١) بُشْعَايب — (٢) توقة وتق — (٣) في نسخة زروق — (٤) تقرين وتيقرين وتفترين وتفنزين — (٥) في نسخة حمودي — (٦) ما بيـن القوسين ساقـط في بعـض النسـخ — (٧) في نسخة الاصيلي — (٨) باسقاط وطلاوة

اكله في مكة المشرفة ثم لما كمل حجه وجد نفسه في دارة نفعنا الله به و ولده حي اخ لنا وصديق لدينا وهو لا ينتبه لاكثر احوال الدنيا ﴿ وزرنا(١) ﴾ صاحب الفضل والفواضل سيدي الغزالي جعل الله البركة في اولاده بمنه وكرمه وله احوال سنية وكرامات ظاهرة سيما اجابة الدعوة وابوه اقوى واعظم وقد عمت بركته الداني والقاصي نعم زرنا قبره وبتنا في خلوته وتوضأنا(٢) من عينه وقد سمعنا ان ماء زمزم يخرج اليها وانه ايضا لم يبن تلك القرية الا باذنه صلى الله عليه وسلم ﴿ ثم ﴾ بعد ذلك رجعنا الى دار الشيخ سيدي محمد السعدي والد سيدي احمد(٣) الطيب كان فاضلا عالما عابدا زاهدا ورعا آكلا من عمل يديه طالبا للحلال لان من اكل الحلال اطاع الله شاء ام ابى ومن اكل الحرام عصى الله شاء ام ابى او كما قال صلى الله عليه وسلم وهو تلميذ الشيخ سيدي احمد بن مزيان وانفعلت فيه سريرته وظهر عليه آثار انواره وقد سمعت ممن يوثق به انه قال لو شئت ان تصير لي الجبال ذهبا لفعلت ولكنني اخترت ما اختاره النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه من التقلل في الدنيا ونفض يد القلب منها قطعا والحمد لله على محبة آثارهم ومعرفة احبابهم رضي الله تعالى عنهم ﴿ ثم ﴾ بعد زيارته(٤) في محله رجعنا الى بلدنا مارين على الشيخ سيدي يحيى العيدلي عطفه الله علينا وعلى اولادنا وطلبتنا وكل من ينتمي الينا من الاخوان وغيرهم بمنه وكرمه ﴿ فلما ﴾ بلغت البيت حدث لي العزم التام نعم اخذنا في التأهب الى السفر والاخذ في اسبابه واشتهر امر سفرنا وبلغ امره اطراف نواحي عمالة الجزائر فقامت لذلك فضلاء الخاصة والعامة ثم وقع النداء في اسواق بلدنا فيمن عزم للسفر ﴿ ثم ﴾ بعد ذلك عرض لي امر اوجب لي السفر لوادي بجاية فلما ذهبت الى الوادي سمع بي جماعة من فضلائها العلامة الفاضل قاضيها تلميذنا سيدي ابو القاسم نجل الكامل سيدي ابراهيم والفقيه

---

(١) في ثلاث نسخ باسقاط وزرنا — (٢) في جميع النسخ توضينا — (٣) في نسخة باسقاط احمد — (٤) في نسخة زيارتنا

المفتي سيدي محمد والمعظم الاجل فائدها احمد السطمبولي(١) محب الخير واهله وكان والده السطمبولي(١) تاب على ايدينا رحمه الله آمين ﴿ واما ﴾ وصلت الى اولاد الشيخ سيدي محمد امفران في محلهم اذ هم انسابي نويت زيارة الشيخ الصالح والاستاذ الواضح سيدي ابراهيم بن ثابت في بني مسعود فوجدت تلك الجماعة قاصدين ملاقاتي فاجتمع كلنا عند السيد ابراهيم المذكور فبعد زيارتنا له ألحوا علي في الذهاب الى بجاية اذ كنت متغيرا عليهم قبل غير انهم لما اكدوا علي ذهبت معهم الى زيارتها لانى محب فيها غاية وذلك قبل بلوغي وكنت كل عام اصوم فيها رمضان ناويا للرباط مع تعليمي الطلبة(٢) راجيا ان يكون لي حظ وافر منهم ونصيب كامل من عندهم حقق الله رجائي بمنه وكرمه ﴿ فلما ﴾ وصلت بئر السلام متشرفا على المدينة المذكورة(٣) توجهت الى زيارة الشيخ سيدي احمد بن معمر الولي الكامل والليث الفاضل لما كنا نسمعه ان من زار بجاية ولم يزره لم يذهب بشيء منها والعياذ بالله تعالى وان لم يكن كذلك في نفس الامر غير ان اسباب الحرمان(٤) كثيرة فالحذر الحذر والادب والادب الا ترى ما وقع لبعض الاولياء في زمان الشيخ سيدي عبد القادر الجيلي حين قال قدمي هذه على رقبة كل ولي لله فكل من سمعها(٥) طأطأ برأسه تواضعا لله تعالى وتسليما للشيخ الا واحدا من اولياء العراق لم يسلم للشيخ حاله ولم يصدق مقالته فسلب من حينه والعياذ بالله تعالى وكذا رجل تغير عليه الشيخ وقال لا يدخل بغداد فكان اذا وصل الى(٦) بابها لا يقدر على الدخول لما يجده من المنع الالهي نعم شفعت(٧) عنده امه في الاجتماع معها فقبلها(٨) غير انه اذن لها ان تجتمع معه في طريق تحت الارض في بغداد واما الطريق المعلومة(٩) فممنوع منها وكذا ما حكي عن ابي يزيد البسطامي الذي من عرف اسمه دخل الجنة واسمه طيفور بن عيسى وهو انه قال

---

(١) اصطنبولي — (٢) في ثلاث نسخ للطلبة — (٣) في ثلاث نسخ المشهورة — (٤) في ثلاث نسخ الحرمة — (٥) في نسخة لا طأطأ — (٦) في نسخة باسقاط الى — (٧) في نسخة تشفعت — (٨) معها فقبله — (٩) باسقاط المعلومة

لصائم تطوعا كل يوما(١) بيوم فقال انا صائم فقال كل يوما(١) بشهر فقال انا صائم فقال كل يوما(٩) بعام فقال انا صائم فقال كل يوما(١) بدهر فقال انا صائم ثم سكت عنه الشيخ فقام بعض الناس اليه قائلا له ان الشيخ يامرك بالاكل وانت تمتنع فقال له الشيخ دعه فانه سقط من عين الله تعالى انظر هذا مع انه موافق لمذهب مالك انه يحرم على الصائم المتطوع الفطر من غير وجه والوجه الابوان وذو التربية من الشيوخ ولابد ان يكون الصائم مديما للصوم وألحق البعض شيخ التعليم قلت قال المحلي حديث الصائمُ امير نفسه ان شاء صام وان شاء افطر رواه الكتب السنة فكان المختار عند غير مالك الفطر من غير منع بل هو مباح ويحتمل حينئذ المامور بالاكل ان يكون تلميذا للشيخ ويحتمل ان يكون الشيخ مذهبه الحديث اعني جواز الفطر ﴿ تنبيه ﴾ اياك ان تتعرض لاحد من اهل الله ممن ثبتت له الخصوصية من الاولياء في زمانك فيما فيه الوسع شرعا فتزل قدمك بعد ثبوتها وقال الحطاب في حاشيته على الشيخ خليل ان مذهب المخالف اعني الفطر من غير وجه اقيس فاذا فهمت هذا علمت ان الاعتراض على من ثبتت له الخصوصية حرمان والمنازعة شقاوة وامتثال امره غنيمة فالكيس بن الكيس اذا اجتمع مع احد من اولياء زمانه ينظر ما يستحسنه منه(٢) بقلبه فعله من غير كلفة من الشيخ فتاخذ مكانا في صدره فينظر الله اليك بعين الرحمة لان الله ينظر اليه بعين الرحمة فمن نظره في قلبه افلح ولا تعترضه ولو في غيبته اذ ربما كان ذلك سلبا لايمانك لان الله يحارب عنه وقال ابو يزيد المذكور اعلى الولاية التصديق باحوال اهل الله وادنى الولاية التسليم لاهل الله فلا تنازعهم اصلا بقلبك ولا بقالبك فيموت قلبك الاما انكره الشرع اجماعا(٣) * حاصله * هم ابواب الله والله يقول واتوا البيوت من ابوابها فمن اعترض احدا بحظ نفسه رد عن باب الله وكان مطرودا بين العباد فيراه كل احد من الناس بعين الازدراء حتى انه لا يجد شفيعا الا التوبة الصادقة

---

(١) يوم — (٢) في نسخة باسقاط منه — (٣) باسقاط اجماعا

وحسن الظن وتسليم الامر لاهل الله غير فادح شرعا بل هو سلم يرقى به الى حضرة الكمال واياك ان تنظر الى كثرة العبادة من الانسان بل انظر الى خميرة الصدق وحسن الاعتقاد وعدم المنازعة فذلك الشان وخمر عقلك به تعزكما فازوا وحينئذ(١) لا تسرع لانكار ما يحكى عن الشيخ سيدي احمد بن معمر نفعنا الله به وافاض علينا من بحر انواره بمنه وكرمه ان ثبت عنه ذلك ﴿ وبعد ﴾ زيارتي له توجهت لزيارة رجال النخلة المدفونين في مسجد الخميس [اعنى السوق وكذا من في مقبرة السوق](٢) نفعنا الله بهم فقد سمعت ممن يوثق به ان بعض الناس من بجاية وصل الى غربة فصار يستغيث بالصالحين فيما اصابه فاتاه بعض الاولياء فقال له ان رجعت الى بجاية فاستغث برجال النخلة فمن استغاث بهم يغاث باذن الله تعالى ﴿ وبعده ﴾ توجهت بوجهي الى المدفونين في جبل خليفة بعد ما زرت سيدي الصديق وزيارة سيدي عبد الحق الفجيجي ولم يثبت عندي شيء في حقهما نعم اهل بجاية يعظمونهما غاية التعظيم الاما سمعت عن بعض طلبة بجاية بان قال الشيخ عبد الحق هذا هو الذى قتله السلطان ظلما وعدوانا وسبب ذلك ان بعض الزنادقة كان يتعبد(٣) في الظاهر في الموضع المسمى المضيق فلما اشتهر امره صار الناس ياتونه افواجا فمكر به والعياذ بالله تعالى فكان من امره ان كل امرأة لا تلد في بجاية تاتيه فيختلي(٤) بها فتلد طفلا فَعلِي صيته بهذا الامر فذهبت زوجة سيدي عبد الحق هذا اليه وهو معها فلما وصلته طلبها للخلوة على عادته ليطاها فتلد ولدا فامتنع الشيخ من ذلك فقال هذا ممنوع شرعا فرجع هو وزوجته وكانت امرأة السلطان قد فعل بها ما فعل قبل بالنساء ولما رجع رجع الشيخ عبد الحق نادى بالويل على الرجل وقال انه زنديق ونبه على فعله الخسيس وافتضح امر الرجل واصابت السلطان المعرة العظيمة فطلب سيدي عبد الحق على

---

(١) في نسخة باسقاط حينئذ — (٢) ما بين القوسين ساقط في نسختين — (٣) في ثلاث نسخ يعبد — (٤) في نسختين فيخلى.

مقالته فقتله وجعل رأسه عند باب المدينة وانما فعل ذلك امتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام اذا رأى العالم منكرا ولم يغيره فعليه لعنة الله نعم فبقي رأس الشيخ هناك مدة غير انه اذا جاء البواب عند الغروب ويقول الباب الباب ليدخل من كان خارجا فيقول الرأس لم يبق الا عبد الحق الذي مات على الحق بلسان فصيح يسمعه الناس كلهم فبعد ذلك رأوا الشيء عيانا وظهر الحق وزهق الباطل رفعوه وعظموه وجعلوا روضة على قبره وقد قيل فيه انه ولد الشيخ سيدي علي المظلوم المدفون عند الحلق بان قيل انه مظلوم في قتل ولده هذا ﴿ وبعده ﴾ توجهت لزيارة من في الجبل وقد قيل فيه اثنا عشر القطب فطب وانه ينيخ باهله في الجنة كما ينيخ البعير بحمله وتوجهي(١) انما هو على القنطرة التي عند الباب اذ سمعت ايضا من بعض الصالحين انه يقول من وقف عل تلك القنطرة وتوجه للجبل وسأل الله شيئا الا(٢) اعطاه اياه ﴿ وبعد ﴾ ذلك دخلت بجاية وزرت الشيخ سيدي الصوفي ولم احفظ من امره شيئا الا ان اهل بجاية يعظمونه غاية التعظيم وانه من اهل التصريف في بجاية نفعنا الله به آمين ﴿ وبعده ﴾ زرت خلوة الشيخ سيدي ابي مدين الغوث وقد زرت قبره والحمد لله في العباد في تلمسان ارض الجدار وزرت معه الشيخ السنوسي والامام ابن زكري والعقبانيين والامام ابن مرزوق وولدي الامام وهؤلاء كلهم مؤلفون نفعنا الله بجميعهم وابو مدين كان في القرن السادس في بجاية حتى سعى به بعض الشياطين من الحساد الى امير مراكش فبعث اليه فلما سمع اهل بجاية عزامره عليهم وارادوا الخروج عن طاعته وقال خليفة بجاية لا تذهب فاني اخرج عن طاعته من اجلك فقال اذهب والله غير ان الناس لا يرونني(٢) ولا اراهم وذهب فلما قرب تلمسان اشار بموته فقال احملوني على بغلة فالموضع الذي تبرك فيه فذلك قبري فبركت في العباد ودفن فيه فصار رحمة لاهل تلمسان ومن زاره نفعنا الله به آمين ﴿ وكان ﴾ اصحابه كثيرين منهم

---

(١) في نسخة توجيهي ـــ (٢) هكذا في جميع النسخ

الشيخ ابو محمد صالح الدكالي(١) فانه ذات يوم اتى الشيخ ابا مدين فقال له اردت الفقر الى الله اما انت او احد يبلغني فقال له لم ار لك مثل الشيخ عبد القادر في بغداد فذهب اليه فلما وصله قال له اردت الفقر الى الله فادخله الخلوة فمكث فيها اربعة وعشرين يوما فدخل عليه الشيخ عبد القادر فقال ما اردت فقال اردت الفقر الى الله فقال عليك بكذا وكذا فقال له هو هذا كله اعرفه من الكتاب والسنة فقال ما تريد فقال اريد ان تدخل يدك فلبك لقلبي قال فنظر في نظرة فامتحن قلبي من حينه ثم قال انظر الكعبة فنظرت الطائفين بها ثم قال لي انظر المغرب فنظرت شيخي في المغرب ثم قال له ما اردت مكة او المغرب قال فقلت شيخي في المغرب فقال لي في خطوة اوكما جئت قلت كما جئت فاغناني بتلك النظرة دنيا واخرى انفق فيهما اه ﴿ ثم ﴾ ان ابا محمد قيل انه قدم بلادنا واستقر عند امير وادي اقبو وهو وادي بجاية فرغب فيه السلطان فزوجه بنته فولد معها ولدا فمكث غير بعيد قال دعني ارفع ولدي فانه ستظهر شمس في القرن التاسع في بني عيدل تغيب النجوم كلها معها فمنعه السلطان منه وذهب وتركه نعم قيل اولاده هم اولاد سيدي محمد صالح الان عندنا والله اعلم وقد قيل انه هو الذي طلع بدابته عمود السواري بالاسكندرية حين قال لهم اين يبيت الغريب فقالوا(٢) له استهزاء به في عمود السواري فبات فيه وهو لا يمكن عادة المبيت به نفعنا الله به آمين ﴿ واما ﴾ الشيخ عبد القادر فكان في القرن الخامس اخذ منه خمسين سنة واخذ من السادس تسعا واربعين سنة ﴿ ثم ﴾ بعد زيارة خلوته توجهت لزيارة خلوة الشيخ ابي محمد المرجاني المعلوم الذي ينقل كلامه صاحب المدخل ويعتمد عليه ولا يشك ايضا احد في ولايته فقال ابن عرفة فادحا والله اعلم في الشاذلي واصحابه اثقل شيء علي قولهم قيل لي او علي فقال فلا اقبله ولو من المرجاني المقطوع بولايته اه فقد جزم بولايته ولا شك في ولاية الشاذلي والشيخ

---

(١) في ثلاث نسخ الدلكي — (٢) في نسخة فقال البواب له استهزاء به

عبد القادر قلت نقل كلامه هذا الشيخ زروق ورده بقوله الثقل ليس بحجة وقوله ايضا المرجاني المقطوع بولايته فان اراد القطع بحسب الكرامات فالشاذلي والجيلي اظهر منه كرامة وان اراد ذلك بحسب نفس الامر فلم يقطع لاحد الان بذلك الابعد دخول اهل الجنة الجنة ﴿ ثم ﴾ توجهت لزيارة خلوة الشيخ عبد القادر وخلوة الشيخ سيدي ابي العباس السبتي الكائنتين في برج اللؤلؤة وقبر سيدي ابي العباس في مدينة مراكش واما قبر الشيخ سيدي عبد القادر فمعلوم في بغداد افاض الله علينا من بحر انوارهما ﴿ وزرت ﴾ الجامع الاعظم القديم القريب من تلك الخلوة ومن البرج المذكور الذي كان فيه تسعون مفتيا [اذ قال الشيخ ابو علي المسيلي دخلت بجاية فوجدت فيها تسعين مفتيا] (١) اي في الجامع الاعظم وكان كل واحد لا يعرف ابا علي من اي ناحية كان ﴿ ثم ﴾ بعد ذلك توجهت الى الشيخ عبد الحق الاشبيلي ويقال له اليماني ويقال له ايضا البجائي وهو الذي الف العاقبة وقبره خارج باب المرسى القديم طريق(٢) ابي زكرياء الزواوي وكان رضي الله تعالى عنه لوذعيا فاضلا كريما لا نظير له وكانت تاتيه امته مرارا في يوم واحد لمجلس درسه تطلبه دراهم فلم يخيبها قط ثم قال بعض تلامذته هذا شيء كثير يا شيخ فقال له استحي ان تجتمع فيّ ثلاث شينات شيخ وشحيح واشبيلي اه وايضا كانت رخامة عند قبره فيها تاريخ موته فاتى بعض النصارى الى قبره(٣) فرفعها فلما وصل بها الى بلده تشاءم بها وردها بنفسه الى قبره نفعنا الله به آمين ﴿ ثم ﴾ زرت من دفن في تلك المقبرة وانه دفن فيها ايضا قرب السور الشيخ عبد الحق بن ربيعة وقد ذكره صاحب عنوان الدراية بما يحرك قلب الناظر اليه وقد قيل ان في تلك المقبرة الغافقي ﴿ ثم ﴾ توجهت لزيارة الشيخ ابي زكرياء يحيى الزواوي وقد كان في القرن السادس

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٢) هكذا في جميع النسخ — (٣) في نسخة باسقاط الى قبره

وفبره مشهور افول فال صاحب عنوان الدراية ما نصه اربعة فبور يستجاب الدعاء عندها فبر معروف ببغداد وفبر ابي مروان في بونة اي عنابة وفبر ابي زكرياء يحيى الزواوي الذي هو هذا وفبر ابي مدين في تلمسان وفد زرت والحمد لله الثلاثة بلغني الله الى الرابع وهو فبر معروف بجاه من ذكرته من الاربعة آمين ومن اوصافه رضي الله عنه انه كان لا ياكل الا السمك يصطاده بنفسه طلبا للحلال وكان كثير التردد الى(١) المساجد يتعبد فيها بنواحي بجاية وكان رحمه الله له مجلسان في العلم مجلس في الحديث ومجلس في التفسير الا ان التفسير كان يفرئه بعد صلاة الجمعة على المنبر لكثرة الناس وازدحامهم عليه الى يوم موته فكان يكرر فوله تعالى عفا الله عما سلف ومن عاد فينتفم الله منه ففهم اكثر الحاضرين ان الشيخ يموت وكان رحمه الله سخي الدمعة يبكي ويبكي اكثر الحاضرين معه الى ان فربت صلاة العصر فذهب لزاويته فرب الجامع فسمعه من في المسجد له حركة اغتيال ثم رجع الى صلاة العصر فلما فرغ منها رجع الى زاويته فمات بعد صلاة العصر من يوم الجمعة فدفن صبيحة يوم السبت وخرج الناس لدفنه وخرج امير بجاية وفد انكسر كذا كذا نعشا تحته رحمة ورغبة فيه ومن كراماته رحمه الله تعالى انه كان يعبد الله في خلوة بشاطئ البحر فاذا سفينة من النصارى فاخذوه ورفعوه في السفينة فلم تتحرك بهم فامرهم صاحبها برده الى مكانه وفال انه من رهبان المسلمين فلم تتحرك ايضا ففال لهم ابفي من حوائجه شيء فوجدوا سجادة فردوها له فلم تتحرك حتى اخرجوا عصاه وابريفه فتحركت حينئذ(٢) ومن كراماته ايضا لما ذهب الى الحج كما ذكره الغبريني(٣) لم يحج من عامه ذلك بان بفي بالشام عامه ثم انه دخل على بعض الاولياء من رجال الغيب ففعد معهم مدة وكان لا يكلمه الا واحد منهم غير انهم اذا صلوا المغرب فام واحد منهم ياتي(٤) بمائدة من طعام ثم انهم لا زالوا كذلك الى ان وصلت نوبته فامره مكلمه بان يذهب لياتي بما ياتون به فذهب فلم

(١) في ثلاث نسخ باسفاط التردد الى — (٢) في نسختين باسفاط حينئذ — (٣) في نسخة صاحب العنوان بدل الغبريني وفي نسخة بياض هنا — (٤) لياني

يخيبه الله واتى به او احسن(١) فكان معهم كذلك الى ان وصل وقت الحج فودعهم وخرج معه صاحبه ومشى معه ساعة فاوصاه فقال له بلغ سلامي لفلان السافي في زمزم وامسكه من اصبعه السبابة او الابهام فلما وصل بلغ وصيته ومسكه من ذلك الاصبع فقال السافي ان فرغت من مناسكك فارجع الي فلما قضى مناسكه رجع اليه فقال الان صلينا على صاحبك الذي ودعك واوصاك الينا ثم مسكه فاصبحه في وطنه اي بوادي شوشوان كأنه متيقظ من النوم فوجد راعيهم عند رأسه فذهب معه الى البيت اه وهو حسناوي من بني عيسى وبلدهم معلومة بقرب الجزائر ودفن معه الولي الكبير ابن عربي غير الحاتمي وغير الحافظ وانما هو امي على صورة البله يلعب بقصبة وقد قال صاحب عنوان الدراية ما نصه انه ضربها يوما من بجاية فوقعت في وجه النصارى في الاندلس فانهزموا باذن الله تعالى اذ أرخوه فوجدوه كذلك والله اعلم ومن كراماته انه كان بالشام فجاءت سفينة لبعض النصارى تريد بجاية فاعطى صاحبها مزودا يبلغه الى بجاية اعطاه اياه يوم الجمعة الى الجمعة الاخرى وصلت السفينة بجاية ببركته نفعنا الله به آمين فوجدوه في بجاية فقال النصراني هذا اعطاني مزوده يوم الجمعة وخلفته في الشام وقت كذا من ذلك اليوم فاخبره اهل بجاية بانه يوم الجمعة ذلك الوقت كان هنا فتعجب صاحب السفينة من امره واسلم ببركته وحسن اسلامه نفعنا الله بجميعهم بمنه وكرمه آمين .

واما الشيخ سيدي المليح فلم احفظ من امره شيئا الا ان اهل بجاية يعظمونه غاية التعظيم ويعدونه من اهل التصريف وكذا سيدي عيسى وجده سيدي علي البكاي الا ان جده والله اعلم قد ذكر فيه صاحب عنوان الدراية كلاما في طبقته وان له زاوية عظيمة الخ ما ذكره والله اعلم .

واما الشيخ سيدي ابو علي المسيلي فقد كان حجة في بجاية وتولى القضاء فيها مع كونه مدرسا للعلم وكان يقرئ الجن في الليل والانس في النهار وكان معظما في بجاية ومن

---

(١) في نسخة اولا حسنا

تعظيمه انه لما دخل الموارفة(١) بجاية وكانوا يلثمون وجوههم وطلبه السلطان [في المبايعة فابى وقال والله لا ابايع شخصا لا اعرفه رجلا ام امرأة](٢) فكشف(٣) السلطان عن وجهه ليعرفه فلما رأه بايعه حينئذ وتولى القضاء بعده(٤) ابن الخطيب وابو علي مشتغل بتدريس العلم فغار منه فبعث له رسولا ليخرج من بجاية فلما جاءه الرسول وجده في مجلس العلم وقال لحفيده قبل ان يكلمه الرسول خذ مصحفا واقرأ لنا شيئا بعد التعوذ فاخذ المصحف وتعوذ ثم قرأ واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون الاية فانتفع وجه الرسول ورجع وفي اثناء الطريق وجد رسولا من القاضي ليرده بان لا يخبر الشيخ بذلك لانه اتته ضربة من الله كادت ان تهلكه فلما وصل الرسول اخبره امر الشيخ مع حفيده فتعجب ابن الخطيب ثم استرده اليه ليجعله في حل بصرة من الدراهم فرجع ووضعها بين يدي الشيخ وقال له يطلبك ان تجعله في حل فقال الشيخ جعلناه في حل وامره برد الصرة وابى ان ياخذها اه ومن كراماته بعد موته ايضا ان شخصا من تونس له صديق في بجاية مات يراه دائما في النوم يعذب ولما مات ابو علي المسيلي رأه في نعيم وسرور وسأله عن السبب وكان مدفونا في جبل خليفة فقال له لما مات الشيخ غفر الله لمن كان بين اطراف المدينة من قبره الى الجبل ضيافة له وهدية نفعنا الله به آمين ﴿ ثم ﴾ ان ذلك الرجل احتمل من تونس الى زيارة الشيخ فلما وصل الى بجاية سأل عن قبر الشيخ وهو يتصبب عرقا وقبره ملتبس بين اربعة قبور فينبغي للزائر ان يعينه بالنية فلما زاره اخبر بالقصة اه والدعاء مستجاب عند قبره ويسمى ابا حامد الصغير ومن تآليفه التذكرة والنبراس في الرد على منكر القياس وقد رأيت الشيخ عبد الباقي يقول قال صاحب النبراس وهو من اواخر القرن السادس .

---

(١) في نسخة لمتونة — (٢) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٣) في ثلاث نسخ فازال — (٤) بعد

واما الشيخ سيدي التواتي فهو من القرن التاسع ايضا ولي صالح كبير الشان عالم على الاطلاق وله مؤلفات كما كنا نسمع وهو عند اهل بجاية من اهل التصريف وقد سمعنا ان فتاواه لا ترد الى توزر وهو المعاصر للشيخ سيدي يحيى العيدلي وله زاوية وطلبة الى الان وخدام في الجبل وغيره نفعنا الله به آمين .

واما سيدي سعيد العلمي فلم احفظ من اخباره شيئا الا ما ذكره عنه سيدي عبد الرحمن الثعالبي وعن الشيخ سيدي عبد الرحمن الوغليسي صاحب التاليف المعلوم في الفقه الذي شرحه سيدي عبد الكريم الزواوي شرحا كبيرا فيه من العلوم ما يغني الناظر عن غيره وطريقته رضي الله تعالى عنه طريقة ابن ابي جمرة وصاحب المدخل وشرحه سيدي عبد الرحمن الصباغ ايضا وسيدي عبد الكريم هذا كان ينقل عنه الشيخ عبد الباقي وغيره وقد زرت قبره في بلده اعني بني يتورغ من زواوة اذ قال رجع سيدي سعيد العلمي من بعض نواحي بجاية اليها فلما قرب وجد الباب مغلقا فرجع الى قبر سيدي عبد الرحمن الوغليسي فبات عنده واذا الشيخ سيدي عبد الرحمن قام من قبره واصحابه من بجاية مجتمعون عليه يقرئهم ويعلمهم اذ مات رحمه الله تعالى وترك ختمة لم تكمل فكملها لهم في قبره بعد موته وهي كرامة عظيمة للشيخ سيدي سعيد وللشيخ سيدي عبد الرحمن ولتلامذته نفعنا الله بجميعهم وجعلنا في زمرتهم ورزقنا العافية وجمع شملنا باهلنا ونصرنا على السنة واظهارها بمنه وكرامه آمين ﴿ وقال ﴾ الشيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي دخلت بجاية في اواخر القرن الثامن فوجدت اصحاب الوغليسي متوافرين .

واما سيدي محمد امقران فكان من اكابر الاولياء وهو من القرن العاشر يعني آخره واخذ من الحادي عشر وكراماته ظاهرة واحواله باهرة فلا يحتاج لذكرها .

واما سيدي عبد الرحمن الصباغ فتآليفه تنبئ عنه وكلامه(١) يدل عليه فليس الا من اهل الشان والتصريف وهو من القرن التاسع نفعنا الله بكلهم بمنه وكرمه

---

(١) كلا وكل وكلما

آمين وبالجملة ففضل بجاية مشهور وعلم اهلها مذكور قال الشريف التلمساني دخلت بجاية في القرن الثامن فوجدت العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي ينبع من حيطانها فصرت اكتب في كل مسجد سؤالا واتركه هناك حتى وصل امره الى السلطان ﴿ وقال ﴾ الشريف بعد ان خرجت من بجاية دخلت تونس فوجدت ابن عبد السلام يقرئ ما رايته قط ولا رآني نعم لما سألته قال اظنك انت الشريف التلمساني قلت له اظنك انت ابن عبد السلام فتصحح معرفتي من كلامي وتصححت معرفته من كلامه وقد سمعنا(١) ان بجاية فيها خمسمائة صبية يحفظن المدونة واما اللاتي يحفظن ابن الحاجب فلا يحصى عددهن الا الله تعالى حاصله جعلنا الله في زمرتهم وافاض علينا من بركتهم بمنه وكرمه آمين .

ولما ودعت اهل بجاية رجعنا الى دارنا عازما على السفر وجاءنا الركب من جبل زواوة نحو الثلاثمائة رجل واشتغلنا بهم الى ان ذهبوا الى قسنطينة ثم الى تونس ليذهبوا في البحر وفيه افاضل واكابر وساعدهم فضلاء الركب نعم صرنا في توديع الناس من كل بلد من حمزة وانوغة ووادي بجاية وغيرها وبالجملة فوطننا طيب فيه العلم وبعض الكرم للغريب وفيه الزيتون والعنب والتين بكثرة والحرث غير ان الوطن عزيز غال(٢) وسبب ذلك كثرة الناس غير انه خال عن السلطان واحكامه فالوطن سائب عمره الله بالاحكام الشرعية وازال منه الفتنة وبدل ذلك بالعافية الدائمة وكذلك الغالب عليها البرد والثلج وبالجملة فنسأل الله تعالى ان يعمره على يد سلطان عدل فلما حان السفر وآن جمعت طلبتي وامرتهم بالاشتغال بالعلم والمودة بينهم والطاعة لله تعالى عمرهم الله تعالى على الدوام بالعلم والعمل مع اولادنا الذكور الى غابر الدهر بجاه من ذكرناه آمين .

ولقد علمت ان من اراد مثل هذا السفر اذ سفر الحج سفر ينسبه طريق الاخرة فينبغي ان يعتنى به غاية الاعتناء لما فيه من كثرة الحسنات سيما فعل المعروف فانها طريق

(١) في نسخة سمعت — (٢) غالي

للمحسنين والله يفول ما على المحسنين من سبيل يحتاج الى نية عظيمة وصدف فوي وهمة عالية واخلاص كبير لان عمل الطاعة يحتاج كله الى الاخلاص لله تعالى لان الله يفول ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء نعم الحج افواها في طلب الاخلاص اذ كثير ما يدخل الرياء فيه لما علمت من كثرة خوف الاهوال فيه والمسافة البعيدة وملافاة الناس فتجد الحاج يحكي للناس في وطنه وغيره انه وفع في الدرب كذا وفي مكة [وفي المدينة وفي مصر كذا وفي برفة كذا وفي البحر كذا وفي الموضع الفلاني](١) كذا [فيفع فيه السمعة والعجب والرياء وبعض الكذب اذ لا يخلو المخبر بالوفائع الماضية عن](٢) الزيادة والنفصان فيفع في الكذب فطعا والغالب انه ينوي(٣) بحجه المفاخرة وليفال انه حج [فغالب عامة الحجاج يفصدون ذلك فيغلب عليهم الرياء ولهذا](٤) فال الله تعالى واتموا الحج والعمرة لله ولم يفل في الصلاة ذلك ولا في الزكاة ولا في غيرها من الاعمال الصالحات، نعم من فتح الله عليه وسبفت له السعادة اذا وصل الى بيت الله الحرام ورأى تلك الاماكن الشريفة ودخل تلك الجموع المباركة يغفر الله تعالى له لكثرة المغفورين اذ لا يخلو الموسم العظيم اعني عرفة عن رجال الغيب واهل التصريف كالفطب وغيره والانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام والخضر والياس فمذهب أهل(٥) الفضل الغفران لجميع الحجاج واما فول خليل وصح بالحرام وعصى فمذهب ففهيّ فلت في الحجة الاولى اجتمعنا مع الشيخ الولي الصالح العالم الواضح الورع الصدر العارف بالله تعالى الزاهد العالم بالمذاهب كلها المربي لاصحابه بحسن التربية الموافقة للشريعة والحفيفة وما احسنه معرفة وادبا وورعا وزهدا وصحبة وكان متفشفا سيدي محمد المغربي(٦) الطرابلسي رحمه الله ونفعنا به آمين فال لنا عام ثلاثة وخمسين ومائة والف (١١٥٣) العام الذي فبل العام الاول لم يفبل الله من الحجاج الاسبعة وبافي الحجاج

---

(١) ما بين الفوسين سافط في نسخة — (٢) في نسخة يحكي الاحوال الماضية من الزيادة الخ عوض ما بين الفوسين — (٣) في نسخة يروم — (٤) ما بين الفوسين سافط في نسخة وفيها وفد فال عوض ولهذا فال — (٥) باسفاط اهل في اربع نسخ — (٦) العربي والمعربي والمعزي

رجع خائبا غير ان السبعة المقبولين اقبلوا على الله بالتوجه بالطلب والسؤال والمغفرة لاهل الموسم(١) الى دخول رمضان فاول ليلة منه تقبل الله منهم وغفر لاهل الموسم واما العام الاول فقد خرج من فاس رجل لاجل اهل الموسم ليغفر الله لهم فلما وصل الى عرفة فقال والله ما خرجت من هنا حتى تغفر(٢) لجميع اهل الموسم فلم يخرج منه حتى غفر الله لهم فعمت المغفرة الذين لم يحجوا بان جاؤا للنزهة(٣) او للسوق فقال قول خليل وصح بالحرام وعصى مذهب فقهي واما مذهب اهل(٤) الفضل فيغفر الله لجميع من حج و بالجملة فالعناية حاصلة لمن وصل الى حرم الله وحرم رسوله وكيف لا و(٥) ان الصلاة في مسجد مكة ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم تعدل الف صلاة في غيره اوكما قال صلى الله عليه وسلم وان الدعاء في عرفة ومزدلفة والمشعر الحرام ومنى ومسجده وعند الرمي وعند الملتزم وعند الحطيم وزمزم وعند الحجر وغيرها مستجاب وبالجملة فينبغي ان ينوي بسفره رضى الله تعالى وان يشغل نفسه بالتوجه الى الله والى بيته ومواجهة نبيه صلى الله عليه وسلم ومواجهة اصحابه وآله وعترته ومواجهة انبياء الله و رسله عليهم الصلاة والسلام وان ينتظر شفاعتهم بان يتعلق بهم بحيث ينوي الانتقال من اوصافه المذمومة الى الاوصاف المحمودة والسفر من الخلق الى الحق ومن طبائعه الردية الى السجايا السنية وان كانت غير مكتسبة الا ان اسبابها مكتسبة و ينوي ايضا ان يكون من وفد الله تعالى وضيوفه وان يقصد ايضا اجابة الداعي الذي هو الاذان وان يحمد الله و يشكره لما ان جعله من اهل الاجابة ومن الذاهبين لبيت الله تعالى الا ترى اذا ذهب الانسان الى بيت قريبه يفرح فرحا عظيما و يسر سرورا كبيرا(٦) فكيف ببيت ربه سبحانه وينوي اغاثة المضطر ما امكنه بماله او جاهه وان يعلم الجاهل ان كان من اهل العلم او يسأل العالم ان كان جاهلا وان ينوي الزيارة لاحباب الله الاحياء والاموات في كل وطن يدخله

---

(١) في نسخة واما العام الاول الى دخول رمضان — (٢) في نسخة يغفر — (٣) في نسخة للتنزه — (٤) باسقاط اهل في اربع نسخ — (٥) باسقاط الواو في اربع نسخ — (٦) في نسختين فرحا شديدا ويسر سرورا عظيما

سواء من يعرفه ام لا وان يعتبر و يوحد الله فيما يراه من عجائب المخلوقات ولذا اختار الاكابر سكنى المدن الكبار من الامصار للتوحيد والاعتبار [وان يكف لسانه عن القيل والقال اذ اكثره فيه معصية الله تعالى](١) وان يشغل جميع اعضائه بما فيه رضى الله تعالى وان يختار من الاخوان ما يزداد به ايمانه للصحبة وان لا يشترك الا مع من كان كنفسه بحيث اذا تصرفت في ماله لا يتغير كما اذا تصرفت في مالك والا فلا وان تتولى شراء ما تستحقه بنفسك لتسلم من المعاملات الفاسدة او توكل من لا يتساهل في الاحكام الشرعية وان يكون عالما وان تجعل من كان في الركب(٢) كنفسك بان تجعل الكبير ابا لك والصغير ولدا لك والمساوي اخا لك فلا ترضى لابيك ولا لابنك ولا لاخيك الا خيرا وان لا تخالط الاغنياء اصحاب الترفه بان تستحقر نفسك ما عندها من المال فلا تحمد الله على ما اعطاك و يتعلق قلبك بمعالي الامور حتى ينسى ما ذهب اليه بل من كان ادنى منك لتشكر الله على ما اولاك اذ من السنة في نفسك ان تنظر في امور الاخرة من هو اعلى منك لتغبط حاله وتحمل نفسك على ذلك واما احوال الدنيا فتنظر من كان اقل منك لتشكر الله تعالى فتنمو احوالك باذن الله فيستقيم امرك وان تعتمد على الله في جميع احوالك ظاهرا و باطنا وان تودع من تركته من الاهل والاخوان والجيران لله تعالى لان وديعته لا تضيع وان لا تذهب من بيتك حتى تقضي جميع ما كان عليك من حقوق الخلق لان من اكل لاخيه المسلم ظلما دانقا [وهو](٣) سدس الدرهم اعطى فيه يوم القيامة سبعين صلاة مقبولة وقيل سبعمائة صلاة مقبولة فمن ظلمته اخذ من حسناتك وان لم تكن لك حسنة اخذت من سيئاته لسيئاتك فلا تترك شيئا عليك وان ظننت انك غفلت شيئا مما هو عسى ان يكون عليك فاجعل نائبا يتعاهد امورك و يقضي ما كان عليك كما يقضي ما هو لك على الوصف المتقدم من العلم وعدم التساهل وان تترك ما يكفي من تجب

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٢) في نسخة المركب — (٣) ما بين القوسين ساقط في اربع نسخ،

نفقته عليك فتغسل ظاهرك عند سفرك و باطنك بالوجوه السابقة مع التوبة من كل مخالفة صدرت منك في الماضي لتكون صالحا لدخول حضرته هذا في الحقوق المالية ﴿ واما ﴾ الاخرى(١) كهتك الاعراض وغيرها مما لا يتمول(٢) فلابد ان يجعلك صاحبها في حل ان كان لا يتغير ان ذكرت له ذلك وعينته والا فاطلبه على الجملة ان كان لا يفهم التفصيل والا فاطلب له من الله المغفرة والاحسان اليه وكذلك ان كان ميتا فادع له بالرحمة ليتولى الله ذلك عنك وان تختار من مالك الحلال لتتزود به ان وجدته وان تزجر اصحابك عن الجدال والمنازعة عند الماء والنزول بان يصبروا و يتخلفوا فيجدوا ما كتب لهم فالذي يختاره الله للعبد اولى مما يختاره لنفسه ولعل الله ينظر اليه بعين الرحمة دائما انظر الشيخ عبد الكريم الزواوي على الوغليسية فانه اجاد في نصح العبد واعانته على ما فيه رضاه ﴿ وكذا ﴾ يصحح توبته ويقيم طريقته ليستقيم الانسان كما امر فاذا عزم الانسان على الحج فلابد ان يعلم فضله لتنشط نفسه لذلك و يسهل عليه امر ماله اذ يصعب على النفس مفارقته وكذا تعب النفس في السفر ولذا ينبغي له ان يختار زمان البرد لشدة زمان الحر عليها فاذا علمت هذا علمت ان الحج من افضل الاعمال واولاها عند الله تعالى ﴿ ولذا ﴾ قال الشيخ خليل في مناسكه ما نصه ورد في الصحيحين عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه والرفث هو الجماع وقيل الفحش من القول والفسوق المعاصي وفي الصحيحين عنه عليه الصلاة والسلام انه قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة والمبرور هو الذي لا يخالطه مأثم وقيل المقبول وقيل ما لين فيه الكلام واطعم فيه الطعام ومشي في مناسكه ومشاعره اهـ ﴿ وقال ﴾ ايضا ما نصه الفصل الثاني في آداب السفر فاذا وجب عليك الحج فيجب ان تعرف احكامه وما يلزمك فيه لان الاجماع انه

---

(١) في نسخة غيرها — (٢) في نسخة ينمو

لا يجوز لاحد ان يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه فاول ذلك يستحب له ان يشاور من يوثق به في دينه وعلى من يشيره ان يبذل النصيحة له ويتخلى من الهوى وحظوظ النفس ثم يستخير الله عز وجل وهذه الاستخارة لا تعود الى نفس الحج لان الاستخارة في الواجب والمكروه والمحرم لا محل لها وانما تكون الاستخارة هنا هل يشتري او يكتري وهل يرافق فلانا ام لا وهل يكتري مع فلان ام لا وغير ذلك وهل يسير في البر او البحر او في هذه السنة او في غيرها على القول بالتراخي ﴿ وصفتها ﴾ يصلي ركعتين من غير الفريضة قال بعضهم فيقرأ في الاولى بقل يايها الكافرون وفي الثانية بقل هو الله احد وان قرأ بغيره جاز ثم يقول اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان ذهابي الى الحج في هذه الحالة ويذكرها خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة امري وعاجله وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم انه شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة امري وعاجله وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به ثم ليمض بعد الاستخارة لما انشرحت له نفسه ويبدأ بعد تحققه بالعزم بالتوبة من جميع المعاصي ورد التبعات من الديون والودائع والعواري والاستحلال من غيره فان عجز عن الاستحلال من بعض الناس لموته او لخشية زيادة الفتنة فليلجأ الى الله تعالى فانه يرجى من كرمه لمن لجأ اليه في ذلك ان يرضي عنه خصمه يوم القيامة ويستحب له ان يكتب وصيته ثم ينظر في امر الزاد وما ينفقه فيكون من اطيب جهة لان الحلال يعين على الطاعة ويكل عن المعصية وكان السلف رضي الله عنهم يتركون سبعين بابا [من الحلال خوفا من الحرام](١)

---

(١) ما بين القوسين ساقط في اربع نسخ وفيها ما نصه سقط من الاصل هنا نحو ورقة ونصف وتخلف بياضا

ولما كان الضمير متعلقا بمن تعلق بالرب الكريم وتاقت نفسي اليهم غير ان صلحاء بلدنا لم يتعرض لهم احد قبل ولا بعد لعدم الاعتناء وضيق المعيشة اردت التنبيه عليهم على سبيل الايجاز والاختصار مع البيان والاستفسار نعم اذكرما دون وادي آقبو «واما» جبل زواوة فهو منفرد واولياؤه شهرتهم تغني عن ذكرهم وتعظيمهم يقوم مقام بيانهم وتبيانهم وجميل(١) اثارهم فلم يبق الا ذكرهؤلاء ليتم المقصد الرحماني والنور الرباني فاقول وعلى الله اعول «منهم» الولي الصالح والبدر الواضح الذي يستجاب الدعاء عند ذكره وانه ممن يبر الله قسمه وكذا اولاده المنورون يبر الله قسمهم ويقبل دعاءهم سيدي احمد بن يحيى نفعنا الله به وجعلنا من اهل وده ونسبه يتصل مع نسب اهل عروس من بلد زواوة وهم مشهورون وكذا فرقة في اتوجّة جبل بقرب بجاية وانه من قبيلة مزينة وكان في اواخر القرن التاسع وهو تلميذ ابن غازي هكذا تصفحت اخباره رضي الله عنه وكراماته كثيرة ينبغي للعاقل ان يزوره ويزور من دفن معه فان اكثرهم صلحاء وقد سمعت الفاضلة الصالحة المنورة زوج سيدي محمد بن قرّي تقول اني ذهبت غيبا مع رجال الغيب لقضاء حاجة من اهل التصريف فلما وصلت الى قبر الشيخ قام معي الشيخ ومن دفن معه للاجتماع مع اهل التصريف وكان الذي يتكلم في ذلك الديوان هو الشيخ سيدي احمد بن يحيى الى غير ذلك نفعنا الله به واما شرفه فانهم يقال انهم شرفاء والله اعلم «وكذا» اولاد الشيج ام رزق وجدهم صالح ومنهم الشيخ سيدي الموفق صالح زاهد ورع خديم الطلبة وكان ينفق عليهم وهم يشتغلون(٢) بالعلم بان ياتي لهم بمدرس وكان محبا لوالدنا وجدنا نعم يحب الجانب العلي اعني الاشراف بحيث لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا معهم بل انه مملوك لهم وقد غلب عليه القبض نفعنا الله به وهو تلميذ سيدي علي بن الطالب واوصافه الطيبة واخلاقه السنية لا تكاد تحصى

(١) في ثلاث نسخ فحصحص — (٢) في نسختين يشغلون

رضي الله عنه وارضاه بمنه ﴿ وكذا ﴾ ابن عمه الفاضل العالم الفقيه الفرضي(١) سيدي علي بن ام رزق من اجل اهل وقتنا واهل عصرنا فقد نفع وانتفع نفعنا الله به ﴿ ومنهم ﴾ الشيخ سيدي امزال قبره في قرية الجمعة وعليه مسجد واهل إثنيين يعظمونه وهو في الصمعة (٢) نفعنا الله به واما تاريخه فلا علم لي به ونسبه والله اعلم من جملة من هو معه غير انه اقبل على الله فاقبل عليه وهو اظنه قريب ﴿ ومنهم ﴾ الفاضل الكامل المجرد عن الخلق واعتزلهم طرا بل الذي اعتقده انه اعتزل الخلق واتصل بالحق وهو فقيه متكلم فقد انفرد في زماننا بالتسجيل وجودة الخط سيدي احمد زروق بن الحاج نفعنا الله به وكان صديقا ملاطفا لابي تخلف عنه ثم بقيت صحبته لنا كذلك الى ان مات في مصر بعد رجوعه من الحج وقد سافرنا معه الى تونس نريد الحج فلم يتيسر لنا ولا له ذلك العام وبقي هو في زاوية الولي الصالح الزاهد في الدنيا على الاطلاق الكريم كل الكرم سيدي احمد المجذوب الزموري وقد دفن في جبل افريقية عند ولده الفاضل ونخبته الكامل سيدي ابن الحاج الى العام القابل فحج نفعنا الله به ﴿ ومنهم ﴾ بُدِّيمان(٣) على ما قيل انه ولي صالح وضريحه يزار دائما وظن اهل وطننا ان من ذهب اليه تقضى حاجته وان فيه رجال الغيب حسبما اتفق عليه اهل وطننا واني سمعت في صغري من بعض الصالحين من اهل السياحة يقولون ذلك حق وصدق ﴿ ومن ﴾ العامة المرابط سعيد بن هارون فاني سمعت من ابي انه كان يعلم الفجراي طلوعه وهو في بيته مدة طويلة وكان لا يفتر عن ذكر الله تعالى وهو صديق له وانه اذا ذهب الى الخلاء امسك لسانه وقد تخلف في الحياة بعد موت ابي وصاحبني مدة وهو رجل كبير السن كبير الشان وكذا ابن عمه يقرب من سنه وشانه ﴿ وكذا ﴾ المرابط علي بن درار وهو من شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان كلامه بالعربية لكان يكتب بسواد العين لما فيه من العلم اللدني وقد

---

(١) في اربع نسخ الفرائضي — (٢) كذا في جميع النسخ — (٣) في نسخة بديماي

كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم وهو اعمى رضي الله عنه ونفعنا به آمين ﴿ ومنهم ﴾ سيدي علي بن جاب الله كان صديقا لابي وكان رضي الله عنه في غاية الترقي في العبادة والذكر وتهذيب الاخلاق وغير ذلك من اوصافه ﴿ ومنهم ﴾ سيدي يحيى الشريف ابن رفية في قرية ويزران هاجر من بني عمه وفر بنفسه من قرابته ليكمل امره ويظهر سره وهو من شرفاء العش شريف النسب وهو من اهل العلم والصلاح مجاب الدعوة خديم العلم واهله من القرن الحادي عشر نفع الله به وبامثاله جميعنا ﴿ ومنهم ﴾ الشيخ الولي الصالح والغيث السائح الشريف نسبا كما هو عند ابن فرحون في طبقات الشرفاء سيدي احمد بن عبد الرحمن نفعنا الله به وهو من تلامذة الشيخ سيدي يحيى العيدلي واولاده لان معلومون بالجور والتعدي والظلم في مجانة بتخبيب الجيم امراء ومحاربون ولعل جدهم يشفع فيهم وفينا وهو من القرن التاسع وولده هو الذي بنى قلعة بني عباس واقام المملكة فيها بان اسس العساكر(١) وجيش الجيوش واخذ المغرم في القرن العاشر بان وصلت عساكره عمالة تونس ووادي ريغ في الصحراء ومن جهة المغرب مزاب وبلد الاغواط وهم كذلك في المملكة ثمانون سنة كما سمعته من بعض الفضلاء من علماء القلعة وآخرهم في مملكة القلعة سيدي ناصر هو فاضل عالم زاهد وقد قيل انه من زهده يلبس الغرارة شعارا على لحمه وقد رتب طلبة العلم نحو الثمانين طالبا فحسده مناحيس بني عباس على ذلك فقتلوه مكرا وخديعة فمزق الله جيوشهم واضل عسكرهم اعني عسكر بني عباس فلم يبق فيهم ذلك بل اضلهم الله بسببه واهلكهم من اجله وكان بعض علماء فاس يقول في مرثيته قصيدة رائية(٢) وهي عندنا في الزاوية [في العقل انه عمر](٣) ويقول في بني عباس

فلعنة الله ثم الخلق قاطبة * على المجوس بني عباس ما ذكروا
ان عاهدوك فقد خانوا على ثقة * او حالفوك(٤) فايقن انهم فجروا

---

(١) في نسختين عساكر — (٢) في نسختين رايتها — (٣) ما بين القوسين ساقط في نسختين وفي نسخة في العدل انه عمر — (٤) في نسخة واحلفوك

وعدد اوصافهم من الخيانة والغدر والخديعة ما يحمل السامع على الفرار منهم والنفرة من ساحتهم اذ هم على تلك(١) الاوصاف الى الان بل زادوا ضلالا ومكرا وخديعة في العهود وقلة الحياء والهيبة في الحدود واولاده على المملكة في مجانة تحت ولاية الترك غير ان حكمهم عليهم ضعيف نفع الله به جميعنا وامور امراء القلعة معلومة عند اهلها ومنهم جد اولاد الطالب(٢) فانه من اولياء الله الصالحين ولا اعلم من اخباره شيئا الا ان اولاده فضلاء لا يخلون من العلم وجميعهم فيه البركة نفعنا الله بهم ﴿ ومنهم ﴾ الولي الصالح الرباني سيدي محمد ابركان قبره عند اولاد(٣) السيد احمد بن عبد الرحمن في الوادي معلوم يزار ويعظم واولاده اين ما كانوا في بني عباس وغيرهم علماء فضلاء اجلاء يقتدى بهم ولهم العلم الصحيح والصدق الصريح ﴿ ومنهم ﴾ سيدي احمد زروق المذكور وغيره ﴿ ومنهم ﴾ اولاد تبونداوث فضلاء نجباء فقهاء مفتيون وفيهم البركة اذ العلم كله بركة وقد سمعنا انهم من بجاية نفعنا الله بهم وبامثالهم وانهم قضاة من العهد الاول الى الان بارك الله فيهم ﴿ ومنهم ﴾ اولاد سيدي عبد الحليم الساكنون في قرية من قرى بني عباس فضلاء كرماء علماء صلحاء الى الان نفعنا الله بهم وبامثالهم من ذرية سيدي عبد الحليم ﴿ ومنهم ﴾ شرفاء بوجليل من الزمان الاول هم على الخير والبركة القوية والانوار السنية وهم شرفاء نسبا وهم من قرابتنا بان اجتمعنا في الجد الاول كما نسمعه من اعالي(٤) اسلافنا فبركتهم معلومة و برهانهم مشهور وكرمهم ماثور رضي الله عنهم ونفعنا بهم وكان لنا ولهم بمنه وكرمه ﴿ ومنهم ﴾ المعظم بالاتفاق(٥) سيدي احمد بن يوسف الولي على الاطلاق يعتقده العام والخاص نفعنا الله به وهو في حنديس قرب الوادي ولا اعلم غير هذا واولاده معظمون عند اهل وطنهم ولا يخلو بعضهم من العلم والبركة في جميعهم رضي الله عنهم وقد سمعنا من بعضهم ان جدهم يقرب من الشيخ المعلوم صاحب

(١) في نسختين اذ على تلك الاوصاف وفي نسخة وهم على تلك الاوصاف — (٢) في نسخة الطيب — (٣) في نسختين والد وفي نسخة ولد — (٤) في نسخة باسقاط اعالي — (٥) في نسخة باسقاط المعظم بالاتفاق

الفتح والخرق الواضح سيدي احمد بن يوسف الملياني الذي كان حجة الله في ارضه الى الان والله اعلم ﴿ ومنهم ﴾ سيدي محمد بن محرز قبره بالقلعة ظاهر البركة قوي التعظيم قبره يزار واهل القلعة يظنون انه سترهم والله اعلم ﴿ ومنهم ﴾ اولاد معمر فضلاء علماء صلحاء ذوو بركة عظيمة ونتيجة قوية نفعنا الله بهم [﴿ ومنهم ﴾ اولاد ابي جمعة(١) فهم فضلاء صلحاء محل العلم واهله فقهاء ائمة خطباء نفعنا الله بهم](٢) ﴿ ومنهم ﴾ المرابط سليمان وكان صالحا متعبدا في زماننا لا نظير له زاهدا معلوم البركة رضي الله عنه ونفع به جميعنا آمين [﴿ ومنهم ﴾ ومنهم اولاد ابي ذئب صلحاء علماء ذوو بركة نفعنا الله بهم](٤) ﴿ ومنهم ﴾ سيدي سعيد وهو والد(٥) سيدي احمد بن يدير ذو بركة قوية ومن اجلها خرج ولده طيبا صالحا عالما فقد انتفع به اهل زمانه اي انتفاع ﴿ ومنهم ﴾ سيدي سراج ذو بركة عظيمة ورحمة مشهورة معلوم الذكر صيته منتشر في وطنه كراماته مشهورة واولاده فضلاء كرماء فقهاء علماء يفع بهم الخير والصلاح والنفع والنجاح نفعنا الله بهم ﴿ ومنهم ﴾ اولاد ساسي معلومون بالبركة والصلاح والاعتقاد والتعظيم نفعنا الله بهم ﴿ ومنهم ﴾ سيدي احمد بن علي صالح صاحب اتكال ولي معلوم البركة والتعظيم وقبره يزار وانه منور انتفع به العام والخاص رضي الله عنه ﴿ ومنهم ﴾ سيدي المسعود قوي البركة ولي صالح اولاده صلحاء فيهم بركة عظيمة نفعنا الله بهم آمين ﴿ ومنهم ﴾ سيدي سليمان ولي صالح كبير الشان عظيم الحال ولي معظم عند اهل وطنه وقبره يزار واولاده صلحاء معظمون فضلاء كرماء رفع الله قدره ونفعنا به آمين ﴿ ومنهم ﴾ سيدي عمر في قرية ترق هؤلاء كلهم قرب مجانة وهو ولي صالح كبير الشان عظيم في الاعين اولاده معظمون راغبون في العلم واهله وهم على العهد الاول من القراءة والاخلاق

---

(١) في نسختين اولاد بوجمعة — (٢) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٣) في نسخة بو ذيبت وفي اخرى بذيب — (٤) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٥) في نسخة ومنهم والد سيدي احمد بن يدير وفي نسخة ومنهم والد سيدي سعيد وهو سيدي احمد بن يدير وفي اخرى سقط جميع ما ذكر في شأنه

السنية والاوصاف الحميدة فاكثر اولاده (١) ينتفعون علينا نفعنا الله بهم وبامثالهم ﴿ ومنهم ﴾ الولي الصالح سيدي ابو النفى معلوم البركة قوي النفع معظم عند اهل مجانة نفعنا الله به ﴿ ومنهم ﴾ سيدي موسى الولي الصالح كبير الامر عظيم السر اولاده فضلاء معظمون عند اهل مجانة واهل جبل عياض واظن انه من القرن التاسع كما وجدته في بعض الرسوم نفعنا الله به ﴿ ومنهم ﴾ اولاد العياض ومن معهم رضي الله عنهم علماء كرماء ادباء فضلاء محبون للعلم واهله واولاد سيدي احمد مثلهم في الفضل والصلاح والشواشرة علماء ايضا صلحاء لا يخلون من العلم يرثونه خلفا عن سلف نفعنا الله بهم وبمن كان في ذلك الجبل ﴿ ومنهم ﴾ سيدي يدير الحاج ولي صالح معظم معتقد في بني يعدل اولاده معظمون صلحاء ذوو بركة وخير ونجاح نفعنا الله بهم ﴿ ومنهم ﴾ اولاد سيدي خروف معظمون فيهم العلماء والصلحاء والقضاة والمفتيون وهم شرفاء على ما اشتهر عندنا من كان في زمورة وبني يعدل نفعنا الله بهم ﴿ ومنهم ﴾ سيدي سعيد الفرطاس ولي معتقد فيه واولاده ذوو بركة عظيمة وهو من اخيار اهل زمانه وهو من القرن الحادي عشر [معاصر لسيدي لوهر] (٢) نفعنا الله به آمين ﴿ ومنهم ﴾ اهل تعروسين (٣) معلومون بالبراعة وكذا اولاد ابفورة (٤) فهم على كتاب الله عز وجل والصلاح سيما سيدي علي فهو شيخ جدي وقد قيل انه لا يخرج منهم الاولياء وقد انتفع بهم العام والخاص ﴿ وكذا ﴾ سيدي احمد صالح معلوم الولاية والبركة ﴿ وسيدي ﴾ احمد اعشاب معلوم الولاية ﴿ وكذا ﴾ سيدي محمد بن صالح من اولاد سيدي الجودي فقد ظهرت كراماته في وطنه وغيره وانه مجاب الدعوة نير السيرة قوي البركة نفعنا الله بهم وبامثالهم ﴿ ومنهم ﴾ الشيخ الفاضل الولي الصالح المعلوم النجاح سيدي محمد بن مصباح ذو العلم المتين والسر المبين وكذا اولاده فضلاء نجباء رضي الله عنهم وارضاهم سيما من ادركنا سيدي احمد زروق وسيدي احمد بن المبارك فقد كان فيهم

(١) في نسختين اولادهم — (٢) ما بين القوسين ساقط في نسختين — (٣) في نسختين تاعروسين — (٤) في نسخة الفورة وفي اخرى ابغورة

العلامة الفاضل المحقق الكامل محيي السنن سيدي الحسين نفعنا الله بهم ﴿ ومنهم ﴾ الولي الكامل والعالم الفاضل مقيم السنن ومنشر العلم سيدي محمد بن عبد القادر واولاده فضلاء علماء ادباء جمعوا فاوعوا سيما سيدي محمد بن عبد القادر وولده سيدي الموهوب فانهما من فضلاء الوقت يقصدان للفتيا رضي الله عنهم وارضاهم ونفعنا بهم و بامثالهم آمين ﴿ ومنهم ﴾ الولي المشهور والطود المنصور صاحب الزاوية ذو العناية سيدي احمد اغوبة ظاهر البركة قبره مزار معلوم لدى الخاصة والعامة يقصده الزوار من بعد وله طلبة الى الان وروضته بينة نفعنا الله به وافاض علينا من بحر انواره آمين واظنه من القرن السابع كما سمعته من البعض والله سبحانه اعلم وله كرامات مشهورة ومناقب وقد سمعت من بعض من يوثق به انه يتصرف كما كان حيا فانه يغيث من استغاث به ﴿ ومنهم ﴾ الولي سيدي ابراهيم صالح مشهور عظيم الشأن معظم عند الناس بركاته ظاهرة ونوره قوي وسره صمداني واولاده علماء صلحاء من لم يكن منهم عالما كان صالحا نفعنا الله به وبامثاله والله اعلم انه كان في القرن الحادي عشر معاصرا لسيدي موسى الوغليسي ولا اعلم انه اخذ من العاشر ام لا والله اعلم .

واما اهل ايلمان(١) على ما تقرر من رسم الاشراف انهم شرفاء من شرفاء ايلمان الوانوغي كذا رأيته مزبورا فيها فانه نص على اولاد عنان وهم ايلمان والحمد لله لا يخلون من اهل الخير رجالا ونساء وذلك معلوم عندنا فقد شاهدنا ذلك منهم نفعنا الله بهم وان كان فيهم اهل جرأة وتعدّ وقد ورد في الخبر ان الله ينظر الى قوم فيهم الصالح نظر رحمة نقلته بالمعنى واما لفظه والله اعلم فقد نسيته والحديث يجوز نقله بالمعنى بشروط انظر الشهاب في الايات البينات على المحلي نعم ما وجد منهم مما(٢) لا يحل من اجتماع الرجال والنساء عند الرقص والبكاء والتباكي والصياح وذكر الشوق من غير اشتياق والعشق من غير عشق والحب كذلك وغيرها من الزهد فانها من دسائس اللعين الشيطان الرجيم حرام باتفاق

---

(١) في نسخة ايلماين — (٢) في نسخة باسقاط مما

لا يفول احد بحليته لما في ذلك من الفتنة ومخالفة السنة وانما السماع المباح ان يكون مع اهله بشروطه الخالية من المحرمات ومع ذلك انه دواء للمرضى من اهل الوله(١) واما غيرهم من اهل البدايات كالمتمكنين فلا يكون ولا ينبغي في حفهم فهذه الفرفة غير معتبرة عندنا وانما المعتبر من شد ازار الحزم والعزم للذكر والعبادة والاعتناء بنفسه وليس من هذا المجموع وهم موجودون والحمد لله وفليل ماهم ﴿ ومنهم ﴾ الولي الصالح الفاضل الناجح صاحب البركة فوي النتيجة(٢) سيدي يدير بن صالح الجمهوري اصلا والعيدلي مسكنا التمغراوي(٣) مدفنا تلميذ الشيخ سيدي يحيى العيدلي فد دفن معه في روضته نفعنا الله به فانه معظم غاية التعظيم وحبه ظاهر واولاده ذوو بركة فوية وخيرهم مشهور وصلاحهم منثور وامرهم مذكور * فان الناس ينتفعون بهم ويعتفدونهم الى الان ولا يخلو البعض منهم عن الوجد الصحيح * والحب الصريح * فتجده انه يتواجد حفا * و يحب صدفا * وانهم اهل السماع دائما على كل حال فمن طلبهم وافقوه وساعدوه على اي وجه فيه الرجال والنساء غير ان سماعهم في الغالب اولى من غيرهم والناس يامنون شرهم ويعتفدونهم وان دلائل الشر خالية منهم غالبا الا من فل منهم وندر وانهم لا يعرفون من العلم واهله بخلاف غيرهم فهم اسعد حالا مما سواهم كما شاهدنا ذلك منهم وان الكل مخالفا للسنة النبوية وانه ليس بشروطه غير ان غيرهم يفصد البعض منهم التوصل الى الاغراض الفاسدة وهم والله اعلم سالمون من تلك المفاسد وان كان على غير الشروط نفعنا الله بهم حاصله جمعهم لا يخلو عن اهل الخير والبركة تحفيفا و بركة جدهم وشيخه الفطب تنوب عليهم ﴿ لطيفة ﴾ لو انهم انسلخوا عن ذلك رأسا اولى بهم واجدر وانور واستر وافقر واحظر واشعر واذكر واكثر واشهر وافدر وانصر واعمر واحذر او انهم فعلوه بشروطه مع اهله ومن اهله من غير حضور الشبان والنساء ومن لا بلاء له بذلك لوصلوا الى الحضرة الفدسية والانوار الالهية نور الله فلوب الجميع ما كدّر

---

(١) في نسختين اهل الود وفي نسخة باسفاط من اهل الوله واما غيرهم وفي نسخة باسفاط من اهل البدايات — (٢) في نسخة السجية — (٣) في نسخة التمغراوي وفي اخرى التمغروي

الفلب لا مخالفة السنة وكون الشيء على غير شروطه وعلى غير بابه والله تعالى يفول واتوا البيوت من ابوابها ﴿ ومنهم ﴾ اخوه في الله ومن شيخه الولي الصالح والفاضل الناصح ذو البركة البينة والاحوال المزينة والامور المستحسنة المجاهد نفسه حق الجهاد سيدي ابراهيم بن عمار وفد فيل انه في محله المعلوم ما فاتته صلاة الصبح مع شيخه سيدي يحيى صيفا وشتاء وغيرهما اغتناما بركة الشيخ وان ذلك من خوارق العادة اذ لا يمكن ذلك في النهار دائما فضلا عن الليل وفد فيل ان الشيطان يصنع النار له لعله يعوفه عن اللحوق به فشعر به ولم يلتفت له اصلا ولعنه واستعاذ من شره نفعنا الله به آمين واولاده اهل بركة وخير وفق الله الكل الى صالح الفول والعمل وحفظ جميعنا من الزيغ والزلل ﴿ ومنهم ﴾ الولي عند الناس بلا شك وهو كذلك والله اعلم وفلوبنا تشهد بذلك الشيخ سيدي ابراهيم الساكن في ناحية حنيف مشهور معلوم احواله مرضية ونفائسه زكية ولطائفه وهبية اولاده مشهورون بالصلاح الى الان وفد ادركت منهم فضلاء كالفقيه سيدي ابي الفاسم محب ذو ود وصدق وكذا اولاد سيدي الحاج نفعنا الله ببركاتهم ونفعنا بسر جدهم وكذا سيدي عبد الحليم مثله واظنه من اخر التاسع او من اول العاشر ﴿ ومنهم ﴾ من بركاته كالامواج واحواله كالابراج الولي ذو البركة الظاهرة والخوارق الباهرة الشيخ سيدي عيسى بن محمد فد انتفع بد العامة والخاصة وفد رد ببركاته عينا من ماء فطرانا لحيوانه وانه صبغ(١) كل من اتى اليه وفد مسح على عين الاعور فرجعت احسن مما فبل ففال من لا معرفة له عين عيسى خير من عين الله ولم يعلموا ان الكل من عند الله وغير ذلك من كراماته رضي الله عنه ونفعنا به وحفظنا من كل جبار عنيد بجاههم وجاهه وله فبران فبر في اطراف وانوغة اعني المسيلة(٢) والاخر في فَرْوَاو وبينهما نحو اليوم وفد زرتهما معا والحمد لله ﴿ ومنهم ﴾ الشيخ سيدي عمرو الاشهب فان وانوغة يعظمونه غاية التعظيم

---

(١) في نسخة سبغ وفي نسخة يشبع — (٢) في نسختين امسلي

واولاده معظمون ايضا وقد بقي منهم الفاضل سيدي الطيب نفعنا الله ببركته آمين ﴿ ومنهم ﴾ اولاد سيدي عمر في وادي الخميس من هذا العرش وان جدهم هو المؤلف المعلوم في الكتب المتداولة اعني الوانوغي واولاده فيهم البركة نفعنا الله بهم ﴿ ومنهم ﴾ شرفاء القصبة دار علم وبركة وشجاعة وقد زرت الجميع والحمد لله سبحانه ﴿ ومنهم ﴾ الولي الصالح والقمر الواضح سيدي علي الطيار معظم في الصحراء والتل واولاده كذلك الى الان سيما الشيخ سيدي محمد بن المبارك واولاده نفعنا الله بهم آمين .

﴿ ومن ﴾ زمورة اولاد ابي شيب(١) وانهم شرفاء اهل فضل وبركة وقد رأيت في بعض رسوم الشرفاء واظنه كلام ابن فرحون انه قال ما نصه ولا شريف في زمورة اعني بني يُرْثان الا طائفة يقال لها ابو شيب نفعنا الله بهم ﴿ ومنهم ﴾ اولاد سيدي احمد النواتي فضلاء كرماء اهل خير من العهد الاول نفعنا الله تعالى بهم ﴿ ومنهم ﴾ الولي الصالح البركة سيدي عمر العجيسي فان الناس يعظمونه غاية التعظيم وهو جد سيدي احمد المجذوب وقد رأيت ايضا ان عجيسة شرفاء نفعنا الله به ﴿ ومنهم ﴾ ذو الفضل والفضائل اخونا في الله سيدي محمد بن زيان كان رحمة لنفسه وللمؤمنين وضع الله البركة في اولاده نفعنا الله به ﴿ ومنهم ﴾ اولاد البواب اعني الزيانتة فانهم اهل فضل وكرم وقراءة نفعنا الله بهم ﴿ ومنهم ﴾ الشيخ الولي الصالح ذو البركة العظيمة سيدي مبارك السماتي واولاده على الفضل والكرم والهمة نفعنا الله به ﴿ ومنهم ﴾ ظاهر الفضل والنجاح والصلاح سيدي عمر بن عباشة واولاده كذلك وان اصابهم بعض الذل وقد علمت ان درهم المغرم لا يعدله شيء رزقنا الله بركته آمين ﴿ ومنهم ﴾ الشيخ الصالح المجذوب الذي فاض عليه بحر الانوار وطلعت عليه شمس الاسرار سيدي محمد بن المبارك الشريف من اولاد سيدي ابي زيد(٢) واولاده من لم يكن ذا علم فهو ذو فضل وبركته ومآثره مشهورة من القرن الحادي عشر

---

(١) في نسخة اولاد بوشيبه وفي جميع الاخرى اولاد بشيب — (٢) في ثلاث نسخ بزيد وفي نسخة بوزيد

نفعنا الله بهم وافاض علينا من بركاتهم ﴿ ومنهم ﴾ سيدي سعيد الموسخ والولي الصالح سيدي ابوناب والشيخ الولي الشهير سيدي عطاء الله هم اولو الفضل والصلاح والخير والفلاح اولادهم اهل فضل نفعنا الله بهم وبامثالهم آمين ﴿ ومنهم ﴾ الشيخ الزاهد الورع الولي الصالح سيدي علي بن ابي زيد كان في الحادي عشر وقد بلغ الغاية في العبادة ومجاهدة النفس وقد انعزل باهله في الجبل طلبا لخفة الاشغال وتفريغ سوى الله من البال وذلك شان الصديقين وقد نص العلماء ان آخر الزمان لا يسلم ذو دين بدينه الا من فر من شاهق لشاهق واظنه حديثا والشيخ استعمله بنفسه واهله نفعنا الله به آمين ﴿ ومنهم ﴾ ذو الفضل العظيم والخير العميم الولي المشهور ذو السر المأثور سيدي الجودي العلمي من آخر القرن العاشر واولاده اهل جد واجتهاد وصلاح سيما سيدي علي ابنه تلميذ الشيخ سلطان العارفين سيدي علي بن المبارك ذي(١) السر القوي والنور السني فاني رأيت بعض مرائيه من اعجب العجاب تكاد ان تكون مرائي الثعالبي او ابن ابي جمرة نفعنا الله بهما وقد رأيت سيدي الجودي نوما فيما مضى وصورته لم تزل عني الى الان ومسكني من يدي فقال(٢) الى جدك سيدي احمد الشريف من بني عشاش الى قبره فلما وصلناه قال سيدي احمد الشريف ما دام يبقى يزيد حرارة كالسمن العتيق اوكلاما هذا معناه نفعنا الله به آمين وباولاده(٣) ولاشك انهم احياء عند ربهم لا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴿ ومنهم ﴾ الزاهد الورع المتخلي عن الدنيا الذاكر لله كثيرا من الحادي عشر وقد قيل التقط حب البلوط من كل شجرة في وطن الخميس(٤) الا انه ذكر الله عند كل حبة وانه اول امره كان يؤاجر نفسه ويقتات من ذلك حتى منعه بعض الناس من اداء الصلاة فسلم في الاجرة(٥) وذهب ولم يرجع ففهم ان الله لم يقمه في الاسباب وانما اراد به التجريد عنها والتجريد واجب

---

(١) في نسخة ذو — (٢) في نسخة وقال لي جدك سيدي احمد الشريف ما دام يبقى يزيد حرارة الخ — (٣) في نسخة بامثاله بدل باولاده — (٤) في ثلاث نسخ بوخميس وفي نسخة بخميس — (٥) في ثلاث نسخ وسلم الاجرة

عند تعذر الاسباب الشرعية انظر ابن عباد عند قول ابن عطاء الله ارادتك التجريد مع افامة الله اياك في الاسباب من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع افامة الله اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العالية فرجع للتجريد وهو سيدي محمد بن يحيى من اولاد الشيخ سيدي مالك وجده هذا كان صاحب حال عظيم فيل انه صبغ تسعة وتسعين رجلا من جملتهم سيدي موسى الوغليسي ولم يجد احدا يزيده فزاد شجرة الزان والله اعلم ومعنى صبغها محتمل يحتمل ان الله جعل فيها ادراكا كما جعلها في الذي نطق للنبي صلى الله عليه وسلم حتى ذافت حلاوة الايمان وشهدت مشاهد الخير والبركة ثم تصير بركة للناس بعده [ويحتمل](١) انها محل بركة الى يوم الساعة فتصير اثارها لغيرها من العفلاء رحمة لاهل بلده ومن يمر عليها وسيدي محمد هذا مجاب الدعوة وهو في جبل بني يعلى ضريحه مشهور يزار ومن اراد فصم عدوه الظالم فيسأل الله بجاهه عند ضريحه وفد جربت ذلك مرارا فوجدته كذلك احيا فلو بنا الله بجاهه آمين ﴿ ومنهم ﴾ الشيخ العارف بالله تعالى الزاهد في الدنيا رأسا المتخلي عنها نفسا سيدي محمد بن فري وفد اعتزل باهله وسكن الفلعة في غيضة عظيمة لا يسكنها الا الوحوش(٢) لعدم الماء فيها ومع ذلك انه بنى دوره(٣) في الاوعار من الجبل مع بعدها من الوادي الى رأس الجبل وبنى فيها مساجد بفضل الله سيما الجامع الكبير ففد بناه بناء معتبرا الا اذا كان مثله في تونس واشار رحمه الله الى انها تصير مدينة فاهرة آخر الزمان وفد تحمل(٤) المشاق العظيمة في مجاهدة نفسه واهله واولاده واصحابه وكان لا يفتر عن ذكر الله تعالى طريفه صعب لا يسلكه الامن نبذ نفسه وراء ظهره وفد ادركته صغيرا وفد سمعت من بعض الناس انه فرأ على شمهروش الطيار من الجن وهو فرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بان احياه الله احد عشر فرنا وكذلك فرأ عليه الشيخ سيدي احمد الحبيب صاحب السر العظيم والصراط المستفيم الفلالي وكذلك

---

(١) ما بين الفوسين سافط في ثلاث نسخ — (٢) في نسختين لا يسكنها الوحش — (٣) في نسخة طرفه وفي نسختين طروفه — (٤) في نسختين احتمل

الشيخ البفال المصري وفد سمعت انه يصلي كل جمعة بي جامع الزيتونة بي تونس بلما مات فال مجاوره اظن ان الشيخ توبي لما لم يعمر محله وكان الامر كذلك والله اعلم وزوجته كذلك وفد سمعت منها انها كانت تنازع الشيخ بي بعض الامور عند رجال الغيب ونصها انها فالت انا اريد اطعام الطعام والشيخ يمتنع ليس بخلا [بل] لما بي ذلك من كثرة الخلق وهو يريد السلامة منهم والبرار من اجلهم فالت ذات ليلة والشيخ بات عند بعض الناس خارج الفلعة بذهبت الى المسجد الكبير بصحت برجال الغيب باتوني من مصر ثم ناديت برجال المغرب بجاؤا من باس اعني اشياخ زوجها فالت وناديت رجال الصحراء باتوني كالجراد وناديت رجال بجاية باتوني سيدي ابو الفاسم الذي بي فُرَاية وغيره من رجال بجاية بلما استفر الجمع والتبت البصر والسمع لم اجد الشيخ يمتنع او يتبع ثم ان بعض الحاضرين فال ان اردت ان يحضر الشيخ بنادي باهل الجزعة وهم سبعة وهو واحد منهم فالت بناديت بذلك بحضر ساعتئذ بفال ما شانك بهذا الجمع وانت امرأة بفلت له منعك من غيرهم واما هولاء بلا ثم فام واحد من هولاء الجموع واتى بجمرة تضطرم نارا اي اضطرام بي احدى يديه وخبزة بي يده الاخرى يفول لي اطعمي هذه ولو جلست على هذه بفلت لا والله الا ما يرضاه بي زوجي ثم بعد ذلك زجروه وامروه بموابفتي بوابق وساعدني بعد وتبرق الجمع الخ الحكاية رضي الله عنهما واولاده ذكور واناث ظهرت عليهم آثار الاسرار وشوارق الانوار سيما الولي كابيه ذو الصدق والوباء والحلم والنصيحة والصباء المتواضع لكل الخلق وفد حاز بي كل خير السبق سيدي بركات وفد شاهدنا منه ما لا يمكن التعبير عنه نبعنا الله به وجعل البركة بي اولاده واظهر عليهم آثار البصل بمنه وكرمه وفد حج من لا نظير له اصلا بي زماننا سيدي عبد الرحمن ولده .

واما سيدي محمد السعيد ببصله عن اهل وطننا وكذا علمه وصدفه لا يخبى وفد زوجني

سيدي بركات بنته كما زوج ابو بكر رضي الله عنه بنته النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها من غير كلفة ولا مشقة وقبر الشيخ معلوم في القلعة .

واما ضريح ابنه سيدي بركات فهو مع ضريح سيدي محمد بن يحيى السابق وكذا قبور الفضلاء الصلحاء اولاد فري ومن اولياء الله سيدي عبد الرحمن وسيدي التواتي والاستاذ السبعي سيدي الحسين وسيدي ابو عبد الله وكذا جميع اولادهم على الخير والبركة في كل سكون وحركة نفعنا الله بهم ﴿ ومنهم ﴾ الشيخ سيدي عمر بن موسى فانه ولي من اولياء الله تعالى وقبره مشهور يزار واولاده على الخير والبركة والعلم والصلاح والفلاح ومن بركاته ان اهل محله يقسمون به صغيرا وكبيرا وان قرينه والله اعلم ما وصلت الى خراب في الظاهر وهلاك لا شفعها فقد سمعت(١) ان الولي رحمة في قومه ما دام يعظمونه ويبجلونه مع مراعاة اولاده ان كانوا على وفق العلم قال تعالى وكان ابوهما صالحا قيل الجد التاسع ولا اعلم تاريخ وفاته رحمه الله ونفعنا به وبامثاله ﴿ ومنهم ﴾ سيدي سعيد بن شنوان(٢) ادركناه استاذا في القرآن مشتغلا بالله مقبلا عليه مع تعليم القرآن وقد ورد فيه الخير الكثير واولاده على الخير والبركة رضي الله عنهم ونفعنا بهم ﴿ ومنهم ﴾ شرفاء تمنقاش من اخيار الناس وليس احديذم منهم بل كلهم او جلهم على الخير والاستقامة بحسب الزمان واهله واصلهم والله اعلم من الرابطة واهل الرابطة ذوو فضل وخير وهمة وصلاح وكرم وعلم وقرآن وحياء سيما الشيخ سيدي السعدي وغيره منهم نفعنا الله بالجميع بمنه وكرمه ﴿ ومنهم ﴾ سيدي سعيد الزيتوني فانه ولي كبير وامره عظيم وحاله جسيم واولاده كذلك ذوو علم وحلم وفضل خصوصا سيدي سليمان وكان حبيبا لنا واولاده وسيدي الحسين وولداه الفاضلان الكاملان سيدي محمد وابوه وقد رأى البعض النبي صلى الله عليه وسلم قال فسألته عن الاشراف فاجابني بقوله الزياتنة ولا ادري زاد(٣) وما نسبهما ام لا ولا ادري تاريخ سيدي سعيد واظنه من اواخر التاسع او

---

(١) في نسختين وقد علمت — (٢) في نسخة شتران — (٣) كذا في جميع النسخ

اول العاشر نفعنا الله به وبامثاله آمين ﴿ ومنهم ﴾ الولي المعلوم ذو البركة العظيمة والخيرات الجسمية سيدي اسماعيل الفلالي وكذا اولاده فهم على الخير والبركة والعلم والفضل والرحمة نفعنا الله بجميعهم ولا اعلم تاريخ وفاته وقد سالت البعض عنه فقال من القرن السابع غير اني لم اثق به ﴿ ومنهم ﴾ اولاد محجوبة فهم اهل الخير والفضل والقرآن والعلم والحلم سيما والد سيدي علي بن محجوبة وكذا سيدي علي وولداه الفاضلان الكاملان سيدي عبد الله وسيدي محمد السعيد وقد حضرت مع سيدي الحسن(١) بن مصباح ان سيدي محمد السعيد طار في الهواء ساعة زمانية مع جماعة من اهل الخير ادركنا الله من بركاتهم بمنه وكرمه وكذا سيدي علي بن محروش وولده وكذا شيخنا الذي هو ظاهر الصلاح والخير والنجاح سيدي يحيى اليعلاوي في قسطنطينية وقد شهدت منه امرا عظيما من الكشف غير مرة وجدهم هو الولي الصالح سيدي الحاج عيسى ولا ادري تاريخه نفعنا الله بجميعهم آمين ﴿ ومنهم ﴾ سيدي سليمان الحربيلي فانه ولي من اولياء الله تعالى وهو واسع المعنى رحب البناء عند اهل حربيل واولاده كذلك اهل فضل وخير نفعنا الله بهم آمين ﴿ ومنهم ﴾ الاخيار والسادات الابرار ساداتنا زواوة وهم اهل سداد وصواب وخدمة رب الارباب اولو(٢) فضل وعلم وادب وحلم انوارهم ساطعة واحوالهم مرتفعة وضمائرهم خاشعة ونفوسهم لله خاضعة جملة وتفصيلا وعلهم على الخير من الله تفضيلا ونسبهم على ما اشتهر لديهم وكذا الشوائرة الى الولي الصالح سيدي يحيى ابي زكرياء الزواوي الذي ببجاية مدفون ضريحه الدعاء عنده مستجاب والناس في انسابهم مصدقون حسبما صرح به الاجهوري بضم الهمزة وغيره اذ الانساب كالحيازة في الاموال انظره

وقد قلت

سريرة الجد تحقق في الولد * ونوره حقا عليه يعتمد

---

(١) في نسخة الحسين — (٢) في نسخة ذوو

وبخيرة الخلق من اصل طيب * شذا معطرا انى من اعجب(١)
وحسن اخلاق(٢) كذا قد ينتخب * وامره غريب ليس يحتجب

نفعنا الله بجميعهم آمين ﴿ ومنهم ﴾ المحيي لما درس من حق قد بخس المحاسب منه كل نفس واغلى حقا ما قد رخص واعلى طريقا وانس الشيخ على الخفيفة شيخ الطريقة ولايته ظاهرة واحواله فاخرة واسراره بينة وانواره قدسية سيدي الجودي بن الحاج كراماته واحواله مشهورة وعلومه منشورة وقد بلغ رحمة الله عليه حالة التربية اذ سمعنا ان طالبا كان يتعلم عليه ذات يوم غلبته نفسه فتبعها في غير شيء بان شغف بامرأة اجنبية وتعلق بها واراد الزنى بها وحين وقعت المعصية بحيث اراد مباشرتها فوجد الشيخ بينه وبينها فاستحيى واصابته حشمة عظيمة ولم يرجع بعد ذلك له نحو خمسة عشر يوما حتى بعث اليه رضي الله عنه وقد سمعت من المبرز العدل الصالح من اهل الفضل المرابط سعيد بن تفرين يحكي عن ابيه او عن جده عن الشيخ سيدي الجودي انه سرق لبعض احبابه سرقة ولم يعلم بها الا الله تعالى فوقعت الشكوى من اربابها له فبعث لكل من اتهم بها وكنت في جملتهم نعم لما وصلنا اليه امرنا بردها ووعدنا بالخير العظيم والفضل الجسيم على ذلك فابى الكل عنه وكنت السارق فلما انفصل الجمع عنه مسكني وقال انت الذي سرقت ردها فما تريده فانا متكفل به فقلت له نعم انا على ما تريده فرددتها ثم قال لي كلما وقعت بك شدة فاستغث بي فانا اغيثك اين ما كنت وبعد ذلك ذهبت الى الجزائر اريد المعيشة وتحصيل اسبابها فركبت في السفينة مع من يحارب النصارى فاسر جميعنا فوقعت عند رومي لا حلم ولا شفقة له اصلا وصار يعذبني تعذيبا شديدا فلما كان ذات ليلة خرجت هاربا الى شاطئ البحر مختفيا في الشجر فلما علموا بامري صار الصياح والنداء ورائي الى ان وصل الجمع(٣) الى

---

(١) في ثلاث نسخ فشذا عطرا اينا من اعجب — (٢) في ثلاث نسخ واحسن الخلق — (٣) في نسخة الجميع

محلي غير اني حجبني الله عنهم بعد ان وصل كلبهم اليّ يبصبص بي ثم يرجع اليهم غير اني معتمد على الشيخ ومستغيث به فرجعوا خائبين و بقيت انا ثَمّ ملتجئا الى الله ثم الى الشيخ فمرت عليّ سِنة واذا بالشيخ يقول مد يدك الي فمددت يدي اليه فمسكها و رفعني فاستيقظت فوجدت نفسي في الجزائر وغير ذلك من الكرامات رضي الله عنه ونفعنا بعلومه واحواله وانواره بمنه وكرمه واولاده الى الآن على الخير والفضل والعلم والحمد الله تعالى وهو من القرن الحادي عشر اعني اوله ولم ادر هل اخذ من آخر العاشر ام لا وقد حشّى على الصغرى حاشية لطيفة وكلامه رايته لا باس به لانه محقق في عصره ﴿ ومنهم ﴾ سيدي عمر الواصلي رجل من الاكابر وصلاحه وولايته معلومة في الضمائر فان اهل وطنه بني سليمان يعظمونه غاية التعظيم واولاده على الخير خصوصا الاجل المنير ذو الخير الشهير سيدي الموهوب كبير السر عظيم الشان والحمد لله حبيب لنا نفعنا الله بهم آمين ﴿ ومنهم ﴾ سيدي عمر الخلادي شيخ معظم وولي معتقد فيه اولاده على الخير والحمد لله تعالى نفعنا الله به ﴿ ومنهم ﴾ الولي الصالح والنجم الواضح سيدي علي بن سليمان البرباشي(١) معظما عند اهله ومحترما(٢) عند اهل وطنه قبره يزار واولاده فيهم والحمد لله العلم والصلاح وخدمة الخير واهله ومحبة العلم وذويه سيما سيدي علي بن الصالح وكان حبيبا لجدي ولوالدي وهو قد ظهرت انواره وقويت اسراره وعلمه وفضله ظاهر ان قد درس واسس وعلم وانس نبراس زمانه وعبقري اوانه وليث مكانه وكذا سيدي عبد الله تفقه على جدي الحسين الشريف واغتنم منه البركة والعلم يحكي ذلك الوالد عنه وكذا اخوه سيدي الموهوب بن علي بن سليمان واولادهم على الخير والبركة والحمد لله نفعنا الله بهم آمين ﴿ ومنهم ﴾ سيدي زيان صالح زمانه وولي اوانه واولاده كذلك نفعنا الله به ﴿ ومنهم ﴾ السادات الافاضل والاخيار الاكامل اولاد سيدي بهلول القائمين بالحق الظاهرين على قدم الصدق والسالكين(٣) سبيل الجد والرفق وهم

---

(١) في نسخة البربشي وفي اخرى البرياشي — (٢) كذا بنصب معظما ومحترما في اربع نسخ وفي نسخة برفعهما وهو الاظهر — (٣) كذا في جميع النسخ بنصب القائمين والظاهرين والسالكين

شرفاء خصوصا سيدي علي وسيدي المهدي ومن نحا نحوهما على ان اولادهم الى الان على ما يحسن فلم تسكن نفسي لاحد مثلهم لفضلهم وجودهم وحيائهم واحسانهم وعلمهم بقدر من له القدر زادهم الله رفعة وتعظيما ومهابة نفعنا الله بهم اجمعين آمين ﴿ ومنهم ﴾ ذو العلم والمهابة * والحلم والانابة * والسطوة والاستجابة * والتحقيق والاصابة * ذو العلوم الفاخرة * والاحوال الصادقة الظاهرة * والانوار الباهرة * والاسرار الكاملة * الزاهد بالتحقيق * بعد التمكين من الدنيا كما يليق * قد نبذها وراء ظهره * دفعا لنفعه وضره * عند جميع الافاضل مرغوب * الولي الكامل سيدي الموهوب * نجل الشيخ القدوة والدرة الثمينة سيدي محمد بن علي اليعدلي(١) كراماته ظاهرة * ودعواته فاهرة * واسراره ليست مستترة * مكنه الله فتمكن * وبذكره قد اطمان * قلت فيه وفي امثاله *

شمس النهار اشرقت بضوئها * عند الظلام منجل من نورها
فبحرها(٢) احيا ما كان قد يبس * من ريح اهل جرأة بل من نفس(٣)
احسن جوهر من المعالي * قد رصعن(٤) وطننا في الكمال
قد اقبل المآل(٥) بالسعود * من طلعة الغر على الوجود
وكل ظلم قد جرى من العجم * على ذوي الشرف والخير الا تم
ازاله بحق من حلاه * بحلية من عزه علاه
وكل ما(٦) اتاه من اوساخ * فرفه اذا بلا تراخ
من غير ان يقبض(٧) شيئا ابدا * لنفسه واهله معتمدا

(١) في نسخة العيدلي — (٢) في اربع نسخ فبحرها — (٣) في اربع نسخ نفيس — (٤) في نسخة رصعت — (٥) في نسخة الامال — (٦) في نسخة من — (٧) في اربع نسخ ينقص

* تنبيه * في هذه القصيدة واللاتي بعدها من قول المؤلف خلل كبير من جهة الوزن ومن جهة المعنى فليحرر ذلك بنسخ اخرى

على الذي من زرقه قد انقسم * على العباد ليس ضيزى في القسم(١)
اذ حلمه قد عم اهل مصره * وبره مدخر لوقته
فدهره يثني عليه باتفاق * وحاله وسيره(٢) بالارتفاق
هذا وان صيته قد ارتفع * ورسمت احواله لتتبع
واسم حقا ارعوت لامره * وافتخرت اذ ذاك فيه بسره
مدرس الفنون في المقام * كذا القرآن اضحى للانام
محل سر وانتفاع بالدوام * فواعد العلوم تقرا بالتمام
على قانون(٣) العلم من غير اختلاط * ولا التباس وانتقاص باغتباط
تاتيه الافواج من كل بر * لامور اضطروها اضر(٤)
اصابهم(٥) جائحة الفقدان * لرفع معضلات عن اخوان
محله كالمصر للحجاج * وعلمه اجلى بلا احتياج
كالنحو والتفسير مع علم الحديث * ولغة وادب ليس الخبيث
منتفعا بها كل انتفاع * بصيرة عمياء(٦) بافتقاع
اولاده حقا عليهم ما ابدى * من علوم واطعام وما ارتدى
به من التقوى وحسن الزاد * وابحاث العلوم في ازدياد
هذا وان بحرا فيه مستقر * من العلوم والاسرار يعتبر
شريعة حقيقة مع العمل * بخشية وخضوع منه اقل
حال الهوى عن قلبه قد انقشع * عن سره كل السوا منه اندفع
وكله بربه قد انخشع * وحبه بقلبه قد انصدع

---

(١) في نسخة ليس للغير القسم — (٢) في نسخة سره — (٣) كذا في جميع النسخ —
(٤) في جميع النسخ تاتيه وفي نسخة بدل الشطر الثاني بجلب خير او لدفع ضر —
(٥) في نسخة اصابتهم والبيت جميعه كذا — (٦) في اربع نسخ عميت

وانوار العلوم منـه تشـرف * وابحاث التحقيق منه تبرق
مدده قد مده لالـه * وحلاه بسره مولاه
قد شهدت بقربه حيتان * من ربه اسمعها الرحمان
صديقه ابراهيم صوان(١) * ديدانه(٢) من ربه القرآن
هو الذي يجذب مع ملائك * شمس العوالم سرا وذلك
ليس غريبا ابدا على الحبيب * لربه وقربه من الرقيب
قد انبان بانه لا يقبن * عن قبره شقي حقا ويامن
وهو الذي يقرأ في الكتاب * في مسجد الشيخ المتقي الاواب
بجاية قد اسعدت بسره * وانتشرت انواره بقبره
مدفنه يقرب من ابي علي * ابي حميد(٣) الصغير المسيلي
كتابه النبراس والتذكيره * وامره وحاله شهيره(٤)
وعند قبره الدعاء يستجاب * مدده يحظى به من قد اناب(٥)
الغبريني في عنوان الدرايه * نص عليه وخذ العنايه
احيا علوما من علوم الدين * في وقته باجد والتبيين
بامحة يصبغ(٦) كل من اتى * بنية خالصة مستثبتا
قد كان يا اخي اذا من البلد * احوال دنياه لها لم ينتبه
هذا الذي تعلق القلب به * باحمد(٧) عبد العظيم ينتهي
لحبه النظم اتى مرتجلا * لسنة وقرآن ممتثلا
قارضنا قد اخضرت بعلمه * وكل صعب ليّن بحلمه

---

(١) في نسخة الصوان — (٢) في نسخة ديوانه — (٣) في نسخة بالقرب وابي حامد — (٤) في ثلاث نسخ تصديره وفي اخرى التذكير وحاله شهير — (٥) في ثلاث نسخ مدده وداده قد يرتقب — (٦) في نسخة بلهجة وفي كلها يسبغ — (٧) في نسخة لاحمد

ارواحنا قد حييت بوابل * من غيثه قد عمنا بحال
من ازهار وانوار من العلوم * ومن سقاه شربة بها يقوم
بانواع من المواهب عجب * في حضرة قدسية قد انسكب
لنصح من اتاه حقا قاصدا * يعلو به منازلا وزائدا(١)
باسماء وصفات من ربه * لسالك يسعى به لحزبه
وخمره(٢) قد شاع في الاقطار * سلافة من كاس ذي الاسرار
بنظرة مسكرة على الدوام * شاربها عن حسه من الهوام(٣)
خردلة من الهوى(٤) تنفعه * كذاك ضره وما يدفعه
فمثله امان للعباد * كذا بسد(٥) ثلمة الفساد
بجاهه حققنا رب بالهدى * مع الرضى مفوضا معتمدا
واسلك بنا بجاهه كل نمط * من طرف الكشف بعلم يغتبط
بقربه يا رب زوّل الحجاب * عن الضمائر بحب وارتقاب(٦)
وكلنا(٧) برحمة مع عافيه * وزد لنا تصفية وتوفيه
وجد لنا بالعفو والغفران * وجنة الخلد مع الرضوان(٨)
وامح لنا جرائما قد سبقت * بتوبة صادقة منك اتت
في حضرة القدس مع البنين * واسعد بناتنا ومن يلينا(٩)
الى انتقال وارتحال يا فتى * عجل لنا توسعة مما اتى(١٠)
من خيرة الدارين والسعاده * كذا التوفيق مع الاستفاده(١١)

---

(١) في نسخة ورائدا وفي اخرى روائدا — (٢) في نسخة وخمرة وفي اخرى وخمره — (٣) في نسخة شاربها غاب عن حسه وهام — (٤) في نسختين من الورى — (٥) في نسخة يسد — (٦) في نسخة بحيث لا ترتاب — (٧) في نسخة وعمّنا — (٨) في اربع نسخ من الرجهان — (٩) في اربع نسخ مع اسعاد البنات مذ خلفن وفي نسخة ومن الينا — (١٠) في نسخة كل خلفنا لا نتقال وارتحال * عجل لنا توسعة مما ينال — (١١) في نسخة مع الاستقامة

واجعـل لنـا ودا مـن العبـاد * والخيـر والـرزق بـالازديـاد
وكف عنا يـد عـدو بالـدوام(١) * من كل جبار عنيـد بالسـلام
انت الـذي تكفنـا من الاذى * وافصمه(٢) يارب عنـد العـزم اذا
ارادنـا بسـوء فعـل منـك رد * في نحـره كيده فهرا بالاشـد(٣)
ممـا رمـاه ونـواه فـاصـدا * ورده ذلا فعـادا مـا اعتـدى(٤)
دعا يعـم الـوالـديـن والازواج * ومنتـم لنـا مـن الافـواج(٥)
من فريب ومحسـن كذا المحب * واشيـاخ واخـوان ومرتفب(٦)
بامثال المزبـور فيمـا فـد سبـق * وآخـذ وطالـب ومـن صـدق
في حبنـا وودنـا مـن العبـاد * وكن لنا بجمـع شمل واجتهـاد
في العلم(٧) بالجـد والتمكيـن * لنفـع مسلـم ودفـع ريـن
وشـر ذي شـر عـلى الاطـلاق * والختم بالحسـنى مع ارتفـاف
نبينـا وذخرنـا يـوم الحسـاب * بجاهه حفـق لنا عين انتسـاب
ثـم الصـلاة والسـلام دائمـا * عـلى الرسـول صادفا معظمـا(٨)
وآلـه وصحبـه ذوي التفـى * والمجـد والفخـر وكل منتفـى

وبالجملة ففد تشرف مفام الشيخ سيدي الموهوب باشراف حضرة الولي سيدي احمد بن عبد العظيم اشرافـا تاما * وطلـوع نجم السعود فيه طلوعا عاما * وكذا باولاده سيما ذو المجد الانيف * والفاضـل الشريف * وهو من النوادر سيـدي عبد الفادر رحمه الله تعالى ورضي عنه وفيه فـالـت

(١) في نسخـة يد العراعـي الروام — (٢) في نسخـة الـذي تكفينـا مـن كل الاذى وافصمهم — (٣) في نسخة ارادونا — كيدهم في نحرهم فهرا اشد — (٤) في نسخة بما راوه وذووه فصدا * رده عنا كافي شر الاعدا — (٥) في نسخة بالازواج وفي اخرى كل منتم — ٦) في نسخة مرتغب — (٦) في ثلاث نسخ في علوم — (٧) في نسخة الصادق المعظما

ومعه الحبر الهمام في الوغى * مكافحا مناضلا وقد بغى
على المعالي كلها او جلها * ملتقطا لدرر من اصلها
قد حازها بسيفه منعطفا * لهم الامور غدا واقتفى(١)
من ارجاء الملك مع السياسه * وفرّ بالنفس عن الرياسه(٢)
وحظه(٣) جواهر مع الادب * وعلمه نار القرى كذا الحسب(٤)
وعبد قادر تسمى في الورى * وجوده وخيره بلا امترا
فقد عمّا عصرهما ككوثر(٥) * وظل عز منهما كشجر
من شجر الضخم وذي الاوراق * لعابر ذي حاجة اطلاق

هذا وان فضل الله عظيم * وبره عميم * واولاد الشيخ سيدي الموهوب فيهم الخير والعلم والادب خصوصا سيدي عبد الله نجل الشيخ سيدي عبد القادر المذكور وسيدي عبد الله ابن محي الدين وتلميذنا سيدي عبد القادر بن احمد وكذا غيرهم ﴿ ومنهم ﴾ من اشرف بالكرم والجود * في سماء السعود * بحر السخاء من الودود * سيدي المسعود * وفيه قلت

مدده قد يغني كل(٦) من سأل * وجوده قد عم قطرا واشتمل
على كل من المعالي واستقل * بسجيه(٧) عن غيره بها احتفل
خدانه بسيرة حميده * قد اخبرت عنه بها سديده
لا عيب فيه ابدا سوى السخى * لقاصد من عدو موبخا
ألسنةٌ من عصره متفقه * على الثنا بحمده معتنقه(٨)

---

(١) في ثلاث نسخ عزا وفي كلها انتفى — (٢) في اربع نسخ اشخاص ضده مع العناية — (٣) في اربع نسخ وخطه — (٤) في نسخة وحظه الادب في كل ارب * نتيجة العلم كريم ذو حسب — (٥) في نسخة فضلهما قد عم مثل كوثر — (٦) في نسخة لكل — (٧) في اربع نسخ بشجايا — (٨) في ثلاث نسخ معتنية وفي نسخة بسنته في عصره متبعه * ثناؤهم عن حلمه كل رعه

فحلــه الرب من المعــارف * تمده مـــدا بلا تخالـــف(١)
اعني الذي في عهدنا محمـــدا * فلم يبعد عن مثلهم مستمـدا(٢)
مقتبسـا من امور قـد سبقـت * من اجداد له بما قد صدقت(٣)
من خدمة العلـم واهـل الادب * ذويهما بكل ما قد اكتسب(٤)
فحظه من كلهم لم يختلـف * نصيبه من مجدهم لم ينحرف
فاولاد الشيـخ عـلى الاطـلاق * لم يعدموا الكل من السباق
واصلح الكل بحـق المصطفـى * وصاحب وتابـع ممن(٥) صفـا
ثم صـــلاة الله مـــع ســـلام * على رســـول رحمة الانـــام
محمد افضـــل كل مـن اتى * من رســـول ونبـــي مثبتـــا

وكذا الفاضل المحسن والحليم ذو المعروف والمآثـــر ظهري وذخري سيدي الموهـوب ابن محمد لا ياتي الزمان بمثله وفيه قلت

فانه يحاكي ابريز الذهب * والبحر من فنونه قد ارتقب
فعـزه مبجـــل ممن احـــل * في قطره ممن علا ومن سفل(٦)

قدس الله ضريحه * وعطر ناشذاه وريحه * واما قرابة سيدي احمد بن عبد العظيم فهم على الخير والحمد لله جعلنا الله في زمرتهم آمين يا رب العلمين ﴿ ومنهم ﴾ شيخ والدنا الفاضل النحوي اللغوي المحدث المفسر الاديـب الفقيـه الجامـع بين المعقـول والمنقـول الـولي الصالح والبرهان الراضح ذوالاحوال الفاخرة شيـخ شيوخنـا المغرب الغربي سيدي محمـد العربي(٧) المتوطن في جبل سيـدي الموهـوب وقد اسعـد الله باستقراره كل الاماكن من

(١) في نسخة فحلله رب من المعروف * تمـده مدا بلا عكوف ـــ (٢) في نسخة اعني به الذي عهدنا بدا * نجم سعوده ترى محمدا ـــ (٣) في نسخة مقتفيا لأمور قد سلفت * من اجداد له قد صـدرت ـــ (٤) في نسخـة كخدمة العلم .... * ومن بفضلـه اتى محتسـب ـــ (٥) في نسخـة ومن ـــ (٦) في نسخـة من اهل قطره ـــ (٧) في نسخـة الغربي

وطننا وتانسوا به اي تانيس في زمننا وكان اذا احل بقوم نزلت عليهم الرحمة والسكينة وكيف لا وهو بحر الله في عمالتنا وغيث بلدنا و رحمة لمن كان عندنا وعلمه مبذول عند من سبقت له السعادة والحمد لله وقد تعلمت(١) كالالفية على تلميذه العلامة الفاضل سيدي علي ابن احمد وطريقه ناصرية شاذلية وكان رضي الله عنه يعجبني الفهمة على من وقع عليه في العلم وغيره رضي الله عنه وكذا سيدي عبد الملك وان لم يكن مثله في العلم غير انه ذو فضل قوي وفي سيدي محمد هذا قلت

بحر الندى والعلم من شيخ برز * شيخ الخفيفة لدينا مكتنز(٢)
وجوده كعلمه فيما دنا * من فطرنا على الذي به اغتنى
نار القرى في علوم لم تستتر * وشمسه مشرقة على الدرر
وانه طود في كل من علوم * ورحمة على الذي به يؤم
والله ان نعمة قد اهديت * من الرحيم عاجلا لمن اتت
بدرا اذا رأيته يا من قصد * زيارة اوسلوكا لمن اراد(٣)
ان مات قلب قسوة احياه في * لحظة من وقت ومنه قد شُفِي(٤)

و بالجملة فالله يتداركنا بفضله وجوده واحسانه توفي في هذا القرن الذي نحن فيه

واما سيدي الموهوب فانه من القرن الحادي عشر وسيدي احمد بن عبد العظيم بعد الشيخ سيدي الموهوب . وقرية أمُّولة(٥) جامعة لاهل الخير والفضل والعلم نفعنا الله بهم آمين ﴿ ومنهم ﴾ الولي الصالح سيدي عمر القموني(٦) واهل محله يعظمونه ويعتقدونه غاية التعظيم ولا ادري تاريخه نفعنا الله به آمين ﴿ ومنهم ﴾ الولي الصالح والقمر الواضح له بركات وظاهرة احواله باهرة واسراره مشتهرة سيدي الصادق ضريحه في الوادي معلوم يزار

(١) في نسخة تلقيت — (٢) في نسخة قد ركز — (٣) في نسخة او سلوكا فاغْنَمْ تُفَدْ — (٤) في نسخة فان مات القلب من القساوه * هو الذي يحيى مع العنايه — (٥) في نسخة اصوله — (٦) في نسخة المقوني وفي اخرى القمرني

وهو من القرن العاشر اعني اواخره ولا ادري هل بلغ الحادي عشر ام لا واولاده رضي الله عنهم بدور اهلة واعلام اجلة كالفاضل الولي والصالح الولي والفقيه العلي سيدي يحيى بن الموهوب ومثله في الفضل سيدي محمد الموهوب وسيدي التواتي والفقيه سيدي يحيى بن الواثق وهو في غاية الفقه تلميذ جدنا وقد سمعت منه انه راى الشيخ خليل في النوم واخذ بيده الى ان وصل الى الصندوق المملوء بالكتب قال فاخذ منه كتابا واعطاه لي فوجدته الشيخ بهرام فعلمت انه اذن لي في مختصر الشيخ خليل ففتح الله علي بما لم يفتح على غيري وقد اخبرني عمي سيدي محمد الصغير اذ هو علامة زماننا انه كان يتعلم عليه المختصر وكان يقرىء من الاجهوري وانا وبعض الطلبة اعني سيدي محمد بن باب الملقب بلاوجه(١) [وهو فاضل محقق ايضا واولاده](٢) في ايدينا الشيخ عبد الباقي والشيخ ابراهيم فكان قدس الله ضريحه يحمل(٣) الشيخ المذكور ويهذبه ويحرره بان يترك المكرر منه كالشيخين بعده سواء بسواء الا في عين اللفظ ومآثر سيدي الصادق واولاده كثيرة وقلت فيهم

يا ايها الانسان فاعلم قدرهم * لانهم سحابة مع غيثهم
قد اخضرت اشجار اهل العصر * واثمرت فواكها بتمر
فهم كحصن مانع يلوذ من * لم الجناية بحق او ضمن
رحمتهم تعم كل بلد * وسرهم من سر فضل احمد
قد سكروا بحبه وقربه * فمنحوا من عزه وحلمه
فاسكنوا فلو بهم دار الوصول * بجذبة الاله صرفا بالحلول
في جمع الجمع بالتجريد * وسيفهم للقهر بالتهديد(٤)
بحليه الاله قد جملهم * وشرحه الصدر فقد زينهم(٥)

(١) في نسخة محمد امزيان — (٢) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٣) في نسخة يحصل — (٤) في نسخة في جمع الجمع حلوا بالتجريد * وريضوا القلوب بالتفريد — (٥) في نسخة بفضله حلاهم الاهنا * بحلية التجريد فازوا بالهنا

فانهم على الهدى من ربهم * ايدهم قدسهم عرفهم(١)
يالله رب عصمة منك لنا * هداية امانة لمن دنا
بجملة الاشياخ والاباء * وازواج والنسل بالسراء
وآخذ العهد وكل طالب * ترزقنا عافية يا غالب
مع التجلي دائما على القلوب * بركة معرفة لمن ينسوب
من احباب وجيران مع الخدام * وكل ذا لنسلنا على التمام(٢)
ثم الصلاة والسلام كالمطر * على النبي دائما كمن حضر

نفعنا الله بهم آمين *(ومنهم)* محيي الفنون ومجدد العلم والدين * بعد اندراسه على التعيين * المتصف بعلم اليقين * اتقى المتقين * بل انه انشرب من عين اليقين * حتى صار من اهل التمكين * علامة زمانه * وقدوة اوانه * بركة الاوائل * قد زحلق واخر لقابل * لحكمة ربانية يعلمها مرسل صاحب الشمائل * الولي الواضح سيدي محمد صالح كاد ان يجدد الدين في وقته وعلمه مشهور وفضله منشور توفي في القرن الحادي عشر ضريحه معلوم يزار في قرية اجلميم من عرش بني اجمات من عرشنا بني ورثيلان وهو في غاية الصدق والوفا * وعن كل مشتبه او شبهة قد جفا(٣) * رحمه الله وقدس ضريحه * وافاض علينا خيره وربحه * ونور قلوبنا وقلوب اولادنا باليقين والتمكين * وحلانا بحلية المتقين * في كل تحريك وتسكين * وهذا الشيخ كان مدرسا للعلم قائما بامور الطلبة بنفسه مع قلة ذات يده ويهاجر من كل بلدة لاتاخذهم الاحكام اليه وقيل ليس على الاحكام الشرعية الا جيرانه بنواجمات من بلدنا فقد انتقل من قرية بيكني وسكن متين من بني عيدل وكانوا يمنعون الميراث ايضا فامرهم باعطائه وحرضهم على ذلك فلما راهم امتنعوا وتوانوا وراى هجرته واجبة وعلم منهم انه ان انتقل بحضرتهم يمنعونه فتركهم الى ان ذهبوا الى الزيتون زمانه بحيث لا يبقى احد في العمارة الا الضعيف او كبير

(١) في نسخة بدل الشطر الثاني ويرحم الخلق جميعا لاجلهم — (٢) في نسخة على الدوام — (٣) في نسخة خفى

السن فلما آن زمانه وحان وفته ذهبوا اليه فرفع زوجه وشئونه فوفع النداء من العمارة والصياح ليجتمعوا على الشيخ اذ لا فدرة لهم على فراقه فتسابقوا اليه من كل فج عميق ليمسكوه فلما الحوا على رجوعه وافامته معهم حلف ان لا يرجع اليهم الا بالرجوع الى الاحكام الشرعية وفد علم الله صدفه في ذلك فامتثلوا امره بجد وصدق فرجع فيهم على الاحكام الشرعية الى الان والحمد لله تعالى على ذلك وفد تحقق له الحديث فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ﴿ لطيفة ﴾ افول انما هاجر رحمه الله وفدس روحه لما علم عظيم عصيانهم وكبير جرمهم اذ بعض المواضع سالمة من ذلك وفد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه فال من فطع ميراث مسلم فطع الله ميراثه من الجنة ذكره ابن مرزوق في شرحه لفرائض خليل فاذا علمت هذا علمت انتفال الشيخ لوجوبه عليه وفد نص علماؤنا رحمة الله عليهم ان المعاصي اذا كثرت في موضع وفلت في آخر فيجب على العبد ان ينتفل لمحل فل فيه ذلك . واما عند عموم الشر فلا بل يلزم مكانه ويكون حلسا من احلاس بيته اذ رب موضع انتفل اليه اكثر مما انتفل عنه فيرجع الى الذي انتفل منه فيجده فد تغير ايضا ثم يرجع الى الذي انتفل منه فيصير كحمار الرحى فالموضع الذي انتفل منه هو الذي يعود اليه ذكر هذا صاحب المدخل والشيخ هذا الذي حمله فان فلت لو كان الشيخ هذا فصده لانتفل الى الجزائر او فسمطينة او تونس لان هذه الاوطان سالمة من ذلك فلت حب الوطن من الايمان كما روي عنه صلى الله عليه وسلم ولعله يتيسر له ذلك في بعض وطنه والسنة حب الوطن وفد يسر الله له ذلك والحمد لله وفد سكن مواضع عديدة ولعله يجد موضعا تتيسر له فيه العبادة ومن جملة ذلك صحة المعاملات وبفسادها يتكدر الوفت خصوصا على ما ذكره الشيخ زروق ان المعفود عليه يحرم بحرمة العفد والمذهب خلافه فالمعفود عليه لا يحرم بفساد العفد ﴿ انعطاف ﴾ نعم اولاده على طريفه من العلم والحلم والفضل والاحسان والادب والحياء والبركة رضي الله عنهم سيما الورع الزاهد المفتفي آثار النبي صلى الله عليه وسلم المتمكن في طريق الله عزوجل الجامع بين الحفيفة والشريعة فدس الله روحه

ولي ظاهر سيدي الحسين نجل الشيخ المذكور المتبع للسنة النبوية والشريعة المحمدية كادت اوصاف سيدي الخلق ان توجد فيه وقد تخلق بمعاني الاسماء والاوصاف الالهية ظاهره راغب في الدنيا وباطنه خال منها فالجاهل من الناس اذا راى حرصه في الظاهر يقول سيدي الحسين يحب الدنيا وليس كذلك بل الدنيا في يد العارف امانة والامين لا يضيعها وانما يترقب بها امر صاحبها او يردها لصاحبها ومن احاط علما بذلك فلا يتغير لفواتها ووجدانها لانها ليست له فان قلت ربما يتغير العارف على فقدانها ولا يتكدر وقته ما الحكمة فيه قلت العارف ان يتغير عنها اي بفقدانها ليس تغيره لاجل حبه لها وتعلق القلب بها اذ لو كان كذلك لما كان عارفا وانما تغيره لاجل تفريطه وتقصيره في حفظه اياها فتغيره راجع اليه والى معبوده ومحبوبه فكان بربه لا بنفسه فالعارف لا يزول اضطراره ولا يفر مع غير الله فراره وقد ذكر بعض اصحابه لنا ان الشيخ ذهب له ثور بان سرق له فلما اخبرناه بذلك تغير وتحير اشد التغير وغضب علينا اشد الغضب حتى ظننا ان الشيخ انما غيره حب الثور وحزنه لذلك وقمنا نبحث عليه البحث العظيم الذي فوق الطاقة فوجدناه مذبوحا في بني وجهان فرجعنا بقيمته لما علموا انه للشيخ فلما وصلنا اليه واخبرناه بذلك ليسر فغضب غضبا شديدا وتغير تغيرا عظيما اكثر من الاول بما لا نسبة له فقال من امركم بالبحث عنه هذا فضول منكم فالله صدقه علي فكيف لا ارضى بصدقته وانتم تردونها وتغيري اولا انما هو لاضاعة المال والله لا يحب ذلك فتغيرت لتغير الله وكان رضي الله عنه يطعم الطعام لليتامى والايامى من النساء والمحتاج كل يوم كانه وليمة عنده واخبرني الولي الصالح الاستاذ تلميذه سيدي احمد بن الحسين انه سمع من الشيخ يقول وجدت تحت الديار زيرين من ذهب ازال عنهما الستر السيل ازالة فهمت نفسي ان ترفعهما فمنعتها ذلك ورددت التراب عليهما فلما اخبرنا بذلك ونحن طلبة عنده فقلت له يا شيخي لو اتيت بذلك فان المحتاج عندك كثير فاجاب باني لو اتيت به وربما قالت نفسي هذه الدار لا تصلح وكذا الفرس ابن غيرها واشتر

اجود منها الى غير ذلك من شاني كله فلما علمت حالها كان ترك ذلك هو اولى بي واجدر والاتيان به امكر واغدر فتركت ذلك ولقد سمعت من البعض انه اتي له بمزود صغير من ذهب فقيل له ان اولياء الله يسلمون عليك ويقولون لك استعن بها فامتنع فقال اعطوها للشيخ سيدي احمد بن عبد العظيم فامتنع ايضا فاتوا الى بعض الصالحين في عروس فقال اعطوها لفلان فصاروا يترادونها الى ان رجعت الى هذا الشيخ فردها ولم ياخذها ومن كراماته اني سمعت العدل المبرز الصالح سيدي محمد بن الحاج العشباني ثم التفرغوني انه قال مرض الشيخ فذهبت لا عوده فلما وصلت الى غنمه واذا بالذئب معها قال فقلت للراعي اتترك الذئب مع غنم الشيخ فقال دعه فانه معها مدة طويلة يرعى معها قال فذهبت وتركته كذلك وكان رضي الله تعالى عنه يلبس المرقعة وذات ليلة ذهب لزيارة بجاية وذهب معه ركب كبير وصينه في الارض عال فلما وصلوا الى بني عبد الجبار عزم عليهم الشيخ يوسف بن مهنّا رجاء في بركة الشيخ واغتناما لدعوته اذ كان يسمع به من غير معرفة شخصه وكذا جل الناس فلما حان وقت الطعام جمعوا الناس ورتبوهم على حسب عادتهم فاقعدوا المرابطين وذوي الهيآت من الملابس الفاخرة على جهة وكان الشيخ بمرقعته معهم ولرثة هيأته قالوا له قم انت لا تاكل مع هؤلاء بل كل مع اوباش الركب واسقاطهم فقام من ذلك وقال والله حق ما تقولون ثم وقع النداء والصياح بان الذي قام هو الشيخ الذي صدر الاكرام من اجله فاكلوا عليه بالرجوع فامتنع فاكل مع من ذكر رحمه الله وقدس روحه واني سمعت ايضا من بعض اولاده انه قال كان ينهانا اذا سوغنا الخبز بالزيت او غيره عن وضع الخبز من جهة باطنه فيقول ان ذلك اضاعة للمال وانما يصلح وضعه من ظاهره اليابس اذ يحصل به المقصود من غير اضاعة المال وكان رحمه الله يصلح للتربية وتهذيب الاخلاق وقال والدي اني لزمته ولم يكن الخير الا منه فاغتنم بركته وصار في اتباع السنة والورع والتقشف اكثر منه وكان صديقا ملاطفا لجدي والولي سيدي يحيى ابن حمودي وسيدي علي الصافي وغيرهم فذهبنا اليه ذات ليلة فلم نجد عنده طعاما فلم

يتكلف شيئا بل اتى بخضرة الصحراء بعد طبخها وجعل عليها شيئا من السمن والزيت فلما اتى لنا بها لم يعتذر ولم يقل شيئا وقال الوالد والله لم يكن شيء احلى منها عندهم اذ لولا الحياء لاعتركوا عليها قالوا واتينا مرة اخرى فاتى لنا بزير من عسل فوضعه بيننا فعلمنا صدق الشيخ واخلاص نيته وسمعت ايضا انه اتى لزيارته فرحات باي وعادة البايات يزارون ولا يزورون وان اعتقدوا احدا بعثوا اليه ليزوروه في محلهم خوف الازدراء والنقص في حقهم فلما وصلوا اتى لهم بخبز واظنه من شعير فكسره في الزيت وشيء من التوابل يقال له اجعجوع والزيت لا ياكله الا الخماس والراعي ومن هانت عليه نفسه فاتى به هو الى الملوك ثم قام الباي لما اتى به الشيخ ظننا انه لا ياكله احد منا فلما بداناه حياء منه واكلنا منه شيئا وجدناه والله خيرا من سائر الاطعمة التي كانت في الدنيا ولولا الهيبة والحياء لتقاتلنا عليه وغير ذلك من اموره نفعنا الله به وقيل له اصلح بين القبائل الذين بينهم الفتنة فقال والله احمد الله واشكره حين عصمني الله منهم بحيث لا يمنعوني عن الصلاة في المسجد فضلا عن ان اصلح بينهم ومع هذا اذا كان العرس ركب فرسه ولعب بها للسنة النبوية وكانت والدة ابي من الصالحات شريفة كوالدتي ايضا وكانت تقسم الليل اثلاثا ثلث للصلاة وثلث للنوم وثلث للذكر وجدي كان عنده الزيتون وسيدي الحسن لا (١) فقالت فجعل حظا من الزيتون للشيخ تلتقطه بطهارة وتعصره بطهارة ايضا لتتم معارف الشيخ ونوره ولتغتنم (٢) بركته ايضا رحمه الله ونفع به واما اولاده فلا تجد فيهم ناقصا بل كلهم على الكمال وكذلك اولاد الشيخ سيدي محمد صالح جل احوالهم على الهدى وسيدي عبد الله من الصالحين وترك ولدين صالحين سيدي عبد الرحمن وسيدي احمد وهما مقترفان في السكنى وقد سمعت انه قال لي لما تحيرت من امر السكنى رايت قائلا يقول لي فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته الاية فسكن موضعا كذلك (٣) وهو المسمى اثروش مستندا الى

---

(١) في نسخة ليس عنده — (٢) في نسخة يلتقطه ويعصره وليغتنم — (٣) في ثلاث نسخ فيبكني موضع كذلك

الكهف كما راه في النوم كذلك فظهر له الفضل وولداه صالحان سيدي عبد الوهاب وسيدي علي قد قرات على سيدي علي الالفية حاصله اولاد سيدي محمد صالح لم يعدموا الفضل وان كان بعضهم اولى من بعض وكذا اهله اولاد سيدي محمد صالح من قرية بُيُكِّني كلهم على الفضل والعلم والحلم والخير خصوصا العالم الفاضل الخطيب المحقق في علم الكلام وقد سمعت ممن سمع من تلميذه سيدي محمد العياضي انه قال ان الشيخ قرانا عليه شهرا بتمامه من قوله فعلى العاقل الى الختم من غير تبطيل دائما الى الليل نصا واحدا وقد سمعت ايضا انه قال رايت الشيخ السنوسي في النوم يضرب براسي ويقول انت اولى بكلامي يا مسعود وهو العالم الفاضل سيدي المسعود بن عبد الرحمن آية من آيات الله تعالى وقد تزوجت بنتين من ولده سيدي السعدي وسيدي علي ولده محقق في علم الكلام غير انه لا يصل مرتبة ابيه وكذا سيدي محمد بن الفقيه محقق في الكلام فاضل صالح مشتغل بنفسه وقد اخذ عني الصغرى بأن قرأناها قراءة تحقيق بحاشية المحقق المراكشي وكذا اخذ مني الفقيه الفاضل العالم الاديب الحسيب (١) وهو ليس منهم فنبهنا عليه لانه من اجل الفضلاء وقد رأى الكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يحيى بن حمزة من احبابي وكفى به ومن الصالحين سيدي الحسين بن حمزة اذ اشتغل بربه ونفسه الى ان مات نفعنا الله بجميعهم ومن هذه الفئة الاديب سيدي محمد بن حَمُّو واولاده مثله ﴿ انعطاف ﴾ بقي واحد من اولاد سيدي محمد صالح سيدي علي بن محمد ظاهر الصلاح لا شك فيه اذ خصاله كلها محمودة ودعاؤه مستجاب كريم على الاطلاق اللهم ارزقه بذكر من صلبه يعمر محله بالعلم والسر والولاية والزهد والكفاف والعفاف نفعنا الله بجميعهم آمين بمنه وكرمه وقد قلت فيهم

جدوا حفايا ذا الفضل فيض احسانكم (٢) * اذ شهر انواركم تعطي لنا حلمكم

بفوت قربكم يهدي لنا دررا (٣) * وحق اكرامكم يحظي لنا غررا

(١) في نسخة الحبيب — (٢) في نسخة جودوا حفا ذوي فضل بفيض احسانكم — (٣) في ثلاث نسخ وشيء من قربكم

وكلهم اخلصوا الاعمال من حبـه * واظهـروا فضله كل على قربه (١)
ادلـة افمـر في ظلمـة مـن دجـى * وعلمهـم انـوار للصبـح منبلجـا (٢)
فانـهـم في انهـار العلـم يلتقطـوا * مـن در عرفانهم فالكل ينبسطـوا (٣)
قد ركبـوا من مطايـا العزما وجدوا * وحازوا سبقا مضى في كل ما شهدوا (٤)
بالفضل منهم زالت رعونة الانفس (٥) * بتمكيـن الله حقـا غيـر ملتبـس
ونورهـم بالتقـى فغيـر منعكـس * وجـدهـم بالوفـا فغيـر منتكس (٦)
فاسلموا حالهـم في ايدي رب المـلا * وخلـوا حقا لهم في كل ما يبتـلى
فرفعـوا جملـة لكل من قد اتـى * بحضـرة العز سعيـا ليس من قد عتـا
عن جادة وطريـق الحـق مشرفـة * قد عد ذو الفصر حزما كل مقصورة (٧)
ومد كلا من الممـدود فيمـا عـلا * وساروا من سرها يدنون من حوقلا (٨)
فازالـوا حجبـا عـن كل مستـورة * فراوهـا عيانـا في كـل مرئيـة (٩)
فمنهـم احـد مؤيـد مـن سمـا * ومنهم من سلب العقـل ليس عمى (١٠)
فاذهبـت قـوة لكل ذي صحـة * واحزنـت جـذلا لكل ذي قـوة
وحركـت ساكنا بسطـوة الهمـة * وطيـرت ارواحـا بريـح عاصفة (١١)
وحيـرت ثابتـا بكل ما قد دهـش * فابصرت جاهلا بكل ما قد خدش
حتى اوتوا كلهم حكمة رب العلا * وصيـروا آمنـا في ذروة قد خلا (١٢)

---

(١) في نسخة فضله من سطوة قربه — (٢) في نسة وعلمهم مثل نور الصبح — (٣) في اربع نسخ من درر عرفان — (٤) في ثلاث نسخ قد ركبوا مطايا من عزما وجدوا * وحازوا سبقا ايضا في كل ما شهدوا — (٥) في اربع نسخ فازالت منهم رعونة الانفس — (٦) في نسختين وجدهم بالعز وفي نسخة بالعز جدهم ع غير منتكس — (٧) في نسخة جزما وفي اخرى كل مقصدة وفي اخرى اذ بالخيرات يفوز تابع السنـة — (٨) في نسخة وصاروا من سرها يذوقون من حوقلا وفي نسخة يدنون اعلى الملا — (٩) في نسخة ازالوا حجبا جمّا عن كل مستورة * فريئت عينا لهم في كل مرئية — (١٠) في نسخة فمنهم آخذ من يد من قد سما وفي نسخة ومنهم مسلوب عقل لاجله قد هـام — (١١) في نسخة وصيرت رائحا بريح عاصفـة — (١٢) في ثلاث نسـخ في درة وفي نسخـة قد منحوا منذا يا خسر من قد خلا

سواهم معدوم ولن يروموا فلى (١) * لمخلوق ابدا خصوصا من فد ضلا
فد عم وبلهم تحفيفا من بي الوطن * وكلهم بالرضى من ربهم مؤتمن
عزهم محبوب بكل ما حففوا (٢) * واعلنوا صدفهم بما به وبفوا
واظهروا مظهرا لنوره كل ما * فد ضاق منهم رحب بناؤه فد سما
من صغرهم اجادوا بحففوا ما اتوا (٣) * من اوصاب الى غير انهم بغنوا
رضى المولى عنهم بي كل مسألة * سم الخياط اتى اوسع دائرة
دمهم شيم يطبي اشتعال نار * احوالهم بي الوغى تود سخط جار (٤)
يا رب جد سيدي فبل نزول العذاب * بحق من فد سما بي كل منه انتساب
وان تعبو رجلا (٥) يرعى خواطركم * لعل من نبحة ارفى بها اليكم
وجد لنا بالرضى والبوز بالمفعد * للنسك متصل والكل بي مصعد
بي جنة الخلد حفا منه ان ينظروا * لوجهه بالرضى مع منحه اعتبروا
للوالدين وللبنين مع من احب * من اخوان وجيران حق من افترب
علافة الازواج (٦) وكل من انتمى * من اشياخ آخذ من طالب النعما
ثم الصلاة على محمد ما بي السما * كذا السلام عليه ماجدا ابخما (٧)
وآله شربا وصحبه حججا * ما دام شمس النهار تفطع الابرجا

ومن اولاد هذا الشيخ نبعنا الله به آمين سيدي علي بن محمد حي باضل ذو ظن وحب بي الله وبي كل منتسب اليه اباض الله علينا من بركاتهم آمين ﴿ومنهم﴾ الشيخ الباضل العالم كبير السن عظيم الشان سيدي علي الصابي من ذرية الولي الصالح سيدي موسى وسيدي علي هذا ادركناه كان عابدا افبل على مولاه ضريحه بي فريته

---

(١) بي نسخة من سواهم — (٢) بي نسخة من عزهم — (٣) بي نسخة اوتوا — (٤) بي ثلاث نسخ بما هم شيم وبي نسخة بي الوغى تريك — (٥) بي نسختين واجلات (٦) بي نسخة وللازواج لنا — (٧) بي نسخة ما جرى باغما وبي اخرى ما سار بي السماء نجما

واما جده فضريحه عند بني ابراهيم معظم قبره يزار واولاد سيدي علي هذا افاضل الى الان وهم على خير الى قيام الساعة ان شاء الله نفعنا الله بكلهم آمين ﴿ ومنهم ﴾ الولي الصالح والبدر الواضح سيدي السعيد بن الحبيب ومن قرابته الفاضل الصالح سيدي يحيى بن الحبيب وكذا من حلاه الله بحلية القبول وقد غلبت عليه صحبة الرسول من الله بفضله قريب سيدي عيسى بن الحبيب وقد ادركته صغيرا وكان عالما فاضلا كريما مهد الله له خلقه ونصره على ملوك زمانه بحيث لا يتعدى الغالب منهم كلامه وقد كان صغيرا طالبا عند الشيخ سيدي الحسن واشار بولايته وكان اذا اراد ان يذهب الى بيته يعطي له فرسه يركبها دون سائر الطلبة فيل له في ذلك فال عيسى مرابط وكان كذلك لان انفاس سيدي الحسن ما كذبت قط وسيدي عيسى هذا اعطي من الحلم ما لا يمكن ان يعبر عنه وكذا كرمه وقد سمعت من عم ابي قال اني بت عند سيدي عيسى هذا ليلة فلما حان وقت صلاة الفجر واذا بالشيخ يقول ارايت بني يعلى فقد انكسروا واصابتهم جائحة الفتنة وكان الامر كما ذكر وقال ان بني احمد ايضا قد اتاهم ذل و فتنة عظيمة وسببهم الشيخ الفلاني الذي حرمه الله من نعائم الدنيا اذ كان يصوم الدهر كله غير انه من العرفاء [اعني عليا ابن جني اذ قال صلى الله عليه وسلم اكثر العرفاء للنار واما قليلهم فللجنة والعرافة المشيخة](١) وقال ايضا ان جميع الرؤساء من الشيوخ اتوا اليه وكل واحد يسره بكلام فاذا قام قال لي يا سيدي ابا القاسم الشريف كل واحد من هؤلاء الى النار الا واحدا اتاه من الشيوخ كلم الشيخ بالجهر ورفع الصوت بين يديه والشيخ كالمغضب عليه فلما انفصل عنه قال هذا من اهل الجنة يا شريف والشيخ هذا [هو عبد الرحمن بن احمد بن اقدس](٢) حاصله كلما قال كان الا ان البعض في حياته والبعض بعد موته وهو نفعنا الله به يحب الاشراف غاية المحبة يعمل بقوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في

---

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٢) في نسخة مقداش او مقديش وما بين القوسين ساقط في نسختين

القربى وقال صاحب المواهب اللدنيـة من المعاصي التي لابد ان يعـذب عليهـا بغـض الاشراف واستدل بقوله تعالى قل ان كان ءاباؤكم وابناؤكم واخوانـكم الى قوله احب اليكـم من الله و رسولـه وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني نفى الهداية عن هذا الفاسق وهو مبغض الاشراف فكان حينئذ الغضب قطعا وهذا سيدي عيسـى نصره الله على الخلق زمانه وقد قال بعض العارفين اذا كان المرء عبدا لله تعالى ان اظهره نصره وان اخفاه ستره اذ عبد الظهور عبد الظهور وعبد الخفاء عبد له واللائق ان يكون عبدا لله تعالى اظهره او اخفاه غير ان الاخفاء هو الكثير اذ الظهور هذا من اوصاف الاله سبحانه لا يشاركه فيه احد غيـر ان الخلـق عيال الله فلابد من احد يصلح شانهم وشنآنهم وذات البين طوبى لمن كان كذلك فيظهر الله بعض عبيده لذلـك بان يخلفهـم لمصالح خلقه ويكسوهم من هذه الملابس لتبدو هذه الحكمة النورانية والفائدة الروحانية ليصح نظام العالم الصمداني وليتم الوعد الرباني وسيدي السعيد هذا له قبران قبر عندنا وقبر في برباشة(١) والمدة بينهما نحو مـن مسافة يوم بالاحمال المثقلة في الايام القصار او نصف يوم في غير ذلـك ولما تنازعـوا عـلى دفنه وكل منهما يسرقه ليلا فيقظ الله كلهم فوجـد كلا الفريقين الشيخ في قبـره فحصـل المقصود للكل والشيخ سيدي السعيد تاريخه من اول الحادي عشر واولاده وقرابته على الفضل والخير نفعنا الله بهم آمين ﴿ ومنهم ﴾ سيدي ناصر الخلفي كان فقيها مفتيا حافظا للانقال وهو من قرننا هذا ومن الحادي عشر معاصر لجدي والد والدي واولاده على الفضل والحلم والعلم والحمد لله نفعنا الله بهم آمين ﴿ ومنهم ﴾ سيدي احـمد بن سعيـد ولي معظـم عند بنـي عفيف ضريحه مشهور يزار واولاده افاضل على الخير والطاعة ومن اولاده محب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه به الشغف القوي من اجله حتى ظهر ذلك للعامة والخاصة بحيث لا يشك احد في ولايته وهو من قرننا هذا من الحادي عشر وهو سيدي علي بن حصانة نعم الزوا

---

(١) في نسخة في رياشة

وفقراء زماننا انتفعوا به اي انتفاع وسمعت من بعضهم انه قال الشيخ علي كان يجتمع مع رجال الغيب ويحضر ديوانهم والله اعلم وكان كريما اذا لم تاته الضيوف يبعث اليهم اذ مهمى ابطؤا عليه ضاق وحزن وان اتوا اليه سر وفرح وقد سمعت حكاية عنه ان صحت وهي مشهورة لدى العامة ونصها ان الشيخ علي الهاجري كان زمارا في الاعراس بان بلغ الغاية في صنعته بحيث يشترطه اهل الاعراس دائما فقد فاق اهل صنعته وهذه صنعة محرمة لان مثل زمارته تلهي كل اللهو على ما حكوا عنه ولو على قول ابن كنانة الذي يقول بجوازها ان لم تله كل اللهو سيما مع انضمام مفاسد اليها كحضور النساء والشبان والرقص وذكر الخدود والقدود فان كان كذلك فحرام فلا يقول احد بحليته ابدا اتى الى هذا الشيخ في حاجة عرس او غيرها فقضى الحاجة للشيخ على حسن المراد واذا هو عطفه الله عليه وقال ان مررت بمحل كذا من طريقك تمرغ بالموضع الفلاني فلما وصل اليه تمرغ فيه وكان قبله اجتمع الاولياء ديوانا هنالك فاثر فيه الحب لله بان صبغ حينئذ قال وبعد ذلك لا احضر الا عند رفع العروس لزوجها واما بعد فاذهب الى المسجد فاشتغل بالصلاة والعبادة الى ان يطلع الفجر او ما شاء الله والناس يظنون انه هو الذي يرقص ويشطح ويغني وليس كذلك وانما خلق الله صورة شيطانية مثل صورته (مع انه لا اثم عليه فضلا منه) ودليله خلق الله الملائكة على صورة الانسان تفعل الطاعة ويكون الثواب للانسان فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الانسان اذا اغتسل من حلال يخلق الله من كل قطرة منه ملكا يعبد الله تعالى الى قيام الساعة وثواب ذلك للمغتسل او كما قال صلى الله عليه وسلم اي تفعل ما يفعل وهذا ان صح عنه فغير بعيد غير انه واقع والله اعلم ويدلك عليه اني صغير في بني عيدل فذهب كلب الى قبره فاستخرجه منه فلم يتغير منه شيء والمدة التي بين اخراجه واقباره سبعون او ثمانون سنة فالغالب من ذلك انه من الذين يحبهم الله ومن احبه فلا سبيل للارض عليه واحوال الشيخ كثيرة نفعنا الله به آمين وولداه على الطاعة والخير والحمد لله وقد ادركتهما احدهما سيدي ابراهيم وهو كبير السن والناس يعتقدونه ويعظمونه والاخر قد مات

وكانت طريقه كابيه سيدي محمد السعيد نفعنا الله بهم ﴿ ومنهم الولي ﴾ الصالح ذو الكشف الواضح سيدي محمد ومثله في ذلك مع زيادة في العبادة سيدي محمد(١) بن علي ومثلهما في ذلك او اعظم سيدي يخلف اذ كلهم في القرن الحادي عشر متعاصرون نفعنا الله بهم غير ان طريقهم مختلفة اما الشيخ سيدي محمد بن علي يتبع لسان العلم وكثرت عليه المجاهدة حتى اثرت فيه تاثيرا قويا اذ غلب عليه حال الخوف واما سيدي محمد امشالي(٢) فقد غلب عليه الجمال واما سيدي يخلف فقد كثرت عليه الخلوة والاعتزال بحيث اذا يقفي في موضع مرئي للناس جازوا عليه ولا يرونه اصلا وهو صاحب كشف عظيم لايكاد يخفى عليه امر كما اخبرني من رآه وصحبه وهو امي لا يقرأ وهو من المغرب ومثله ولده سيدي الطاهر في الخلوة والاعتزال ورؤية رجال الغيب وقوة الكشف واما امشالي فانه من بني يعدل اي بني جعفر واما سيدي محمد بن علي فمن بني يعلى واولاد الجميع على الخير والطاعة والحمد لله .

﴿ تتمة ﴾ اما سيدي محمد صالح فجده ابو محمد صالح الدكالي المعلوم واما سيدي احمد ابن سعيد واولاده فمن اولاد دراج لان طائفة من بني عفيف منهم واما سيدي السعيد بن الحبيب فمن وانوغة واما سيدي علي الصافي فلا ادري ذلك والله اعلم .

﴿ ومنهم ﴾ سيدي يدير الحاج فولي من اولياء الله تعالى شريف واولاده فحول وذوو فضل وعلم وحلم وعبادة منهم سيدي علي بن الطيب وسيدي محمد بن الطيب وغيرهما وسيدي محمد السعيد بن ابي القاسم وسيدي الموفق واولاده وغيرهم فهم اهل خير وعبادة وجد فيها وهم من بني يعدل نفعنا الله بهم آمين ﴿ ومنهم ﴾ سيدي محمد الشريف واولاده سيدي عبد الله وغيره فهو رجل صالح وهم قرباء لسيدي الصادق وانهم من بجاية وكذلك سيدي الصادق من بجاية ايضا ﴿ ومنهم ﴾ اولاد صالح فهم على الخير

---

(١) في نسخة احمد — (٢) في نسخة امشامي

والفضل والقراءة وهم من جبل عياض نفعنا الله بهم آمين ﴿ ومنهم ﴾ الولي الصالح والبدر الواضح سيدي يحيى بن موسى فقد ظهر امره ظهورا فاشيا يزار دائما وسيفه ماض لمن يتعدى على اولاده وذلك مجرب صحيح لايكاد يخفى على اوباش العامة فضلا عن الخاصة وقد علمت من اهل بلدنا ان دعاء سيدي يحيى بن موسى هو سبب الشر الذي اصابهم حتى افتتنوا ومات من جميعهم نحو الثلاثمائة من غير حق وانما هو امر الشيخ جار عليهم وهو من تلامذة الشيخ سيدي يحيى العيدلي وسببه انه ذهب للشيخ ليسرقه فدخل موضعا مختفيا واظنه موضع الدواب ظنا منه ان دار سيدي يحيى مملؤة بالامانات ولعله يتصل بشيء منها وهو ممن سبقت له السعادة والعناية فلا تضره حينئذ الجناية فبعد العشاء اجتمع الاولياء عند الشيخ على واحد من الاولياء مات لينظروا من يرجع في محله ومقامه ولما استقربهم المجلس وقرّبهم الانس سألوا الشيخ سيدي يحيى عمن يصلح فقال ايتوني بذلك الذي كان مختفيا فاطاعوه وعقدوا له ذلك فوصل من حينه لان الولي اذا اراد اغنى وقالوا ايضا عزم الولي اقطع من السيف وقال ابو الحسن الشاذلي نعم الرجل ابو العباس المرسي ياتيه الرجل البدوي يبول على ساقيه فلا يمر عليه يومه حتى يبلغه لله فكذلك عمل الشيخ سيدي يحيى لهذا الشيخ قيل انه لما رجع صبيحة تلك الليلة كان كل من لقيه من الرعاة او غيرهم قبل يده وطلب منه دعوة الخير بعد ان كانوا اليوم الذي قبل ذلك يتحاذرون منه ويتنافرون من اجله بالكَسي يحيى بن موسى والله سبحانه يفعل ما يشاء نفعنا الله به آمين وهو من القرن التاسع واولاده على القراءة واطعام الضيف والطاعة والفضل سيما العالم الفاضل الولي الكامل سيدي يحيى بن حمود(١) وقد قيل انه يجتمع مع رجال الغيب وانه يشتري لهم قدرا معلوما من الثياب وهو تلميذ سيدي علي بن طالب وهو طامة كبرى وكذا اولاد سيدي يحيى بن حمود سيدي ابو القاسم وسيدي

---

(١) في نسخة حمودي وفي اخرى حمودة

احمد كلاهما على العلم والفضل والكرم والنصيحة والاخلاق السنية نفعنا الله بهم ﴿ ومنهم ﴾ اولاد الغفاري (١) فيهم العمل والعلم والصلاح غير انهم قد انقرضوا فهم من اولاد سيدي عمر العجيسي ﴿ ومنهم ﴾ اولاد سيدي علي أمّدّاح ظاهر الصلاح ايضا وولد ولده فيه الفضل والقراءة والنجاح نفعنا الله بجميعهم آمين ﴿ ومنهم ﴾ الشيخ الولي الصالح العلامة الواضح سيدي محمد الصغير صاحب جد واجتهاد في العبادة اولاده وقرابته على الخير والطاعة والصلاح وكان رحمه الله تعالى يحب الاشراف حبا قويا بخلاف غيره وهو من الحادي عشر ﴿ ومنهم ﴾ الولي الصالح العلامة الفاضل والمحقق الكامل والنقاد الابريز سيدي علي بن عبد العزيز من ذرية سيدي الحسن الشاذلي كما كان بخط الجم الغفير والعدد الكثير انه من ذريته وهو نجل الشيخ الولي الصالح سيدي عبد العزيز الخراز اما قبر سيدي علي فهو في بني ابراهيم واما ضريح ابيه سيدي عبد العزيز فهو في الزاب اي في الصحراء وهو معلوم في بلد الدوس نفعنا الله بهم وكراماته ظاهرة واسراره باهرة صاحب العناية وقد سمعت انه اخذ علمه عن الشيخ الولي سيدي عمر الوزان القسنطيني وكان رضي الله عنه بنى دارا واسعة عظيمة بحيث لا يكفيها جذوع الارض والذي رآها يتعجب بما يكون به السقف وقد رأيت رسمها فلما كملت اصبحت الجذوع على الدار اي الفناطيس من جبل الزان(٢) وبيننا وبينه يوم كامل وقد عملوا ذلك من خرق العادة وقد رأيت المورد العذب لابن الجوزي بخطه واولاده افاضل على الخير والطاعة والحمد لله وهو من القرن العاشر اي اوله ولا ادري هل اخذ من التاسع ام لا نفعنا الله ببركته وجعلنا في زمرته آمين ﴿ ومنهم ﴾ الولي الصالح جدنا سيدي احمد الشريف نسبا اذ ثبت ذلك وهو الشريف الحسني والذي سمعناه من اعالي اسلافنا انه من شرفاء تفلالت واما مقره ومقر اوائله فمن بجاية وجدنا هذا نجل الشيخ سيدي علي البكاي وكانت له زاوية عظيمة وقد

---

(١) في نسخة الغفاري — (٢) في نسخة الزاب

سمعنا انه قدم بخمسمائة طالب ان صح وقد ثبت عن بعض الثقات من بني يعلى ان طلبة الشيخ في محله اذا قرءوا الحزب سمعوهم من بني يعلى يعني من مدشر الخميس وهو الكدية ومدشر الذراع وكان رحمه الله يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم والمحل الذي يجتمع فيه الى الان معروف بعلامة ظاهرة وقبره يزار وقد سمعت العدل الصالح بلا شك سيدي محمد الحاج حين بتنا معه ليلة الجمعة في روضته فلما اخذنا النوم واستولى علينا ولا ادري جاز الليل على النصف وهو الظاهر مع جماعة من الطلبة فاستيقظنا من النوم واتينا الى محل الافتراق(١) ثم ان بعض الطلبة سأله عن الحكمة في اتياننا نصف الليل وثلث الليل الاخير اولى فقال اعلمكم غير انكم لا تخبروا احدا الابعد موتي فعاهدناه على ذلك فقال لما نمتم واذا برجال الغيب يجتمعون الى ان امتلأ الموضع ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم وسيدي عبد القادر الجيلاني ايقظتكم والحمد لله على ذلك وقد سمعنا ان الديوان يكون ليلة الاثنين والجمعة غير ان الاثنين بالشيخ سيدي عبد القادر وليلة الجمعة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولما بنى داره قال لبانيها ارسل نفسك من غير سلم فابى فقال له والله لو ارسلت نفسك لوقعت في الكعبة وقد سمعنا ايضا ان من بات عنده في روضته سبع جمعات متواليات قضيت حاجته اي حاجة كانت دينية او دنيوية ومن كراماته ان سيدي محمد الجوادي اعني الذي كان في صدوق المشهور ولايته اخذ عنه وكان شيخا له فلما قربت وفاته قال له اذا مت من اشاوره بعدك فقال له انا قبل و بعد فلما مات كان الامر كذلك فصار يكلمه من قبره الا مرة واحدة اتى اليه ليشاوره في امر فنادى الشيخ على عادته فلم يستجب له اي لم يجبه فبكى من ذلك وظن ان المانع منه فمكث غير بعيد وناداه مرة اخرى فاجابه فقال له اين كنت قال كنت عند الشيخ سيدي يحيى كان غائبا امدا طويلا عن الارض فلما رجع ذهب الاولياء اليه فذهبت اليه وكان ولده سيدي يحيى في مجانة .

---

(١) في نسخة الافتراء

[اما بنو عشاش من بقية عبيد جدنا وقد خرجوا عن طاعتنا وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرجت طائفة باغية من بني ابراهيم وهي وسر واولاد الخلف ومن(١) اراد الحرابة والزنى والسرقة فليتحصل بهولاء العروش اخلى الله منهم الارض وقد اعانني فيهم المجاهد في سبيل الله القامع للمتمردين سيدي احمد باي اذ نصرني واعطى(٢) امر المحلة في يدي واحرقت اولاد الخلف وقرية وسر وسكانها وبني عشاش وفي تلك السنة جعلت عليهم وامرت الخليفة ان ياخذ منهم مائة وسبعين الى ان يتوبوا لله ولرسوله ويرجعوا الى الاحكام الشرعية ازال الله منهم ذلك ولنرجع الى ما كنا بصدده وكان جدنا سيدي يحيى في مجابة](٣) . باهله مكث فيها عشرين سنة وكان يركب معه من مماليكه ثمانون عبدا فارادوا غدره فقال الشيخ له قل لولدي يحيى انت نائم وارادوا قتلك وانا الذي ايقظتك حتى ركبت فرسك ونجوت منهم وكان يقول ان يحيى يحيى الدار ثم بعد ذلك رجع الى وطنه لما قضى(٤) الله امرا كان مفعولا وكانت عنده بغلان كل واحدة منهما نسخت التوضيح وقد سمعت سيدي الطاهر الشريف انه قال احد المنسوخين في ملال(٥) الى الان وكانت عنده خزانة عظيمة بحيث لا توجد عند غيره ولما سلط عليهم الوباء ولم يبق الا ولدان صغيران ضاعت الكتب والاملاك البرانية التي في بني عبد الجبار وسلالته اولاد عيسى بن عبد الله فان بقية منها في الزاوية(٦) وادعوا بعد ذلك انها لهم نفعنا الله بهم ومن اولاده الفاضل الكامل الفقيه الورع سيدي الحسين جدي اذ كان مدرسا دائما يحفظ الشيخ سالما ينسخ منه كل ليلة نصف كراسة في الفالب الكبير اخبرتني بذلك زوجته والدة ابي وهو يدرس الى ان مات وكان يفتي ولا يقبل الهدية من احد وكان النبي صلى الله

(١) في نسخة من بني ابراهيم وهي قرية واولاد الخلف لمن اراد — (٢) في نسخة واعظم امر المحلة في يدي — (٣) ما بين القوسين ساقط في نسختين وفي نسخة موجود بين قوله قضى الله امرا كان مفعولا وقوله وكانت عنده بغلان — (٤) في نسخة رجع الى وطنه الى ان قضى الله — (٥) في نسخة ملال وفي نسخة مملان وفي اخرى فعال — (٦) في نسختين ومسألته واولاد سيدي عيسى بن عبد الله ان بقيت في يد الزاوية

عليه وسلم هو الذي امره بالڢتيا على لسان بعض من يراه يڧظة من المحبين له وكذا والدي ڢي غاية الاتباع اكثر من ابيه تؤخذ السنة من كلامه ومن اڢعاله ڢالمدخل والشيخ عبد الله بن ابي جمرة وابن عطاء الله والشيخ زروڧ امامه وڧد علمت من جعل واحدا منهم ڧدوة كڢاه وكڢيڢ بالجميع ڧلت وڧد اخبرني بان ڧال رأيت جدي هذا ڧال ڢڧلت له اعطني سرك ڢڧال سري مڧسوم بين اولادي ولا ادري هل زاد له وانت لك الحظ الواڢر ام لا نڢعنا الله بهم آمين «ومنهم» الولي الصالح سيدي محمد بن علي اذ كان هو المتصرڢ ڢي الاوطان باذن من له الحكم من بجاية وهو الذي مسك جدي ڢي هذه البلدة وزوج بنته له وهو الذي امر الناس بان بنوا له وهم بنو يعلى ڧيل انه هو الذي تسبب ڢي ازالة الميراث بان كانت البلاد ڢي ايدي الخوارج ڢلما حاربوهم وڧاتلوهم اجلوهم من بلادهم ڢبڧيت ڢي ايديهم ڢجعلها للرجال ڢڧط ڢلما سمع الشيخ الڢڧيه الولي الصالح سيدي محمد بن مصباح انكر ذلك انكارا كليا وڧال الشيخ يبڧى هذا سنة الى ڧيام الساعة ڢڧال الذي ڧاتل هم الرجال ڢالان لهم ويكون بعد على ڢرائض الله تعالى والحڧ ما ڧاله الشيخ ڧدس الله روحهما ونڢعنا بالجميع بمنه وكرمه «لطيڢة» ڢان ڧلت وكل ما ذكرته من الاولاد على خير وڢضل وعلم وحال وحلم مع ان ڢي ذلك امورا لا تليڧ واكثرهم على المخالڢة والبدعة بل ربما زادوا على ذلك (١) ڧتل النڢس بغير حڧ ڢما وجه صنيعك ڧلت الامر كما ذكرت غير اني ڧصدت امرين احدهما الستر على سبيل الجملة لانك اذا سئلت عن ڧوم ڢيما بينهم وبين الله ڢڧل هم بخير خصوصا اولاد الصالحين وايضا اردت زيارتهم بالثناء عليهم ڢهم احياء ڢي ڧبورهم ومن ذم ولدك وانت تسمع تغيرت عليه واذا تغيرت لا ينتڢع منك من تغيرت عليه وايضا مرادي من كان على طريڧ الجد المذكور والابن الخارج عن نمط الاب ليس بابن ڧلب لان ولد الڧلب يرث

---

(١) ڢي ثلاث نسخ ربما زاد الى المجمع (واڢي نسخة الجميع) عليه سيما ڧتل النڢس

الباقي وولد الصلب يـرث الفاني واذا كان ولدك على طريقك فانـه يرثهمـا معا وان كان ولد الصلب فانه يرث الفاني فقط وبالجملة فاني ذكرت اولياء الله في وطننـا ولعل الله بذكرهم يزيل الحجاب عنا ويرزقنا الوهب الرباني لي ولذريتي ولمن تعلق بي وان يحفظني من العوائق عن الوصول الى الله وان يجمع شملنا ويرزقنا ما رزق به اهـل وده وليـس ذلـك الا بالتسليم لهم مع محبتهم وكذلـك بالتعظيم لاولادهم لقوله تعالى وكان ابوهمـا صالحـا قيل الجد التاسع ونسبة المفضول للكامل من باب نسبـة ما للجزء للكل مجاز كما ذكر(١) اه «(انعطاف)» بعد ذكر اهل وطننا فان فيه زيادة وتنبيها على بعض اوصافهم الحسنة لتزداد النفس رغبة فيهم ورجاء ان تكون همتك كهمتهم وان الرحمة تنـزل عنـد ذكرهم .

فلما حان السفر وآن حالة ذكرنا بعض ما ورد ذكره وصلينا الصلاة الواردة وختمنا بالصلاة في المسجد ثم اتينا اهل البيت والخدام والطلبة والجيران ومن اتى يودعنا ودعوا لنـا ودعونا لهم وعند ذلـك رفعنا ما يحتاج الرفع وانفصلنا على حسن الانفصال ووقع البكاء والصـراخ من اهل البلد لما كان من انسهم بنا اذ اعتقادهم ما دمنا معهـم لا يقع بهـم الا الخير والبركـة وكل ذا بعد التحيـل على المنع من السفر اصلا ورأسا فلما امتنعـت كل الامتنـاع لم يبـق الا الصبر والتسليم لله في حكمه وابرامه وقدرتـه وارادته وعلمـه لان القلـوب قد تعلقـت بالمصطفى صلى الله عليه وسلم فسهل عليهـا الفراق من اجل ذلـك قال تعـالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم الاية فاذا كان النبي اولى من النفس فكيـف يبقى التعلـق بالازواج والذرية والمال بل المتروك كالعدم بالقيـاس الى المطلوب الا ما الزمتك به الشريعـة من الوصية على الاولاد والنفقة على من تلزمك نفقته لان الذي ذهبت اليه هو الذي الزمك بها فلما جهزنا الامور ٭ ووفينا المسطور ٭ اخذنـا في الظعن والذهاب ٭ ومع ذلك كثر من

---

(١) في نسختين ونسبة الفضل للكلي من باب نسبة ما للجزء للكل مجاز لما ذكر

الناس الارتفاب * وبعضهم لاربه وبعضهم لزوال الارتياب * فاكثرها بالاحالة ان شاء الله على الاياب * فحينئذ نمشي خطوة بعد خطوة مع التوديع جملة وتفصيلا وقد قلت

حقي على الاوطان بالرعايه * وحقهم علي بالهدايه
ما اصعب التوديع للاحباب * وعنده بالحزن واكتئاب
وكل نفس تزعج للافتراق * لفقدان المالوف باختناق
حبيبكم يقول منه قد رجع[1] * وسمه للعظم منكم قد قطع
فالعين قد تبخل[2] بالدموع * والكبد محروق من المودوع
دموع يخشى عليه منذ فرق[3] * كالمجنون المصاب حقا بالقلق
ونفسه كانها في النزع * وقلبه منصدع بالروع
فاشد النيران نار بافتراق * لعمركم قد هبت[4] نار باحتراق
فتحويل الوجه عن[5] الوداع * بشدة يرجع بانصداع
ايتها النفس تحملي واصطبري * لتوديع الصحب خير وخير[6]
فموتهم احلى بالانفاق * وسيرهم يسير بارتفاق
لاكنه الحبيب منك قد نسخ * ما قد عسى يكون مما قد رسخ[7]
بل حبه اشغلكم على الدوام * فانه غيبكم عن الالام
فلم ترض الارواح غير من قصد * ولم تسع لغيره مما تريد[9]

---

(۱) في نسخة حبيبكم اليوم منه وفي نسخة حبيبكم يومل سنة — (۲) في نسخة تهمل — (۳) في نسخة يغشى وفي نسخة دموعي وفي اخرى عليه متدفق وفي اخرى دموع غاشية عليه قد فرق — (٤) في نسخة فاشتدت النار ان بافتراق * لعهدكم وفي ثلاث نسخ هانت نار وفي نسخة هابت او هافت — (٥) في نسخة عند — (٦) في نسخة لتوديع المحب وفي اخرى ايتها النفس بالله فاصبري * لتوديع المحب وكل خير — (۷) في ثلاث نسخ ما عسى ان يكون — (۹) في نسخة غير مقصد ولن تسعى لغيره مرتدي وفي نسخة ولم تسع لغير ما تريد

وان طال العهد عن المودوع * ولم يضرنا هذا المنبوع (١)
وكيف ذا منا لنا مما ذكر (٢) * من اولياء وصلحاء قد يعتبر
قناء محبوب من الارسال * فانه الكل بالابتهال
بجاهه وجاه من زبرته * من عالم وقاضل قيدته
بنصيب وحظ (٣) منه واقر * وعودة عديدة وناصر
على الذي احييته من سنة * وانشرن لواءها بعزة (٤)
على ساق الجد تكون قائمة * مع شدة الحزم تكون دائمة (٥)
بحفه مما بنا قد اعتلق (٦) * من اولاد ومن بنا قد انتسق
خالدة تليدة لا تنزع (٧) * كلية العلوم حقا تتبع
من ابناء وابناء الابناء * لغابر الدهر من اولاء (٨)
واغفر لنا ربنا ثم الوالدين * واخوان وجيران والمسلمين (٩)
ثم الصلاة والسلام ما طلع * شمس ونجم في سماء قد سطع (١٠)
وآله وصحبه ذوي التقى * والزهد والعلم ومن قد ارتقى

نعم خرجنا يوم الخميس لما فيه من التيمن والبركة * في كل سكون وحركة * كما روي عنه صلى الله عليه وسلم ثم بقينا كذلك على التوديع الى ان غربت الشمس بل الى صلاة العشاء والناس تقدم الينا لتذكرنا الانفصال * والافتراق والانتقال * فحصل مبيتنا في بني حافظ *

(١) في نسخة هذا المنزوع وفي نسخة فلم يضرها من هذا المتبوع وفي اخرى عن الموعود — (٢) في نسخة لما جئنا مما ذكر في نسختين ذا لما منامما ذكر — (٣) في نسخة اجعل لنا نصيبا — (٤) في نسخة وانشر لنا لواءها — (٥) في نسخة الجد كي تكون — (٦) في نسخة التصق — (٧) في ثلاث نسخ خليدة وتنتزع وفي نسخة خالدة تليدة تكيدة — (٨) في نسخة من الابناء وابناء الابناء الى غابر — (٩) في نسختين كالمسلمين وفي نسخة واغفر لنا الهي — (١٠) في نسخة في السماء

فودعنا كل حبيب وعدو ورافض(١) * هذا وان اولي القربى من اهلنا الاشراف * حصل منهم اللطف والالطاف * وقد قاموا بمن نزل بهم بحق الضيافة * وبات عندهم اضعاف مضاعفة * كثر الله رزقهم * ومن كل بلاء حفظهم * فلما اصبح الصبح وتنفس * اخذنا في الرحيل امننا الله من كل باس * وظعنا من تلك القرية مودعين كل فاضل وعشير وعشيرة وعترة وانفصلنا عن الافاضل وغيرهم قاصدين بني يعلى فبلغنا محل المدرس الفاضل * والعلامة الكامل * المحب على الدوام * المحقق الهمام * ذي الفضل والنجاح سيدي الحسين بن مصباح رحب الفناء * عالي السناء * شامخ البناء * كل خير منه قد دنا * وقد فرح بوصولنا واحضر الطعام * فاكل منه القانع والمعتر بالتمام * ووصولنا عند الضحى الاعلى * فكان محله الرفيع قد امتلا * بافاضل الخاصة والعامة من بني يعلى * ثم سالنا الله جميعا بقلوب خاشعة * والسن متضرعة * واجفان خاضعة * بلوغ المنى * والوصول الى مكة ومنى * وغير ذلك مما به الاعتناء * فودعنا بعد ذلك من يريد الرجوع * ثم بعد اخذنا في الطلوع * لدار قطب الزمان * وقمر الاوان * وولي على الاطلاق * وزاهد بالاتفاق * من يطالب رضى الرحمان * باتباع النبي العدناني * ناصح الامة * وناصر الجماعة * ظاهر البركات * سيدي بركات * فدخلت بيته * وزرت زوجته * نخبة تعلى * وهي صهرة لي * من الصالحات القانتات * الصادقات الصابرات(٢) * فلم تملك نفسها عند المفارقة * وهي بقدرة الله مشتاقة * فدعت لنا من صميم القلب * وخلوص اللب * وكذا اولادها ثم ودعناها ايضا * نطلب الله الرضى * فخرجت وما زلت اودع * الاحبة والمتبع * فمشينا تلك العقبة * فوصلنا قبر كامل من النقبة * ذي الهيبة والحيا * سيدي محمد بن يحيى * بخشوع وارتقاب * والدعاء عنده مستجاب * فصلينا الظهر عنده * طالبين رضاه ووده * وصلت تلك الجموع * فرجع المودع وذهب المودوع * طالبين الامان * وودعنا سيدي الحسين(٣)

---

(١) في جميع النسخ رافظ — (٢) في نسخة العابدات — (٣) في نسختين الحسن

ومن معه من الاخوان * فذهبنا الى زمورة فبتنا فيها ثلاث ليال * لتكميل ما خص من حالهم وحالي * وليلحق ايضا ما بقي من التالي * فخرجنا يوم الاحد * معتمدين على الله الصمد *

(وزمورة) كثيرة المياه * وارضها ذات زرع وضرع بلا اشتباه * طعامها جيد * وسوقها عامر مفيد * وفيها برج للنوبة من الترك * حفظها الله تعالى من اكبر المعاصي والشرك * وفيها قائد * ولاهلها سائد * بهم يظلم * وكيدهم في نحورهم دائم * يسعون ببعضهم بعضا قد اهلكوا ولم يكن من الله الرضى * وبسبب ذلك اضطرمت نار الفتنة * وحقت عليهم كلمة اللعنة * فليس يقبل منهم الاعتذار * لان القاتل والمقتول في النار * بانفسهم عذبوا * وبرايهم اصيبوا * ازال الله منهم هذه الاوصاف * ورزقهم تحف الالطاف * رزقها رغد * وخيرها مدد * وقال الشيخ سيدي علي ابن ابي زيد فيها فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون قليلة الاشجار * [كثيرة الإسفار(١) * واما بلدنا فهي قريبة منها على مسيرة اقل من يوم وبلدنا كثيرة الشجر(٢)] من زيتون وعنب وتين كثيرة الفواكه الا النخل والليم فليس فيها وما ذكرنا من بني يعلى وزمورة وطن واحد كثير الامطار والعيون ومع ذلك كثير المعاصي والبدع * وقل الحكم فيها وارتفع * وزاد لما ذكر فنساؤهم باديات مكشوفات * هداهم الله لحجبهن لانه من اعظم الافات * وانها كثيرة الثلج ومع ذلك يقولون انه زبل البلد ومهما كثر كثر الزيتون وزمورة علمها قليل * وجهلها جليل * كثيرة اللهو واللعب * نائية التواضع والقرب * قل فيها الاعتبار * والزاهد في هذه الدار * والشارب من كاس الحب بالاكثار * وفيها من اجل الطلبة وافاضلها من قل ان ياتي به الزمان * ويسمح(٣) به الاوان * فاضل على الاطلاق * ومحب بالاشتياق * مشارك الفنون * اديب متمكن في المعالي فحلا في العيون * ومقبول عند الوجوه * له

---

(١) في نسخة الاسعار — (٢) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٣) في نسختين يصلح

طلاوة وحلاوة بما لا يعنيه لا يفوه * ولي ان شاء الله عن كل ما يشين بعيد * سيدي محمد السعيد * ومثله بل زاد عليه حسن الخلق * الفائز بتادية الحقوق * سيدي محمد بن عبد الله ومثلهما سيدي المبروك الشوثري فانه امثل اهل زمانه كثير الحفظ الا انه لم يستمد من الاشياخ وهو انسب من غيره فتح الله عليه وكذا سيدي الطاهر الشوثري فقد رأيت رسومه فلا باس بها وفيها الفقيه المسن ذو الاخلاق العلية والاوصاف السنية سيدي احمد الشوثري وقد انتقل وتركته متوطنا فيها وفيها سيدي علي بن الطيب فقيه حافظ للانفال * وفقه الله وايانا الى صالح القول والاعمال * وغيرهم مما لا نسبة له من العلم وان قلّت .

ثم مشينا من زمورة صبيحة الاحد ومع ذلك خرج معنا جموع من الناس فمنهم من وصل الى اطراف العمارة ومنهم من وصل الى قرب الوادي ومنهم من وصل الى عقبة زمورة وكلهم محبة في الله و رسوله صلى الله عليه وسلم وامة محمد بخير فلابد لهم من المحبة وهي على قدر الايمان ومنهم من ذهب معنا الى اولاد يحيى فوصلنا قرب المغرب فلما سمع شيخهم وهو الفاضل الشيخ ابن عثمان فقام بضيافتنا واحسن واكرم الحجاج واطعمهم في بيوت الشعر الا انها بيوت المستقر(١) وقربهم(٢) وانسهم وتادب معهم فلما تنفس الصبح * اتانا واياهم بالربح * اخذنا الطريق * وودعنا من بقي من الرفيق * وهو سويد اللب * وولد القلب * سيدي محمد بن عبد الله ومن معه من اصحابه ومن معنا من المحبين من اولاد سيدي احمد بن التواتي وصاروا الى بيوتهم مُنيبين * والى بيت ربنا كنا متوجهين * الى ان نزلنا عند قائد العزلة في وادي بوسلّام * وقام بضيافتنا بالاكرام التام * والبسط العام * الشيخ ابن جود(٣) ثم ظعنا صبيحة يوم الثلاثاء الى ان وصلنا الى قصر الطير * فحططنا به الرحال مع الغير * وتلاقينا مع الحجاج * ومن يريد الزيارة بلا احتجاج *

---

(١) في نسخة وامعن بيوت الشعر الا انها بيت المستقر وفي نسخة واعطى بيوت الشعر وقربهم وفي نسخة واطعم وهم بيوت الشعر لانها اطيب المستقر فلما تنفس الخ — (٢) في نسخة وقربهم فلما تنفس الصبح — (٣) في نسخة جودي وفي اخرى جودة

ووصلنا عند الظهر * وانثنى علينا وعليكم الباس والضر * فوجدنا هنالك ما كان كالشفيق * سيدي احمد الطيب واولاده وسيدي احمد بن حمود(١) واصحابه فكان ما رمناه بالتصديق * فاجتمع هناك فضلاء ونبلاء واولياء وصلحاء بالتحقيق * وكل يوم والحجاج تاتي من كل فج عميق * فلما اجتمعوا * واشتروا وباعوا * اهتموا بالرحيل ثم ان كل فاضل وعالم وذي خير وراغب من قصر الطير الا اتى الى الركب يزوره ويقتبس نوره الا ان فائده وشيخه الاول ابن يَلّس والشيخ احمد بن الصخري(٢) نجل الشيخ ابي عبد الله بن سعد بن السعد(٣) لم يرد الله بهما خيرا فلم يتكرم احد منهما بطعامه ولا بشعيره على الحجاج فانهم وفد الله ووفد رسوله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني حرموا فحرموا «(وقصر الطير)» بادية وهو من احسن الاوطان واكرمها قل ألاّ يكون فيه الخصب وعشبه اخضر ولو في الصيف والخريف وفيه مكان يقال له المرجة من حفر فيه مقدار ذراع وجد الماء عذبا سائغا شرابه وزرعه كثير وكذا ضرعه وبالجملة فخير هذا المكان منتشر مشهور واهل الخير فيه كذلك غير انهم من العامة واما الخاصة فلا غرابة في حصول الخير منهم حاصله هذا الوطن ينبغي ان يكون مدينة اذ جمع فاوعى نعم قل ان يشكر اهله نِعَمَ الله والاستقامة ايضا فتجدهم لا يدوم لهم الحال * ولا يستقر لهم النوال * بل يسرع اليهم التبديل والزوال * والسلب لاموالهم والانتقال * وقد قال صلى الله عليه وسلم لم يكن شيء اسرع بصاحبه كالظلم فان خرجوا من وطنهم تشبثوا وتعلقوا * وان رجعوا مكروا وتزندقوا * فسلطوا باعمالهم * واصيبوا باحوالهم * اللهم ارحم جميعهم واهدهم الى الصراط المستقيم ومن الافاضل اولاد الكتف سيما عوض ولدنا العلامة سيدي محمد الكتبي ومثله سيدي يحيى وسيدي محمد الزواوي وابن عمه سيدي محمد بن جد(٤) وسيدي محمد الصحراوي واولاد عبد الواحد فيهم افاضل واما الفقراء المخمرون بحب الله وحب رسوله لا يحصى عددهم من اولاد

---

(١) في نسخة حمودي وفي اخرى حمودة — (٢) في ثلاث نسخ السخري — (٣) في نسخة السعيد وفي اخرى الصد — (٤) في نسخة جدي

سي احمد واولاد الكنتي(١) واولاد الزعيم واولاد المداس وصاحب القبر المشهور في رأس الوادي نفعنا الله بجميعهم ثم ظعنا الى اولاد موسى بن يحيى وكانوا محاربين لا يمر احد على طريقهم وهم على ذلك الى ان سلط الله عليهم الشرحتى عاشرتهم(٢) مع حسن ظنهم فينا فامرتهم بترك ذلك ليكثر عندهم الخير فامتثلوا فافاض الله عليهم بكثرة الاموال وراوا الشيء عيانا فنزل الحاج في وادي رأس إسْلي عند العين في رأس الوادي وانا واصحابي مررت الى ان وصلت الى الوكة في ارض الحضنة لاولاد دراج اعني اولاد ناصر عند اولاد الشيخ الولي الصالح * والبدر(٣) الواضح * سيدي رَحاب محل العلم والحلم والفضل والادب والشرف * خلفا عن سلف * فقد زاد الفضل والحمد لله في الاواخر واستقربنا الحال في بيت الفاضل الفقيه سيدي عبد الله بن رحاب وكلهم فضلاء وادركت منهم الاخيار سيدي محمد الحاج ما رأيت مثله اصلا وسيدي عبد القادر وسيدي رحاب وسيدي محمد بن ابراهيم واخوانهم نفعنا الله بهم ﴿ ووصلنا ﴾ قرب العصر اليهم واقمنا عندهم يومين فاشترينا بعض الاجمال هناك واولاد دراج طائفة من العرب وقد رأيت في بعض الطرر انهم من ربيعة وكذا مقدم واولاد رحمة واولاد مخلوف(٤) فمهما طغت احدى الطوائف الا اغرمت الاخرى(٥) وبلد هؤلاء بلاد الصحراء وحرثهم على الحي اعني اودية تنحدر(٦) اليهم من الجبال اذ فيها اعين هذا غالب امرهم ويغلب على العامة منهم الجهل والجفاء والتعدي وهم اكثر من ان يحصوا وهم فرق وقد تحصل الفتنة بينهم فيموت الثلاثون والاربعون في يوم واحد وفيهم اهل الخير من العامة والخاصة لا ينقطعون وقد ادركت افاضل وصلحاء منهم اولاد العريب وولد(٧) الشيخ سيدي محمد بن ابراهيم والولي الصالح سيدي

---

(١) في نسخة الكنتي — (٢) في نسخة عشائرهم — (٣) في نسخة القطب — (٤) في نسخة وكذا مقدم اولاد رحم واولاد لخلوف وفي اخرى اولاد خلوف وفي اخرى باسقاط اولاد مخلوف — (٥) في نسخة فمهما طاعت احدى الطوائف الا خربت الاخرى — (٦) في ثلاث نسخ تتفجر — (٧) في نسخة اولاد

عبد الله بن صوشة واخوانه وهو حي الى الان واولاد سيدي الطيب بن صوشة واهله واولاد سيدي علي بن خلف الله واولاد سيـدي ابي الفضل النحوي والشرفاء من أنُور والشيـخ احليتم شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرى الشيخ عبد القادر مرارا وانه ولي من اولياء الله واولاده واخوانه واولاد سيدي غانم ﴿ فمنهم ﴾ سيدي ابن(١) القندوز واولاده سيدي محمد وسيدي احمد ما رأيت مثلهما اصلا سيما الكبير فقد فاق اهل زماننا وعلى نمطه ابنه سيدي محمد واخوانهم واولاد سيدي عبد القادر كلهم والحمدلله على خير واولاد سيدي عمر كذلك وسيدي عمر اهل وطنه زادوا فيه هيبة واجلالا لاولاد سيدي رحاب السابقين فقد سمعت ابن زيان انه قال راى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فسألـه عن الاشراف من فقال اولاد رحاب وما شابههم وكذا المرابطون من جبل بوطالب اهل خير واولاد سيدي عمر وغيرهم نفعنا الله بهم ﴿ وكذا ﴾ سيدي مبارك بن عمـار وسيدي محمد بن بوخالفة وغيرهم نفعنا الله بهم وافاض علينا وعلى اولادنا من بركاتهم آمين واولاد سيدي رحاب تزوجت بنتهم ثم ظعنا من عندهم والركب سابق الى مدكال(٢) فتبعناه وسيـدي عبد الله بن رحاب ذهب معنا الى الحج وذهبت بعيالي بنته و بنت سيدي السعد نجل الشيخ سيدي المسعود بن عبد الرحمن وزوج ابني محمد بنت سيدي عبد الله ايضا ﴿ فنزلنا ﴾ قرب بَرِيكَة(٣) وهي ارض طيبة وفيها نهر جار مثل النيـل(٤) وهي لسيدي مُحمد الحاج يتفاتـل(٥) عليها اولاد دراج بينهم ازال الله ظلمهم واهلك من ارادها منهم من غير رضى اولاد الشيخ وصبيحة تلك الليلة ظعنا الى ان وصلنا قرية مدكال التى امير الركب منها وهو الفقيه المحب الفاضل الكامل سيدي مُحمد المسعود نجل الشيخ سيدي الموهوب اسعده الله وجعل البركـة في اولاده وقرية مدكال فيها نخل ولم يكن من بلادنا نخل الا فيها ثم كذلك الى الزاب وهي قرية كبيرة

(١) في نسختيـن باسقـاط ابن — (٢) في نسخـة دكال وفي اخـرى مدوكال — (٣) في نسخة باركة وفي اخرى باريكـة — (٤) في ثلاث نسخ مثل الشـام — (٥) في جميـع النسخ يتقاتلون

فيها جمعة وعين عظيمة عند رأس البلد وفيها تضع العرب اثقالها وهم قد طغوا عليها سيما اولاد دراج الا ان بركة سيدي محمد الحاج والسيد الحاج بودابة واشياخهما ظاهرة تنوب عليهم وطريقة اولاد سيدي محمد الحاج ربانية لا يشك فيها احد فلا يشوبها شوائب الملك اصلا خصوصا اسلافهم حسبما اخبروا عنهم وكذا هاؤلاء الاواخر ومدة بقاء الحاج فيها يشترون الرواحل * متعنا الله برؤيته صلى الله عليه وسلم بجاه الاوائل * فلما استقر بهم الحال اجتمعت فيه افاضل * فيحق في ذلك ذكرهم في الفضل وبالجملة فهذه القرية طيبة واهلها فيهم الصلاح كما رأيت بعض المرابطين كامام مسجد الشيخ وبعض اولاده وبعض الطلبة واما اكثرهم فقد فسقوا فيها بالسرقة والتعدي والمشي بالنميمة بين اكابرهم حتى نزل بهم ما نزل وقد صار البغض العظيم بينهم والله يقول واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول وقطعوا صلة ما امر الله به ان يوصل من صلة الرحم ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم اصلح الله حالهم وازال العداوة بينهم و رزقهم المودة والرحمة بينهم بمنه وكرمه هذا واني وعظتهم وامرتهم بما يكون فيه خيرهم نعم هم افضل من غيرهم فانهم كالماء يجوّز اللقمة اذا غصت واما الماء اذا غص فما المجوز له لكن ببركة اسلافهم يهديهم الله ويعينهم على طريقة اسلافهم ومحلهم محل خير وعلم وحلم وفضل اللهم اجعله كذلك الى قيام الساعة ولا تبدله بالضد اذ اكثر المواضع كذلك احيى الله قلوبنا وقلوبهم ورحم ضعيفنا وضعيفهم آمين واكرم الشيخ الركب ليلة واحدة واما انا وبعض اصحابي وسيدي احمد الطيب فقد اكرمنا كثيرا والحمد لله .

ثم ظعنا منها الى مدينة بسكرة ذاهبين فبتنا في الطريق ليلة واحدة وصبيحتها ظعنا ووصلنا عند الضحى غير انه عاق الناس الماء فلا يجدون سبيلا الى الخروج الا بتسعف فطال بنا ذلك الى الظهر الا القليل اخذوا الطريق من بدء الوادي فلما قطعنا الوادي نزلنا حافين بالنهر وهذه البلدة اعني بسكرة كثيرة المياه بين خلال البيوت فكل باب عنده ساقية من الماء تجري من ماء حلو كالعسل ونخلها عظيم وغلتها كثيرة ايضا اي زرعها وكذا

الفواكه خصوصا الزيتون فانه كثير جدا وهذه المدينة كانت فاهرة عظيمة البنيان والجامع الاعظم يدل على ذلك فانه لا نظير له وصومعته ما احسنها وما اوسعها غير ان الفديمة اي المدينة فد خربت وصارت دكا وسبب ذلك فتنة بينهم فادخلوا الترك فاهلكوها حتى بفي الفليل منها حاصله ان الناس فد خرجوا الى البساتين فبنوا هناك من ذلك العهد الى الان ثم نزل عليهم الوباء فلم يبف فيها الا حثالة من الناس وفيها برجان للترك عامران احدهما في البلد والاخر خارجها وبالجملة فهذه اوصافها الحسنة التى لا تحصى وفد اجتمعت فيها مع الافاضل كالفقيه الفاضل سيدي محمد بن الجودي وسيدي محمد الشريف والفاضي والمفتي وكذا بعض شهود العدالة والطالب الفاضل سيدي مصطفى وسيدي بركات وغيرهم من العامة والخاصة وفد اخذ كثير منهم العهد عنا ولفيت ايضا فيها فبل الفاضل الصادق في الجد المفتفي للسنة النبوية(١) نفعنا الله به آمين .

واما الموتى ففيها العجب العجاب نفعنا الله بهم وجعلنا في زمرتهم بمنه وكرمه وهو من العارفين وفد زرت فبر الشيخ سيدي عبد الرحمن الاخضري وله تآليف كثيرة مفيدة وهو من العارفين بالله تعالى ومن تآليفه السلّم في المنطق انعكف الناس عليه شرفا وغربا سيما في مصر فمنهم من حشى ومنهم من شرح ومنهم من فرر وطرر وفد شرحه رحمه الله والف الجوهر المكنون في البيان لخص فيه التلخيص وشرحه وفد افبل الناس عليه ايضا في مغربنا ونظم فصائد عديدة في التصوف اعظمها الفدسية وفد شرحتها والحمد لله وله فصيدة في علم الفلك سماها السراج وشرحه والدرة البيضاء في علم الفرائض والحساب نظما فهي في غاية الحسن وهو من الفرن العاشر كما اخبر بذلك وزرت فبر النبي سيدي خالد ففيل انه نبي مرسل الى جبل اوراس وفيل ولي والذي شهره سيدي عبد الرحمن انه نبي رسول وكذا حكى فيه الخلاف الخفاجي شارح الشفاء بان فال على الفول برسالته فانه ارسل الى جبل اوراس(٢)

---

(١) بياض في جميع النسخ — (٢) في ثلاث نسخ الرس

وكانت معجزته نارا وقد سمعنا ان الشيخ سيدي عبد الرحمن هو الذي اظهره بالتربيع وكذا زرت سيدي محمد بن يحيى واخوانه وولده ومحله محل العلم والفضل والكرم والجود اذ هم ظاهرون عند الخاصة والعامة مشتغلون بتدريس الفقه نفعوا وانتفعوا نفعنا الله بهم «و فيهم» ايضا سيدي البار فانه فقيه فاضل وهم اشراف وهو ليس منهم والحمد لله وقد لقيت الزاهد على الاطلاق * المتجرد للعبادة باتفاق * كانه من الموتى سيدي المبروك نفعنا به و بامثاله «والزاب» والحمد لله عامر بالخير والفضل وذلك في العامة والخاصة وان كثر الفساد والعصيان والظلم وعم وانتشر غير ان بعض الاوطان ينعدم فيه الخير راسا وبعضهم فيه الشر الكثير مع وجود الخير من بعض الافراد وقد دخلت «طولقة» وهم اهل الجود والفضل اطال الله سعدهم خصوصا اولاد بوزيان فقد عم فضلهم الخلق فان لم يصبهم وابلهم فَطَلٌّ احسن الله اليهم بمنه وكرمه ولكن هذا الوطن اعني الزاب منوط ببلدة بسكرة وهي الكافية بالجميع قلت قال شيخ شيوخنا سيدي احمد ابن ناصر ما نصه بعد ذكره كلاما يخصه وزرنا مسجدها وطلعنا الى ماذنته وهي في غاية الاتقان والطول والسعة تقدر الدابة على الصعود اليها بحملها وادراجها مائة واربع وعشرون درجة والمسجد في غاية السعة واتقان البناء الا انه قل عامروه وضعف ساكنوه فلا ترى فيهم مدرسا ولا فقيها ولا قارئا مع ان هذه المدينة من اعجب المدن واجمعها لمنافع كثيرة مع توفر اسباب العمران فيها قد جمعت من التل والصحراء ذات نخيل كثيرة وزرع كثيف وزيتون ناعم وكتان جيد وماء جار في نواحيها وارحاء متعددة تطحن بالماء ومزارع حناء الى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول وكثرة اللحم والسمن في اسواقها وبالجملة كما قال الامام العياشي في رحلته ما رأيت في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا احسن منها ولا احصل ولا اجمع لاسباب المعاش الا انها ابتليت بتخالف الترك عليها وعساكر العرب فيستولي عليها هؤلاء تارة وهؤلاء تارة الى ان بنى الترك حصنا حصينا على رأس العين التي ياتي الماء منها الى بسكرة فملكوا البلد(1)

(1) في نسخة الرحلة الناصرية فتمكنوا بالبلد

واضروا باهلها واجحفوا بهم في الخراج ولم يقدروا على الخروج عليهم لتمكنهم(١) من الماء الذي به حياة البلد واهله اجتمعت عليها غارات العرب من خارج وظلم الاتراك من داخل وقد اشرفت على الخراب وقاربت ان تكون قفراء يبابا لولا ما تاثل من اسباب عمرانها الموجبة لرغبة الناس في سكناها قال ولقد لقيت بها سنة تسع وخمسين رجلا من الصالحين ممن جمع بين العلم والعمل به والزهد والورع وصدق التوجه الى الله تعالى واسمه سيدي ابو طيب الناصري لم ترعيني قبله ولا بعده امثل منه في هديه وسمته تخشع القلوب لوعظه وتلين الكلامه ولوكانت اقسى من الحجر قال ولما رجعت من الحجاز في سنة الستين وجدته قد توفي بالوباء الواقع في تلك السنة وكان وباء مفرطا مات به ببسكرة على ما قيل لنا نحو سبعين الف نفس وقد دخلنا المدينة عقبه فوجدنا اكثر حوماتها خالية ومساجدها داثرة ولقيت بهذه المدينة سيدي محمد الصالح وهو رجل من اهل الخير منفرد في مسجد له بازاء داره يلازم فيه الصلوات الخمس ويجتمع اليه اناس من اصحابه يذكرهم ويعلمهم قال وخرج الينا ايضا من فقهاء البلد سيدي عبد الواحد الرماني وهو ايضا رجل من اهل الخير غلبت عليه الديانة والانقطاع عن الخلق وقرأ علي اول صحيح البخاري برواية ابي ذر وذهب معنا الى زيارة سيدي ابي الفضل وصلينا العصر في مسجد سيدي ابي الفضل وفي الغد يوم الخميس ارتحلنا ودخلنا البلد ثانيا لزيارة سيدي محمد بن(٢) علي فوجدناه على سطح دار يشرف على الطريق ولم ينزل الينا وقرأ لنا الفاتحة من هناك ونحن بالطريق ودعا لنا وهو رجل من اهل الاحوال الصالحة مغلوب عليه في اكثر اوقاته تؤثر عنه كرامات قال ولقد لقيته بداره سنة خمس وستين وهو في مرمة له في داره يعمل بها بيده ينسج الثياب واخبرنا ان قوته من كسب يده واخبرنا بحاله ومبدا امره مع شيخه وقد انتشر صيته في هذا الوقت بتلك البلاد وله اتباع واصحاب

(١) في الرحلة الناصرية لتمكينهم — (٢) وفيها ايضا ابي

يجتمعون اليه في اوقات السماع والذكر وسمعنا من بعض الحجاج ممن زاره بعد ذلك انه قال لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له ان النار لا تمس كل من رآك وزعموا انه قال له ومن راى من رآك مراتب متعددة والله اعلم بحقيقة ذلك فان صح انه قال له فهو في الغالب لا يكذب الا ان كلامه يحتاج الى تاويل ويبعد حمله على ظاهره وان المراد مجرد الرؤية البصرية فان القواعد تابى بقاءه على عمومه فانه يراه البر والفاجر والمصر على الكبائر والمفارق لها بل والجاهل الذي يتطرق الى ايمانه الخلل لغلبة الجهل والآراء الفاسدة ولكثرتهم جدا يبعد موت جميعهم على التوبة النصوح الموجبة لغفران الذنوب كلها الموجبة للنجاة من النار الا ان كلام اولياء الله لا ينبغي ان يرمى به جزافا فليحرص المرء جهده على لقائهم ورؤيتهم والتبرك بهم فعسى ان يصادف نفحة من نفحات الحق فيسعد بها دنيا واخرى فان لله عبادا اذا نظروا الى احد اغنوه ومع ذلك فلا يركن الى ظواهر ما يجري على ألسنتهم كل الركون حتى يعتقد ان من راى احدهم ممن قال مثل ما تقدم قد امن من النار فان لكلامهم وجوها واحتمالات تدق على افهام اكثر الخلق ممن لم يسلك طريقهم قال واقرب ما يحمل عليه كلام المتقدم ان تحمل الرؤية على القلبية والمرأى على صورته الباطنة التي توجب العلم بما هو عليه من سَنِيّ الاحوال وسَمِيّ الاوصاف ورفيع المقامات ولا شك ان من منح شهود ذلك واشرف عليه فله نصيب وافر من التخلق باخلاق الاولياء والورود من موارد الاصفياء وحينئذ يكون جديرا بأن لا تمسه النار وهذا من معنى ما اشتهر عن قطب الزمان مولاي عبد القادر الجيلاني انه قال اخذت العهد من ربي ان لا يدخل احد من اتباعي النار الى يوم القيامة فيحمل على من اتبع طريقه لا على مجرد الانتساب باللسان قال ولو صح حمل الكلام المتقدم على ظاهره وعمومه لكان اولى بذلك الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وكثير ممن رآهم رؤية بصرية لم يوفق للاهتداء بهديهم فحرم بركة رؤيتهم وكل مقام ناله ولي من اولياء الله فهو ميراث اتباعه لنبيه صلى الله عليه وسلم وما كان ميراثا لا يصح ان يكون شيئا لم يكن

لمو روثه بل يستحيل عند ارباب القلوب ان ينال ولي ولوذرة من مفام اوحال لم تكن بكمالها لمتبوعه ومعلوم ان هذه الحال لم تكن لاحد فط فلابد من التاويل فال وما اطنبت في هذا الا اني رأيت كثيرا من الجهلة يغتر بامثال هذا ويحمله على ظاهره والا فانا والحمدلله ممن يعتقد تنزيه ساحة الائمة الصوفية عن الكذب والافتراء ويثق بافوالهم ويصدق بكراماتهم ويحمل ما اشكل على احسن محامله ولا اطعن فيه بوجه واسلم لهم فيما لم يتبين لي وجهه والمنة في ذلك لله وحده اهـ كلامه ونفلته على طوله لحسنه في بابه وزرنا في تلك الحجة اولاده سيدي محمد الصالح واخرج لنا ولده سيدي علي تمرا ولبنا وأكل اصحابنا ما ارادوا منه وشربوا وزرنا ايضا سيدي فاسم وذكر لنا الاخ سيدي محمد بن عبد الواحد الرماني ان هذا السيد كان رجلا صالحا وكان امير الركب في زمانه وسيدي عبد الواحد والد سيدي محمد المحدث عن صلاح هذا السيد كان من اصحاب والدنا رحم الله جميعهم وكان في حجتنا الاولى التي حججناها مع الوالد رحم الله جميعهم عام (١٠٧٦) ستة وسبعين والف في فيد الحياة وولده هذا هو الذي تفدم بنا لزيارة صالحي هذه البلدة وزرنا ايضا سيدي عبد الرحمن وسيدي ابا الفضل وسيدي محمد الموفق وسيدي الصحابي وسيدي محمد ابن ابي علي وسيدي عليا الاوراسي واخبرنا سيدي محمد بن عبد الواحد ان ابا الفضل هذا هو تلميذ ابي الفضل النحوي وان ابا الفضل المذكور مدفون في بلد بينه وبين بسكرة يومان وراء الجبل وسالته عن البسكري الذي حشى على المرادي فذكر لنا انه مدفون في الزاب «واما» سيدي محمد بن ابي علي فذكر لي عمي سيد حسين رحمه الله انه فال كان حيا عام حج وانه لما وصل بسكرة الح عليهم الاخ الحاج محمد بن عبد الملك السجلماسي احد تلامذة الوالد رحمه الله والمفدم على الففراء في بلده في زيارة السيد المذكور وتفديم الصدفة له بين ايديهم وطلب ضمانة الطريق وعادته لهم كما كان وفع ذلك مع بعض الحجاج فصار محفوظا في طريفه الى ان وصل بلده ومنزله وكره العم مخالفته ومشى مساعدا له مع عدم فصد ذلك وتفديم صدفة فزاروه واطعمهم تمرا وماء وافاموا عنده ساعة فلما جن الليل راى

استاذه سيدي احمد بن ابراهيم في عالم النوم فقال له زلقت وزللت يا صبي(١) قلت انا البركة التي يشرب فيها الانسان يواظبها ويقيم عليها ولا يكدرها ويطلب غيرها [فقال] اتحسب وتظن انك لم تبلغ في تعبي ومشقتي والله لقد كنت تنام معوجا فاتيك حتى اقومك اتريد ملاقاة الشيخ الاعظم سيدي عبد الله فقلت نعم يا سيدي فذهب بي حتى لقيته فسلمنا عليه وقال لي سيدي احمد ان حان وفاة احدكم يعني في الطريق فان لم احضره فسيدي عبد الله بن الحسين يحضره لا محالة قال سيدي عمي المذكور ومات جماعة من فقراء الاستاذ في الطريق رحم الله الجميع اه

ولما دخلت مسجدها لم اجد قارئا ولا مدرسا سوى رجل واحد متى يقرأ لوحه وهو ملقى امامه يقرأه على غير ادب ولا استقامة واخبرني بعض اصحابنا انه وجد رجلا واحدا يسرد البخاري وحده ووقف عنده وقال له رح يا حاج ووجد آخر كذلك ولعمري ان هذا ادل دليل على الخراب واقرب الاسباب له بدليل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اراد الله عمارة قوم بدأ بما له فيهم واذا اراد خرابهم بدأ بما له فيهم او كما قال صلى الله عليه وسلم ولقد بدأ الله هذه البلدة بخراب بيته * فهو اقوى الدلائل على خراب البلد وموته * ولقد مرضت من ذلك الاحشاء * والله تعالى يفعل في ملكه ما يشاء * ويعذب من يشاء * ويرحم من يشاء * ولقد وددنا عمارتها بالعلم والعمل * ورفع الحرج عنها برفع ذوي الزيغ والزلل * وتدريس العلم وذكر الله آناء الليل واطراف النهار في ذلك المسجد المشيد * فان لأهل هذه المدينة تاهلا لهذا كله ولاكن الله يفعل ما يريد .

وفي مثل ما وقع لنا من التحزن والتحسر * والتألم والتضجر * من قلة العلم واهله * في مواطن حسنة من محله * يصدق قول العلامة الامام الهمام ابي علي اليوسي من اجل اصحاب الوالد * وممن ظهرت بركاته عليه في المصادر والموارد .

---

(١) في جميع النسخ يا صاحبي الا في الرحلة الناصرية

واود لوكانت مجالس بينهم * يضحين في سبل الهداية معلما
وشجا الحشا ان لم اجد من عالم * يهدي الوراء بها ولا متعلما

وفي الاستبصار في اخبار الامصار والزاب(١) كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة وهي مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون واصناف الثمار وهي مدينة مسورة عليها خندق وبها جامع ومساجد وحمامات كثيرة وحواليها بساتين كثيرة وفيها غابة كبيرة مقدار ستة اميال فيها اجناس التمر منها جنس يعرف بالكسبة(٢) وهو الصيحاني(٣) يضرب به المثل لفضله على غيره وجنس يعرف بالبازي(٤) ابيض املس كان عبيد الله الشيعي يامر عماله بالمنع من بيعه والتحريض عليه وبعث ما هنالك منه اليه واجناس كثيرة يطول ذكرها لا يعدل بها وحول بسكرة رياض خارجة عن الخندق المذكور وبسكرة فيها علم كثير واهلها على مذهب اهل المدينة ولها من الابواب باب المقبرة وباب الحمام وباب ثالث يسكنه المولدون وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة منها في الجامع بئر لا ينزف وداخل المدينة جنات يدخل اليها الماء من النهر وبها جبل ملح يقطع منه صخور جليلة ومنها كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملون في اطعمتهم وتعرف ببسكرة النخيل وشرب بسكرة من نهر كبير يجري في جوفها ينحدر من جبل اوراس وروي ان في الطريق الى بسكرة جبلا يعرف بزينير وفيل زنفير في وسطه كهف فيه رجل قتيل يقدر انه مات منذ يومين لم يغيره مرّ الدهر ولا تقادم الا زمان تبص جراحه دما لا يشك احد انه قتيل يومين وتخبر الكافة عن الكافة انهم لا يعلمون متى قتل قدما وقد نقله اهل تلك النواحي ودفنوه بأفنيتهم ليتبركوا به ثم لم يلبثوا ان وجدوه في الكهف على حالته وحدث بذلك ثقات اهل تلك الناحية والله فعال لما يشاء وقال محمد بن يوسف في كتابه ان هذا القتيل في شق جبل بشرقيّ عين اوبان(٥) وهذه العين بين

---

(١) في جميع النسخ بسكرة الا في الرحلة الناصرية — (٢) في جميع النسخ بالكسبا ولعله هو المسمى الان الإكِسبَّة — (٣) في نسخة الاستبصار المطبوعة الصيماني — (٤) وفيها ايضا اللياري بدل البازي — (٥) في جميع النسخ في شق جبل بِشْر وعين او بان الا في الرحلة الناصرية

مدينة فرطاجنة ومدينة سبتة(١) وذكر انه يظهر كما ذبح من يومه وانه هناك من فبل فتوح افريفية ولم يذكر(٢) من دفنه والله اعلم بامره اه كلامه .

﴿ ذكر خروجنا من بسكرة ﴾

ثم لما فرغ الناس من فضاء اوطارهم من بيع وشراء وازدياد زاد ظعنا ضحى الثلاثاء خامس وعشرين من رجب وعشرين من شتنبر ونزلنا سيدي عفبة عصرا وهو عفبة بن نافع الفهري التابعي الفرشي ولد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك عده بعضهم من الصحابة ولاه معاوية بن ابي سفيان على افريفية ووجهه اليها في عشرة آلاف من المسلمين فافتتحها وفاتل من بها من النصارى حتى افنى اكثرهم ثم فال اني ارى افريفية اذا دخلها امام امر اهلها بالاسلام واذا خرج رجع كل من اجاب دين الله فهل لكم يامعشر المسلمين ان تتخذوا مدينة [الفيروان] تكون لنا عزا للابد فاجابه الناس لذلك واتفقوا على ان يكون اهلها مرابطين وفالوا نفربها من البحر ليتم الجهاد ثم راوا ان ذلك لا يؤمن معه من كيد الروم لها فابعدوها عن البحر مخافة من ملك الفسطنطينية وفالوا فربوها من السبخة فان اكثر دوابكم الابل فتكون في مراعيها على بابها آمنة من البربر والنصارى ولما اتفق رأيهم على ذلك وكان موضع المدينة غيضة نادى عفبة جميع الوحوش والهوام التي كانت بالغيضة وفال لهم انا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونريد ان نبني هنا مدينة واردنا احراق هذه الغيضة فاخرجوا منها باذن الله فخرج كل من كان فيها واختلف اصحابه في موضع الفبلة وجعلوا ينظرون مطالع النجوم ليهتدوا الى سمتها فبات عفبة مهتما فراى في المنام فائلا يفول له خذ اللواء بيدك اذا اصبحت فانك تسمع تكبيرا ولا يسمعه احد غيرك فاتبعه فحيثما انفطع التكبير فاركز اللواء فانه موضع الفبلة ففعل ذلك وسال اصحابه هل تسمعون شيئا ففالوا لا فاتبعه حتى انفطع

(١) في الرحلة الناصرية سبيبة — (٢) وفيها ايضا يذكروا

التكبير فركز اللواء بموضع القبلة ولما كانت سنة احدى وخمسين عزل معاوية عقبة بن نافع عن افريقية وولى مسلمة بن مخلد مصر وافريقية فنزل مسلمة مصر واستعمل على افريقية مولى له يسمى دينارا ويكنى ابا المهاجر فلما انتهى الى افريقية كره ان ينزل بلدا اختطه عقبة فمضى خلفه بميلين مما يلي تونس فاختط هناك مدينة وبناها فسماها البربر بتكيروان واخذ الناس بعمارتها واخلاء القيروان فدعا عقبة ان يمكنه الله عز وجل منه وكان مجاب الدعوة ولم يزل ابو المهاجر خائفا من دعوة عقبة وفي مدة ابي المهاجر افتتحت جزيرة شريك وهي بمقربة من مدينة تونس حرسها الله واليها ينسب باب الجزيرة من ابواب تونس وهي مشتملة على قصور كثيرة ومزارع فسيحة وخيرات جمة افتتحها حنش بن عبد الله الصنعاني بعثه ابو المهاجر فافتتحها وقتل اهلها ونهض عقبة الى المشرق فلما دخل على معاوية رضي الله عنه وعاتبه فقال افتتحت البلاد واتاني غلام الانصار فاساء عشرتي فاعتذر له معاوية رضي الله عنه ووعده بالرجوع الى عمله وتراخى الامر الى ان توفي معاوية رضي الله عنه سنة ستين وقيل احدى وستين وولي ابنه يزيد فولى عقبة بن نافع افريقية وقطعها عن مسلمة بن مخلد واقره على مصر فخرج عقبة الى افريقية في سنة اثنتين وستين فمر سريعا حنقا على ابي المهاجر فاوثقه في الحديد وامر بتخريب المدينة التي بناها والرجوع الى القيروان وعمارتها واجمع على الغزو في سبيل الله عز وجل وترك بالقيروان زهير بن قيس البلوي وودع اولاده وقال لهم اني بعت نفسي من الله عز وجل واوصاهم بما احب ومضى في عسكر عظيم حتى بلغ مدينة باغية وجمع النصارى بها فقاتلهم قتالا عظيما فانهزموا واخذ لهم خيلا كثيرة فلم ير المسلمون في مغازيهم اصلب ولا اصبر منها وكانت من نتاج جبل اوراس المطل عليها ومدينة باغية مدينة جليلة اولية ذات انهار وثمار ومزارع ومسارح وعلى مقربة منها جبل اوراس وهو المتصل بالسوس فلما هزمهم وقاتلهم قتالا ذريعا رحل عنهم ولم يقم عليهم كراهية ان يشتغل بهم على غيرهم فمضى الي مدينة لميس باللام والميم والياء وكانت

في ذلك الزمان من اعظم مدائن الروم فخرج اليه اهلها فقاتلهم قتالا شديدا فانهزموا واتبعهم الى باب حصنهم واصاب غنائم كثيرة وكره المقام عليها فرحل الى بلاد الزاب فسأل عن اعظم مدائنهم قدرا فقيل له مدينة يقال لها اذنة(١) وبها الملك بجمع(٢) ملوك الزاب وكان حولها ثلاثمائة وستون قرية كلها عامرة قال اليعقوبي اذنة هذه اعظم مدن الزاب مما يلي المغرب وهي كثيرة الانهار والعيون العذبة فالتقى اهلها فقاتلوه قتالا شديدا حتى يئس المسلمون من انفسهم ثم اعطاه الله عز وجل الظفر فانهزم القوم وقتل اكثرهم وذهب عزهم من الزاب وذلوا الى آخر الدهر ثم سار الى تاهرت فلما بلغ الروم خبره استغاثوا بالبربر فاغاثوهم وبادروا الى نصرتهم فالتقوا مع المسلمين فاقتتلوا قتالا شديدا فلم يكن للبربر والروم بقتال المسلمين طاقة فولوا منهزمين واتبعهم المسلمون فقاتلوهم قتالا ذريعا وانفضّت جموع البربر وقتلوا حيث ما وجدوا وغنم المسلمون اموالهم وذراريهم ثم سار عقبة حتى بلغ طنجة وكان بها ملك من ملوك الروم وكان شريفا في قومه فاهدى الى عقبة ولاطفه فنزل على حكمه فسأله عن الاندلس فقال له دونها هذا البحر الذي لا يرام فقال له دلني على رجال البربر والروم فقال تركت الروم خلفك وليس امامك الا البربر وهم في عدد لا يحصى ولا يعلمه الا الله وهم انجاد فقال فأين موقعهم قال له السوس الادنى وليس لهم دين ياكلون الميتة ويشربون الدم وهم امثال البهائم يكفرون بالله ولا يعرفونه فرحل عقبة حتى اتى جموعهم بمقربة من فاس فقاتلهم قتالا ذريعا وفرت بقيتهم ومرت خيل في آثارهم ومر حتى بلغ السوس الاقصى وهي بلاد درعة ونزل الى الصحراء وهي لمتونة وسبى منها سبيا لم يدخل المشرق اغلى منه ربما بيعت الجارية منه بألف وفرّ الناس امامه لا يدانيه احد ولا يعارضه حتى بلغ البحر الاعظم المحيط فادخل فيه قوائم فرسه وجعل يقول وعليكم السلام فقال

---

(١) في الرحلة الناصرية اذناة — (٢) وفيها ايضا فجمع

له اصحابه على من تسلم ياولي الله فقال على قوم يونس ولولا البحر لارينكم اياهم ثم قال اللهم انك تعلم اني انما اطلب السبب الذي طلبه عبدك ووليك ذو القرنين فقيل له ما الذي طلبه ذو القرنين قال ان لا يعبد في الارض الا الله اللهم اني مدافع عن دينك معاند من كفر بك ثم قال لاصحابه انصرفوا على بركة الله فتخلى الروم والبربر عن طريق عقبة خوفا من جيوشه سنة ثلاث وستين من الهجرة ﴿ ولما ﴾ وصل طنجة امر اصحابه فتقدموا ثقة بما دوّخ من البلاد وانه ليس بافريقية الا من يخافه فتقدمت الجيوش وبقي نفر يسير من اصحابه فسار يريد تهودة وبادس لينظر اليهما ويترك بهما من الفرسان ما يحتاج اليه فلما انتهى اليها يعني تهودة فيمن بقي من اصحابه وكانوا قليلا نظر اليهم الروم فطمعوا فيهم واغلقوا ابواب حصونهم وجعلوا يشتمون عقبة ويرمونه بالحجارة ويدعوهم الى الله عز وجل فلما توسط البلاد بعث الروم كسيلة البرنسي وكان كسيلة ممن اسلم على يد ابي المهاجر وذلك ان ابا المهاجر نهض الى المغرب فنزل عيونا عند تلمسان تعرف بعيون ابي المهاجر فزحف اليه كسيلة في جمع من البرنس فظفر به ابو المهاجر وعرض عليه الاسلام وكان ابو المهاجر يحسن اليه فلما عزل ابو المهاجر وقدم عقبة عرفه ابو المهاجر بحال كسيلة فاستخف به عقبة واتي عقبة بغنم فامر بذبحها للعسكر وامر كسيلة ان يسلخ مع السلاخين فقال له كسيلة اصلح الله الامير هؤلاء غلماني وفتياني يكفونني ذلك فقال له عقبة قم فقام مغضبا فكان كلما دحس يده في الشاة مسح بلحيته وجعل العرب يهزؤون به ويقولون له يا بربري ما هذا الذي تصنع فيقول انه جيد فيسكتون الى ان مر به شيخ من العرب فقال لهم كلا ان البربري يتوعدكم فعاتب ابو المهاجر عقبة على ما صنع من ذلك وقال له كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألف جبابرة العرب كالاقرع بن حابس وعيينة بن حصن وتاتي انت الى رجل جبار في دار قومه ومكان عزه وهو قريب عهد بالشرك فتهينه وتذله فتهاون عقبة بكلامه فلما راسلت الروم كسيلة امكنته الفرصة فانتهزها فقال ابو المهاجر لعقبة عاجله قبل ان يجتمع اليه امره فزحف اليه عقبة فتنحى امامه فقال له قومه

لم تتنحّى عنه وهو في خمسة آلاف ونحن في خمسين الفا فقال لهم نعم لكنهم في الزيادة والرجل قد افترق عليه عسكره وليس عنده من يمده فلما صار عقبة يريد افريقية زحف اليه البربري وكان اكثر المسلمين بالقيروان مع زهير بن قيس فوافى كسيلة عقبة بمقربة من تهودة فنزل وركع ركعتين وقال اطلقوا ابا المهاجر فاطلق فقال له الحق بالمسلمين وقم بامرهم وانا اغتنم الشهادة فقال له ابو المهاجر وانا اغتنمها معك وكسر كل واحد منهما جفن سيفه وكسر المسلمون اجفان سيوفهم وامرهم ان ينزلوا ولا يركب منهم احد وقاتل المسلمون قتالا شديدا حتى بلغ منهم الجهد وكثرت فيهم الجراح وتكاثر عليهم العدو وقتل عقبة وابو المهاجر ومن معهما من المسلمين ولم يفلت منهم احد واسر محمد بن اوس الانصاري ويزيد بن خلف القيسي ونفر معهما ففاداهم صاحب قفصة وبعث بهم الى زهير بن قيس ومن معه من المسلمين بالقيروان واراد زهير الانصراف من افريقية الى مصر فقيل له أهزيمة من افريقية الى مصر فعزم على القتال وكان تبيع ربيب(١) كعب الاحبار فقال له لمن تراها فقال لرجل من بليّ وانت رجل من غسان فقال زهير الله اكبر انا والله رجل من بليّ جنى جدي جناية في قومه فلجا الى غسان فاجتمع الى كسيلة جمع اهل المغرب فزحف يريد القيروان فاضطرمت افريقية نارا وعظم البلاء فقام زهير في الناس خطيبا قال يا معشر المسلمين اصحابكم قد دخلوا الجنة ان شاء الله وقد منّ عليهم بالشهادة وهذه ابواب الجنة مفتوحة فاسلكوا مسلك اصحابكم او يفتح الله عليكم دون ذلك فقام حنش الصنعاني فقال لا والله لا نرى قولك ولا لك علينا من طاعة ولا ولاية ولا نرى افضل من النجاة بهذه العصبة من المؤمنين فمن اراد منكم القفول فليتبعني ثم رحل فنزل بقصر الماء واتبعه الناس ولم يبق مع زهير الا اهل بيته في عدد قليل فلما راى ذلك زهير تبعهم واقبل كسيلة بجنوده فلما قرب من القيروان خرج العرب منها هاربين

(١) كذا في الرحلة الناصرية وفي جميع النسخ الا نسخة فيها يتبع رأي

ولم يكن لهم بقتاله طاقة لعظم ما كان معه من البربر والروم فاسلموا لهم القيروان ولم يبق فيها الا الذراري والاثقال والضعفاء فارسلوا الى كسيلة يطلبون منه الامان فامنهم واقبل كسيلة حتى دخل القيروان في محرم سنة اربع وستين واقام زهير مرابطا ببرقة الى ان توفي يزيد بن معاوية في النصف من صفر من عام اربعة وستين وبويع لابنه معاوية الاصغر بعده ثم توفي معاوية بعد شهر(١) وعشرة ايام من بيعته واجتمع الناس بالشام على مروان بن الحكم وتوفي في رمضان سنة خمس وستين وولي بعده ابنه عبد الملك بن مروان فلما اشتد سلطانه اجتمع اكابر المسلمين وسألوه ان ينظر في خبر افريقية وتخليصها ومن بها من المسلمين من يد كسيلة فقال لهم لا يصلح لدم عقبة الامثله في الدين فاتفق رأيهم على زهير بن قيس البلوي فقالوا هذا صاحب عقبة واعرف الناس بسيرتهم واولاهم بمطالبة دمه فوجه اليه عبد الملك يأمره بالخروج الى افريقية ليستنقذ من بالقيروان من المسلمين فكتب اليه زهير يعرفه بامر كسيلة ومن معه من جموع البربر فحشد له وجوه العرب واهل الشام وبعث اليه بالاموال فلما ترادفت عليه الجنود اقبل في عسكر عظيم الى افريقية وذلك في سنة تسع وستين فلما بلغ كسيلة قدوم زهير دعا اشراف قومه فقال اني رايت ان ارحل عن هذه المدينة حوطة على اهلها من المسلمين فان لهم عهدا وخشيت ان يكون النصر مع المسلمين(٢) ولا كنا ننزل ممس(٣) على ماء كثير يحمل عساكرنا فان هزمناهم اتبعناهم الى طرابلس وقطعنا اثرهم وتكون لنا افريقية الى آخر الدهر وان هزمونا كان الجبل منا قريبا نتحصن به فارتحل عنها ونزل ممس وبلغ ذلك زهيرا فلم يدخل القيروان ونزلوا(٤) على باب سلع واقام ثلاثة ايام حتى استراح الجيش وزحف في اليوم الرابع حتى اشرف على كسيلة آخر النهار

---

(١) كذا في جميع النسخ وفي الرحلة الناصرية شهرين وفي تاريخ الكامل لابن الاثير ان معاوية بن يزيد لم يمكث الا ثلاثة أشهر حتى هلك وقيل بل ملك اربعين يوما ومات — (٢) كذا في جميع النسخ وفي الرحلة الناصرية وخشيت ان يصيروا علينا إلبا مع المسلمين — (٣) في نسخة باسقاط هذه الكلمة وفي الرحلة الناصرية مَمّس وفي غيرها ممسّ — (٤) كذا في الرحلة الناصرية وجميع النسخ

فلما نزل الناس باتوا على مصافهم فلما اصبح صلى ثم زحف اليهم فالتحمت الحرب فانهزم كسيلة وقتل بممس ولم يجاوزها ومضى الناس في طلب البربر فقتلوهم قتلا ذريعا ورجع زهير الى القيروان مخافة من بافريقية واشتد جزعهم ولجئوا الى الحصون والقلاع ثم ان زهيرا راى بافريقية ملكا عظيما فكره الاقامة بها فقال انما خرجت للجهاد واخاف ان تملكني الدنيا فاهلك ولست ارضى بها ولا بملكها ورغد عيشها وكان رحمه الله من رؤساء العابدين وكبار الزاهدين فرجع قافلا الى المشرق فلما انتهى الى برقة وكان الروم حين سمعوا برحيله منها الى افريقية خرجوا اليها بمراكب فغاروا واخذوا نساء وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قدوم زهير من افريقية فاخبر بذلك فامر العسكر بالسير على الطريق وسار هو على الساحل طمعا ان يدرك سبي المسلمين فاشرف على الروم وهم في خلق عظيم فلم يقدر على الرجوع واستغاث به الاسارى والروم يدخلونهم المراكب فامر اصحابه بالنزول فنزلوا وقصدوا الروم والتحم القتال حتى عانق بعضهم بعضا وكثرت النصارى فقتل زهير ومن معه وادخل الروم جميع السبي مراكبهم وارتحلوا الى القسطنطينية ولما انتهى الخبر الى عبد الملك عظم ذلك عليه وبلغ منه لفضل زهير ودينه وكانت مصيبته كمصيبة عقبة رحمهما الله تعالى وغضب اشراف المسلمين وسالوا عبد الملك ان ينظر في سد ثغر افريقية فقال لا اعلم اعظم من حسان ابن النعمان الغساني وكان حسان بمصر في عسكر عدده اربعون الفا عدة لما يحدث فكتب اليه عبد الملك يامره بالتوجه الى افريقية واطلق يده في اموال مصر يعطي منها من ورد عليه من الناس ما شاء فقدم حسان في عسكر عظيم لم يدخل افريقية قط مثله وذلك في سنة تسع وسبعين وسار حتى بلغ القيروان فسال اهل افريقية عن اعظم ملك فقالوا له صاحب قرطاجنة وكانت مدينة عظيمة تضرب امواج البحر سورها وهي من تونس على اثني عشر ميلا وبين تونس والقيروان مائة ميل فغزا حسان بن النعمان قرطاجنة وبها خلق عظيم فانها كانت دار الملك بافريقية فبعث الخيل اليها وكان البحر لم يخرق الى تونس وانما خرق بعد ذلك وعملت دار الصناعة فالتقى الفريقان والتحم الحرب بينهم

وضيق عليهم حسان فقتل مقاتلتهم ورجالهم فاجتمع رايهم على الهروب وكانت لهم مراكب قد اعدوها فارتحلوا فيها باهلهم واموالهم فمنهم من ذهب الى جزيرة صقلية ومنهم من ذهب الى الاندلس فلما انصرف حسان علم اهل بواديها بهروب اهل الملك فتحصنوا بها فوجه اليهم حسان فحاصرهم حصارا شديدا حتى دخل بالسيف وقاتلهم قتلا ذريعا وارسل من حولها فامرهم بهدمها وكسر القناة التي كان ياتيهم الماء عليها ثم ان حسانا بلغه ان النصارى تجمعوا لقتاله وامدهم البربر فزحف اليهم فقاتلهم قتالا شديدا فانهزموا وهرب البربر الى اقليم برقة وقدم حسان مدينة القيروان فلما استراح الناس قال لهم دلوني على اعظم ملك بقي بافريقية اذا قتل خاف البربر والنصارى وهابت المسلمين فلا تقدم عليهم فقالوا ليس بافريقية اعظم من امرأة بجبل اوراس يقال لها الكاهنة والبربر والنصارى لها مطيعون ومنها خائفون فلما اخبروه بذلك توجه لقتال الكاهنة فبلغ الكاهنة امره فارتحلت من جبل اوراس في عدد عظيم الى مدينة باغية فاخرجت منها الروم واخربت حصنها وظنت ان حسانا انما يريد معقلا يتحصن فيه واقبل حسان في جيوشه حتى دنا بعضهم من بعض وذلك في آخر النهار فكره حسان لقاءها في ذلك الوقت فبات الناس على سروجهم حتى اصبح الله بخير الصباح فزحف بعضهم الى بعض واقتتلوا اشد قتال وقتل من العرب خلق كثير واسرت الكاهنة من اصحاب حسان ثلاثين رجلا منهم خالد بن يزيد العبسي وكان رجلا شريفا واتبعت الكاهنة حسانا حتى خرج من عمل قابس واسلم افريقية وكتب الى عبد الملك يخبره بما لقي المسلمون فوافاه كتابه يامره بالمقام حيث يدركه الجواب فادركه وهو بعمل برقة فاقام هنالك خمسة اعوام بموضع يعرف بقصور(١) حسان [وله نسبت قصور حسان](٢) ثم اعمل عبد الملك رايه فيمن يبعث لافريقية واستشار في ذلك فلم

(١) في جميع النسخ قصر حسان الا في الرحلة الناصرية طبقا لما ذكره الشريف الادريسي في نزهة المشتاق — (٢) ما بين القوسين ساقط في جميع النسخ الا في الرحلة الناصرية

يجد مثل حسان فبعث اليه جيشا عظيما ومالا وسلاحا وكانت الكاهنة اطلقت اصحابه الذين اسرتهم واحسنت اليهم الا خالد بن يزيد فانها امسكته وكان لها ولدان فقالت له اني اريد ان ارضعك مع ولديّ هاذين فقال لها كيف يكون ذلك وقد ذهب منك الرضاع فقالت انّا جماعة من البربر لنا رضاع نتوارث به اذا صنعناه ثم عمدت الى دقيق الشعير فلثته بزيت ثم جعلته على ثديها ثم امرت ولديها ان ياكلا منه مع خالد فاكلوه وقالت لهم انتم اخوة من الرضاع ثم ان حسانا وفدت اليه العرب ورجالها فدعا رجلا منهم فبعث معه كتابا الى خالد وكان واثقا بان خالدا لا يرجع عن الاسلام فلما اتى رسول حسان خالدا فوقف اليه في زي سائل فعلم خالد انه رسول فاعتذر له وقال له تعود في غير هذا الوقت فلما انقضى المجلس اتاه واخذ الكتاب فقراه وكتب له في ظهره ان البربر متفرقون لانظام ولا راي لهم وانما ابتلينا بامر اراد الله ان يكرم به من مضى فاطو المراحل وجد في السير فان الامر لله ولن يسلمك الله ولا حول ولا قوة الا بالله وجعل الكتاب في خبز ومضى الرسول فلم تلبث الكاهنة بعد ذهابه الى ان خرجت ناشرة شعرها تضرب صدرها وتقول ويلكم ذهب ملككم فيما يؤكل فافترقوا يمينا وشمالا يطلبون ذلك فستره الله عزوجل فلما وصل الى حسان اخرج الكتاب من الخبزة قد احترق فقال له حسان ارجع فقال له اني اخاف على نفسي فالمرأة كاهنة فكتب له كتابا وجعله في نقرة نقرت في قربوس سرجه وغطاه بالشمع فمضى الرسول حتى اتى خالدا فدفع اليه الكتاب وعرفه ان الاول احرقته النار فرد جوابه واعاده في قربوس سرجه ومضى فخرجت ناشرة شعرها تضرب صدرها وتقول ذهب ملككم في نبات الارض واراه بين لوحين وكانت الكاهنة قد ملكت افريقية خمس سنين منذ انصرف حسان عنها ولما رات ابطاء العرب قالت للبربر ان العرب انما يطلبون من افريقية المدائن(١) والذهب والفضة والشجر ونحن انما نطلب منها المزارع والمراعي ولانرى

(١) في الرحلة الناصرية المرافق او المرافق

لكم الا خراب افريقية حتى ييئسوا منها ويقل طمعهم منها فوجهت قومها الى كل ناحية يقطعون الزيتون والشجر ويهدمون الحصون فحكى بعض المؤرخين عن عبد الرحمن بن زياد بن انعم رحمه الله انه قال وكانت افريقية من طرابلس الى طنجة ظلا واحدا قرى متصلة وعامرة واخربت جميع ذلك قال الشيخ محمد بن علي شارح الشقراطسية سمعت من يقول انه كان بافريقية في القديم مائة الف حصن من بين قصر ومدينة واما ملكها اذا اراد الغزو بعث الى كل حصن فياتيه منه فارس ودينار فيجتمع له مائة الف فارس ومائة الف دينار ولا ينقص من بلده شيء والله اعلم بصحة ذلك ومن تأمل اثر المدن والقصور الخاربة بافريقية وتداني بعضها من بعض راى من ذلك ما يقضي منه العجب ويستدل على كثرة عمرانها في السالف وكذلك الشعاري التي بها اذا تامل اشجارها في مواضع على اعتدال وترتيب تنبئ انها مغروسة لانبات ويقال ان ما فيها الان من بطم انما كان فستقا وانما استحال الى الصغر والى طعم آخر لطول ما اتى عليه من السنين ولا شك ان من اكل البطم اخضر وجد طعمه كطعم الفستق قال فلما بلغ كتاب خالد الى حسان رحمه الله خرج بالجيوش فلقي في طريقه ثلاثمائة رجل من النصارى يستغيثون من الكاهنة فيما نزل بهم من الخراب واخراب ضيعهم ووصل الى قابس فخرج اليه اهلها وطلبوا منه الامان وكانوا قبل ذلك يتحصنون ويتمنعون من كل من مر بهم وترك عامله عليهم وقاطعهم على مال معلوم واستطال طريق القيروان فمال الى قصور قفصة فنزلها واهدى اليه ملوكها وملوك قفصة وقسطيلية ونفزاوة وبعثوا اليه يستغيثون من الكاهنة فسره ذلك وبلغ الكاهنة قدومه فرحلت من جبل اوراس تريده في خلق عظيم فلما كان الليل دعت ابنيها واخبرتهما انها مقتولة وكأنها تنظر الى رأسها يركض به فارسان الى ناحية المشرق وكأنها ترى رأسها بين يدي ملك العرب الذي بعث بهذا الرجل فقال لها خالد فاذا كان هكذا فارحلي بنا وخلي لهم عن البلاد واشار عليها اولادها بمثل ذلك فقالت كيف افر وانا مالكة والملوك لا تفر واورث قومي عارا فقالوا لها انما تخافين على قومك

فقالت اذا انا مت فلا ابقى الله منهم احدا فقال لها ابناها وخالد فما نحن صانعون فقالت اما انت يا خالد فستدرك ملكا عظيما عند الملك الاعظم واما اولادي فسيدركون سلطانا عند هذا الرجل و يعقد لهم على البربر ثم امرتهم ان يركبوا و يستامنوا اليه فركبوا وتوجهوا الى حسان فاعلمه خالد بقولها وانها مقتولة و بوصول ولديها فامر بحفظهما وامر خالدا على اعنة الخيل ثم خرجت الكاهنة ناشرة شعرها تقول انظروا ما دهاكم انظروا لانفسكم فانها مقتولة والتحمت الحرب واشتد القتال واستحر القتل في الفريقين حتى ظن الناس انه الفناء ثم انهزمت الكاهنة وتبعها حسان حتى قتلها وقطع راسها عند بئر يعرف ببئر الكاهنة وولى حسان الاكبر من ولدي الكاهنة على جماعة من البربر ثم ان البربر استامنوا الى حسان فلم يقبل الا ان يعطوا من قبائلهم اثني عشر الفا يكونون مع العرب مجاهدين فاجابوا واسلموا على يديه فعقد لكل واحد من ولدي الكاهنة على ستة آلاف واخرجهم مع العرب يجاهدون في سبيل الله عزوجل بافريقية ويقتلون الكفرة من الروم والبربر والنصارى (١) وانصرف حسان الى القيروان وذلك في سنة اربع وثمانين وقد دانت له افريقية وكتب الخراج على من بها من النصارى ومن كان على دين النصرانية من البربر وغيرهم واقام بافريقية لا ينازعه بشر الى ان عزل عنها ووليها موسى بن نصير اه ملخصا من شرح السفراطسية للشيخ محمد بن علي و بعضه بالمعنى والتقديم والتاخير .

ثم دخلنا لزيارته مع جملة وافرة من اصحابنا اصفرارا وقبره بالبسيط الذي تحت جبل او راس الذي قتل به وهو مشهور يزار وعليه مسجد عجيب وحوله قرية عجيبة في وسط هذا البسيط وفي مسجده ماذنة كبيرة عظيمة متقنة البناء وفي اعلاها عمود يزعم الحجاج ان من تمسك بذلك العمود وحركه وقال اقسمت عليك اينها الماذنة بحق سيدي عقبة الا ما تحركت فتهتز وفي حجة سنة ٩٦ (٢) ست وتسعين طلع اليها بعض اصحابنا

---

(١) باسقاط النصارى في الرحلة الناصرية — (٢) في نسختين ٩٩

كالفاضي سيدي احمد بن ابراهيم المراكشي والففيه سيدي عبد الله بن ابراهيم السملالي امام مسجد طلحة وسيدي محمد بن عبد العزيز الرسموكي وشاهدوا ذلك وصدفوه وانكر ذلك الامام شيخنا سيدي عبد الله العياشي فال وطلعت اليها ورايت ذلك وليس كما زعموا وانما هو من انفان البناء وفرط طوله فاذا صودم بفوة ظهر فيه شبه اهتزاز وذلك يفع في كل بناء وفال وغالب من دخل المسجد من الحجاج يكتب خطه على اساطين المسجد وحيطانه ويكتب اسمه واتخذوا ذلك ديدنا وعادة مستمرة انتهى وفد دخلت اليه مرارا وصليت فيه سبحة(١) الضحى وهذه المرة زرناه اضطرارا في وفت لا تحل فيه النافلة .

﴿ انعطاف للمفصود ﴾ وهو اننا ارتحلنا من سيدي عفبة [صبيحة](٢) وتوجهنا الى الزرائب فبتنا فبل وصولها وكنا في ذلك اليوم فد توافينا بإبل كثيرة للبيع فاشترى منها اخونا سيدي احمد الطيب ما شاء الله ومع ذلك هي ارفق مما سبق من بسكرة وفرية مدكال وفي هذا اليوم لفينا ولد الشيخ الجيد الذي ازمة العرب في يده وايضا كلمته مفبولة ومنفذة عند الترك الحاج بن ڤانة وكان رجلا عافلا مطمئنا في نفسه ثفيلا ياخذ كثيرا بيد الضعيف ولذا لم يخب سعيه ولا انكشف رايه فدام ما معه من الستر والعافية عليه مع تداول اولي الامر على وطن فسنطينة وعادتهم اذا جاء وال جديد غيّر اهل الدولة الاولى ورد ما يصلح به من اصحابه وهو والحمد لله مفبول محبوب عند كل متول وسبب ذلك دعوة اهل الخير وفق الله الكل الى صالح الفول والعمل ثم بعد ذلك ارتحلنا ووصلنا فرب الزرائب بل نحن البغالة تفدمنا الى الفرية فخرج اهلها الينا متسوفين(٣) بالبنادق والحياك والغنم غير ان بعضهم فهمنا منه انه يريد الخطفة لانه فد كثر الراكب من اهل الركب ونحن كذلك حتى وصل آخر الناس اذ جاؤا مفترفين فاتوا من غير بفاء احد عندهم خوفا من الخطفة على انهم منعوا(٤) ان يمر احد وسط الفرية خوفا من غوائل الركب

---

(١) في نسختين صبيحة وفي واحدة صلاة — (٢) ما بين الفوسين سافط في ثلاث نسخ — (٣) في نسخة متشوفين — (٤) في نسخة ممنوع

﴿ نعم ﴾ الطريق التي يهبط الناس معها ضيقة الى الوادي والركب والحمد لله لم يكن اعظم منه وما طلع ركب من المغرب مثله في الكثرة ولما ضاق الطريق بالناس ذهب الناس واحدا بعد واحد ومرحولا بعد مرحول وقد تقدمت انا وجماعة من الفضلاء الى ان وصلنا الى روضة الشيخ سيدي حسن الكوفي الذي قبره قرب الوادي فنزلنا عنده وزرناه ومن بركته ان الوادي اخذ اطراف الارض القريبة له لقوته حين حمله وهو اذا وصل قرب قبر الشيخ نكص على عقبيه(١) ورجع على حاله وهي بركة عظيمة نعم تخلف الفضلاء سيدي احمد بن حمود وسيدي عبد الكريم وسيدي عيسى الشريف والحاج محمد بن علي والحاج عمر بن يوسف والحاج عبد الله بن عمر فاتى رجل فاخذ مكحلة من يد سيدي احمد بن حمود خطفة ولم ياخذها منه لانه اشتد مسكه(٢) لها فاظهر من حضر هنالك الشجاعة بحيث هرب الرجل الى وسط القرية وتعبته(٣) الجماعة في اثره ووجهوا المكاحل في اثر المذكور(٤) بالبنادق الى القرية واخذوا منهم سيفا ممن كان معه لانهم قد تمالوا في الواقع على ذلك ولم يقع منهم ضرب ولا غيره ومع هذا ان اصحابنا قد كان معهم دراهم كثيرة لم يصلوا اليهم مع كثرتهم والمنة لله ولرسوله ﴿ نعم ﴾ قد نزلنا عند ذلك الشيخ الى قرب الظهر وهذا الشيخ ولي لله تعالى شريف زعم اهل بلده انه طار من الكوفة [قلت قال شيخ شيوخنا سيدي احمد بن ناصر في رحلته ما نصه وجلسنا هنالك وقيلنا في قبة ولي الله الشريف سيدي حسن الكوفي وزعم اهل تلك النواحي انه طار من الكوفة](٥) وقد قيل له ذات يوم من لنا بانك شريف فذهب ساعتئذ فرجع قريبا فاذا بيده صك فيه نسبه كما كتب بخط كوفي وكان واديهم لا يجري فشكوا اليه ذلك فقال لهم جروني فيه فجعلوا فكان الوادي بعد ذلك يجري الى الان اخبرنا بهذا جماعة ممن يوثق بهم من اولاد سيدي ناجي الخ اه ولنرجع الى ما كنا

---

(١) في نسخة عقبه وفي اخرى عاقبه — (٢) في نسخة تمسكه — (٣) في نسختين تابعه — (٤) في ثلاث نسخ ووجهوا المكاحل مع آثاره المذكورين — (٥) ما بين القوسين ساقط في نسخة

بصدده وهو انه ركبنا من ذلك السيد نفعنا الله به بعد زيارتنا له ثم بتنا في الطريق فبل غزران(١) على وزن عمران وبه واد جار ووجدنا عرب النمامشة فهم افبح الناس واكثرهم شرا فمنهم من ياتي للسرفة ومنهم من ياتي للخطفة ولا يحكم بعضهم في بعض ومع ذلك انهم لم يكونوا في حكم سلطان تونس ولا في حكم باي فسنطينة فانهم هاربون في الصحراء واخذوا منا بغلة وجملين (٢) ونحن اخذنا منهم فرسا ومكاحل اعطيناهم لصاحب البغلة والجملين من غير رضى الشيخ خوفا منهم ان يرجع على طريفهم فياخذونه غير ان الفصاص مطلوب شرعا .

ثم ظعنا ونزلنا غزران ثم نزلنا منزلة اخرى فبل الحامة ثم بتنا فيها وكان فبل ذلك اتانا شيخ الخنفة مع طائفة من الترك هاربين من الجزائر ليذهبوا مع الركب اتى بهم ليلا فخرجت اليه خوفا(٣) من دخول الركب ليلا فلفيته فطلبنا في الدعاء الصالح وطلبناه ايضا ثم رجع الى وطنه وكنت دخلت الخنفة في الحجة الاولى مع امير الحجاج سيدي احمد بن الطيب نجل الشيخ سيدي احمد بن يوسف الذي كانت ولايته ظاهرة شرفا وغربا وكراماته [وخوارق عادته](٤) نفعنا الله به آمين ورضي عنه لا تكاد ان تحصى وفد الف الصباغ تاليفا حسنا نحو الثلاثين كراسا [في كراماته وخوارق عادته نفعنا الله به آمين](٥) والصباغ هذا ليس الصباغ الذي شرح الوغليسية والله اعلم وفد سمعت ممن يوثق به انه اخذ عن الشيخ زروق فصار يترفى حتى اخذ زروق عنه وفد وشي به في زمانه الى سلطان فاس فبعث الشيخ اليه سيدي احمد بن يوسف رمزا ففال الذي يفدر على حله يعترضني وهو فوله نسجت برنسا(٦) من ماء * فغطيت به من الارض الى السماء * وجعلت عمامة من ثلج * وفناديل من ريح * وفتائل من ضباب * ثم بعث به الى السلطان فجمع اهل دولته مع من كان من العلماء في فاس ليفهموا ذلك الرمز فلم يكشف

(١) في نسخة غرزان وفي اخرى غزوان وفي الرحلة الناصرية غسران على وزن عمران — (٢) في نسخة بغلا وجملين — (٣) في ثلاث نسخ خاف — (٤) ما بين الفوسين سافط في نسختين — (٥) ما بين الفوسين سافط في ثلاث نسخ — (٦) في ثلاث نسخ برذوصا وفي نسختين برذوسا

لاحد معناه ولم يفتح لهم فيه لانهم لم يعتقدوا الشيخ فحرموا بركته لعدم تسليمهم له ثم قالوا للامير هذا كلام لا يفهمه الا ذوو ه وقد جعلت رسالة في شرحه وحاصل معناه باختصار والله اعلم باسرار اوليائه ان البرنس المجعول من الماء هو قوله صلى الله عليه وسلم من اسر سريرة مع الله كساه الله رداءها وسريرته هو الانس بالمحبوب بزوال الحجب و برد الرضى به لان بدايات الحب بالحرارة وكذا مقدمات الرضى ايضا فلما اتصف ببرد الرضى وانس المحبوب نسج من ذلك برنسا وكنى عن ذلك بالماء وغطاؤه من الارض الى السماء قوله صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا نادى به في السماء فان فلانا احبه الله فيحبه اهل السماء والارض اوكما قال عليه الصلاة والسلام وفي رواية فيحبه اهل السماء و يضع له القبول في الارض(١) جعلنا الله ممن يحبه بلا محنة دنيا واخرى بمنه وكرمه آمين .

واما العمامة من ثلج فهي ما تقلده من انوار الشريعة وسواطع الحفيفة اذ يظهر ذلك على صاحبها كالعمامة والتاج ولاشك انهما كالثلج لقوله صلى الله عليه وسلم فيها المحجة البيضاء ولاشك ايضا ان مقتضى الشريعة وامثالها يبرد حرارة النفس في طلب رضاها فالشريعة كالثلج في البياض(٢) والابراد لما ذكر .

واما القناديل من الريح فهي معاني الصفات واستنشاق شذا معنى الذات من غير مرية ان ذلك اعظم من القناديل في الاشراق .

واما الريح فهو الوارد على القلب الذي يوجب حبا للمحب وشوقا للشائق وعشقا لذي عشق وخوفا و رجاء وقبضا و بسطا وهيبة وانسا وغير ذلك من المقامات اذ الوارد ريح قطعا .

واما الفتائل من ضباب فهي معاني الاسماء والاذكار .

---

(١) في نسخة اذا احب الله عبدا نادى يا جبريل ان الله يحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في اهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض — (٢) في جميع النسخ البيوضة

واما الضباب فهي الحالة المستمدة منها المعاني فانها كالضباب ولذلك كانت بداية للمبتدي اذ هو جاهل للعواقب وقد علمت ان الضباب يمنع بعض الاشراق بحيث لا يصفو لصاحبه وقت ولا يعلم حقيقة مقامه الخ فاذا علمت هذا علمت ان كلام الاولياء متشابه فلا يعلمه الا الله الذي اورده عليهم والراسخون في العلم والمعرفة ولذلك لا يجزم بان هذا معناه بل انما يقال لهذا اشار والله اعلم من غير جزم لان مشربهم قد يكون خاصا بهم فلا يفهم ما عبر به عنه الا تلويحا وقد يكون عاما فيفهمه كل من كان في ذلك المشرب لقوله تعالى قد علم كل اناس مشربهم فلم يبق الا الاستسلام والتفويض لامر الله تعالى غير ان باب الفتح ليس مسدودا عن العارفين انتهى .

انعطاف في تكميل ما تعلق باحوالنا ببسكرة فاننا قد بقينا فيها يومين في شراء الرواحل وما يختص من جهاز النوافل(١) ومع ذلك نحن مشتغلون بزيارة الافاضل الاحياء والاموات مثل الشيخ الولي الصالح البدر الواضح سيدي ابي الفضل تلميذ ابي الفضل النحوي المشهور والشيخ سيدي زرزور(٢) مع من فيها من الاولياء وان كان عن بعد مع دخولنا المسجد الجامع الاكبر الواسع ذي البنيان الشامخ فلم يوجد فيما علمت احسن منه ولا اوسع ولا اعظم في المساجد المعلومة غير انه كالعدم في زماننا لاندراس العلم واهله اذ لا تجد طالبا يقرأ القرآن او يتعلم مسألة من العلم فيه اذ مثله لا يخلو عن ذلك وهذه المدينة قديمة مشهورة بالعلم والولاية والجد في طلبهما فلما خربت وانجلى اهلها من جواره بان سكنوا(٣) واستقروا في البساتين انعدم ذلك منه فساء امره وان عظم جرمه نعم حتى صلاة الفرض بالراتب انقطعت منه فلم يبق فيه الا صلاة الجمعة وقد علمت ما فيه من التردد واما بعد المسجد من العمارة الان فلا يضر في صلاة الجمعة فما عسى ان يخدش في ذلك فمردود لان اتصال الخراب بمسجد الجمعة كاتصال العمارة به وان بعد جدا كمسجد عمرو بن

(١) في نسخة القوافل — (٢) في ثلاث نسخ جرور وفي واحدة اجرور او احرور —
(٣) في نسخة وانجلى اهلها من جور الحاكم بان يسكنوا

العاص بمصر العتيق وانعكاس الدخان على الخراب كانعكاسه على العمارة ولا يشترط انعكاسه حقيقة بل انعكاسه حكما كاف وان لم توجد عمارة اصلا فضلا عن الخراب كتوسطه في البلد بان تكون العمارة محفوفة به اي بجوانبه كاكثر مساجد المنشية فان اكثر مساجدها كذلك وكذا غيره خارج طرابلس كالساحل ومسراتة وما فيه البساتين المسكونة ولا شك في انعكاس الدخان عليه وذلك كاف فلم يبق لقائل ما يقول فلا يشك عاقل في صحة الجمعة في مسجد بحدوس في زمورة وما زعمه بعض الطلبة كما كنت اسمعه من القدح في الصلاة فيه لعدم انعكاس الدخان ظنا منه ان دخان العمارة لابد ان يتصل بجداره وذلك غير صحيح اذ الحق ما سمعته انظر تلامذة الاجهوري كالعلامة المحقق الشيخ عبد الباقي وشرح الزروق على القرطبية وغيرهما من دواوين المالكية واياك والاسراع الى الانكار فانه غرة ومكر لصاحبه فيا عجبا لمن لم يشاهد النقول ولا الاوطان التي استقر فيها ذوو التصانيف المشهورة والتآليف المعتبرة فانهم امروا بتلك المساجد البعيدة المحفوفة بعمارة بحيث اذا انعكس الدخان لا يصل اليها البتة وانما المراد بانعكاسه بحيث يكون متوسطا في العمارة وان لم يصل دخانه لجداره هذا هو المراد بدليل رؤية العلماء لذلك ومشاهدتهم لما هنالك والاقرار عليه كاف ومآذنته عظيمة وقد تقدم بيان ما فيها من الدرج ومع ذلك انها واسعة بحيث يصعد اليها الدواب بالاحمال المثقلة من غير تعسف ولا تكلف لكن اقول كما قال شيخ شيوخنا سيدي احمد بن ناصر اجتمع عليها امران ظلم الاتراك وظلم الاعراب فكانت بينهما كالكرة(١) في ايدي الصبيان مع نفوذ الوعيد فيها من امر الوباء حتى صارت في قلة بحيث انسلخت عن اوصاف الامصار بل عن اوصاف المدن الصغار فهي الان لا حمام فيها ولا سوق يعتبر منها غير ان الاتراك استولوا عليها استيلاء عظيما وما كان من المدارس والاحباس التي لم توجد في الامصار هي في ايديهم ياكلون منها

---

(١) في جميع النسخ كالكورة

وينتبعون بها اثم انتفاع كالاملاك الخفيفة المباحة بل هي ليست لهم ولا انهم من اهلهـا بل لما تمـردوا وطغوا جعلوا جميـع الخطط الشرعية لهم ظلما وعدوانا وهذا والعياذ بالله سبـب اندراس العلم واهله من كل وطن يوجد فيه ذلك .

وقد سمعت ان القاضي والمفتي فيها لا يتولى الا باعطاء لهم وارتشاء لديهم وكذا في غيرها من عمالة الجزائـر وقد قال بعض الفقهاء ممن شـرح على المختصر كالشيخ ابراهيـم الشبرخيتي ان المتولي للاحكام الشرعية باعطاء منه فاحكامه مردودة وان وافقـت الحق(١) وصلاته للجمعة باطلة ان كان اماما فان بطلت عليه بطلت على جميع من اقتدى به فينبغي للانسان ان ينظر من كان سالما من هذه الجرأة الكبيرة والفرية العظيمة فيقتـدي به اقول قد كان والدي رحمه الله ونفعنا به متبعا للسنة النبوية ومقتفيا للاحكام الشرعية حتى صارت له السنة طبيعة من طبائعه وصفة من اوصافه جعل المدخـل وابن ابي جمرة امامه بحيث توخذ السنة من فعله وقوله وحركتـه وسكونه واعتقاده اذا ذهب الى بجاية وادرك الجمعـة هناك فلا يصليها مع ائمتها لما علم منهم ذلـك وانما يصليهـا ظهرا معتذرا بما ذكرناه وينهـى مريد الصلاة معهم على انه راغب في تحصيل فضلهـا وقد اهتم بشانها اذ يقول بوجوبها في اكثر القرى من بلدنا وكان رضي الله عنه يذهب لتحصيل فضلها لابعد المساجـد في وطننـا نحو الثمانية اميال او اقل لقلة الاعتنـاء [بمن قرب منه بها وكذلـك الاحكام الشرعية فانهـم لا اعتناء](٢) لهم بها اذ كم من شعيرة من شعائر الاسلام قد تركت ونبذت في وطننا بان بدلت بالضد والعياذ بالله تعالى ومع هذا فان اهل وطننا لم يعدموا علماء ولا افادة في كل العلوم او جلها قراءة تحقيق و بحث غير ان النفع مقصور على الاذعان(٣) اي الامتثال نعم الان والحمدلله قد رجعت الناس الى الاذعان بها واقامة الجمعة في اكثر الاوطان والمواطن على الوجه الشرعي بل اكثر الاحكام العادية من احكام الجاهلية قد تركوها ونبذوها وراء ظهورهم والحمد لله على

(١) في نسخة وان وقعت على الحق — (٢) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٣) في ثلاث نسخ الاذان

ذلك فانهم كانوا قبل ذلك يتخذون رؤساء جهالا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا الغير ومن عادتهم القبيحة وافعالهم الشنيعة قطع الميراث للنساء بل زادوا في الضلال ان الرجل اذا مات ورث اخوه ماله وزوجته كما كان في الجاهلية قبل الاسلام اذ المشرع تلك(١) الاحكام وهو الشيطان حتى لم يمت قفويت دسائسهم بكثرة المخالفة نعم الانسان اذا رأى اخا له او ابن عمه ذا مال قتله واخذ ماله واهله الى غير ذلك من اوصافهم الردية والعياذ بالله .

تتمة وانعطاف الى ما كنا بصدده من الاقامة بالمدينة المذكورة و زيارة الفضلاء فيها الاحياء والاموات على سبيل الجملة والتفصيل من غير تخصيص(٢) عن العامة والخاصة والافاضل والاوباش من النساء والرجال حقق الله لنا بركة الجميع بمنه وكرمه هذا وان التعبير عما سبق لهذه المدينة من الفضل والاعتبار * والاشتغال بالعلم والاذكار * ومن كان فيها من المقربين الاخيار * افاض الله علينا من بركاتهم * ورزقنا من نفحاتهم * التعبير(٣) والتفوه بمحاسن اهلها وما فيها من البساتين المنتخبة * والاشجار الطيبة * والاحوال المزخرفة * والابنية المشرفة * العالية الشامخة المتلطفة * فالاليق(٤) الضرب عنه صفحا * والطي عنه كشحا * بعد الاغتنام بما هو مقصود بالذات الذي هو الاقتباس من انوارهم والتحلي بحللهم والاستمداد من مددهم(٥) الذي كان سابقا ولا حقا بحسب الزمان والمكان والاشخاص والانواع فجدير ان يكون لنا نصيب من ارض الكرام [امر محقق وحال مشهور](٦) نعم قد ظعنا منها بعد التمكين والاستفاء من اهلها ما قدر لنا حسا ومعنى الى القرية الطيبة الشريفة بتربة صاحب النبي المختار صلى الله عليه وسلم وسيدنا ومولانا ذي الفضل والمجد الاثيل عقبة بن نافع القرشي الخ فلما وصلنا اليها نزلنا تحتها وفرغنا من اشغالنا المتعلقة بالنزول من بناء الخيام وحط الرحال ورعي الابل والصلاة وشروطها اذ نزلنا فيها عند الظهر اوائل رجب سنة ١١٧٩ تسع وسبعين ومائة والف ذهبنا الى زيارة المشار اليه ذي الانوار *

---

(١) في نسخة لتلك — (٢) في ثلاث نسخ محيص (٣) في نسخة باسقاط التعبير — (٤) في نسخة اللائق — (٥) في نسخة بمددهم — (٦) ما بين القوسين ساقط في ثلاث نسخ

التي اقتبسها من صحبة النبي المختار * صلى الله عليه وسلم وكرم فكان الفتح منه لانه باب الله الاعظم * وسلمه المضيء لا فخم * وقد قال تعالى واتوا البيوت من ابوابها وهو احسن الابواب والوسائل على اننا قد اعتصمنا بالعروة الوثقى وان كان معنا بعض سيء الادب معه لان من اساء الادب مع واحد من اصحابه(١) فقد اساء معه صلى الله عليه وسلم ولما وصلنا الى قبره الشريف * وتربته(٢) المنيف * اتينا الى قبالة وجهه وجسده الظريف * كما ورد به الخبر وهو انه من اتى زائرا لضريح ولي من اوليائه او نبي من انبيائه او صالح من صلحائه يقف عند رجليه او عند وجهه مستقبلا المزور ثم يسأل الله تعالى بجاهه ان يمنّ عليه بغاية المسئول والمامول من خير الدنيا والاخرة وقد رايت في بعض الاخبار واظنه في حلية ابي نعيم انه يقول عند ذلك اللهم بجاه انبيائك واصفيائك وصهيب وعمار بن ياسر(٣) واويس القرني وعبد الله بن الحصين وعبد الله بن المبارك [وابي يزيد البسطامي](٤) وابي القاسم الجنيد ولا ادري هل زاد معروفا الكرخي ام لا وبجاه صاحب هذا الضريح فلان بن فلان ان تمنّ علي بكذا وكذا اي بان يعين حاجته دنيوية او اخروية فانه يجاب لذلك بمنه وكرمه وجاههم وفضلهم وقد فعلنا ذلك والحمد لله على منته والتفضل ببركته * والوصول الى تربته * والتنعم بمشاهدته * فابتهلنا في الدعاء بجاهه وبجاه من خلقت الدنيا والاخرة من اجله صلى الله عليه وسلم .

[نعم عقبة هذا قد ولد في زمانه صلى الله عليه وسلم ولذا قيل انه صحابي](٥) .

﴿ لطيفة ﴾ فان الوقوف عند ابواب الاولياء والسؤال منهم والاحتياج اليهم والنظر في وجوههم او مشاهدة قبورهم والتضرع لله بين ايديهم والتحبب لديهم والتوثق فيهم(٦) والشغف بهم والذل والمسكنة عندهم لقدر جليل عند الله والله اجل واعظم من ان يرد من هذا وصفه

(١) في نسخة قد اعتصمنا بالعروة الوثقى واستعملنا الادب معه لان من اساء الادب مع واحد من اصحابه — (٢) كذا في نسختين وفي نسخة تربة قبره المنيف وفي اخرى تربته المنيفة — (٣) في ثلاث نسخ يسار — (٤) ما بين القوسين ساقط في نسختين — (٥) ما بين القوسين ساقط في نسختين — (٦) في نسخة التشوق فيهم

وعليه حاله خائبا حاشاه من كريم ان يفعله وما عداه (١) من ذي جود ان يعمله لان المحبوب عند الله قريب لديه يستحي ان يرد من تشفع به وايضا لا يوفق الى زيارتهم ومحبتهم وقضاء مآربهم الا سعيد وانهم قوم لا يشقى بهم جليسهم لانهم احياء في قبورهم والله تعالى يقول ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الاية هذا في شهداء القتل وشهداء المحبة افضل لان شهداء القتل ارواحهم في حواصل طير خضر يسرحون بها في الجنة وشهداء المحبة باجسادهم في حواصل طيور خضر يسرحون بها في الجنة ايضا فانظر هذا الفضل العظيم اللهم اجعلنا من اهله وحففنا بكرمه ومنه انتهى ﴿ ولما ﴾ فرغنا من زيارته وزيارة مسجده وهو مسجد عظيم يستحسنه كل من رآه سيما انوار هذا الصحابي مشرقة عليه وعلى زائره وعلى محبيه ومحب محبه ومجاوره ﴿ وزرنا ﴾ من كان في القرية ايضا وقد قيل ان بعض الصحابة مدفون في بعض نواحيه وقد زرناه والحمد لله وزرنا من كان في القرية جملة وتفصيلا احياء وامواتا خصوصا الاشراف المستقرين فيها كمشائخهم وافاضلهم (٢) وهذه القرية كثيرة النخل والمزارع وهي على ماء جار حلو عذب بارد في الصيف ومع ذلك فهي ارض حارة في الصحراء غير ان ماءها ياتي من الجبال مملوك لبعض اهل القرية ومن كان خارجا منها وقد تشرفت هذه القرية على سائر القرى من الزاب وعلى مدينة بسكرة بهذا الصحابي العظيم افتخاره والسني انواره والعلي اسراره وهم في عيش هنيء وامد سني غير انه اصابت الشرفاء جائحة الفتنة وعوائق العداوة فهم فريقان فريق في القرية وهو المتمكن المعتصم باولي الولاية من الترك والمتمسك بجاههم اذ من تمسك بهم تفرعن على غيره (٣) وفريق آخر خارج عنها مستقر بغيرها من قرى الزاب ومدينة بسكرة حتى يفتح الله عليهم وهو خير الفاتحين لان الدهر قُلَّب ان دام لشخص يوما فبعده ينقلب قال تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس الاية غير ان جدهم خير الخلق وافضلهم على العموم يذب

---

(١) في اربع نسخ عاداه — (٢) في ثلاث نسخ كشيخهم وافضلهم وفي اخرى كشيخهم وافاضلهم — (٣) في نسخة فازعن غيره

عنهم و يحفظون لاجله فان كان الصالح يراعي اليه في اولاده فاولى النبي صلى الله عليه وسلم في قرابته وكيف لا والله يقول قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ﴿لطيفة﴾ قال الشيخ سيدي احمد زروق نفعنا الله به في حقهم انه يجب على الناس تعظيم الاشراف اي تعظيم ومحبتهم واعتقادهم لوجه جدهم الذي انتموا اليه وانتسبوا اليه وان يعتقدوا ايضا ان الله يغفر لهم لا لشيء اسلفوه ولا لامر فعلوه وان وقعت منهم اذاية لاحد فيجب ان يعتقدها كالامر السماوي من الله وكالغرق والحرق واما هم فيجب عليهم ان يعتقدوا ان معصيتهم اكبر المعاصي لان الفلاح مع الملك يعمل ما ليس بصلاح ويقابل بالسماح والوزير يجلس مع الملك على السرير ويخنق بالحرير اه .

فانت ترى ايها المخاطب الى هذا الجانب الاعلى العظيم(١) فكيف يبغضون ويؤذون وان ذلك من اكبر المقت وقد قال القسطلاني في المواهب اللدنية في السيرة النبوية من المعاصي التي لا تغفر اصلا ولا تقبل فيها التوبة بغض آل النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى قل ان كان آباؤكم الى قوله والله لا يهدي القوم الفاسقين انتهى .

فان قلت كل الناس يدعي(٢) الشرف وتعظيمهم مشقة عظيمة وعسر عظيم في الدين وتصديقهم تعسف فيه فكيف العمل فهل يصدق الجميع ام يكذب الجميع ام البعض دون البعض وتصديق الاول باطل وكذا الثاني لبطلان كون الجميع شرفاء او لا شرف فيهم وكذا الثالث باطل للتحكم لاستواء الناس في نظر العقل ﴿قلت﴾ الحق بين والدواعي كلها باطلة فلزم ان يكون ممنوعا وسند المنع ان الانوار النبوية ظاهرة بينة لا غبار عليها .

وقد قيل لبعض الاشراف ما منعك ان تتوسم بعلامة الشرف فقال منعني من ذلك ان انوار النبوة هي ادل دليل فكيف يصح ان يكون لها علامة من غيرها ولذا قيل .

---

(١) في نسخة الجانب الاعظم — (٢) في ثلاث نسخ تدعي .

جعلوا لابناء الرسول علامة(١) * ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم(٢) * يغني الشريف عن الطراز الاخضر

﴿ فان قلت ﴾ هذا لارباب القلوب ومن يراعي الخواطر وكل الناس ليس عليه لغلبة الهوى وسلطان الجهل والتعلق بالسوء(٣) وذلك صدأ مرآة الضمائر والعقول فلا يظهر الشريف من غيره لكل الناس اذاً فلابد من علامة اخرى تشترك فيها الناس كلهم ﴿ قلت ﴾ الامر كما ذكرت غير ان الاحكام الشرعية والقضايا الالهية حكمت بان الشريف مصدق في نسبه كما يصدق في ماله فان حيازة الاموال معتبرة شرعا كذلك حيازة النسب والحيازة في الاموال لابد وان تكون في امد طويل بحيث يقطع ان هذا لمن حازه ويقوم الامد الطويل مقام البينة القاطعة به كذلك النسب فلابد وان يكون امدا طويلا يقطع فيه العقل والعادة بانه لا خلل فيه اذ لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وحينئذ الناس مصدقون في انسابهم لوجود الحيازة فيها كحيازة الاموال قاله الاجهوري اذ قال الناس على ما حازوا من انسابهم فيصدقون فيها عملا بالحيازة كما يصدقون في الاموال عملا بها انتهى بالمعنى ﴿ قلت ﴾ قال الشيخ عبد الباقي في باب مصرف الزكاة بكسر الراء الشرف يثبت بالشهرة اه فانت ترى ان الشرف يثبت بالحيازة وبشهرته فتبنى عليه احكامه من تحريم الصدقة وتعظيم جانبه لاجله وثبوت حقه فيما له حق فيه وغير ذلك فيما(٤) يثبت فيه اه .

﴿ انعطاف الى ما كنا بصدده ﴾ وهو انه لما فرغنا من زيارته وزيارة غيره رجعنا الى الركب واقمنا تلك الليلة في حفظه(٥) وعنايته الى ان تنفس الصبح قام الركب لتجهيز الرواحل من هذه القرية نعم هذه القرية ليس لها نظير فهي احسن ما وجد في البلاد مزارع واشجارا ومياها كما تقدم وحسنها في المعنى اكثر بالسيد عقبة وان كان ليس بصحابي وانما سمي صحابيا

---

(١) في نسخة لاولاد النبي — (٢) في نسخة في وسيم وجوههم — (٣) في ثلاث نسخ بالسوا وفي اخرى بالسوى — (٤) في نسخة مما — (٥) اي في حفظ سيدي عقبة

لكونه ولد في زمان النبي صلى الله عليه وسلم فمن نظر الى ذلك سماه صحابيا ولا فالصحابي حقيقة هو من اجتمع بالنبي(١) صلى الله عليه وسلم اجتماعا متعارفا بحيث تقضي العادة ان ذلك الاجتماع يفيد الصحبة احترازا عن الاجتياز فلا تثبت به الصحبة ولا يشترط فيها الرؤية ولا الرواية عنه وانما هو تابعي لان من راى الصحابة تابعي ونور النبوة انما يشاهده شخص او اشخاص وهو فتح إلهي ووهب رباني ونور صمداني لان خواص النبوة وانوار الولاية موكّلة لاهلها من المحبوبين لديه جعلنا الله منهم آمين .

﴿ انعطاف ﴾ والحنفة قرية مباركة طيبة ذات نخل واشجار في وسط واد بين جبلين وقد قيل انها تشبه مكة في وضعها(٢) وفي البركة غير ان التشبيه فيه بعض التغالي لكن كلام الاولياء مقبول فيؤوّل بما يوافق الشريعة من غير تلبس ولا التباس نعم لها فضل عظيم سيما اظهار العلم فيها فانهم مشتغلون بالنحو والفقه والحديث خصوصا مختصر البخاري لابن ابي جمرة واما علم الكلام والمنطق فمنعدم في محالهم رأسا وقد سألتهم عن عدم الاشتغال بعلم التوحيد فقالوا وهل يحتاج الشمس الى دليل في قوة قضية قائلة ان الله لا يحتاج في معرفته الى دليل وبرهان واتقان عقائد كانه ضروري عندهم زعما منهم ان ابن ابي جمرة نهى عن الخوض فيه بان قال يحرم الخوض فيه وانما يقرأ على مذهب السلف الصالح اي الصحابة رضوان الله عليهم ﴿ قلت ﴾ هذا من الحرمان البين والخذلان المتمكن والقساوة الجلية اذ لا يمكن هذا شرعا فان العلم بحقائق الصفات والحكم بوجوبها للذات العلية اي الجزم بذلك من غير دليل عقلي وكذا ما يستحيل عليه وما يجوز في حقه ظاهر الرد شرعا اذ اختلف فيمن هذا وصفه هل هو مؤمن لكونه جزم بالعقائد والحكم بها للمولى جل جلاله مع عصيانه وهو الراجح عند الكثير من العلماء او كافر يخلد في النار مع سائر الكفرة وهو الذي رجحه الشيخ السنوسي في شرح كبراه بان نسبه للمحققين [في برهان الوحدانية](٣)

---

(١) في ثلاث نسخ مع النبي — (٢) في نسختين وصفها — (٣) ما بين القوسين ساقط في نسختين

كالشيخ الاشعري وامام الحرمين وغيرهما الى ان قال وهو رأيي فانت ترى ايها المخاطب ان هذه دسيسة دسها اللعين لهم ولم يتفطنوا لما هم عليه من الكفر اجماعا ان لم يحصلوا مرتبة التقليد او على الخلاف ان حصلوها واي مصيبة و بلوة ومحنة اعظم من الكفر بالاجماع او على الخلاف فان قالوا هذا ممنوع في حقنا وسند المنع كوننا على العلم فاننا نحفظ القرآن ونفهم السنة وادلتها كافية وتقليد المعصوم كاف حسبما صرح به غير واحد كابن عرفة وغيره فما هذا الا تحامل منك «(قلت)» هذا لا يسمن ولا يغني من جوع لما علمت ان بعض المعتقدات كالوجود والسلب(١) غير الوحدانية فان فيها خلافا في الاكتفاء بدليل النقل فيها او لابد من دليل العقل وهو الراجح [فلابد فيها من دليل العقل فلا يكفي فيها دليل النقل](٢) اذ لو عرف بدليل النقل لدار [وما دار لا يحصل علما](٢) وبيان الدور ليس هذا محله وكذا مصححات(٣) الفعل كالقدرة والارادة والعلم والحياة فلابد فيها من دليل العقل ايضا وحينئذ ما تخيلوه من الاكتفاء في التوحيد بادلة النقل واضح الرد وما ذكره ابن عرفة من الاكتفاء به اما خاص بالمعتقدات كالذي يرجع(٤) للكمال كالسمع والبصر والكلام ونفي النقائص عنه فانه يكفي دليل النقل فيها ولذا قال بعضهم اعني ابن زكري

قالوا حديث النقص والكمال ✻ من الخطابة في الاستدلال(٥)

والخطابة بفتح الخاء قضايا مقبولة تصدر من المقبول غير النبي(٦) كالصالح والعالم والعامل ومن حلي بالقبول من الله وعندهم ادلة النقول للمعقول من الخطابة او كلام ابن عرفة عام فيها غير انه ضعيف جدا فلا يصح للاستناد بل لا يصح ذلك لان من لم يعلم الله كيف يعلم ان الكلام كلامه ولعله ان يكون الكلام المستدل به لغيره وما ذكره ابن ابي جمرة ايضا من حرمة الخوض في علم الكلام انما هو بعد معرفة القدر الواجب فالقدر الواجب

---

(١) في ثلاث نسخ السلوب — (٢) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٣) في نسخة مصححة — (٤) في نسخة كالتي ترجع — (٥) في نسخة حديث الكمال من الخطابة في الاستدلال — (٦) في نسختين باسقاط غير النبي

المكلف به البرهان(١) العقلي ولو اجمالا هو ما يحصل للقلب اطمئنانا بحيث لا يقول سمعت الناس يقولون شيئا فقلته والاجمالي هو المعجوز عن تقريره وحل شبهه والذي يحرم الخوض فيه هو المختلط بشبه الفلاسفة ككتاب الفخر وطوالع البيضاوي وغيرهما هذا لغير راسخ في السنة فلم يبق الا كونهم على الخطأ في الاعتقاد نعم كل احد من الناس لابد وان يكون له ما يشعر بالنقص والعصمة للانبياء واما الكمال فهو لله عزوجل .

﴿ تتمة ﴾ اولاد الشيخ سيدي ناجي قد حازوا المعالي من قديم الزمان وقد وجدت كثيرا من الفضلاء منهم في محالهم كسيدي محمد بن الطيب وسيدي احمد بن ناصر وفقهاء وقراء وفيها الولي الصالح تلميذ الشيخ سيدي احمد بن ناصر وهو سيدي عبد الحفيظ اعني اولاده واما هو فقد وجدته ميتا قبلي بنحو شهرين وقد اخذ عنه مباشرة وانما ادركت الذي اخذ طريقه وهو سيدي بركات واخوانه واولاده وسيدي السعيد ومدرس المسجد وغيرهم من طلبة العلم وفضلاء الوقت فان النحو عندهم يعتني به الكبير والصغير حتى انهم اشتهروا به اشتهارا بينا وبالجملة فمحلهم مشهور بالفضل والعلم والهمة غير انهم يتحاسدون عن تولية الرئاسة التي كانت بامر رباني والان صارت بالضد والعياذ بالله اصلح الله حالهم ووفق كلمتهم ونفعنا ببركة اسلافهم وبركتهم آمين .

وفي تلك الحجة وهي عام ثلاثة وخمسين ومائة والف (١١٥٣) ذهب معنا العلامة الفاضل والمنور الكامل تلميذ سيدي عبد الحفيظ المذكور سيدي احمد التليلي(٢) كان كريما فاضلا بحيث لا صبر له عن اطعام الطعام في الطريق وكان يعرف السير كثيرا على اني زرت معه في بدر ومكة والمدينة المشرفة فكأنه هو الذي وضعهم في التراب وله يد في العلوم كلها من غير تخصيص اي العلوم الظاهرة فقد كان واحد عصره وفريد زمانه وكذا علوم الحقائق ومثله علم الاوفاق فانه لانظير له فيما علمت ومع ذلك انه موفق غاية التوفيق *

---

(١) في نسخة بالبرهان — (٢) في نسخة التليلتي

واقبل على الله بكله بالتحقيق * وقد طلبني لعلم الاوفاق لآخذه عنه فامتنعت لكون قلبي حينئذ متعلقا بالله بحيث لم يترك لي سواه بان غلب علي سطوة الوارد وكان رضي الله تعالى عنه يكتب المعارف يسمعها مني حين يتقوى علي(١) سلطان الوجد وكان بديع الخط سريع اليد فيه وكان ينسخ كراسا واظنه من القالب الكبير في برقة ونحن مسافرون واما يوم الاقامة فكان اكثر من ذلك وقد زبر في برقة رحلة الشيخ سيدي احمد بن ناصر وزاد كتاب الصباغ في كرامات الشيخ سيدي احمد بن يوسف وقدر الجميع ما يقرب من ستين كراسا ورجعنا جميعا الى ان نزلنا توزر ونفطة الى ان زرنا جميعا الولي الصالح * والقطب الواضح * سيدي عبد الحق فيها ولم تكن له طريق وانما طريقه من قابس الى قفصة ثم الى محله فريانة وهي بين قفصة وتبسة وقد زرت محله والحمد لله وانفصلنا عنه حين ارتحلنا من نفطة وعند الافتراق ازال جبة صوف عن جسده فالبسها لي وعلمت ان الله تفضل علي بذلك ثم انه عند الانفصال قال لي اخاف عليكم من المحاربين بان قال قد ثبت عندي بانهم خارجون اليكم ولا ادري أذلك من طريق الكشف وهو الانسب به والاليق(٢) بمقامه او سمع ذلك ممن يوثق به فلما اخبرني بهذا رسم جدولا في الارض وخط خطا وامر جميع الحجاج ان يمروا بذلك الخط فمر عليه جميعهم الا كاتب الشيخ كان متخلفا عنا لم يمر به .

وفي ذلك اليوم تلاقينا مع عدو نفسه المحارب لله ولرسوله الشيخ ابن روب وهو شيخ من شيوخ نفزاوة خارجا عن ولاية صاحب تونس بان استقر في وادي ريغ والله اعلم في ثلاثين من الخيل وعشرين رجلا ومعهم السلاح القوي والزاد على الابل واتى الينا عند صلاة العصر فاعلمناه باننا حجاج ووفد من وفود الله ورسوله واظن ان الشيخ اعطى له شيئا احسبه فضة(٣) فذهب عنا ونحن جددنا(٤) في السير خوفا من شره الى ثلث الليل او نصفه فلما ارتحلنا والماء عندنا قليل ووصلنا الى الماء عند الضحى فغاروا علينا ونهبوا فرسا للشيخ فردها

---

(١) في نسخة عليه — (٢) في نسختين اللائق — (٣) في نسختين فضلة وفي اخرى بغلة — (٤) في نسخة جدّ بنا السير وفي نسختين جدّينا

منهم بالقهر ثم غلبونـا على الماء بان نزلوا عليه ونحن قد نزلنا خارجه ومع هذا قد عدمنـا الماء من الركب غير انه موجود عند بعض الناس نحو الخمسة ازقة وكذا المكاحل نحو العشرة وقد داروا بنا كالحلقة وكثر(١) الرصاص بان ينزل علينا كالمطر ومع ذلك والحمد لله ان من وقعت فيه رصاصة نزلت كالطين بحيث لم تضر احدا الا الكاتب الذي لم يمر على الخط اتت بندقة ووقعت فيه تحت السرة بان دخلت في الجلد مقدار انملتين فرجعت باذن الله غير انـه مكث اياما فتضرر من ذلك ثم عفي والحمد لله واما هم فقد مات منهم والله اعلم اثنان احدهما اصيب برأسه والضارب له الحاج خليل بن قاصد علي(٢) الزموري ثم التركي هذا هو المحقق وقيل انه الحاج محمد بن معمر المداني صهر والي الجزائر كور عبدي(٣) والاخر لا علم لنا بضاربه ولا بمحل الاصابة واما الخيل فقد مات منها نحو ثلاثة او اقل والحرب من الصبح الى قرب العصر نعم صلينا على نحو صلاة المسايفة بالقسمة فرقة كانت تجاه العدو والاخرى تصلي مع الامام فلما فرغت ذهبت تجاه العدو حتى صلت الاخرى ثم حدث لنا العزم التام والحزم(٤) العام ان نذهب اليهم دفعة الى المعطن ويكون القتال على الماء اما اخذونا او اخذناهم فلمـا راوا تصلبنا وعدم الاذلال لهم بل لانزال نزداد في الشجاعة ذهب اليهم فقير سيـدي احمد بـن الشيخ الدراوي فوجدهم خائفين مرعوبين ثم رجع الفقير فمكثنا غير بعيد حتى اتـى اليـنا شيخهم مع فارس من فرسانه يطلب العفو والدخول الينا ونحن نمتنع من ذلـك فاشترطنـا عليه ان دخل يترك فرسه عن بعد منا وياتي الينا على رجليه بلا سلاح فالتزم ذلـك ثم دنا منا على نحو ما اشترطناه فيه فلما وصل الينا عزمت على قتله لانه لم يات تائبا الا بعـد القدرة عليهم والله يقول الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فمسكني الحجـاج ومنعوني من قتله ثم اشترطوا عليه ان لا يبيتوا على الماء فقبل ذلـك والتزم العمل به ثم طلب البارود من الشيخ اذ المزود منه بين يديه فامتنع من اعطائه وقال والله لا اعطيه الا في بطونكم فلما

---

(١) في ثلاث نسخ كثروا — (٢) في نسختين قاسط علي وفي اخـرى قاصـط علي — (٣) في ثلاث نسخ كور عبد وفي نسختين كورغلي — (٤) في نسخة الحزم

انصرف من عندنا ارتحلوا عن الماء بنفس وصوله وبتنا عليه نحن الى الصبح ثم ظعنا الى الحامة(١) المذكورة وعلمنا ان نصر الله لنا انما هو ببركة الشيخ نفعنا الله به وبامثاله بمنه وكرمه اه .

﴿ انعطاف الى التكلم فيما نحن بصدده ﴾ وهو اننا نزلنا قرية الحامة فيها نخل كثير ومياه عظيمة طيبة وفيها حمام يجري ماؤه قوي بحيث عم غالب القرية وماؤه حار كانه تحته نار عظيمة بحيث من اراد الاغتسال فيه لا يقدر على الاغتسال فيه بغتة لشدة سخونته(٢) وغير ذلك من اوصافها .

ثم ارتحلنا منها فنزلنا توزر وقت الضحى وهي بلدة عظيمة من قواعد الجريد كثيرة النخل مع جودة تمرها اذ لانظير له في سائر بلد(٣) الجريد قوية المياه فيها انهار وماؤها عذب وبناؤها شامخ مستحسن مرونق فهي افضل من بسكرة لان بناءها بالطوب وهي بناؤها بالاجر والجير والجبس في غاية الاتقان مع طول البنيان الى العلو(٤) وسعة عرضه حاصله انها قرية طيبة جيدة وذلك عام في الدور والمساجد بخلاف بسكرة فان حسنها في مسجدها فقط .

وقد قال سيدي احمد بن ناصر في رحلته ما نصه وتوزر هذه هي قاعدة بلاد الجريد من عمالة تونس ووافينا بها في الحجة التي قبل هذه عام تسعة امير تونس رمضان باي بمحلته جاء لقبض الخراج الموظف على البلد كما هي سنتهم وسنة من اقتدى بهم قطعها الله من سنة واخلى منها جميع اراضي الاسلام بلا محنة وملاها بالعدل المستقيم والدين القويم وما رأيت ببلاد الجريد اكثر منها نخلا واحسن منها بناء واوسع بعد بسكرة ساحة واغزر ماء وبناؤهم بالاجر فلذلك كان احسن من بناء بسكرة ما عدا المسجد والمنارة فقد قدمنا من وصفهما ما يغني عن الاعادة وبها من الثمار ما لا يحصي عدده الا الله يرد عليها من الاعراب الالاف المتؤلفة ويملا كل واحد ابله بما شاء من الثمار وتمرها من اجود تمر الجريد ومياهها

(١) في ثلاث نسخ الحنفة — (٢) في نسخة بحيث من اراد الاغتسال فيه بغتة ربما هلك او تضرر لشدة سخونته — (٣) كذا في جميع النسخ — (٤) في نسخة باسقط الى العلو

غزيرة وجناتها كثيرة ينساب فيها واد كبير منبعه من غربيها واعرابها اهل بادية مخصبة يرخص فيها غالبا سعر السمن واللحم واما التمر فيها فرخيص جدا يكاد يكون كدرعة(١) وامثالها ولكن اضر باهلها جور الولاة حتى كاد الخراب يستولي عليها لضعف اهلها بالجبايات الظلمية وقد بنى بها محمد باي عفا الله عنا وعنه مدرسة للطلبة جيدة بازاء مسجد جيد متقن ببناء رائق اعمدتها كلها رخام وبنى اخرى بقابس مثلها او احسن عفا الله عنا وعنه .

وقد كثر جور الاتراك بهذه البلاد * وشاع بها الظلم والفساد * اخبرني بعضهم انهم كانوا يعطون ستة نواصر على كل نخلة واربعة على كل زيتونة والناصري اسم لسكة عندهم معروفة اثنان وخمسون في كل ريال لكل عام .

واخبرني بعض الشرطيين في الحجة قبل هذه ان خراج الجريد من نفطة الى قابس خمسمائة الف ريال لكل عام وخراج جربة وحدها ستون الفا ومئونة مائتي صبايحي(٢) من البر والارز والسمن والخل والزيت واللحم فالله تعالى يقطع جور الجائرين(٣) * ولا يصلح عمل المفسدين .

ونفطة ايضا مدينة كبيرة(٤) قريبة من توزر ولها واد مثل واديها ويقال ان خراجها مثل ثلثي خراج توزر اه .

﴿ تتمة ﴾ في الحجة الاولى عام ثلاثة وخمسين ومائة والف (١١٥٣) نزلنا بها في الرجعة فوجدناها كما يليق من كثرة الارزاق وكثرة الخلائق وقد قدم معنا من الحجاج من توزر من اكابرها ومن ذوي رئاستها فاكرموا من كان في الركب في ديارهم وما راينا مثلها في البناء الرائق والوسع الذي يذهل العقول ومع ذلك اخرجوا موائد كل مائدة تكفي الجم الغفير والعدد الكثير كثر الله خيرهم ووجدت فيها افاضل من العلماء والصلحاء وما رأيت

(١) من قوله من الاعراب الالاف المتؤلفة الى قوله كدرعة بياض منقطع في ثلاث نسخ — (٢) في الرحلة الناصرية صباحي والاولى سپاهي وهو الفارس — (٣) في نسخة ومؤنة الجائرين باسقاط ما بين مؤنة والجائرين — (٤) في نسختين بلدة طيبة وقريبة

ارق قلوبا واسخى دمعة من اهل الجريد على اني تخلفت مع شيخ الركب في بعض نواحي توزر بان ادخله بعض الناس الى بيته مع اصحابه وبقيت انا في الزقاق انتظر(١) خروجه اذ لم يرني عند الدخول ولما بقيت وحدي واذا برجل من القرية عزم علي وذهب بي الى بيته بعد امتناعي خوفا من المكر ولما وصلت بيته فوجدته احسن البيوت ووجدت زوجته من احسن النساء دينا وحالا وصيانة يظهر عليها اثر الديانة فاذا تكلم احدهما اصابته عبرة مع انسجام الدمعة وانهمارها فعلمت انهما من اهل الصلاح واهل الخير تفضل الله علي بهما وما رأيت مثلهما اصلا ثم قامت المرأة وجعلت لي خبزة ثم كسرتها في الحليب اعني لبن الغنم ووضعت عليه شيئا من الزبدة ثم اخذت في الاكل فما وجدت احلى من ذلك الطعام ولا اذوق منه طعما كأنه من الجنة فلما كنت في اثناء الاكل واذا بصاحب البيت قال لي كل هذا طعام بلدك فقلت من اي بلدة فقال من ميلة وخطر لي انه اوتي له من الغيب ثم خرجت من بيته مذعورا بان الشيخ يتركني وحدي اذ لم يعلم بتخلفي فقال لي لا تخف فان الشيخ لم يخرج من ذلك البيت فلما خرجنا ووصلنا الى الزقاق واذا بالشيخ خارج فقال لي على بركة الله وهو يبكي وكذا زوجته فانها تبكي عند انفصالي من محلهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم ووجدت في تلك الحجة العلامة الفاضل والفهامة الكامل سيدي عبد القادر الفاسي يقرأ في مسجد توزر في التفسير في قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الاية وكان رضي الله تعالى عنه حافظا للروايات ناقلا مذاهب العلماء عبارته سلسة فصيح اللسان حلو الكلام ما احسنه في وقته قل نظيره ثم بعد ذلك مات رحمه الله وهي ثلمة في الاسلام لا يسدها الا خلف مثله وهو حديث مروي عنه صلى الله عليه وسلم بان قال اذا مات العالم انثلمت ثلمة في الاسلام لا يسدها الا خلف مثله وفي تلك الحجة زرنا سيدي احمد الزريبي(٢) وهو ولي صالح يخبر بالمغيبات كثيرا

---

(١) في نسختين ننتظر — (٢) في نسخة الدريبي وفي اخرى الزربي

وقد غلب عليه الغيب عن حسه بمحبة ربه بل اظنه قد زال عنه عقل التكليف وبقي فيه عقل التعريف وذلك ان من ذاق شيئا من كنه الذات او الصفات قل ان يبقى معه عقله نعم هو في الحضرة دائما متصل بها يشاهد محبوبه وحينئذ يكون محبوبه سمعه وبصره ونطقه فان تكلم فمنه واليه وبه وان سكت فكذلك وهذا الشيخ ممن عظم قدره عند الله وكان منعزلا في خلوة في بيته مدة اربعين سنة لم يخرج منها على ما سمعت ممن يوثق به من اصحابه ولما وصلت اليه مع طلبتي مسكني من حاشية البرنس وزفرني(١) زفرة عظيمة وجذبني جذبا قويا وقطع لي البرنس من جهة صدري نحو الشبر حتى اصاب الروع من ذلك جميع الحاضرين واما انا في نفسي انتظر عاقبته وانما توهمت ان يكون غضبه من غضب الله علينا اعوذ بالله من غضبه وغضب اوليائه وكذلك اخونا في الله سيدي ابن نوّة قاضي المدية لما قبل يده قال ياالطيب حين رآه فقال الشيخ ما اللطف وما لطف اللطف وما اللطف في اللطف ثم كرر العبارات مرارا متعددة ثم بعد ذلك انبسط الينا وانشرح فعند ذلك قال له بعض اصحابه لما ذا عملت بفلان يعني نفسي ذلك الزفر فقال انكم اذا اردتم غسل الثوب الجديد فلابد من عصره وضربه بالرجل ضربا شديدا لتزول اوساخه فيطلى بالصابون ولذلك فعلت به ما فعلت فدعا لنا واخبرنا بامور تكون لنا في المستقبل واظنه قال لي تريد السياحة قال وانما يكون ذلك في عاقبة امرك نفعنا الله به وبامثاله آمين .

وفي هذه الحجة وجدته ميتا مقبورا عند منزل الركب وعليه روضة عظيمة وقبره يزار وقد اجتمعت اهل توزر على تعظيمه ومحبته والاعتقاد فيه وانه ولي من اولياء الله من غير شك وزرنا ذلك العام الافاضل ودخلنا بيت سيدي ابراهيم الخليل من اولاد الشيخ السيد(٢) الغوث وهو من اولاد سيدي سالم والله اعلم تلميذ الشاذلي وانهم اخبرونا بموت هذا الشيخ فعند موته راى واحد من اولاده وهو صغير غايته ان يكون مميزا النبي صلى الله عليه وسلم وهو

(١) في ثلاث نسخ زفر عني — (٢) في نسخة باسقاط الخليل والسيد

يفول عليكم به صلى الله عليه وسلم فانه هنا عند راس ابي بان ينادي بتلك المفالة الجالسين مرارا نفعنا الله بهم ومن هذه الطائفة خديم الطلبة والعلم سيدي احمد بوطبّة(١) المستفر الان في فقصة وهو من توزر من اولاد تلميذ الشاذلي المذكور واحواله طيبة وفد ظننا انه من اصحاب الوفت وفي الحجة الاولى دخلت فقصة وزرت فيها الافاضل سيما من بلغ درجة التاليف المشهور علمه وفقهه وفد سمعنا انه تعرض لشرح الشيخ خليل وهو الشيخ المنصوري وكذا الشيخ المنصوري آخر افل منه درجة وجدت فيها ايضا سيدي احمد بن نفيس وشهدنا له كشفا بينا بان كنا عنده في الخلوة يكلمنا بطريق(٢) التصرف واحوال الرجال وطال في ذلك فقلنا له الركب تركناه اخذ في الرحيل ففال الركب لا يرحل اليوم فمكثنا عنده لفرب الظهر فلما خرجنا من عنده وجدنا الركب مفيما نفعنا الله بهم واما في هذه الحجة ففد زرناه في توزر مع من فبر فيها اي توزر الفديمة كالشيخ ابي الفضائل النحوي وفد سمعت ان له فبرين فبرا في توزر والاخر في فلعة آل حماد وفد زرتهما معا والحمد لله وكذا زرنا فيها العالم الكبير ابن شباط الشفراطسي وغيرهم من المؤلفين وزرنا ايضا الشيخ(٣) .

ثم ظعنا منها صبيحة فلما انفصلنا(٤) عن الوادي المملوء(٥) بالعمارة وامطرنا في ذلك اليوم مطرا شديدا كادت النفس تزهق من شدته وشدة برده فبتنا هنالك ثم منه الى اولاد يعفوب وفي ذلك اليوم مررنا على ولد الشيخ بوعزيز الحناشي وهو الشيخ ابراهيم فد فر من باي فسنطينة لما تبعه بعساكره يريد الانتفام منه لامر ديني وهو استطالته على المسلمين وتمرده على الاحكام الشرعية وانه كان يتزوج اكثر من اربع وفد سمعت انه بلغ اثنتي عشرة امراة عدو نفسه فلما وصلناه خاف منه الركب فخرج الينا مع بعض اصحابه فاتى الينا ونحن السابفون فسلم علينا وطلبنا في الدعاء فدعونا له بالهداية والرجوع الى بلده وانه

---

(١) في نسخة بياض وفي اخرى بوطَبّ وفي نسختين بُطَبّ — (٢) في ثلاث نسخ بطرف — (٣) هنا بياض نحو نصف السطر في جميع النسخ — (٤) في ثلاث نسخ فصلنا — (٥) في نسختين باسفاط المملوء

امرنا بالنزول عنده فامتنعنا من ذلك لانه اول النهار ثم سرنا فبتنا عند اولاد يعقوب ثم رحلنا عند الضحى فجاؤا الينا بجيوشهم ظنا منهم ان العرب غارت عليهم فلما التقى الجمعان علموا بنا اننا حجاج فرجعوا ونزلنا قرب السبخة عند صلاة العصر ثم رحلنا صبيحة فقطعنا السبخة بعسر وشدة فكثير من الابل قد وقعت في السبخة وكذا البغال تداركنا الله بفضله فنزلنا في حامة قابس وهي قرية ذات نخل وماء وفيها حمام من الله تعالى سخن كانه يغلي بالنار فلا يستطيع احد ان يدخله بغتة الا بعد الالفة و فيه بيت يستر المغتسلين وخارجه نهر منه يجتمع فيه الرجال والنساء من غير ستر في النهار كل واحد يرى عورة الاخر من غير تغيير(١) ولا نكير فلما رأيتهم افشعر جلدي وتحركت فرائسي فملات حجري بالاحجار وصرت اضرب كل من هناك من النساء والرجال فقالوا ما هذا الرجل وظنوا اني خرجت من عقلي ففر الكل ولم يبق احد في ذلك الوقت الا هرب ثم مر علي شخص فقال لي رحمك الله لو كنت معنا دائما لزالت هذه الامور العظيمة(٢) اذ يحرم ذلك اجماعا .

واما اهل القرية فلم يعجبهم صنعي بان ظهر التغير على وجوههم غير انهم سكتوا اذ العاصي ذليل ثم حممنا منه في محل الستر وكذا اهلنا ليلا فمنها ظعنا لقابس(٣) ونزلنا خارجه عن بعد منه فلما اصبح الله بخير الصباح اتى اهل قابس يتسوقون مع الركب الى صلاة الظهر فاتى الاعراب فغاروا على ابل الركب فنهبوا جملين لصاحب سيدي احمد بن حمودة(٤) ثم ذهبت انا وسيدي احمد بن الطيب لامير المحلة هناك وفضلاء الحمارية(٥) نشكو بما صار بنا واذا بطائفة اخرى اخذوا بغل سيدي يحيى بن صالح من وطننا فلما سمع الركب بذلك نهبوا من كان بقابس في الركب واخذوا الفضة وغيرها فدخلنا على القائد بين المغرب والعشاء فاخبرناه الخبر فقال لاباس عليكم فغدا ان شاء الله يرجع ما لكم فخرجنا من عنده

---

(١) في نسختين تغير — (٢) في ثلاث نسخ لازلت هذا الامر العظيم — (٣) في نسخة باسقاط فمنها ظعنا لقابس — (٤) في نسخة حمود وفي اخرى حمودي — (٥) في نسخة الحمارنة وفي اخرى المحارنة

فوجدنا جماعة منهم ينتظروننا ليمسكونا في الركب فلما عرفوني تركوني فذهبوا الى سيدي احمد الطيب فلما زجرتهم تركوه واتوا الى العلام فوجدوه هاربا قبل ذلك فامنا ذلك (١) فمكثنا غير بعيد الا والاجمال رجعوا على يد الحمارية (٢) رزقهم الله البركة واعانهم ونصرهم على الظالمين .

وتوزر وقابس محل الخطفة بل توزر اعظم فكل من غفل عن حاجة في يده الا وخطفوها واياك والغفلة فيهما بل وفي غيرهما فان الغفلة فيها مظنة التلف وقد زرنا الصحابي ابا لبابة الذي هو من الصحابة رضي الله عنه وقد زرناه مرارا واعلمنا به بعض اصحابنا من الركب فانه من الصحابة قطعا وانه هو هذا اذ ثبت عندهم بالتواتر وهو من اسباب العلم وقد فضلت هذه القرية على سائر القرى بقبر هذا الصاحبي .

اقول قال شيخ شيوخنا فيه ما نصه « نكتة » وابو لبالبة هذا من اصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ذكره ابن ناجي في اختصار معالم الايمان وروضات (٣) الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان وهو كتاب مجتمع في سفر والاصل لابي زيد الدباغ القيرواني وذكر البلوي في رحلته انه لقي صاحب هذا التاليف واثنى عليه وعلى تاليفه هذا وقد اطال في خبره وذكر ان قبره مما تواتر عند اهل بلده وذكر انه سأل شيخه البرزلي عنه فقال له مثل ذلك وان تواتره دليل على صحة ذلك وذكر ان من لم يذكره من ألّف في اسماء الصحابة وامكنة وفياتهم فانه لم يبلغه العلم به والتواتر المذكور مقدم على ذلك وكاف في اثبات ان ذلك قبره وقد بنى عليه امير تونس حمودة بنيانا عظيما اثابه الله على قصده وبازائه مدرسة بناها محمد باي في غاية الجودة والاتقان والحسن ومسجده كذلك وجعل لهذه المدرسة احباسا ورتب فيها عشرين طالبا يعطى كل واحد منهم ريالا على رأس كل شهر واستاجر فقيها يعلمهم ويصلي الصلوات الخمس بالمسجد المذكور اماما به فالله تعالى

---

(١) في نسخة باسقاط فامنا ذلك — (٢) في نسخة الحمارنة وفي اخرى المحارنة — (٣) كذا في الرحلة الناصرية وجميع النسخ

يرحمه به ويعفو عنه فلقد خلف ما يذكر عنه من الآثار الحسنة والله تعالى برحمته يبدل لمن يشاء السيئة بالحسنة .

وانشدنا هنالك لنفسه صهرنا الاحب ابو العباس البرنسي الشفشاوني عام تسعة .

نزلنا بفابس فشفينا فيه * غليل القلب من شوق اصابه
وزرنا به ضريح امام بر * وبحر في السخاء ابي لبابه
هو البحر المعين لوارديه * فَرِدْ ما شئت من بحر الصحابه
فايقنّا بنيل القصد حقا * وصدّقنا باسراع الاجابه
انلنا يا الهي كل خير * واحسان وزودنا الانابه
وعاملنا فانا قد اسأنا * بفضل لا تغلّق عنا بابه
وامددنا بوافر مالْعطايا * أَدِرَّ علينا من دَرّ السحابه
ونوّر قلبنا وامْلاه حبا * وصدقا ولتزل عنا حجابه

بلغه الله جميع مراده وجعله من خواص اهل محبته ووداده واخبرت بأن المدرسة التي يدرس بها سيدي ابراهيم الجمني بجربة هو الذي بناها ايضا وصلينا الظهر عند ابي لبابة والعصر بمنزل الركب وهو آخر البلاد التي فيها ماء واد جار وفيها رحاء ماء غريبة الصنعة الا انها تتعطل كثيرا اه .

﴿ تتمة ﴾ فاننا اقمنا يَومين في قابس وزرنا ابا لبابة المذكور وزرنا جميع من فيها من الاحياء والاموات واجتمعنا مع بعض فضلائها من طلبة العلم وصلحاء البلد كالمدرس سيدي عمر في المدرسة المذكورة وكذا اجتمعنا مع بعض فضلاء الحمارية(١) وفعلوا معنا خيرا عظيما وهو رد الجمال لاصحابنا ووصيناهم على السعي في رد البغل الذي انتهبه العرب من يد بعض اصحابنا بازاء الركب بين العشاءين جزاهم الله احسن جزاء بمنه وكرمه .

---

(١) انظر ما قيل في صحيفة ١٢٨ وتحت عدد ٢ وفي الرحلة العياشية والرحلة الناصرية الحمارنة فتأمل .

ثم ظعنا منه ونزلنا فرية عرام بعد ان زرنا ما فيها من فبور صلحائها ثم ظعنا منها وسرنا نحو الثلاث مراحل فنزلنا الشيخ الصياح فزرناه ثم منه نحو المرحلتين نزلنا فرب برج الملح فاصاب الركب عطش تلك الليلة فاصبحنا والحمد لله في الزوارة(١) الخالية فسفينا الماء واوردنا الخيل والبغال والابل وماؤها عذب حلو احسن المياه من عرام اليه وكلها خبيثة المياه الابئر السلطان فانه ايضا طيب وتلافينا فبل الصباح بفضلاء اولاد مريم وما احسنهم من فضلاء وكرماء ولفد كانوا متبعين للسنة جمعوا الخير ووعوه وحبهم لنا فوي واعتفادهم فينا سني جعلهم الله افضل الناس علما وعملا وجاها وحالا وادام ذلك فيهم الى يوم الفيامة وفد اتوا لنا بشعير ومع ذلك انه مفقود في ذلك الوفت وانما حملهم على ذلك حبنا واكرمونا باللحم وما معه من الضيافة [وخف في الركب وهم بعداء منا](٢) غير انهم الحجة الثانية ضيفونا ضيافة عظيمة وذهبوا معنا من طرابلس الى فابس بل الى الشيخ سيدي مهذب انا وجماعتي فد فدمنا مع الركب الفاسي وتخلف في طرابلس الى انصرام رمضان ونحن اردنا العجلة فذهبوا معنا رضي الله عنهم وجزاهم عنا خيرا بمنه وكرمه .

﴿ تتمة ﴾ فبعد السفي ذهبنا الى ان خرجنا الى الزوارة العامرة فنزلنا عند العصر بين السبخة والنبكة ثم منها الى زواغة(٣) وكانت مدينة عظيمة هي اصل طرابلس و بها كان ملكها وطرابلس كانت عامرة بالنصارى ثم انتفلت العمارة اليها بعد انجلاء النصارى منها ثم منها الى المايه(٤) ومررنا على الزاوية الغربية وهي كثيرة النخل فوية العمارة فيها افاضل وعلماء وعباد وزهاد معلومة باهل الصلاح الاحياء والاموات غير ان الركب لم ينزلها وانما اجتاز عنها فقط ومررنا على زنزور ايضا ثم منه الى طرابلس وبينها وبين زنزور نحو اثني عشر ميلا والحمد لله اولا وآخرا .

---

(١) في نسخة زواوة وفي الرحلة العياشية الزوارات — (٢) هكذا ما بين الفوسين في ثلاث نسخ وباسفاطه في بافي النسخ — (٣) في نسخة زواغ وفي نسختين ازواغ — (٤) كذا في جميع النسخ

﴿ ذكر وصولنا الى طرابلس ﴾

وصلنا في اول شعبان صبيحة وسمع الاخوان بوصولنا واتياننا فحركهم العزم والشوق الى ملاقاتنا ومنهم من لقينا عن بعد كالاخ في الله سيدي محمد(١) بن عبد الخالق اذ نزلنا قرب بلاده واتانا بخروف ضيافة لنا جزاه الله عنا خيرا واكثر الاخوان انما اتونا لزنزور كالمحب حقا والاخ في الله صدقا سيدي محمد(٢) الشريف البلغيثي النوفلي وجميع اخوانه من الشرفاء وكذا جميع احبابه كسيدي محمد بن عثمان(٣) كاتب الدار الكريمة والشيخ المفتي ابن مقيل وجميع احبابه وكذا خديم العلم واهله الذي فاز عن امثاله فائد عمورة في زنزور خرج الينا بشوق وعشق يبحث في الركب بحثا شديدا واختلفنا معه في الطريق انا وسيدي احمد الطيب وجماعة من الاخوان اخذنا وسط البلد الى ان خرجنا الى قرب المنشية ولما تلاقينا مع سيدي محمد الشريف صار يبكي وانا ابكي بالفرح مع ما فقد فيما مضى من الاجتماع واما فائد عمورة فقد خرج عن اجناسه من العمال اذ بنى مدرسة عظيمة متقنة ما رأيت اظرف منها واحسن من صنعتها وجعل فيها بيوتا متعددة ومطهرة طيبة ومسجدا في غاية يستحسنه الناظر وجعل ايضا بيتا للتدريس وغرس النخل الجيد وحبسها على المدرسة وزاد احباسا عليها عظيمة وحاصل خدمته انما هي على طلبة القرآن وطلبة العلم بان جعل معلما للقرآن ومعلما للعلم وهو الفاضل والتقي الكامل تلميذ الشيخ النوراني سيدي ابراهيم الجمني اي الكبير الذي هو تلميذ الشيخ الخرشي وهو نور جربة اذ غالبها خوارج فان الشيخ سيدي ابراهيم شمس الحق في هذه البلدة فقد افاد واستفيد منه بان نفع الناس شرقا وغربا وجوفا وقبلة وتلميذه المدرس في هذه المدرسة هو سيدي عبد الله وقد اجتمعنا معه في هذه المدرسة في الرجعة مع الطلبة والفائد

---

(١) في نسخة احمد — (٢) في نسخة احمد — (٣) في نسخة عمار

المذكور [والشيخ المفتي ابن مفيل واصحابه في ضيافة الفائد المذكور](١) جزاه الله عنا خيرا وتفبل منه ورزقه التفوى والله يقول انما يتقبل الله من المتفين ﴿ فان فلت ﴾ ما هذا الثناء الذي تثني على صاحبك فائد عمورة فان هذا الرجل لو كان يبني من ملكه وهو من جملة من يبني المساجد والطرق والقناطر [لكان الثناء عليه في محله](٢) والذي يبني به ليس ملكا له شرعا لانه انما بناها من مال المسلمين الذي اخذه منهم ظلما وعدوانا لما علمت ان ما عنده انما هو بطريق الغصب والتوظيف الشرعي مفقود في زماننا هذا فهم كالزانية تزني وتتصدق وقد قال صلى الله عليه وسلم ليتها لم تزن ولم تتصدق الحديث وحينئذ ليتهم لم يبنوا ولم ياخذوا مال المسلمين فما هذا المدح منكم اذ يحرم عليهم فضلا عن الثواب ﴿ فلت ﴾ قال الشيخ عبد الكريم الزواوي في شرح الوغليسية ما حاصل معناه ان ولاة هذا الزمان ان حصل منهم افعال الخير المتعددة كالصدقة والهبة والوقف وبناء المساجد والمدارس وغيرها كالاحسان الى العلماء والطلبة والفقراء هل يحصل لهم الثواب عما فعلوه من الحسنات صورة لادخالهم السرور على المسلمين وابقاء اثار فعلهم بعدهم وهو حسنة اولا يثابون لان ذلك من مال غيرهم بل يحرم عليهم ذلك اذ يجب عليهم رده لاربابه فاعطاؤه لغيرهم تعد آخر فيكون غصبا بعد غصب اذ الوقف وما معه انما يثمر شرعا بعد حصول الملك قال والحكم في ذلك انهم يمدحون شرعا من جهة دعوة المسلمين لهم بالخير وذلك غنيمة عظيمة اذ من وصله المعروف منهم يدعو لهم بالخير والرحمة والعفو والغفران فان استجيب لهم فالله يتولى اعطاء المظلوم فيما ظلم من عنده يوم القيامة لاسيما اذا تعذر الرد لاربابه لفقدهم او لجهل اعيانهم فالواجب عليهم حينئذ التصدق به وقد فعلوه فلم يبق عليهم حق يسألون عنه واما اذا تيسر الرد ببقاء عين المغصوب وتعين المغصوب منه فيجب عليهم رده باتفاق واذا وقع ونزل وصرفه فيما ذكر فيثاب من جهة وهو توفيته(٣) عن ربه ويثاب من أخرى وهو تحصيل المنافع لمن حصلت له هذه الاشياء مع

---

(١) ما بين القوسين ساقط في نسختين — (٢) ما بين القوسين ساقط في ثلاث نسخ — (٣) كذا في نسخة وفي اربع تفويته

اغتنام دعائهم وحصول الميل منهم اليهم اهـ بالمعنى ﴿ قلت ﴾ الغالب وجود الوجه الاول وهو تعذر الرد لجهل اربابه وحينئذ يجب شرعا صرفه في مصالح المسلمين فيكون فعل هذا الفائد ممدوحا شرعا نعم بقي له امر لا بد له من فعله وهو ان ينكب عن الاخذ بهذا الوجه من المسلمين رزق الله لنا ولهم الهداية والانابة بمنه وكرمه ﴿ فان قلت ﴾ هل يجوز لمن كان في تلك المدرسة من عالم او متعلم الاخذ من تلك المدرسة والانتفاع بما فيها وان كان غنيا كتحصيل الطهارة منها والصلاة فيها لانها قد وقعت بوجه مباح بل بوجه مطلوب اذ الفاعل لذلك يطلب منه صرف ما اخذه في منافع المسلمين فيجوز حينئذ الاخذ والطهارة والصلاة [لان ذمته عامرة به فيجب عليه ابراء نفسه من ذلك وما حصل منه يعد كصورة المتسلف](١) او لا يجوز لعلمهم بانه مغصوب ومشتريه ووارثه وموهوب له ان علموا كهو فتجري عليه احكام الغصب ﴿ قلت ﴾ الحق الجواز من غير شك اذ قال صاحب المدخل ان المدرسة اذا بنيت من مال حرام وجهلت اربابه فيجوز للعالم ان ياخذ منها بوجه العلم انظره فانت ترى ايها المخاطب ان نصه هذا انما هو في عين النازلة فهو طوق في عنق ومع ذلك انه لم يجعل كتابه الا فيما وافق الاثر وبعضهم يجعله اي صاحب المدخل مشددا في الدين لا مترخصا فاذا علمت هذا فاعلم ان ما يحصل من المدارس والمساجد من احباس الملوك والعمال عليها وكذا ما يعطونه(٢) للمدرسين ومن فيه مصالح المسلمين يجوز من غير شك اذ ما جهل اربابه [للعلماء والفقراء ومن فيه نفع الخلائق و](٣) ليس طريقه الا هذا واما قولهم المشتري وما معه ان علموا كهو فخاص بتعيين المغصوب منه والمغصوب وهذا في غيره وكذلك الدراهم والاموال الموجودة في ايديهم ان جهلت اربابها [سبيلها هو هذا لان المال اذا جهل ربه](٤) يجب وضعه في بيت المال ان كان منتظما والا فل حينئذ من كونها للعلماء والفقراء ومن فيه نفع للخلق ولا يحل لمسلم فضلا عن عالم ان يقدح او يسمع لمن هذا

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٢) في نسخة يقطعونه — (٣) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٤) ما بين القوسين ساقط في نسخة وفيها يجب وضعها

وصفه(١) بان يقول ياكل الحرام بل هو من الحلال البين لان الذي ياخذه المدرس او المتعلم او غيرهما حلال قطعا لانه من اعظم وجوهه حسبك صاحب المدخل حجة بينك و بين الله تعالى والذي فيه الخلاف من مال المستغرقين للذمة باموال المسلمين بان كان ماله حراما كله او جله او اقله على ما فيه من الخلاف بين العلماء انما هو في غير من ياخذه [منهم بوجه العلم او الفقراء او النفع للمسلمين والا فالذي ياخذه](٢) بذلك الوجه جائز من غير خلاف الا ترى عبد الله بن عمر لم يكن اورع منه ولا اظلم من الحجاج بن يوسف في زمانه اذ كان يتعدى على النفس فضلا عن المال وهو يقبل الهدية منه لوجود الوجه الذي ياخذها به وهو العلم او النفع للمسلمين انظر الحطاب عند قول خليل لا ان اخذ من العمال او اكل عندهم بخلاف الخلفاء والمراد بالعمال من ينيبه الخليفة على الجباية فقط وليس له الاعطاء فلا يجوز الاخذ منه ولا الاكل عنده والا كان جرحة في شهادته والمراد بالخليفة من اذن له في الاخذ والعطاء فيدخل القواد(٣) وسائر العمال فيجوز الاكل عندهم والاخذ منهم وذلك ليس بجرحة وهذا كله في غير من ياخذ ذلك بوجه العلم وما معه كما سبق وانما نبهت على هذه المسألة لكثرة الجهل من الطلبة فيها فمنهم من يبالغ بالاباحة وهو خطاء ومنهم من يبالغ من التحريم وهو خطاء ومنهم من يجعل الخلاف في كل الناس وهو غفلة وجهل ايضا ومنهم من يجعل الخلاف ايضا فيمن جهل اربابه او لا وهو ايضا خطاء وانما المغضوب اذا كان ربه معينا فيجب رده لربه ولا يجوز لاحد اخذه اتفاقا واذا فوته عن صاحبه وترتبت في ذمته القيمة كذبحه مثلا فهل يجوز لاحد الانتفاع به باي وجه من وجوه الانتفاع كالاكل وغيره اذ ترتبت القيمة في ذمته وهو ظاهر كلام خليل وكلام ابن ناجي او يمنع وهو الذي صرح به غير واحد من الفقهاء وبالجملة فالمال المجهول اربابه يجوز للعالم ومن فيه وجه من وجوه الاخذ أخْذُه والانتفاع به

---

(١) في نسخة ان يقدح فيمن هذا وصفه — (٢) ما بين القوسين ساقط في نسخة وفي اخرى في غير من ياخذه بذلك الوجه لا من ياخذه بذلك الوجه فجائز من غير خلاف الا ترى الخ — (٣) في نسختين القياد

واما غيرهم فإن كان من الخليفة لا العمال فيجوز ايضا واما المعين ربه فبل فواته فيجب رده لربه ولا يجوز لاحد اخذه مطلفا من عالم وغيره واما ان فات بيد غاصبه بمفوّت مع بفاء العين كطبخه فهل يجوز الانتفاع به ام لا ففد تفدم ما فيه واما من كان كل ماله حراما او جله اوافله في غير ما ذكر من الولاة ففيه الخلاف الذي ذكره التتائي في كبيره وعليه نظمه فاذا احطت بهذه المسألة علما فليس لك ان تعترض على احد من العلماء العاملين المشتغلين باعطاء العلم او اخذه باخذهم من ولاة زماننا ما جهل اربابه فتزل فدمك لما تفدم من نص المدخل والحطاب وكذا غيره من المال المختلف فيه فانه لا ينكر على العلماء والففهاء واهل السنة الا ما كان مجمعا عليه فحينئذ علماء مصر في وفتنا هذا اعني المفتدى بهم وكذا شيخنا سيدي عبد الله السوسي وسيدي محمد الغرياني(١) بتونس وغيره من علماء الامصار والفرى والبادية ممن عرف بالعلم والعمل به ممن ياخذ من الولاة ما يستعين به على نفسه واهله فجائزلهم اخذه بلا شك كما تفدم النص عليه ومن اراد الانصاف والانتصاف ففد نفلنا له ما ينبني عليه في نفسه ويحمل عليه غيره من العلماء المفتدى بهم فلا يحتاج الى التاويل(٢) لانه نص صريح في الاباحة والا اصابه ما اصاب المعترضين على اهل الله فيخاف عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله وفد علمت عظم الوفيعة فيهم والاعتراض عليهم من غير فصد دواء لهم ولا الشففة عليهم والرافة بهم يرد عن باب الله وان كان محفا في اعتراضه فاله الشيخ زروف في فواعده .

﴿ انعطاف ﴾ في الرجوع الى المفصود من ذكر احوالنا واخواننا في طرابلس اذ فد اجتمعنا بعامتهم وخاصتهم اذ لهم مزيد في المحبة والاعتفاد في اهل الخير والتشبث بهم ولا شك ان هذه خصلة عظيمة شرعا لان من احب فوما كان منهم وحشر معهم والتحبب لهم ومودتهم لفدر عظيم عند الله ولله در الفائل في فوله .

---

(١) في نسخة الفرياني وفي نسختين الغرباني — (٢) في نسخة الناس

لي سـادة من عزّهـم * اقدامهم فوق الجباه
ان لم اكن منهم فلي * في حبهـم عز وجـاه

والمعتقد والمحب كالمحسـن اذا لم يقدر على الاحسان لقوله صلى الله عليه وسلم يبلـغ المرء بنيته ما لا يبلغه بعمله وبيان هذا الحديث ان المومن لو كان يخلد في الدنيا لتمنى بقاء الايمان معه على الدوام فجزاه الله بالخلود في الجنة وكذا الكافر لو كان يخلد في الدنيا لتمنى بقاء الشرك والكفر معه فيجازى بالخلود في النار جزاء على نيته واما المحسن فيجازى بالاحسان والله لا يضيع اجر المحسنين وقد قال تعالى انا لا نضيع اجر من احسن عملا وقال ايضا ما على المحسنين من سبيل واما المسيء فتكفيه اساءته اذ لا يخلو الانسان من ضد ولو حاول العزلة في رأس جبل والنبي صلى الله عليه وسلم يقول ولابد لكل مؤمن من منافق في جواره يبغضه على ايمانه او كما قال ذكره الخازن في تفسير قوله تعالى يايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل وقال ايضا صلى الله عليه وسلم لو دخل المؤمن جحر ضب لسلط عليه من يؤذيه لكن اهل الاذية فالله يكفينا شرهم ونقول حسبنا الله ونعم الوكيل منهم واما المحسنون فالله يشكر فضلهم(١) وعملهم ويجازيهم باحسن ما صنعوا نعم لم اصل الى ما اعتقدوه فينا ولا ادعيه اذ الدعوى قد تكون اكثر مما عند الانسان في نفس الامر فيكون ذلك قدحا بينه وبين محبوبه وان اخذ بذلك الوصف كان غشا في دينه كما ذكره الشبراخيتي وغيره قال وانما يجب ان يبين عند الاعطاء ان هذا الوصف الذي اعطيتني لاجله لم اتصف به في نفس الامر فان قال اعطيت لله لا لهذا الوصف فخذه فالله لا يؤاخذه(٢) وهو يجازيه عن صنعه والا فيجب رده لصاحبه لانه غش في الدين والنبي صلى الله عليه وسلم يقول من غشنا فليس منا .

واما اهل الخير والصلاح فلا استطيع عدهم لكثرتهم جدا لاسيما الساكنون بخارج المدينة واما

---

(١) في نسخة باسقاط فضلهم — (٢) في ثلاث نسخ يتغير

من في المدينة فالصادق الملاطف [من يؤثرنا على نفسه جعل الله البركة فيه وفي ذريته اذ ما انفقه علينا خير من نفسه](١) اعني الشيخ المفتي سيدي محمد بن مفيل واصحابه كالفقيه المدرس سيدي عبد العزيز واولاده اولادنا وقد اخذوا من قلبي مجامعه ولنا ما لهم وعلينا ما عليهم حبا في الله ووالد الشيخ كان صديقا لنا في الحجة الاولى اذ هم محل الفضل والعلم من الزمان القديم نور الله محلهم بنور العلم الى قيام الساعة وكذا الذكران من اصلابهم فقد اجادوا في احساننا كسوة واطعاما وشراء ما نحتاجه من الحوائج كان الله لهم وليا ونصيرا أسأله سبحانه ان يدخله حضرته ويحفظه من كل حاسد مع بسط النعم عليه وعلى ذريته الى غابر الدهر بمنه وكرمه .

ومن احبابنا حقا صبغة الله العالم العامل الفاضل الفهامة محب السنة واهلها صاحب اعتقاد في اهل السنة سيدي محمد العربي الفرجاني الشريف النوراني واصحابه واولاده على الاطلاق خصوصا العلامة الفاضل الفهامة الكامل سيدي محمد عوض ولدنا اصلح الله حاله واظهر عليه فضله وكذا على اخوانه وقد سألت الله في غنى ابيهم وغناهم الى قيام الساعة وتيقننا ان الله اجابنا كان الله في عونهم آمين .

وممن اجتمعت معه من الفقهاء القاضي ومقدم القاضي والقاضي من الحنفية والفقيه الاجل سيدي عمر السوداني والشيخ الكلاني واصحابهما ومن هو اخونا في الله حقا وصدقا * وكان لنا الود فيه حبا وشوقا * ونية ورفقا * صاحب الجد والاجتهاد في الامور كلها على وفق السنة النبوية * والحقيقة النورانية * سيدي حسن السعداوي * بلغه الله غاية الاماني * وقد عقدت معه الاخوة بان الناجي ياخذ بيد اخيه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به آمين فانه يعلم الصبيان قلّ مثله في عصرنا من حبه الصدق واهله * وما احسن نصحا وديانة وصدقا وزهدا * ما كان فيه * ظهر على فيه * يعلوه نور ومع

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة

ذلك انه رائق * في العلوم والدقائق * بلغ الله اماله * وتعلم حاله من كلامه * وصدقه من جده واجتهاده * رضي الله عنه وارضاه .

وكذا من احبابنا الشيخ مصطفى الخطيب اذا رقم(١) احسن * واذا تكلم بين واعلن * [ومن السعادة الغوث الحسن](٢) * وحاصله قد تعلق بنا * جميع الفضلاء في المدينة من لم يحسن الينا * احسن ظنه فينا * اللهم قابل الجميع بالخير والفضل والرضى * واغفر لنا ولهم ما سلف ومضى * واصلح حالنا استقبالا بما يرتضى * بمنك وكرمك .

﴿ تتمة ﴾ في الانعطاف الى ما كان خارج المدينة منهم سويداء القلب وخلوص الود الذي هو اولى من نفسي * اتذكره فى كل نفسي * احيى باجتماعه * واموت بافتراقه * وروحي روحه * ومهجتي مهجته(٣) * وهو اولى من نفسي * تغمدني الله واياه برحمته في رمسه ورمسي * ذو الفتح الرباني * والفهم الرحماني * سيدي محمد الشريف النوراني * جعل الله الفضل والعلم والولاية والغنى والزهد والكفاف والعفاف في ذريته وقرابته الى غابر الدهر آمين وفضائله واحواله الطيبة واعماله الحسنة ومقاصده الزكية لا تحصى ذو طب للقلوب * بفتح من علام الغيوب * جمع الله بيننا وبينه بالانتفاع * ولا جعل ما وقع من الفراق آخر وداع * بجاه من فضل بالاقتفاء والاتباع * هذا وان يدنا ويده في ماله سواء * واولادي واولاده وعيال الجميع على حد الاستواء * ومن تعلق بي وبه من قريب وحبيب وصديق وشيخ واخ في الله واحد رضي الله عنه وسدده * وعلى الخير والطاعة اعانه وبالفتح والنصر امده * آمين * قد احسن الاحسان التام الينا * واجرى ما لا عين رأت من الكرم لدينا * ولكنه احسن الى نفسه اذ انا نفسه وهو نفسي حاصله العبارة تقصر عما بيني وبينه من الحب والمودة فالايجاز اولى * والاختصار اعلى * والتقصير احلى * اذ الاطناب * بين الاحباب *

(١) في نسخة اذ لم ار احسن منه — (٢) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٣) في نسخة ومهجتي مهجته

ضباب وسحاب * وبالجملة فكل من يحبه يحبنا * ومن قرب اليه بالدم قريب الينا * وصهره صهر لنا * واولاده كذلك فماله لنا * وما عليه علينا * رزق الله الجميع الصدق مع الحق * ومع الخلق * بمنه وكرمه وكذا اولاد الشيخ المعز سيدي محمد وسيدي احمد وسيدي عبد الله واحبابه واصهاره وقرابته كلهم من النفس من احباب الجميع وسيدي محمد ابن عزوز واخوانه وسيدي ابراهيم واخوانه وسيدي سلامة واصحابه وسيدي احمد بن ابراهيم ومن انتمى اليه وسيدي عبد الرحمان ومن تشبث به وسيدي عبد الله امام الجمعة عندهم واخوه سيدي احمد الشريف واولاده وسيدي محمد اخوه وسيدي ابوبكر وغيرهم من الشرفاء كاولاد عمه سيدي علي كلهم منا والينا ومن الفقهاء سيدي عبد النور فهو فقيه فاضل عالم نظم قصيدة في علم التوحيد لا باس بها وان يسر الله علي اشرحها واولاد الشيخ سيدي الصيد الولي الصالح والبدر الواضح واولاده لاسيما من هو كبير السن عظيم الشان سيدي عبد اللطيف وولده سيدي علي رحمه الله وسيدي الصيد وولد ولده سيدي احمد واولاد اعمامه جملة وتفصيلا اذ طبعت على حبهم وحب من يحبهم واولاد الشيخ سيدي محمد بن سعيد واولاد المرغني واولاد الشيخ ابن جابر وكل من هو من اهل الفضل في الهنشير والساحل والمنشية ولو زرناه مرة واحدة او زارنا كذلك فهو منا سواء عينت اسمه ام لا وكذا اولاد الشيخ النعاس سيدي محمد واولاد اخيه سيدي عبد الرحمان وسيدي ابراهيم وولده وطلبة محلهم على العموم من ذهب او بقي ومن اخواننا حقا سيدي محمد بن عبد الخالق واعمامه وقرابته فانهم منا ونحن منهم وبالجملة فمن اجتمعنا معه ولو ساعة حبا في الله فهو له ما لنا وعليه ما علينا ولنا نصيب منه سواء سميناه ام لا اذ من تحقق بحالة لا يخلو الحاضرون منها نفعنا الله بهم وباسلافهم بمنه وكرمه وبالجملة فاحبابنا كثيرون جعل الله الحب لاجله .

واما الحجة الاولى فقد ادركنا فيها محقق الصلاح * وصاحب النجاح * نجم الصباح * ذا الارباح * صاحب الورع والعلم الصحيح * والزهد والدواء لاخوانه ممن هو بالحب جريح *

العالم في كل المذاهب * الذي طاعت وانقادت له المواهب * سيدي محمد المعزي(١) ومثله في الفقه سيدي محمد النعاس وكذا من البله سيدي عبد الخالق وكذا الذي هو تلميذ الشيخ سيدي محمد بن سعيد وهو الذي اعطى له كتابا مزبورا بالتركية وقال اقرأه فاخذه فقرأه وسمعت منه انه قال لي من حينئذ اقرا مكتوب التركي نفعنا الله بهم و بامثالهم آمين وسيدي محمد المعزي(١) اظنه كل عرقة يحج من بيته رضي الله عنه وارضاه وقد استفدنا منه افادة عظيمة ولقد علمت انه طيب الدين والدنيا لا يغادر شيئا الا عرف سببه وطبه فمن جلس معه عرف احكام الشريعة واوصاف الحقيقة وما يخصه في امر دينه ودنياه وحاله ووارده ومقامه حاصله يغترف من بحر الله فحدث عنه ولا حرج وكيف لا وشيخه الشيخ ابن سعيد اذ هو سلطان العارفين * وملاك زمام السالكين * ومربي المريدين * والآخذ بيد المجذوبين * اذ قيل عنه انه يسبغ في لمحة واصحابه كلهم قد ظهر عليهم فضل الله لاسيما المعارف الالهية * والمواهب الربانية * واللطائف الرحمانية * وقد رأيت بعض كلامه في التوحيد الخاص وكذا تجريد التوحيد وتفريده يظاهي كلام الشيخ عبد القادر الجيلاني وكلام عبد الكريم منه ايضا وانما ياتيه الكلام عند ورود الوجد عليه * والحال لديه * فيكتبه اصحابه نفعنا الله به و باصحابه وافاض علينا من بركاته آمين والحمد لله على زيارته و زيارة معاصره الشيخ المرغني والشيخ الصيد والسيد ابن جابر بالنية والمحبة وكلهم متعاصرون افاض الله علينا من بركاتهم آمين .

وكذا زرت من كان بالمدينة كسيدي عبد الوهاب وسيدي درغوث الذي اخذ المدينة من ايدي النصارى حاصله من ثبتت له عناية الهية حيا او ميتا فيها فقد زرناه فعلا اونية اللهم بجاه من دخلها من اول عمارتها الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ان تجعلني واولادي وازواجي واخواني وطلبتي واحبائي محبوبين عندك * وعند رسولك واوليائك * ومحبين من غير محنة * ولا مشقة ولا فضيحة * ولا تسلط

---

(١) في نسخة المغربي

علينا جبارا عنيدا * ولا احدا من عبادك ولا شيطانا مريدا * ولا نفسا متعدية علينا * يا ارحم الراحمين * يا حي يا قيوم برحمتك استغيث آمين يا رب العلمين .

﴿ تنبيه ﴾ انما نذكر من ذكر من الاخوان والمحبين وبيان اوصافهم ليتحقق السامع باحوالهم ويتصف باوصافهم والاقل ان تحضر عنده بركاتهم واما ذكر اوصاف الطريق وبيان المواضع فان فيه اعتبارا ودلالة على اثار قدرة الله تعالى وتسخير الاكوان لنا والتنقل من حالة لحالة ليترقي بذلك صاحب السلوك اذ هذه الطريق اشبه شيء بطريق الاخرة فمنها يعرف الترقي في مقامات الله تعالى حتى يتحقق بحضرته ويكون في دائرته وناهيك بشيء يكون سببا للوصول الى مرضاته وفيه ايضا التصبر والتسلي والتأسي بهذه الافاضل في طريقهم الى الحج ولا شيء اعظم من هذه لان من راى احوالهم في الطريق ومعاملتهم في البيع والشراء والهبة والصدقة والضيافة وزيارة الاخوان والقيام بحقوقهم ووضع الامانة وتولي الشراء والبيع بنفسه او بائعه منهم او من غيرهم يتحقق به الناظر والسامع بذلك ايضا فيقوى نوره ويتسع مدده لان اوصاف النبي صلى الله عليه وسلم سارية في احبابه وقائم مثلها فيهم وكما تخلقوا بخلقه صلى الله عليه وسلم انتدب الكلام عليهم اذ ذكر اوصافهم ذكر لاوصافه وقد علمت ما في ذكره صلى الله عليه وسلم من الثواب وذكره صلى الله عليه وسلم ذكر لله ولذكر الله اكبر واما ذكر طريق الحج فهو كذكر الطريق الموصلة الى الله تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني فلا يقال ان ذكر هذا ذكر لما لا يعني اولا فائدة فيه فنقول هذا ذكر الله تعالى كما سبق فان قلت سلمنا ذكر ما ذكر فيه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وذكره ذكر الله تعالى فما احسن بينه وما احسن ذكر الطريق الموصلة اليه كالطريق الموصلة الى رب البيت [فاعلم هذا فانه لم يهمل على شيء](١) وشرف العلم بشرف معلومه ولم يكن شيء

---

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة

اعز من بيت الله تعالى ولا شيء اعظم منه ولا اعظم من الطريق الموصلة اليه واما ذكر المدن والقرى وبيان اوصافها وذكر الفلوات والصحارى والانهار والعيون وحسن بناء المدن والاسوار والحوانيت والاسواق والازقة والمساجد واتقانها والصوامع واوصاف ما ذكر وملاقاة الرفاق والرجال من عامة المؤمنين وبيع الحوائج وشرائها في خاصة نفسه اذ لا فائدة تعود الى غيره اذ هذه الامور خاصة بمؤلف الرحلة فلا نفع فيها يتعدى لغيره من العلم او المصالح لتجتلب او المضار لتجتنب فذكرها عبث وهؤلاء المؤلفون مصونون عن العبث اذ مقامهم يتحاشى عن ذلك ولانهم مشرعون والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر احواله للتشريع اذ هو بشر لا كالبشر فذكر احواله من بيع وشراء ونزول وصعود وهبوط وشرب من بئر فلان ودخول بيت فلان وصفة مسجده وبيته ودابته ولباسه وماكله ومشربه وغير ذلك علم يفيد مصلحة اي مصلحة واما هؤلاء فليس كذلك قلت نعم الامر كما ذكرت لكن اتفق اهل الرحلة على ذكر ذلك قديما وحديثا فحينئذ لا يخلو عن فائدة بينة اما ما كان في خاصة نفسه ان كان خيرا فكذا مثله ان وقع بك فتشكر الله تعالى ليزيدك المعونة والخير لقوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم وان كان مصيبة وامتحانا واختبارا فتتسلى به وتصبر كما صبر اولو العزم من الرسل فيسهل عليك حمل اعباء المصائب والله يقول ان الله مع الصابرين ولقوله ايضا ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الاية واما ذكر اوصاف المدن والقرى فلا اعتبار وقد قال بعض العلماء انما سكن الاكابر الامصار لتذكر آيات الله والاعتبار وحينئذ فمن لم يرها حصل له ذلك بسماع اوصافها وقد علمت ان تفكر ساعة خير من عبادة كذا وكذا سنة كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم وكفى بهذا شرفا وفضلا واما ذكر بيع حاجة كقوله بعت جملا او ودعته وغير ذلك من الاخبار بما يخصه فلان تعلم ان الفضل والشرف ليس بترك الاسباب وان التوكل لا ينافي ذلك لقوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولم يقل رجال لا يتجرون ولا يبيعون وايضا الفاضل

لا يقف عن خدمة نفسه ودابته وضيفه وشيخه واهل الخير والصلاح بل الشرف ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتولى ذلك بنفسه فكيف بغيره فصاحب الرحلة حين اخبرك بانه فعل كذا كانه قال لك السنة في هذا الطريق فعله اذ التوكل في القلب وهو لا ينافي الاسباب بل فعلها يقويه ويؤيده لان النبي صلى الله عليه وسلم اعظم المتوكلين فانه يبيع ويشتري وياخذ الزاد ويلاقي الرفاق ويصحب الرفقة وينزل على الماء ويتزود منه واخبار صاحب الرحلة بانه فعل ذلك ليقتدى به كما اقتدى هو به صلى الله عليه وسلم وقد قال الامام الشافعي الشريف لا يأنف من ثلاث خدمته لنفسه ولدابته ولضيفه كما ذكره الشعراوي فاذا علمت هذا علمت ان ذكر ذلك ذكر لاحوال النبي صلى الله عليه وسلم وكفى بذلك فائدة وشرفا لهذا العلم فلا يحل لامرىء مسلم ان يقول تاليف هذا من العبث اذ هو الطريق وبيانها كبيان الطريق الموصلة الى الله تعالى لانها توصل الى بيته بل توصل الى رضاه واي علم اشرف من هذا العلم وفائدته ظاهرة هذا وان علم امور الرحلة وبعض علم التاريخ يرجع الى علم سيره صلى الله عليه وسلم فاعلم هذا فان فيه فضلا عظيما وايضا النفس اذا علمت الطريق اشتاقت الى الذهاب الى بيت الله الحرام وايضا معرفة الاستطاعة وعدمها انما تكون ببيان المراحل وصعب الاماكن وسهلها وبيان المسافة بين المعاطن وبيان العذب منها وغيره ليعرف ما يتزود من الماء وقدر ما يعرفه من الاحمال وكل ذلك يحتاج فيه الى تصور الطريق بالتفصيل ليعرف الانسان حصول الاستطاعة لنفسه فيجب عليه او عدمها فلا لان الحكم بالاستطاعة فرع التصور للطريق فاحتيج الى بيان الرحلة فان قلت كتاب واحد يكفي قلت لان الزمان والمكان يتغير فاحتيج الى التعدد واما بيان الاشجار المثمرة ليستعد الانسان الى الشراء من وطنها لان كثرته توجب كثرة الثمرة وكثرتها توجب رخاء الاسعار فينبغي للانسان كثرة التزود منه ومثله القلة في الضد واما غير الثمر فبيانه لاحتياج الدواب اليه فكل ذلك فيه اعانة للحاج

والله يقول وتعاونوا على البر والتقوى الاية وبالجملة فهذا العلم شريف لشرف معلومه والمنصف يظهر له الحق باول اشارة والمعاندلوملات له الارض حججا ما قبلها

واذا البينات لم تغن شيئا * فالتماس الهدى بهن عناء

﴿ تتمة ﴾ وممن اقبل الينا ووفق لمحبتنا الاجل الاعظم الحليم المشفق ذو الاخلاق الطيبة والطبائع السنية ودفع السيئة بالحسنة لقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن(١) فاذا الذي بينك و بينه عداوة كانه ولي حميم وكذا كفاه الله مؤونة اعدائه من غير حرب ولا عسكر ولما اجتمعت معه قلت له امتثل الخير ولو من عدوك * ولا تقبل الشر ولو من صديقك * وقلت له ايضا المحسن يجازى بالاحسان * والمسيء تكفيه اساءته * زاده الله عقلا وعلما وحلما وصبرا(٢) وهداية ورعاية حسنة وان يخلد الولاية في ذريته الى قيام الساعة مع العدل والحلم حسبما فيه غيره من اهل العدل والاحسان والرحمة للامة المحمدية وذلك السيد علي باشا نجل الوالي محمد باشا نجل الوالي احمد باشا وفي الحجة الاولى ادركت جده وفي الثانية ادركت اباه في الطاعة وفي الرجعة ادركته هو جعل الله عاقبته خيرا من اوله واصلح حضرته لان قلب الامير على قلوب قواعده وصلاحه بصلاحهم وفساده بفسادهم لانه لا يخرج عن دار الملك حتى يتبين له المحسن من المسيء والصديق من العدو والطائع من العاصي وهلاك الخلق انما هو بهم فكان حقا عليه ان لا يقبل الشر من احد الا اذا حصل له العلم بذلك والا كان كُرة في ايديهم فيهلكون به من شاءوا من عباد الله من غير موجب شرعي نعم العاقل من عقل عن الله ما يفعل فاذا علمت هذا علمت ان الامور نسبية الامثل فالامثل والا فان نظر الى العصر الاول فتجد اهل الطاعة منا كاهل المعاصي منهم غير انك اذا نسبت من كان من اهل الزمان الاول والزمان الاتي الى زماننا هذا فتجده اولى من غيره والامر اعتباري والا فالظلم قد عم والجهل قد انتشر والبدعة قد صارت

---

(١) في نسخة احسن السيئة — (٢) في نسخة وعلما وجبرا ونصرا

سنة والسنة قد صارت بدعة والحكم لله الواحد القهار الا له الخلق والامر تبارك الله رب العلمين فبالله وتالله مثلي لا يصلح بهم ولا للاجتماع معهم اذ لا دين لنا نتحصن به واما هذا الرجل ومثله في محل الرفعة والتعظيم ان تعلق بمثلنا فيربح قطعا اذ من خذل من الامراء لا يلتفت الى اهل الخير بل يعدونهم كالهباء المنثور الحمد لله على مثله فالله يحفظنا واياه من كل حسود واذاقه ما اذاق اصفياءه لانه على كل شيء قدير * وبالاجابة جدير * يوتي الملك من يشاء بالتصريف * ويعز من يشاء بالتعريف * ويذل من يشاء بالتسويف * بيديه الخير من غير وجوب ولا ايجاب ولا تخويف .

﴿ تنبيه آخر ﴾ قال شيخ شيوخنا سيدي احمد بن ناصر ما نصه فائدة قال الشيخ محمد بن علي شارح الشقراطسية ناقلا عن البكري ويذكر ان تفسير طرابلس بالعجمية ثلاث مدن قال وعلى مدينة طرابلس سور صخم جليل البناء وهو على شاطيء البحر وبها اسواق حافلة وحمامات كثيرة فاضلة وفيها رباطات كثيرة ياوي اليها الصالحون ومرساها مأمون من اكثر الرياح ومدينة طرابلس كثيرة الثمار والخيرات وبها بساتين جليلة في شرقيها ويتصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح الكثير ومن طرابلس الى جبل نفوسة ثلاثة ايام وذكر الليث ابن سعد قال غزا عمرو بن العاص مدينة طرابلس سنة ثلاث وعشرين حتى نزل القبة على الشرف من شرقيها فحاصرها شهرا لا يقدر منهم على شيء فخرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر عمرو يتصيد في سبعة نفر فمضوا غربي المدينة فاشتد عليهم الحر فاخذوا راجعين على ضفة البحر وكان البحر لاصقا بالمدينة ولم يكن بين البحر والمدينة سور وكانت سفن البحر شارعة في مرساها الى بيوتهم فنظر المدلجي واصحابه فاذا البحر قد غاص من ناحية المدينة فدخلوا منه حتى اتوا من ناحية الكنيسة فكبروا فلم يكن للروم مفزع الا الى سفنهم واقبل عمرو بجيوشه حتى دخل عليهم فلم يفلت الروم الا بما خف عليهم في مراكبهم وغنم عمرو ما كان بالمدينة وسور المدينة مما يلي البحر غير اصل انما بناه هرثمة بن اعين في حين ولايته القيروان وبعث عمرو بن العاص الى ودان بشر بن ارطاة وهو محاصر طرابلس فافتتحها

وذلك سنة ثلاث وعشرين واكثر معيشة اهل ودان التمر ولهم زرع يسقونه بالنضح وافتتح عمرو بن العاص نفوسة وكانوا نصارى وام قرى جبل نفوسة شروين مدينة كبيرة آهلة جليلة وبين طرابلس ومدينة شروين خمسة ايام وبينهما حصن لبدة من بنيان الاوائل بالاجر والحجر حوله آثار عجيبة وخرائب كثيرة يسكن هذا الحصن قوم من المغرب حماتهم نحو الالف فارس وهم محاربون لجميع من يحاربهم من قبائل البربر ازيد من عشرين الفا بين راجل وفارس وظاهرون عليهم وفي وسط جبل نفوسة النخيل والزيتون الكثير والفواكه ويجتمع فيما حوله من القبائل ستة عشر الف رجل وطول جبل نفوسة من المشرق الى المغرب ستة ايام اه كلامه مع بعض اختصار وتغيير وفي رحلة ابي سالم العياشي وهي مدينة مساحتها صغيرة * وخيراتها كثيرة * ونكايتها للعدو شهيرة * ومآثرها جليلة * ومعائبها قليلة * انيقة البناء * فسيحة الفناء * عالية الاسوار * متناسبة الادوار * واسعة طريقها * سهل طروقها * الى ما جمع لاهلها من زكاء الاوصاف * وجميل الانصاف * وسماحة على المعتاد زائدة * وعلى المتعافين بانواع المبرة عائدة * لا تكاد تسمع من واحد من اهلها لغوا الا سلاما * ولو لمن استحق ملاما * لاسيما مع الحجاج الواردين * ومن انتسب الى الخير من الفقراء العابدين * فانهم يبالغون في اكرامهم * ولا يألون جهدا في افضالهم عليهم وانعامهم * ولهذه المدينة بابان باب الى البر وباب الى البحر لان البحر يحيط بكثير من جهاتها والحصن الذي فيه الامير متصل بالمدينة من ناحية باب البر بينه وبين البحر ولامير هذه المدينة نكاية للعدو دمرهم الله وله مراكب قل نظيرها معدة للجهاد في البحر فلما تسافر وترجع بلا غنيمة وقلما اسرت لهم سفينة الا ان تكون من سفن التجارة لا من سفن الجهاد فجزاهم الله خيرا واعانهم على ما اولاهم من ذلك وسائر بلاد المسلمين اجمعين .

قال وكان عادة الركب اذا نزل هذه المدينة لاسيما في الذهاب ان يقيموا بها نحوا من شهر يستعدون فيها لدخول المفازة التي قل نظيرها وهي مفازة برقة ومن هذه المدينة يشتري الحجاج

ما يحتاجون من الابل والقرب الخ ما حاصل معناه ان الركب كان يمشي مشيا رويدا لان مقصودهم الحج والشوق لتلك الاماكن ويشفقون على الضعيف فالان والعياذ بالله صارت حالة الركب تجارة فمسيرة شهرين صارت اربعين يوما غبطة لحصول الحوايج الدنيوية حتى انقطعت الصعاليك عن المشي انا لله وانا اليه راجعون .

واما الابل فابل هذه البلدة اجود من غيرها لانها الفت العمل والخدمة الكثيرة وانهم يستعملونها في كبير الاعمال حتى الحراثة والدراسة والرحي فتمرنت بذلك على المشاق العظيمة مع طيب هواء البلد وقد قيل ان هواء الدنيا كلها في هواء هذه البلدة مع صفاء مرعاها فيقل حينئذ فيها الغش وتندر امراضها وقد قيل للحجاج عليكم بجمال طرابلسية وقربة مصرية لان قرب هذا البلد ردية الدباغ وماؤها خبيث المساغ ومع ذلك لا تمسك الماء الا كما يمسكه الغربال ومع ذلك يحتاج صاحبها الى كثير منها بل قد تؤديه الى العطب والتلف في بعض المفاوز لكونها تضيع الماء برشحها كثيرا . ثم قال وهذه المدينة قد شاهد اهلها بركة الحجاج والمجاهدين في امر معاشهم فربما اجتمع فيها من الركبان الذاهبين والآئبين خمسة او ستة ويصادف ذلك في كثير من الاحيان خروج عسكر البحر للجهاد ومع ذلك لا يزيد فيها السعر على ما كان في كل مطعوم بل ربما نقص في الغالب مع ان البلد في كثير احواله معروف بغلاء الاسعار بالنسبة الى ارياف النيل وسواحل المغرب وجباله الى ان اهلها مستكفون بها غاية وراضون بها نهاية وهي جديرة بذلك اذا اجتمع الاركاب فيها كثر الزحام على الارحى غاية فيلاقي الحجاج من ذلك مشقة ولولا ما جبل عليه اهلها من السماحة وحسن الخلق لما تهيأ للحجاج اتخاذ الزاد منها لصغرها وكثرة الواردين لاسيما من لم تطل اقامته اه قلت ركبنا لم تطل اقامته في هذه السنة وانما اقمنا بها نحو العشرة ايام وذلك شان الاركاب في هذا الزمان لان الناس يستصحبون معهم الزاد فلا يحتاجون الا الى ما قل وقد ذكر شيخ شيوخنا المذكور انه بعد استقرار المنزل به ذهب لزيارة شيخه الفاضل مفتي البلد سيدي محمد بن احمد بن مساهل رضي الله تعالى عنه قد استعفى عن

الفتوى في آخر عمره وتبتل للعبادة وتدريس العلم مع ملازمة كتب الوعظ والتذكير وله مشاركة في العلوم ملازم التدريس وله سيمة حسنة وحالة مرضية بان قال ما راينا سيمة حسنة اولى منه ولا اصدق قولا ولا فعلا منه وله باع في المطالعة وانقال في المذهب وكان منقطعا عن الاشتغال والتكاليف بحيث لا يفتر عن اقراء العلم صباحا ومساء وصيفا وشتاء بمعنى انه يديم القراءة وقد اشتغل بالفتوى نحو الاربعين سنة ومع ذلك حمدت سيرته وقد اخذ طريقته عن الولي بلا نزاع بين تلك البقاع سيدي محمد الصيد رضي الله عنه والصيد في لغتهم الاسد وسمي بذلك لكثرة ردعه للظلام وقهره للجبابرة وهو اخذ عن سيدي عيسى بن محمد التلمساني المشهور بابي معزة وهو اخذ عن الولي الكبير والعلم الشهير سيدي ابي عمرو القسطلاني المراكشي وكان هذا الشيخ رضي الله عنه لا يجترئ احد على معارضته فيما امر به ولا يتعرض لمن انتسب اليه وظهرت له كرامات وقد ظهر فضله بسبب شخيه سيدي عيسى المذكور ولذا لم يزل ولده سيدي عبد الحفيظ يبالغ في تعظيم اولاد سيدي ابي عمرو بل في تعظيم كل من انتمى اليهم بقرابة او خدمة اوجوار او غير ذلك وقال ولقد اخبرني من حضره ذات يوم وقد غسل سيدي محمد بن ابي القاسم من اولاد سيدي ابي القاسم يده صباحا ورأسه من حناء كان بها في انائه فأخذ سيدي عبد الحفيظ ما اجتمع من الغسالة في ذلك الاناء وشربه نفعه الله بحسن اعتقاده ولهذا السيد مزيد اعتقاد في كل من ينتسب الى الصلاح وقد نفعه الله بذلك فطار صيته وانتشر ذكره في البلاد اكثر من ابيه وهابه الولاة فمن دونهم كما قيل له دنيا عريضة من كل المال قد اتاه نعما وحرثا وغيرهما يطعم منهما الواردين ويواسي المحتاجين اعانه الله على ما به تولاه ورزقه الشكر على ما اولاه وتوفي ابوه سيدي الصيد سنة خمسين والف (١٠٥٠) وقال ايضا لقد اخبرني محمد بن مساهل المذكور بان قال منذ عرفت الشيخ سيدي الصيد ما تركت جمعة في مسجده نحو اربعين سنة آتيه ضحى واصلي الجمعة وارجع الى المدينة الا لعذر ظاهر وابقى في مسجده الى ان اصلي العصر في محلي المسمى بالهنشير وبينه وبين المدينة ستة اميال .

﴿ لطيفة ﴾ قال اخبرني ايضا شيخنا هذا ان شيخه المذكور قال ان لاهل الله مراغة كمراغة الابل لا يمر بها احد منهم الا تمرغ بها واني لارجو ان يجعلك الله مراغة لاوليائه ولاجل دعوة هذا الشيخ لا يدخل احد هذه المدينة ممن فيه انتساب لهذا الطريق المبارك الا كان ايواؤه الى هذا الشيخ اما بالنزول عنده او بالتردد اليه وكان رضي الله عنه يقوم بحوائجهم قدر الامكان ويواسيهم نفعه الله بقصده الجميل .

﴿ نادرة ﴾ قال واخبرني شيخنا ابن مساهل عن بعض مشائخه انه قال اذا اذن خلف مسافر فذلك امان له حتى يرجع من سفره وروى لنا في ذلك حديثا وقد فعل لنا ذلك رضي الله عنه حين ودعنا خارج داره فرأينا بركته والحمد لله اه .

اقول ﴿ لطيفة ﴾ وكذا اذا قرا وراء المسافر قوله

وحيث اتجهت صادفتك عنايـة ❊ وينصرك الرحمان من كل جانب

رجع سالما باذن الله تعالى وقائله هو جبريل عليه السلام اذ قراه وراء النبي صلى الله عليه وسلم حكاه الخفاجي في شرح الشفاء قال ما قرئ وراء مسافر الا رجع سالما .

ثم قال ﴿ غريبة ﴾ اخبرني ايضا ان سيدي علي بن الخضر العمروسي ذكره في شرحه على المختصر ان الزباد المسمى في عرف غربنا بالغالية نجس وان كان عرق حي لمروره بمحل البول قال وكان بعض الصالحين لا يتطيب به لذلك واظنه الشيخ اللقاني قال شيخنا وكنت اتوهم ذلك الى ان بعثت بحضرة سيدي عبد الحفيظ الى قط من القطوط التى يستخرج منها الزباد وكان عند بعض الاتراك فلما احضر امرنا متولي استخراج الزباد منه باستخراجه بحضرتنا ففعل فشاهدنا محل اجتماع ذلك منه خارجا عن محل البول لا يمر به اصلا وانما هو جليدة رقيقة عن يمين المحل او يساره يجتمع فيه ذلك العرق وتشتد عليه وتنطوي حتى يوخذ منها قال فحينئذ اطمانت نفوسنا وايقنا بطهارته ﴿ قلت ﴾ وفي شرح المختصر للشيخ عبد الباقي الزباد كالمسك لخروجه من غير مخرج البول والروث ولا

يصل الى محل خروج بوله ولا روثه كما اخبرني به مسلم ثقة في ذلك كذا قال الاجهوري في كبيره ومن خطه نقلت فيكون طاهرا وبه افتى الشيخ سالم بعد التوقف حتى اخبره من له به معرفة وذكر له كما للاجهوري وهو خلاف قول حياة الحيوان يوجد في ابطيه وفي باطن افخاذه وباطن ذنبه وحوالى دبره فيوخذ من هذه الاماكن بملعقة صغيرة او بدرهم رقيق ها واقتصر صاحب القاموس على ما نصه وغلط الفقهاء واللغويون في قولهم الزباد دابة يجلب منها الطيب وانما الدابة السنور والزباد الطيب وهو رشح يجتمع تحت ذنبها على المخرج فتمسك الدابة وتمنع الاضطراب ويسلت ذلك الوسخ المجتمع هنا بليطة او بخرقة انتهى كلام الزرقاني بزيادة «قلت» ويؤيد ما للزرقاني ما عاينه الشيخ ابن مساهل المذكور مع من معه فلا يرتاب في طهارته اذاً لبعده عن محل النجاسة لانطواء تلك الجلدة واشتدادها عليه بعد اجتماعه حتى يوخذ منها .

ثم قال «غريبة» اخبرني الشيخ سيدي محمد بن مساهل سنة اربع وستين في الرحلة التي قبل هذه انهم سمعوا في سنة اثنتين وستين والف (١٠٦٢) صوتا هائلا في ناحية البحر كصوت المدافع الكبار من قرب الضحى الى الليل قال وظنناه سفنا للمسلمين تلاقت مع بعض السفن للنصارى وكما سمعنا ذلك الصوت سمعه اهل هذا الساحل الى مسراتة وسمعه حتى اهل فزّان والاسكندرية وسمعه من الناحية الغربية اهل جربة وسوسة وتونس وكل يظن انه قريب منه وبعد شهر او شهرين قدمت مراكب من بر الترك واخبروا ان ذلك الصوت لامر هائل وذلك ان جزيرة من الجزائر خرجت في بعض نواحيها حجارة تطلع من البحر حتى اذا ارتفعت على الماء وعلت في الهواء تصدعت فيخرج منها نار ويسمع لها ذلك الصوت فاذا خرجت النار وقعت الحجارة على الماء خفيفة كهيئة الجفافة ودام ذلك الى الليل وارتفع من ذلك الجو دخان كثير فيه رائحة الكبريت واعجب من هذا انهم قالوا انه اصبح في ذلك البلد كل ما عندهم من الفضة نحاسا في تلك الليلة والله اعلم بغيبه قال وهذه المدينة معروفة باهل الصدق في الاحوال من المجاذيب وقد ادركنا بها

رجلين او ثلاثة من المجاذيب توثر عليهم كرامات وحكايات غريبة تدل على صدقهم في مواجدهم وكانت فيما مضى فيها مزارات كثيرة لكثير من اكابر الصالحين ولا يعرف منهم الان الا القليل كسيدي سالم المشاط صاحب المسجد الجامع الذي باقصى المدينة وقبره يزار ﴿ قال ﴾ وسبب خفاء كثير من قبور الصالحين المدفونين ان البلد تداولته ايدي المسلمين والنصارى مرارا عديدة فقد ذكر ابن بطوطة في رحلته ان النصارى استولوا عليها في ايام السلطان ابي عنان وافتداها منهم بخمسة قناطير من الذهب العين فعد ذلك من مآثرة انتهى قال وقد استولى عليها النصارى ايضا في القرن العاشر ﴿ قلت ﴾ وفي رحلتنا للحرمين الشريفين سنة ست وتسعين والف (١٠٩٦) حاصرها الكفار دمرهم الله تدميرا وذلك ان يوم نزولنا بها بمنزل الركب بسوق البحر اذا بسفن ثلاث ظهرت على متن البحر ثم تتابعت الفلك في اليوم نفسه الى ان كملت اثنتين وعشرين سفينة فاقاموا عليها دمرهم الله بقية الثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة واهل المدينة في تلك المدة في هول عظيم ونكد جسيم وعناء شديد وليس فيهم مدبر ولا ذو راي حميد اونظر سديد بل اخذوا في نقل امتعتهم من المدينة لخارجها وحريمهم الى سوانيهم بالمنشية ولما راينا ذلك تكلمنا مع وجوههم على فعلهم الغير اللائق فيما يبدو لنا من اظهار الجزع والجبن لاعداء الله الكفرة اللئام الفجرة وقلنا لهم ان هذا الصنع الذميم مما يغريهم عليكم فاصبروا ولا تظهروا لهم الوهن والجبن فقالوا هذا والله منا ليس بجبن وانما حملنا على ما رايتم ما اتوا به مما لا طاقة لنا به من البُنْبَة يضربون بها ولا تقع على شيء كائن ماكان الا وهدمته ودكته والمسلمون في هذه الليالي كلها لا ينامون بل يحرسون على البحر ويطوفون حوله ونحن وركبنا معهم في ذلك مستهلون بالشهادة رافعون اصواتنا بالتكبير ومعلنون بالصلاة على البشير النذير عليه افضل الصلوات وازكى التحيات من الملك القدير وعلى آله وصحابته ذوي المنهاج الواضح المنير فلما كان بعد صلاة العشاء ليلة السبت ضربت الكفرة دمرهم الله بمدافعهم فراينا من ذلك ما لم نره قط ولا سمعنا به ترى البارود حين يخرج من بخش المدفع فاذا بكُرة محماة تحكي الشهب خرجت منه صعدت ثم يرمون

باخرى وترتفع اكثـر من الاولى ثم تتدلى هابطة فاذا وقعت بالارض سمع لها صوت هائـل تصم منه الاذان فتتصدع في الموضع الذي وقعت فيه وتتفرق ولا تقع على بناء الا وهدمته ولا على بسيط مستـو الا وحفرته ولا على علية او اسطوانـة الا وهدمتهـا ولا على شجـرة الا واحرقتها او قلعتها فتمكث في اعماق الارض سويعة فتتكسر فيسمع لها صوت هائل اعظم من الاول ونحن في ذلك كله رافعو الاكف بالذلة والافتقـار والخضـوع والتضـرع الى الله تعالى الليل كله ولانكتحل بنوم قط وما خرج مدفع من مدافعهم الا وظننا انه يقع علينا فتارة تقع حذاءنا وتارة تمر علينا واكثر ما تقع بالمدينة او البحر او قرب المدينة خارجا وفي بعض الليالي وهي من الليالي الهائلـة اخذوا في الضرب الليل كله الى الصباح بل الى الضحـى لا يفترون عنه ساعة وضربوا فيما اخبرني به بعض فقهاء البلد بأزيـد من تسعمائة كُـرة فلما راينا هولهم العظيـم ومعنا النساء والصبيـان وفيهن الحوامل خشينا عليهن ان يقذفـن ما في ارحامهن مما يعاينّ فتحولنا لبعض البساتيـن المسورة فنزل الركب بها وادخلنـا حريمنا لبعض الديار ثم امسكوا عن الضـرب الى ان صلينا العشاء فضربوا ايضا دفعة واحدة فهاجت عليهم ارياح عاصفة وافسدت كُرَاهم باخماد ما تعلق بها من نار وعند الفيء عادوا للرمي الى الضحى فلما قرب الزوال زحفوا الى المرسى فعاقهم من بالبرجين اللذين على البحر من المرابطين بهما البائعين انفسهم من الله وقد لا يخلوان من حارس في السلم والحرب وردوهم على اعقابهم بما قذفوهم به من الكرى والمدافـع حتى كسروا لهم صندلا صغيرا فنكصوا على اعقابهم وولوا ادبارهم * وعانقوا ادبارهـم * والحمد لله رب العالمين فكثر اللغط والعويـل بالبلد * فجاء اهل الاسلام من كل وجهة مشـاة وركبانا بعَدد وعُدد * كل بحسب وسعه * فاكفهرت وجوه الابطال * وكلحت شفاه الرجال * وشمروا للنـزال * وتهيئـوا للدفـاع والقتال * واحمرت الحدق * فكسا الكفرة الفرق * فارتحلوا الى ابعـد مكان فابعدهـم الله واسحقهم * واذلهم وافلقهم * فكاد الاسلام يقتحم باهله البحر اليهم واشد الناس حنقا عليهم الحجيـج فعملوا على النجـاز * والنضال والبراز * ولولا البحر لاراهم الله من اهـل

الاسلام ما يسوءهم فكتيب كل وصيتد واعد الشهادة مغنما * وفوانها مغرما * كل يرجو ان تخرج الكفرة للبر واجتمعت آلاف مؤلفة من اهل الاسلام الابطال من اهل الدفاع والقتال وما رد الكفرة من الخروج الا ما راوا من شدة الحزم وقوة العزم * وابلغ الغيظ من اهل الكفر والظلم * حتى قالوا يكون بيننا وبينهم صلح على ان يدفع لهم المسلمون جميع ما عندهم من اسراهم وشرط عليهم المسلمون مثل ذلك والكفار على المسلمين يردوا لهم ما اخذوا منهم قبل ذلك الزمان في البحر في هدنة بينهم وقبل المسلمون لهم ذلك وقدره والله اعلم مائتا الف ريال فرملية فحينئذ دخل الكفرة المدينة للتسوق وربما اغلظوا على بعض المسلمين في القول لتوعد امير البلد من العثماني على من اساء على كافر ولو بكلمة بعقاب شديد وهو علج فاغرى ذلك الكفار على المسلمين فصبر اهل المدينة لذلك واما المغاربة وجميع الحجيج فاغلظوا على الكفرة فاخشنوا لهم في القول وربما ضربوهم ولا القوا اليهم بالا اعزازا لدين الله واعلاء لكلمة الله فرفع الكفرة ذلك لامير البلد العلج المذكور فقال ان المغاربة شداد على النصارى فاتركوهم لئلا يقع فيكم القتل ولا يد لي عليهم فدعوهم عنكم وتحملوا منهم ما واجهوكم به فاخذوا في دفع ما شرط عليهم الامير وصاروا يدفعون لهم الخيل والزرع والابل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وكلمنا علماءهم المالكية فقالوا ان هذا والله هو الصغار بعينه ولا قدرة لنا على ما فعله هؤلاء الاتراك وخرجوا تلك الايام خارج المدينة مخافة حضور هذا الفعل الذميم .

﴿ تنبيه ﴾ من جملة الدواهي المعضلات اننا دخلنا المدينة للجمعة فجلسنا ننتظر الامام فاذا برجال من اهل الدولتلي ارسلهم بالنداء لا تصلى الجمعة فقام لهم صاحبنا الفقيه سيدي احمد بن محمد الهشتوكي فقال لهم ان هذا والله حرام لا يجوز كيف تترك الجمعة من غير عذر بيّن واكثر من ذلك فقام فقيه منهم فقال هذا جائز عندنا فخرجنا من مسجدهم فاتينا مسجدا آخر تصلى به الجمعة المالكية فاذا برسول الدولتلي اتى ينادي بما نادى به اولا فابى الامام المالكي فصلاها رضي الله عنه قائلا والله حتى اصليها ولو

تنفد سالفتي فصليناها معه جزاه الله خيرا ووفانا واياه ضيرا ثم اجلى الله الكفرة عن المدينة يوم الخميس بعد تمام المهادنة وامضاء شروطها وفرح المسلمون بانتقالهم عنهم وافلاعهم عن البحر غاية الفرح اخزى الله الكفرة واذلهم واعز اهل الاسلام واحاطهم ﴿ نكتة ﴾ اخبرني بعض من يوثق به ان هذه الالة التي يرمي بها الكفرة كانت تصنع من نحاس وحديد وذهب وفضة وانواع اخرى من المعادن ويفرغونها على قدر القدر المتوسطة المسماة في عرف اهل بلدنا بالمقلاة ولها يدان مثلها وبابها ضيق قدر ما يدخل فيه الانسان ثلاثة اصابع او اربعة وياخذون عود الكلخ ويثقبون وسطه طولا ويجعلون فيه فتيلة تخرج من فوقه واسفله ويملئونها بارودا ومسامير وقطع الحديد وعفافير ويجعلون هذا العود في فمها ويسدون عليه بحلقة الحديد ويجعلونها في مدفع على هيئة المهراس بعد ما يجعلون فيه البارود ويرفعون فم هذا المدفع نحو السماء فاذا مس بنار خرجت النار مشتعلة في الفتيلة وهي طالعة في الجو والريح تنفخها والنار في الفتيلة وعود الكلخ يزيد اشتعالا بما يصيبه من الريح وترى في الجو على هيئة النجم فلا تصل النار اليها حتى تسقط حيث تسقط اه .

﴿ تتمة ﴾ هذه المدينة وان نقصت حسا لانها الان لم يوجد فيها الا حمامان وكذا الرباط فيها ومثلها الاسواق غير انها لم تنقص معنى فان خيرها كثير ونورها جدير نعم قد وجدنا فيها فرقا من اهل الخير والدين من طلبة العلم وغيرهم وبالجملة فمن يذوق احوالهم * والقى السمع اليهم * يرى بنور الله افاضل اجلة * وذوي المعرفة كالاهلة * فليس لك ان تقول قل الخير واهله * وانما قل على المحجوب والمعلول افعاله * والا فحضرة هؤلاء كاملة الانوار ساطعة الاسرار * لا تخلو مواطنهم من المقربين والابرار * فيحق السعي اليهم * مع خدمتهم ومودتهم والتحبب اليهم * ليستمد منهم ويستفيد من احوالهم * ويقتبس من انوارهم * ليدخل في حضرتهم * ويشرب من كاس قربهم * وحينئذ يتخلق بخلق النبي صلى الله عليه وسلم فتسري فيه روحه الكريمة بل تسري فيه معاني اسماء الله وصفاته وينكشف له بالذوق عن كنه ذاته فترد عليه شطحات الهية * ومواهب صمدانية * وانوار فردانية * فيغيب عن

الاكوان بقدرة المكون حتى لا يراها الا فتنة وبلوى اذ تقول بلسان حالها انما نحن فتنة فلا تكفر فلا يسير حينئذ سيرة المهل غير انه لولا سلطان التمكين لطاش عقله لفجاءة البعث(١) فيقويه الله تبارك وتعالى في مقام الشهود والا اضمحلت نفسه(٢) لمشاهدة الذات وكذا وصفه لمشاهدة وصفه وفعله لمشاهدة فعله فلا يرى السائر الا ذات المحبوب وصفاته وافعاله فيصحبه في ذلك الوقت بعض المحو فيقول الجاهل تكدر وقته * وعظمت محنته * وعالت مصيبته * والمعترض صاحب الحرمان * وغلبت عليه النفس والشيطان * والا لسلم لمن هذا وصفه اذ هو في تجليات المحبوب * والغيب عن المربوب * فجدير ان يؤيد في ذلك المقام والا فلا يستطيع ان يحمل ما للباقي اذ الفاني لا قدرة له على ذلك * ولا يتحمل ما هنالك * فيجول قلبه في معارف الله تعالى واذا تليت عليه آيات القرآن زادته ايمانا وعلى ربه يتوكل فاذا تقوى عليه الله الشهود وسار في الارواح ذهب سر السر في قائمة عروس التجلي فلا ينعكس اصلا فذلك اسراء الارواح لربهم فيحليها بما حلى به المقربين من عباده وحينئذ تكون له شطحات يشطح بما حلي به اما بسر الذات او بمعنى الصفات او بشذاء الاسماء فاذا تغذى بها ظهر ذلك على الاجباح ولذا قال بعض العارفين اذا نزل الوجد على الرأس حركه وعلى العين ادمعها وعلى اللسان انطقه بما به شطح وعلى اليد بطش بها وعلى الرجل رقصت فحينئذ يغيب الناس بسر اللهوت فينادي لسان الحقيقة بما يشبه الاتحاد فيقول مثلا انا هو فاذا دام شربه ظهرت انوار الحق عليه لان ما فيك * ظهر على فيك * كل اناء بما فيه يرشح * هذا وان وسع التجلي لا يعرف قدره الا صاحب التاييد من العزيز المقتدر فهيهات من هو دون مقامه * ان يشم رائحة انعامه * ولا ان يكون في قسمة من اقسامه * نعم لا يفهم كلام الاخرس الا امه * وفي ذلك الغيب وجمع الجمع يصير ملتقطا لدرر التوحيد * وغرر

(١) في نسخة البغت — (٢) في نسخة لا ضمحلال نفسه

التجريد * ليتجلى بها في منصة التوحيد * ولا يعلم ما هو عليه الا من شرب من مشربه * وشرابه يرقيه الى محبوبه * وان الى ربك المنتهى * فيصير هو سمعا له وبصرا ونطقا * والى هذا المعنى اشار ابن مالك بقوله « وذو ارتفاع وانفصال انا هو » اي الضمير المرتفع بسر اللهوت المنفصل عن الخلق * المتصل بالحق * فاذا غاب بمحبوبه * يقول في حال غيبه ومحوه * اذ لا يرى الا ذات المحبوب واوصافها فلم يبق له سواه ينظر اليه ولذا يقولون الوجود واحد اذ لو تعدد لهلكت العوالم واما من غلب عليه سطوة التجلي تلاشى كل شيء سواه وقال انا هو غير انه ممزوج بكدر الاتحاد ولذا لا تسمح الشريعة في مثل هذا القول نعم صاحب الحال محمول لا حامل فاذا رجع الى صحوه قال انت اذلو قال انا هو مع الصحو لكفر باجماع لان الله تبارك وتعالى قسم اهل الحق قسمين متلونا ومتمكنا فصاحب التلوين ملكه الحال وهو اول مقامات النبي صلى الله عليه وسلم وبدايته بدليل قوله زملوني زملوني الحديث اذ التكاليف والتصاريف(١) لا يستطيع البشر حملها ولذا طلب المعونة بالتغطية والضم ليتيسر حمل اعبائها فلما تمكن ياتيه الملك ولا يتغير ودليل التلوين قوله تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية واما التمكين(٢) فقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب ولقوله ايضا الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر الاية فلما تحقق بعض الفقراء من زماننا بهذا وظهرت عليه آثار الغيب والمحو لما صاحبهم من الشهود بملاحظة المعبود تحركت همتهم بالشطحات السالقة من انواع الواردات المختلفة فمن رزق الانابة سلم لهم احوالهم * ووكل امرهم الى مولاهم * ومن حرم والعياذ بالله كفاه الحرمان وهو اصل كل شقاوة نازعهم في تواجدهم واحوالهم وصار يبطلها بادلة وهمية * وتخيلات واهية * ونزغات(٣) شيطانية * علم ان يسقطهم في عين الخلق ومن كان في عين الحق لا يسقطه عن الخلق والله يقول ان تنصروا

---

(١) في نسخة التعاريف — (٢) في نسختين المتمكن — (٣) في نسخة ترّهات

الله ينصركم ويثبت افدامكم والذين كفروا بمشاهدة الحق وتحلية القلوب بالحق فتعسا لهم لما تحملوه من الحجاب العظيم غير ان هذا لا يكون الا من الفقيه الفجّ الذي سولت له نفسه الحمقاء ان يقول ما يوجب الرجوع عن باب الله تعالى اذ تبت(١) يده ان تصل الى هذه الانوار * وانكشفت شمسه عن هذه الاسرار * فحرم الوصول الى هذه الدار * فخاب سعيه * وطاش عقله * فضل واضل ان الله تولاهم * ولم يتركهم لسواهم *(انعطاف)* الى ما كنا بصدده وهو ان بعض المنتسبين والفقراء المتجردين قد برز في صورة ما ذكر من الاحوال والواردات والمواجد فقام بعض الفقهاء ينزح البحر بلسانه هيهات ان يصل الى بعض معانيه وقد قال ابو يزيد البسطامي اعلى الولاية التصديق باحوال اهل الله وادناها التسليم لهم ولذلك نبهنا على امر هؤلاء فان فيهم من فتح له في باب [المعرفة اشراب على الخط السابق](٢) من ورود الشهود على قلوبهم فاوردوها ورود الاتحاد لغيبتهم عن الاكوان بمشاهدة المكون فنطق الكل بحسب شهوده * وتحرك على قدر وجده وصعوده * فلما حلاهم الله في بواطنهم بتلك الحقائق * وعظم امرهم بتلك الدقائق * و زين ظواهرهم بالاشراق فسقاهم من كاس حبه * وكساهم بحلة قبوله * فكانت تنادي بلسان حالها ان هذا مقبول عندنا * ومفتاح لدينا * فمن احسن اليه احسن الينا * ومن اساء عليه فقد اساء علينا * ومن اخذ بيده قبلناه * ومن تشفع به شفعناه * ومن احبه اسعدناه * ومن اعترض عليه رددناه * فصار خليفة في أرضه * ونائبا عن احكامه وابرامه * فمن تعلق به دخل * ومن قصده بلغ الامل * وبالجملة فاسواق الحق عامرة * واهلها مشهورة * فاهل وروده مذكورة * فان سعيت اليهم بحسن اعتقاد قضيت مآربك منهم * لان الله يستحيي ان يردهم * وكذا يقصم بالهلاك من يبغضهم * لقوله صلى الله عليه وسلم من عادى لي وليا فقد آذنته بالمحاربة ومن حارب الله ورسوله هلك وانما ذكرت هذا لعلمي بهؤلاء في هذه المدينة غير ان بعضهم يدعي ما لم يصل اليه وبعضهم يعترف بافل مما لنفسه وبعضهم

(١) في نسخة شلت — (٢) ما بين القوسين ساقط في نسخة وفي أخرى اسرأب فليحرر

ينكر مما لله عليه خوفا من طغيان النفس الامارة بالسوء حتى يتعجب فيسقط من عين الله وان جحد فحلية الله اظهرته * وكرامة الله شهرته * ولو اغلق الباب عليه لكسروه * وكذا لو اختفى في جحر ضب لاظهروه .

وقال الشيخ زروق ما خامر القلوب فعلى الوجه يلوح وآثار الاسرة تدل على السريرة وقال ذلك الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم لما رأيته عرفته انه ليس بوجه كذاب وقال تعالى في حق الصديقين تعرفهم بسيماهم وفي حق المنافقين ولتعرفنهم في لحن القول * الناس حوانيت مغلقة فاذا تكلم الرجلان تبين العطار من البيطار لان الكلام صفة المتكلم * ما كان فيك ظهر علي فيك * ويعرف صدق المرء بثلاث عند مغاضبته ان لزم الحق وانصف بالصدق وسامح الخلق فهو ذاك والا فليس هناك .

فاذا تمهد هذا فاعلم ان مدينة طرابلس خصها الله بالصالحين ومحبة اهل الخير حتى انهم لا يصبرون عليهم فاذا شموا رائحة المعرفة في احد سعوا اليه بالاحسان جزاهم الله احسن الجزاء وذلك عام في عمالة طرابلس لاسيما الزاوية الغربية فان فيها من الصالحين الموتى ما لا يستطيع احد ان يعدهم واما الاحياء فبحسب زماننا هم اكثر من غيرهم وقد قيل انها تنبت الصالحين كما تنبت الارض العشب هذا وان اولاد (١) قد بالغوا في حبنا وصفوا في مودتنا حتى انهم تمنوا ان يكون ما عندهم قد بذلوه لنا وجعلوه قرى لاصحابنا خصوصا سيدي محمد وسيدي بوبكر وسيدي علي حاصله تعلقوا بنا صغيرا وكبيرا ظنا ان لنا فيضة ان فاضت عمهم وابلها نعم من لم يصبه من المحسنين وابل منا فطل بجاهه صلى الله عليه وسلم الذي تعلقنا به وذهبنا وتعبنا من اجله والا فوالله علمنا انفسنا وايقنا انها مفلسة قال بعض العارفين ويل لمن ترك يقين نفسه لظن غيره والويل واد في جهنم تستعيذ منه جهنم في كل يوم سبعين مرة وبالجملة ففيها افاضل لاسيما سيدي ناصر الذي اعتزل باهله وسكن

(١) بياض في جميع النسخ

بيت اخصاص اذ هو و زوجه عجوزة خفيف الحال اي لا مال له ولا اهل وقد تجرد للعبادة واطعم لنا بسيسة من كديده رضي الله عنه وارضاه بمنه وكرمه واما سيدي محمد [فانه] اتى الينا بحمل جمل شعيرا وضيافة من لحم وغيره نعم اولاد البشت واولاد القمود كلهم في الزاوية الغربية على خير .

فاذا تمهد هذا فاعلم ان في الزاوية الغربية الصالحين واهل الخير لا نظير لهم فيما علمت غير ان اهل الجزائر يعني من سكن المدينة وكذا اهل وطننا فانهم اعظم منهم لاسيما جبال زواوة فانهم اكرم شيء في الوجود اذ ياكلون الردي ويطعمون الضيف الطيب ووطنهم في غاية الضيق من المعيشة اذ هم خلق كثير فلم يكن وطن اكثر منه وقد سمعت ممن يوثق به ممن علم ارض مصر وجبال زواوة فقال هم اكثر من مصر باضعاف وقد استنشقت بعض الادلة على وجود الطائفة التي على الحق ولا يضرهم من خالفهم الى قيام الساعة ان الكثير منها في عمالة طرابلس وعمالة زواوة من عمالة الجزائر فلا يشك من خالطهم وثافنهم(١) افاض الله علينا من بركاتهم وجعلنا في زمرتهم .

﴿ تنبيه ﴾ مخالطة المتمكن في طريق من طرق الحق تفيد صاحبها ذلك اذ من تحقق بحالة لا يخلو الحاضرون منها لان المرء على دين خليله وكل خير وكل شر في الخلطة واللقمة وكل ما شئت فمثله تفعل وصاحب من شئت فانت على دينه انظر قواعد الشيخ زروق وقد منحت بعض الفتح منهم ومن غيرهم من الذين رايناهم في مكة والمدينة ومصر وغيرها نعم من اعتقد فيهم واحسن اليهم وسلم لهم وصدقهم رزق عطفهم فلم يبق الا التعلق بهم فلا يقال قد انعدم هؤلاء الان او قل وجودهم او على تقدير وجودهم قد ستروا بظلمة الزور والبهتان ودعاوي الزنادقة او انهم في الفلوات من الارض او ظهر بعضهم فقد منع الناس منهم الطعن فيهم لاسيما الفقهاء فانهم قد طبعوا على القدح في جانبهم والخدش فيهم نعم لا

(١) كذا في نسختين وفي واحدة من خالطهم وثافنهم وفي اخرى من خالطهم في ذلك

تجد فيهم منورا من اجل ذلك اذ الفقهاء ان احبوك مدحوك بما ليس فيك وان بغضوك ذموك بما لم تتصف به وقبله العامة منهم وبالجملة فان وجدت من فيه رائحة الذوق وظهرت علامة المعرفة فشد يدك عليه ولا تصبك غفلة وتفريط حتى تندم عليه لانه اكسير زمانك فلا تهمل امرك من هذا والق السمع لما نبهناك عليه اذ هم الكعبة للزوار ولا تغمضهم(١) بعين الازدراء وسوء الاعتقاد فتصير محروما مخذولا ممنوعا خصوصا ان اصابتك الوافعة(٢) فيهم فيخاف عليك سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى هذا وان من احسن ظنه فيهم وجد في طلبهم مع الصدق وجدهم اقرب اليه من ريقه لفيه في محل لا يظنهم فيه فيحصل له سلم يرقى به الى حضرة الله تعالى يعلم ذلك باليقين وانما يجدهم مستورين بالقدح والخدش من هو مثل من يتعاطى الفقه والتطلب اذ خبزه خالٍ عن الخميرة فهم الاسد * في اجام الحسد * وغيضة الاعتراض * وغابة الانتقاض * وقد علمت ما قالوا في الزباد من كونه نجسا لقربه من محل النجاسة ومعلوم كما سبق انه يحصل من غيره بمعاينة صدوره من قطعة من المبززين في العدالة اذ عاينوه كذلك فهؤلاء اعظم منه نفعنا الله بهم .

﴿ تتمة ﴾ فقد لقي شيخ شيوخنا سيدي احمد بن ناصر من فضلاء طرابلس سيدي احمد بن عبد الواحد بن يوسف الزنزوري ثم القزاني وهو ساكن بزاوية زنزور وانشد له لنفسه حين ودع الشيخ

ايا سيدي حقق بانى عبيدكم * ذليل حقير بين قوم اراذل
ونفس له شيطانة قد بُلِي بها * هواه وابليس ودنيا العلائل
افيضوا عليه سيدي من نوالكم * عسى وعسى يعلو على كل كاهل
ويفهم مولاي علوما دقيقة * ويمشي خلي القلب من كل شاغل

ومن جملة اهل وده هناك من الائمة الاعلام ابو عبد الله سيدي محمد بن مقيل وصهر

---

(١) في نسخة لا تنظرهم — (٢) كذا في جميع النسخ ولعل الوافعة بدل الوقيعة

الاجل سيدي احمد بن محمد المكنى تقبل الله عملهم واصلح فعلهم اذ احسنا الينا غاية الاحسان وفي تلك السنة كفه الشيخ احمد بن محمد الهشتوكي اخ له في الله وفي تلك الايام قرا هو واصحابه على شيخه ابي العباس سيدي احمد القصري تآليف على الربع المجيب نفعنا الله بهم .

﴿ نكتة ﴾ تقدم لنا ان ترجمة لفظة طرابلس ثلاث مدن والاشهر في ضبطها فتح الطاء وضم الباء واللام وبعضهم يزيد الفا ويسكن الطاء وقال التجاني في رحلته وكذلك رايت الاحدابي يكتبها حيثما وقعت في خطه وعلى ذلك قول احمد بن يحيى من قديم شعرائها في قصيدة له وهي

لقد طال شوقي الى فتية * حسان الوجوه باطرابلس
وقد عيل صبري فما مسعدي(١) * على الشوق الا دموعي الحبس

قال بعضهم المختار ان تكتب بزيادة الالف فرقا بينها وبين طرابلس الشام فانها بغير الف وبخارج البلد محارس قديمة ومساجد كثيرة مشهورة الفضل والبركة واثنى البكري على المسجد المعروف منها بمسجد الشعاب اذ قال انه اعمرها واشهرها في ذلك الزمان واما الان فهو خال لا عمارة به واما الان قال اما زماننا هذا فلم اسمع له ذكرا وفيه فيما مضى جملة وافرة من اكابر الصالحين والعلماء العاملين ومزارات مشهورة من جملتهم ابو محمد عبد الله الشعاب [احد الصلحاء والفضلاء من اهل طرابلس وكان نجارا فحضرت له نية في اتمام هذا المسجد الذي نسب اليه وكان بعض الناس قبله ابتدأ بناءه ثم عجز عنه فرمى الشعاب الالة من يده](٢) وتوجه لا تمامه فاتمه وسكن به ويذكر ان الخضر كان يزوره ويحادثه وانهما ريئا مجتمعين في المسجد المذكور وسمع يوما بكاء امراة عند باب المسجد فسالها ما السبب

---

(١) في نسخة وما نالني..... الا دموع الحبس وفي اخرى الا ادمعي البجس — (٢) ما بين القوسين ساقط في اربع نسخ

فاخبرت ان لها ولدا اسره العدو وسالته الدعاء فدعا لها وامنت على دعائه ثم انصرفت لبيتها فاصبح ولدها في السكك يسأل عن دار امه فسئل فاخبر بفراره في البحر وسلامته ووصوله عن عهد قريب فتوجهت امه الى الشيخ تشكره وتعرفه بوصول ولدها وان ذلك انما كان بدعائه فهناها بسلامته وقال لها انما نجاه الله بدعائك لما علم اضطرارك وكانت وفاته رحمه الله تعالى سنة ثلاث واربعين ومائتين ومنهم الشيخ حطاب البرقي الرجل الصالح يكنى ابا نزار وكان ذا كرامات وخصوصا في باب المرائي ظهرت له في ذلك عجائب وكان يخاطب في النوم بجميع ما يكون في اليقظة قبل وجوده والتقى بالخضر عليه السلام وذكر انه عارضه سبع فقال له ابا الحارث ان كنت قد امرت فينا بشيء فدونك والا فالطريق قال فقرب مني ووقف هنيئة ثم انصرف وحكي انه قال بينما انا في البرية اذ رأيت شخصا فاستغربت وجوده هنالك وقصدته فوجدته مفرج بن برياضة فقلت له ابا عبد السلام هاهنا فقال نعم يا ابانزار فاستغربت معرفته بي مع انه مكفوف البصر وكان مفرج هذا رجلا صالحا من اهل جزيرة تونس المعروفة بجزيرة باش وكان يخرج وحده من بلده الى مكة فيحج ثم يعود قال فبتنا جميعا وتانست به وسالته كيف يتهيا له الحج مفردا فقال يا ابا نزار اني اذا خرجت من موضعي اسمع قائلا يقول لي يمينك شمالك امامك خلفك حتى اصل الى مكة او كما قال ومنهم ابوعثمان سعيد بن خلفون الكساني المعروف بالمستجاب واصله من قرية حسان من قرى طرابلس كان زاهدا فاضلا منقطعا الى الله سبحانه وظهرت بركته غاية فعرف بالمستجاب وقد قال الشيخ ابو عبد الله الخشاب القاضي رحمه الله خرجت مع ابي الحسن ابن النمر من طرابلس لزيارة الفقيه ابن ابي زيد رحمه الله تعالى وسماع العلم عليه فبينما نحن عنده يوما اذ تحدث ابو الحسن فقال اراد الشيخ ابوعثمان الكساني الحج مرة فاتفق مع جماعة من اخوانه اهل الدين والفضل وكنت معهم فخرجنا على الوحدة فقطعنا صدرا من الطريق واقمنا ثلاثا لم نطعم فاتى الشيخ ابو عثمان الى ربوة فمسح وجهها بيده وجعل ياخذ من ترابها ويجعل في اناء كان معه ثم ثراه بشيء من ماء فقرا عليه او سمى وقال لنا سموا وكلوا

قال فجعلنا ناكل ونتطعم منه طعم السويق قال فطرق الشيخ ابو محمد بن ابى زيد ساعة ثم رفع رأسه وقال هذا داخل في الامكان لا سيما وقد ذكرتم انكم افتتم ثلاثا لم تطعموا وقرأ قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه .

ولما رجع المؤدب محرز بن خلف من الحج قيل له من رأيت في طريقك من الصالحين قال رأيت بطرابلس رجلا وامرأة فاما الرجل فابو عثمان الحساني واما المرأة فسمدونة وكانت عجوزا صالحة تسكن مسجد الشعاب المذكور وكان ابو نزار حطاب الرجل الصالح المذكور يزورها ويعتقد بركتها وهذا كما يحكى ان سحنون بن سعيد لما رجع من الحج قيل له من رأيت من الصالحين فقال لقد رأيت بطرابلس رجالا ما الفضيل بن عياض بافضل منهم .

ومنهم ابو الحسن علي بن احمد الخطيب الطرابلسي اقام ساكنا بمسجد المجاز بها فيما يقال اربعين سنة وكان فقيها صالحا عالما زاهدا وله في الفقه والفرائض والشروط تآليف مفيدة واقام اربعين سنة لم يضحك ونحو خمسين سنة لم يحلف بالله يمينا وقال له ابن اخيه عند ما املى وصيته انسيت الكفارة فقال لولا اني في الموت ما اخبرتك ما حلفت بالله منذ كذا وكذا محقا ولا مبطلا وما علمت ان علي يمينا اكفرها .

ومنهم الشيخ الصالح ابو محمد عبد الوهاب القيسي رحمه الله وقبره خارج المدينة بين شرق وشمال يزار واهل البلد يعظمونه كثيرا وحكى لي جماعة منهم انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام نحوا من اربعمائة مرة وانه كان يشاور النبي صلى الله عليه وسلم في اكثر اموره فلا يفعل ما يفعل الا باشارته قالوا ولم يسمع منه هذا في حياته ولكنه وجد بعد موته مكتوبا عنده بتواريخه يذكر كل ليلة وما رأى فيها ثم اوقفني بعد ذلك بعض اهل البلد على جزء فيه هذه المرائي وذكر انه نقلها من خطه فرأيت فيها غرائب من سؤاله النبي صلى الله عليه وسلم عما يفعله في جميع ما يعرض له من اموره واشارة النبي صلى الله عليه وسلم بذلك بما يراه ودوام ذلك واستمراره في كل جزئية من جزئياته .

ومنهم الفقيه الامام ابو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل بن احمد بن عبد الله الاجذابي اللواتي الطرابلسي وقبره معظم يكثر الناس من زيارته والدعاء عنده وكان من اعلم زمانه بجميع العلوم كلاما وفقها ونحوا ولغة وعروضا ونظما ونثرا وله تآليف جليلة واسئلة مفيدة في الفقه وغيره ومن جملة تآليفه كتابه المتداول المسمى بكفاية المتحفظ وكتابه في العروض وناهيك به حسنا وتهذيبا وهو نسختان كبرى وصغرى وكتابه في الرد على ابي حفص ابن مكي في تثقيف اللسان وكتابه في شرح ما آخره ياء مشددة من الاسماء وبيان اعتلال هذه الياء استوفى فيه جميع احكام هذه الياء على اختلاف احوالها من تصغير وتكسير وغير ذلك ولما استوفى فيه ذلك استيفاء جمليا تعرض لشرح مقاطع الاي الواقعة في سورة مريم لاشتمالها على كثير من تلك الاحكام فجاء هذا التأليف في غاية الافادة والتحقيق وكتابه المختصر في علم الانساب وله تأليف مختصر في الانواء على مذهب العرب و رسالته المعروفة برسالة الحول تعرب عن ادب كثير وحفظ غزير وكان الفقيه ابو اسحاق هذا احول وسبب تأليفه لها انه حضر يوما بطرابلس عند القاضي بها ابي عبد الله محمد بن محمد بن ابراهيم بن هانش(١) الطرابلسي فحكم ابو محمد بحكم اخطأ فيه فرد عليه ابو اسحاق فقال له اسكت يا احول فما استدعيت ولا استفتيت فألف تلك الرسالة واكثر هذه التآليف ملكتها بخطه وكان رحمه الله من احسن الناس خطا واخبرت ان الامير ابا زكرياء رحمه الله كان شديد البحث على خطه وسمع ان كتاب الفصيح بيع بخطه بطرابلس [فأبرد بريدا اليه في البحث عليه ووجه به اليه](٢) وانه سمع ان بها من كتاب امثلة الغريب(٣) لابي الحسن علي بن الحسين الهنائي المعروف بالكراع بخط الفقيه ابي اسحاق في ملك بعض بني النفاد من اعيان طرابلس فوجه اليه فيها فوجه النفادي بها اليه وملكت بخطه

---

(١) هكذا في جميع النسخ وفي الرحلة الناصرية ابي محمد عبد الله بن محمد الخ —
(٢) ما بين القوسين ساقط في جميع النسخ — (٣) في جميع النسخ العرب وفي الرحلة الناصرية الغريب كما في كشف الظنون

ايضا تاليفه الذي اختصر فيه كتاب انساب قريش تأليف ابي عبد الله الزبير بن ابي بكر ابن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام رحمه الله تعالى وحسبك بهذا التأليف الجليل علما وفائدة وهو كما كان الشيخ ابو الحسن بن مغيث رحمه الله يقول هذا كتاب العجب لا كتاب النسب ورايت الفقيه ابا الحسن(١) قد ادخل من حفظه في نفس هذا المختصر زوائد تشتمل على فوائد نبّه عليها وكفى بهذا الرجل المعظم القدر لهذا القطر ولم تكن له رحلة عن بلد طرابلس الى غيرها وقد سئل أنّى لك هذا العلم ولم ترتحل فقال اكتسبته من بابي هوارة وزناتة وهما بابان من ابواب البلد نسبا الى من نزل بهما اول الزمان يشير الى انه انما استفاد ما استفاد من العلم بلقاء من يرد على طرابلس ويدخل(٢) من هذين البابين من المشرقيين والمغربيين(٣) وكان له اعتناء بلقاء الوفود وقيام بضيافتهم(٤) واخبرني بعض الطلبة ان خط ابي اسحاق باق الى الآن في بعض جدر داره من طرابلس وهي في وسط البلد بمقربة من الجامع الاعظم وعلى مسافة يسيرة منها من جهة غربيها دار الفقيه ابي الحسن علي ابن محمد بن النمر(٥) الطرابلسي [الفرضي المشهور فضله وعلمه ورئاسته وهي مواجهة لمسجد يعرف بمسجد ابن فرج اضيف الى الفقيه ابي مسلم موسى بن فرج الهواري الطرابلسي لا قرائه به وتوفي ابو مسلم هذا سنة اثنتين واربعين واربعمائة](٦) وكان مولد ابي الحسن بطرابلس قديما سنة ثمان واربعين وثلاثمائة وله تآليف في الحساب والازمنة وغير ذلك سوى كتابه المشهور المسمى بالكافي في الفرائض وقد لقي الشيخ ابا محمد بن ابي زيد وقرأ عليه وارتحل الى مكة سنة تسع وثمانين فلقي بها احمد بن زريق(٧) البغدادي وروى عن ابي القاسم عبد الرحمن(٨) بن عبد الله الجوهري ثم عاد لطرابلس

---

(١) هكذا في الرحلة الناصرية وفي جميع النسخ اسحاق — (٢) كذا في جميع النسخ وفي الرحلة الناصرية يرحل — (٣) كذا في الرحلة الناصرية وفي جميع النسخ المشرق والمغرب — (٤) كذا في جميع النسخ وفي الرحلة الناصرية اضافتهم — (٥) في كتاب المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب لاحمد بك الانصاري الطرابلسي المطبوع بدار الخلافة سنة ١٣١٧ المنمر — (٦) ما بين القوسين ساقط في ثلاث نسخ — (٧) في الرحلة الناصرية رزين — (٨) في الرحلة الناصرية القاسم بن عبد الرحمن

فلم يزل بها الى سنة ثلاثين واربعمائة فخرج منها لمحنة جرت عليه فتوجه الى موضع يعرف بغنيمة(١) بالغين المعجمة والنون قرية من قرى مسلاتة فسكن بها الى ان توفي هنا لك سنة اثنتين وثلاثين وقبره الان على الطريق بها والناس الى الان يزورون قبره ويتوسلون الى الله عنده ويذكر اهل تلك الجهة ان كل رفقة استصحبت شيئا من تراب ذلك القبر فانها لا يتعدى عليها احد فهم لا يزالون ينقلون ترابه فيجدده من يقصد الاجر من اهل تلك الجهة او من المجتازين عليه وهو اول من اظهر السنة بطرابلس لما كانت في افريقية الوقعة المعروفة بوقعة الشارقة سنة سبع واربعمائة قتل فيها الشيعة واتباعهم وعلى يد الفقيه ابي الحسن قتل بطرابلس من قتل منهم واول من قطع من الاذان حي على خير العمل واذن في ذلك اليوم اذان اهل السنة بنفسه وقد قتل بنو عبيد بشرا كثيرا اسقطوا هذه اللفظة من اذانهم تعمدا او نسيانا واول من اقام للناس بطرابلس صلاة القيام وقد كان رسم هذه الصلاة انمحى من افريقية قال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله تعالى لما دخل بنو عبيد القيروان ارادوا ان يمنعوا الناس من هذه الصلاة قال وليس شيء اشد على بني عبيد من هذه الصلاة فقيل لهم انكم توغرون بهذا الفعل قلوب العامة فانهم يقولون منعونا من الصلاة فامروا الائمة ان يختموا كل ليلة ختمة كاملة وان لا ينقصون شيئا منها فصلى الناس من اول ليلة بوفرهم فلما كانت الليلة الثانية نقصوا ولم يزالوا ينقصون لثقل ما كلفوا به حتى خلت المساجد منهم كما ارادوا واسقط الناس القيام بهذه الصلاة فكان الشيخ ابو الحسن ابن النمر اول من احيى رسمها بطرابلس وقدم ابا مسلم موسى بن فرج فصلاها بالجامع الاعظم ولم تكن قبل ذلك صليت به لانه من بناء بني عبيد واول من اطلق للناس صلاة الضحى جهارا ولم يكن احد في مدة بني عبيد يصليها الا مستخفيا بها فان ظهروا عليه قتلوه ومر بعض عمالهم برجل على شاطئ البحر يصلي وقت الضحى

---

(١) في جميع النسخ بغانيمة وفي الرحلة الناصرية بغانينة

فسأله عن صلاته فذكر انه كان جنبا فلما مر بالبحر نزل واغتسل وقضى صلاة الصبح فلم يقبل ذلك منه وامر به فالقي في البحر الى ان مات انتهى كلامه (١) .

﴿ نكتة ﴾ وهذه المزارات كلها خفية مندرسة غير جلية وكذلك غيرها مع ما احتوت عليه المدينة من المزارات الكثيرة وذوي المكانة المشهورة تاوي اليه الجهابذة من الزهاد [والائمة الافراد](٢) لقصد الرباط وحراسة الاسلام لكونها ثغرا من الثغور العظام ولما تداولتها ايدي الكفرة خفيت مراسمها واندثرت معالمها وذكروا ان الاستيلاء الاخير [الذي استولى الكفرة دمرهم الله](٣) عليها كان سنة ست عشرة وتسعمائة يوم ستة عشر من المحرم وافتكت منهم عام ثمانية وخمسين وتسعمائة (٩٥٨) قال ابو سالم العياشي في رحلته وتاريخه نفط فولك جاء الترك بسن(٤) وافتكها منهم درغوت باشا وكان بجربة ومراد باشا في مسلاتة وبقي بها درغوت الى ان توفي بها وقبره الان بها يزار وعليه بناء عظيم وسبب اخذها من العدو ان مراكب المسلمين جاءت من اصطنبول مددا للعمارة المحاصرة لحلق الوادي بتونس فمرت بساحل طرابلس فكلمهم اهل السواحل في اعانتهم على النصارى فقالوا انا لم نؤمر بذلك من السلطان فقال لهم الباشا مراد اعينوني في هذا الامر فان كانت عقوبة من السلطان فانا المؤاخذ بها دونكم فحاصروها برا وبحرا الى ان اخذوها فذهب معهم مراد باشا الى السلطان فقال له ان كانت عقوبة فانا المؤاخذ بها دون هؤلاء الامراء فرضي عنه وعنهم واكرمهم .

واما اخذ النصارى لها فذكروا لذلك قضية غريبة وهي ان اهل هذه المدينة فيما مضى كانوا اهل دنيا عريضة فيما يقال وليس فيهم غناء ولا لهم بالحرب خبرة فبينما هم كذلك اذ قدمت

---

(١) من السطر التاسع من الصحيفة ١٦٦ الى هنا بياض كثير في نسختين وقد اعتمدنا هنا على الرحلة الناصرية وعلى نسخة واحدة — (٢) لا يوجد ما بين القوسين الا في الرحلة الناصرية — (٣) لا يوجد ما بين القوسين الا في الرحلة الناصرية — (٤) هكذا في رحلة العياشي وفي الرحلة الناصرية جاء الترك بلس وفي نسخة نفطة بحسب الجمل وفي غيرها بياض

عليهم سفن النصارى تجارا بسلع كثيرة فنزلت بالمرسى فخرج اليهم رجل من التجار فاشترى منهم جميع ما بايديهم من السلع ونقد لهم ثمنها ثم استضافهم رجل آخر فصنع لهم طعاما فاخرا فلما اخرج لهم الطعام اخذ يافوتة ثمينة فدقها دقا ناعما وذرها على طعامهم فبهتوا من ذلك فلما فرغوا قدم لهم دلاعا فطلبوا سكينا لقطعها فلم توجد في داره سكين ولا عند جاره الى ان خرجوا الى السوق فاتوا بسكين فلما رجعوا الى بلدهم سألهم ملكهم عن حال البلد الذي قدموا منه فقالوا ما راينا بلادا اكثر منها مالا واقل سلاحا واعجز اهلا عن مدافعة عدو فحكوا له الحكايتين فتأهب ملكهم لدخولها في مراكب في البحر فدخلها في ليلة واحدة بلا كثير مشقة واستولى عليها ولم ينج من اهلها الا من تسور ليلا وانحاز المسلمون الى تاجوراء وجبال غريان ومسلاتة فصارت المدينة للنصارى الى ان كان من امرها ما كان في التاريخ المذكور انتهى ادامها الله للاسلام وحاطها بالنبي عليه السلام .

ومن جملة اصحاب سيدي احمد بن ناصر سيدي محمد المكني كان من اعلم اهل هذا الساحل فقيها لوذعيا خير خلف عن خير سلف تولى الفتوى ببلده مرارا واشتغل بالتدريس وله مشاركة حسنة في فنون العلم مات قريبا من عام ستة وخمسين والف وله ولد اسمه محمد(١) اشتغل بالقراءة على سيدي محمد بن مساهل وعلى غيره وكان له ذكاء عقل و زيادة نبل فتمهر في كل فن وتولى القضاء(٢) بعد عزل شيخه فحمدت سيرته وظهرت نجابته وسدده في فتـــواه .

ومن احبابه ايضا سيدي محمد بن مقيل جد اخينا في الله واصدق الاخلاء سيدي محمد المفتي الان والسيد عبد السلام بن عثمان وممن اكرمه في رحلته هذه سيدي محمد المكني وسيدي محمد بن مقيل واولاد ابن غلبون واهل سيدي علي النجار وسيدي احمد بن جابر وصهره سيدي عبد الظاهر وسيدي محمد بن عبد الله بن فرج الله وغيرهم وسيدي عبد الله بن

---

(١) في الرحلة الناصرية احمد — (٢) في الرحلة الناصرية الفتوى

يحيى وسيدي حامد بن محمد التواتي وابن عمه سيدي عبد اللطيف بن عبد القادر وكثير من الفضلاء ممن لقيه فالله ينظمنا واياهم جميعا في سلك اهل ولايته المحفوفين بعنايته المحفوظين منه برعايته آمين انتهى كلامه باختصار بعضه باللفظ و بعضه بالمعنى .

﴿ انعطاف ﴾ الى ما نحن بصدده فانا اقمنا بها ثمانية ايام اولها يوم جمعة وآخرها مثله غير ان بعض الركب خرج يوم الخميس الى تاجوراء ونحن قد تخلفنا مع بعض افاضل اصحابنا الى صبيحة يوم السبت مشتغلين بامر الزاد المبعوث في السفينة ومن يركب فيها من اصحابنا فلم ننفصل عنهم حتى خفف الركب اثقالهم بوضعه في السفينة معتمدين علينا اذ عادة السفن في تلك المدينة تتاخر الى آخر رمضان فربما فاتهم ذلك عن الحج فلما علمنا ذلك حضضنا الامر من صاحب الولاية محبنا في الله ومعتقدنا الاجل محب الصالحين سيدي علي باشا [بانفصالها](١) من غير تراخ بعد ذهابنا واخذنا العهد منه على ذلك وقد احسن الينا هو واصحابه بان ركبوا فيها الفقراء والصعاليك بغير عوض وانما ذلك لوجه الله ثم لوجهنا نحو الخمسين رجلا او ما يقرب منها وقد ركب فيها من اخواننا الفضلاء ولد الاخ سيدي احمد الطيب سيدي محمد(٢) والفقيه الفاضل سيدي احمد بن ابي القاسم ومثله في الفضل سيدي عبد الكريم ونظير الجميع سيدي محمد اليعلاوي والشريف الفاضل الاجل محب الخير واهله امير زواوة سيدي محمد بن بوختنوش(٣) رحمه الله اذ مات بعد رجوعنا من المدينة وسيدي محمد المحفوظ وغيرهم واما العامة فنحو الثلاثمائة والحمد لله لم يمكثوا في البحر الا اثني عشر يوما ونزلوا الاسكندرية عند الحاج ابي القاسم القراوي صاحب ولاية طرابلس اذ زبر له الامير كتابا على ذلك فاكرمهم واحسن اليهم جازاه الله احسن الجزاء آمين و بالجملة فكان الاحسان من الامير وعماله لنا ولاخواننا في الركب وللفقراء فكل ما سألناه وطلبناه لهم منهم الا وجد بحب وكرامة رغبة في صالح الدعاء له ولذريته حتى انفصلنا

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٢) كذا في جميع النسخ — (٣) في نسخة اخشوش و في اخرى بختوش وبخشوش

عنها على احسن حال واكثر فرحي بهذا الامير لما قام بحق الفقراء نعم اقام جماعة من بلد المنشية مع عامله القائد يحرسون الركب ليلا من السراق الى ان ظعنا من عندهم وما فعله قط بركب من الاركاب الا لنا حبا فينا ورغبة فيما لدينا شكر الله سعيه ولاخيب قصده وادام الستر عليه وعلى اولاده الى قيام الساعة مع عدم الضد ووجود الهداية والشفقة والعدل والرحمة لانفسهم وللمومنين كان الله لنا ولهم وليا ونصيرا وقد احسن الينا جميع المحبين كل الاحسان بحيث ان من لم يصدر منه ضيافة تمنى ان يضيفنا احسن الله اليهم لاسيما سيدي محمد بن عقيل واصحابه واما العارف بالله الذي علمه الله العلم اللدني فانه يفهم الدقائق من الحقائق والمعاريف(١) اذ الهم لطب كل داء في الدين فلا يغفل طرفة عين عما يصلح به وباحبائه حتى يكونوا على المحجة البيضاء يعلم ذلك من ثاقفه وخالطه واني صاحبت كثيرا من الناس غربا وشرقا وجوفا وقبلة ما رأيت من يفهم عن الله مثله فانه له ملكة عظيمة يفهم بها المعاريف(١) الالهية حاصله قد فتح الله له في التعرف ما لم يكن لغيره ومع ذلك ليس قاصرا في العلم الظاهر فترى معاملته ومخالطته ليس الا على الشريعة المحمدية ومع هذا لا يغفل عن المواساة لمن يعرفه ومن لا يعرفه خصوصا المحتاج فانه ازيد رحمة واقوى شفقة واحسن رفقة وما اشده صبرا وتحملا لاذاية الاخوان والاحباب خصوصا في السفر وهو الذي يؤدي حقوق الاخوة فيشاطر بالمال غير ما مرة اخوانه اولى من نفسه وهو معي بأزيد من هذا بحيث لا يملك بجانبنا شيئا ومن كان معنا في الرفقة كان في داره ذهابا وايابا وكذا ما معنا من العيال والدواب كل ذلك في عياله واوصافه تقصر العبارة عنها لكن التلويح يغني عن التصريح نعم الكل شمل واحد وامر الجميع متحد ومهما عزمت على شيء ووصلت اليه ذهب من غير موادعة ولا كلام منه الي ولا مني اليه في جميع ما حتجت اليه فحزمت وجزمت وجزم ان قرابتي قرابته وقرابته قرابتي ايد الله الجميع بالتمكين وحلى جميعنا بحلية

(١) كذا في جميع النسخ

المتفنين وودعنا من في المدينة من العلماء والصلحاء لا احصيهم عددا اذ كثير من يحبنا لا اعرف اسماءهم واما في المنشية فاكثر من ان يحصى هذا وان اهل الصلاح بالمنشية والساحل والهنشير وافرون بحيث من فيه قوة الشم يعلمهم بنفس رؤيتهم الا من اصابه زكام المعاصي وتراكمت عليه الحجب فلا يظهر له احد وقد قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه المرء مخبوء تحت لسانه ان تكلم فمن حينه وان سكت فمن يومه اه اي اذا تكلم عرف حاله من كلامه اذ ما كان فيك ظهر على فيك كل اناء بما فيه يرشح ان عسلا فعسل وان خمرا فخمر وان سكت فمن يومه اعرفه من افعاله كحركاته وسكناته اذ كل ذلك لابد وان يكون موافقا للسنة المحمدية اذ لا يجوز للانسان ان يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه ولا شك ان كل حركة وسكون يصدر منك الا وانت مسئول عنه لم تحركت ولم سكنت وبالجملة فاهل هذا الوطن خيرهم ظاهر وحالهم بيّن وحبهم لاهل الله قوي .

ولما خرجنا من دار اخينا في الله والود من اجله سيدي محمد الشريف اجتمعت الشرفاء صغيرا وكبيرا وكذا جيرانهم وغيرهم من اهل الخير كالسوق واعظم محبة في الله ورغبة فيما عنده [فكنا في التوديع من صبيحة ذلك اليوم حتى ارتفعت الشمس ارتفاعا ظاهرا جليا ثم كذلك](١) في التوديع الى ان وصلنا الى قرب الهنشير خرج لتوديعنا اولاد الشيخ سيدي الصيد كاولاد سيدي ابي بكر نجل الشيخ سيدي عبد الحفيظ واولاد سيدي عبد اللطيف فودعونا ايضا مع اصحابهم وهم من المحسنين الينا ثم ذهبنا بعد ذلك مع التوديع الى ان وصلنا اطراف تاجوراء فدخلنا لزيارة الفاضل الكامل الصالح كبير السن عظيم الشان واضح النجاح ظاهر الصلاح سيدي عبد اللطيف انا وجماعة من طرابلس سيدي الشيخ المفتي سيدي محمد بن مقيل وعوض ولدنا سيدي محمد نجل الفاضل العالم محبنا سيدي محمد بن محمد العربي وجماعتهما فدعا لنا بالخير وقد رغب فينا رغبة عظيمة اذ كان محبا لنا

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة وفيها فكلنا في التوديع الى ان وصلنا الخ

فيما مضى ومحسنا الينا غاية الاحسان فقد كان اصدق الناس لدينا غير انه كان قبل ذلك يسمع ويبصر فالان ثقل سمعه وضعف بصره فلابد من مسمع والمسمع له ولد بنته اذ هو الذي يخبره ان هذا فلان وفلان ولما علم بنا شد يدي شدا وثيقا رغبة وحبا وشوقا وعشقا فينا وقد سر بنا سرورا عظيما اظنه والله اعلم انه من قوم لا يشقى بهم جليسهم حقق الله له ذلك بمنه وكرمه آمين فلما خرجنا من عنده لقينا جماعة من فضلا تاجوراء كطلبة الشيخ سيدي محمد بن النعاس وبعض اولاده واولاد اخيه وكذا اهل الفضل من تلك القرية من الفقراء والمرابطين والعلماء والصلحاء ومن فيه نسبة من النسب المعظمة شرعا الا اتى الينا رغبة في الدعاء من جانبنا ونحن كذلك بل اشد رغبة والفقير المضطر الخائف من ذنبه الوجل من عذاب ربه زابر هذا الكتاب فانه متعلق بهم ومريض بحبهم فليس مقصدي ومنيتي الا السكنى في ارضهم لكثرة خصب اهل المحبة بحيث لا يصيبك ضيق ووحشة فان حي ليلى عندهم عامر بما به القلب مشغوف الا ان الموانع الشرعية منعتني من الاقامة هناك وقد كثر عيالي اعني بناتي واولادي ومحاجري الذين قُدِّمْت عليهم ونُيِّبْت عنهم ولم تكن لي رغبة بعد المجاورة عنده صلى الله عليه وسلم الا في هذا المحل وان كان وطننا كذلك في الحب واهله غير انه كثرت فيه العوائق والعلائق حاصله كلت العبارة عن النزر القليل من اوصافهم الحسنة غير ان ما ذكرناه فيه الكفاية لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد .

[وتاجوراء هذه قرية طيبة فيها اشجار وفيها فاكهة ونخل ورمان نعم](١) رمانها لا نظير له فيما رأيت الا في مواضع قليلة وقد وجد في قرية عندنا تسمى بقرية امالو فان رمانها اولى من هذا واحلى منه وفيها مدرسة كان يقرأ فيها الشيخ النعاس وبعد ذلك قرابته وقد علمت ان محل العلم محل عظيم عند الله يجب علينا تعظيمه شرعا فانهم قوم لا يشقى بهم جليسهم نعم صليت الظهر فيها وذهبنا منها .

---

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة

﴿ تـتـمــة ﴾ اقول قال شيخ شيوخنا سيدي احمد بن ناصر في رحلته ما نصه اقول تاجورة بوزن باكروة قال التجاني وهي قرية عامرة وبها قصر متسع يجتمع على دور كثيرة وفي وسط هذا القصر حصن اقدم منه بناء يقال ان حميد بن جارية(١) ابتناه وشارك فيه في العمل بنفسه ليحض اهل الموضع على اتمامه وهو الذي عمر هذه القرية ونقل اليها اهلها من ارض هنا لك تعرف بارض عبد ربه(٢) وكان ابتداء عمارتها عام خمسين وخمسمائة (٥٥٠) وهم يدعون انهم من العرب وينتسبون الى تميم ويذكرون انهم سكنوا الارض المعروفة بارض عبد ربه من حين الفتح الاسلامي ثم نقلهم منها حميد الى هذه القرية قال وبتاجورة السفرجل الذي لا يوجد في بقاع الارض مثله قال وليس يقرب منه الا السفرجل الموجود في نفزاوة انتهى .

﴿ قلت ﴾ والذي نعرفه في ضبط هذه البلدة تاجوراء كعاشوراء انتهى .

﴿ تـتـمــة ﴾ اننا نزلنا في وادي المسيد(٣) فوق المسجد وهو واد متسع والركب سبقنا ونزل في وادي الرمل وهو واد متسع ماؤه لا ينقطع في جميع الازمنة الاربعة وذلك باواخر شعبان ومعنا جماعة من المحبين ذهبوا معنا لتوديعنا كالود الصدوق الشيخ المفتي سيدي محمد وخواص اصحابه وصاحب معه طعاما ولحما وليما وغير ذلك من انواع الاطعمة ومعنا اصحاب سيدي محمد الشريف سيدي محمد بن عبد الخالق محب الجميع وبعض الاشراف وولد المحب في الله وهو اخ لنا وعوض ولدنا سيدي محمد نجل الشيخ الولي الصالح سيدي محمد ابن سيدي محمد المعزي(٤) ثم رجع الجميع عنا وودعنا في يد الله تعالى اقول قال شيخ شيوخنا المذكور ما نصه ونزلنا غاقفا بعد العصر قال التجاني وهو قصر خرب خال من العمارة انتهى وبه الان بئر غزيرة الماء ينزل اليها بادرج وماؤها لاباس به .

---

(١) في نسخة جارية — (٢) في نسختين عبد رب وفي اخرى عبده — (٣) في جميع النسخ المسيل — (٤) انظر ما قيل في الصحيفة ١٤٠ والسطر ١

ثم ارتحلنا منه ومررنا بواد يقال له وادي الرمل وهو واد متسع عذب الماء لا ينقطع ماؤه كما ذكرنا ومبدؤه من الجبل قاطعا الى البحر لابد لكل مشرق يجعل الجبل يمينه ومغرب يسرته وهو واد مخصب من اعلاه فيه مزارع تخرج اليه ماشية اهل طرابلس وسواحلها ايام الربيع وربما اخرج الحجاج اليه ابلهم مع رعاتها ايام اقامتهم بطرابلس واصل مائه من عيون تنبع في اثنائه تبتدئ من مسافة قريبة من الجبل الخ ثم قال وقال التجاني وفي عالية عند سفح الجبل قصر يعرف بصيبان(١) بكسر الصاد المهملة تليها ياء معتلة ثم باء مفردة وهو معمور قال وبقرب البحر في اسفل هذا الوادي بئر تعرف ببئر طشانة(٢) بضم الطاء المهملة وتشديد الشين المعجمة بازاء قبر يعرف هذا الموضع به فصار القبر علما له وهو لرجل من العرب ثم من ذباب ثم من بني عيسى منهم واسمه شهران(٣) بن عيسى بن عامر بن جابر بن فائد ابن رافع بن ذباب وكان هذا الرجل ذا رئاسة في قومه وصيت بعيد واشتهر بالكرم فلم يذكر معه في وقته غيره وفيه يقول شاعر العرب .

حمى الارض شهران بن عيسى بن عامر * وعرض الفتى ان ضيع المجد ثالب

والاعراب الان اذا نزلوا هناك ولم يكن لهم زاد قاموا على قبره فنادوه يا شهران بن عيسى اقر ضيافك فيذكرون انهم لم يبيتوا قط دون عشاء اما بصيد يباح لهم او بضالة(٤) يلقونها او بغير ذلك قال وهذا الامر حدثنا به جماعة منهم وهو مشابه لما يذكره المؤرخون على حاتم الطائي انهم كانوا ينزلون بقبره فيقريهم وفي ذلك يقول الشاعر يمدح عدي ابن حاتم .

ابوك ابو سفانة(٥) الخير لم يزل * لدن شب حتى شاب في الخير راغبا
قرى قبره الاضياف اذ نزلوا به * ولم يقر قبر قبله الدهر راكبا

---

(١) في نسخة صيبار — (٢) في نسخنين طشانة — (٣) في نسختين شهوان — (٤) في نسخة بضالة — (٥) هكذا في جميع النسخ وفي الرحلة الناصرية والمشهور سفانة وهو اسم بنت حاتم كما في ديوانه وفي كتاب الاغاني ج ١٦ وص ٩٧ وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وغير ذلك من الكتب

وحكى ابو عبيدة قال نزل ابو الخيبريّ في نفر من قومه بقبر حاتم فجعل يناديه يا اباعدي اقر ضيافك وقال له اصحابه كيف تنادي رمة بالية فقال ان طيئا تزعم انه لم ينزل به احد قط الا قراه فناموا فانتبه ابو الخيبري مذعورا ينادي واراحلتاه فاستبقهم اصحابه على امره فقال خرج حاتم بالسيف وانا انظر اليه حتى نحر راحلتي فنظروا الى راحلته تتشحط في دمها فقالوا له قد والله قراك واخذوا ياكلون من لحمها ماشاءوا ثم ارتحلوا صباحا فنظروا الى راكب يقود بعيرا وهو يسأل عن ابي الخيبري فقالوا له من انت فقال انا عدي بن حاتم وان حاتما اتاني الليلة فذكر ما تقدم من ذبح بعيره واتى له حينئذ بعوضه ولذا قال الشاعر(١) .

ابا الخيبريّ وانت امرؤ * ولوم العشيرة شتامها
اتيت بصحبك تبغي القرى * لدى حفرة صرمت هامها
اتبغي لي الذم عند المبيت * وحولي طي وانعامها
وانا نشبع اضيافنا * وناتي المطي ونعتامها

وقد امرني ان احملك على بعير مكان راحلتك فدونكه اه

ومررنا بعد بوادي المسيد وهو كالذي قبله او اخصب منه وماؤه غزير لا ينقطع على الدوام ايضا ويكثر في اوقات السيل لانه يجتمع اليه ماء جبال مسلانة من اعلاها الى ان قال وبهذه المراحل شجر العشر كسرد القاموس فيه حُرّاق كسرد ولم يقتدح الناس في اجود منه ويحشى في المخادّ ويخرج من زهره وعشبه سكر معروف وفيه مرارة قال التجاني وهو شجر ناعم النبات شديد الخضرة الى السواد مائل هو ينبت صعدا وله اوراق عظيمة ونور مشرق حسن المنظر كنورة الدفلى وتمر اخضر كالاترج تملأ الواحدة يد حاملها وهي مملوءة بشيء يشبه القطن تسميه العرب الخربع بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وضم الباء وربما حشيت منه المرافق والوسائد .

(١) في هذه الابيات روايات اخرى في الكتب المذكورة آنفا في الصحيفة ١٧٤ وعدد ٥

فال واخبرني من يوثق به انه راى ثيابا صنعت منه ولا ياكله حيوان وهو شجر كثير اللبن وليس شيء من اللبن على اختلاف انواعه اكثر لبنا منه ويجنى منه مغافير واحدها مغفور بضم الميم وهو صمغ حلو كريه الرائحة يفال له سكر العشر وفي الحديث اكلت مغافير وهو من هذا ولا تكون المغافير الا فيه وفي العرفط والرمث والثمام اكثرها مغافير وليس في كلام العرب مفعول بضم الميم الا مغفور هذا ومغرود بالغين المعجمة لضرب من الكمأة ومنخور لغة في المنخر ومنابت العشر الفيعان وبطون الاودية وفد ينبت بالرمل .

فال ابن البيطار في ادويته ولم ار منه شيئا بالاندلس واول ما وففت عليه بظاهر طرابلس الغرب بالجهة الشرفية منها يشير الى هذا الموضع ثم فال بعد ذلك بديار مصر بظاهر الفاهرة الى ان فال ثم فال التجاني وكانت العرب تستجلب المطر اذا احتبس عنهم بشجر العشر وشجر السلع بفتح اللام والسين فلت وفي الفاموس السلع محركة شجر مر او سم او ضرب من الصبر بفتح الصاد وكسر الباء وبفلة خبيثة الطعم فال يعمدون اليها فياخذون منها اغصانا فيجعلونها في اذناب البفر ويشعلون النار فيها ثم يصعدونها الى الجبل فيزعمون انهم يمطرون في وفتهم وهو فول امية ابن ابي الصلت .

سنة ازمة تخيل بالناس * ترى للعضاه منها صريرا
لا على كوكب يلوح ولا ريح * جنوب ولا ترى طخرورا
ويسوفون بافر السهل للطود * مهازيل او شكت ان تبورا
عافدين النيران في ثكن الاذناب * منها لكي تهيج البحورا
سلعا ما ومثله عشرا ما * عائلا ما وعالت البيفورا

تخيل بالناس اي تطمعهم في المطر والطخرور الفطعة من السحاب بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة والبيفور جماعة البفر وهو ضرب من السحر ولله در الفائل يعيب عليهم فعلهم هذا

لا در در رجال خاب سعيهم * مستجلبون نزول الغيث بالعشر
اجاعل انت بيفورا مسلعة * وسيلة لك بين الله والمطر

قلت وهذا من جهل العرب وهو كثير الى ان قال وفي تورغت بئر عذب ماؤها حفرها الاخ في الله سيدي عبد السلام بن عثمان وغرس عليها شجرة من شجر التوت لقصد ابن السبيل فيشرب من ماء البئر و يستظل بظل الشجرة تقبل الله منه وشكر سعيه وقد صدق في ذلك لكون المحال معطشة في زمان القيظ .

﴿ غريبة ﴾ وذكر شيخنا العياشي في رحلته قال اخبرني الشيخ الاجل قاضي مدينة القدس محمد النفاتي التونسي ايام لقائي له بالقدس الشريف انه حج في صغره مع اخيه ابي الحسن النفاتي امير الركب فمروا بهذا المكان في زمان القيظ فالجأهم العطش الى بئر في واد يُسمَّى تورغت الى ان قال يعني ان الركب اضطرهم العطش اذ قليل ما يسقون منه فنزلوا عليها قائلة و وافقتهم هنالك قفول قدمت من فزان حاجتهم مثل حاجتهم فذهبوا الى البئر فنزحوا ما فيها من الماء فلم يسق بعضهم دوابهم و رجع الناس مغمومين فمن قائل يقول نرتحل هذا الوقت لندرك الماء قبل حلول الهلاك ومن قائل نؤخر الى آخر النهار قال لي الشيخ فدخلت على اخي فاخبرته بذلك وقلت له ان الناس قد اشرفوا على الهلاك واضطرب امرهم في الرحيل فامرهم بالرحيل لئلا يهلكوا قال فاغتم لذلك واستند في خبائه كالنائم فلما افاق قال لي ناد في الناس بالاقامة وقل لهم يذهبوا لسقي الماء فقلت له ابك جنون انا اخبرك انه لا قطرة فيها والناس قد اشرفوا على الهلاك فقال لي افعل ما امرتك به فقلت له لست باحمق انادي بالاقامة على غير ماء فلما ابيت نادى خديمه الغلام وقال له ناد في الناس بالاقامة والذهاب لسقي الماء فلما سمعت ذلك استحييت وتغيبت فقام الناس وذهبوا الى البئر فوجدوها قد امتلات بالماء حتى كاد ان يفيض من جوانبها فاستقى الحجاج وجميع القوافل والماء كما هو .

وقال لي الشيخ فلما رأيت ذلك ذهبت اليه وقصصت عليه الخبر فقال لي لما اغفيت عند ما اخبرتني بخبر الناس رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي مر الناس

بالاقامة فعلمت ان الله سيجعل لهم من امرهم فرجا قلت ولا يستبعد هذا في حق وفد الله وزوار نبيه صلى الله عليه وسلم فان لله بهم عناية ولهم منه اعظم وقاية .

ولقد اخبرني عن اخيه هذا بامور من جنس هذا في سفرته تلك وفيها توفي بقرية الينبوع التي ينزلها الحاج وقبره الى الان ظاهر عليه بناء خفيف على تل مشرف بحري منزل الركب المغربي وكنا نزور قبل ذلك المحل ولا نعلم من دفن فيه حتى اعلمني القاضي المذكور والله يغفرنا واياه برحمته آمين اه .

《 انعطاف 》 الى ما كنا بصدده وهو انه لما ودعنا احباؤنا المذكورون توديع ذى كآبة عند الافتراق مررنا مسرعين لنلتحق الركب اذ سبقنا بساعات فعند الاصفرار لحقنا به فوجدناه في سفح الجبل اي قبل ابتداء محل الوعر فنزلنا عليه ففرح الركب بلحوقنا ونزولنا عليهم فلما اصبح الله بخير الصباح ظعنا منه ومررنا على تلك الاوعار ثم كذلك الى وقت العصر فنزلنا ساحل حامد وفي تلك الاوعار كان اولاد الشيخ بوعصيدة الذين كانت عادتهم يضعون مائدة من العصيدة للركب بلحم وفي الحجة الاولى لقيت من اولاده الفاضلين الاخوين الشيخين ضل عني اسماؤهما لطول العهد فقال لي احدهما عند الافتراق انت تجاور مصر في شان العلم وكنت قد عزمت على ذلك فاخبرني بما في قلبي وقال له الاخر فانك لم تر شيئا وانما هو اذا حج فيرجع فان فلانا قد مات اعني صاحب الوهب الرباني والجذب الصمداني وهو امي لا يقرأ سيدي عبد الرحمان المجذوب الخلادي الملقب افطال من جبال بجاية من عمالة الجزائر نفعنا الله به آمين وقد مات ذلك العام قبل وصولنا مصر وقبره هناك بقرب من قبري (١) الشيخ الخرشي والشيخ عبد الباقي والشيخ خليل المالكي في القرافة الصغرى فيتولى هذا امره وينتفع به اهل بلده فسكت الاخر وسلم له نفعنا الله بهما وباسلافهما .

(١) كذا في جميع النسخ

ثم ان ساحل حامد بلدة طيبة ذات زيتون ونخل وعمارة يبدو حسنها للرائي وهي في رأي العين لا نظير لها لكثرة مائها واتساع ارضها مع استوائها وجودة ترابها فبساتينها روضة من الرياض مجدولة جداويل(١) مع استواء بيوتها وتحسين اضلاعها فان المرء اذا وصلها زال عليه الهم والنكد لان رؤية الخضرة والبحر والوجه الحسن تزيل الهم عن القلب وتفرج الغم عن الصدر وفي هذا الساحل افاضل احياء واموات ﴿ منهم ﴾ اولاد الشيخ الفاضل ذي الفضائل والفواضل العلامة الكامل والفهامة الناقل ذي التآليف الحسنة والتصانيف المتقنة وقد رأيت بعضا منها كشرحه لابن عاشر فانه قد اجاد فيه وكذا كتابا في التنبيه على المحدثات في هذا الزمان من رقص الفقراء وتواجدهم ومعاملتهم فيما بينهم وادعائهم ما لم يصلوا اليه وعصيانهم وعدم امتثالهم ما يقتضيه الشرع وعدم اتعاظهم وسماعهم لذلك و بعدهم عن العلم واهله وانهم ظنوا ان الفتح على ايديهم وليس لغيرهم فيه نصيب غاية ما وصل اليه علماء زمانهم العلم الظاهر والسكون تحت النقول وذلك طريق العامة والمعتبر في زعمهم طريقهم اذ يعتقدون التنافي بين الشريعة والحقيقة والحق خلافه فان الحقيقة لب الشريعة وغير ذلك من البدع .

وقد سلك في هذا التأليف مسلك ابي عبد الله ابن الحاج صاحب المدخل وابن ابي جمرة في شرحه لمختصر البخاري والشيخ عبد الكريم الزواوي في شرحه للوغليسية والشيخ الاخضري في قصيدته القدسية والشيخ زروق في عمدة المريد وكتاب البدع وغيرهم ممن بين اصل البدع وحوادث الاوقات وله ايضا كتاب في الطب وسمعت ايضا ان له شرحا على قصيدة البهلولي في احكام العزبة وقد استعرناه من ولده العلامة الفاضل والفهامة الكامل المحب الود في الله ومن اجله سيدي احمد بن عبد الصادق من تونس لانه قد سكن فيها وهو مدرس في المدرسة الباشية وغير ذلك من تآليفه رضي الله

(١) كذا في جميع النسخ

عنه وذلك السيد علي بن الصادق وقد زرنا قبره واولاده واصحابه وجيرانه وكل على خير وفضل وكرم وجود وحلم وعلم ومهما زرنا الشيخ الا احسن الينا غاية الاحسان في الضيافة اغناهم الله غناء لا يتبعه فقر آمين بل ربما زادوا علف الدواب زادهم الله شرفا نعم بركة الشيخ ظاهرة عليهم ولا شك ان الشيخ قد اصابه وابل من اشياخه نسأل الله تعالى ان يمن عليهم بالوسع والتوفيق اذ فيهم غاية السخاء والتكلف بما لا يستطيعونه ولذا كان اخونا في الله طيب(١) الدين سيدي محمد(٢) الشريف البلغيثي ثم النوفلي يستثقل زيارة الشيخ لما يعلم من وقوع اولاده في كلفة عظيمة فترك الزيارة حينئذ بهذه النية الحسنة زيارة ونحن اعتبرنا الظاهر فكان الحق معه علما منا بضعفهم وقلة ذات يدهم غير ان المعطي حي غني .

وقد ورد في الشرع المنع من امور مطلوب فعلها لمشاهدة المحظورات كحضور الولائم فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من دعي الى وليمة ولم يجب فقد عصى ابا القاسم غير انها اذا كان فيها محرمات كاختلاط النساء والرجال او آلة محرمة يحرم اتفاقا كالتماثيل وصور لا يجوز مشاهدتها ان كانت مستقلة ولها ظل وفي الجبل الذي غرب الساحل يمنة الماشي في الطلعة بلاد مسلاتة ذات زيتون كثير وزيته كاد ان لا تفرق بينه وبين السمن لا سيما الذي يضربونه في الماء وقد بين صفته الاخ السابق سيدي محمد الشريف وله املاك هناك زاده الله فيها حتى يكون مشطرا لاهلها مع نفض اليد من الدنيا رأسا حتى تكون من الله واليه وعلى هذه الحالة علمته الان نعم مكنه الله من الزهد الحقيقي اذ الزهد على ثلاث مراتب زهد العامة في الدنيا فانهم لا يفرحون اذا اتت ولا يحزنون اذا ذهبت وهذا الزهد اوجبه الله على كل مسلم وزهد الخاصة فانهم يفرحون اذا ذهبت لانها سم ويحزنون اذا اتت واما خاصة الخاصة فلا يشاهدونها ذهابا واتيانا(٣) لانك اذا فرحت بذهاب احد فليس ذلك الا لكونه عظيما عندك وهذا معلوم في الشاهد واخونا

---

(١) في نسختين طبيب — (٢) في نسخة احمد — (٣) في نسخة ايابا

هذا غيبه الله عن الاكوان بمشاهدة المكون حقق الله لنا معه ذلك بمنه وكرمه اقول قال شيخ شيوخنا المذكور ما نصه عند ذكر ذلك الجبل الذي هو غرب ساحل حامد وفيه مسلاتة وغيرهم .

قال ابو سالم في رحلته وهو آخر الجبل الذي لا نظير له في الدنيا طولا وعرضا وخصبا وماء وقرى متصلة وعمرانا متراكبا وقبائل وافرة غالبها البربر واوله من البحر المحيط اطراف السوس الاقصى ثم يمتد كذلك الى ان يمر قبلي مراكش وهو المسمى جبل درن ثم يمتد كذلك الى بلادنا ثم الى ان يقارب البحر قرب تلمسان ثم لم يزل يساير البحر وان كان يبعد عنه في بعض المواضع ويسمى في كل بلد باسم وربما تعددت اطرافه فيسمى كل طرف باسم الى ان ينتهي هنا بأطراف برقة وقال صاحب تقويم البلدان انه يمتد من اطراف السوس الاقصى من البحر المحيط الى ان يبقى بينه وبين الاسكندرية خمس مراحل .

قلت وكانه جعل بلاد برقة كلها والجبل الاخضر منه لان ارض برقة مرتفعة على ما يجاورها من بلاد فزان ونواحيها والبحر من الناحية الاخرى الى العقبة الصغيرة وبينها وبين الاسكندرية خمس مراحل والظاهر ما ذكرناه اولا وهو الذي اقتصر عليه غيره فغرب هذا الجبل في كل البلاد بلاد مخصبة ذات انهار وعيون واشجار وقبلته صحراء ذات نخيل ورمال من البحر المحيط من اطراف السوس الاقصى الى آخر برقة انتهى الى ان قال وفي سفح هذا الجبل الذي يلي ساحل حامد مدينة عظيمة يقال لها مدينة لبدة قد خلت في العصور الاوائل وبقيت آثارها ورسومها قد اكل البحر كثيرا منها وفيها مبان عظيمة * وهياكل جسيمة * وابراج خارجها مبنية بالحجر المنحوت في غاية الاتقان قد هرم الدهر وما هرمت * وتعاقبت عليها الازمنة وما ثلمت * فترى الابنية ماثلة متقابلة على رؤوس الجبال مد البصر بحيث يحكم الحدس ان كل ما كان داخلها كان مدينة واحدة الى البحر وترى اعمدة الرخام وغيره واقفة في وسط البحر قد احاط بها الماء بحيث لا يرتاب ان البحر قد اكل كثيرا منها .

ومن هذه المدينة ينفل كثير من أعمدة الرخام الى طرابلس والى مصر والى غيرهما من البلدان ويفال ان بانيها الملك دفيوس وبعد وفاته تملكتها امرأة اسمها رومية وبعضهم ذكر ان (دمشق ابن) النمرود لما بنى دمشق بفي ثلاث سنين وبعث ولده وامره ان يبني مدينة بالمغرب فبنى هذه المدينة وجلب اليها الماء من وادي كعام في بناء متفن يحار الناظر فيه واثر البناء وممر الماء باف الى اليوم متصل من جوف(١) الوادي الى اطراف المدينة الا ان ماء هذا الوادي الان فليل آجن ويزعم اهل البلد ان ماء هذا الوادي كان حلوا غزيرا ايام عمارة المدينة وكان مما يؤثر عند اهلها انه اذا بدت الملوحة في ماء الوادي فذلك علامة خرابها فلما بدت فيه الملوحة اخذ اهلها في الانتفال منها والله اعلم انى ذلك كان .

وفد ذكر العبدري في رحلته هذه المدينة وذكر انه وجدها خالية والذي يظهر انها خلت فبل الاسلام اذ لم يذكرها احد ممن ذكر فتوح افريفية والله اعلم بغيبه .

﴿ غريبة ﴾ اخبرني بعض اهل تلك البلاد ان الملك الذي بنى هذه المدينة وفع موتان في عسكره حتى تفانوا ولم يدر ما سببه فأمر بشق بطن واحد منهم وشق عن فلبه فوجد فيه دودة فعلم ان ذلك سبب موتهم فأمر بصب جميع الادوية عليها واحدا فواحدا فلم تمت حتى اخرج زيتا كان عنده في فارورة جاء بها من ارض الشام فصب عليها فطرة منه فماتت فعلم ان دواء ذلك المرض أكل الزيت فبعث الى الشام وجاءه غرس الزيتون فامر بغرسه في تلك الاوطان كلها من مصر(٢) الى سوسة وتونس واعمالهما ومن تلك الساعة بفي الزيتون في هذه البلاد والله اعلم انتهى كلامه .

فال (ابن ناصر) وفي غير هذه الحجة رايناها و راينا فيها العجب العجاب * وموعظة وذكرى لاولى الالباب * ولله در الفائل(٣)

---

(١) في نسخة حرف — (٢) كذا في جميع النسخ وفي الرحلة العياشية مسلاتة وفي الرحلة الناصرية مسراتة — (٣) هذا البيت اول بيت من فصيده لابي العتاهية كما في ديوانه وفي كتاب الاغاني ج ٣ وص ١٦١ والشطر الاول منسوب للامام علي كما في ديوانه ص ٨ وهو عجز فوله « له ملك ينادي كل يوم »

لدوا للموت وابنوا للخراب * فكلكم يصير الى ذهاب

ثم قال ونخل هذا الساحل ردي التمر كله لا يدخر ولا ييبس الا بعد ازالة النوى منه فيبقى كقطع الجلد لا قوة فيه ولا حلاوة ولا طعم قال الامام ابو سالم لا تكاد تفرق بينه وبين لحاء الشجر .

قلت وفيه تمر جيد يجعلونه بمساليخ(١) واما جل ما ينفوتون(٢) به فكما قال قال وبهذه البلدة قبر الولي الصالح ذي الكرامات الكثيرة * والمآثر الشهيرة * سيدي مفتاح وهو على تل مرتفع بساحل البحر بينه وبين البلد في مكان يعلوه البهاء * وينفجر منه السناء * تسكن النفوس اذا حلت به * وتطمئن به القلوب اذا نزلت بقربه * وهذا السيد ممن توثر عنه الكرامات الكثيرة وجربت اجابة الدعاء عند قبره فلا ينبغي لمن مر بذلك البلد ان يهمل زيارته وقد قيل ان قبره كان مختفيا واظهره سيدي عبد السلام الاسمر وكان قد اظهر قبورا كثيرة للاولياء بذلك الساحل واظهرت فرسه ايضا آخرين وذلك انه اذا ركب على فرسه ربما تمر بمكان فتبحث برجلها في الارض فيقول لهم الشيخ احفروا فان هنا قبر ولي فيجدونه فظهرت بذلك مزارات كثيرة وفقراء الساحل الى الان يعرفونها ويقولون هذا من الذين اظهرهم فرس الشيخ ولا بدع في ذلك فان الكرامة في ذلك لراكب الفرس لا للفرس فقد بركت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في مكان مسجده وعند ما دخلت الحرم يوم الحديبية واذا كانت بركة النسبة للانبياء عليهم السلام وللاولياء رضوان الله عليهم يظهر اثرها في العجماوات فما بالك في الادمي الذي هو اشرف المخلوقات فلا تقصروا اخواني من خدمة الصالحين وزياراتهم وملاقاتهم وحبهم وحسن الاعتقاد فيهم فان لذلك اثرا عجيبا في تليين القلوب وتسخير النفوس والله تبارك وتعالى يجعلنا من المحبين لاهل ولايته ويحشرنا مع حزبهم وفريقهم في دنياهم وآخرتهم .

(١) في جميع النسخ لانفسهم وقد تبعنا هنا الرحلة الناصرية — (٢) في جميع النسخ يستوفون الا الرحلة الناصرية

وبازاء روضة هذا السيد بئرعذبة الماء باردة ثم فال ومررنا على اثار سافية فيها فنوات تحمل الماء الى المدينة المذكورة من عين هناك يفال لها عين كعام وفيها صنعة عجيبة وابنية غريبة بحجارة منحوتة عظيمة تحار فيها العفول منها احجار من اربعة اذرع فاكثر منفورة في وسطها نفرا متفنا والحجر في غاية الصلابة فريب من حجر الصوان .

فال شيخنا العياشي والحاصل ان من راى ذلك استغرب ان تكون فدرة البشر واصلة الى ذلك المفدار وعلم ان دهرا افنى اولائك الافوام جدير بأن يستأصل شافة الانام فال وفي هذا البلد تلفانا الشيخ الاخ في الله سيدي علي بن عبد الصادق في جماعة من طلبته وشيعنا وبات معنا وبالغ في الفرى واحضر تمرا وشعيرا وخبزا ودجاجا ولحما جيدا ودلاعا كثر الله خيره وهذه البلدة مثل التي فبلها انتهى بالمعنى واكثره باللفظ مع زيادة من عندي ونفصان بما يناسب كل مفام .

﴿ تنبيه ﴾ ما ذكره سيدي احمد بن ناصر شيخ شيوخنا من ان سيدي علي بن عبد الصادق من بلدة زليتن فيه نظر او انه سبق فلم او نسيان او انه اتى اليه ولفيه في ذلك الوطن وظن انه منه واما احتمال انه انتفل الشيخ من وطنه الذي هو ساحل حامد فاني فد سألت عنه وفحصت عن هذا الخبر ففال لي من يوثق بخبره انه لم ينتفل من ساحل حامد اصلا غير انه يحتمل فاللائق الذي يعتمد عليه هو الاول والا فالشيخ لا طيش معه لانه في غاية التمكين رضي الله عنه ونفعنا به آمين .

﴿ تتمة ﴾ بلدة زليتن هذه الان عامرة اكثر من ساحل حامد بزيادة عظيمة وشجرها اكثر منها وكذا كل نوع الا وكان اكثر ففيها الان الخير العظيم دينا ودنيا .

وفي هذه البلدة فضلاء وصلحاء وعلماء وفي الرجعة اجتمعنا مع علماء الوفت كالفاضل الكامل الاديب الففيه سيدي سالم واخوانه وطلبته وفد عمر اوفاته بتدريس العلم نحوا و ففها وله فهم جيد .

وهذا سيدي سالم الفطيسي فانه اجاد في اكرامنا نهارا وعزم بنا الى بيته تبركا بنا

احسن الله اليه احسانا كليا واتم عليه ما هو به وعلى ذريته واخوانه الى فيام الساعة ففد افرى لنا لحما وكسكسا وتمرا ورمانا بحيث عدد علينا انواع الفرى والفرى الفوي هو الفرح والرغبة في العلم واهله وكذا اجتمعنا مع فضلاء تلك البلدة كالمشارك في العلوم سيدي ابراهيم نجل الشيخ سيدي سالم فان له اشتغالا بالتدريس نفعه الله ونفع به آمين وكذا جماعة من اهل الخير لا اعرف اسماءهم الا ان الخير والفضل لائح على وجوههم اذ انوار الله لا تخفى على من له شم لرائحة الخفيفة وكذا لفينا الى طريف الحاج محمدا رجل خير فاضل محب لصديفنا سيدي محمد الشريف البلغيثي واتى الينا بالرطب والخبز واللحم وجميع من مر من الركب اكل منه كثر الله خيره وبسط عليه رزفه .

هذا واننا زرنا الولي الصالح والفطب الواضح سيدي عبد السلام الاسمر في الطلعة والرجعة افاض الله علينا من بركاته وجعلنا في زمرته بجاه النبي صلى الله عليه وسلم وآله وآل البخاري ورجاله وبالجملة فكراماته مشهورة ومآثره كثيرة ومعاليه بينة عند الخاصة والعامة فلم يبق الا التعلق به وبامثاله لتجبر فلوبنا وتشفى اسفامنا لا سيما اسفام الدين فانها فد عمت ظواهرنا وبواطننا مع اعظم المفسدات له وهو ادعاء النفس ما لم تصل اليه غير ان بعضهم لا يدعي ذلك فولا وانما يدعيه حالا بحيث اذا ذم وحط عن ما تدعيه نفسه من المفامات العالية تغير وتكدر امره غايته ان كان من اهل العلم سكت عن فول السوء ويحمل نفسه على الصبر ولولا ادعاؤه ذلك ما تغير اذ غاية ما فيل فيه انه كذلك في الوافع واما الجاهل فلا يصبر بل يبادر للسوء ويغلظ الفول عليه بل ربما آل امرهم الى الضرب مع الشتم بل الى الفتال كما عينا ذلك من كثير من فتنة المرابطين في وطننا وفتالهم فان اهل ذلك كله هو رعونة الدعوى وتمكنها منه اللهم بجاهه عندك وبجاه أمثاله ان تمن علينا بالبرء من الدين وشفاء اسفامه واحفظنا من كل بلاء دينا ودنيا بمنك وكرمك .

نعم هو رجل كما فال ابو سالم في رحلته من اهل المائة العاشرة كثير الكرامات عالي المفامات من اجل تلامذة سيدي احمد بن عروس نزيل تونس والغالب عليه الجذب في

اول امره وآخره وله تصرف قوي ويؤثر عند اهل البلد من تصرفاته آثار كثيرة يطول استقصاؤها واخباره في قهر الجبابرة وفك الاسارى من ايدي الافرنج في حياته وبعد مماته شهيرة وهو من بلدة يقال لها العواتر وامه مغربية درعية(١) ولم تزل هذه البلدة التي هو منها ماوى الصالحين ووكر العابدين من قديم الزمان تواتر عند اهل البلد انها لا تخلو من سبعة من اكابر الصالحين قالوا وهم ظاهرون بها حتى الان وليس عليهم سمة متصوفة الوقت بل هم على هيئة العوام في ملابسهم ومساكنهم وحرفهم الا انهم قائمون على منهاج الشريعة وكل من رام اهل هذه البلدة بسوء يقصمه الله ولا يدخلها احد بتجبر وتكبر الا اذله الله ويذكر عن اهلها كرامات كثيرة .

قال وقد ذكر لي بعض الاخوان ان سيدي عبد الحفيظ قدم لزيارة اهل هذه البلدة ومعه بشر كثير كما هو شانه اذا خرج فلما قرب من البلد نزل عن فرسه ومشى راجلا متواضعا الى ان زار وخرج فقيل له في ذلك فقال لو دخلتها على الحالة التي كنت عليها خارجا من الركوب كهيئة المتبوع تخشيت على نفسي او كلاما هذا معناه وبلدة العواتر هذه بازاء زاوية سيدي عبد السلام قريب منها بنحو من فرسخين(٢) وفيها مزارات كثيرة للاحياء والاموات .

﴿ لطيفة ﴾ اخبر الامام العياشي في رحلته انه اخبره اخوه في الله المجذوب السالك سيدي احمد بن محمد بو نجيب(٣) انه لما حج بقي امام النبي صلى الله عليه وسلم فقال في نفسه اني لا اذهب لزيارة حمزة ولا لغيره هذا يكفيني قال فاخذتني سنة فرأيته صلى الله عليه وسلم فقال لي يا احمد يا حبيبي عم الرجل عوض ابيه قال فقمت في الحين وذهبت لزيارة سيدنا حمزة وحدي وكان وقت خوف ولقيت هناك ثلاثة رجال احدهم الخضر عليه السلام .

---

(١) في الرحلة العياشية دراوية — (٢) كذا في جميع النسخ وفي الرحلتين العياشية والناصرية فرسخ — (٣) كذا في الرحلة الناصرية وجميع النسخ وفي الرحلة العياشية مجيب

ونفل عنه عن اللفاني ان الوزغ يتغذى بعينيه وانـه اي اللفاني كان ذات يوم ياكل ووزغ ينظر اليه من السفف فامر من فتله فال وشفوا بطنه فوجدوا فيـه من الخضـرة التي كان الشيخ ياكل منها انتهى .

وممن لفيه هذا الشيخ في هذه البلدة سيدي محمد بن سالم الزليتني وكان متبعا للسنة كثيرا وآثار الصلاح على وجهه تلوح وعرف الفلاح من بشرة يتضوع ويفوح وكان من اهل الكشف نفعنا الله به ثم فال ﴿ نادرة ﴾ كان سيـدي عبد السلام الاسمر الشيـخ الاكبر يستعمـل السماع بالدف الا انه كان رضي الله عنه ذا حال صادفة لا يفتدى به في ذلك واراد خلفه والمنتسبون اليه افتفاء أثره في ذلـك فحفهم اتباع السنة واجتنـاب موافع الظنـة وليست الاحوال مما يورث ولا مما يصح فيه التفليد لانها واردات من الحق تستعمل العبد بمفتضى وفته استعمالا جبريا فليس لغيره اتباعه في ذلـك ان لم تظهر له موافقته المشروع .

ومما يحكى من ذلك عن الشيخ سيدي عبد السلام انه سمع ذات يوم بالدف فلما نفره سمعه كل من حضره يفول الله الله بحيث لا يمترون في ذلك فاله في رحلته شيخنا ابو سالم فال وهذا شاهد صدف في صحة سماعه وصدف حاله مع الله ومثـل هذا له ان يسمع بـاي شيء اراد من دف ومزمار لانفلاب سمة الملاهي في حفه ترياقا فعادت المخالفة للمشـروع بانعكاس الثمرة وفافا فسبحان من يخرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن بين الدف والمزمار احوالا سنية للمفربين .

وكان حج مع شيخنـا الوالد رضي الله عنه وارضاه بعض اهل زاويته وكان يسمع بالدف على عادتهم فبعث اليه الشيـخ ففال له ان اردت مرافقتنا فاترك هذا السماع والا فاعتزلنـا فاعتذر بان ذلـك من عادة اسلافه فلم يفبل منه الشيخ ذلك ولم يزل به حتى ترك السماع .

فلت وفد عمت البلوى والعياذ بالله بانكباب ابناء الطوائف على السمـاع بالدفوف والمزامير وسائر الالات والاشعار والالحان واتخذوا ذلك صراطا مستفيما * واتبعوا فيه شيطانـا رجيما * ونبذوا السنة وراء ظهورهم * وزالت هيئة الشريعة من صدورهم * وكان لهم ذلك

ديدنا في سائر الازمان * فصاروا مسخرة للشيطان * وفي الرسالة لابي اسحاق الاولاسي قال رايت ابليس في المنام على بعض سطوح الاولاس وانا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف فقال لطائفة منهم قولوا فقالوا وغنوا فاستفزعني صيته (١) وهممت ان اطرح نفسي من السطح ثم قال ارقصوا فرقصوا اطيب ما يكون قال لي يا ابا الحارث ما اصبت شيئا ادخل به عليكم الا هذا انتهى .

ولعمري كيف تسلم ديانة من يتعاطى السماع بالاغاني وانشاد الالحان والاشعار اذ هو معشش الدسائس واحق بالنزاع ومغرس التخليط والتلبيس وادخل في الابتداع الا من عصمه الله وقليل ما هم فلذلك كان انكار السماع من كثير من العلماء وتحذيرهم منه لاسيما في حق العوام الباقية نفوسهم الفائتة حظوظهم وكثير استعماله لكثرة الغرور وطفوح الجهل حتى ربما راوه من اركان الطريق وربما توغلوا فيه حتى تعاطوه بالالات الملهية والاصوات الحسنة من الاحداث الملاح حتى كانهم محاضر المنادمة وما ابعد هذا عن الدين واهله وقد يكون الفتى من اهل البطالة والغواية واللهو والشرب ثم انه يتوب على ايديهم فيحضرونه في امثال هذه المجالس وهذا الغناء وهذا اللهو فلا تزداد نفسه الا قوة وجموحا * ولا شهوته الا كلبا وطفوحا * نعم كان قبل التوبة منكسر القلب معترفا على نفسه بالاساءة متمنيا للخير والصلاح واللحاق باهله والخير كله في هذا الوصف وفي الحديث القدسي انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي ثم انه اذا تاب ظن انه قد التحق بالصفوة والسلامة وبرئ من العيوب بمجرد خروجه عن الحالة الاولى الى الثانية وهذا العجب والاغترار هو العيب كله والشيطان يكتفي منه بذلك فلا يوسوس له ان يتعاطى تلك المعاصي السابقة لان هذا العجب والاغترار اعجب اليه اذ لا يتمنى الانتقال والتوبة عن هذه الحالة اصلا وعدم الوسوسة بذلك تزيده اغترارا واعجابا فيكون في مرضاة ابليس ما دام على تلك الحال وفي سخط الكبير المتعال نسأله العافية .

---

(١) في الرحلة الناصرية استفزعتني طيبة

ولهذا قال امام الطريقة الجنيد رضي الله عنه اذا رايت المريد يحب السماع فاعلم ان فيه بقية من البطالة .

وقال الشيخ الامام القدوة الهمام ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه سالت استاذي رضي الله عنه عن السماع فاجابني بقوله تعالى انهم الفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون .

وقال ايضا رضي الله عنه رايت في النوم كأن بين يدي كتاب الفقيه ابن عبد السلام واوراقا فيها شعر مرجز واذا باستاذي رحمه الله واقف فتناول كتاب الفقيه بيمينه وتناول الاوراق بشماله فقال كالمنتهر أتعدلون عن العلوم العزية الزكية واشار بيده الى كتاب الفقيه الى الاشعار ذوات الاهواء الردية واشار بيده الى اوراق الشعر ثم رمى بها الارض ومن اكثر من هذه فهو عبد مركوز لهواه * اسير شهوته ومناه * يسترقون به قلوب الغفلة والنسوان * ولا ارادة لهم في الخير واكتساب العرفان * يتمايلون عند سماعها تمايل اليهود * ولم يحظ احد منهم بما حظي به اهل الشهود * لئن لم ينته الظالم ليقلبن ارضه سماء * فاخذني حال وجد وبكاء * وانا اقول الا ان النفس ارضية * والروح سماوية * فقال بلى اذا كانت الروح بامطار العلوم دارة * والنفس باعمال الصالحات نباتة * فقد ثبت الخير كله * واذا كانت النفس غالبة * والروح مغلوبة * فقد وقع القحط والجدب وانقلب الامر وجاء الشر كله فعليك بكتاب الله الهادي * وكلام رسوله الشافي * ولم تزل بخير ما لزمتهما * وقد اصاب الشر من عدل عنهما * واهل الحق اذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه واذا سمعوا الحق اقبلوا عليه ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا انتهى .

وقال الامام ابو العباس زروق وقد اتفقوا على منعه لما حدث فيه وبه من المفاسد حتى قال الشيخ محيي الدين رحمه الله السماع في هذا الزمان لا يقول به مسلم ولا يقتدى بشيخ يعمله او يقول به .

وقال الشيخ ابو العباس المرسي رضي الله عنه في قوله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت نزلت في اليهود ومن كان من فقراء هذا الزمان مؤثرا للسماع بهواه آكلا مما حرمه

مولاه فهي نزغة يهودية لان القوال يذكر العشق وما هو بعاشق ويذكر المحبة وما هو بمحب والوجد وما هو بمتواجد فالقوال يقول الكذب والمستمع سماع له ومن اكل من الفقراء طعام الظلمة حين يدعى الى السماع يصدق عليه قوله تعالى سماعون للكذب الاية .

قال وعبر بعض الصحابة على بعض اليهود فسمعهم يقرأون التوراة فتخشعوا فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل عليه السلام فقال اقرا قال وما اقرا قال اقرا اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فعوتبوا اذ تخشعوا من غيره وهم انما تخشعوا من التوراة وهي كلام الله فما ظنك بهذا اتعرض عن كتاب الله وتخشع بالملاهي والغناء انتهى كلامه .

وقال الامام محيي الدين وكل ما سمع من الخشوع فهو على احد امرين اما قبل ان تحصل له مرتبة التمكين فالسماع عندنا حرام في ذلك الوقت او سمع بعد التمكين بشروطه المعروفة التي قد ذكرناها في غير هذا الموضع فيعلم من هذا انه قد نزل من المقام الاعلى الى مقام هو اسفل وادنى لحظ نفسه ثم ذكر سر السماع وانه نزول كله وان من لم يجد حاله الا في السماع ويفقده اذا فقده فقد مكر به واستدرج فليبك على نفسه وليبحث على ما جنته يده فيجد ذنبا ضرورة لابد من ذلك ثم قال والله يلبسنا واياكم رداء التقوى والعافية * ويحلنا واياكم المراتب السامية * ولا يجعلنا واياكم ممن له الى السماع اذن واعية * فيكون من اهل القلوب الملهية انتهى .

وله في التدبيرات الالهية السامعون شخصان شخص يسمع بنفسه وشخص يسمع بعقله وليس ثم سامع آخر ومن قال انه يسمع بربه فهو نهاية درج سمع العقل لكن للعقل سمعان سمع من حيث فطرته وسمع من حيث الوضع فالذي له من حيث الوضع هو الذي قيل عنه انه يسمع بربه وقوفا عند قوله عليه السلام عن ربه كنت سمعه الذي يسمع به فالذي يسمع بعقله يسمع في كل شيء ومن كل شيء وعلى كل شيء لا يتقيد وعلامته في ذلك البهت وخمود البشرية والذي يسمع بنفسه لا بعقله لا يسمع الا في النغمات

والا صوات العذبة الشهية وعلامته ان يتحرك عند السماع بحالة فنائه عن الاحساس ومهما احس المتحرك في السماع فانه مسخرة للشيطان وان لم يحس وفني عن كل شيء فهو صاحب نفس وتحت سلطانها وحاله صحيح الفناء ولا ياتي بعلم ابدا عقب هذا الفناء والحركة في السماع فان ادعى انه اتى بعلم فلم يكن فانيا ولم يكن سمع بعقله فانه تحرك ولم يبق له الا ان يكون كاذبا فان سماع النفس لا ياتي بعلم البتة وسماع العقل لا تكون معه حركة فمن جمع بين الحركة والعلم فهو كاذب جاهل بالحقائق انتهى الغرض منه فقس هذا الكلام على اهل زمانك تر العجب العجاب والله يلهمنا الصواب ويعصمنا من الزلل ويوفقنا لصالح القول والعمل .

قال الشيخ ابو القاسم القشيري سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم مباح للزهاد لحصول مجاهدتهم مستحب لاصحابنا لحياة قلوبهم انتهى .

قلت والى هذا الكلام والله اعلم يشير صاحب نظم المباحث الاصلية حيث يقول

وانما ابيح للزهاد * وندبه الى الشيوخ باد
فهو على العوام كالحرام * عند الشيوخ الاجلة الاعلام

قال الامام زروق اما اباحته للزهاد الذين لا ارب لهم في الشهوات المستلذات ولم يبلغوا مرتبة التحقيق والذوق فانه لا يضرهم فيمنع ولا ينفعهم فيندب واما الشيوخ فانه يثير منهم الحقائق فتنتشر في عوالم الاجسام ثم تتسع في ميادين الحضرة فيكون للحضار منها نصيب لان من تحقق بحالة لا يخلو حاضروه منها وكل ما افضى الى الكمال فهو كمال واما تحريمه على العوام فمن جهة انه يثير نفوسهم ويحرك شهواتهم وغيرها من الطبائع والعوائد الردية وهذا فيما يحتمل وصورته وفيما يوافق الحق بمعناه من حيث الطباع لان الشعر من محامد النفس فهو يقويها ما لم تكن ميتة .

وفي ذلك قالوا ان الغناء مرقاة الزنى وانه ينبت النفاق في القلب انتهى قلت وكلام ابي علي الدقاق هذا هو فصل الخطاب والتوسط بين الخطاء والصواب .

ونحوه قول الشبلي وقد سئل عن السماع قال ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الاشارة حل له استماع العبرة والا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية وقال بعضهم لا يصح السماع الا لمن كانت له نفس ميتة وقلبه حي فنفسه ذبحت بسيوف المجاهدة وقلبه حي بنور الموافقة .

واتفقوا انه لابد للسماع من زمان ومكان واخوان ولذلك قيل للجنيد رضي الله عنه ما لك لا تسمع فقال ممن قيل من الله فقال ومع من وقالوا السماع على قسمين سماع بشرط العلم والصحو فمن شرط صاحبه معرفة الاسامي والصفات والا وقع في الكفر المحض وسماع بشرط الحال فمن شرط سامعه الفناء عن احوال البشرية والتنقي عن آثار الحظوظ بظهور احكام الحقيقة وهذا والله اعلم انما هو في سماع الاشعار المشتملة على الاوصاف الصالحة لاهل النفوس ولاهل الارواح قد علم كل اناس مشربهم كسماع ابي الحسن في الطريق قول القائل

راى المجنون في البيداء كلبا * — الابيــات والقصــة

واما الاشعار الوعظية المشتملة على التذكير بالله تعالى والترغيب فيما عنده والتنفير عن الدنيا والتحضيض على التقوى فهي سليمة الجناب تصلح للعوام والعباد والزهاد وبالجملة فالسماع ورطة لاهل النفوس والشهوات وروضة لاهل الفهم عن الله تعالى وهؤلاء يسمعون من كل شيء ولا يتوقف سماعهم على طيب النغم كما تقدم عن صاحب التدبيرات ويشهد له حكاية يا سنعتر بري وما فهم منه كل من الثلاثة المذكورين في حكايته انظرها في لطائف المنن انتهى .

اقول وحاصل معناه ان شخصا نادى آخر يبيع السعتر البري فالمريد فهم اسع تر بري والسالك فهم الساعة ترى بري والواصل فهم ما اوسع بري فكل قد فهم بحسب مقامه

وشربه فد علم كل اناس مشربهم فالمريد مامور بالعمل ليرى الاحسان من الله والبرور والسالك ينظر الفتح ولذلك فهم الساعة ترى بري والواصل في حال شهوده وتجلي المحبوب على فلبه ففهم في حال شهوده من هذا اللفظ ما اوسع بري .

هذا معنى فوله يسمع من كل شيء ولا شك ان في كل شيء آية تدل على الله في الجملة وعند اهل الحق لهم خطاب منها يخصهم بحسب مفامهم من الحب وغيره .

وفد فال بعض العارفين مكثت اربعين سنة اخاطب الخلق بخطاب الحق وذلك لغلبة الشهود عليه والحضور لديه فلم يصح تصور الغفلة عليه ولا النسيان منه ولذلك كان به ومنه واليه فكان الله سمعه وبصره كما هو في الحديث الفدسي فليس عند هذا في الوجود الا الحق ان سمع سمع به والباطل منعدم البتة في حفه فلا تفسيم فيه وانما التفسيم فيمن يغيب عن نفسه تارة بمشاهدة محبوبه ويشاهدها اخرى فان كان يسمع بالله ومن الله فسماعه حق لا يفول مسلم بحرمته وانما هو آثار عليه حال الشهود وانما الكلام في غيره والتفصيل فيه بين الزهاد وغيرهم واهل التمكين وسواهم فاعلمه فانه مما يجب التفطن اليه وفد اشار اليه فبل غير انه لا يفهم ما فاله كل فاصر في هذا العلم والمتبصر يعلم الحفائق على حالها .

وبالجملة فالبحث بالاباحة والتحريم والندب انما هو فيمن يلتبس عنا فصده وحاله ففيه التفصيل السابق والكلام حينئذ على اسلوبه والجري على نمطه نعم فرائن الاحوال تميز احوال السامعين فمن علم انه فصد امرا مذموما في الشرع منع باتفاق ومن علم ان فصده صحيح لا علة فيه شرعا كالزهاد والعباد جاز فطعا من غير خلاف لكونه ترياقا مجربا افل ما فيه من الدواء استراحة النفس مما حصل لها من التعب في حال المجاهدات وكذا اهل التمكين من الشيوخ فانما سماعهم من الحق ولا شك انه مطلوب منهم لتتسع دائرة علومهم وتتفوى انوار معارفهم وهذا اذا سلم الموضع من الفتن الدينية كحضور الشبان والنعيمة من النساء لا سيما اذا كانت مكشوفة العورة فان ذلك حرام من غير خلاف الا اذا كان صاحب

الوجد زال عنه عفل التكليف وحركته الحق فلا اثم عليه لانه ليس بمكلف اذ هو مضطر مغلوب فلا يفتدى به فلا باس عليه مع النساء وغيرهن وانما الكلام مع من بفي معه التكليف .

حاصله امر السماع في زماننا وغيره مع الفصد الصحيح بشروطه وانتفاء الموانع كخلو المكان ممن يفتتن به من النساء والشبان ممن لا فصد له فصدا خبيثا فهو على التفسيم المتفدم بين الاباحة والندب واما مع الفصد الفاسد فلا يجوز اتفافا .

﴿ لطيفة وتنبيه ﴾ مما يجب التنبه(١) اليه اجتماع النساء والرجال في بلدنا في الظاهر على طريق الخير والصلاح والتشبه بالفوم الاول وفي الوافع ما اتخذوا ذلك الا للتوصل للزنى ومفدماته يشهد لذلك من رآه بالعيان لانهم فساق فلما تعذر عليهم الوصول الى الشر من بابه اتخذوا سلما يرفون به وهو السماع ليتوصلوا لاغراضهم الفاسدة ويتجردون للزنى نحو اليومين والثلاثة ليتمكن لهم الاختلاء(٢) وفد فال صلى الله عليه وسلم ما اختلى(٣) رجل بامرأة الا كان الشيطان ثالثهما وفال ايضا باعدوا بين انفاس النساء وانفاس الرجال وفال ايضا لو كان عرف الرجل في المشرف وعرف المرأة في المغرب او بالعكس لتحانا اوكلاما هذا معناه فاذا كان الامر كذلك فكيف يحل لمسلم يرى ذلك منهم ان يترك حريمه اي زوجته او اخته او ابنته او ابنه معهم حاصله اي فريب كان ذكرا او انثى فلا يتركه ان يحضر ذلك السماع المعلوم بهذه المفاسد بل يمنعه منعا مؤزرا ان فدر عليه بنفسه والا طلب المعين ان يعينه فيه من جماعة المسلمين ان لم يكن حاكم ان كان فيهم ايمان وان كان فيهم حاكم بلغ اليه الامر فيجب على من ولاه الله امور المسلمين ان يرفع(٤) ذلك بالسيف من كل وطن من اوطاننا لا سيما وطن عامر وبني دراج ووطننا اي بني ورثلان وكذا ما يصير في بجاية آخر رمضان ومسجد البلوط في بني يعلى وكذا محل الاولياء في كل مكان كفبر جدنا سيدي احمد الشريف وسيدي يحيى العيدلي وسيدي علي بن شداد وسيدي علي بن موسى وسيدي

---

(١) في نسخة التفطن — (٢) في اربع نسخ الاختيال — (٣) في ثلاث نسخ اختال — (٥) في نسخة يدفع

عبد الرحمان الثعالبي في الجزائر وسيدي سعيد السفري(١) في قسنطينة وجبل الثقوب في بني ورثلان وغيرهم .

نعم الذي ذكرناه انما هو في حق المخذول الذي لم يخف الله ونبذ وراء ظهره حجاب الهيبة ففعل ما بدا له والا فمن غلبه الحال والوارد والشوق من وطننا او غيره رجلا او امراة مع الرجال او النساء ام لا فلا كلام لي معه اذ هو مقهور وبحب الله مغلوب مضطر فحشاه ان امس جانبه او اشير اليه وكذا غيري ممن نبه عليه ممن ذم السماع وحرمه اذ مقصودهم ومقصودنا سد الذرائع وسد الباب على مثل المجوزين ذلك مطلقا لا سيما المفتونين المخذولين المتحيلين للوصول الى الاغراض الفاسدة او يعتقد من له توجه صدق ورغبة في الخير ان ما هم عليه هو الدين القويم والصراط المستقيم فيدخل في زمرتهم و يجعل نفسه منهم فان اصابه بعض الفتن والبلاء من الشغف بحب النساء ممن يحضر ذلك الموضع فيتشتت امره ويتكدر عليه وقته حتى يغلبه حال الشيطان فيقع في مهواة الضلال و ربما سقط من عين الله الا ان يتداركه الله بفضله بان لا يجد سبيلا(٢) لمراده اذ من العصمة ان لا تجد موقعا في فساد(٣) وندم على ذلك وانكسر قلبه من اجله فياخذ الله بيده لما علمه من قلبه فذل بسبب ذلك فتكون معصيته اولى من طاعة غيره لان المعصية مع الذل والاحتقار اولى من الطاعة مع العز والاستكبار لان المقصود من العبودية التذلل والخضوع والاحتقار فلما كانت المعصية بذلك صارت خيرا من الطاعة التي مع العلو والاستكبار .

اقول قال الشيخ زروق الولي ولي وان اتى حدا اي ما يستوجب الحد لانه ليس بمعصوم الا اذا اصر على ذلك فينتفي عنه الحكم بالولاية وبالجملة فالحذر مطلوب والسلامة في الفرار من تلك الجموع اولى والديانة في عدم زيارة النساء ولا حضور سماعهن واما السماع الخالي عنهن وعن الاحداث غير انه بذكر الغناء بالخدود والقدود مع الاصفياء

---

(١) في نسخة الصفراوي — (٢) في نسخة سببا — (٣) في نسخة مفاسد

والانتفاء ففيه الكلام بالاباحة وضدها لا سيما مع آلة اللهو فمنهم من رغب فيه لما يزيد ذا الشوق شوقا وذا المعرفة معرفة ومنهم من ذمه نظرا لما يقتضيه اللفظ من المعاني المعلومة شرعا(١) .

وبالجملة فالذي فيه الخلاف انما هو ما كان بآلة اللهو والغناء بالاشعار التي فيها ذكر الخدود والقدود وتسمية المحبوبة من النساء المرغوب فيها الفساد غير انه سالم من النساء التي يدعن من فتن واهله انقياء انقياء وليس لهم غرض الا سماع ما يدل على الحب والشوق هذا الذي فيه كلام مع اهل العلم فمنهم من يستدل على مدحه(٢) شرعا ومنهم من يستدل على ذمه(٣) كذلك واما اذا كان فيه النساء الاجانب التي فيهن الفتنة لا سيما مع الشبان فيحرم اتفاقا وفيه سخط الله قطعا الا اذا كان الحاضر له مغلوبا مقهورا بالوارد والحال فلا حكم في حقه اذ هو مكره غير انه لا يقتدى به في ذلك لانه مريض لما علمت من الفقه اذا تيمم المريض وان كان مالك او ابا حنيفة او الشافعي او احمد فلا ياتي الصحيح ويتيمم اقتداء بهؤلاء الائمة اذ هم مرضى وهو صحيح فالمغلوب لا حرج عليه دينا .

واما السماع الذي فيه الوعظ والذكر ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم فلا خلاف في ندبه ومطلوبيته واما للزهاد(٤) والعباد الذي فيه الخلاف فمباح لهم من غير شك فافهمه وهذا حاصل ما فيه كلامهم ولولا الاطالة لاتيت على كل قولة بدليل .

فاقول قال شيخ شيوخنا المذكور ما نصه وهذا كله مع شروطه المقررة وقد عدمت الان فتعرض لمتعاطيه عند تعاطيه تر ما ذكرت لك عيانا نسأل الله تعالى السلامة والعافية ويتعاطون ذلك بآلات ملهيات وكيفيات منكرات واما التصفيق وهز الرأس والرقص والتحرك فان كان بغلبة فالمغلوب معذور وان كان بغير غلبة وهو للايهام فهو حرام لما دخله

(١) في نسخة شرا — (٢) في نسخة منعه — (٣) في نسخة اباحته — (٤) في نسخة الزهاد

من الرياء والتصنع والتظاهر بما ليس له حقيقة عنده وان كان مع بيان الحال بحيث يعلم الحاضرون انه غير مغلوب وانما اراد اراحة نفسه فهو للباطل اقرب وليس من الحق في شيء ولذلك لما سئل بعض العلماء عمن يفعل ذلك ضحك حتى بدت انيابه ثم قال أمجانين هم واما الدفوف الطنابير والمزامير والمزاهر والطرور فكان الوالد يضرب فيها بالعصا والنعال ويجلي فيها وينفي متعاطيه ويغري عليهم ويبحث في نفيهم ويبالغ في زجرهم ولا يسكت عنهم بحال الا انه يخفف في رفع اصواتهم بالاذكار عند الاجتماع المجرد عن الزعقات والهاهات وضرب الاكف وغير ذلك من الالات وان طرأ شيء من ذلك سمعه بالغ في الزجر بل المرضي عنده ترك كل شيء من ذلك واختلاء المرء بسره والاخفاء لذكره وكان الفقراء ذات يوم مجتمعين بالزاوية على الكيفية التي ذكرنا انه يخففها ويسكت عنها وجلس وراءهم خفية عنهم وظفر به بعض اصحابه فقال له يا سيدي ما اجلسكّ هذا المجلس فقال اطلب الله في هؤلاء وادعو لهم وفي المباحث الاصلية

ولا يجوز عنده التكلم * ولا التلاهي لا ولا التبسم

قلت وان كان ولابد فمن اسلم الهيآت واحسنها وابعدها من الظنة(١) وذكر الامام الساحلي رضي الله عنه وهو ان الفقير اذا اشتغل بالارادة فحقه ان يقطع العلائق كلها وينبذ اللذات والراحات ويهجر المالوفات ويستعمل العزلة والخلوة وذلك امر شاق على النفس في الابتداء فانها شديدة الحنين الى ما تالفه من البطالة والانس بالخلق ويخشى عليها من هجم عليها بقطع جميع ذلك على الدوام ان تنفر فوجب ترويحها حينا بعد حين بالاجتماع ليكون ذلك استجماعا(٢) ولا يكون ذلك على الدوام لئلا ترجع الى طبعها من الالفة بل يكون ذلك بحسب الحاجة ثم يجب ان لا يكون الاجتماع بالبطالة وترك ما هو عليه فانه لابد من مواصلة الاوراد والدوام على العمل بلا فترة فلزم ان يكون

(١) في الرحلة الناصرية الضنة — (٢) وفيها ايضا استجماما

الاجتماع على الذكر الذي كان يستعمله المريد في خلوته بنفسه حتى كانه لم يخرج عن خلوته ولم ينتقل عن حالته غير ان ما كان يعمله وحده عمله مع اخوانه ليفيد النفس تانيسا بهم وصفة الاجتماع ان يعقدوا الميعاد ليوم معلوم فيحضرون ويجمعون من الطعام ما تيسر مع غاية البعد عن التكلف والرياء والتباهي الى ان قال وصفة الذكر ان يجلسوا حلقة ثم يرفعوا اصواتهم بذكر واحد من الاذكار التي عندهم كالهيللة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم خافضين رؤسهم غاضين ابصارهم على غاية الوقار والسكينة والخشوع من غير اضطراب ولا حركة الى ان تنزل على احد حالة غالبة تزعجه من غير اختيار وليس لاحد ان يتمنى نزول ذلك ولا ان يتعاطاه بل يستعيذ بالله من شر الوسواس والخواطر الشيطانية «واما السماع» بالاغاني وانشاد الاشعار فهو ادخل في الابتداع واحق بالنزاع وهو معشش الوساويس ومغرس التخليط والتلبيس الا من عصمه الله وقليل ما هم انظر تمامه انتهى.

«انعطاف» وقد ظعنا من الساحل ونزلنا قرب السبخة ثم بعد ذلك ظعنا بعد ملاقاة الافاضل وزيارة الشيخ الولي الكبير القطب الشهير سيدي عبد السلام كما تقدم لنا ونزلنا قرب مسراتة ثم بعد ذلك ارتحلنا ونزلنا ابعد من قبر(1) الشيخ الولي الصالح * البدر الواضح * ذي التصانيف المفيدة * والتآليف العديدة * ذي الترياق والدواء المجرب ابي العباس سيدي احمد زروق البرنسي ثم الفاسي فبعد نزولنا هنيئة توجهنا لزيارته والتبرك بضريحه قدس الله روحه فانه لا شك انه حي في قبره يستشعر ذلك من له ذوق سليم * وطبع مستقيم * فان الحواس الباطنية تشهد بذلك وتتخيل روحانية الداخل روحانية المزار وانها تتلاقى بغير حجاب في حضرة الشهود * في مرقى الصعود بتاييد الرب المعبود * وتستفيد النفس الزيارة من الروح المزارة من الامداد الالهية والانوار الصمدانية واللطائف الرحمانية والعلوم اللدنية ما كتب لها فتستعد بذلك للدخول في زمرة النبئين والصديقين *

(1) في نسخة ونزلنا قرب قبر

والشهداء والصالحين * فترجع ذات انوار واسرار تظهر بسبب المحقق العلامة المدقق العارف بالله قطب مغربنا * وشمس سرائرنا * وامام ائمتنا * وحضرة ودنا * وعروة اعتصامنا * ومحل اعتقادنا * شيخ الطريقة * وامام الحقيقة * سلطان العارفين * والمحققين * قوى الله فيه محبتنا * وحقق اليه نسبتنا * الشيخ المذكور فانه من قوم لا يشقى بهم جليسهم * ولاشك ان زائرهم * ومحبهم * وخديمهم * ومتشبثهم * هو منهم * فان هذا الولي قد ظهر امره في الآفاق * واشتهر سره في الاقطار والرفاق * وتقوى نوره في عصره الى زماننا هذا بل علمه واسراره قد عمت مشارق الارض ومغاربها فصار مغيثا ومعينا لكل من التجأ اليه نعم اليه يهرع المنكسرون على انه حصن للضعفاء والمساكين لانه ياخذ بيد الجميع ولم تر في الناس من رفيق * اولى منه في اصابة الحق وبيان الطريق * ولا ادخل في اتباعها بل احد في بيان البدع المضلة * ودسائس اللعين المعلة * حتى جمع بين الشريعة والحقيقة جمعا متواطئا فالملازم لتآليفه بصدق التوجه وخلوص الاعتقاد يشرح الله نوره للاسلام فحينئذ يكون على نور من ربه وبالجملة هو طبيب نبوي * وترياق رباني * يعلم ذلك من شمر ازاره لمطالعة احواله واسراره وتوجهاته وكلامه في سائر تآليفه لان تآليفه تكاد ان تكون معجزة اذ لا يقدرولا يستطيع احد ان ينقل كلامه ولا يسلمه الا من طبع على قلبه اذ هو لسان الحق وعين التحقيق فلم يبق لمن كانت بصيرته نافذة الا سلوك طريقه لتستنير سريرته وتعلو همته ويظهر امره عند الاكوان فيكون شمسا لها وغيثا لقلوبها ودواء لعللها فيرحم الله به امة ضعيفة ويسقي به قلوبا ضمآنة من لم يصبها وابل فطل ويغني اشخاصا فقيرة ويعز اناسا ذليلة ويجبر افئدة كسيرة(١) فان الشيخ المستمد منه بحر المعارف وسلطان العوارف اذ هو حجة الله في ارضه فمن يصل اليه ويستعن به يعن به(٢) على اموره الظاهرة والباطنة وينتصر على اعدائه وذلك مجرب عند العباد كلهم بل قد ارتفع صيته عند العامة والخاصة

---

١) في نسخة منكسرة — (٢) في نسخة باسقاط يعن به

بهوكعبة الزوار * وحرم الانوار * ومعدن الاسرار * جعله الله لنا ولذريتنا ولطلبتنا * وكل من تعلق بنا ذخرا بي دنيانا وذخرا يوم لا ينبع مال ولا بنون الا من اتى الله بفلب سليم .

وها انا اتوجه الى الله واسأله بجاهه وعلومه واتباعه ومحبته ان يشبي الله اسفامنا الظاهرة والباطنة بمنه وكرمه وان لا يجعل بي راينا ما يكون هلاكا بي ديننا ودنيانا وان يرزقنا بجاه سره ما بيه رضاه مع العابية التامة والنعمة الشاملة والمغبرة الواسعة والرحمة الفوية لنا ولمن تشبث بنا مع الغنى عن الناس والاياس مما بي ايديهم وحسن الخاتمة آمين يا رب العالمين .

افول فال شيخ شيوخنا سيدي احمد بن ناصر ما نصه لما كنا بروضة الشيخ حجة تسع وتسعين والب خطر لنا ما سبب سكنى هذا الامام الاعظم * والشيخ المكرم * بي هذه البلدة البعيدة عن المدن والحواضر بنطف اخونا بي الله سيدي عبد الله بن غلبون كانه مطلع على ما بي ضمائرنا والله عليم بذات الصدور بفال سئل الشيخ رضي الله عنه عن سكناه بهذه البلدة بفال اما ما ذكرت من استيطاننا بي هذه البلدة بامر خارج عن فياس النظر غير مصحوب بالجزم ولا معفود لشيء نعلمه بل اتبافي ظهر وجوده بلزم موجوده الى ما يفتضيه الحف .

وما انا بالباغي بسلمى(١) بديلة * بليلى ولكن للضرورة احكام

فلت ولعل بائدة استيطانه هذه البلدة والله اعلم استيناس الاركاب بزيارته واستمدادهم من معونته وتفويتهم على ما هم بصدده بمطالعة حضرته .

وفد شاع عند الحجاج ان من مر بفبره واودع الله عنده نبسه وماله لا يصيبه مكروه حتى يرجع ويبعلون ذلك اذا مروا به بي البر او حاذوه بي البحر بيجدون بركته ولا بدع بي ذلك ولا غرابة بان الله تعالى حبيظ لا يضيع ودائعه والاولياء ابواب الله بمن اودع الله شيئا عند باب من ابوابه كيب لا يحبظه بيه والله خير حبظا وهو ارحم الراحمين .

---

(١) بي الرحلة الناصرية سليمى بدل بسلمى

واطلعنا اصحابنا هنالك على نسخة من شرحه على الرسالة بخط يده الكريمة وعلى وصيته على اولاده لما حضرته الوفاة نفعنا الله به آمين .

﴿ فائدة ﴾ قال ابو سالم في رحلته وجدت ورقة فيها زمام تركة الشيخ وعدة اولاده ونسائه ومن خلفه من بعده وعدد متخلفه من كتبه وامتعته ولننقلها هنا بحروفها لما اشتملت عليه من الفوائد منها استفادة عدد اولاده واين استوطنوا بعده فاني لم اجد ذلك بعد الفحص الشديد عنه ومنها التاسي به في قلة ما خلفه من الدنيا مع كونه ذا اولاد ونساء في بلد يشق فيه العيش ولا يعوزه ما يخلفه لهم لو شاء لانتشار صيته وخدمة الدنيا واهلها له ومع ذلك لم يخلف منها الا ما ستراه .

ونصه بعد الافتتاح بعد ان توفي الى عفو الله الشيخ الفقيه العالم العلامة الصالح العارف المحقق القدوة المتبرك به ابو الفضل احمد بن الشيخ المقدس المرحوم ابي العباس بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق غفر الله له ولوالديه انحصر ارثه في زوجته امة الله الجليل ابنة احمد المكرم ابي العباس احمد بن الفقيه العدل ابي زكرياء الغلياني(1) المسراتي واولاده منها احمد ابي الفضل واحمد ابي الفتح وعائشة وزوجته فاطمة ابنة ابي عبد الله محمد الزلاعية الفاسية وولده منها الفقيه الشاب الطالب الاسعد ابي العباس احمد الاصغر وابنه الشيخ الفقيه القدوة المدرس ابي العباس احمد الاكبر لا غيرهم في علم شهوده .

ثم توفي احمد ابو الفتح المذكور وانحصر ارثه في والدته امة الجليل وشقيقه ابي الفضل وعائشة المذكورين واخيه لامه احمد بن الشيخ الفقيه الاجل الاسعد الصالح ابي علي منصور ابن احمد بن محمد البجائي لا غيرهم في علم شهوده .

ثم توفيت عائشة المذكورة وانحصر ارثها في امها أمة الجليل المذكورة وشقيقها ابي الفضل واخيها لامها احمد بن الشيخ منصور المذكور ثم توفي ابو الفضل المذكور وانحصر ارثه في

---

(1) كذا في الرحلة العياشية وفي الناصرية الغلباني وفي بعض النسخ الغلباني وفي اخرى بن علبان

والدته امة الجليل واخيه لامه احمد بن الشيخ منصور المذكورين واخويه لابيه احمد الاكبر واحمد الاصغر المذكورين لا غيرهم في علم شهوده وكان من مخلف الشيخ احمد المذكور نصف الفرس الشهباء كبيرة السن شركة بينه وبين الحاج عبد الله ابن عزازة التكيراني المسراتي بالنصف الثاني مع برنس ابيض وجبة صوف بزرّ مختم مع ثوب بالغزل وسبحة فقل كان اخذها الشيخ احمد المذكور من الشيخ سيدي احمد بن عقبة الحضرمي اليمني نفعنا الله به آمين مع اربعة عشر سفرا وكناش فمن الكتب في الفقه من مختصر ابن عرفة رحمه الله واسفار في الكبير مع حاشية الوانوغي والمشدالي على المدونة مع سفر فيه مختصر الشيخ خليل والشامل للشيخ بهرام رحمهما الله مع شرح ابن عسكر في الفقه للشيخ احمد المذكور الفه ومن غير الفقه الديباج المذهب في التعريف برجال المذهب لابن فرحون رحمه الله ومعه تاليف للشيخ احمد المذكور الفوائد في علم التصوف ومعه شيء من علم الطب مع سفر فيه فواعد الوانشريسي والمذكور شيء من علم الطب مع سفر فيه الزركشي والسبكي في اصول الفقه وبلوغ المرام لابن حجر والبلالي اختصار الاحياء مع سفر فيه شرح التفتازاني في اصول الدين والحكم لابن عطاء الله والمنهل الروي في علم الحديث وغيره مع سفر من ملتم[1] الحديث بخط الشيخ احمد المذكور وتاليف الشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي مع اجازة له وشيء من ابن حجر في علم اللغة رحمهم الله وسفر فيه تفسير القرآن وكناشه محتو على وظائفه وغير ذلك .

وقد كان استوطن الشيخ احمد الاكبر بعد موت ابيه ببلاد المغرب واستقر آخر ذلك بمدينة قسنطينة حرسها الله وارسل مراسيل للاتيان بالمخلف المذكور بخط يده وثبت منها بالعدالة حسبما بيانه كما أذن بان يوجه له ذلك مع من امكن وكان جميع ذلك تحت يد

---

(١) كذا في الرحلة الناصرية وفي بعض النسخ وفي نسخة باسقاط ملتم وفي الرحلة العياشية منصى منبها عليه بقوله يكتب هكذا مصحفا لانه اعتذر عن التصحيف اخيرا

الشيخ منصور المذكور وامتنع من ذلك لعدم الامن والامين حتى وصل الفقيه الطالب ابو العباس احمد الاصغر المذكور في عام تاريخه لمدينة طرابلس حرسها الله تعالى ولم يات بموجب يقتضي له قبض ذلك لاخيه فتوقف اصحاب الشيخ المذكور فطلب الشاب احمد المذكوران يعطى ذلك في زمامه يطلب نصيبه ونصيب والدته فاطمة المذكورة لكونه وارثها ونصيب اخيه احمد الاكبر المذكور فوافقوه على ذلك بعد ثبوت الاذن المذكور بان يعطى ذلك لاخيه حضر الى شهيديه الفقيه احمد المذكور الاصغر نائبا عن نفسه وعن احمد الاكبر واشهد انه قبض جميع المخلف المذكور عدا نصف الفرس فانه قبض ثمن ذلك وهو ثمانية دنانير ذهبا منجزة(١) من الشيخ منصور المذكور قبضا تاما وابراه بتاريخ اوائل ذي الحجة الحرام متم عام ثلاثة عشر وتسعمائة انتهى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله نقلت الرسم المذكور بحروفه من غير زيادة ولا نقصان مع وجود بعض التصحيف به ولم اغير شيئا بل تركته كما وجدته ولم اكتب من الرسم الاصلي بل من رسم نقل منه والله اعلم انتهى .

﴿ لطيفة ﴾ اقول في مدحه والاستغاثة به لتزول عنا حجب الغفلة وكدرات النفس وغطاء البشريات ولعلي ارقى الى مراتب التجليات واشرب من عين اليقين واتحلى بحلية المعارف ولذلك قلت وعلى الله اعتمدت(٢)

الا ايها القطب الهمام تعلقت * مجامع قلبي(٣) بالسعيد المنور
شغفت بحبه لانه مذ بدا * يقوم باوراد ويسعى باجدر(٤)
فقد دنفت نفسي باوصاف ما به * تحلى امامنا من كل مصور
من الذي ابدع الاله في رسمه * من احسن زينة واحلى تذكر

---

(١) كذا في جميع النسخ وفي الرحلتين مشحرّة — (٢) ﴿ تنبيه ﴾ يوجد في هذه القصيدة خلل كثير تعذر اصلاحه — (٣) في نسخة نحو الجسم — (٤) في نسخة بأسطر

وطبعه فد اسبى(١) من الناس ابكارا * ولبظه فد اعمى بصائر بالسحر
ولكنه سحر من الحق فد اتى * ليجذب اقواما تأيّدوا(٢) بالنصر
على عدو لسنا نراه تحققا * وانما يختبي ليفطع بالبكر(٣)
بصده فد بدا عن كل كريمة(٤) * ولعنته حق من الله للغدر
ومكره بيّنٌ لكل من الملا * وغايته العصيان منهم الى الكبر
ونبسنا فد جرت علينا بوصبها * واخمدت انوارا لبعدها عن ذكر
بصحت بي نجوى الضلال(٥) زايئة * عن الحق والتحقيق بل هي بالنكر
باودعت سموما بليس لنا تخبى(٦) * وفد مزجت بكل حلو مع الضر
وبي كل رتبة تلوح ببكرها * وانها تثبط العباد عن الظبر
وكيدها قوي وليس له دواء * الا عصمة من الله لي بالنصر
ودنياك عدو لترمي بحبلها(٧) * بسجن من الهوى وقيد من الكبر
وكل خطيئة بحبها يابتى * وانها تضليل وصد عن البر
وانها لعنة من الحق بالفلا * ومن حيث انها تصد عن الشكر
بيشكر ذو نعمى بخدمة ربها * وصروب من اجلها ليلحق بالظبر
والا بكبران من المولى ظاهر * وليس لها قيد يحدها بالجبر
واكبر اعداء من الناس يا هذا * عداوة حساد مليمة بالضر
بانه لن يرضى(٨) من الله بشيء * سوا نعمة تزول بالكشط بالظبر
عداوة انسان تصد عن الهدى * وليس لها دوآ الا الطب بالصبر
بهذه اعداء لانسان فد رمي * بسهم من النوى وفطع عن الذكر

(١) بي نسخة ابلى — (٢) بي اربع نسخ تؤيد — (٣) بي نسخة وانما يخبى ليفطع بالكبر — (٤) كذا بي اربع نسخ وبي نسخة بفد بدا فصده عن كل كريهة — (٥) بي نسخة باصبحت بي بحر الظلام — (٦) بي نسخة بليس منا تخبى — (٧) بي نسخة بحبها — (٨) بي نسخة لم يرض

فصرت اسيرا للشفاوة والهوى * فمنعت اثوابا من التفى بالضجر
ولست امورا من العلى بالدعوى(١) * وزعم ليس له من الكف ما يبري
ولاشك انه من الداء معضل * ويمنع اذوافا من الله للسر(٢)
ويحجب ارواحا عن كل رائفة * ويسري الى العمى عن الكف في السير(٣)
فليس له فتح ما دام بزعمه * وليس له نور ما دام بذا السكر
ولا انت تعتبر حلاوة كلمة * فانها عند الله ادهى من الصبر
فمدع كذبا من الله لا يرى * في دهره احوالا تحى من النور
وان كان وافعا بمكر نزل به * وحسبه(٤) من افك وعلة في الصدر
ومكر به اجل(٥) ووصمة بالهوى * فافوى في فطعه من الفطع للظهر
فدعوة كاذب(٦) تسد لابواب * من الفتح من الله وفتمه بالعسر
فاوفاته مفت وفطع لوصله * ونوره ظلمة وصفوه بالكدر
ووصفه عجب وسمعة وريا(٧) * وكبر وبغض ثم حفد مع المكر
و بخل وجبن ثم افباح خلف * وسوء بظن في العموم من الغير
وشك في رزفه وما به فد فضى * من السعد والشفا وفدر من العمر
وضدها امال وطول في حضه * يعلل بسوف طول عمر من الدهر(٨)
فطبه تفويض لما به فد فضى * وحفه تسليم لربه بالفدر
سعادة لامرئ وضدها يا اخي(٩) * عند اختتام الاعمال بالموت بالفهر
وكلها علل واسفام للفتى * وفاتلها سم واسرع من سفر
وكلها آفة ونفمة ابدا * تنافي رضى المولى وتوذيك في الفبر

(١) في نسخة لبست من العلى امورا فيها دعوى — (٢) في نسخة بالسر — (٣) في نسخة اليسر — (٤) في ثلاث نسخ وحفه — (٥) في نسخة ومكر نزل به — (٦) في ثلاث نسخ كاذبة — (٧) في نسخة ووصفه فيه رياء وسمعة — (٨) في نسخة يعلل بسوف وصول من الدهر — (٩) في نسخة سعادة المرء ضدها يا اخي اتى

وزد لها امراضا من الدنيا(١) تعتبر * امورا وعلة مع(٢) الذل والفقر
وهتك لاعراض من الناس مع اذى * لنفس ومال فهو ابلغ للضر
ونفص لحق يستحقه ذو العلا * بعلم وقدر لا يعاين بالنكر
وموته احلى من حياته في الورى * لرافع مثله يعامل للخير(٣)
وعامله رفع وليس بخافض * فجره عصره بلا عامل الجر
فحزنه دائم وعلته بدت * فصبر جميل حتى يرفع بالنصر
فعلة كسره بلاسبب ترى * وتكن لا لتقاء الساكنين بالضر(٤)
فهذه ثلمة وليس يسدها * الا عالم قد فاز في الكون بالظفر
فانه ترياق لكل من البلا * وطبه نبوي فيبري من الضر(٥)
فلاغرو ان نزلت ثم برحبه * يكون لك طبا لامراض في السر(٦)
ويمنحكم عزا في ذلك بالهوان(٧) * ويبدلكم يسرا في ازمنة العسر
ويغني اقواما بفتح من المولى * ويكسي عريانا باجمل من ستر(٨)
ويظهر خاملا باعظم سطوة * ويجبر مكسورا في وقت من الدهر
ويرفع مخفوضا ويروي من السما * وامواج نفعه اجل من البحر(٩)
فانوار بحره تحق باهلها * واسرار علمه تعد من النهر
فانواره تبدو في كل من الفنون * واضواء شمسه تعالت عن البدر(١٠)
فهو ابو السراج في سماء العلا * وليس معه نجم يلوح الى قطر(١١)
فانه ضيغم لكل من العدا * فمن رآه(١٢) حقا فيخضع بالصدر

---

(١) في نسخة وزد لها امر طالب دنيا — (٢) في نسخة امورا صعابا مسكن — (٣) في نسختين بعامل للجر — (٤) هذا البيت ساقط من بعض النسخ — (٥) في نسخة وطبه نبي يبدي سقما من الضر — (٦) في نسخة فأيقن ان نزلت تمس برحبه * يكون طب الامراض في السر والجهر — (٧) في نسخة ويمنحك عزا في ذلكم الهوان — (٨) في نسخة ويكسي العريان ثوب اجمل من ستر — (٩) في نسخة بامواج نفع هي اجل من البحر — (١٠) في نسختين الحر — (١١) في ثلاث نسخ يلوح بانوار — (١٢) في نسخة يراه

فميـن بعلمـه وليـس بعـارض * يعارض اصلـه وفرعـه بالنكـر
وقد اطبـق كل بصحـة نقلـه * فليس له نقض لما صح من خبـر
فوده قد بـدا يعظم في الـورى * يوده(١) سيد مع اسمه في الذكر
فانه بقـدر يبيـن فـي المـلا(٢) * وليست عبارة توفي بذي الفخر
فكل طنين المدح اعلى واكملن * في علم عالم الكل في السر والجهر(٣)
فانه نبراس من الله في الـورى * و يـزداد شوقنـا لعلمـه بالذكـر
ومذ رمى(٤) وصله الى الهدى طائعا * فهو دليـل ليس ينقـض بالغيـر
وكم من ضعيف قد اذاق بحبـه * وقلبه عرش للتجلي من السـر
فكل مـن انتمى اليـه فيرتقـي * و يسعـى لحضـرة مؤيدا بالنـور
فيشهد امورا تغيب عـن الفتى * في ايام غفلـة وذلـك بالفقـر
و يشرب من عين اليقيـن بعلمـه * وسطوة حبه مع الجد بالفكـر
فيسكر من ذوق الحقيقـة معلنـا * و يفهم اسرارا في حاله بالسكر
و يدعى بين الورى عزيزا مكرما * بالحاظ شيخنا المعظم في القـدر
و يجلى بانوار من العلم في العلا * و يحظى باسرار تعز عن النشـر
فيسري بروحه الى سمـاء السنـا * فما ينطق اذا(٥) عن الهوى بالضر
فليس لنا سعد الا الليث في الورى * وليس لنا جـاه الا سيـد النصـر
وقد شنف سمعي لذكره في الملا * واضناني حبه في جسمي مع الصدر
وحركني ذكـر الاغانـي لحضـرة * يجول فيها المسكين من غير ما زجر
ورؤيـة علمـه تـذوق ارواحنـا * وتذكر بالعهد القديم من الظهر(٦)

---

(١) في نسخة فمن حين قد بدا يعظم في الورى * يقارن — (٢) في نسختين ففي الملاء بين نجم بقـدره — (٣) في علم للكل في السـر والجهر — (٤) في نسخـة رمت — ٥) في نسخة ايضا — (٦) في نسختين الظهر

وذلـك في يوم الست بربكـم * ولم تنكر ابدا لعقدهـا المنتشـر
فانه انسان من الجسم في الهوى * فلا حجب تبدو من القفص بالسر
فانه استار من الجسم مـع هـوى * وان هوان المرء من ذاك بالستـر
الا ايها الانسـان فاسأل بجاهـه * و بالذي قد علاه في كل مضمـر
وعزه في الـورى بكل ما قد ترى * وعظمـه المولى بكـل مسير(١)
وقد اسمع صم القلوب بذكـره * وابصـر اعينـا بحكـم المنـور
وانطق افواها بذكـر حبيبنـا * فما هو في السنا باحسن مفخر(٢)
وحـرك ارجلا لازخر روضـة(٣) * وفيهن اعظم الخليفـة في القـدر
على انه حـي يمتـع بالرؤيـا(٤) * و يطعم بطعم الجنان مع الفكر
وكـل موجـه لقبـره يا فتـى * يراه بعينـه عيانـا بـلا خـدر(٥)
فحق لنا بالشكر من حيث اننـا * وقفنا بروضة الخليل بذا البحر(٦)
وفضله في الورى يعمنا كلنـا * ويحيي اموات القلوب من الذكر
طريقتـه تعلـو عـلى كل رتبـة * وانـوار سـره تعـد من الجهـر
وها انا عبدكم فريع لبابكـم * ليحظى بعزكم ويصحو من السكر
وقد اسكرتني المعاصي من الشفا * وخلفني ذنبي عن الفوز بالظفـر
واني ذو لـؤم سفيـه بين الورى * واني محجوب في ضرب من العمر
عساكم ترحموا عبيدكـم قد اسـا * تحوله(٧) منكـم لضعفه كالسفـر
واني خديكمم بما عله يكـن(٨) * محرككم للجبر منا من الكسـر
ولحظكم عـز ومنحكم رفـعة * وجودكم جم فيغني من الفقر

(١) في ثلاث نسخ ماسر — (٢) في نسخة من فخر — (٣) في نسخة ومركز اجلالا لافخر روضة — (٤) في نسخة بالنظر — (٥) في نسخة بلا خزر — (٦) في نسخة الخليل بـذا الخبر — (٧) في نسخة نحوله — (٨) في نسخة بما عنه يكتنى

ولست اعني به الا الذي فد علا * وهو الذي يدعى بالزروف في النشر
وفد سألت رضى الكريم بجاهه * وتوفيفي للهدى وحظا من النصر
وسترا من المولى مع الجد في العمل * ورزفنا موسعا مفارنا بالستر
وسعدا من المولى في كل مهمة * ومغفرة لنا مع البرء في الصدر
وخاتمة حسنى وازكى عافية * ولطفا جميلا في اخترام وفي الفبر
وكونه في الدنيا يناسب حالنا * ويرفع فدرنا عن كل محذر(١)
وهب لنا ربنا بعلم مع التفى * لكل نجل لنا وطالب مضطر
ويا ربنا احفظنا من كل بلية * من الدين والدنيا وخلق من الشر(٢)
ويا ربنا سلم وصل على الذي * برحمته اهدى الخليفة بالامر
وصل على ءال وصحبه اجمعا(٣) * في مدة مرور الجديدين في الدهر

افول مدحت الشيخ زروف بهذه الفصيدة ولعل الله ان يكسوني بكسوة المعارف وان يحليني بما حلى به اولياءه المفربين ويذيفني ذوف العارفين بالله تعالى وان تكون لنا حجابا وبراءة من نار الافتراق ونار الاحتراق وان يورثنا بها سعادة الداريـن ولكل من تعلق بنا مع النظر الى وجهه الكريم آمين يا رب العالمين .

﴿ لطيفة ﴾ فائدة استفرار الشيخ في هذه البلدة وهي بلدة مسراتة اذ هي ليست من الامصار ومع ذلك ان الاكابر يختارون سكنى الامصار للتذكر والاعتبار فلت وفي المدن من الخيرات الدنيوية والاخروية ما لا يحصى فانها محل العلم واهله وانها ايضا مواطن الزيارة لما فيها من فبور الصالحين والمؤلفين لا سيما افريفية ومصر وبغداد ودمشق والبصرة والكوفة وغيرها من مدن المشرف وكذا مراكش في المغرب وفاس وارض الجدار

(١) في نسخة محظر — (٢) في نسختين خلو — (٣) في نسخة وعلى ءاله وصحبه كلهم اجمعا وفي اخرى كذا الآل والاصحاب طرا باجمع

تسلمان لان فيها ابا مدين الغوث والشيخ السنوسي والامام ابن زكري والامام ابن مرزوق والعقبانيين وغيرهم وكذا بجاية لانها من اعظم المدن وفيها ابو زكرياء يحيى الزواوي والشيخ عبد الحق الاشبيلي صاحب العاقبة وابو حامد الصغير صاحب التذكرة وهو ابو علي المسيلي والشيخ عبد الحق بن ابي ربيعة والشيخ الوغليسي والشيخ الصباغ والشيخ العملي(١) وغيرهم وهؤلاء كلهم مؤلفون الا القليل وان الدعاء مقبول عندهم وقد زرنا جميعهم والحمد لله .

وبجاية كانت من المدن المعتبرة وان الاسكندرية كانت من عمالتها وكذا المغرب وان عساكرها قد احرقوا باب فاس والى الان يسمى باب المحروق وقد اوردها بعض بالتأليف ومن اراد العجب العجاب فليطالع نبذة المحتاجة في ملوك صنهاجة .

انعطاف الى ما كنا بصدده فلما استقررنا بوطن مسراتة واقمنا فيه يومين انتظارا لبعض الحجاج من الاشراف اعني صهر اخينا في الله سيدي محمد الشريف النوفلي المذكور البلغيثي والحاج احمد السعداوي وان اهل مسراتة اقبلوا علينا بالزيارة والكبير والصغير لقوة اعتقادهم فينا اصلح الله حال الجميع ورزقهم الخصب والرخاء بمنة العليم السميع وقد كثر فيهم محب الخير ومن فيه سيمة الصلاح من كل صنف منهم من الطلبة والفقراء والعامة واولاد الاتراك .

حاصله بلدة طيبة ورب غفور وقد ظهر عليهم جاه الشيخ زروق اذا عنايته ظاهرة على من زاره وعبر عنه فضلا عن جيرانه وقد شهدنا بركته معنا وانه من الذين يتصرفون بالخير لدينا وما مررنا عليه الى الحج واصابنا شيء الا فرج في الحين وقد وقعت في ايدي الحرامية اي المحاربين من العرب وتمكنوا من هلاكي فنجاني الله منهم بجاهه وجاه امثاله اذ محبتي فيه قوية ومددي منه عظيم وقد وجدته من نفسي وقد قلت في بعض الاسفار فيه .

---

(١) في نسخة العلمي

فيا لهـا من بشـرة تعـوق ❊ لكوننا استودعنـا الـزروق

ومن العلامات الظاهـرة والكرامات الباهرة ان اهل وطنه اقبلوا علينـا وظهـرت محبتهم لدينا وانهم اكرمونا غاية الاكرام بالارزاق الحسية والمعنويـة والمعتبر الثاني فل بفضـل الله وبرحمته فبذلـك فليفرحوا وهو خير لهم مما يجمعـون هذا وان ارض الشيـخ منورة به يشهد ذلـك من له ذوق سليم وطبع مستقيم .

ثم ظعنا منه اواخر شعبان عام التاريخ وهو عام تسعة وسبعين ومائة والف(١١٧٩)(١) وودعنا من فيها من الاحباب من صلاة الصبح الى قرب الضحى فمنهم من رجع بالتوديع ومنهم من سار معنا مدة لغلبة سلطان المحبـة في قلبه وهذا كله بعد ان ودع اصحابنا وقضوا حوائجهـم التي اشتغلوا عليها وكذا الاجمـال الضعيفة عند احبابنا في الله تعالى من مسراتة وان اهل الركب ايضا رفعوا الماء من سيدي احمد زروق الى معطن الزعفران خمسة ايام ولا ماء في هذه المدة الا ما لا يصلح للشراب لمرورته وملوحته .

ثم مررنا صبيحة ذلـك اليوم بالشيخ الولي ابي شعيفة(٢) في جماعة من الفضلاء وشيخ الركـب وصلينا الضحى عنده وقبره على شاطيء البحر وقد ذكر شيخ شيوخنـا سيـدي احمد بن ناصر انه اجتمع مع الافاضل في وطن الشيخ زروق وسماهم .

﴿ تـتـمـــة ﴾ وقد ذكر شيخ شيوخنـا سيدي احمد بن ناصر ايضا ما نصه خذوا ماء خمسة ايام الى مورد الزعفران اذ ليس بينكم وبينه من الماء الا ماء العريعر على نصف ميل وقل ما يمر به الركب وبالقرب منه ماء يسمى بالسميرة وهو قليل آجن وبعده بيوم ونصـف ماء الهائشـة وهو اقبح ماء لا يشربه الا من اضطـر اليه وبعده بيوم بئر حسّـان وقل ان يوجد فيها ماء ومن هنا يستقبل الحاج مسافة برقة العريضة الطـول والعرض ولا ترى العمـارة من قصر احمد الى الاسكندرية الا ان يلقى الناس احياء من العرب الى ان قال وبازاء روضـة

(١) في نسخة عام ١١٩٩ — (٢) في نسخة شفيفة

ابي شعيبة المذكور مزارة في مغارة بساحل البحر يتعبد بها الصالحون لا يكاد يطلع عليها احد الا من عرفها لانها صغيرة مستقبلة البحر يغلب على الجالس بها الحضور اذ لا يرى الا البحر ولا يسمع الا تسبيحه وتحميده لربه وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم لغفلتكم عنه ومن امتزج تعظيم الحق وتسبيحه بلحمه ودمه وانس بذلك سمع تسبيح كل شيء اما بحالة او بمقالة وفي الفتوحات المكية للامام الاكبر والعقلاء من الانس اصحاب الافكار من اهل النظر والادلة المقصورة على الحواس والضرورات والبديهات يقولون لابد ان يكون المكلف عاقلا بحيث يفهم ما يخاطب به وقد صدقوا وكذلك الامر عندنا العالم كله عاقل حي ناطق من جهة الكشف بخرق العادة التي هم الناس عليها اعني حصول العلم بهذا عندنا غير انهم قالوا هذا جماد لا يعقل ووقفوا عند ما اعطاهم بصرهم والامر عندنا بخلاف ذلك فاذا جاء عن نبي ان حجرا كلمه وكتف شاة وجذع نخلة وبهيمة يقولون خلق الله فيه الحياة والعلم في ذلك الوقت والامر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة في جميع العالم وان كل من يسمع المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم هذا عن كشف عندنا لا عن استنباط من فكر بما يقتضيه من ظاهر خبر ولا غير ذلك ومن اراد ان يقف عليه فليلزم طريقة الرجال وليلزم الخلوة والذكر فان الله سيطلعه على ذلك كله عينا فيعلم ان الناس في عماية عن ادراك هذه الحقائق انتهى كلامه

قال الشعراني في لواقح الانوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية بعد ما تقدم وقد وقع لي ذلك سنة تسع (١) وعشرين وتسعمائة فسمعت تسبيح الجمادات والحيوانات كلها في سائر اقطار الارض وذلك في صلاة المغرب واستمر ذلك الى آخر الليل حتى خفت على عقلي وسالت الله الحجاب عن سماع ذلك فحجبه عني رحمة بي وابقى

(١) في الرحلة الناصرية سبع

علي علم ذلك وكان من جملة ما سمعت من تسبيح الحيوانات في البحر المحيط سبحان الله خالق الارزاق والافوات والنبتات والحيوانات انتهى كلامه .

فال الشيخ ابو سالم وفد اخبرني سيدي ابو تركية مفتتح هذه المغارة رجل من العباد اسمه سيدي فرج وهو الان بالجزائر وكانت فبل ذلك مغلفة لا علم لاحد بها انتهى .

فلت الى ان فال وانما زرنا ابا شعيبة على تل مرتفع على ساحل البحر ثم استفبلنا المغارة وتوسلنا الى الله تعالى بمن يأوي اليها من العباد والزهاد واعتمدنا على تلك الافطاب والابدال انتهى .

فلت ولما زرنا ابا شعيبة ومن معه رأينا سفينة مرساة بالبحر ذهب محبنا في الله سيدي محمد بن فسوم من اصحاب المخزن غير انه يحب الخير واهله وكان محبنا وينتسب الينا وهو رجل ذاكر متمسك باهل السنة(١) وفد حج بعياله واولاده جميعا ذهب الى تلك السفينة فلما رجع الينا ولحق بنا في الطريق طفق يخبرنا على ما شاهده من امر المغارة اذ تعجب من امرها وما شاهد من تجليات الحق فيها كانه اصابته هيبة وجلال حين رآها كاد ان لا يملك نفسه ونحن لا نعرفها ولذا استخفينا بامرها ولا لبحثنا عنها(٢) عند الرجوع نعم من عادتي اذا دخلت وطنا او زرت مفبرة او صالحا نويت من كان في ذلك الوطن من الصالحين واهل الخير جميعا سواء كان حيا او ميتا ظاهرا او خفيا ذكرا او انثى من اول عمارة ذلك المحل الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وفد كان سيدي احمد بن ناصر حين رجع مع اصحابه ذهبوا الى تلك المغارة فلم يجدوها لعدم من يخبرهم بها من اهل البلد فيزوروها والشيخ من بعد هذا وانا ركبنا من الشيخ ابي شعيبة وذهبنا على ساحل البحر مع فضلاء الركب والحمد لله من حين خرجنا من بلدنا لا وصلاة الجماعة لم تفتنا في كل الاوفات ليلا ونهارا تفبل الله من جميعنا ذلك بمنه وكرمه آمين .

---

(١) في نسخة النسبة — (٢) في نسخة باسفاط ولبحثنا عنها

ونزلنا ابا كدية فبالة تورغا وهي بلدة عظيمة كثيرة النخل جدا وتمره احسن من تمرها وطن طرابلس كلها وفي هذا الموضع ماء فبيح لا يشرب وان اباكدية هذا معلوم خبث مائه (١) وتورغا هذه بلدة عظيمة كثيرة النخل .

فال سيدي احمدبن ناصر ما نصه تورغا وهي بلدة منفطعة اول برفة وفيها نخيل كثير وتمرها اطيب من تمر غيرها من بلاد الساحل واجود منه وان كان على وصفه من عدم اذخاره الا بازالة النوى وطيبه والله اعلم لبعده شيئا ما عن البحر ورطوبته ودخوله فليلا الى الصحراء حيث تكاد اليبوسة تستولي على ابدان الحيوانات فضلا عن النبات فاله الشيخ ابو سالم في رحلته .

وماء هذه البلدة غزير في وسط السبخة وهم ساكنون في الاخصاص ولا يبنون بالطين الا مواضع الخزين يبنونها بالطين والاحجار يحفرون عليها فيستخرجونها بتحت الارض وهي احجار سود وبناؤهم لا يكاد ينهدم وهي واسعة جدا لا يفدر الانسان ان يحيط بها في يوم واحد وعينهم غزيرة تسع الف سافية فيما ذكروا ولا يحرثون حرثا ولا يغرسون غرسا الا النخل فقط وخراجهم للاتراك كل عام ثلاثمائة وصيف وخمسة الاف ريال وهذا العدد الاخير احدثوه ولم يكن فبل عليهم وهي الى الخراب افرب للعداوة المغراة بينهم لا تخلو من فتنة وفت الخريف مع تداول الاتراك والاعراب عليهم انتهى الى ان فال فال سيدي العياشي وهي سبخة مستطيلة وعلى جوانبها بناء وفصور خالية وفيها نخل متفرق فكانه رؤس الشياطين لاترى اوحش منه ولا اثفل طلعة على الحاج في ذهابه لا سيما المعاود لما يستشعر بعده من المهامه والمفاوز والمعاطش التي يحار فيها الدليل كما لا آنس منه ولا ابهى منه في منظر الآئب اي الراجع من الحج لدلالته على انفضاء المفازة وفرب العمارة ونخيله آخر نخيل يراه الذاهب واول ما يراه الراجع فال وبآخر الهائشة واد من الملح يجري الماء على ارض من الملح فلا الماء يجمد ملحا ولا الملح يذوب ماء واظن ذلك لفوة ملوحة الماء ونداوة الملح (٢) انتهى كلامه .

---

(١) في نسخة لا يشرب معلوم خبثه — (٢) كذا في جميع النسخ وفي الرحلتين العياشية والناصرية المحل وهو اصوب

اقول وظعنا من ابي كدية ومررنـا على العوينات وماؤها كثير ومع كثرته متغير غير ان فيه ملوحة اذ لا تستطيع الدواب شربه الا واحدا او اثنين من اطرافهـا من جهة تورغـا فماؤه طيب اذ اهل البلد اخبرونا به وايضا سيـدي محمد الشريف صاحبنا يرصده فسقينـا منـه الدواب وكذا رفع منه من خصه الماء للزاد وما احسسنـا بحر الشمس الا في هذه السبخـة المذكورة اذ سافرنا بها زمان الشتاء وان الابل ايضا قد بقي منها كثير لانها عطبت من حمل الاثقال العظيمة من مدينة بسكرة الى طرابلس وانما خفف الركب من الاحمال ببعثها في السفينة الى الاسكندرية ثم الى مصر غير انها اضناها ذلك الثقل ايضا وانها جاعت ايضا في اقامة الركب في طرابلس لقلة عيشها وبعد ذلك وبعد تلك المرحلة والمرحلتين بقي جمل للاخ في الله الفاضل الفقيه سيدي محمد نجل الفقيه الشيخ سيدي احمد بن المبارك وتركه في الطريق الى المبيت فلما اخبرني بذلك اخبرت سيدي محمد الشريف فبعثنا اليه رجلا بدويا من عرب ذلك الوطن اعطيناه له بالنصف فلما رجعنا استخبرنـا عنه فقالوا اتى به واعطـاه الى بعض احبابنا من مسراتة ثم ان المكرم محب الصالحين آغة اعطى ناقة للفاضل الفقيه اخيه سيدي عبد الكريم لوجوهنا رغبة في دعاء الخيـر منا وهو يتولى ذلك الجمـل وفقه الله وستره وجعل البركة في اولاده بفضله ورحمته .

وبعد السبخة بئر حسّان اقول فيه ما قال شيخ شيوخنا سيـدي احمد بن ناصر بئر حسان بئر(١) منقور في حجر تجتمع فيه مياه المطر واذا فرغ المجتمع فيه بقي محله يرشح بماء قليل يجم في قعره يبل به الضمآن فمه وبازاء هذا الماجل قرى خاليـة لم يبق الا رسومها تسمى فيما مضى قرى حسان اضافة الى بانيها وكان عاملا لبني امية لما نقض اهل افريقية العهد في آخر خلافة بني مروان بنى هنـالك قصورا واقام فيها نحوا من ثلاث سنين حتى افتتحهـا بعد ذلـك حسبمـا ذكر من ارخ فتوح افريقية وسمي المكان باسمـه الى الان وقد تقدمـت

(١) في الرحلة الناصرية ماجل — (٢) في الرسالة الناصرية قصور وهو الاصوب

اشارة الى شيء من ذلك اقول وبازاء هذه الطريق بئر مطـراو(١) وقد اسقينا خيلنا منه في الرجعة انا وسيدي محمد الشريف وصهره الشريـف من مسراتة وسيدي احمد بن حمـود وغيرهم وماؤه طيب غير انه واحد ومع وحدته لا يكفي الركب وليس لقلة مائه وانما هو لكثـرة الازدحام والتشاجر .

وبعد ذلك نزلنا الزعفران فوجدنا فيه الخصب العظيم ما رأيناه قط وانوار النبات تغشي الناظر فلما نزلنـا به ورأينا ذلك اطمانت قلوب الحجـاج لان رؤية الخضر والبحـر والوجه الحسن تزيل الهم والغم والاحزان وماؤه اطيـب المياه واحسنهـا وهو ابيض كاللبن لكونه في رمل صاف ما علمت ماء في برقة كهو في جملة ابارها .

وظعنا منه فلما وصلنا وقت الضحى مررنا على معطن الاحمر ووجدنـا فيه عربا كثيرا وهم عرب عبد الهادي وسيف النصر وهما عرفاؤهم وشيوخهم وهما قد اصطلحا بعد العداوة البينة وطلبوا منا النزول للتسوق فامتنع(٢) الحجاج استعجالا وفي ذلك الموضع تلاقينا مع الركب الفاسي والفيـلالي مغربين ووقفنـا مع اميرهما ساعة زمانية استخبـارا عن مصر وارض الحجـاز وانهم طلبوا منا النزول والمبيت جميعا لقضاء كل ما اراد غير ان ركبنا لما راى العرب نازلين هابوا منهم وجدوا في السير حتى فاتوا ولم يمكنـا النزول فلما مكثنا معهم حينـا افترق الكل على اسعد حال واتمه وبقي سيـدي محمد الشريف واصحابه يطلـب شراء الابل اذ جماله ضعيفة فتاخر من غير علم منا ثم بعد قضاء حاجته جاء وراءنا ولم يلحـق بنا الا بعد النزول .

هذا وان شيخ شيوخنا سيدي احمد بن ناصر قال وفي قرب الزعفران رأينا سانية غزيرة الماء الا ان ماءها ليس بذلـك فسقى الناس ابلهم ودوابهم وملئـوا اسقينهم وهي اول عمالة سرت واكتفى الناس بما ملئـوا منها عن ماء الزعفران لضيق الوقت وحيدودته عن الطريق لناحية البحر وهي احساء في ساحل البحر ماؤهـا طيب وعليها كثبان من رمل احمر تظهر من

(١) في نسختين مطراق ـــ (٢) في نسخة في امتنعة

بعيد ومن وراء الكثبان من ناحية البر قصور سرت تخزن فيها الاعراب ميرتها اي ارزافها وهي الان خالية لا عمارة بها .

وبلاد سرت هذه من اخصب البلاد وامراها أي اكثر ارزافها ذات مزارع كثيرة بالبعل اي بلا سقي وانما تسقى بالمطر وعربها اهل رفاهية الا ان الجور اجلاهم من بلادهم وشتتت شملهم ولا يكاد امرهم ينتظم ولهم جدار وعفار كثيرة بساحل احمد ثم قصير الذبان بعد المغرب انتهى .

ثم ظعنا ونزلنا النعيم وماؤه حلو طيب احلى ما يذاق وارضه طيبة غير ان الظلم اخلى هذه المواطن لقوله صلى الله عليه وسلم لم يكن شيء اسرع بصاحبه كالظلم ولقوله عز وجل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا الاية .

وبعد النعيم مفازة عظيمة يعسر امرها على الحجاج لا سيما زمان الحر فان الشّوب قل من يسلم منه الناس اذ مقطع الكبريت صراط الدنيا لقلة مائه ومرورته على تقدير وجوده والماشي فيها يستوحش من تغير لون السماء اكثر من اغبرار الارض ومع هذا فهو اخفض(١) المفازات وابعدها من تغير الهواء وانما ينجو منها الانسان بفضل الله وكثرة التزود من ماء النعيم الى معطن المنعم نعم سر الله مع وفده والا فبضاعة الانسان لا تستطيع المفاوز والمعاطب(٢) والله يقول ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ولو لا فضل الله ما سلم في مثلها احد من المارين بها فان الماشي بها كان الشمس نازلة اليه ومتوجهة لديه فلا يكاد الانسان يعبر عما ادركه من ذلك ولا يعرف مقدار ما يصيبه الا من ذاق من ذلك وشاركه في ذلك السبب الخاص .

ولذا قال شيخ شيوخنا سيدي احمد بن ناصر ما نصه وتسمى هذه المسافة مقطع الكبريت تغليبا والا فالمسمى بذلك موضع واحد وفي هذه المسافة مياه كثيرة الا انها تقل في

(١) في نسخة احفظ — (٢) في نسخة المعاصف

بعض الاحيان وبعضها اجاج فيحتاط الناس بأخذ المـاء الطيب وهي مفازة فسيحة تهب فيها السموم الى ان قال ونزلنا غربي اليهودية ثم قال قال ابو سالم في رحلته وفي الرسالة القشيرية عن بعض الفقراء انه قال دخلت مدينة اليهودية بارض المغرب وساق الحكاية الى آخرها ولعل تلك المدينة هي هذه اذ لا نعلم بارض المغرب مدينة تسمى اليهودية والله اعلم بحقيقة ذلك قلت واني قد وقفت ببعض مواضع قرب تونس قبر الشيخ البركة الولي الصالح والبدر الواضح سيدي حسن السجومي نفعنا الله به وافاض علينا من بركاته من اصحاب القطب الرباني والغوث الصمداني ابي الحسن الشاذلي من الاربعين يسمى اليهودية حسبما اشتهر ذلك في اول الزمان الى الان ويحتمل ما ذكر في الرسالة هذين الموضعين اذ كلاهما من افريقية غير ان سيدي احمد ابن ناصر لا يعلم هذا الموضع ثم قال وماؤها لا فرق بينه وبين ماء البحر ثم قال الشيخ ابن ناصر قلت وبرقة مسافة شهرين من الاسكندرية الى افريقية وكانت متصلة العمارة لا تكاد تسير فيها بريدا ليس فيه اثر بناء ورسوم عمارة داثرة وقد جاء الاسلام وغالبها عامر ثم لم تزل عمارتها تضعف من موج الرعية وظلم بعضهم بعضا الى ان خرج عرب هلال من مصر اواخر الرابعة واوائل الخامسة فخربوا البلاد واستولوا على القرى فافسدوها وخلت البلاد من يومئذ والبقاء لله الواحد القهار وبعد اليهودية الكحيلة وماؤها ذو حمأة لا يكاد يشرب وفي قربها الحدادية وهي بئر مستطيلة وماؤها ذو حمأة ايضا وهذه السواني كلها باقية الى الان وقد سقينا دوابنا من الجميع حال رجوعنا واما الطاعة فقد كثر ماء السماء فاستغنينا به عن جميع الابار اذ هذه المياه لا تصلح الا للمضطر غاية اذ ماؤها مر ومع ذلك فيه بعض الملوحة لكن يختلف ذوقه وقد يتقوى ذلك بحسب كثرة الامطار وقلتها .

ثم بعد ذلك مررنا على سبخة مقطع الكبريت وفي اعلاها معدن الكبريت في آبار كثيرة يحمل منها كالطين ومن هناك يحمل الى طرابلس وكذلك الى مصر والاسكندرية ويذهب منها مع الركب الى مصر في كل سنة احمال كثيرة غير ان الذي يريده يتقدم الركب الى

ان يقضي حاجته فيلحق الركب في الذهاب والاياب لما في الكبريت من منافع الابل .

وبعد ذلك نزلنا المنعم وهي احساء بساحل البحر ماؤها طيب عليها كثبان من الرمل ينزل الناس وراءها فيمرون الى الماء من بينها وقل ما يخلو من عمارة الاعراب وسقينا واستقينا وظعنا منه صبيحة .

ومررنا على السبخة والسبخة صعبة جدا كثيرة الوحل وفيها غور في بعض المواضع ولا ينجو منه الا من يعرفها او يقدم خبيرا يعرف المسالك لان طريقها اقرب والا فليترك سبيلها وليذهب حذوها يمينا عنها حال الطلوع وبينها وبين البحر جبال من الرمل تصعب على الابل طلوعا وهبوطا يعلم ذلك بالعيان وقد تشتت حال الركب فيها .

ثم سرنا يومين ونزلنا معطن اجدابية عند الزوال وسقى الناس واستقوا وملؤا اسقيتهم مارين مستعجلين الى سلوك ووقفنا على مسجد بها يزعم الناس ان الامام سحنونا درس فيه ثلاث سنين ومن المنعم فارقنا البحر فلا نراه الا عند التميمي .

اقول قال الشيخ العياشي وهذه اجدابية آثار عمارة كثيرة وابار عظيمة منقورة في الحجر وبنيان هائل بالحجر المنحوت وهناك رسم مسجد قديم تهدم ووجدنا في بعض حجاراته تاريخ بنيانه منقوش سنة ثلاثمائة قال وهذه المدينة هي مدينة برقة المذكورة في كتب الفقه وقيل انها مدينة بالجبل الاخضر في الجانب البحري .

وقد اخبرني صاحبنا سيدي عبد الله بن غلبون انه رآها وان رسومها تدل على عمارة قوية وبها اثار سور وابراج ورخام كثير وقال ان بها قبرا مشهورا يزار ويزعم اعراب البلد انه قبر نبي فقلت له الغالب انه قبر صحابي فقد نص المؤرخون على ان رويفع بن ثابت ابن السكن الانصاري الصحابي قد توفي ببرقة وهو امير عليها من قبل مسلمة بن مخلد وقتل ببرقة ايضا من الصحابة زهير بن قيس البلوي ندبه عبد العزيز بن مروان الى برقة فلقي الروم فقاتل حتى قتل وما ذاك الا قبر احدهما فان كثيرا من العوام يطلقون باسم النبي على الصحابي وقد شاهدنا كثيرا منهم يعتقدون في ابي بكر وعمر وعلي انهم انبياء

ويظنـون ان اسم النبي والصحابي مترادفان فلما اخبرته بذلك فرح وقال لي ليس الامر الا كما ذكرت .

قال ولما رجعنا من الحجاز سنة اربع وسبعين لقيته بمسراتة وقال لي ذهبت بعدك الى المكان المذكور وتاملت القبر وعليه كتابة وامارات ربما تدل على صحة ما ذكرت قال لي وذكرت كلامك لبعض الامراء في درنة ففرح بذلك وامر بالبناء على القبر والتنويه به والله لا يضيع اجر من احسن عملا ونية المؤمن ابلغ من عمله فان صح ان هذا القبر قبر الصحابي المذكور فتلك المدينة هي برقة المشهورة لا اجدابيـة والامر في ذلك قريـب فان بين المدينتين نحوا من خمسة ايام فكلاهما يصح ان يقال بينها وبين كل من مصر وافريقية شهـر اذ بذلك يعرفها الفقهـاء الا ان التي بالجبل اقـرب الى مسمـى المدينـة لما بازائهـا من المياه والاماكن المخصبة والمزارع الكثيرة والغياظ الملتفة من انواع الاشجار بخلاف اجدابيـة فانها في صحـراء من الارض مقفرة والله اعلـم بغيبـه ومسمى برقـة على التعيين عنـد عـرب البلد اليوم هي مسيرة ستة ايام من المنعم الى سلوك وفيها رسم ابنية كثيرة واطلاق برقـة على ما سواها مجاز علاقته المجاورة (العلاقة بفتح العين المناسبة) وهذا مما يقوي ان مدينة برقة هـي اجدابية وبازاء المسجد الذي بها قبر محوط عليه بالحجارة يـزار يقـال لصاحبه سيدي يونس وهو من عرب القواخر .

وقد وجدنا ركب اهل تونس الذين مروا امامنا قد اوقدوا عليه شمعا كثيرا وبقيـت منه بقية فاردنا اخذهـا للحاجة اليها ثم توقفـت في ذلـك وبعد ذلـك ظهر لي جواز اخـذه فبعثت اليه فوجدت الغير اخذه انتهى كلام العياشي .

وذكر شارح الشقراطسية الشيخ محمد بن علي برقة فقال اما وصفها فقال البكري رحمه الله واسم برقة بالرومية الاغريقية بنطابلس تفسيـره خمس مدن وذكر ان مدينة برقة في صحـراء حمراء التربة والمباني فتحمر لذلك ثياب ساكنها والمتصرفين لها وعلى ستة اميال منها الجبل وهي دائمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بها الماشية وتنمى على مراعيها واكثر ذبائح اهل مصر منها

ويحمل منها الى مصر الصوف والعسل والقطران وهو يعمل بها بقرية من قراها بقرب جبل وعر ما يرقى اليه فارس على حال وهي كثيرة الثمار من الجوز والاترج والسفرجل واصناف الفواكه ويتصل بها شعر عويصة من شجر العرعر وببرقة قبر رويفع صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

واما فتحها فاعلم ان عمرو بن العاص افتتحها في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك سنة احدى وعشرين وصالح اهلها على ثلاثة عشر الف دينار وعلى ان يبيعوا من ابنائهم في جزيتهم .

قال ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين وزويلة مدينة غير مسورة في وسط الصحراء وهي اول حد بلاد السودان وبها جامع وحمام واسواق يجتمع بها الرفاق من كل جهة منها يتفرق قاصدهم ويتشعب طريقهم وبها نخيل وبسيط الزرع وبرقة بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون الراء المهملة بعدها قاف والاغريقية بكسر الهمزة وسكون الغين المعجمة وكسر الراء المهملة وكسر القاف وتشديد الياء قيل المراد بالرومية الاغريقية القديمة التي هي اصل لغة الروم والله اعلم وبنطابلس بفتح الباء المنقوطة بواحدة وسكون النون بعدها طاء مهملة وباء منقوطة بواحدة مضمومة ولام مضمومة وآخرها سين مهملة كذا وقع في كتاب البكري والذي وقع في المدونة انطابلس بالهمزة قال وجباب انطابلس ومراجل برقة الا ان هذا الذي في المدونة يؤذن انهما مدينتان بخلاف ما قال البكري لكن يحتمل ان تكون احدى تلك المدن برقة وانطابلس اسم لجميعها كما يقال قسطيلية وتوزر لاحدى بلد قسطيلية والشعر الشجر الكثير وارض كثيرة الشعار اي الشجر انتهى كلامه .

قلت وفي رحلة شيخنا العياشي وارض برقة منقسمة على اقسام اولها من حسان الى ما وراء الاحمر بيومين يسمى سرت ومن هناك الى قرب المنعم يسمى برقة البيضاء ومن

هناك الى سلوك يسمى برقة الحمراء ومنه الى التميمي (١) يسمى الجبل الاخضر ومنه الى العقبة الكبرى يسمى البطنان ومن العقبة الكبرى الى الصغرى يسمى بين الاعقاب ومن العقبة الصغرى الى الاسكندرية يسمى العقبة الصغيرة وقد ذكر العبدري تقسيما غير هذا جار على اصطلاح اهل زمانه انتهى .

قلت وسلوك المذكورة ابار متعددة كابار اجدابية في صفتها ومائها وبازائها ايضا رسوم بناء الا انها قليلة بالنسبة الى اجدابية وماؤها يقل في ايام الحر وبه تتعرض الاعراب للاركاب لقصد التسوق ويجلبون اليها الكثير من السمن والزرع واللحم والابل ومنه يتوجه القاصد مرسى ابن غازي وهي مرسى حسنة بسفح الجبل الاخضر بينها وبين سلوك مسافة يوم وفيها عامل وعسكر لصاحب طرابلس وفي تلك المرسى تصب اودية السمن والعسل والشحم والودك من الجبل الاخضر الذي لا اخصب منه ولا اكثر منه اداما فيما رأينا من البلاد وتحمل كل ذلك السفن الى طرابلس وجربة وما بازائهما من البلدان ومن هذا الجبل غالبا ادامهم وكمانهم قال شيخنا العياشي رحمه الله وقد دخلنا طرفا من هذا الجبل سنة تسع وخمسين في شدة الحر وتسوقنا طائفة من اهله بما قضينا منه العجب من السمن والغنم والابل لم نعهد مثل ذلك في بلد من البلدان ولا رأينا ارخص منه سعرا ولا اقل معرفة بالبيع والشراء من اهله يوخذ منهم زهاء قنطار من السمن بالثمن التافه من بز او عروض او غير ذلك من الحوائج ولا يعرفون للدراهم قدرا وكانوا لذلك كَنَعَمِهم غفلا لم يدخل التجار بلدهم ولا صادرتهم العمال عن اموالهم اذ لا حكم لاحد من العمال عليهم الا اشياء قليلة يؤدونها في بعض الاحيان لصاحب اوجلة واوجلة قرية كبيرة او بلد عظيم لا يخلو من العلماء والصلحاء بقرب برقة تتسوقه الناس من كل بلد وهو في حكم طرابلس الان غير ان حكمه فيه ضعيف نفعنا الله باهله .

واما صاحب طرابلس فلم يكن له عليهم اذ ذاك حكم واما الان فهم تحت ايالته وفي

(١) في الرحلة الناصرية ومن التميمي

اسر طاعته يؤدون الخراج ويدخل التجار من اهل طرابلس ومسراتة بلدهم لشراء الابل والبقر والغنم والصوف والادام فبذلك حصل لهم بعض الخبرة بقيم الاشياء ومقاديرها وعرفوا الدينار والدرهم واما قبل ذلك فهم كالانعام بل هم اضل سبيلا ﴿ غريبة ﴾ عرب هذا الجبل من اشد العرب كفرا ونفاقا لا يعلمون حدود ما انزل الله على رسوله ليس عندهم من الدين الا اسمه لاحرفة لهم بعد تنمية المواشي الا النهب والغارة فل ما مر بهم ركب فسلم من انشاب الحرب بينهم و بينه بسبب غدرهم وفتكهم عند اشتغال الناس بالسوق معهم وقد وقع ذلك معهم مرارا قال واغرب من ذلك انهم لا يعرفون السرقة فيحترس الناس منهم نهارا خشية النهب والغارة وبالليل يبيت الناس رقودا مطمئنين لا تسرق لهم حاجة وما ذاك والله اعلم الا لانقطاعهم عن العمران وتوحشهم والسرقة في الغالب انما تعهد حيث يكثر العمران وتجتمع اجناس من الناس وتعمر اسواق ويوجد بيع وشراء .

واما هؤلاء فاعداؤهم بعيدون منهم لا يقدرون منهم الا على الغارة المرة بعد المرة وفيما بينهم يامن بعضهم بعضا فالفوا ذلك ونوادر هذا الجبل في رخاء الادام وغفلة اهله عن قيمته وكثرة خصبه و بيعهم لبناتهم واخواتهم وغير ذلك اشهر من ان يذكر وطول هذا الجبل نحو عشرة ايام من بحريّه وسبعة ايام من الناحية الاخرى واكثر شجر الناحية التي مررنا بها العرعر حتى انه من شدة اشتباكه والتفافه لا ينفذ الناس فيه الا في طرق معلومة وشعاب مسلوكة ومن خالفها توعر وانتشب في الغياض بحيث لا يخلص الا بمشقة لاسيما ان كان ذا دابة ومع كثرة غاب هذا الجبل لا يوجد فيه الاسد والحجاج يزعمون ان سيدي ابا محمد صالحا دعا عليه فاجلاه الله من هذا البلد لئلا يؤذي صعاليك الحجاج وذلك ان صح غيض من فيض فيما لاولياء الله من الكرامات ٠

﴿ غريبة ﴾ قال ومما شاهدناه في عرب هذا الجبل من الغرائب ركوبهم على البقر وحمل الهوادج عليها واناختها عند الركوب والنزول مثل الابل من غير مشقة عليها ولا عليهم في الاناخة لاعتياد الكل لذلك ولله في ارضه عجائب وفي طباع الحيوانات غرائب وكذلك

الغنم لا يسوقونها انما يسير صاحبهـا امامها قلت او كثرت وهي تتبعـه فاذا امهل في السيـر امهلت واذا اسرع اسرعت واذا جرى جرت وياتي احدهم بالكبش الى السوق وهو يتبعه كالكلـب المعلم ثم سرنـا من اجدابية بعد صلاة الظهر وزيارة مسجد سحنـون لبقاء اثره لاسيما المحراب .

ثم نزلنا بعدها بصعدة(١) وبتنا ثم ظعنا منه فسرنا مرحلتين فوصلنا الى معطن سلوك ونزلناه وقت العصر فبتنا فيه واقمنـا يوما انتظارا للتسوق من اهل ابن غازي اذ بعثنا اليهم رسـولا من المنعم فاتوا الينا في الليلة الثانية بالشعير وبالسمن والعسل وبعض الابل .

وقدم الينا بعض احبابنـا من قرية ابن غازي اذ بعثهم الود الصـدوق والخل الفـروق سيدي عبد اللطيف بسمن وشعيـر وغير ذلـك جزاه الله احسن الجزاء ثم انهم طلبونـا في الاقامة وامتنع الحجاج لكونهم مستعجلين لان يدخلوا مصر في اوائل شوال غير اننا امهلناهم لوقت الضحى فانصرف الكل على خير وعافية ومع هذا ذهب معنا البعض منهم من الاتراك وغيرهم الى مصر بالابل للتجـارة فاحسـن الجميع بنا والمحسن يجازى بالاحسان والمسيـىء تكفيه اساءته والله يقول ما على المحسنين من سبيل .

ولما سقى الناس واستقوا وملئـوا اسقيتهم ما يكفيهم سبعة ايام الى التميمي لان السروال اصعب شيء في طريق الحج لانعدام الماء فيه اعنى الحي واما ماء السماء فعلى فتح الهي ووهب فرداني غير ان الله لا يدع وفده اذ هم ضيافه فحاشاه من كريم ان يتركهم عطاشا لانه اما ان يرزقهـم بماء السماء ينزل عليهـم في الحين او يجدونـه في بعض الاودية والغـدران مخبوا(٢) لمثلهم منة من الله وفضلا على قاصديه اذ لا يخلو وفده من احبابـه الذين حركهم الشوق والوجد الى تلـك الاماكـن الشريفة والمعاهـد السنية والمواطن المحبوبة لتتصـل بالساكـن وتشاهد محبوبها فيها ويزيل ما بهـا من قلق الشوق وترتاح من مرض العشـق

---

(١) في ثلاثة نسخ بمدة — (٢) في نسخة فحق

فيخف بعض ما بها لان الروح يطير الى المحبوب فيرده فقص البدن فيسكن بعض سكون بنسيم الوصلة ورؤية حي المحبوب لان الجوار ترياق المريض اي دواء مجرب والدرياق بالتاء او الدال اي الدواء المجرب هكذا فسره القاضي زكرياء في شرحه للرسالة القشيرية رضي الله عنه ونفعنا بهما آمين .

[اذ قال الاستاذ قبر معروف في بغداد ترياق او درياق مجرب اي دواء مجرب][1] ولذا تتحرك النفس لاشراق محل النبوءة فلا تتعب بما حصل لها في الطريق لغيبها بالمحبوب عن ذلك فلا تتالم فاذا تمهد هذا فلا تخيب رفقة من هذا وصفه فحينئذ اما ان يرزقهم الله بماء جديد او مستعد او يكون البركة في اسقيتهم .

وقد شاهدنا الجميع مرارا والشكر لمن له المنة والفضل فلا تحسب الوفد خاليا فتكون فارغا اذ الجامد فارغ من الضمير المتعلق بهم فيحرم من بركتهم وهذا الذي يحصل له التعب لانه ان وجد الماء فلا يجد الظرف وان وجد الظرف فربما تتقطع وان سلمت ربما عطبت الدابة الحاملة وغير ذلك مما يصيب المحروم المزكوم عن شم شذاهم والا فمن لم يصبه وابل منهم فطل .

وقد سمعت من العارف بالله الصدر الاعظم * والعالم الافخم * والورع الافهم * الجامع بين الشريعة والحقيقة سيدي محمد المغربي الطرابلسي عام (١١٥٤) اربعة وخمسين ومائة والف يقول ان العام الذي قبل العام الاول تقبل الله من اهل عرفة سبعا وما عداهم قد رد ثم ان السبعة قد جدوا في الطلب واجتهدوا في الدعاء من الله ان يغفر لاهل الموسم الى ان دخل رمضان فشفعهم الله في اهل الموسم جميعا ولم يرد منهم واحدا .

واما العام الاول قال قد اتى رجل من اهل الله من فاس ليس له قصد ولا غرض الا الشفاعة في اهل عرفة فلما وصلها شفعه الله فيهم وحررهم لوجهه جميعا حتى اهل النزهة .

---

(1) ما بين القوسين ساقط في نسختين

ثم قال وقول الفقهاء وصح بالحرام وعصى مذهب فبهي والا فمذهب اهل الفضل ان الله يغفر لجميع من وقف بعرفة وكيف لا وان المعلم الاكبر الذي هو صلى الله عليه وسلم حاضر هناك وكذا اصحابه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واهل التصريف والخضر والياس والملائكة ورجال الغيب وبركة الجميع تنوب عن الجميع والله يستحيي ان يرد جمعا فيه محبوبه او يمقت اناسا فيهم اهل وده ولذا رفع الله المسخ لوجود اهل الذكر فيهم وما دام ذكره في الارض فلا مسخ فيها لقوله عز وجل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا علمت هذا فاعلم ان السروال محل صعب للعاقل(١) وغيره فيه سبعة ايام لا ماء فيها غير المرفوع او الموجود بالفضل وفيه من التعب ما لا يمكن التعبير عنه الا بالذوق غير ان الله يمن بفضله عليهم ويرحمهم ويرفق بهم بمحبته صلى الله عليه وسلم وايام هذا الموضع هي حسوم هذه الطريق فان الحاج اذا خرج منها استبشر ببعض العافية اذ لم توجد مفازة في انعدام الماء مثل هذه ولذا قال بعض الحكماء لولا السروال في برقة والعشاريات في الدرب لحج النساء والصبيان غير ان فضل الله يوصل ويبلغ ولا تعتقد ان كثرة الزاد مبلغة اذ ربما صاحبه هلك وغيره نجا وسلم والاعتماد انما هو على الفضل والمنة من الله تعالى واستصحاب الزاد شريعة وسنة فالوقوف معها وقاية وجنة هذا وان المخلص من صعب الزمان * وقساوة المكان * الاعتماد على مدد الرحمان * والتخلق في هذا الطريق بالرأفة والشفقة للضعفاء من اهل الايمان * فان من رحم يرحم وان الله في عون العبد ما دام في عون اخيه وليس التخلص من سموم عقارب الزمان * وافاعيه الا بترياق التفضل والايثار بحسب الاستطاعة والامكان .

ثم ان سعة الصدر وسلامته يحفظان من كل اذاية دينية ودنياوية وان كانت سلامة الصدر ممدوحة في غير هذا الطريق غير انها في هذا الطريق انفع واتم لا سيما مع وجود

(١) في نسخة القوافل

الرحمة والعفة وكف اللسان عن الخوض فيما لا يعني وعدم الاسترسال فيما لا يحتاج اليه فكما غاب الانسان عن اهله واحبابه يغيب عن مألوفاته الا ما لابد منه مما يقتضيه شرع او طبع مع كونه مباحا بحيث ان اسبابه ليس منهيا عنها لان قبول الحج موقوف على تصحيح بدايته من حيث اقامة الحق عليه في تحصيل اموره ومادة اسبابه واباحة موصله ورعي الحقوق في جميع ذلك كله من غير مهلة الا ما اخره الشرع لوقته فسوف ياتي الله بقوم يعينونه على ما هو بصدده لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى فتتيسر اسبابه وتجتمع همته ويتحقق مقصده وتتهيا اعماله القبول مع استيفاء الحقوق فمن كان معه حال اجتماعهم به فهذا هو اشراق بدايته وهو يدل على اشراق نهايته لان من صحت بدايته صحت نهايته مع الاتساع في معاملته والانفاق على قدر طاقته والمعاملة بقدر اسراره والرافة بقدر وسعه لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فبحسب قوته اذ لا يكلف الله انسانا الا بقدر استطاعته .

وانما تنزل الرحمة على رفقته بقدر وصفه بما ذكر ونعته فاذا تقرر هذا فاعلم ان هذه المفازة كما وصفناها اولا غير ان الله تبارك وتعالى يسرها علينا بفضله لان مقتضى العادة ان تتعسر على من هو مثلنا لاني بعيالي ثلاث نسوة زوجة لابني وزوجتان لي مع كثرة الجماعة وقلة ذات اليد وكثرة البغال اذ كان معي خمسة ومع ذلك لم يصب الجميع جوع ولاعطش ولاخصنا خصب الدواب بفضل الله ظاهر * ووجوده باهر * وسوق احبابه عامر * وعطفهم علينا حاضر * لاسيما انا تهنا عن الطريق حين دخولنا السروال انا وجماعة امير الركب سيدي محمد المسعودي الدكالي الصحراوي اذ تخلفنا لصلاة العصر فلما صليناه غاب عنا الركب بين الجبال فجددنا في لحوقه فتهنا عنه تيها عظيما ثم افترقنا في طلبه فلم يظهر لنا اثره ولا تبين لنا خبره ثم ان الله تفضل علينا بوجود آثاره بعد الاياس منه هذا وانه كريم لا يخيب من قصده ولا ينعكس معتمده اصلا فلما تفضل علينا وتكرم لدينا لحقناه بعد ان نزل واستقر في مبيته ووجدنا ايضا الابل في مسارحها والناس متفرقون في مصالح المبيت وهي اول منزلة من سلوك .

ثم ظعنا منه صبيحة ومررنا بمخاصب واماكن كاننا ما رأيناها قط وبعد ذلك اليوم اختلف الناس هل الخبير حصل له تيه ام لا وعند اليوم الرابع ظهر لنا انه قد تاه بنا غير ان تيهانه ليس بعيدا غايته انه مال بنا الى جهة الصحراء اذ التوغل فيها يخرج عن سنن الاعتدال في الطريق بل المقصود المسير نحو جهة البحر ومحاذاته اياه غير ان اليوم الخامس صبيحته وقع التنادي في الركب والتباريح على ان الركب قد حصل له التيه وافترق جميعنا في طلب من يعرف الطريق ليرد الجميع الى المقصود فلما افترقنا ساعة واذا باثار البغال من مسير الاركاب الماضية رأيناها فحصل اللطف واستبشروا بوجود الطريق وحصوله في اقرب مدة لما علمت ان وعد الله لا يخيب ولا ينعكس لاسباغ الله نعم الطافه عليه ووجود منته به فحصل لنا السرور بالاشراف على المفازة بالتوجه نحو قرب التميمي .

وفي اليوم السادس مررنا على قرية معلومة فقد قيل انها آخر عمارة برقة وهي حديثة العهد بالخراب لان اشجارها قائمة على اصولها لاسيما الزيتون وفيها ابار لا ماء فيها واثار بنيانها ظاهرة واسوارها متطاولة وازقتها مشهورة وفي اسفلها واد كبير يجري السيل اليه ومنه سافية تتصل بتلك القرية عظيمة عند وجود الامطار فليس شربهم ولا استقاؤهم الا من ماء الامطار المجتمعة فيها ثم ان الحجاج تسابقوا الى ذلك الوادي فوجدوا فيه غديرا صغيرا لا يفي بدوابهم فازدحموا عليه وخوضوه الى ان صار طينا فلم يوف احد مقصوده منه وبعد ذلك بمرحلة تفضل الله على الحجاج فوجدوا ماء مستبحرا في مواضع عديدة يكفي اركاب الدنيا كلها سقيا واستقاء ورفعا فاغناهم عن النظر الى التميمي .

وفي ذلك اليوم ولدت بعض النساء طفلا وتاخرنا في جماعة انتظارا لها على ان الله تفضل بتيسير طلقها وهي زوج سيدي عبد الرحمن الذويبي(١) ثم العمري من بلدنا بيننا وبينه مسيرة يوم ففرحنا له ودعونا له بالبركة وبعد ذلك لحقنا الركب بعد نزوله واستقراره بخيامه .

---

(١) في نسخة الذوبي

ثم ظعنا من ذلك الموضع فنزلنا التميمي على شاطئ البحر فيه ابار وحسيات(١) فرب البحر غير ان ماء البئر ليس طيبا بل فيه بعض ملوحة كما يعلمه ذائقه والذي ثبت عند الحجاج واستفر عليه امرهم ان ماء الحسيات اطيب واعذب منه غير انها تحتاج الى معالجة وتنفية رمل وفيه من التعب ما لا يخفى فاستفى الناس بالبئر هربا من الكلفة وطلبا للعجلة وفد وجدنا هناك عربا متفرفين اكثرهم بلا بيوت فد اضر بهم الجوع اذ فل ميرهم ووفع الفحط فيهم سنين متعـددة وبلادهم في غاية الجدب ومع ذلك الغالب سلب بعضهم بعضا على انهـم مسلوبون اذ تعدى(٢) عليهم عرب فاخذوهـم بعد ان اخذوهم فكان الرجل يبيع اولاده وكذا المرأة تبيع اولادها ان كانت ايما .

وفد شاهدنا ذلك فنهينا الجميع عما هنالك فمن الحجاج من امتثل ومنهـم من اعرض واشترى فالفادر منهم ذهب مع الحجاج وغيره طلب ما يفتـات به في الحال وبفـي لان الجوع اخذ فيه نعم الحجـاج اشبعوهم الطعام جزاهـم الله احسن جزاء اذ سمعـت منهم ان البعض منهم لم يذق الطعام نحو الشهر والشهرين وانما ياكل النبات(٣) من الخضر ليس الا غير ان الشبعة الواحدة لا تسمن ولا تغني من جوع [وانما يحصل بها الاحياء في الوفت وفد فعل الحجاج ما وجب عليهم بل زادوا زادهم الله خيرا](٤) وانما المشكوك فيه هل يجب علينا رفعهم الى محل يفتاتون فيه ليحصلوا غرض الحياة اذ بفاؤهم هناك مهلـك فطعا على حسب العادة الجاريـة غير ان فواعد الفقه لا تفتضي الوجوب لان استخلاص المستهلـك من نفس ومال يجب في الحال واما في الاستمرار فلا لان رفعهم الى موضع العمارة فل من يفدر عليه والاحكام مبنية على الغالب وفد طال النزاع بين الطلبة من افاضـل الركب فمنهم من يفول بوجوب رفعهم لكونهم انفطعوا عن العمارة اذ بفاؤهم هنـاك موت ابيض لانفطاع مادة الرزق بحسب المالوف العادي ومنهـم من يفول يجب اطعامهـم في الحال لتحصـل لهم الحيـاة

(١) في نسخة حسيان — (٢) في نسخة جار — (٣) في نسخة المنبوت — (٤) ما بين الفوسين سافط من نسخة

حينئذ وغير هذا غير مكلفين به وهذا الثاني هو الذي يظهر من قواعد الفقه لقول خليل او فضل طعام وشراب لمضطر يعني في الحال واما ارتقاب المثال فالرزق على الله اذ في الغيب عجائب لا يعلمها الا الله وقد قال تعالى وكائن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم ولقوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وانما رتب الله الارزاق على بعضنا بعضا استمطارا للثواب واظهارا له للمحسن من غيره ليكون محبوبا لديه اذ الله يحب المحسنين وقد قال ما على المحسنين من سبيل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني والمانع عند الاضطرار * متعرض للآثام والاضرار * وذلك سخط العزيز الجبار * فالعاقل لا يبخل بما لغيره لاسيما عند الاذن منه والاحمق ضده نعم كل ميسر لما خلق له فاسباب السعادة قريبة وكذا اسباب الشقاوة فالسعيد يشتري رضاه بما له والشقي بالعكس يبخل بما له عن رضاه وبالجملة ما اقبح نائبا لا يحسن التصريف عن منوب به فيما نابه عنه فيه لانه امين في ذلك ليس الا .

فاذا علمت هذا علمت ان بعض الناس يفتخر ويتكبر بمال الله وهو للورثة وليس له فيه الا ما انتفع به في الحال وبخله دليل على شقاوته لا سيما في هذه الاماكن الشريفة ومع ذلك الله تبارك وتعالى يقول الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فكيف يبخل الانسان بواجب عليه وهو البخل الممنوع(١) اجماعا وقد شاهدناه فيمن معه فضل ووسع يبلغه الى اهله يقيمه سنين متعددة ويرى الناس في السياق بالجوع ولا يمدهم بلقمة من طعام ولا بشربة من ماء ومع ذلك يشتري الاحرار ممن اصابه الجوع بفضلة ماله فيشقى في الدارين لا رضا الله حصل * ولا ماله احتفل * غير ان من سبقت له الشقاوة يخجلك على رؤس العوام بما لا عذر فيه كما سمعته من بعض المخذولين من طلبة ابن غازي(٢) اذ يقول متعللا عند بخله بواجب يمسك عرض الحياة في الانسان

(١) في ثلاث نسخ ممنوع — (٢) في نسخة باسقاط ابن غازي

بسبب جوعه انهم كثروا وتجاوزوا فدر الاستطاعة فلا يمكن الاستيفاء بما وجب علينا وتبعه على ذلك بعض من تراس من اهل الدنيا اذ طبع الله على فلبه والعياذ بالله لان الفدر الواجب سهل والفائم به لا يعسر عليه ولا يحجب بما له اذ من بلغ حد السياق فليـل بالنسبـة لمن حصل له الجوع وافامة البعض منهم بذلـك فيه كفاية وانما حيرهم كثرة السائلين وادعاء كل الضرورة بل بعضهم او اكثرهم يدعي حد السياق فالتبس عليهم الفدر الواجب فتركـوا الكل احتياطا بالبخل ولو افاموا بالكل لاحتاطوا بالمرضي .

ولما اجتمعت معهم زجرتهم عن ذلـك ونهيتهم عن الافامـة بحظوظ انفسهـم اذ فلـت لهم ان كل من مات فهو في صحائفكم لما علمت ان من منع فضل طعام او شـراب لمضطـر حتى حصل له الهلاك يغرمه(١) شرعا حتى استظهروا انه يفتص منه اذ مثلهـم لو فرفـوا الزّمن والضعيف لم يصعب عليهم .

واما الصحيح فيخدم على نفسه ثم ان رأيهم فد اتفـق معي على انهم يركبونهـم في المراكب الى الاسكندرية وبر الترك والى طرابلس وتونس ففلت لهم هـذا القـدر كاف شرعا والمسألة يتعذر فيها الاستفصاء فاذا تمهد هذا فافول انعطاف الى ماكنا بصدده .

وهو اننا ظعنا من التميمي واخذنا شاطئ البحر متعرفيـن لما في الطريـف من كثـرة الشجر والحجر الى ان فربنا ساحل البحر واشرفنا على عين الغزالة وتلافينـا ببعـض الاعراب راحلين الى التميمي معهم اموالهـم يطلبون الكلا ويسألون عن عافية المحل ففلنـا لهم فد انجلى اهله لفلة المير والجور فتسوف بعض اهل الركب معهم .

وفي ذلـك اليوم سقط ولد الفاضل الكامل الففيه سيدي احمد الصدفاوي الملفب عياض عن مركوبه فتحيرنا من اجله اذ حين سفوطه لم يبق فيه الا نفس ضعيف وفد غشي عليه كانه سكران ثم ان بعض الناس من اهل الخبرة فال اتركوه كذلـك من غيـر ان

---

(١) في نسخة يضمنه

توفضوه فينفس افاقته يرتاح وان ايفضتموه حصل له المرض العظيم والالم الكبير فكان الامر كما ذكر فتركناه حتى افاق بنفسه وحصل اللطف من الرحمان عليه وعلى والده وعلينا اجمعين .

وفي ذلك اليوم ايضا حصل بعض التشاجر لاهل الركب ووفعت معركة عظيمة بين اهل عامر واهل فصر الطير بالحجر والعصي غير ان الله رزق لنا اللطف من حالهم حيث لم يموتوا فهو من جملة ما تكرم الله به علينا في عدم حصول الفتل ذلك اليوم وبذلك حصلت العرفة في الركب وتفوى الغيظ بينهم ثم اجتمع اهل الفضل واصلحنا بينهم اصلح الله حال الجميع بمنه وكرمه .

افول فال شيخ شيوخنا المذكور ودرنة مدينة على ساحل البحر بها مرسى بينها وبين التميمي مسافة يوم ونصف من غربيه وكانت خالية منذ زمان الى ان عمرها الاندلس فرب الاربعين والالف ولم يزالوا بها الى ان بطروا فانشبوا الحرب بينهم وبين امير طرابلس فاخرجهم منها صاغرين بعد وفعة فتل بها مئون من اشرافهم وهي الان في طاعته وفيها عامله المستولي عليها وعلى عرب الجبل ومرسى هذه المدينة عجيبة تنزل بها السفن الجائية من الاسكندرية ومن طرابلس ومن بر الروم لا سيما مدينة(١) كندية فان بينها وبين مدينة درنة مسافة يوم في البحر لانها في مفابلتها والمعاش فيها متيسر كثير لجمعها بين البادية والحاضرة انتهى .

افول ثم ان عين الغزالة صلينا عند فربها الظهر وهي عين جارية ماؤها عذب فيه بعض ملوحة تصب في بحيرة منفطعة عن البحر يدور بها الفصب من اكثر جهاتها وليس في برفة كلها ماء يجري الا هذا ثم فال الشيخ المذكور ﴿ غريبة ﴾ وفي ميسرة الطريف شرفي العين المذكورة وانت مشرف بيت منحوت في الحجر الصلد فال شيخنا العياشي رحمه الله في

(١) في الرحلة العياشية جزيرة

رحلته طوله عشرون ذراعا في مثلها وبداخله بيت آخر نحو نصفه وفيه غرف صغار كانها مخازن وكل ذلك منقور في الحجر الصلد نقرا عجيبا مربعا كهيئة احسن ما انت راء من البيوت وباب مربع كاحسن الابواب وعند الباب حجرة واسعة منقورة في الحجر ايضا فتعجبنا من حسن صنعتها واتقانها وتدبرنا قوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين .

قال وقد ذكر العبدري هذا البيت واجاد وصفه وبهذا الموضع ارض طيبة كلها منقسمة فتخدم للحرث واثار البناء متصل باطرافها وعن يمناها شعاب تنصب من الجبال وكانها كانت مجاري السيل ويقسمها اهل تلك الارض على مزارعهم اه .

ثم ظعنا من ذلك الموضع وسرنا نحو المرحلة او المرحلتين فوجدنا ابارا مملوءة بماء المطر فشرب الناس وسقوا دوابهم واستقوا بل حصل المطر بالفعل فاغنانا عن المعاطن بل كل يوم او يومين نجد غديرا من الماء بل الماء كثير .

وفي تلك المراحل مررنا بشجر التين والخروب واظن ان هناك شجر الرمان وغيره وفي اليوم الرابع وجدنا ماء كثيرا اعني ماء المطر اذ وجدنا بئر ماجل كبير عظيم(١) فاستقى منه جميع من كان في الركب وسقوا منه جميع دوابهم فلم يؤثروا فيه لكبره وسعه بل شاهدنا فيه امرا عظيما من وضع البركة التامة لكثرة الخلق اذ فيه الوف مؤلفة فان اخذ الركب في المشي لا يستقصيه الراكب من اوله الى آخره اذ سمعنا من اهل طرابلس واهل مصر بان قالوا منذ حصل لنا التمييز ما طلع ولا جاء ركب من المغرب مثله وقد استعظموه غاية ومع هذا ان البئر لما ان رأيناه ظننا انه لا يكفي العشر منه فكفى والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد انصراف الركب تاخرنا في جماعة فرأيناه كانه لم يغرف منه دلو ولم يستق منه بشر ثم ان العجب العجاب في ازدحام الناس على البئر ولم يقع فيه احد غير اني وقفت

---

(١) في نسخة بئرا كبيرا عظيما

بالعصا على رؤسهم فمن اراد ان يوذي صاحبه ضربته على ظهره ثم ان القوم اصابهم حياء من جانبنا غفر الله لجميعهم فحصل المقصود على التمام والوفاء فرأينا فضلا عظيما * وخيرا عميما * وذلك من خوارق العادة .

﴿ تنبيه ﴾ ما هو اغرب من هذا واعجب منه كرامة اليوم الذي بعد هذا اليوم حين قربنا من سطح العقبة فمرحولي ومرحول شيخ الركب يتاخران عن الركب بكثير حتى لا نرى احدا من الركب بل انما نلحق الركب عند المبيت نعم من عادتي اتاخر مع الفضلاء سيدي احمد الطيب وسيدي احمد بن حمود(١) وسيدي محمد الشريف النوفلي رفقا بالضعيف من الحجاج وكذا شيخ الركب معنا واصحابه غير المستعجل منهم .

وفي هذا اليوم تركت مرحولي(٢) وذهبت الى الفاضل الكامل صهري سيدي عبد الله ابن رحاب والصديق سيدي محمد الشريف وجماعة من الحجاج ليشتروا لي جملا او جملين خفت من ضعف او بقاء الجمال الحاملة للنساء فتقدمت اول الركب وكان الركب توجه نحو اليمين للصحراء ثم ان سيدي عبد الله امر العلام لينشر رايته فاذا رآها الحجاج رجعوا الى سطح العقبة فلما امتثل الركب واذا بالحجاج انعكسوا دونه الى ان رجع الكل الى قرب السطح ونحن في ذلك من غير تراخ واذا بالطامة الكبرى من الخيل قد عمت على الركب فظننا انهم اهل الوطن اولاد علي اذ سطح العقبة وطنهم غير انهم احاطوا بالركب فاراد بعض ان يضربهم بالبندق فزجرهم سيدي عبد الله وغيره ظنا منهم انهم اهل الوطن فلما بادروا الى الحجاج سبقت الى اول الركب فامرتهم باناخة الابل ليتصل آخر الركب باوله فحصل المقصود الذي رمته وان الركب قد اجتمع اذ فيه نكاية للعدو وقيام الناس على ساق الجد والاجتهاد على قدم واحدة ونحن كذلك واذا بالصريخ وراءنا ان مرحول عبدكم ومرحول الشيخ قد اخذهما المحاربون فرجع الناس صفقة واحدة

---

(١) في نسخة حمودي — (٢) في نسخة من حولي

وذلك بعد وصول المحاربين اليهما فردهم الله خائبين منعكسين لسابق عناية الاله وفضل الاشياخ والاحباب واسلافنا نابوا عنا جزاهم الله عنا خيرا فلما كنت في آثارهم واذا بالمبشر يقول يا فلان قد سلم اهلك واهل الشيخ فشكرت الله تعالى على ذلك بعد ان حصل الاياس لفرط تاخرهم جدا او يحصل العطب لاصحابنا فالحمد لله على سلامة الكل غير اننا تغيرنا عن اخينا سيدي محمد الشريف اذ وقع بينهم وصار يزجرهم وينهاهم ويقول لهم هذا وفد الله ووفد رسوله فقبل منه بعضهم وابى الاخرون الا الحرب والسلب لما راوا من كثرة الابل مع الحجاج فغاروا وصاحوا وشردت بغلته تحته فلم يستطع حبسها فسقط عليها فاخذ من لحق منهم ثيابه مع نسخة جديدة من دلائل الخيرات ثم انه مسك البغلة وركب ولحق بالركب ففزعنا من اجل ما اصابه فعند رؤيتهم الحجاج قاموا على ساق الحرب وعلموا انهم لا يصيبون منهم شيئا اجتمعوا وجاهة الركب والحالة انهم اخذوا بغلين واربعة من الابل فردوا البغلين وجملين ثم اني ذهبت اليهم وحدي والناس يبرحون بالويل خافوا عليّ وانا لم اسمع لهم فلما وصلت نحو الاثني عشر فارسا نزلوا الي وسلموا علي يدي ثم على رجلي ورجل البغلة وبعضهم يتمرغ تحت البغلة ويطلب الاقالة ويقول انما جئنا لاعدائنا اولاد علي اذ سلبونا فسلبناهم واخذونا فاخذناهم وقلت لهم ان حصل لكم الندم ردوا ما بقي من الابل عندكم وكذا ثياب الولي الصالح الشريف سيدي محمد فقالوا اما الاولون منا قد طلبناه[1] في الدعاء واللاحقون ما علموا غير اننا نرد الجميع فامهلونا وسالتهم كم من فارس قالوا نحن في خمسمائة ثلاثمائة من الخيل ومائتين من الرجال واني سالتهم ايضا عن وطنهم فقالوا نحن من وطن الصعيد من عمالة مصر نحو الخمسة والعشرين يوما الى هنا فلما رجعت واذا بالحجاج فزعوا فزعة عظيمة نعم رجل من طرابلس قد جرحوه ومات من ذلك الجرح بعد ذلك ولما وصلت وجدتهم امسكوا رجلا

---

(١) في نسخة طلبوه

مع فرسه واطلقته منهم واما فرسه فقد مسكها الطرابلسية فيما ضاع لهم وقد سمعت انه لما ذهب من عندنا خفه اولاد علي فقتلوه وبالجملة ففضل الله وجوده وحفظه بنا ظاهر من غير استحقاق اذ اعمالنا ليست اهلا لقبولها حتى توجه الله الينا بالفضل بسببها نعم كرمه ليس مختصا باهل الجد والاجتهاد وانما هو مبذول لمن سبقت له العناية لا كبيرة ان واجهك فضله * ولا صغيرة ان قابلك عدله * فالكريم لا يبالي من اعطى ولا كم اعطى ولا ما اعطى .

وعشية هذا اليوم نزلنا قرب معطن مقرب(١) وفي ذلك المنزل مات المجروح المذكور وقد مات لنا جمل فيه حقق الله ثوابه واعطى عوضه .

ثم ظعنا الى ان وصلنا معطن مقرب عند صلاة الضحى فسقى الناس نهارا وذهبوا الا ان البعض لم يحصل المقصود الا عند الزوال وتخلفنا معهم وذلك اصحاب الشيخ وبعض الحجاج فلحقنا بعد الظهر بالركب نازلا ينتظر المتأخر ثم ان الله اغاث الحجاج بعد ذلك بالمطر الكثير بحيث استغنينا عن المعاطن الى الشمامة لكثرة الغدير بل احواض الماء في كل ارض مبسوطة وكذا الخصب والحمد لله على بسط نعمه ومننه الوافرة علينا ببركة اهل الفضل من العلماء العاملين والفقراء المحبين بل وجد في ركبنا هذا كل صنف من اصناف اهل الخير وقد رحم الله ركبنا وعم وابل الفضل علينا فغير المزكوم بالمعاصي يشم شذا انوارهم * وسواطع اسرارهم * وعطر احوالهم * فمن الله علينا بمحبتهم * اذ من لا خير فيه يتذكر الله برؤيتهم * وقد قالوا ان علامة الولي اذا رأيته تذكرت الله اقل المراتب ان يقول هذا فمن يخشى الله ويتقيه .

وبعد ذلك ظعنا نحو المرحلتين فكان اول شوال فصلينا العيد بين معطن مقرب والمدار(٢) ولما صلينا العيد ظعنا ونحن على المياه السماوية والخضر العشبية والشكر لله تعالى فلما وصلنا للمدار وجدنا ماء السماء اكثر ولم نر من المعاطن بعد التميمي الا مقرب واما الطرفاوي

---

(١) في نسختين اسقرب — (٢) في الرحلتين العياشية والناصرية المدور

وجرجوف والجميمة فقد استغنينا عن جميعها والحمد لله على ذلك وظعنا من المدار ومررنا على العقبة الصغيرة ووجدنا الماء في اطرافها اعني ماء المطر ونحن كذلك في ماء المطر كثيرا الى الشمامة وبالجملة فبفضل الله علينا عميم وجوده لدينا عظيم جدا وكذا الخصب للدواب قد عم الارض ومع ذلك ان الارض خالية من العرب الا قبل الشمامة بيوم قد وجدنا فيها العرب اعني نجع الخوابص(١) ومعهم نجع آخر قد طلبوا منا النزول للتسوق معهم فاراد بعض من الحجاج مساعدتهم وامتنع الكثير منهم وتخلفنا للسقي والشرب من البئر فربهم ثم اتوا الينا بتمر من تمر سيوى وهو اجود التمر ولم ار مثله في الجودة والحلاوة وحبه كبير ولونه صاف وهو معلوم عند الناس جودته وحلاوته لا سيما وانهم يجعلونه في اوعية تحفظه بحيث لا يتغير اصلا بل زادت له رطوبة وجودة وهي من الحلفاء على شكل مخصوص من القفف غير انها طويلة على قدر الاستطاعة وعليها غطاء واوصاف هذا التمر اشهر من ان تذكر فاشترينا منه مع اصحابنا من طرابلس واشترى بعض اصحابنا من الركب كاخينا الفاضل سيدي احمد الطيب ما تزود به في الطلعة في الدرب وكذا غيره واشترينا ايضا منهم شيئا من الروز(٢) (الارز) وكذا غيرنا لانفضاء الزاد عن الغالب من الحجاج فرحمنا الله بهم وتفضل علينا بوجودهم وسكنت روعتنا بالاشتراء منهم وكذلك فضل الله على وفده ولما علم من اضطرارهم وغاية احتياجهم فاطمانت قلوبنا بهم والا فمن سرت ما رأينا نجعا الا هؤلاء قرب الشمامة وهي قرب مصر لانها خالية بالجور والظلم اذ العرب من قوي منهم ياخذ غيره وتلك سنة فيهم وعادة اجراها الله في اجدادهم ثم سرت اليهم فتمكنوا فيها غير ان الله دمرهم واخلى منهم ارضهم لقوله صلى الله عليه وسلم لم يكن شيء اسرع بصاحبه كالظلم ولقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليهم القول فدمرناها تدميرا والا فوطنهم احسن الاوطان لاعتدال الهواء فيه وارضه طيبة المزارع ربوتها احسن شيء للغرس ونباتها اجمل

---

(١) في نسخة الجوابص — (٢) في نسخة الرزق

شيء للضرع فكانت احسن شيء زرعا وضرعا وكذا خلق اهلها بفتح الخاء او بضمها اي اوصافهم غير ان الظلم اهلكهم لا سيما حرب الحجاج فان الله قد انتقم منهم بسببهم حتى تشاءموا بهم واستطاروا من اجلهم ليتسع الطريق وتامن الوفود ولولا فضل الله لانسد الطريق الى بيت الله الحرام * واماكنه الكرام * فاستمر ذهاب الوفد * وتمام القصد * ليصل الانسان الى غاية القرب والود * ولذا اجلاهم الله بجدب الارض والضد * جزاء لهم بتمام الحد * وسعادة لاهل القصد * ليتم من الله صدق الوعد * وتزول عنهم موانع الصد * وليرتاح ذو الشوق من تعب الكد * فيكون محبا ومجيبا لنداء الفرد * فيصحو ذو قلق مما اصابه من الوجد * برؤية الاثار من العد * ويلتئم بجمع الجمع وذلك حق بالجد * فالتكاليف والتعاريف تقوى بالمد * ولاعدائهم تمنعهم الاخذ والصولة فيما لها من ورد * ولذا تطير العقول والقلوب من قفص القيد * فيسعد لها اطوارا بالرد * غير ان نسيم الوصلة يمكنها بعض تمكن في حضرة الود .

هذا وان المنبعث اقلقه الشوق * وازعجه العشق * فلم يرما يؤلم في الاماكن الصعبة بمشاهدة اثار المحبوب في الاماكن المرسومة الدالة على الساكن الذى تخيله المصاب فلم يسترح الا برؤية اثاره فلما اشرف على الرسوم واستحضر وشاهد علو شرفه * وغريب كنهه * استفتح باب الملكوت بالملك واستنشق علم الجبروت بسر اللهوت فلم يبق له صحو غير ان منى * ابقت فيه بعض رؤية المنى * فتكفه بالمشارع واستمطر العطف في المظاهر وصلى صلاة الجمع في مسجد الفردانية بامام العرفانية في صلاة العظمة فرفع حجاب الكبرياء بسورة(١) الفرق في عرفة الصمدانية * فهام عقله في مزدلفة الوحدانية * يلتقط درر الكمال * في سعة(٢) مشاهدة(٣) الجلال والجمال * فبذلك نسك اهل اليقين باضمحلال * وهذا كله قد تخيله المحب الصرف في بيت البشر والاطوار *

(١) في نسخة بسوق — (٢) كذا في جميع النسخ — (٣) في نسخة مشاهرة

ودار الشهوات واللذات من غير استبصار * فصاح صيحة انطوى فيها الليل والنهار * واظلم الكون طرا فلم يتعب في الاسفار * ولا حرج عليه من شدة المفازة في البر والبحار * اذ رأى ان قلبه ركب مطية الانوار * واستعد الى مشاهدة العزيز الجبار * واتصل في اسرائه بسدرة الاستقرار(١) * ما ضل صاحبه وما غوى بالتجلي من النهار * وما ينطق عن الهوى حال الوصول اليه في عرصات المختار * فاعتراه وحي الهام الحقائق بانها لا سواها يخفى باستتار * فلما غاب في عين الجمع بملاحظة الفرق اليه صار * اذ بيت الرب فيه فرق بالاعتبار * علمه شديد القوى اسباب الانتقال من الجوار * فاستوطن بسعة الشهود بالاعتمار * فاحال الاحرام عن النظر الى غيره اصلا بالتعظيم والاستكثار * وهو بالافق من الاوصاف العالية ثم دنا فتدلى الى كعبة القرب والمشاهدة فحيره البغت فذهبت اثار عبوديته * في كنه ربوبيته * فمحتها ولم يبق لها اثار * هذا في قالبه جنون * وفي قلبه فنون * فلما حركه لم يسكن الا بمولاه فلم يرفث برؤية النفس * ولم يفسق بالاعتماد عليها في مقام الانس * وكذا لم يجادل الاعداء ولا احدا من الخواطر لغيبته عن الحس * فقد حج قبل سفر الاجباح * بالتنفل والتنزل في عالم الارواح * فحج الاجباح دليل عليه * ومسبب لديه * فزاد هذا هو فمنه اليه * فان التعلق باستار الكعبة علامة على التعلق بعين الذات * وكنه الاسماء والصفات * وكذا يشير الى الحضرة ودخول المقام * برعي الحفظ والذمام * والسعي بين الصفا والمروة سعي بين صفاء القلوب * في التخلق(٢) باوصاف المحبوب * فلم يتئد به السير الا بالطواف على قدم المحو والمحق للعدومات الوهمية الوجود * في سنن العهود * فمن طاف بحضرة الدنو وبالدرة البيضاء فقد طاف القدوم على فضاء شهوده * وارتوى برؤية وجوده * وهي نزهة القدس من شوائب المحدثات ثم صلى ركعتي الطواف في مقام التخلي والتحلي والتجلي(٣) ثم شرب من ماء القرب وهو

---

(١) في نسخة الاستغراق — (٢) في نسخة بالتخلق وفي اخرى بالتحقق — (٣) من قوله وهي نزهة الى هنا ساقط في نسخة

ماء زمزم المتعلق بجمال الذات اذ هو طعام الايمان * وشراب العرفان * فلم يحتج صاحبه الى طعام الاجباح دائما سرمديا فلما روي وتضلع من ماء زمزم التجلي طاف طواف الوداع لاهل الدنيا بل ودع الكونين * وصلى على الثقلين * بان لا ينظر اليهما * الا بنظر الحق اليهما * وكذا الى نفسه اخذه محبوبه ومطلوبه منه اي من بشريته الى روحانيته فانه اياها صرفا ومحضا ثم رده الى بيته وهو قفص البشريات ليوافق ويمتثل رب البيت فلم تضره البشريات وانما هي معينة ومؤيدة للروحانيات ولقد زين سماءها بمصابيح البشريات لان انوار الشريعة زينة سماء الحقيقة وجعل نجومها وهي امتثال الاوامر واجتناب النواهي رجوما للشياطين القواطع فاهلكتها واذابتها فقلب هذا عرش من عروش الحق وقالبه سفينة نوح فما ركب احد بحره الا سلم من طوفان الجهل اذ قلبه يجري بموج الواردات كالجبال غير انهم لا يعتبرون عظمتها وغالبتها اعتمادا على رب السفينة ونادى نوح يا ولد القلب اركب معنا في سفر القلب من الخلق الى الحق ولا تكن من الجاحدين لهذه الطائفة والمعترضين عليها قال سآوي الى جبل الاسباب يعصمني من ربها قال لا عاصم اليوم الا بالاعتماد عليه. وحال بينهم الموج من الهلاك فكان من المغرقين في الدعاوى .

هذا وان من حج بهذا الوصف فقد كان حجه مبرورا بالوصول اليه * والمنتهى لديه * فحينئذ من سبقت له العناية لا تضره ان مس بعض الذنوب لزوالها بالاستغفار والتوبة على الفور وربما كان ذنبه دواء له ليرجع اليه * وينكسر قلبه من اجله * ويرتقي بسببه الى حضرة ربه * فيثمر الذنب بما يثمر خالص الطاعة المقبولة رب معصية اورثتك ذلا واحتقارا * خير من طاعة اورثتك عزا واستكبارا * نعم غاية اقترافه الذنب ليعرف قدره * ولا يتعدى حده وطوره * فيكون عبدا محبوبا فيا بشراه فينتقل اذن من الموجودات الوهمية الى الموجود على الاطلاق اذ لا وجود لما سواه غير ان الشريعة لابد منها لصاحب الصحو الذي ملك الحال او بقيت منه بقية يتعلق بها حال التكليف والا فمن ملكه الحال او لم يبق فيه

الا التعريف[١] وقد صاح[٢] في ارض المحو ونادى يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لانه دعاء المضطر فالعارف لا يزول اضطراره * ولا يكون مع غير الله قراره * فكيف يخاف ما اشركوا به وعند ذلك يقول الذين آمنوا بولاية الله لبعض اهل وده وخواص قربه ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وهو النظر الى سواه والاستحسان ما منه الى الله من الاعمال التي بها حلاه ولكن اكثرهم يجهلون هذه المعارف نعم وجود مثل هذه في وفد الله امان لهم اذ هو كعبة الزوار * يقصده الضمآن لمحو الاثار * ورحمة وجوده لديهم فهم مقبولون لوجهه ومحترمون لاجله فيا لها من سعادة لمن كان معه وقد حصل نتائج الحج قبل وصوله * واجتنى ثمرته قبل حصوله * وكان حجه كالنفل فلا يزال يتقرب به حتى يكون له نفسه لان المناسك في اخلاص المسالك * والسلامة من المعاطب والمهالك * فيرحم به الضعفاء ممن[٣] هنالك * ويقبل من بعد بالمعاصي والذنوب والموبقات لوجهه بذلك فيسعى لهم لا له فيكون عبدا خلقه الله لمصالح الخلق وهو عين من عيون الحق يستسقي[٤] به فهؤلاء كل احد منهم قد نجا وتخلص بجاهه .

ولقد علمت ان ركبنا لم يخب من هؤلاء الافاضل اذ سرهم باق ليس بزائل فلم نعدم السباق[٥] * ولا تخلفنا عن تلك الرفاق * هذا وان الواجد يزيد المحو له من[٦] الخطاب الاشتياق * ان مع العسر يسرا برؤية الحبيب من الخلاق * صلى الله عليه وسلم الراكب البراق * فقد رحم الله جميعنا بحسن الاتفاق .

﴿ انعطاف الى ما كنا بصدده ﴾ فلما ظعنا من قرب الجميمة نزلنا معطن الشمامة اي غربيها وهو اقبح المعاطن ماء الا بئر واحدة على شاطئ البحر من جهة المشرق وهي اطرفها من

---

(١) في نسخة التصريف — (٢) في ثلاث نسخ صحصح — (٣) في ثلاث نسخ من ما — (٤) في نسخة يستقضي — (٥) في نسخة السائق او السابق — (٦) في نسخه الوجود يزيد المجرب

تلك الجهة واما باقيها فغير طيب وهو ماء جرف(١) اي مع غير ان الناس اضطروا (٢) اليه لعدم ماء السماء هناك وكذا ماء طيب في غير ذلك المحل .

﴿ تتمة ﴾ عدد الايام من سيدي احمد زروق على الاحتياط الى مصر بحسب مشينا الجزائري لا الفاسي فانه اسرع في المشي لتاخره فمن سيدي احمد زروق الى الزعفران خمسة ايام ومنه الى النعيم يومان ومنه الى المنعم خمسة ايام او صبحة السادس ومنه الى اجدابية ثلاثة ايام غير ان الثالث وصلناه عند الظهر ومنه الى سلوك يومان مع عشية الثالث ومنه الى التميمي سبعة ايام ومنه الى مقرب خمسة ايام مع صبيحة السادس ومنه الى المدار اربعة ايام او خمسة ومنه الى الشمامة اربعة ايام ومنها الى وادي الرهبان ثلاثة ايام ومنه الى ارياف مصر اعني كرداسة او المنصورة اذ نزلنا كفر حمام(٣) يومان ومنه الى المنشية على شاطئ وادي النيل ثم الى بولاق وهذا ليس بمشي والناس انما يقطعون الى مصر في الزوارق اي المراكب فكل من ياتي من جهة المغرب من الحيوانات العاقلة والبهائم لا يقطع الا فيها بالكراء واما صفة الماء في برقة فماء الزعفران اطيب واحلى وكذا ماء النعيم وكذا ماء الاحمر وكذا ماء المنعم واما ماء اجدابية فبين بين غير انه الى الحلاوة اقرب وكذا ماء سلوك وماء التميمي فيميل الى الملوحة واما ماء الطرفاوي فطيب وكذا ماء جرجوب دونه ودون ماء مقرب وماء المدار طيب ليس جدا وماء الجميمة دونه واقبح المياه ماء الشمامة الا البئر الذي اشرت اليه قبل فاحسن بالنسبة اليها .

ثم ظعنا من الشمامة الى وادي الرهبان وهو واد عظيم طويل وفيه قصور للعباد من النصارى ينعزلون هناك لعبادة الاصنام يخرجون من مصر اليه وان مصر فيها طوائف من النصارى يعطون الجزية للسلطان .

و بالجملة فبرقة متسعة ومع اتساعها فيها من العافية ما لا يظنه الانسان لان وفد الحجاج

(١) كذا في ثلاث نسخ وفي نسخة صرف — (٢) في نسخة اظهروا — (٣) في ثلاث نسخ كاف احام

يذهب متفرقا ومنقطعا بعضه عن بعض غير انه لا يصيبه شيء بخلاف عرب الحجاز فمن تاخر من الحجاج اخذ وسلب او مات ولو لا ما انعم الله على الحجاج من اجلاء(١) اهل برقة لانسد الطريق وانقطع راسا .

ولذا قال شيخنا سيدي احمد بن ناصر ما نصه ولو لا فضل الله على الحجاج و رحمته بهم بالانتقام ممن رامهم لتعطلت طريق الحج منذ ازمان خصوصا حجاج المغاربة لضعفهم وقلتهم وبعد الشقة عليهم فكم من قصر ومصر واقليم يقطعونه بلا عسكر ولا عدد ولا عدد (٢) ولكن

وقاية الله اغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

اي العالي المرتفع من الحصون نسأل الله تبارك وتعالى بجوده واحسانه العميم * وبركة نبيه الكريم * ان يحمي وفد بيته بما به قد حمى نبيه العظيم * وينصر زواره بما نصر به رسوله وان لا يقطع الطريق بيننا وبين تلك الاماكن المشرفة والبقاع المطهرة فما دمنا نرى في كل سنة طائفة ممن قدم من تلك المعاهد * وورد من تلك الموارد * وتشرف برؤية البيت العتيق والمسجد الحرام * ووقف بالمشاعر ونسك المناسك العظام * وصلى بين قبره ومنبره صلى الله عليه وسلم وزار محله الشريف ومحل اصحابه الاعلام * فلا نشك ان مدد ذلك يسري في اديانا وبلادنا وابداننا * وسائر متعلقاتنا * ولو انقطعت رؤيتهم نعوذ بالله من ذلك لاختل النظام * وانقطع الخير بين الانام * اه نسأل الله تعالى الكرة اليها بعد الكرة اي الرجوع اليها والمرة بعد المرة آمين .

ووادي الرهبان واد كبير ذو رمل و فيه شجر النخل(٣) وماؤه كثير وبه من انواع الوحش والبقر والنعام(٤) والظباء والمها وغير ذلك من انواع الصيد وانما اضيف هذا الوادي للرهبان لان به رهبان النصارى يتعبدون في ديور كل طائفة في دير ولا يدخل اليهم احد من غير جنسهم وليس لهم زرع ولا ضرع واهل الذمة من النصارى الذين بمصر يعاملونهم ويبعثون اليهم

(١) في نسخة اجل — (٢) في الرحلة الناصرية باسقاط ولا عدد — (٣) في الرحلة الناصرية فسلان نخل — (٤) في الرحلة الناصرية النعم

بالنذور والصدقات من الطعام والكسوة ومن هناك تمر الطريق من مصر الى اوجلة الى ان قال واشترى الحجاج ما ارادوه من انواع المطاعم الريفية وتنعموا وزال ما بهم من العياء والفت اليهم المسرة مقاليدها اي امورها كيف لا ونحن على ساحل النيل الذي هو اشرف الانهار الاربعة الخارجة من الجنة وآثار بركته ظاهرة بالعيان في مائه وترابه وقراه ومدائنه بحيث لا يوجد بلد اوسع مزارع واكثر خصبا مع اتصال العمارة نحو الشهر من هذه الا انها لها مزيد اختصاص بمضاعفة الوظائف الجورية على الرعية بحيث تملك رقابهم فضلا عن اموالهم ولا يجدون عن ذلك محيصا بمنعة او فرار حتى لو ان احدهم اراد ان يتخلى عن السبب ويترك المزارعة والفلاحة لم يتركوه ولو فر لاتبعوه حتى ياتوا به اينما كان .

قال الامام العياشي في رحلته حتى استفاض عند العمال الفسقة ان ثلاثة لا تقبل فيهم شفاعة شافع فيعدون منهم من يريد ان يتخلى عن الزراعة والفلاحة فاتلهم الله انى يوفكون لا هم ينصفونهم فيخففوا عنهم من المظالم ولا هم يتركونهم يذهبون حيث شاءوا يسيحون في الارض يرزقون كما ترزق الطير بالالتقاط من نبات الارض وخشاشها فتغدو خماصا وتروح بطانا اتخذوا مال الله دولا وعباد الله خولا والله من ورائهم محيط ولا حول ولا قوة الا بالله .

وقد ذكر ابن خلدون(١) ان مصر لابد ان تشتمل على طائفتين احداهما في غاية العتو والاستكبار والاخرى في غاية الذل والاستحقار(٢) وقد صدقوا لقد كان بها فرعون وملاؤه فلم ينته دون ان قال انا ربكم الاعلى وبنو اسراءيل اذ ذاك مستضعفون في الارض يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم اي يتركهن من غير قتل ثم لم تزل كذلك وانها في زماننا بل قبله بازمان لعلى ذلك الوصف فباشاتها وسناجقها وولاتها وحكامها بل وسائر جندها وعسكرها فيما يظهر لنا ليس فيها الا من اعماه حب الدنيا واصمه وختم على سمعه وقلبه لا يرحمون ضعيفا ولا يوقرون كبيرا اينما تبدو لهم صبابة من الدنيا وثبوا عليها ان كان صاحبها حيا

---

(١) كذا في الرحلة الناصرية وجميع النسخ وفي الرحلة العياشية ذكر المؤرخون —
(٢) في غير الرحلة العياشية الاحتقار

تسببوا له بادنى سبب حتى ياخذوا ماله اما مع رفبته او بدونها ان كان في العمر فسحة وان كان ميتا ورثوه دون بنيه وبناته واما رعيتها وفلاحتها فلا تسأل عما يلافون من الجند من الظلم وما هم فيه من الاهانة والاحتفار تضرب ظهورهم وتوخذ اموالهم ولا مشتكى لهم الا لله ومن تجاسر منهم واشتكى ضوعف عليه العذاب الاليم .

﴿ فلت ﴾ ولعل لاجل هذه الدفيفة يكثر فيهم الصالحون لان نفوسهم ميتة فد تربوا على الذل والاحتفار وزالت الرياسة وحبها من فلوبهم بل لم تسكنها فط فاذا وفق احدهم لعمل الطاعة والتفت ادنى التفات لاصلاح حاله لم يبق مانع بينه وبين ذلك لان اكبر الموانع واعظم الافات حب الرياسة ومن جال في ارياف مصر واستخبر اهلها علم صحة ما ذكرنا ومن لم يجل فليطالع الاخبار في الكتب المؤلفة في ذلك كطبفات سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله وغيرها يرى مصداق ذلك واخبار مصر وظلم الولاة بها وغش الباعة وحيل المتسببين ومكر العاملين اعظم من ان تحصى ولا غرض في تتبع ذلك ومن اراده فليسأل من وردها يخبره ببعض البعض من ذلك .

وبالجملة فمصر ام البلاد شرفا وغربا لا تستغرب شيئا مما يحكى عنها من خير او شر ومصداق ذلك ما حدثني به بعض اصحابنا من التجار في سنة اربع وستين فال لما دخلنا مصر في حدود الخمسين سكنت في بعض الوكائل وكان من فدر الله ان اجتمعنا في محل واحد جماعة منا فلان وفلان تجار وفلان طالب علم وفلان ممن يميل الى طريق الففر وفلان وفلان من اهل المجون واهل المجون المسرفين على انفسهم المطيعين لهواهم ذكر كلا باسمائهم فال فاذا اصبحنا نفرفنا كل واحد يغدو لحاجته فاذا جن الليل جمعنا المنزل فنتحدث بما راينا فيفول التاجر ما رأينا مثل هذا البلد في التجارة فاهله كلهم تجار ويحكي من حكاية ذلك ما شاهد ويفول الففيه مثل ذلك والففير مثل ذلك وذو المجون مثل ذلك وما ذلك الا لكثرة اجناس الناس فيها فمن طلب جنسا وجد منه فوق ما يظن فيظن ان غالب اهل البلد كذلك .

و بالجملة فاهلها لهم عقول راجحة وذكاء زائد فمن استعملها في الخير فاق فيه غيره ومن استعملها في الشر فكذلك .

وقد ذكر ابن خلدون في كتابه منتهى العبر ان بعض ملوك المغرب سأل بعض العلماء ممن حج عن مصر فقال له اقول لك فيها قولا واختصر من المعلوم ان دائرة الخيال اوسع من دائرة الحس فغالب ما يتخيله الانسان قبل رؤيته اذا رآه وجده دون ما يتخيل ومصر بخلاف ذلك كلما تخيلت فيها فاذا دخلتها وجدتها اكثر من ذلك .

وسئل آخر عنها فقال كأن الناس فيها قد حشروا الى المحشر لا ترى احدا يسأل عن احد ساع فيما يرى فيه خلاص نفسه .

وقد اخبرني شيخنا سيدي ابو مهدي عيسى الثعالبي ايام كنت اتردد معه الى مجلس شيخنا شهاب الدين الخفاجي فقال لي من لدن دخلت هذه المدينة ما رأيت احدا يمشي في ازقتها واسواقها على مهل وسكينة وتؤدة بل كل من تلقاه تراه مشمرا جادا في سيره ان كان راكبا فراكبا وان كان ماشيا فكذلك فتاملت ما ذكر لي فوجدته صادقا وسبب ذلك والله علم امران «(احدهما)» الرغبة والحرص المستكن في القلب فيحمل الانسان على ان لا يفوته شيء من اغراضه وهو يظن انه لو توانى في مشيه لفاته غرض مع كثرة الاغراض وتزاحم الاشغال «(والاخر)» كثرة الزحام في الاسواق فكل سوق دخلته تقول هذا اكثرها زحاما فاذا خرجت منه الى الاخر وجدته مثله او اشد وقد شاهدنا الناس في بعض الاسواق تارة يقفون هنيئة لا يقدر احد على ان يتحرك يمينا ولا شمالا من غير ان يكون هناك حاصر لهم من أمام الا الزحام وربما رفع بعضهم صوته بالتكبير فيكبرون حتى يظهر لهم بعض تحرك فيندفعون مثل السيل اذا اجتمع في مكان ضيق فيدفع بعضه بعضا حتى ينفجر من جهة فسبحان خالقهم ورازقهم وعالم نياتهم وضمائرهم يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون لا اله الا هو رب العرش العظيم رب السماوات والارض وما بينهما العزيز الحكيم .

واخبار مصر وما فيها من العجائب وجميع ما يحتاج اليه من احوالهم مستوفى في كتب تواريخها فلا نطيل بكثير منه .

قال واحسن كتاب جامع في ذلك مع الاختصار كتاب حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة للجلال السيوطي فانه مفيد جدا ومن اجاد مطالعته لم يفته من اخبارها الا المعاينة او اشياء قليلة من العوارض المشخصات اهـ كلامه الى ان قال وقد تعرض لنا الفلاحون خارج البلد وتلك عادتهم عند قدوم الركب كلما قدم يتعرضونه ويتخذون الاصحاب ليودعوا عندهم الابل ويتركوها عندهم امد الاقامة طلوعا ورجوعا وهم كما قيل « الحرص على الامانة * دليل على الخيانة » فلا ترى اعجب من تلطفهم وليس خطابهم عند نصب شبكة الخداع للمغتر من الحجاج فيحلفون بالايمان المغلظة على اداء الامانة وبذل المجهود في النصيحة حتى يركن الى قولهم ولو من جربهم مرارا ثم عند المفاصلة فلّما ينفصل معهم احد بطيب نفس .

قال ابو سالم ومن امثال الحجاج المال المودوع بع واستنفع بالغافل من باع ما فضل عنه من ابله او ضاع ومتى احتاج اشترى ولكن رزق يسوقه الله للعباد اي الفلاحين من قديم الزمان لا مطمع لاحد في قطعه ففي كل مرة نقول متى رجعنا لا نودع عند أحد فاذا عدنا استنزلونا بخلب بارق من وعدهم الكاذب حتى نقع في حبائلهم ونتورط في مخالبهم التي يعسر الخروج منها بدين سالم وعرض مصون الى ان قال ابو سالم بعد ما تقدم ﴿ لطيفة وعظية ﴾ والشيء بالشيء يذكر ذكر الشعراني رحمه الله في طبقاته عن بعض الصالحين ممن يسكن في بعض قرى مصر انه كثرت اذاية اهل القرية التي هو بها له فعزم على الخروج منها فاكترى جمالا لحمل امتعته فاتي بجمل فجعل يلقي عليه كل ما كان من الامتعة فلما اكثر عليه قال له الشيخ انك قد ثقلت على هذا الجمل فقال له صبي هناك يا عم ان الجمل يحمل اكثر من هذا فتفكر في نفسه وقال هذا خطاب من

الحق لي فاذا كان الجمل وهو من الحيوانات العجم لا يعقل ولا يرجو ثوابا يحمل اكثر من هذا فكيف لا اتحمل اكثر من هذا من اذاية الخلق فحط امتعته ورجع فسمع منشدا

ان الجمال التي بالحمل قد عرفت * تابى العياء ولو مست من القتب

فاكد ذلك عنده لما فهمه اه الى ان قال وقد ذكر شيخنا ابو سالم عن بعضهم ان الوباء قد وقع مرة بمصر وكثر الموت حتى كان يدفن في اليوم الواحد اربعون الفا فهم الباشا واتباعه بالخروج من مصر والفرار لما شاهد من كثرة الموت فلما فشا خبر ارادته الخروج طلع اليه رجل مسن من اهل التجربة والراي فقال له بلغني انك تريد الخروج فما الذي يخرجك قال هذا الموت الذريع الذي وقع في الناس فقال واي موت هنا ابعث شيوخ الحومات بمصر ليعدوا لك كم من حومة بمصر فبعث اليهم فعدوا الحومات فوجدوها اربعين الفا فقال له ذلك الشيخ الم اقل لك اي موت هنا انما هذا ميت من كل حومة فهو اما عبد او صبي او امراة فلما سمع الباشا ذلك خف عليه الامر فجلس اه .

وممن اخذ عنه سيدي احمد بن ناصر في مصر وقد اخذ عن كثير من الاشياخ الا ان امام الجميع وهو ابو الحسن علي الزعتري الى ان قال فيه ما نصه ومما افادنيه وانشدنيه .

اذا ما مضى القرن الذي انت منهم * وخلفت في قوم فانت غريب

وانشدنا ايضا لغزا في الخمر اذا استحال خلا

وما شيء اذا فسدا * تحول غيه رشدا

وان هو راق وصفا(١) * اثار الشر حيث بدا

وانشدنا ايضا في نيل مصر

كأن النيل ذو عقل وفهم * وذو علم بما يرجون منه

فياتي عند حاجتهم اليه * ويذهب حين يستغنون عنه

---

(١) كذا في جميع النسخ وفي الرحلة الناصرية لاق وصفا

واملى علينا في ذم الدخان واهله وهو في مجلس اقرانه

دخـــــــان داء لا دوا * من شربه قلبي انكوى
وهـد حبـلي والـقـوى * وقلـت مـن عظـم الجـوا
بـيـوت شـعـر مـجـردة

وانبـس مـن اجلـهـا (١) * مقطوعـة من اصلـهـا (٢)
بـعـشـبـة لاهلـهـا * مشغـولـة لاجلـهـا (٣)
جـاءت كنـار مـوصـدة

مشعـلـة (٤) لـدائـهـم * تجـول فـي امعـائـهـم
مـضـرة لـبـائـهـم * تـاتـي الى افـواهـهـم
فـي عـمـد ممـددة

قـوم راوهـا مـغـنـمـا * ومـا سـواهـا مـغـرمـا
ودار ذا (٥) عيـن العـمـى * هـي الشباب (٦) مثـل مـا
هـي الـفـراغ والجـدة

واتـفـقـوا واجـمـعـوا * بـأنـهـم لا يـرجـعـوا
لـو انهـم قـد جرعـوا (٧) * حتـى بهـا قـد ضيـعـوا
مـصـلـحـة بـمـسـجـدة

واملى علينا ونحن بداره

فسبعة تدهمنا حال الكبر * تقاصر المشي كحالة الصغر
وقلة السمع وقلة البصر * وقلة الاكل اذا الزاد حضر
وقلة الجماع في قضا الوطر * والنوم بين الناس من غير سهر
وسرعـة للبـول ادهـى وامـر

---

(١) في نسخة اصلها — (٢) في نسخة وصلها — (٣) في الرحلة الناصرية مشغلة لاهلها — (٤) في الرحلة الناصرية مشعولة — (٥) في نسخة وذا ردى — (٦) في الرحلة الناصرية السباب — (٧) في الرحلة الناصرية رجعوا

وهو رضي الله عنه من اصحاب والدنا رضي الله عنه واخبرني انه قرأ عليه القصيدة الخزرجية في علم العروض والقوافي ونقاية السيوطي سنة ست وسبعين والف حجته الثانية رضي الله عنه .

واخبرني رضي الله عنه انه يوم ختم احد الكتابين عليه اراد ان يقول له يا سيدي التحقيق انقطع بهذه المدينة واطلب منك ان تجاور عاما يستفيد الناس منك قال فجاءه انسان فكلمه بلغتهم فقلت في نفسي ان فرغ هذا من كلامه اكلمه بما في نفسي فلما فرغ المتكلم واردت ان اتكلم بادرني الشيخ رضي الله عنه بقوله ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها فسكت ولم ازد شيئا نقول ايش .

ونظير هذه الحكاية ما حدثني به الشيخ محمد اخو الشيخ مصطفى انه حج مع الشيخ وكانت خيمته بازاء خيمة الشيخ فقام ليلة متهجدا وقد هدنت الاصوات ونامت العيون قال فقلت في نفسي متعجبا من تهجدي وانه لم يجارني احد هذه الليلة او كلاما هذا معناه قال ولم استتم الخاطر الى ان سمعت الشيخ يقول وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا قال فخجلت واستحييت وتداخلت فضربت اخماسي في اسداسي اي صرفت الحواس الخمس في الجهات الست افكر في امري معاتبا لانفاسي .

قلت ومثل هذا وارفع من كرامات الشيخ لا يعد ولا يحصى * ولا يحفظ ولا يستقصى * فلو تعرضنا لادنى شيء منه لاملينا اسفارا * ولاستغرقنا دهورا واعصارا * نسأله تعالى ان ينفعنا به * وان يجعلنا من حزبه * وانما ذكرنا هاتين ايذانا بمنقبة هذين السيدين اذ الكرامات لا يراها الا من اهّل لها وصار من اهلها .

وكنا ذات يوم جلسنا معه في مجلس اقرائه وقال لنا كم هذا في غشت فقلنا له خرج وانصرم وهذا اول شتنبر وقال هذا لا يصح فقلنا له صحيح فاخذ بيده جداول التاريخ فاختبره فوجد كلامنا صحيحا فقال سبحان الله غلطتموني في جمعة وحكى لنا قصة فقال كان الامام السبكي في زمانه يسكن بولاق وله منزل على شاطئ البحر يجلس فيه وفيه كتبه وكان

السبط المارديني ياتيه وهو رحمه الله رجل مغفل ويجلسه الشيخ في مجلسه ويتحدث معه ويتذاكر ثم بعد ذلك ينصرف الشيخ يبيت بمنزله ويتركه هو يبيت هنالك فكلم الشيخ رحمه الله يوما نوتيا معه سفينة جيدة سريعة السير وفيها كثرة المقاذيف وقال له كيف تصنع وتتحيل على هذا السيد اذا نام تاخذه برفق وتضعه في السفينة وتقذف به بسرعة حتى تصبح به في دمياط فاذا بلغت دمياطا خذه برفق وضعه في مكان معلوم عينه له واتركه هناك اسبوعا ثم افعل به ما فعلت اولا وتصبح به في مكانه هذا ففعل النوتي ذلك واصبح به في دمياط وجلس يقرأ فيه السيد اسبوعا وكان ذلك ليلة الاحد فلما كان ليلة الاحد الاخرى فعل به مثل ما فعل به اولا فاصبح به في بولاق في المكان الذي اخذه منه اولا وجاءه الشيخ السبكي صباحا على عادته وسلم عليه وقال له المارديني انا اتيت من دمياط فقال له السكبي متى جئت من دمياط الم تكن هنا ليلة الاحد وهذا يوم الاحد فقال له المارديني بل اتيت دمياطا وقرأ علي فلان وفلان وجعل يعد له من قرأ عليه وغلطه السبكي في جهة وهذا مراده حتى فعل به ذلك رضي الله عنهم اجمعين وانشدنا ايضا رضي الله عنه .

ارى الاحسان عند الحر دينا * وعند النذل منقصة وذما
كقطر الماء في الاصداف درا * وفي جوف الافاعي صار سما

اشار بهذين البيتين الى ما ذكره اهل الهيئة من ان ماء النيسان ينعقد جواهر في بطن الاصداف ويصير سما في بطن الحيات .

﴿ اعجوبة ﴾ ذكر صاحب الفلاحة النبطية ان بالمشرق جبلا عاتيا ذا مدارج لا يستطاع الصعود اليه فاذا كانت ايام النيسان اتت الرفاق من اقصى البلاد وتنزل حواليه لتصغي لاصوات طيور تظهر في تلك المدارج ولها ريش كريش الطاوس ومنافير حمر وصفر في غلظ شبر وطول ذراع وفي تلك المنافير ابخاش متعددة فتستقبل الريح وتفتح منافيرها شهرا كاملا حتى تمتلئ حواصلها ريحا ثم ياخذ في انعكاس منافيرها فيخرج الريح على اصوات

عجيبة ونغمات مطربة حتى ان رفيق النفس يموت طربا من السماع فاذا تم شهر استفرغ الريح وزعقت زعقة عظيمة واشتعلت نارا وتبقى رمادا في مواضعها الى قابل فاذا نزل ماء النيسان خلقت منه فاحييت به وفي ايام نزوله تكثر الضفادع في البر فاذا ماتت بقيت فرائسها الى قابل فتحيى حين نزوله بتقدير العزيز العليم .

وحكي ان فرعون لعنه الله كان يفتن الناس بها فيعد تراب فرائسها فيحفظه عنده و بعد مطر النيسان في فواريرويقيم عليها وكيلا واذا اراد فتنة احد امر قيم التراب فياتيه بقبضة منه و يامر الاخر فياتيه بشيء من مائه فيجعله في يده ويضمها عليه مدة حتى يحس بتكوينه ضفدعا فيفتح يده فاذا بها ضفدع تثب فيدعي انه خلقها عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين .

وانشدنا ايضا رحمه الله ابياتا مطلعها .

لعمرك ان اخذت إخاء قوم * فلا تعجل بتوكيد الوداد
فان الغدر في النسمات طبع * تعوده الورى من قبل عاد
وصاحب من صحبت بحرص عزم * ولا تودعه اسرار الفؤاد
فبعض الناس ظاهره بياض * وباطنه حال من السواد
ولا تحقر عدوك لو تراه * اقل اذا نظرت من القراد
وكن حذرا ولا تركن لخل * وعد (١) الناس كلهم اعادي
وكن كالغيث في ارض بخصب * وفي ارض عذاب للعباد
وكن كالغصن ينبت فوق صخر * وكن كالماء يجري من جماد
وكن كالسيف حد المتن عضبا * وفي الاغماد يروع بالنجاد
فكم صاحبت قبلك من اناس * فخانوني وخاب بهم مرادي
وخلان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاما نافذات * فكانوها ولكن في فؤادي

---

(١) في نسخة وظن

وقالـــوا قد صفـــت منا قلـــوب * لقـد صدقـــوا ولكن من وداد
وقالـوا قد سعينـا كـل مسعـى * فقلـت نعم ولكـن في فسـاد

وانشدنا ايضا رضي الله عنه

ارزاقنـا شتـى ونحـــن طيورهـــا * نلقطهـا من جانـب بعد جانب(١)

ثم قال لما خلق الله الارزاق سلط عليها الريح ففرقتهـا في الدنيا فكل واحد يجعلـه الله حيث رزقه .

﴿ قلت ﴾ مراده والله اعلم ان ارزاق العباد فرقتها القدرة الازلية في البلاد واظهر ذلـك بالمثال بتفريق الرياح ومنه قوله .

وارزاق لنـــا متفـرقـــات * فمن لم تاتـــه منـــا اتاهـــا
مشيناها خطى كتبت علينـا * ومن كتبت عليه خطى مشاها
ومن كتبـت منيتـــه بـارض * فليس يمـوت بارض سواهـا

وعنه ايضا حكمة الهية بنت الحكماء عليها قاعدة تقـررت لديهم واطردت وذلـك ان الشمس كلما كانت مسامتـة للرؤس اشتـدت حرارتها على وجـه الارض وكلما مالـت الى الجنوب خمد حرها ومن ثم تجد المياه غالبا تبرد في الصيف لبعد الشمس عن باطن الارض وتسخن في الشتاء لقربها من باطنها ويعتدل حرها فيما بين انتهاء مسامتتها وميلها وذلـك في الربيع والخريف ذلـك تقدير العزيز العليم .

وذكر ايضا ان غاية نصف قوس النهار في بلدنا مائة وسبع وان الساعة المستوية خمس عشرة درجة دائما والزمانية هي نصف سدس قوس النهار فيقسم النهار على اثني عشر جزءا يخرج مقدار الساعة الزمانية .

واخبرني انه ولد عام خمسة وثلاثين والف(١٠٣٥) رضي الله عنه ولقد سالته يوما عن علم

---

(١) كذا في جميع النسخ

النصبة هل لك معرفة به فقال نعم ولكن لم استعمله الا مرة واحدة ولد لي ولد في اول شبابي ونظرت فيه فخرج لي انه يموت بعد ثلاث سنين فاخبرت شيخي الفيلوبي بذلك فزجرني ولما مضى ذلك القدر توفي .

قلت والامام الفيلوبي هذا هو ابو العباس احمد بن احمد بن سلامة المصري الفيلوبي الشافعي الامام العالم العامل الفقيه المحدث احد رؤساء العلماء المجمع على نباهته وجلالته وعلو شانه جامعا للعلوم الشرعية متضلعا من العلوم العقلية واما معرفته بالحساب والميقات والرمل فاشهر من ان تذكر وامامته في الاوفاق الحرفية وغير ذلك من الفنون فذلك امر مشهور وكان في الطب ماهرا خبيرا ومحبا للفقراء ولا يتردد الى الكبراء ولا يقبل من احد صدقة بل يرى متصدقا وكان متقشفا ملازم الطاعات مهابا لا يتكلم احد بين يديه الا مطرقا وله تآليف عديدة وتقاييد مفيدة توفي اواخر شوال سنة تسع وستين والف (١٠٦٩) .

واما الشيخ موسى المصري الفيلوبي فهو من ايمة المالكية المشهورين بحسن السيرة وطيب السريرة شهير صيته بين علماء الازهر وارباب الدولة وهو من اجل تلامذة الاجهوري ابي الحسن المتصدرين للاقراء والفتيا في حياته وله خبرة تامة بفروع المذهب ومشاركة حسنة في غيرها من العلوم وانفرد بالاختصاص بالكشف عن علم الاوفاق واسرار الاسماء والحروف بحيث لا يشارك في ذلك وله اخذ وسلوك في طريق القوم على منهج صاحب كتاب الجواهر وقد تلقى واخذ طريق الاسماء الخلوتية عن الشيخ محمد بن علي الشبراملسي عن الشيخ محمد الخافي عن الشيخ صبغة عن وجيه الدين العلوي عن الشيخ محمد الغوث صاحب كتاب الجواهر واسماء الخلوة مشهورة عند اهل مصر وهي اربعة عشر .

وذكر شيخنا العياشي ان بيد هذا الشيخ اثر جراحات كادت ان تتلف يده واخبرنا ان سبب ذلك ان الشيخ ابا الحسن الاجهوري جاءه بعض طلبة المغاربة يستفتيه في طلاق وقع بينه وبين زوجته فرام ان يترخص له في ارتجاعها فابى الشيخ رضي الله عنه من ذلك فاحتقدها عليه المغربي واسرها خفية سوء في نفسه فلما كان ذات يوم جاء مشتملا على خنجر

والشيخ يدرس في المجلس فلم يشعر به حتى ضربه بخنجره فترامى عليه من حضر من الطلبة يفونه بانفسهم فجرح جملة منهم ووفى الله الشيخ من كيده وجرح في رأسه جرحا كان السبب في ذهاب عينه وكان الشيخ موسى من جملة من جرح فقبض على ذلك المغربي وضرب ضربا شديدا فاراد الولاة فتله فمنعهم الشيخ من فتله ثم فتله الله بعد مدة باثر ما حصل له من الضرب في المجلس وبعد ذلك ما كان الشيخ يترك احدا من المغاربة يدخل عليه الا ان كان معه احد من اصحابه ممن يعرفه .

فال ولم يزل شياطين الانس والجن يضمرون العداوة والسوء لاهل العلم وينصر الله اولياءه عليهم بمفتضى صادق وعده وكان حفا علينا نصر المؤمنين وينجيهم من كيدهم ويحميهم من شرهم بحماية ثم ننجي رسلنا والذين ءامنوا كذلك حفا علينا ننجي المؤمنين .

فال وحضرت درسه وكان يفرئ في الجامع الصغير للسيوطي بباب رواق الحنفية ومن جملة ما فرر في حديث ايما عبد ابق من سيده فمات الى فوله ولو مات شهيدا ان العبد اذا ابق من سيده ومات في فتال الكفار كان شهيدا من جهة فتله وعاصيا من جهة اباقه ثم فال كمن شرب الخمر فغصته فمات فهو شهيد لغصته عاص لشربه الخمر اه كلامه وهذا الاخير عندي غير مفبول لان الشهادة رتبة شريفة وهي من الرخص التي ترخص الله بها لعباده المؤمنين فاكرمهم بها زيادة في ثوابهم على ما حملوا انفسهم من المشفة المتلفة لانفسهم في مرضاته والعاصي في فعله لا يترخص له ولا سعي له في مرضاة ربه حتى يرضيه بالشهادة نعم اذا كانت المعصية بغير ما وفع به الفتل كالاباق او من زنى او من سرف في سفره فهذا فد يفال فيه شهيد من جهة عاص من جهة لان الجهة منفكة فجهة فتله غير جهة عصيانه واما إذا كان سبب الفتل في نفسه معصية كشرب خمر فيغص بها او تمكين امرأة من الزنى بها فيموت فيبعد ان تحصل لهذا رتبة الشهادة اليس الغريق والحريق وذو الهدم والمبطون وغير هؤلاء كلهم فد ورد انهم شهداء فلو ان احدهم رمى بنفسه عمدا في البحر فغرق او في النار فاحترق او تناول سما او دواء معلوما فمات لا يفال فيه شهيد اتفاقا

وكذلك هذا تناول معصية كانت سبب حتفه أتى له الشهادة اللهم الا ان يكون المحترق مثلا ممن قام لنار يريد اطفاءها ولا يعلم انها تحرقه فغلب حتى احترق او اراد انقاذ غريق وهو يظن من نفسه القدرة على ذلك فغلب فغرق او غير ذلك من الوجوه التي يكون فيها اصل الفعل الذي وقع به القتل مباحا فهذا شهيد بلا كلام وشارب الخمر ان لم يقصد به اتلاف نفسه فهو معصية وحدها وما ترتب عليه من القتل معصية اخرى سببها معصية وان لم يكن القتل مقصودا فان المعصية لا يتوقف كونها معصية على القصد اليها ونيته انها معصية فان الطاعة هي التي تتوقف على النية دون المعصية فيؤاخذ بها عاجلا ويعاقب آجلا نواها ام لا الا ترى ان من تعمد ضرب انسان ولم يرد قتله ولا قصده فمات منه فانه آثم آجلا ويقتص منه عاجلا لان السبب الذي نشأت عنه المعصية معصية كشرب الخمر في مسألتنا فهو معصية ونشأت عنه معصية اخرى وهي قتل نفسه الا انها ليست مقصودة له فلا ينفعه عدم القصد ولا يدرا عنه الاثم ولو سلمنا ان اثم القتل مندفع عنه لكونه غير مقصود له فمن اين له الشهادة التي هي اشرف مقام خص الله بها من جاهد في سبيله ثم من صبر لضر انزله به مولاه حتى لقي ربه وهو راض عنه نعم ان لم يمت هذا المغصوص بأثر الغص وطالت حياته حتى تاب من فعله توبة صادقة ثم مات بأثرها من تلك الغصة لا يبعد ان يقال هو شهيد بغصته ولو قيل انه مرتبك في المعصية بعد توبته لبقاء أثر ما سبب فيه كما قال امام الحرمين في الخارج من المغصوص تائبا لما بعد ذلك والصحيح صحة توبة هذا المغصوص ان لم يمت بأثرها كتوبة الخارج من المغصوب اه فليتامل

﴿ قلت ﴾ ما ذكره من النظر فيه نظر عندي اذ لا فرق بين الابق الذي مات في قتال الكفار وبين من غص بشربة خمر اذ كلاهما عاصيان بسببهما لان الابق نفس سفره معصية وهو السبب في موته وكذا شرب الخمر فانه السبب ايضا فان سلم الاول انه يثاب من جهة القتل ويعاقب من جهة الاباق لزمه ان يسلم الثاني ايضا لانه يثاب من جهة الموت لكونه شرق بشربة فمات فهو شهيد لظاهر ما ورد فيه لانه لا فرق فيما غص

فيه انه مأذون فيه ام لا فيشمل المحرم لان الشهادة حاصلة بالاشراق من غير اعتبار لما حصلت به فيعاقب من جهة ويثاب من جهة .

﴿ فان قلت ﴾ الاباق ليس سببا مباشرا للموت لان الموت انما حصل بقتال الكفار مباشرة والاباق سبب السبب الذي هو حصول القتل من الكفار وافترقا فلم يكن حينئذ الغص مثل الاباق لما علمت من كون الغص مباشرا في الموت بخلاف الاباق .

﴿ قلت ﴾ لا فرق بينهما عند التامل لان سفر الاباق معصية وحصول الموت له نشأ عن معصية كذا الغصة فانها معصية نشأ عنها الموت وقتال العدو لمسلم يوجب له الشهادة كما يوجبها الاشراق ايضا فلا فرق بينهما حينئذ حصل عن سبب مباح او غيره لان ما به الموت موجب للشهادة ولا علينا من غيره فان كان السبب طاعة اثيب من جهتين وان كان معصية اثيب من جهة وعوقب من اخرى فصح ما قاله اولا لما تقرر لك ان الابق عند القتل والمغصوص عند الاشراق كلاهما في معصية وحصول الاشراق والقتل موجبان للشهادة كما هو ذلك في صحيح الخبر من غير اعتبار السبب او الوقت نعم وزانه ما ذكروه في باب قضاء الفوائت وهو ان من عليه القضاء ثم ترك ما عليه من القضاء واشتغل بالتنفل فانه يحرم عليه ذلك غير انه يثاب على التنفل ويعاقب على ترك ما عليه من القضاء لما علمت من تعمير الوقت بالطاعة وان كان غير وقت للنفل اذ هو عاص في ذلك لانه وقت قضاء ومثاب لكونه اشغله في طاعة فهذه طاعة نشأت عن معصية وكذا ثوابها نشأ عن سبب منهي عنه فلا فرق في كل ذلك والمسائل من هذا المنهي لا تعد ولا تحصى .

واما قوله ان الانسان اذا ضرب ما لا يحل فنشأ عنه الموت فانه آثم ويقتص منه بعيد عن هذا المرام لكونه تعمد الضرب فيما لا يحل ونشأ عنه اتلاف النفس وهو مذموم شرعا بل هو من الكبائر فنشأ عن هذه المعصية معصية كبيرة وجناية عظيمة بخلاف الغص فانه نشأ عنه كرامة عظيمة وهي الاشراق كما ان الاباق الذي هو حرام وسبب منهي عنه نشأ عنه ايضا كرامة جليلة وهي القتل من العدو لانهما اي الاشراق والقتل الموت بهما شهادة شرعا .

وبالجملة المعتبر في الحاصل الذي هو الموجب في الشهادة لا في المحصل اذ لا عبرة به فتامله منصفا والله تعالى اعلم .

قال الشيخ المذكور وذكر انه حضر مجلس شيخ الاسلام السبراملسي يقرأ عليه المواهب اللدنية قال وقرر تقريرات عجيبة في حديث اول ما خلق الله نور محمد صلى الله عليه وسلم الخ وقرر وجه انقسام ذلك النور وكيفيته مع ان الحقيقة الواحدة لاتنقسم وليست الحقيقة المحمدية الا قسما واحدا من تلك الاقسام والباقي ان كان منها ايضا فقد انقسمت وان كان غيرها فما معنى الانقسام وحاصل جوابه ان معنى الانقسام زيادة نور على ذلك النور المحمدي فيؤخذ ذلك الزائد ثم يزاد عليه نور آخر ثم كذلك الى آخر الاقسام ﴿ قال ﴾ وهذا جواب مقنع بحسب الظاهر والتحقيق والله اعلم وراء ذلك .

وذلك انما يدركه على الحقيقة من عرف معنى قوله تعالى الله نور السموات والارض ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم لما قيل له هل رأيت ربك فقال نور أنّى اراه كما في بعض الروايات بفتح الهمزة في انى ونونه كلمة استفهام او نوراني بياء النسب آخره كما في بعضها وتحقيق ذلك على ما ينبغي ليس مما يدرك ببضاعة العقول ولا مما تتسلط عليه الاوهام والافهام وانما يدرك بكشف الهي واشراق حصة من اشعة ذلك النور في قلب العبد فيدرك نور الله بنوره فيكون الحق في الحقيقة هو المدرك لنوره بنوره ونسبة الادراك حينئذ الى العبد مجاز واقرب تقرير يعطي القرب من فهم معنى الحديث ان يقال لما كان النور المحمدي هو اول الانوار الحادثة التي تجلى بها النور القديم الازلي وهو اول التعينات للوجود المطلق الحقاني وهو مدد لكل نور كائن او يكون فكما اشرق النور الاول في حقيقته فتنورت بحيث صار هو نورا كما دل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في دعاء الانوار واجعلني نورا اشرق نوره المحمدي على حقائق الموجودات شيئا فشيئا فهي تستمد منه على قدر تنورها بحسب كثرة الوسائط وقلتها وعدمها وكلما اشرق نوره وفاض على نوع من الحقائق ظهر النور في مظهر الانقسام فقد كان النور الحادث أولا شيئا واحدا ثم

اشرق في حقيقة اخرى فاستنارت بنوره تنورا كاملا بحسب ما تقتضيه حقيقتها فحصل في الوجود الحادث نوران مفيظ ومفاض وفي نفس الامر ليس هناك الا نور واحد اشرق في قابل الاستنارة فتنور فتعددت المظاهر والظاهر واحد ثم كذلك كلما اشرق في محل ظهر بصورة الانفسام وقد يشرق نور المفاض عليه ايضا بحسب قوته على قابل آخر فتنور بنوره فيحصل انفسام آخر بحسب المظاهر وكلها راجعة الى النور الاول الحادث اما بواسطة او بدونها وهذا غاية ما يمكن ان تصل اليه العبارة في هذا التقرير .

قال ومثلي في قصور باعه وعدم تضلعه من العلوم الالهية ان زاد في التقرير خشي على ايمانه ولولا تاييد الحق جل وعلا ما كنا لنهتدي على اقل من هذا والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

واقرب مثال يضرب لذلك اذ بالمثال تتضح الاشياء بعض الوضوح نور المصباح الذي ليس في البيت الكبير الا هو فتصبح منه مصابيح كثيرة [ويصبح بعضها من بعض فليس هناك في الحقيقة الا نور المصباح الاول وقد انقسم الى مصابيح كثيرة](1) وهو في نفسه باق على ما هو عليه لم ينقص منه شيء .

واقرب من هذا المثال الى التحقيق وابعد عن الايهام نور الشمس المشرق في الاهلة والكواكب على القول بان الكل مستنير بنوره وليس لها نور من ذواتها فقد يقال بحسب النظر الاول نور الشمس منقسم في هذه الاجرام العلوية وفي الحقيقة ليس هناك الا نورها وهو قائم بها لم ينقص منه شيء ولم يزايلها منه شيء ولكنه اشرق في اجرام أخر قابلة للاستنارة فاستنارت .

واقرب من هذا للفهم ما يحصل في الاجرام السفلية من اشراق اشعة نور الشمس على الماء او قوارير الزجاج فيستنير ما يقابلها من الجدران بحيث يلمح فيها نور كنور الشمس

---

(1) ما بين القوسين ساقط من الرحلة العياشية

مشرق باشرافه ولم ينفصل شيء من نور الشمس على محله الى ذلك المحل ومن كشف الله حجاب الغفلة عن قلبه واشرفت الانوار المحمدية على قلبه بصدق اتباعه له صافية بصفاء ايمانه بالله و رسوله من شبه الباطل ادرك الامر ادراكا آخر لا يحتمل شكا ولا وهما نسأل الله ان ينور بنور العلم الالهي بصائرنا * و يحجب عن ظلمات الجهل سرائرنا(١) * و يغفر لنا ما اجترانا عليه من الخوض فيما لسنا له باهل بل نحن عن اهله بمعزل * ولم نطق قط بساحته فضلا عن المنزل * ونسأله ان لا يؤاخذنا بما تقتضيه العبارة من تقصير في حق ذلك الجناب * ناشيء عن القصور في مقام العرفان ونزول منازل الاحباب .

ولقد اجاد كل الاجادة صاحب منازل السائرين الى الله لما قرر معنى كون النور المحمدي اصل الموجودات ولاجله خلقت مع مجيئه آخرا وضرب لذلك مثلا قريبا الى الافهام ببزر الشجرة مع الشجرة والثمرة فجعل النور المحمدي الذي هو الاصل كالبرز والعالم كله شجرة واللطيفة المودعة في ذلك البزر(٢) سارية في جميع اجزاء الشجرة من اوراق واغصان وازهار فبه قامت ولولاه ما وجدت ثم الكفيفة(٣) المحمدية الموجودة بصورتها آخرا بمنزلة الثمرة هي عين اللطيفة البزرية السارية في عوالم الشجرة الى ان ظهرت آخرا على اكمل وجه مع عوارضها المشخصة فهي ثمرة الوجود باسره ولولاها ما غرست الشجرة ولاجلها كان غراسها وهي اصلها و بزرها وهو مثال حسن قريب من الفهم وقد جعل صاحب الكتاب المذكور هذا المثال اصلا بنى عليه فصول كتابه كلها وهو حسن جدا مفيد في بابه الا ان فهمه يعسر على غير اهله اه .

وممن اكرمنا بهذه الديار واستدعانا لمنزله الشيخ عبد الرؤف نقيب كسوة الكعبة المشرفة وهو من خواص اصحاب شيخنا الشيخ علي الزعتري ذهب معنا يوما لداره باستدعائه و بالغ في الاكرام والمبرة والاحترام وحدثنا وباسطنا حسبما يجب واخبر ان الكسوة تقام كل سنة

(١) في نسخة اسرارنا — (٢) في الرحلة العياشية النور — (٣) وفيها ايضا الحقيقية

بإثنين وعشرين الف كيس والكيس خمسمائة غرش والمحمل بسبعة اكياس من احباسها وربما يزيد الفيم المذكور من عنده اربعة اكياس الى سنة وكان كثيرا ما يبحث عن علم الكيمياء وسر الحروف ليستعين به على ما هو بصدده وحسبنا اننا نتعاطى من ذلك شيئا واستعظم كوننا غير معتنين بتلك الحرفة ولم يعلم ان طريقتنا كطريقة اشياخنا عدم استعمال الاسماء والاوفاق بل ولا الاذكار طلبا لفائدتها العاجلة بل ولا الاجلة في الغالب وان كانت حاصلة ضمن ذلك والكفاية بالله اولى من التعلق بالاثار .

ولله در شيخ شيخنا القطب الكامل وارث المقام المحمدي ابي محمد سيدي عبد الله بن حسين الرقي اذ قال لما بلغه ان بعضا اتهمه بعلم الكيمياء خدمنا لا اله الا الله حتى وجدنا له بركة ومن ظننا بخلاف ذلك فقد ظلمنا .

﴿ قلت ﴾ ومن احمق الناس من لم يرض بقسمة الله في حاله ومقامه وصار يتشوف لما لم يقدر له ولا تحمله قواه غافلا عن تدبير الله اياه قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء .

ولقد ذكر شيخنا ابو سالم في رحلته عن الشيخ علي الصوفي وكان ممن يبحث عن هذا الفن انه حدثه ان بعض من ينتحل علم الاسماء اخبره انه كان يستعمل دعوة آية الكرسي ويشتغل بها على طريق اهل ذلك الفن فجاءه روحاني وقال له آتيك كل يوم بالف شريفي ذهبا بشرط ان تنفقها كلها ولا يبيت عندك منها درهم واحد فقال له لا اقدر على هذا فانه امر لا يكاد يخفى واخاف على نفسي ان ظهر ذلك علي من ارباب الدولة فلو كنت تأتيني كل يوم بشريفي واحد او اثنين او عشرة ففيها الكفاية فقال له لابد من الالف على الشرط المذكور والا فلا ولم يزل يراجعه في الاقتصار على الكفاية حتى ابى عليه فأيس منه وترك قراءة الدعوة .

قال وهذا من اعظم دليل على حمق الراغب في الدنيا فان الله قد تكفل له بالكفاية على وجه يرضاه له على قدر حاله ويعلم فيه صلاحه ان رضي ولو بسط الله الرزق لعباده

لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء فلو اعطي ما فوق اللائق بحاله لم يستطع الا ترى أن هذا لما رُدّ الى حال لا تليق الا بالملوك ومن يحاكيهم اي ومن يماثلهم لم يقدر على ذلك لانه فوق طوره ولو استغنى بالحال التي اقامه الله فيها فانه اعلم بشؤنه لاستراح ولكنه اراد ان يدبر لنفسه حالا ظن أنه اولى به وهو خلاف مراد الله به فنبهه الله بما اراه على ان ما كان يظنه من ان كثرة المال هو اللائق بحاله ويحسن في الرأي وغلط في التدبير لعجزه عن القيام به وهذا رجل ملطوف به ولولا لطف الله به لقبل ذلك فيكون فيه حتفه قريبا ولكنه نظر بما آتاه الله من نور العقل والحكمة فعلم ان ذلك لا يتم له لانه على خلاف مقتضى الحكمة الالهية اه .

﴿ تنبيه ﴾ والكسورة المذكورة اذا كان النصف من شوال او قبله او بعده يخرج المحمل الخروج الاول فيوتى بها من دار الصنعة فتضرب سجافة على باب القلعة فتخرج السناجق كلهم والولاة والامراء والحكام والقاضي كل واحد مع اتباعه ولكل واحد مجلس معلوم في السجافة المضروبة ومجلس الباشا في الوسط وعن يمينه مجلس القاضي وكلما اتى واحد من الامراء وارباب الدولة جلس في مجلسه المعهود له وقربهم من الباشا بحسب قربهم في مناصبهم فاذا تكاملوا كلهم واخذوا مجالسهم وصُفّت الخيل عن يمينهم صف كل طائفة مع جنسها الى ان تحيط بالميدان الذي هو امام مجلس الباشا وهو ميدان كبير يسع من الخيل الالف وآخر من يخرج الباشا فتخرج امامه طائفة من عسكره بعضهم اثر بعض على ترتيب معلوم وقانون مضبوط وآخر من يخرج معه طائفة من الشاوشية (1) على ارجلهم عليهم جلود النمر وعلى رؤسهم طراطير طويلة من اللمط لها ذيول معكوفة بين اكتافهم وعلى جباههم صفائح من الفضة مستطيلة مع الطراطير الى فوق مموهة بالذهب تلمع لمعانا فاذا خرج هؤلاء خرج الباشا باثرهم راكبا فاذا وصل الى

(1) في ثلاث نسخ الشواش

السجافة فام الكل له واضعين ايديهم على صدورهم حتى يجلس وكذلك يفعل من تفدم للجلوس من الامراء مع من ياتي بعده فاذا جلس الباشا جيء بالجمل الذي يحمل المحمل وعليه المحمل وهو فبة من خشب رائفة الصنعة بخرط متفن وشبابيك ملونة بانواع الاصباغ وعليها كسوة من رفيع الديباج المخوّص بالذهب ورفبة الجمل وراسه وسائر اعضائه محلاة بجواهر منظمة ابلغ نظم وعليه رسن محلى بمثل ذلك والجمل في غاية ما يكون من السمن وعظم الجثة وحسن الخلفة مخضوب جلده كله بالحناء يفوده سائسه وعن يمينه وشماله آخر ويتبعه جمل آخر مثل صفته ثم يوتى بالكسوة المشرفة ملفوفة فطعا فطعا كل فطعة منها على اعواد شبه السلالم معدة لذلك يحملها رجال على رؤسهم والناس يتمسحون بها ويتبركون ويوتى بكسوة باب الكعبة منشورة على الاعواد وتسمى البرفع كلها مخوصة بالذهب حتى لا يكاد يظهر فيها خيط واحد بصنعة فائفة وكتابة رائفة ثم يمر بكل ذلك بين يدي الباشا والامراء ويفومون لها اذا مرت بهم تعظيما لها ثم يخلع على الذين صنعوها بمحضر ذلك المجمع ثم يذهب بها كذلك حملتها ويمرون بها في وسط السوف والناس يتمسحون بها حتى يبلغوها الى المشهد الحسيني فتنشر في صحن المسجد وتخاط هناك .

فال الشيخ العياشي في رحلته فاذا كان اليوم الحادي والعشرون من شوال خرج المحمل من الفاهرة وهذا اليوم هو يوم خروج المحمل الكبير الذي هو من ايام الزينة ويجتمع له الناس من اطراف البلد ويوتى بكسوة البيت الشريفة المعظمة المنيفة من موضع خياطتها وتجعل في المحال التي تحمل فيه ويجتمع الامراء والسناجق والجند جميعا على الهيئة المتفدمة في الخروج الاول الا ان هذا اتم احتفالا واكثر جمعا فاذا تكامل جميع الامراء على الوجه المتفدم وصفت الخيل والرماة وخرج الباشا جيء بجميع ما يحتاج اليه امير الحاج من ابل وفرب ومطابخ وخيل ورماة وغير ذلك من الاسباب التي تخرج من بيت المال فيحضر جميع ذلك في ذلك الميدان كل طائفة لها امير مفدم عليها حتى الطباخين

والفراشين والسقائين ثم يوتى بالمحمل الشريف على جمله المذكور اولا يقوده سائسه حتى يناول رسن الجمل للباشا فياخـــذه بيده ويناوله لامير الحاج بمحضر القاضي والامراء ومعاينتهم ثم يناوله امير الحاج لسائسه فيذهب به وذلـك كله كالشهادة على الباشا بانه مكن للامير المحمل وكل ما يحتاج اليه امير الحاج من ذهابه الى ايابه وعلى امير الحاج بانه تسلم ذلـك ويشهد على ذلـك القاضي والامراء ويكتب بذلك الى السلطان فاذا مر المحمل بين يدي الباشا وذهب جيء بالابل يمر بها بين يديـه بما عليها من القرب والمطابـخ والالات كل طائفة بمقدمها فاذا مرت الابل كلها جيء بالمدافع وهي خمسة تجرها البغال ثم جاء الرمـاة الرجالة من ورائها فيمرون ثم تاتي الخيل فتمر فاذا مر جميع ذلـك بين يدي الباشـا جاء ارباب الطوائف (١) كل طائفـة من مشائـخ الصوفية بشيخهـم ولوائـم رافعين اصواتهـم بالذكر كالقادرية والرفاعية والبدوية والدسوقيـة حتى السعاة ياتون بشيخهم فيمـرون بين يدي الباشا ويعطيهـم ما تيسر فاذا لم يبـق احد ممن يمر بيـن يديـه خلـع الباشـا على امير الحاج خلعة وعلى كل امرائه الذاهبين معه كالكخيا (٢) والدويدار وغيرهما ثم يودعـه وينصرف ثم يمر بالمحمل وسائر الابل والعسكر وسط المدينة والناس مشرفون من الديـار والمساجد التي تلي الشوارع ويتعطل غالب الاسواق في ذلـك اليوم .

قال أُخْبِرْنا ان بعض تلك الديار المشرفة على الشوارع قد تكرى من اول السنة ولا يسكنها مكتريها ولا ينزلها الا في ذلك اليوم قصدا للتفرج وفيمـا سوى ذلك من الايام تبقى معطلة او يسكنها غيره .

وبالجملة فهذا اليوم عندهم من اعظم ايام السنـة ولا ثاني له الا يوم كسر النيل عند وفائه ويقرب منه أيضا يوم قدوم الحاج فهذه الايام الثلاثة هي التي يحتفل لها عندهم غاية الاحتفال ويهتبل اتم الاهتبال فاذا خرج المحمـل من الميدان الذي على باب القلعة الى فضاء الرملة

---

(١) في نسخة الوظائف — (٢) لعله الكاخية لغة في الكاهية

بقي الكثير من الخيل هناك للعب ولا يذهب معه الا المعينون للسفر معه والرملة فضاء واسع خارج قلعة الجبل فيه تباع الابل والخيل وسائر الدواب وبه يوجد غالب ما يحتاجه الحاج من الاثاث والامتعة وتنصب فيه ايام الموسم ارحاٍ متعددة لتدشيش الفول يديرها الرجال بايديهم مع كبرها وقد اعطوا قوة على ذلك يطحن الرجلان ارادب متعددة في يوم واحد فتكون بالرملة صبر من الفول المدشش كل صبرة تزيد على المائة اردب ومن هناك يكيل غالب الحاج فولهم ويعمرونه هناك في غرائرهم ويمكنونه للجماليين فيذهبون به فلا يراه صاحبه الى المكان المشترط معهم وهو المويلح في الغالب وفي الرملة كثير من خلق المعجبين يلعبون هنالك في سائر الايام كانواع المشعوذين واصحاب القرود ومن ضاهاهم من اصحاب اللعب بانواع الحيوانات كالدب والحمير والتيوس والكلاب .

وبالجملة فاهل مصر لهم ذكاء زائد وحيل غريبة قد سخرت لهم انواع الحيوانات فقليل من اصناف الحيوانات ما لا يوجد عندهم مسخرا مذللا فسبحان الذي خلق لابن آدم ما في الارض جميعا ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا .

قال وبطرف الرملة الذي يلي المدينة مسجد السلطان حسن وهو مسجد لا ثاني له في مصر ولا في غيرها من البلاد في فخامة البناء ونباهته وارتفاعه واحكامه واتساع حناياه وطول اعمدته الرخامية وسعة ابوابه كأنه جبال منحوتة تصفق الرياح في ايام الصيف بابوابه كما تفعل في شواهق الجبال وفي احد ابوابه سارية رخامية لطيفة يقال انها من ايوان كسرى وفيها نقوش عجيبة يقال انها على صورتها وضعت ابواب المسجد قال المقريزي لا يعرف ببلد الاسلام معبد من معابد المسلمين يحكي هذه المدرسة في كبر قالبها وحسن هنداسها وضخامة شكلها قال وذرع ايوانها الكبير خمسة وستون ذراعا في مثلها ويقال انه اكبر من ايوان كسرى بخمسة اذرع وقد وجدنا ركنا منه قد انهدم فكانه طرف جبل قد سقط فملأ ما تساقط منه الشوارع والرحاب التي بازائه ووجدناهم مجدين في ترميمه .

وفد اخبرنا انهم اعطوا ستين كيسا من الريال على جمع انفاضه ورفعها من الشوارع والرحاب لتعاد للبناء ثانيا واذا كان هذا اجرة جمع النفض فما بالك باجرة البناء فال ولما رجعنا من الحجاز بعد سنة ونصف وجدناهم فد فرغوا من ترميم ذلك الجانب المهدوم وبالغوا في اتفان صنعته ورفع بنائه ليناسب البناء الاول فكان كما فيل(١) .

يا بارفا باعالي الرفمتين بدا * لفد حكيت ولكن فاتك الشنب

والشنب الماء او نفط بيض بالاسنان اه فاموس(٢) فرحم الله افاضل الملوك الذين درجوا * والذين من خلفهم على منهجهم نهجوا * لفد خلدوا من المآثر الدينية ما اوجب خلود الثناء عليهم * ووصول الدعاء ممن بعدهم اليهم * ولم يزل اهل المشرق الى الان لهم فضل اعتناء ببناء المساجد والخانفات ويبالغون في تعظيمها ويتأنفون في ذلك ويبادرون الى اصلاح ما وهي منها .

واما اهل مغربنا فلا تكاد ترى في مدائنهم مسجدا عظيما فد احدث بل ولا مهدما فد جدد او واهيا فد اصلح بل لو سفط شيء من اكبر مساجدهم فاحسن احوالهم فيه ان كان مبنيا برخام ان يعاد بآجر وجص وان كان مجصصا ان يعاد بطين بحيث تجد المسجد كانه معرفة ففير هندي فيه من كل لون رفعة والى الله المشتكى وما ارى ما حل بمغربنا من الوهن الا بسبب امثال هذا من عدم تعظيم شعائر الله ولو في الامور الظاهرة فضلا عن الباطنة وفد فيل اذا اراد الله خلاء بلد بدا ببيته ثم يتبعه ما سواه واذا اراد عمارته فكذلك .

ثم يسار بالمحمل على هيئته وتعبيته(٣) حتى ينزل ذلك اليوم بالعادلية خارج باب النصر فيفيم هناك الى اليوم الثالث والعشرين فيرحلون من هناك الى البركة ويخرج امير الحاج وجميع عسكره ويخرج مع الركب من المشيعين ومن العساكر والامراء اضعافهم فتنصب

---

(١) من البيتين المذكورين في صحيفة ٢٥١ الى هنا سافط من النسخة المطبوعة بتونس — (٢) لا يوجد هذا التفسير الا في نسخة واحدة — (٣) كذا في الرحلة العياشية في نسخة نعته وفي اخرى تعبينه

الاسواق هناك ويخرج غالب الباعة والمتسببين بحيث يوجد هنالك ما يحتاج اليه السفر بارخص من سعر مصر ويقيمون هناك الى آخر اليوم السابع والعشرين الى ان قال

﴿ تنبيه ﴾ اكثر العلماء مائلون في القهوة الى الاباحة وترشح قولهم بفعل اكثر الصوفية مع تورعهم في المطاعم والمشارب زاعمين انها تعين على السهر في العبادة ويستعين بها الطلبة كثيرا في المطالعة الليلية .

قال الامام ابو سالم ولا شك انها تزيل ما يحصل في الرأس من تدويخ بسبب السهر وخلو المعدة صباحا فاذا شربها الانسان وجد في اعضائه نشاطا واحس بخفة رأسه وهذا في الغالب لمن اعتادها وهي مخففة انفاقا وهاضمة .

وصحح بعض العلماء انها تحرم على من طبعه السوداء وتكره لمن طبعه الصفراء وهي نافعة لصاحب البلغم وغيرها من انواع المطعومات كذلك يحرم تناول ما يضر منها على من علم انه يضره ولا يكون ذلك موجبا للحكم بتحريمها .

والحاصل ان الشاربين لها فريقان فريق يشربونها في اماكن معدة لذلك مزخرفة فلما تخلو من لهو وحضور من لا يحل حضوره من الجواري والمرد فهؤلاء الحامل لهم على شربها اتباع الاهواء والتلذذ بما قارنها من الامور المذمومة فلا يبعد ان يقال انها في حق هؤلاء محرمة لا لذاتها بل لما قارنها وفريق يشربونها في مساكنهم وحوانيتهم او يشربونها في السوق ويشربونها من غير جلوس مع الفريق الاول فهؤلاء الحامل لهم على شربها الفهم لها حتى انهم ربما يتضررون ضررا خفيفا بتركها كما يتضرر من الف الحجامة بتركها ومن الف شرب المسهل(١) بتركه وغير ذلك من الامور التي يعتادها الناس ويحملهم عليها ايضا تحصيل المنافع المتقدمة من الاستعانة على السهر ومن ازالة التدويخ صباحا وغالب ما يستعملونها مع طعام خفيف ككعك او كسر خبز فيكفيهم ذلك الى وقت

(١) في الرحلة العياشية العسل المسهل

الغداء هذا كله مع خفة المؤنة اذ بفلس واحد يشرب ما يكفيه من ذلك مع تيسرها في اي وفت ارادها ولا يحتاج فيها الى اكبر مئونة ولا مفارنة ادام او ملح او ابزار او خضر او غير ذلك مما يحتاج اليه غالب الاطعمة ويزاد على ذلك وهو اكبر منافعها عندهم انها تفدم للضيف وتفوم مفام الطعام عندهم ولا يستحيي احد في تفديمها للباشا فمن دونه ويفوم ذلك عندهم مفام ما يتكلفه المرء عندنا من اطعمة كثيرة تبلغ فيمتها في الاحيان دينارا فاكثر ودرهم واحد يفوم مفام دينار لا يكرهه احد بل لو فدم اليه اي الطعام ولم تكن معه فكانه لم يفدم شيئا وان فدمت هي كفت .

فال اخبرنا شيخنا الملا ابراهيم بن حسن الكوراني ان شيخنا الامام صفي الدين الفشاشي كان يفول مما انعم الله به على اهل الحجاز هذا البن اي الفهوة لانهم ضعفاء ففراء في الغالب والناس يفدمون عليهم من الافاق والانسان لابد له من طعام يفدمه لمن دخل عليه ولا فدرة لهم على تكلف ذلك لكل احد يدخل عليهم وهذه الفهوة خفيفة المئونة والناس راضون بها غنيهم وففيرهم ورئيسهم ومرؤسهم فكانت صيانة لوجوه الففراء عند ورود احد عليهم فلا يبعد ان تكون مستحبة عند اهل الحجاز لان اتخاذ الانسان ما يصون به عرضه مطلوب شرعا .

فال ذلك بعض الشراح وفد سئل عن حكمها فال وكلام هذا الشيخ مع جلالة فدره وجمعه بين العلم الظاهر والباطن وكلام غيره من ائمة الطريف مما يتفوى به فول من فال باباحتها لان المسألة اذا كانت ذات فولين وكان الصوفية مع احدى الطائفتين ترجح فولهم لا محالة لما رزفوه من صدف الالهام ونفوذ البصيرة مع تاييد الله لهم عند اشتباه الامور فيميلون مع الحف اين ما مال لرفضهم دواعي الهوى نص على ذلك غير واحد من الائمة وفد شاع وذاع عند كثير من الناس بل ذكره غير واحد ممن تكلم عليها ان اول من احدثها واخرجها من ارض اليمن الشيخ الولي الصالح المتفف على ولايته سيدي علي ابن عمر الشاذلي اليمني وامر اصحابه بشربها ليستعينوا بذلك على السهر في العبادة

ثم لم يزل امرها يفشو شيئا فشيئا ومن بلد الى بلد الى ان آل الى ما آل بحيث عمت البلاد المشرقية وكثيرا من المغربية فيحمل منها في كل سنة من بلاد اليمن لكل افق من الافاق شرقا وغربا الاف من الاحمال فتدفع فيها اموال فلما تدفع في غيرها من التجارة فيبلغ الحمل منها في مكة اذا رخص فوق العشرين ريالة وبمصر الى الخمسين وفي البلاد الشاسعة كافريقية وبلاد الروم من القسطنطينية وغيرها فوق المئين ثم قال لكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة .

رأيت في مكة كلاما لابن حجر الهيتمي المكي في اباحة القهوة بالغ فيه بالثناء عليها وذكر محاسنها وكان من جملة ما ساقه مساق الاستدلال على انها مباحة وانها من شراب الصالحين ومعينة على العبادة ان كثيرا من السلاطين والولاة والحكام قد بالغوا في ارادة قطعها والنداء عليها في الاسواق ان لا تشرب ولابد من اراقتها وزجروا عليها بانواع الزجر ومع ذلك لم تزد الا شهرة وشيوعا في البلاد فدل ذلك على انها من شراب الصالحين وانه قد شمل نظر مخرجها ومبدعها فلا يقدر احد على قطعها اوكلاما هذا معناه لطول العهد به .

قال وهذا الاستدلال كما ترى ساقط فان الدخان الذي شاع في الافاق اكثر العلماء على تحريمه وهو الصحيح ان شاء الله لما اشتمل عليه من المفاسد ولا منفعة فيه اصلا واتفق ارباب القلوب شرقا وغربا على التنفير منه وكراهته ولم يزل الامراء مجتهدين في قطعه ومع ذلك فلا يزداد الا شهرة بل الخمر المحرم بالكتاب والسنة والاجماع قد اشتهر في كثير من الامصار وعمت البلوى به غالب الاقطار فالاستدلال بالشيوع وعدم قطع الولاة والحكماء على الاباحة لا يخفى ضعفه وبطلانه على من له ادنى معرفة وتمييز بين صحيح الادلة وباطلها فكيف بذلك الامام اللهم الا ان يقال لما لم يقتصر على الاستدلال عليه وضم غيره اليه فكانه لم يعتمده دليلا بل ذكره مقويا للادلة ومستانسا به وهو الظاهر من كلامه ومع ذلك

ولا يخفى ضعفه فإن داعي الهوى لاسيما في الاواخر غالب مع ميل النفوس الى المطلوب وضعف داعية الردع من الطالب انتهى .

﴿ قلت ﴾ الاستدلال بما ذكر ظاهر ونظيره ضعيف وبيانه ان محدث القهوة امام صالح عارف ولي ولم يحدثها سدى وانما احدثها لنفع ظاهر شامل اذ فعل مثله لا يخلو عن الفائدة وهو مصون عن العبث قطعا والولي محروص بعناية الله فلم يكله الى نفسه طرفة ولا اقل من ذلك فلما اطلعه الله على نفعها للعامة والخاصة ابدعها واعلم بها اصحابه ثم سارت بها الركبان في المشارق والمغارب ولم يذمها احد من اولياء الله الصالحين وكذا ارباب القلوب فاشتهرت من غير نكير اذ لوكان هذا الحكم من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فركب الدليل عليها [من احداث الولي لها وعدم النكير من ارباب القلوب وكذا من العلماء واقبلت عليه](١) اذ قال الاجهوري اقبال العامة(٢) على الحديث دليل على صحته ذكر ذلك في شرحه لالفية العراقي في السيرة النبوية بخلاف الدخان فلم يحدثه ولي وكذا انكره ارباب القلوب وذمه اكثر العلماء بل حرموه فلا يشربه الا خسيس الهمة وقد علم في وطننا انه لا يشربه الا من لا دين له او ضعيف عقل بهوى .

وبالجملة فمنور السريرة لا يشربه ويزجر عن شربه بخلاف القهوة اذ ارباب القلوب وجدوا شربها مغيرا لها ومكدرا لصفوها ومانعا من الفتوحات اللدنية والعوارف(٣) الالهية وصارفا عن الحضرة الربانية فشربه كاكل طعام محرم وآكله يعصي الله شاء ام ابى فاذا كان كذلك فانكاره دليل على ذمه شرعا لا سيما وان افاضل العلماء قالوا بحرمته لما فيه من ضرر الابدان بل في بعض الاحيان انه يغيب العقل ويوجب اسرافا في المال من غير منفعة دنيوية ولا دينية بل مضرهما .

وقد قال الشيخ عبد الباقي في شرحه على العزية عند ذكره لشربه فقال بجوازه اذ لا

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٢) في نسخة الائمة — (٣) في نسخه المعارف

دليل على تحريمه شرعا والاحاديث المروية في منعه موضوعة يدلك على وضعها ركاكة الفاظها غير ان جوازه مقيد بقيود منها انه لا يضر بالبدن فإن اضر به حرم وكذا لا يمنع السلطان من شربه فإن منع منه حرم ايضا لان السلطان له ان يمنع المباح فإن منعه صار حراما نص عليه غير واحد من شراح خليل وغيرهما من القيود والمنع حينئذ من شربه طوق في عنق وايضا في شربه التشبيه باهل النار في قوله تعالى وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم موصدة في عمد ممددة ولا شك ان الدخان كذلك يطلع على الافئدة وناره موصدة في عمد الذي هو الغليون في لغة مصر والسبسي في لغة المغرب .

واذا تمهد هذا ظهر ان نظر العارفين ليس كنظر غيرهم لانهم لهم ادلة زائدة على القدر استدل به جميع العلماء وهي الاطلاع على خبث الاشياء الملتبسة التي وقع فيها الخلاف بين العلماء وكذا الاشياء الطيبة الملتبسة ايضا عندهم واذا وقع الخلاف في الكل فيستدل حينئذ برأي العارفين في الجواز والمنع فيكون حينئذ من المرجحات لما لهم من الكشف التام والادراك الحقيقي على اتم حال واكمله اذ لا يشك فيهم لغيبتهم عن الاكوان والاثار والاوهام لاشراق شمس الحقائق على قلوبهم فلم تبق ظلمة الاوهام فيها قل جاء الحق وزهق الباطل فإذا لاح على قلب العارف فعل المختلف فيه مع كونه كاملا في علمه مستوفيا لشروط الافتداء بفعله فإن ذلك يستدل به على كونه مأذونا فيه لاسيما اذا كان مما يستعان به على العبادة او ينور القلب فلا جرم في جوازه وان وقع لبعض العلماء فيه النهي لاسيما اذا كان فحا اي لا ذوق له فلا يعتبر .

فإذا علمت هذا علمت الفرق بين الدخان والقهوة فإن القهوة اقبل عليها المتلبسون بالصدق والدخان الغالب فيه اقبال اهل الفسق عليه بل لا تجد صديقا عارفا يشمه او يشربه فلا تساعد من يشربه ولا تسمع لقوله لما علمت قبل من اتفاق ارباب القلوب على ذمه وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .

﴿ انعطاف ﴾ الى ما كنا بصدده قال شيخنا المذكور ما نصه ومن احسن ما رأيت من الاسئلة والاجوبة في شأن القهوة نظما ما اشتملت عليه هذه الابيات التي كتب بها العلامة رضي الدين محمد بن ابراهيم الحلبي الحنفي المعروف بابن الحنبلي للشيخ علي بن محمد بن عراق الى ان قال في الجواب عن اباحتها بحيث لا يحرمها ما عرض لها مما لا يحل حضوره من الشبان والنساء وآلة اللهو غاية الامر ان من ولاه الله امور المسلمين يجب عليه ان ينكر ذلك ويزجر فاعله بان يفرق تلك الجموع ويشتت تلك المحافل واما هي فحلال قطعا

وجوابي انها حل ولا * يقتضي ما قلتم تحريم عين
وعلى ذي الامر انكار الذي * شأنها حتى تصفى دون رين
واذا لم يستطعه دون ان * يمنع الاصل ففعل منه زين
والتداني من حماها وهي في * وصفها المذكور شين اي شين
والصفا في شربها مع فئة * اخلصوا التقوى وشدوا المئزرين
ثم ناجوا ربهم جنح الدجى * بخشوع ودموع المقلتين
فابتداء الامر فيها هكذا * قد حكاه عن ولي دون مين
ذا جوابي واعتقادي انه * في اعتدال كاعتدال الكفتين

قال والامام ابن عراق مشهور فضله وعلمه وورعه وهو صدر في علماء الحرمين علما وعملا جوابه في المسألتين هو الحق ان شاء الله والى مثل ذلك تميل اجوبة كثير من الائمة انها اذا خلت مما يضاف اليها من المحظورات(١) فهي في نفسها مباحة وعلى ذلك عمل كثير من الائمة في جميع الامصار التي هي محل الاقتداء وربما راينا من يبالغ في التنفير عنها من الائمة المتعمقين في الورع تركا لما لا باس به حذرا مما فيه الباس كما هو شأنهم في غيرها من المباحات التي هي من الفضول انتهى كلامه .

---

(١) في الرحلة العياشية المحذورات

﴿ قلت ﴾ وفي الحطاب ما نصه فائدة ظهر في هذا القرن والذي قبله بيسير شراب يتخذ من قشور البن يسمى القهوة واختلف الناس فيه فمن متغال فيه فيرى ان شربه قربة ومن غال يرى انه مسكر كالخمر والحق انه في ذاته لا اسكار فيه وانما فيه تنشيط للنفس ويحصل بالمداومة عليه ضراوة اي استئناس والفة تؤثر في البدن عند تركه كمن اعتاد اكل اللحم بالزعفران والمفرحات فيتأثر عند تركه ويحصل له انشراح عند استعماله غير انه تعرض له الحرمة لامور منها انهم يجتمعون عليها ويديرونها كما يديرون الخمر ويصفقون وينشدون اشعارا من كلام القوم فيها الغزل وذكر المحبة وذكر الخمر وشربها ونحو ذلك فيسري الى النفس التشبه باصحاب الخمر خصوصا من يتعاطى مثل ذلك فيحرم حينئذ شربها لذلك مع ما ينضم الى ذلك من المحرمات ومنها ان بعض من يبيعها يخلطها بشيء من المفسدات كالحشيشة ونحوها على ما قيل ومنها ان شربها في مجامع اهلها يؤدي للاختلاط بالنساء لانهن يتعاطين بيعها كثيرا وللاختلاط بالمرد اي الشبان الذين لا شعر لهم لملازمتهم لمواضعها وسماع الغيبة والكلام الفاحش والكذب الكثير من الارذال الذين يجتمعون لشربها مما يسقط المروءة بالمواظبة عليها ومنها انهم يلتهون بها عن صلاة الجماعة غنية بها ولوجود ما يلهي من الشطرنج ونحوه في مواضعها منها ما يرجع لذات الشارب لها كما اخبرني والدي رحمه الله وحفظه عن الشيخ العارف بالله تعالى العلامة احمد زروق انه سئل عنها في ابتداء امرها فقال اما الاسكار فليست مسكرة ولكن من كان طبعه الصفراء او السوداء يحرم عليه شربها لانها تضره في بدنه وعقله ومن كان طبعه البلغم فانها توافقه وقد كثرت في هذه الايام واشتهرت وكثر فيها الجدال * وانتشر فيها القيل والقال * وحدثت بسببها فتن وشرور واختلفت فيها فتاوي العلماء وتصانيفهم ونظمت في مدحها وذمها القصائد والذي يتعين على العاقل ان يتجنبها بالكلية الا لضرورة شرعية ومن سلم من هذه العوارض كلها الموجبة للحرمة فانها ترجع في حقه الى اصل الاباحة انتهى .

﴿ فلت ﴾ وهذا هو الحق الذي لا معدل عنه والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

وممن اجتمع به شيخنا المذكور الاستاذ الشيخ محمد البقري واليه انتهت اليوم بالديار المصرية رياسة علم القراءات واخذ عنه علم القرءات الى ان قال وحرر كتبه يوم السبت المبارك السابع عشر صفر من شهور سنة الف ومائة وعشرة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام والله اعلم .

وذكر لنا ان من اراد قضاء حاجة وقدم اليها انه يكتب على خنصر يده اليمنى محمدا وفي ابهامها دحطة بالدال والحاء والطاء المهملات والتاء المثناة من فوق ويذهب اليها فانها تقضى بحول الله وقوته وافادنا ايضا ان من قرأ سورة اذا زلزلت الى آخرها ثم يقول سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم وعدد المنعم ومبلغ الرضى وزنة العرش فان الله يكتب له من الاجر قدر ما بين حروف اذا زلزلت الى اول القرآن ويمحو عنه بقدر ذلك من السيئات ويرفع له بذلك درجات .

وعنه ايضا من وضع يده على جبهته وقرأ يا مبدئي يا معيد ثلاث مرات ذكّرني ما نسيت فانه يتذكر الشيء الذي نسيه وعنه ايضا تكتب الفاتحة احرفا مقطعة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الاحرف ف ج ش ث ظ خ ز تمحى بماء ورد وسكر ويشرب فانها تزيل جميع ما في الانسان من الاوجاع

وعنه ايضا

لا تعترض من تراه * تكتب من الاحباب
واحذر تكن منكرا * تطرد عن الابواب
اهل الولا في الورى * اخفاهم الوهاب
كليلة القدر * اخفاها عن الطلاب

وقال هذان البيتان لسيدي عبد الوهاب الشعراني من الملحون ولم ينقل منه شيئا سوى هذين البيتين واقول زرت ما زاره الشيخ المذكور بمصر غالب ما بها من المزارات بالقرافتين الكبرى والصغرى من ائمة الاسلام وعلماء الدين وما بداخل المدينة كذلك ومن اجل المزارات واعظمها بركة ونجحا المشهد العظيم المحتوي على جماعة من اهل البيت رجالا ونساء اشهرهم السيدة نفيسة الطاهرة واليها ينسب المشهد وبها يعرف وعليه بناء عظيم وبازائه مسجد وبيوت تسكن فلما تخلو من زائر وراغب الى الله في كشف كربه وقبرها معروف باجابة الدعاء فهو ترياق لنيل كل مراد * كقبر ابن عمها موسى الكاظم ببغداد * وهي السيدة نفيسة بنت الامير حسن بن زيد بن علي بن الحسين . دخلت مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر الصادق وكان الامام الشافعي يصلي بها التراويح في رمضان رضي الله عن جميعهم ٠

وزرنا ايضا قبر الامام الذي لا ينبغي لاحد دخل مصر ان يهمل زيارته اذ هو صاحب التصريف التام بمصر رئيس الائمة * وشيخ شيوخ الامة * محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه وعليه بناء عظيم ومسجد وخانقات وقوم من الفقراء يسكنون هناك وقيم المشهد لا يفارقه ليلا ولا نهارا وهو من المشاهد الكريمة * والمآثر العظيمة * له اوقاف كثيرة ويتخذ عند قبره كل ليلة سبت مولد يجتمع فيه اناس كثيرون يضيق بهم المسجد وافنيته ما بين فقراء وامراء رجال ونساء يبيتون طول الليل بين ذكر بجماعة وصلاة وقراءة قرآن لا يفترون الى طلوع الفجر وذلك دأبهم ابدا في كل ليلة سبت ولا يخلو ذلك المجمع من جماعة من الصالحين فقد ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني ان جماعة من الاولياء يحضرون كل يوم لزيارة الامام الشافعي رضي الله عنه وهو حقيق بذلك وجدير فانه بالمحل الذي لا يدرك علما وعملا وحالا وفتوة وحسن اخلاق و زكاء اعراق ونصرة للدين وحماية له باذلا في ذلك نفسه وماله وجاهه فقد اتفق العلماء على انه ليس في اصحاب امام الائمة مالك رضي الله عنه اثبت ولا اعلم ولا افقه من الامام الشافعي كما اتفقوا على انه ليس في مشائخ الامام

الشافعي اجمع للخصال المذكورة من الامام مالك بن انس رضي الله عنه وعن جميعهم وما علم من تعظيم كل واحد منهما للاخر وثنائه عليه يدل على انهما عالما الامة وناصرا السنة وشيخا المشرفين والمغربين وقمرا سماء الكتاب والسنة المنيرين فالعلماء في كل قطر من بعدهما عيال عليهما فهما فرسا رهان * وقطبا فلكي الاتفاق * وان انفرد الامام مالك رضي الله عنه بفضيلة السبق و رتبة الاستاذية وسكنى المدينة ودار الهجرة والسنة الى ان مات فللامام الشافعي رضي الله عنه مزايا كثيرة * ومآثر شهيرة * استحق بها ان يشهر و يذكر * و يحمد في دين الله و يشكر * نسأل الله تبارك وتعالى ان يرزقنا محبتهما وتعظيمهما ومحبة سائر الائمة المجتهدين * والعلماء المهتدين * خصوصا شريكيهما في تقرير المذاهب * وحيازة التشريف باسم الائمة بالغلبة وذلك من اعظم المواهب * الامام الاعظم ابا حنيفة وناصر السنة احمد بن حنبل فكلهم على هدى من ربهم * ومهتد حقا من اهتدى بهم * فرضي الله عنهم وعن سائر العلماء اجمعين * وجعلنا لمناهجهم السديدة من خيار المتبعين .

و زرنا ايضا الامامين الشهيرين * الشامخين الهمامين الكاملين * لراية مذهب مالك * السالكين في ذلك احسن المسالك * راية المذهب * عبد الرحمن بن القاسم وحاميه وناصره اشهب * رضي الله عنهما وقبراهما متجاوران يستجاب الدعاء عندهما مجرب وذكر الامام ابو القاسم القشيري رضي الله عنه في رسالته ان من وقف بين قبريهما وقرأ قل هو الله احد مائة مرة ثم استقبل القبلة ودعا اجيب دعاؤه و بازائهما قبور كثيرة لمشائخ الائمة رضي الله تعالى عنهم و زرنا بائع نفسه في مرضاة الله المجاهد في سبيل الله عقبة بن نافع الصحابي رضي الله عنه وعليه بناء عظيم * ومسجد كريم * وزرنا ابا الفيض ذا النون المصري وشيخ المشتهرين بحب الله لسان المحبين ابا حفص عمر بن الفارض رضي الله وقبور السادة بني الوفا * مناهل الصفا * ومشائخ العارفين الامام تاج الدين ابن عطاء الله صاحب الحكم والامام شرف الدين البوصيري وامام المحققين ابن ابي جمرة وتلوه في المعارف والعوارف ابن الحاج صاحب المدخل وغير من ذكر من المشائخ لو تتبعنا ذكر اسمائهم لطال

الكلام ولانستقصيهم وزرنا محل الشيخ ابي عبد الله المغاوري على حرف الجبل مشرف على القرافة كلها وبالجملة فبفضل القرافة وما اشتملت عليه من المزارات اشهر من ان يذكر * واظهر من ان يشهر * وقد ورد في الاثار انها بقعة من الجنة ولذلك امر الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجعلها مقبرة للمسلمين قائلا لا اعلم تربة الجنة الا مقابر المسلمين رضي الله عنه ما اصدق فراسته * واجل امانته * وزرنا تربة المجاورين * ومن اشتملت عليه من الائمة المحققين * والعلماء العاملين * وسمي هذا المكان بتربة المجاورين لانه قريب من الجامع الازهر وبه يدفن غالب اهله والمجاورين له بل الاماكن القريبة من الجامع كلها تسمى حارة المجاورين اذ لا يسكنها في الغالب الا العلماء والغرباء والفقراء وقل ان تجد بازائه دار سنجق او احد ارباب الدولة لضيق المحل وهم يريدون السعة والقرب من القلعة التي هي محل الباشا واكابر دولته وزرنا كذلك غالب من بالقرافة الصغرى من الصالحين وزرنا قبر الشيخ خليل رضي الله عنه وقبر شيخه الشيخ ابي عبد الله المنوفي وهما في مكان واحد وبقربهما تربة الائمة اللقانيين وزرنا ايضا قبر السلطان المرحوم الملك المعظم المهاب العدل المعدود من الاولياء الاتقياء كما ذكر غير واحد من الائمة السلطان قايت باي رضي الله عنه وارضاه ونفعنا ببركاته وعلى قبره بناء عظيم وبازائه مسجد متقن ومحلات لسكنى الفقراء ولقيم القبر وهو لا يخلو من عمارة وعند رأس القبر حجر منبي عليه بناء حسن فيه اثر قدمين شاع عند الناس انهما قدما النبي صلى الله عليه وسلم وهناك حجر آخر فيه اثر قدم اخرى يقال انها قدم الخليل والناس يزورونها ويذكرون انها من الذخائر التي ظفر بها قايت باي ايام سلطنته فجعلت عند قبره رجاء بركاتها ولا يبعد ذلك فقد كان ملكا عظيما عدلا موقرا مهابا محببا الى الخلق ذا سيرة حسنة في الرعية واجتهاد في عبادة ربه الا انه لم نر من نص على انه ظفر بشيء من هذه الاثار من المؤرخين بل قد ذكر جماعة من حفاظ المحدثين ان ما استفاض واشتهر خصوصا على ألسنة الشعراء والمداحين من ان رجل النبي صلى الله

عليه وسلم غاصت في الحجر لا اصل له ولم يذكر احد ان اثر الخليل عليه السلام موجود في غير حجر المقام .

اقول قال شيخنا المذكور قال شيخنا العياشي في رحلته وبالمدينة المشرفة ومكة والقدس آثار يقال انها آثار بعض اعضاء النبي صلى الله عليه وسلم من قدم ومرفق واصابع والله اعلم بصحة ذلك ولكن لم يزل الناس منذ اعصار يتبركون بها من العلماء والصلحاء ويقتفي الاخير منهم الاول قال ولاجل ذلك لما دخلنا الى مزار السلطان المذكور صب القيم على الاثرين شيئا من ماء الورد فغمسنا فيه ايدينا ومسحنا به على وجوهنا ورؤسنا وابداننا رجاء البركة بحسن النية وجميل الاعتقاد لان المنسوب اليه ذلك عظيم ورائحة النسبة مع حسن النية كاف في ظهور الاثر وحصول المرام ولم يزل الناس يتعرفون البركة واجابة الدعاء في الاماكن المنسوبة الى الانبياء والاولياء والعلماء ولو لم تصح النسبة فما بالك بما نسب الى سيد الوجود فالكل في الحقيقة اليه منسوب اذ هو اصل الموجودات وسر المشهودات فاي محل كان مظهرا لبعض كمالاته بالفعل او بالقول او بمجرد النسبة مع اصل النسبة الحقيقية عمت البركة وغشيتهم الرحمة يدرك ذلك بالذوق اربابه * ويتعرفه بالبصيرة النورانية اصحابه * والله المسؤل ان يمدنا بمدده الساري في اسرار محققي اتباعه * وينظمنا في زمرة حزبه واشياعه * وصلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين انتهى كلامه .

ومن يوم خروج المحمل شمر الناس عن ساق الجد في التجهيز للسفر باتخاذ الزاد وشراء الابل او كرائها وازيحت العلل وكان الناس قبل ذلك في سعة من امرهم ويقدم الجمالون من الصعيد والارياف طالبين الكراء واختلفت رغبات الناس في ذلك فمن مائل للكراء ومن مائل للتدرب بإبله فمن اراد راحة بدنه وتعب قلبه والخصومات آناء الليل واطراف النهار اكترى ومن اراد سلامة قلبه ودينه والمخاطرة بماله اشترى ابله ثم ياتي عرب الدرب للكراء على حمل القول من مصر الى المويلح ومن اراد المخاطرة فلا يكتري شيئا ويشتري في كل بندر ما يحتاج اليه الا انه ربما يقل في بعض الاحيان فيشتري في

بعض المحال غاليا وغالب الاوقات يكون الامر متقاربا في الشراء والكراء وربما كان الشراء ارخص من الكراء .

قلت وفي وجهتنا هذه كان الشراء ارخص بكثير والتفى الناس من رخص الاسعار في جميع البنادر ما لم يخطر لهم على بال وكاد يعد من المحال وكذا في الحرمين الشريفين فسبحان من بيده الامر كله يفعل في ملكه ما يشاء تبارك وتعالى وهو ارحم الراحمين .

ولا يقطع الكراء مع واحد من عرب الدرب حتى ياتي عريفهم لامير الركب فيتقاطع معه في الكراء ويعطون له جلاء هناك بمصر لئلا يغدروا وربما غدروا في بعض السنين فيغلى الفول في بعض البنادر فيكابد الناس لذلك ما الله به عالم فاذا كان اليوم الحادي والعشرون من شوال خرج المحمل من القاهرة وهذا اليوم هو يوم خروج المحمل الخروج الكبير الذي هو من ايام الزينة ويجتمع له الناس من اطراف البلاد الى ان ينزل خارج باب النصر بالعادلية فيقيم هناك الى اليوم الثالث والعشرين فيرحل من هناك الى البركة ويخرج امير الحاج وجميع عسكره ويخرج مع الركب من المشيعين ومن العساكر والامراء اضعافهم فتنصب الاسواق هنالك فيخرج غالب الباعة والمتسببين بحيث يوجد هنالك ما يحتاج للسفر بارخص من سعر مصر ويقيمون هنالك الى آخر اليوم السابع والعشرين واما المغاربة فلا يخرج منهم الا من قصده الذهاب مع المصري مؤثرا مشي الليل على مشي النهار مستسهلا مشقة السهر بالليل عن حر النهار لا سيما في ايام الصيف وانما يؤثر ذلك غالبا صنفان من الناس اهل القوة والثروة الذين لهم شقاذف ومحامل وهوادج ينامون فيها بالليل على ظهور الابل ويصبحون بالنهار كانهم مقيمون ولا شك ان هذا اولى لهم من السير نهارا اذ وطنوا انفسهم على بذل الدينار والدرهم للجمال والعكام والسقاء والطباخ وقائد الابل وغيرهم وهم في ذلك متعاطون من النوم على ظهر الدابة ما تأباه الشريعة السمحة المبنية على الرحمة والشفقة . والصنف الاخر الفقراء الذين لا ابل لهم ولا امتعة فيسترفقون عند المصري بالماء المسبل في اوقات من الليل وعند الرحيل نهارا مع ما ينالهم

من اهل الثروة من التصدق بفضل الاطعمة الا انهم يكابدون مشقة عظيمة في المشي والسهر ليلا وفي النهار يشتغلون بالسعي على ما يفوتهم فلا يكادون ينامون الا قليلا واما المتسوفة والباعة والجمالون من فلاحي مصر فلهم قوة وفرط صبر على مكابدة اعظم من ذلك فبالليل يسيرون وبالنهار يعملون في البيع والشراء والسقي والطبخ وعلف الابل واصلاح اقتابها ومداواة جراحاتها فلا يكادون ينامون حتى القليل .

اقول قال شيخنا ابو سالم وقد أخبرنا عن بعض من اعتاد السفر في درب الحجاز من الجمالين انه لم ينم من يوم خرج من مصر الى ان رجع الى مصر مائة يوم وهذا كالمحال عادة فان صح فهو من اغرب الغرائب ولعله كان لا يضطجع للنوم على هيئة القاصد لذلك بل يغفي اغفاءة تارة على ظهر بعيره وتارة في وقت انتظار حاجة او فراغ من اكل او ما يضاهي ذلك فان كان مثل هذا فلا يستبعد انتهى .

واما من لم يقصد الذهاب مع المصري من المغاربة فلا يخرجون الى اليوم السابع والعشرين من شوال وينزلون بالبركة عند رحيل الركب المصري او قبله بقليل .

﴿ قلت ﴾ وهكذا كانت العادة وقد يؤخرون في هذه الاواخر بحسب تجهيزهم وتهيئة زادهم وما يحتاجون اليه لمسافة الدرب أمامهم ولله در العلامة الصلاح الصفدي(١)

درب الحجاز مشقة لكن اذا * الجمال هان تسهلت أهواله
أصبحت في تصريف حالي على * ما يشتهي فكأنني جماله
قد كان خف على فؤادي لو غدا * من فوق ظهري بالسوا أحماله
ويكون طوعي في الذي أختاره * لكن قسا وتضاعفت أثقاله

وقال ايضا في المعنى

درب الحجاز مبارك لكنه * يحتاج صبرا زائد الاجمال
وغبونه شتى ولا مثل الذي * اصبحت القاه من الجمال

(١) هذه القطعة ساقطة من نسختين

وفال ايضـــا

غدا سفـر الحجـاز كما تـــراه * لاخلاق الرجال بدا محكا
فكم من صاحـب أمسى عدوا * به وصحيح ود فد تشكـــى
وجمـــال جميلـك لا يـــراه * وعكام اتى من ارض عكا
كما ان المفوم في اعوجـاج * وحين تفيمه بيديك دكـا

ثم بعد الاسفار تحملنا بحملنا ما لا مندوحة عنه في الاسفار فعوضنا الخيام من المسبك * وفوضنا الى الله الامر في المحرك والمبرك * ونحن نتوقع تواتر الاذى * ونتوقى تـوالي القذى * فما وجدنا والمنة لله الا اللطف الخفـي والاعانة * وتسهيل الطريق منه تعالى وسبحانه * ونكبنا البركة ذات اليسار * وشمرنا ذيول التسيار * آمّين الدار الحمراء * مستمديـن من مالـك الغبراء والخضراء * وهان علينا بذل البيضـاء والصفراء * بل سررنا بذلـك لما املناه * وخف على النفس كل ثقيل لما قصدناه

سررنا وطبنـا حين سرنا لطيبـة * ولم نخش من طول المسير التماديا
وقلنا اجتهد يا سائق الركب انما * تهون المنايـا ان بلغنـا الامانيـا

وبركة الحاج المذكورة هي بركة واسعة مد البصر يتموج فيها ماء النيل العـذب الفـرات تنصب فيها الاسواق الحافلة بشاطئها والقهاوي المزخرفة والبساطيط المؤنقة ويخرج غالـب اهل مصر لوداع الحاج والتفرج هنالك والتنزه في بساتين ومقاصير على شاطئ النيل المنصب الى تلـك البركة وفي جانبهـا الغربي قرى متعددة في احداها مسجـد لسيدي ابراهيـم المتبولي حسبمـا ذكره الشيخ الشعراني في الطبقات فنزلنا غربي الدار الحمراء فاستهـل لنا هلال ذي القعدة وهو كالسنان المنعطف فوق الصعدة .

﴿ انعطاف ﴾ وتنبيـه لما ظعنا من كفر حمام اردت انا ومن اتبعني من الفضـلاء السفر مع الركب المصري لما اشتهـر من ظلم الركـب الجزائري للناس وللهرج فيه ايضـا حتى ان الانسان يتمنى لم يقدم الى الحـج وان شيخ الركب ليس الا يساعد النـاس على ما هم

عليه من ظلم وغيره وانا لا املك نفسي عند ظهور الظلم وساعدني الاخ في الله سيدي احمد الطيب وسيدي احمد بن حمود(١) وغيرهما من افاضل الركب فلما ظعنا واردنا الفرقة رحل جميع الركب وراءنا من غير تراخ الى ان وصلنا الى امبابة(٢) وجاهة بولاق فنزلنا فرادى ونزل معنا بعض الركب وبقينا اياما هناك غير ان الناس لم ينزجروا عن التعدي عن زرع الناس بل حصدوه ورعوه بالابل والفلاحون يتشكون ويبكون ويتباكون فنهيناهم وزجرناهم بل ضربنا بعضهم فلم ينزجروا بل زادوا ظلما وعدوانا فذهبت للشيخ فقلت له ليس الا الانتقال الى بولاق فرحلنا وقطعنا النيل باجرة كما هو العادة غير ان اهل الركب يقطع اكثرهم ويمتنع من اعطاء الاجرة فلما رأينا ذلك منهم وشاهدنا عدم توبتهم نزلنا فرقتين فالشيخ مع بعض الركب نزل محاذيا لبولاق ونحن نزلنا بين مصر وبولاق ثم ان من نزل معنا لم ينكف عن الظلم والتعدي فاكترينا(٣) عن رجل جندي غير انه لما طلب قبض ثمن الكراء اتهمناه(٤) فاتينا به الى شيخنا الفاضل الكامل المحقق العلامة المدقق صاحب التصانيف المفيدة سلطان العارفين وامام السالكين الشيخ البركة سيدي محمد الحفناوي نفعنا الله به وبامثاله آمين فعاهده وتوثق جميعنا بحضرته «نعم» قد الزمت نفسي اني لا اعطي دراهمي احدا الا بعد رفع الاحمال والدخول في السفر فاخذ ذلك الجندي الدراهم من بعض الحجاج اعتمادا على الشيخ المذكور فبعد يومين او ثلاثة هرب(٥) بالدراهم على اني بعت له جملا بعشرين ريالا ابو طاقة والاجل مكة فذهب بالجمل الى ان وصل بولاق فرجع الجمل بنفسه من غير قائد ولا سائق وهو من خوارق العادة اذ من غفل على دابته طرفة عين اخذت من غير شك فلما علمنا بهروبه ربطنا ولد اخيه واعلمنا حاكم بولاق فحبسه واعطى الحجاج ما وجد بين يديه من المال فبعناه وقسمناه بينهم فصار لكل نصف ما اعطى اذ قد احاط الدين

---

(١) في نسخة حمودي — (٢) كذا في نسخة ولعله انبابة وفي ثلاث نسخ ام بابة — (٣) في ثلاث نسخ فلما اكترينا — (٤) في نسخة امهلناه — (٥) في ثلاث نسخ لا وهرب

بجميع ماله ﴿ نعم ﴾ فلا تغتر ايها الحاج بحلاوة اللسان من الشياطين ولا باظهار المودة ولا بكثرة الايمان فانهم ذئاب في ثياب وكذا ان اتوا لك بهدية لا تقبلها منهم فانهم يريدون التحيل بالوصول بها الى مالك فتقع في شبكة لا مخرج لك منها فلا يعتبرون عهدا ولا مودة ولا يمينا ولا صحبة ولا شيخا ولا وليا الا المكر والخديعة فلا يرجى منهم الا الخيبة والخسران والنكث والعكس ولا ينجو منهم الا من اشترى ابلا لنفسه وحمل عليها والا فقد قطعوا الطريق واسبابها لانهم ان قدروا على اخذ المال تحيلا فعلوه والا اخذوه باعطاء رشوة لاصحاب المخزن مع الدعاوي الكاذبة والفجور واظهار الشكوى بلسان الباطل وغير ذلك من فضائحهم(١) فلم يبق الا النصرة بالله والاعتماد عليه ليحفظك من شرهم وبسبب ذلك انقطعنا عن الركب المصري ﴿ نعم ﴾ اجتمعنا وتشاورنا فظهر لنا السفر مع سلطان فزان وحاكمه لما ظهر لنا فيه من الحكم والعدل فتعينت انا والفاضل الزاهد الورع سيدي محمد الشريف النوفلي الطرابلسي للمشي اليه لطيلون اذ هو نازل هناك فلما وصلنا اليه اخبرناه بالسفر معه واخبرناه بالسبب ففرح وسر بنا سرورا عظيما فلما رحل رحلنا معه ونزلنا عليه خارج مصر وبعد ذلك اختلط معنا(٢) ركب الجزائر ثم رحلنا معه في النهار الى البركة ليذهب مع الشيخ كل من يريد ركبنا فبتنا جميعا فلم يزالوا على النهب والتعدي في البركة ذلك اليوم وبتنا جميعا والركب الفزاني نزل وحده فلما ظعنا صبيحة ذلك اليوم تأخرنا اليه اعني جميع من يتبع سيدي احمد الطيب وسيدي احمد بن جود(٣) وسيدي محمد الشريف وزابر هذا الكتاب فاجتمع اهل وطننا اعني من الجزائر الى قسنطينة معنا وما بقي الا اهل عامر وقصر الطير واولاد عبد النور واولاد سعيد بن سلامة ومن تعلق بجميعهم وكذا اهل بسكرة واهل مدُكال واهل المسيلة واهل الصحراء واهل الزاب وغيرهم الكل مع الشيخ سيدي محمد المسعود وقد رفع منهم ما رفعت الارض من اعباء الثقلين جزاه الله عن المسلمين خيرا .

---

(١) في نسخة فظائعهم — (٢) في نسخة اختلط علينا — (٣) في نسخة جودي

﴿ تنبيه ﴾ وقد زرنا في هذه الحجة شيخنا الفاضل الكامل سلطان العارفين * وامام الطريقة والسالكين * الجامع بين الحقيقة والشريعة * سيدي محمد الحفناوي * والشيخ الصالح * والبدر الواضح * نخبة العارفين * ودرة الموحدين * الشيخ الجوهري وزرت ايضا من بالازهر من العلماء والطلبة وغيرهم واجتمعت مع ابي الحسن شيخ رواق المغاربة واعارني الشيخ الحطاب شارح المناسك لخليل وهو شرح جليل قد سافرت به الى مكة احياه الله على السنة النبوية واعلمته بشرحي على خطبة شرح الصغرى فلما رآه ورأى حاشيتي على المحقق المراكشي(١) السكتاني استحسن جميع ذلك وقد شرح هو ايضا هذه الخطبة غير انه اختصره كثيرا ثم اجتمعت الطلبة وكلموني على مسألة الجوهر الفرد اذ عندنا معشر اهل السنة موجود واما عند غيرنا فمستحيل لشبهات اوردها من منع فردها اهل السنة بامور معلومة نص عليها غير واحد كابن التلمساني في شرح المعالم والسعد والامام السنوسي وغيرهم غير ان البعض ممن يدعي التحقيق من الافاضل المحققين يسلم ادلة المنع ويمنع اجوبة اهل السنة لتمكن الشبهة في قلبه فلما اوردوا تلك الادلة فمنهم من فهم الشبهة فمنع جواب اهل السنة ومنهم من لم يفهم الشبهة ولا الجواب عنها ففتح الله علي بسد تلك الثلمة ومنع تلك الشبهة من اصلها ورفع ما عسى ان يرد من المحال على وجود الجوهر الفرد فاشرق علي نور العرفان حتى علم الحق كل من حضر وتعجب الكل في ردع(٢) المفصح بها فصعق من حضر ذلك المجلس ﴿ نعم ﴾ شهدوا الفضل وانه باق وان الفتح والوهب لا ينقطعان ابدا حتى ان بعض من كان في المجلس لما افاق من سكرة البغت اراد ببضاعة عقله وضعف ملكته ان يرد ذلك الجواب بالحل والنقض فلم يقدر لكونه سماويا الهيا نزل من عند الله طريا ولو ان اهل المعقول(٣) آمنوا وصدقوا بفتوحات القوم لفتح الله عليهم من بركات السماء والارض ولكن كذبوا فاخذوا بحجاب الجهل واطوار البشر بغتة من غير تراخ فسكت لكسف نور شمسه .

---

(١) في نسخة بإسقاط المراكشي — (٢) في نسخة ردي — (٣) في ثلاث نسخ القلوب

نعم بعد ذلك طلب مني جميعهم قراءة الكبرى للشيخ السنوسي وقالوا لابد ان تحضر الشيخ علي الصعيدي وقت اقرائه اياها وانك لابد ان تشتي عندنا فوافقتهم على اقرائها ومساعدتي لهم عليها فكل من سمع من الطلبة فرح وسر بذلك غير ان الله منعني من الاقامة في مصر لما كان من الهرج والفتنة والنزاع بين الحجاج [والشيال لان من دخل بولاق من الحجاج ربطوه وحسبوه ومن دخل منهم الركب ربطه الحجاج](١) فوقع هول عظيم وجميع الفضلاء يجري(٢) بين الجميع بالصلح حتى خفنا على انفسنا من كثرة الظلم الواقع من الجانبين غير ان الحجاج مظلومون بالنسبة للمال اذ اقرضوهم في الطريق فاكلوهم وارادوا الزيادة منهم واما الحجاج فقد ظلموهم بالضرب في الطريق والشتم وكل عمل قدروا عليه فانتقم الله من الجميع رزق الله الكل التوبة والندم على ما صدر من الجميع بمنه وكرمه .

وقد زرت في الحجة الثانية الشيخ البليدي وهو عالم فاضل محقق مؤلف وقد الف حاشية على الشيخ عبد الباقي اذ رأيتها على هوامش الكتاب المذكور واجازني في العلوم كلها وزبر ذلك بخط يده وقد حضرت عليه في الحجة الاولى بعض الدروس في الرسالة .

وزرت ايضا الشيخ الفقيه المقبول المنور العارف بالله تعالى اذ شرح خليلا شرحا مختصرا بالمزج وقد رأيته في داره وهو شرح مبارك لاباس به وهذا الشيخ هو شيخنا الامام العمروسي وقد اجازني ايضا غير انه زبر الاجازة بعض تلامذته باذنه واملائه عليه وقد ختمها وكتب على ذلك بخط يده وطبع عليه بطابعه .

وزرت ايضا شيخنا المحقق العلامة المدقق خاتمة المحققين وامام الاجلاء العارفين الشيخ خليل المغربي(٣) وهو في العلوم بحر لا ساحل له وان العلوم كلها ضروريات عنده لا سيما علم المعقول وقد قرات عليه القطب على الشمسية اعني التصورات والعكوس

(١) ما بين القوسين ساقط من نسختين — (٢) كذا في جميع النسخ — (٣) في نسخة الازهري

والتنافض بحاشية السيد عليه وفد اجازني بخط يده في سائر العلوم نفعنا الله به والذي اخذنا معه عليه(١) هو الفاضل بالاتفاق والعلامة على الاطلاق سيدي احمد بن عمار والفضلاء الاجلاء سيدي احمد بن جود وسيدي الصالح الفصاري وسيدي احمد الصديق الجزائري والفاضل المحقق البغدادي وفق الله الجميع آمين وان محل القراءة الروضة المنورة والنخبة المشتهرة التي يستجاب الدعاء عندها وهو مسجد سيدنا الحسين(٢) وقرانا عليه قراءة بحث رضي الله عنه وارضاه .

وزرت ايضا الشيخ العلامة والفاضل الفهامة الشيخ المؤلف ذا التصانيف المفيدة والتآليف العديدة شيخنا الملوي وفد اجازني في سائر العلوم وزبر ذلك تلميذه لانه افعد لا يفدر ان يفوم وهو مضطجع على سريره وفد كبر سنه بان عمره زاد على مائة سنة والذي رائته من تصانيفه الشرحان الكبير والصغير على السلم والشرحان ايضا الكبير والصغير على رسالة السمرفندي في الاستعارات وكلاهما عندنا والاولان عند سيدي احمد بن جود وكذا نظم الموجهات وشرحها وهو ممن له الذوق السليم والطبع المستقيم رضي الله عنه وارضاه آمين وفد سمعت انه حشى المراكشي على الصغرى وغير ذلك من تآليفه نفعنا الله به آمين

وممن زرته ايضا وحضرت مجلسه وهو من المؤلفين والعلماء المحققين وفد صنف كثيرا واليه النظر في وفتنا هذا في الجامع الازهر بل اليه تشد رحال الطلبة بمصر من كل جانب وفد بلغ صيت علمه مشارق الارض ومغاربها شيخنا سيدي علي الصعيدي وفد اجازني بخط يده في جميع العلوم وفد حضرت مجلسه في الفقه في مختصر خليل بشرح الشيخ الخرشي وهو يحشي فيه وفد كملت حاشيته الان عليه في نحو الخمسة اجزاء وفد باحثته في بعض المسائل الفقهية في مجلس اقرائه اذ وجدته في السهو من الشيخ الخرشي المذكور فاورد

---

(١) في نسخة والذى اخذ معنا عليه — (٢) في ثلاث نسخ مسجد الحسنين

على الشيخ الخرشي اعتراضات غير انه يغلظ عليه و يكثر من قوله كلام الخرشي فاسد فلما سمعت ذلك اصابتني غيرة عليه ولما وصل الى قوله لا سنة خفيفة كتشهد(١) الى قوله واعلان بكآية اذ قال الشيخ الخرشي قوله واعلان معطوف على قوله كتشهد الى آخره فقال الشيخ علي هذا العطف فاسد وقال في بيانه ان التشهد متروك واعلان ضده والعامل في المعطوف عليه هو العامل في المعطوف ولا يصح تسلط الترك على الاعلان لان الترك هو العامل في التشهد فلما تم كلامه أغلظت عليه القول فلم يؤاخذني بذلك بل قال ما البيان فقلت له المعطوف في الخفيفة محذوف تقديره كتشهد وسر في بعض الفاتحة اي كترك تشهد وترك سر بأن اعلن وقد صور المصنف الشيء بضده لان القراءة يكتنفها امران السر والجهر ولا يترك احدهما الا بفعل ضده ولذلك قلنا المعطوف في الخفيفة محذوف كما سبق فسلم رضي الله عنه على يدي وقبلها و بعد ذلك لا يكتب قولة على الشيخ الخرشي الا ان يعلمني بالبحث بها ومعه شخصان عالمان في غاية التحقيق وهما ضريران لا يكتب شيئا عليه الا بعد ان يخبرهما و يختبرهما فان سلما نزاعه و بحثه كتبه والا فلا وقد اجازني ايضا كما سبق من الشيوخ غير انه صاحب تواضع بان قال في نص الاجازة لست اهلا لان اجاز فضلا عن ان اجيز الخ رضي الله عنه وارضاه ونفعنا ببركاته آمين .

ولقد رأى ايضا شرحي المذكور في هذه الحجة واجازني بالتاليف امدنا الله واياه بمدده وجعلنا من عده وعدده(٢) .

وممن اجازني ايضا وزرته الشيخ علي الفيومي الفاضل العارف بالله ذو الاحوال المرضية والمحبة الصافية والخفيفة النبوية والواردات الالهية والعلوم اللدنية والفتوحات الربانية وكذا عنده تفريد التوحيد وتجريد التفريد وسهم فهمه نافذ اذ علمه يطابق(٣) علوم الانسان

---

(١) كذا في جميع النسخ وفي متن المختصر ولا لفريضة وغير مؤكدة كتشهد — (٢) في نسخة وجعلنا من حزبه واوليائه — (٣) في نسخة وفهمه نافذ اذ علمه غير نافذ يطابق الخ

الكامل وهو عبد الكريم الجيلي وفتوحات ابن العربي الحاتمي وشوارق عبد القادر الجيلي وابو حفص عمر بن الفارض واكثر عباراته في المحو والغيب والفناء وفناء الفناء وله شطحات وتحركات في الوجد وهو ممن يرقص وقد انكر عليه اهل زمانه ذلك وهو الان حي غير انه لم يكترث بذلك وممن انكر عليه شيخنا الحفناوي وغيره وقد علمت ان علامة الصديق انه لو شهد عليه الف صديق بأنه زنديق لا يضره ذلك ومن علامته ايضا كثرة اعدائه وانه لا يبالي بهم وقد الف رسالات في التوحيد الخاص وعندي من تلك الرسائل رسالة في اسم الجلالة رسالة عظيمة بحيث يهتز من رآها ويخشع قطعا لان فيها علوما لاتكاد توجد في غيرها الا على سبيل التعريف والقلة وقد قال فيها وفي الخبر يا عبدي خلقت كل شيء لك فلا تتعب وخلقتك لاجلي فلا تلعب وبالجملة ما كان فيك ظهر على فيك كل اناء بما فيه يرشح وهو ممن يلقن اذكار الشيخ البدوي ويلبس الخرقة وقد حققت منه الكشف غير ما مرة وقد نهاني عن الصوم اذ كنت اسرده فلم يتيسر لي بعد الا القرص رضي الله عنه وقد اخذت عنه ايضا نفعنا الله به آمين .

وممن اخذت عنه ايضا واجتمعت به الشيخ البركة المحقق الفاضل الكامل الزاهد الورع المقتفي طريق النبي صلى الله عليه وسلم الشاذلي شيخنا ومن على الله ثم عليه اعتمادنا سيدي عبد الوهاب العفيفي المتصدر لتربية المريدين وقد ظهر على يده آثار الخير والفضل وانه من المتوكلين على الله حق التوكل وان الجالس معه يحدث في قلبه خشوع ويقين وايمان قوي وحلاوة ووجد يعلم ذلك من حاله(١) وصحبته ورؤيته لاسيما اذ تكلم أخذ القلوب ومن فارقه وغاب عنه احب(٢) الرجوع اليه بل يجد الانسان الداعي والباعث الى الرجوع الى مشاهدته ومشاهدة حضرته واني جربت من نفسي ذلك فلا اصبر عليه ولو لحظة فان غبت عنه ساعة وجدت محركا يحركني [الى الوصول اليه وان كل هم وغم يزول برؤيته والاجتماع

---

(١) في نسخة جالسه — (٢) في نسختين أيس

به فإنه يفيد صاحبه](١) بأقواله ان نطق و بأفعاله ان سكت وكله رضي الله عنه علم وحال فانه ينهضك بحاله * ويدلك على الله بمقاله * وقد اتقى رضي الله عنه جميع الشبهات * وحلي بسائر الكمالات * وقد تقدس رضي الله عنه عن المتشابه فضلا عن الحرام فلا يركن الى ظالم ولا يقبل هديته وقد تحقق عنده حب النبي صلى الله عليه وسلم بدليل اتباعه واقتفاء آثاره صلى الله عليه وسلم وهو من اهل القدوة اذ جمع بين الحقيقة والشريعة جمعا متواطئا فلا نظير له في زمانه رضي الله عنه وقد اخذنا عنه الطريق ورسم الحقيقة وانه لقننا الاذكار وجددنا عليه العهد في الطريق الشاذلية المحضة واجازني اجازة مطلقة في سائر العلوم العقلية والنقلية وقد بالغ رضي الله تعالى عنه في حبنا واعتقادنا ومن عجائب ما رأيت له انه امرني بالذهاب معه الى زيارة الصالحين والاولياء العارفين والعلماء العاملين في القرافة الكبرى والصغرى ملازمته للادب في الزيادة غاية قل ان يوجد مثله في ذلك وكذا معرفته للعلماء المؤلفين فلا يخفى عليه شيء من قبورهم كأنه هو الذي دفنهم فمهما وصلنا قبرا او رأيناه الا قال هذا قبر فلان وفي جواره قبر فلان وفي تجاهة القبلة قبر فلان ايضا الى ان يعد الجهات والقبور فعلمت ان ذلك ليس من طريق الحفظ والتمرين بل ذلك انما هو من طريق الكشف لاستحالة ان يكون ذلك من رسم الصفة لانه من خوارق العادة قطعا .

هذا وانى قد شهدت انوار صحبته في حال الزيارة معاينة ومع ذلك ما تركنا ناحية من النواحي الا زرناها من الصبح الى الظهر وقد رجعنا وصلينا الجمعة في الجامع الازهر .

وبالجملة فالذي زرناه في تلك المدة لا يزار الا في ايام عديدة ومع ذلك وجدنا حلاوة ما وجدناها في غيرها من الزيارات فاني قد جبلت على حبها من صغري وقد كثرت مني غربا وشرقا وجوفا وقبلة بمعنى وجودها مني للاحياء والاموات فمهما ذكر لي ولي اوصالح اوعالم حيا او ميتا الا ذهبت اليه واقتبست من نوره لا سيما عمالة الجزائر فاني قد خضتها وبحثت عن اهلها بحثا شديدا تاريخا وسيرة وطريقة وحالا وكرامة لما رأينا من

وقوع الاهمال في ذلك في وطننا فرسمنا كل ذلك رسما جيدا فحفظت من كل خلف وصف اسلافه ونقلت(١) من كل فرع اخبار اصله علما مني انه لا يمجه السمع السليم والطبع المستقيم ريحانة لما(٢) يجده المتاخر بعدنا ورحمة لما يحصل(٣) له من اقتباس الانوار في وطننا فما تركت من جهدي شيئا ولا في استطاعتي امرا الا حاولته في التفتيش عنهم والاستقصاء بالطلب والفعل في آثارهم لا سيما اهل بجاية فانها مدينة عظيمة يكاد زيتها يضيء من علم اهلها وفوة احوالهم وانوار مواجدهم ومن اراد استقصاء اخبارهم فليطالع عنوان الدراية للغبريني ورياض الصالحين للثعالبي وغيرهما .

وكذا بالغت في الزيارة والاستقصاء لمدينة الجزائر وارض الجدار اعني تلمسان وكذا مليانة التي تشرفت بالولي الصالح * والقطب الواضح * ذي الاحوال الفاخرة * والكرامات الباهرة * سيدي احمد بن يوسف وقد سمعت انه اخذ عن الشيخ زروق فصار يترقى حتى اخذ زروق عنه نفعنا الله بهم وافاض علينا من بركاتهم وبركات اشياخهم .

وكذا الشيخ الكامل * والولي الفاضل * صبغة الله في ارضه * وعين الرحمة في خلقه * سيدي علي بن مبارك القليعي نفعنا الله به ومثله من تاتيه الوفود وتؤخذ عنه العهود الولي بلا ارتياب سيدي فرج القريب من الجزائر على شاطيء البحر فقبره معلوم وروضته ترياق مجرب وهو الذي اخبر عنه شيخنا ووسيلتنا الى ربنا سيدي احمد بن ناصر بأنه هو الذي اظهر الخلوة المزارة المتعبد فيها الاولياء تحت أبي شعيب(٤) على شاطيء البحر في ارض مسراتة من عمالة طرابلس الغربية لبرقة وهي التي كان فيها الشيخ زروق .

وكذا البليدة وقد زرنا فيها الاكابر كالولي الصالح الشيخ سيدي الكبير وغيره نفعنا الله بهم آمين ومثلها المدية وقد زرنا فيها الشيخ سيدي محمد ابركان وغيره .

---

(١) في نسخة باسقاط ونقلت — (٢) في نسخة باسقاط لما — (٣) في نسخة باسقاط لما يحصل — (٤) في نسختين شعيف

وكذا دلس وما قاربه وكذا جبال زواوة على اختلاف انواعها ولم تكن بلدة اوسع منها كادت ان تلحق بمصر او اعظم منها .

وكذا المسيلة وقد زرنا فيها الشيخ القطب الغوث سيدي محمد بن عبد الله بن ابي جملين وغيره .

وكذا زرت مدينة بسكرة وسيدي عقبة والنبي سيدي خالدا وغيرهم وسيدي عبد الرحمن الاخضري صاحب التآليف المشهورة والتصانيف المذكورة وقد زرت ايضا تبسة ومن فيها .

وكذا قسنطينة ومن فيها من الاحياء والاموات لاسيما سيدي سعيد السبري(١) .

وزرت ايضا بونة اي عنابة ومن فيها لاسيما من يستجاب الدعاء عند قبره وهو ابو مروان واولاد سيدي احمد ابن الشيخ سيدي زروق لاسيما من كتب اسم محمد صلى الله عليه وسلم بقلم القدرة في يده اليسرى وهو من العلماء العاملين لانظير له في المعقول والمنقول وقد حلاه الله بحلية القبول من رآه احبه وهابه وقد جبل على السخاء والكرم فاخلاقه وخلقه اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وخلقه ما رأيت احسن منه باطنا ولا ظاهرا وقد سألني رضي الله عنه عن وجود اسم محمد صلى الله عليه وسلم في اليد اليسرى وما الحكمة في كتبه فيه فاجبته بأنه انما كتبه الله بذلك(٢) اليد اعلاما لنا انك يمين كلك(٣) فجهة اليسرى منك منفية عنك وسألني ايضا عن قوله تعالى في مريم واسجدي واركعي مع الراكعين وان كانت الواو لا تقتضي الترتيب اذ كلام البلغاء لابد في سبقه بشيء من الحكمة .

﴿ قلت ﴾ والله اعلم ان الله خاطبها اولا بسجودها نظرا لمقامها الخاص بها وخاطبها ثانيا بالركوع مع الراكعين نظرا الى حالها مع قومها لان العارفين بالله تعالى قلوبهم مع الحق واجسامهم مع الخلق فكانت مريم من هؤلاء المتمكنين الراسخين في العلم ولما سمع كلامنا هذا استحلاه وكتبه وكان خطه اجود الخطوط وما رأيت خطا احسن منه وانه اجازني رضي

(١) في نسخة الصبراوي — (٢) كذا في جميع النسخ — (٣) في نسخة كلا يديك

الله عنه في سائر العلوم النقلية والعقلية ودارهم دار الولاية من اعالي اسلافهم الى الان وان والده رضي الله عنه كان من المؤلفين وتآليفه كثيرة لا تحصى كثرة وقد نظم [مختصر] خليل بتمامه ونظم ايضا عقائد الشيخ السنوسي الخمسة وقد رأيت له جوهرة نظما وكذا ياقوتة نظما و رأيت ايضا كتابا الفه في اخبار العلماء السابقين واوصافهم وذكر حكايات واسماء الله وفوائدها وذكر الخضر وامثاله حاصله كتاب عجيب وله كتاب حسن ذكر فيه السيد عكاشة انه ولي من اولياء الله وليس الصحابي المعلوم وقد شطّر البردة تشطيرا حسنا .

وبالجملة فمن راى اولاد سيدي احمد ابن الشيخ راى انوارا فيهم وعناية كاملة لهم وفضلا عاما لديهم والان في الحياة ولده الفاضل الكامل سيدي محمد وقد مكثت عنده نحو الجمعة نعم [كنت] ذلك الزمان مشتاقا للحج فقال على طريق الكشف انك تحج السنة ومع ذلك اني فقير والركب في البر قد انقطع من امر الوباء في الجزائر وكان الامر كما ذكر فاتى الله بولد سيدي احمد بن يوسف وهو سيدي احمد بن طيبة فذهب الركب معه والحمد لله رب العلمين .

وبالجملة فما رأيت افضل من شيخنا الشيخ العقيقي اسبغ الله تلك النعم على اولاده وعلينا اجمعين بمنه وكرمه فقد اجاز ايضا ولدي محمدا وكان صغيرا ولقنه الذكر على طريق الشاذلية رضي الله عنه وارضاه آمين واحواله ونعوته لا تعد ولا تحصى ولا تضبط ولا تستقصى .

وممن اجازني سلطان العارفين * وامام المحققين * شيخنا وعمدتنا العالم على الاطلاق * وشمس الانوار بالاتفاق * الشيخ الحفناوي نفعنا الله به وبامثاله وكتب الاجازة بخط يده رضي الله عنه في المعقول والمنقول .

وكذا لقنني الذكر على طريق اشياخه واذن لنا في الاعطاء والاذن نعم كان فاضلا كاملا جامعا للعلوم النقلية والعقلية وجامعا بين الحقيقة والشريعة ويكاد ان يكون ممن يجدد الدين وما رأيت احسن منه في اقراء العلم كأن الجواهر تخرج من فيه وذلك منه من غير كلفة ولا صعوبة فالعلوم كلها طوع يده بحيث لا يحتاج الى كبير مؤنة في استحضارها

وقد حضرت في مجلسه المعلوم عند اقرائه الرحبية بالشنشوري يتمنى الانسان ان يتجرد لصحبته لاخذ العلم منه بحيث لا ينظر الى والد ولا ولد ولا صاحبة ولا غيرهم وله تآليف كثيرة وان نسبت الى الشيخ يوسف اخيه فهي في الحقيقة له وعندي من تآليفه حاشيته على رسالة الوضع وهي حاشية عظيمة نعم حاله حال الملوك وقد قال ابو الحسن الشاذلي ومن الاولياء من يظهر على هيئة العظامة والجبر والانتقام لان الله تجلى على قلوبهم بذلك فلا يصحب ذلك الشيخ من المريدين الا من محق الله نفسه ومحاها والشيخ من ذلك القبيل فمن سلم له ولغيره وصدق احواله وامورہ انتفع به فلا تسمع لمعاصره من انكار بعض الامور عليه اذ قد جرت عادة الله مع احبابه انه يسلط عليهم اهل زمانهم فلابد لمتبع ما تحقق لمتبوعه فلا باس في ذلك ولا قدح اصلا بل يزيد الصادق صدقا والمحق حقا .

وبالجملة فالشيخ انوار الشريعة ظاهرة عليه * وانوار الحقيقة بادية لديه * وهو من اهل الكشف تحقيقا واني ذات يوم جلست معه فقال لي قدم بعض المغاربة مصر زمان كذا وكان من نجباء الطلبة وفي قلبه انه يختبر المحقق في الجامع الازهر فيقرأ عليه ويأخذ العلم منه فصار يتردد في مجالس العلم ويبحث مع اهلها ابحاثا قوية حتى اشتهر في المسجد بتلك الابحاث وما كان قصده الا خيرا كما سبق قال ذات يوم اتاه رجل من اهل الخير فقال له لا تعد الى مثل هذا والا هلكت او سلبت او كلاما هذا معناه اعلاما لي اذ حالي مثل حال هذا الرجل وقصدي كقصده لاني اتردد في الدروس بالبحث والسؤال حتى اشتهر امري في المسجد فقال لي اياك ثم اياك فبعد ذلك لم اعد الى ذلك ابدا وزال عني ذلك كله بل كنت مولعا بالنزاع ومحبا له غير اني بالانصاف فكنت معاقبا بحيث لا احبه ولا ارضاه اصلا بعد ذلك ببركات الشيخ وان احتمل انه حصل له العلم بحالي وثبوته عنده غير ان الكشف اقرب اليه وايضا كان لا ياتي الى المسجد ذلك الزمان اذ قد رفع ذلك من قلبي ببركاته رضي الله عنه وهو دليل على انه من اهل الكشف وايضا اتى له شخص حديث السن نحو العشرين سنة في عمره جاءه من مسافة بعيدة كسبعة

ايام او اكثر والشيخ لا يعرفه ولا يعرف محله فقال له ذلك الرجل اتيت اليك لادخل تحت طاعتك واكون من اولاد فلبك فقال له الشيخ ارتجالا حتى تتوب من عقوق والدك اذ انت على مدة طويلة عاق له وعاص من اجله فإن اردت اخذ العهد منا فكن على بروره وتب الى الله من عصيانه فبكى ذلك الشخص وقال نعم منذ مدة طويلة وسنين عديدة وانا على عقوقه وعصيانه(١) فصاح بالتوبة والاستغفار فعجبنا من حال الشيخ واصاب ذلك الشخص عبرة بل اصابه بعض الغيب عن حسه فلا اصعب من حيرة البديهة وهيبة الفجاة .

وبالجملة فاحوال الشيخ ساطعة * وعلومه نافعة واسراره وافعة * وآثاره رافعة * واهل السلوك قلوبهم خاشعة * واصحابه مطيعة سامعة * وقد زحلق عن القوم(٢) الاول * وكل ملهوف وضعيف عليه عول * رضي الله عنه ونفعنا به آمين .

وممن حضرت درسه الشيخ عمر الطحلاوي وقد جمع المعقول والمنقول وانه كالشيخ الحفناوي في كونه تخرج من فيه جواهر العلوم وعباراته سلسة تصدر من غير كلفة ولا تعب ولا تعسف قل نظيره في الجامع الازهر وسمعت منه بعض الرسالة الوضعية وبعض التفسير وهو ذو الجلالين وقد سألته عند قوله في ان المعارف غير العالم هل وضعت وضعا جزئيا او كليا وقد اوردت عليه كلام القرافي فتعجب من كلامه لانه غير معهود به الخ وكذا سألته ايضا في قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر الاية لان قوله اذ تقول للمؤمنين ظرف متعلق بنصر فلما ذكر ذلك قلت له اذا كان النصر حينئذ لم يكونوا اذلة اي في قلة فقيد النصر بالملائكة ليسوا على قلة في الظاهر ولا في الباطن فلما عجز عن الجواب صار يغالطني بكلام ليس من العلم وهي المغالطة الخارجية فلم ارجع الى مجلسه بعد غير انه مشتهر بالتحقيق وهو من مشائخ المالكية الكبار .

---

(١) في نسخة نسيانه — (٢) في نسخة القرون

وممن سمعت منه ايضا الشيخ العالم العلامة * المحقق الفهامـة * ذو الابحاث الرائقة * والنكت الفائقة * الشيخ الزياتي الشافعي بعض المسائل من النحو اعني كلام الاشموني وهو ممن يحب البحث والانصاف فمهما اوردت عليه شيئا لا قال بلزوم الايراد وانما ينظر الجواب عنه وهو ضرير في غاية التحقيق وقد اشتهر بذلـك في الجامع المذكور وحضـرت عليه ايضا دروسا في المحلي نفعنا الله ببركاته آمين ٠

ومن اشياخي الشيخ الفاضل * والعالم الكامل * امام الجامع * ذو الصدر الواسع * الحافظ على الاطلاق * والناقل بالاتفاق * وله باع قوي في المنقول والمعقول وقد اخذ عنه كل من كان في زمنه من الشافعية والحنفية والمالكية وغيرهم فقد حقق المذاهب رضي الله عنه الشيخ سالم النفراوي ولقد علم من حاله ان كل من يحشي او يشرح بفوائد غريبة او نقول عجيبة انما ذلـك منه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به آمين ٠

وقد قرأت عليه مدة مختصر السعد غير انه ما رأيت مثله ابدا نعم لا يسألـه احـد في المجلس لان جميع ما يخطر ببالـك لا القاه في الدرس وان بقـي للانسـان شيء القـاه عليه بعد الفراغ منه واما انا فاسأله دائما وهو يجيبني من غير غضب ولا عنف لكوني غريبـا من آل المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان يحضر مجلسه نحو السبعين طالبا نعـم لما رأوني اسأله ولا يمتنع من الجواب تعجبوا من ذلك وصاروا بعد ذلك يرغبون و يحبون مني دوام السؤال له بل تارة يامرونني بالسؤال وتارة بالاشارة الى ذلـك لان الشيخ نفعنا الله به ضرير اي اعمى ومع ذلـك انه من اكابر الائمة وافضل علماء مصر فلا ترى احـدا في الجامـع مثله لانه شيخ الجميع كما سبق وامام التحقيق على ما تقرر واشتهر ٠

هذا وقد وقع بيننا و بين الوالـد رحمه الله نـزاع في بعض المسائـل من مسائل الفقـه فاستظهرت انا والعلامة الفاضل والمحقق الكامل عمنا سيدي محمد الصغير امرا والوالد جـزم بفهم آخر وهو قول خليل وَتَفَكُّرٌ بِدُنْيَوِيٍّ اذ ذكره في باب المكروهات فقال جميع من شرحه محل ذلـك اذا درى ما صلى والا بطلت صلاته اي ان لم يدرما صلى بطلت الخ فقـال

الوالد يصدق ذلك اي عدم الدراية ولو بركعة واحدة لانه لم يدر ما صلى فقلنا له في الرد عليه هذا يبنى على المحقق وياتي بالمشكوك فيه لان قولهم ان لم يدر ما صلى الخ اذا صدرت منه افعال كثيرة ولم يضبطها اصلا ولم يتحقق عنده ولو ركعة فهنا تبطل الصلاة لان الفعل المضارع في سياق النفي كالنكرة في سياقه يفيد(١) العموم فلما ذكرت ذلك له أجابني بما قال به ابي نعم عندنا انه لابد لمن لا يضبط شيئا من الصلاة بمنزلة من صدرت منه افعال اجنبية منها فتبطل صلاته غير ان الشيخ ابن ابي جمرة ذكر في مسألتنا هذه قولين والله اعلم .

حاصله علمه مشهور * وتحقيقه مذكور * وقد حضرنا موته في الحجة الثانية وقد ازدحم الناس على الصلاة عليه بان لا تجد موضعا في الجامع الازهر الا وهو عامر فقد اتى للصلاة عليه اكثر اهل مصر ومات فجاة رضي الله عنه وخطب الامام عليه على المنبر خطبة عظيمة بأن ذكر علمه وحاله ونسبه وهو متصل نسبه(٢) بالشيخ احمد الرفاعي افاض الله علينا من بركاته وجعلنا في زمرته وخرجت مع جنازته مع بعض الطلبة فوقع الازدحام على نعشه اي سريره الذي حمل عليه حتى ان بعض الولاة اقام شواشا يدفعون عنه نعم لم يفيدوا شيئا فلما خرجنا الى القرافة الصغرى لم نر جنازة ولا قبرا ولا قبره من كثرة الخلق فمن الجبل الى مصر لا ترى موضعا خاليا يكاد من خرج لجنازته ان لا يحصى كثرة وانه لا يقع ذلك الجمع اصلا في بلد من البلدان فلو كان في غير مصر ما ظننت ان يتفق جمع مثله ولا عمارة تساويه ولا محلا ياويه نفعنا الله به وبامثاله آمين .

وممن اخذت عليه المحقق المدقق الفاضل الكامل ذو الفضائل والفواضل والحافظ الورع الزاهد المدرس صاحب الانوار والعوارف والاسرار شيخنا سيدي احمد الاشبيلي تلميذ الشيخ الحفناوي وهو ممن ظهر عليه آثار الفضل في ابتداء امر الشيخ وقد اشتهر حاله في الحرمين

---

(١) في نسخة لا يفيد — (٢) كذا في جميع النسخ

الشريفين علما وحالا وسرا وقد كان من المحققين فقرأت عليه بعض مختصر السعد في البيان قراءة تحقيق ما رأيت مثله بتدقيق المسائل وتحريرها وفي آخر امره كان ملتزما للحرم الشريف رضي الله عنه ونفعنا به .

وفي الحجة الاولى اجتمعت مع الولي الصالح والعالم الواضح فكان ديدنه وشانه الهجرة للعلم من داره في الاسكندرية اذ كان ملازما لاعطاء العلم في الازهر وكان فاضلا فقيها متكلما بيانيا مفسرا اصوليا نحويا لغويا اديبا حاصله قد جمع المعقول والمنقول والحقيقة والشريعة واعيا للمذاهب الشيخ الصباغ الاسكندري نفعنا الله ببركاته آمين بمنه وكرمه .

وكان ممن يحضر مجلسه النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة يقظة وقد سمعت ذلك ممن سمع منه والذي سمعت منه هو الفاضل العدل الثقة المبرز في العدالة العالم الفقيه المحدث المفسر صاحب المنقول والمعقول سيدي احمد زروق نجل الشيخ المؤلف البركة سيدي احمد بن الشيخ العنابي المتقدم ذكره قال غير ان ذلك ارتفع عنه مدة وسبب ذلك ان بعض الناس من اصحاب الشرطة من الظلام جاء ليقرأ عليه ويحضر مجلسه فخطر لهذا الشيخ اعني الشيخ الصباغ كيف يحضر هذا من اصحاب الشرطة مجلسي والنبي صلى الله عليه وسلم فيه مع اصحابه اي استعظم ذلك فلما علم الجميع منه ذلك قام ابو بكر فقال له الم تعلم ان هذا من امته صلى الله عليه وسلم وتبعه عمر بأن قال قوله ثم عثمان كذلك ثم علي كذلك ثم محمد صلى الله عليه وسلم وقال بمقالة الجميع ثم قال الصباغ المذكور فصرت لا اراه صلى الله عليه وسلم الا في النوم واراه كما تراه الرعاة وقد كان أذن لي في الكلام معه وبعد هذا ان رأيته لا اتكلم معه .

يؤخذ من هذا ان العبد لا يحقر احدا بين عينيه ولا يذمه بقلبه ولا يفر من مجالسته ولا من مخالطته ان جاء طالبا للخير كائنا من كان ولو كان ممن يجاهر بالمعاصي ولعله يكون بمخالطتك وحضوره معك تائبا راجعا الى الله تائبا اليه نادما على ما صدر منه مقلعا فتكون سببا في صلاحه وقد قال صلى الله عليه وسلم ولئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير

من ان يكون لك حمر النعم اوكما قال واما ازدراؤه وغمصه بين عينيك او التحاشي عنه بحيث لا يسمع منك كلاما من الخير او تقول هذا لا يجالس مثلي ولا يكون في زمرة الاخيار تعظيما لجانبك او جانب من كنت معه فكبر و بطر عن الحق فالذي يجب عليك ان تنقذه مما هو فيه بأن تداويه بالوعظ والزجر ان كان لا يقر(١) والا فباللين حتى يرجع عما هو عليه ومع ذلك اعتقد انه اولى منك اذ من كان على شر اولى ممن كان على خير و يقول انا فإن الطاعة لا تكون مع الكبروالعجب ورؤية العمل للنفس واستحسانها له والمعصية لا تكون معصية مع الذل للنفس وانكسار القلب من اجلها اي المعصية .

حاصله خواطر الحق بينة وخواطر الباطل ظاهرة مضلة فمن راعى خواطره رعي اذ لا يرعاها الا سعيد ولا يهمل نفسه وخواطرها الا شقي والعياذ بالله تعالى .

حاصله الشيخ الصباغ صبغة الله كخلقه و رحمة للعالمين في ارضه لا سيما الغرباء والضعفاء والفقراء فلا تجد احدا في زمانه يرحم الامة المحمدية مثله رضي الله عنه وقد كان رضي الله عنه اكثر زمانه في مصر مجردا عن اهله اذ اهله في الاسكندرية وهو في مصر يعلم الناس ليلا ونهارا و بركاته قد عمت الخلق جميعا فلا ترى نصوحا للامة مثله وقد حلاه الله تعالى بحلية القبول فمن رآه احبه وقد صدق عليه قوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا .

و بالجملة فكل من اخذ عنه العلم او الطريقة الا ظهر عليه آثار الفضل وحلي بحلية العارفين ونعت بنعت الزاهدين وكان ممن يخشى الله و ينفعه نفعنا الله به وقد حضرت عليه دروسا في العلم ومع ذلك تعلقت به رضي الله عنه وارضاه وان اخلاقه وخلقه اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وخلقه وكان غير منقبض جدا ولا منبسط كذلك بل الى البسط ارجح والبسط مقام محمود فلا يكون صاحبه الا منتفعا به بخلاف صاحب القبض يقل نفعه في جانب الرحمة وانما يغلب ضره وهلاكه فلا يصلح للمريدين والذي يصلح لاهل السلوك هو صاحب البسط افاض الله علينا من بركاته وجعلنا من اهل زمرته بمنه وكرمه .

---

(١) في نسخة يعرف

وممن اخذت عليه القراءات السبعية إفرادا الاستاذ المحقق والفاضل المدقق سيدي ابو القاسم الربعي(١) القسنطيني اذ قرأت سورة البقرة والفاتحة عليه واظن ان الشيخ البغالي من اشياخ اشياخه وقد سمعنا انه قرأ على شمهروش الطيار وهو قد اخذ قراءته على النبي صلى الله عليه وسلم وهو من اهل الصلاح قطعا وقد اجازني ايضا نفعنا الله به

وممن اجتمعت معه وصاحبته ايضا وهو من اهل الله حقا وكان عالما فاضلا صاحب حال ووجد وشوق له كشف قوي وفتح الهي ووارد صمداني وله كلام في الحقائق رائق واذا ورد عليه كلام في الفتوحات تكلم به من غير كلفة ولا تعب وقد جعل كتابا عظيما في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على نهج دلائل الخيرات غير انه لا يكتب تآليفه الا اذا وجدها في سره رضي الله عنه وهو الولي الصالح والعارف بالله الواضح سيدي الهاشمي المغربي اذ اجتمعت معه في الحجة الاولى وسبب معرفتي اياه اني وجدت رجلا فاضلا عليه سيمة طيبة يقرأ عند باب الجامع الازهر وتعلق قلبي به فجلست عنده فوجدته يقرئ في ابن هشام اعني المحاذي على الالفية بشرح السيد خالد اعني التصريح وحاشية الشيخ يس عليه فما رأيت مثله في التحقيق وحسن العبارة نعم كلامه عليه حلاوة وطلاوة علمت ان القلب الذي خرج منه ذلك الكلام قلب مفرد فيه توحيد مجرد وهو الشيخ سيدي ابراهيم نجل الشيخ سيدي علي شعيب التونسي وقد اجتمع في هذه النخبة العلم والصلاح والعبادة والمجاهدة وقد قيل لي انه غلب عليه القيام والصيام كأنه لم يبق لسواه فيه نصيب فقد كان كله لله رضي الله عنه ونفعنا به وان العلوم النقلية والعقلية طوع يده .

حاصله محاسنه لا تعد ولا تحصى ولا تضبط ولا تستقصى نعم كنت حينئذ اسرد الصوم وواصلت نحو ثلاثة ايام من غير اكل طعام الا اذا افطرت على الماء القراح فلما ورد علي اليوم الرابع تغيرت نفسي وتحركت طلبا للطعام فكنت في المجلس اتردد

---

(١) في نسخة الربيعي

هل ازيد اليوم الرابع كذلك او اذهب لرفقتي في بولاق لتحصيل الطعام معهم او ابيت في الازهر صبرا حاصله تشوفت نفسي للطعام والى تحصيله فلما ختم المجلس السيد ابراهيم المذكور تفرق اهل مجلسه فبقيت هناك والله اعلم ساعة زمانية ثم قمت فدخلت المسجد واذا بالفاضل المذكور سيدي الهاشمي وافق معي فاعطى لي نحو رطل من تمر معجون معه شيء من الرغيف حاصله اناني بما يكفي الانسان الجائع فقال من يتوكل على الله ويعتمد عليه لا يتحير في امر العيش ولا ينتظر غير الله تعالى فتعجبت من كلامه واطلاعه على ما بنفسي وما رأيته قبل قط فكأنه حاضر في قلبي فعلمت انه ولي من اولياء الله تعالى فرغبت في صحبته واذا هو ارغب مني فتعلق بي تعلقا كليا فاعلمت به الاخ في الله والمحب من اجله صاحب الكشف ايضا والصدق تحقيقا سيدي محمد الشريف البلغيثي الطرابلسي وابن عمي سيدي محمدا صالحا وتلميذي سيدي محمدا الجوادي فتعلق الجميع به ظاهرا وباطنا ثم انه لم يفارقني الى ان سافرنا الى الحج نفعنا الله به آمين ٠

ولما رجعنا من الحج وجدناه ينتظر جماعتنا خارج مصر ثم ذهب بنا الى داره رغبة ومحبة وفرحا وسرورا فاقمنا عنده ثلاثة ايام ومع ذلك ما ترك احدا منا يخرج من داره اصلا ٠

هذا واني كنت لا آكل سمنا ولا لحما ولا اداما فإن رمت شيئا من ذلك خرج عقلي فلما وصلت داره فاتى بكل ما منعت منه فقال لي كل ولا تخف قلت خفت زوال عقلي اذ جربت نفسي في ذلك فقال لي كل فانت مامون من كل ما تخافه باذن الله تعالى فاكلت وما صار لي شيء من ذلك باذن الله تعالى فعلمت ان له حالا قويا مع الله تعالى ثم كان معنا كذلك الى ان سافرنا الى بلدنا نعم مرضت مرضا في مصر واشرفت فيه على الموت وكنت حينئذ في الوكالة فيضيق علي الحال مع الوحشة اذ اصحابي ربما خرجوا وتركوني وحدي فحين يتقوى التوحش علي واذا به وارد يؤنسني ويقول لي لا تخف فإن الله يعافيك اوكلاما هذا معناه .

والحاصل ان هذا السيد من اكابر الصالحين والعلماء العاملين فينبغي ان تشد اليه الرحال نفعنا الله به وبامثاله واما من زرته من الصالحين * والعلماء العاملين * فكالشيخ العارف بالله المبصر بنور الله وهو من الواصلين حقا * ومن العارفين صدقا * من له كشف تام * ونفع عام * الشيخ كشك (١) فانه رضي الله عنه يحكى عنه انه ما دخل احد مصر من اهل الله غالبا الا سلبه وكان له التصرف التام وقد اخذني حال غيبتي عن احساسي اظنه خارج مصر غير ان المواهب تجري على لساني فضبط مني اصحابي كلاما على هذا الشيخ وانا غير مستحضر له غير اني ذكرت كلاما على طريق النظم في شانه والان طال عهدي به او على غيره والله اعلم .

ثم ان تلك الورقة التي فيها ذلك الكلام حملها سيدي محمد الشريف المذكور معه بحيث لم يرها احد فلما اجتمعنا معه رضي الله عنه قال له مد لي تلك الورقة فتعجبنا منه ودعا لنا من قريحة قلب وعزيمة همة فعلمنا اننا قد نلنا منه ما لا يحصى كثرة وانا زرنا في مصر اولياء وصلحاء قد تعذر علينا ضبط اسمائهم لغلبة النسيان على البشر افاض الله علينا من فضلهم وجودهم واحسانهم .

وممن اجتمعت معه ايضا في هذه الحجة المنور على الاطلاق * والولي العارف بالاتفاق * صاحب الجذب الالهي * والحال الناهي * والوجد الزاهي * العالم بالحقائق * والراسخ بالدقائق * المنفق من الفتح * من قد جبل على الصفح * انوار معارفه مشرقة * ولوائح اسراره رائقة * فقد ترقى في اوقاته * وتشكل روحانيا في سماواته * فكاد ان يكون من عالم الامر لطافة * فغالبه بشر وقلبه ملك في الخلافة * ان امتحنته وجدته لم يرق احد مرقاه * ولا سلك شخص مسلكه وحيدا في مثواه * ان تكلم اغرب * وان افصح اعرب * جدير بما يقول * وعندي هو اكثر مما نقول *

(١) كذا في جميع النسخ ولعله كوچك او كوچوك

الشيخ محمود الكردي نفعنا الله به وبامثاله وقد اعتقدنا فيه اكثر مما نقول لان ما خامر القلوب فعلى الوجه تلوح اثاره والاسرة تدل على السريرة وما كان فيك ظهر على فيك .

وقد سمعنا الاخ في الله سيدي محمدا الشريف يذكر عنه امورا يكاد ان يكون صاحب وقت اذ لا غرابة في صدور مثلها من مثله .

حاصله لا يخفى عليه شيء في الكون وله اسراءآت بروحه متعددة كثيرة ومجاهدات عظيمة يكاد العقل ان يحيلها منها ما سمعت انه مكث اربعة عشر عاما ما شرب ماء .

حاصله مجاهدته قوية عظيمة وتتبعها كثير نعم لما اجتمعنا معه اخذ بمجامع قلبي وكلامه كله طب نبوي وترياق مجرب ولو ساعدنا الحال ما فارقناه طرفة عين لانه كنز لا يفنى والله اعلم انه ممن يقلب الاعيان فعند مجالسته تزول الهموم والغموم وقد حصلت فيه علامة الولاية وهو انه اذا رأيته تذكرت الله تعالى وانه ايضا لا يفتر عن ذكر الله تعالى ومن اعطي الذكر فقد اعطي منشور الولاية ومن سلب شيئا من الذكر فقد عزل عنها ولا تسمع ممن يعترض على مثله من اهل زمانه فان ذلك شقاوة والعياذ بالله تعالى فقد جمع واوعى ولا غرابة في كون التلميذ اعظم من شيخه اذ شيخه الشيخ الحفناوي كما سبق في الشيخ زروق مع سيدي احمد بن يوسف .

حاصله ان الشيخ المذكور بلغ الغاية في الترقي والمجاهدة رضي الله عنه وارضاه ولا جعله آخر عهد بيننا وبينه آمين ليتم ما اردناه .

وممن اجتمعنا معه ايضا وزرناه من لاح نوره * واشتهر امره * وارتفع صيته * العالم الفاضل * المحقق الكامل * العبقري الحافل * الذي هو البحر من غير ساحل * من رآه تحقق صلاحه وولايته بلا ناقل * الشيخ الجوهري نعم اهل مصر اتفقت كلمتهم على انه ولي من اولياء الله تعالى وما حصل من الجود من الله عليهم * والفضل لديهم * انما هو لوجود مثله وكفى به علما وعملا وخشية واتباعا للنبي صلى الله عليه وسلم واقتفاء آثاره عليه الصلاة والسلام

وقدوة للامة المحمدية نفعنا الله به وبامثاله آمين واظن انه ممن لا يشقى جليسه نعم انوار الولاية تلوح على وجهه من غير شك فهو محقق الفلاح والنجاح فلا تجد احدا يسوء ظنه فيه بل قد حلاه الله بحلية القبول وكذا اطلق السنة الخلق بالثناء عليه عموما والسنة الخلق اقلام الحق متع الله المسلمين بطول حياته وجعل البركة في ايامه وافاض علينا من بحر انواره بمنه وكرمه .

وممن اجتمعت معه وزرته مرارا الشيخ الصالح * والولي الواضح * الشيخ الغرياني نفعنا الله به وبامثاله وهو ممن ظهر عليه الفضل والخير والناس افواجا في مصر تتبعه تقتبس الانوار والفتح منه وتتوسل بجاهه وقد اشتهر عند اهل مصر ايضا انه هو الحارس للركب فان اهل الخير جعلوه رقيبا عليه ومامونا من اجله فلا يقع مكروه به لوجهه والظن منا به كذلك نفعنا الله به وبامثاله رضي الله عنه وارضاه ورزقنا العافية في الدنيا والاخرة مع كفاية همهما بمنه وكرمه .

هذا وان مصر قد حشيت باولياء الله وانهم فيها كالنجوم في السماء فالمستور فيها اكثر من الظاهر اذ الكامل فيها اكثر من ان يحصى والغالب ان اسواقها لا تخلو منهم فمن ازيل عنه الحجاب رآهم عيانا .

وبالجملة فاحوالهم كمثل بحر ووجودهم كثير فهم ينبتون فيها دائما لا تنقطع اثارهم * ولا تغيب شموسهم واقمارهم * فعلى من دخل مصر ان يجعل معتمده عليهم فإن بحث عنهم وجدهم لا سيما ان كان بصدق الطلب فوطن مصر ليس كغيره رضي الله عن اولياء الله اين كانوا ونفعنا الله بهم وجعلنا في زمرتهم آمين .

وممن اجتمعت معه في مصر ايضا الفاضل المحصل * والعالم المؤمل * الفقيه المفسر * المحدث المخبر * المنطقي الكلامي * المؤرخ الاصلي البياني * المرتقي اعلى رتب التدقيق الجامع بين الحقيقة والشريعة الشيخ المنور التلمساني * تلميذ الشيخ القطب الرباني * والعارف الصمداني * سيدي احمد الحبيب الفيلالي نفعنا الله بجميعهم آمين وقد كان يقرئ

الكبرى في رواق المغاربة واجتمع عليه خلق كثير من مصر ومن المجاورين وغيرهم غير ان الغالب منهم مقصودهم البركة ومعه التحقيق من غير شك .

وكان الشيخ العمروسي يحضر درسه ومع ذلك أنه شرح خليلا وكان الشيخ خليل المغربي(١) قد وقع بينه وبين الشيخ نزاع في بعض المسائل في الكبرى في كلام الشيخ السنوسي فلما طال نزاعهما وقد ظهر لنا ما ظهر للشيخ خليل قلت الحق مع الشيخ خليل فلما خرجنا قال لي والله لقد اساءني نصرك للشيخ المذكور فاجبته بما هو حاصله ان الحق احق ان يتبع وما ذكره هو الحق والله تعالى اعلم فلما علم الشيخ خليل منه ذلك انقطع عن مجلسه وقبل ذلك اوردت عليه مسائل من العلوم منها في البيان على من يقول في قولهم انبت الربيع البقل انه استعارة بالكناية اي شبه الربيع بالفاعل الحقيقي الذي هو الله تعالى في كونه منبتا فحذف المشبه به وهو الله واثبت له شيئا من لوازم المشبه به وهو الانبات لانه من فعل الله تعالى فالحق ان يسند اليه ثم ان الربيع فاعل حقيقي ادعاء ومبالغة في التشبيه اي فرد من افراد الفاعل الحقيقي ثم استعير الربيع للخالق الذي هو الله تعالى بأن جعل اسما من اسمائه على مذهب السكاكي الخ فقلت له يلزم من ذلك ان يكون اسما من اسماء الله تعالى واسماء الله توقيفية فلا يجوز اطلاقه عليه بناء على ذلك القول لانه تصرف في الذات ولا يتصرف فيها الا الله تعالى وكذا على القول الاخر لانه لفظ يوهم النقص فلا يجوز ايضا فتحير في الجواب بعد جهد جهيد في الوصول الى الاشكال فضلا عن الجواب على ان الادعاء في الاستعارة كاف في انفكاكه .

﴿ قلت ﴾ هب على انه كذلك فلا يسمن ولا يغني من جوع لان الكلام في اطلاقه على ذاته وهو حاصل قطعا على هذا المذهب لان المستعار هو الربيع فيكون اطلاقا على الذات من غير شك واما على القول بأن المستعار هو الفاعل الحقيقي والمستعار له هو الربيع فلا يلزم

---

(١) في نسخة الازهري

فيه شيء كما علمت ويظهر لك من قولهم انشبت المنية اظفارها قيل ان المنية استعير لها السبع الخ او انها فرد من افراد السبع ثم استعير اسم المنية له على ما اشتهر بينهم وعليهما فانبت الربيع البقل على كونه استعارة بالكناية واما على القول بأنه من المجاز في الاسناد فلا يلزم فيه شيء اصلا فلم يات بجواب راسا .

اقول فيه والله اعلم ان التحقيق في الجواب هو ان ذلك الاطلاق ليس المقصود منه التسمية لله تعالى باسم الربيع وانما المقصود التشبيه لان الاستعارة مبنية عليه وان كانت تباين التشبيه في الاستعمال والله تعالى اعلم .

ومنها اني اوردت عليه ايضا من علم الكلام مسائل عديدة فلم يفصح عن جميعها بجواب وان اجاب عن البعض فلا يسلم من امور ترده .

حاصله ان الاسئلة باقية الى الان فالسؤال الاول العلم بالوقوع تابع للوقوع ولوكان الوقوع تابعا له لدار كما ذكره الشيخ السنوسي في الوسطى فسألته عن بيان الدور وعن معنى هذا الكلام فوجدته كانه ما سمعه قط فلم يتعب نفسه في شيء اصلا فلما علمت منه ذلك تبين لي انه لا خبرة له به رأسا والكلام فيه معلوم وانما اختلف عبارة الجميع في تفسيره و بيان معناه والا فهو كنار على علم الا ان التحقيق ان العلم بقدوم زيد يوم الخميس تابع لقدومه بالفعل ولو كان القدوم بالفعل تابعا للعلم بالقدوم لَدَارَ وهو محال لان القدوم بمنزلة التصور والعلم به كالتصديق وقد علمت ان التصديق تابع للتصور ولوكان التصور تابعا له لَدَارَ وهذا معناه والله اعلم ذكره بعض افاضل المحققين وقال بعضهم ارادة قدوم زيد كما سبق متبوع والعلم بقدومه تابع لارادة قدومه ولوكان العكس لدار نعم العلم بالاشياء [كلها سابق تعلقا على ارادتها واما العلم بوقوع شيء فهو][1] مسبوق بارادة وقوعه وغير ذلك انظر القاضي زكرياء على الرسالة القشيرية .

---

(1) ما بين القوسين ساقط في نسختين

والسؤال الثاني في ان البصر في حقنا يتعدد بتعدد المبصرات فما لم تره فلمانع قام بالعين فلزم عليه ان الجزء الواحد قامت به ابصار وموانع وهي اضداد يستحيل اجتماعها في محل واحد فلم يتفق له الجواب ايضا كانه رضي الله عنه وان حصل له العلم تحقيقا فقد طال عليه العهد برؤية الكتب لما علمنا من حاله انه ذهب للسيد الشيخ المعلوم ذي الطريقة المشهورة والانوار الظاهرة والكرامات الحاضرة والاحوال الباهرة وكيف لا وهو من ذرية ابي بكر الصديق رضي الله عنه فقد سرت[1] فيه روحانيته صلى الله عليه وسلم فاشتغل عنده بالاسماء وخواصها حتى نسي العلم وقد مكث عنده مدة طويلة اكثر من عشر سنين فأثر فيه ذلك النسيان .

اقول في الجواب ان الموانع والابصار وان كانت متضادة بحسب المعنى غير ان ما تعلق به البصر غير ما تعلق به المانع فلا تضاد ذكر هذا الجواب بعض المحققين من الافاضل ﴿ فإن قلت ﴾ انما يتم لو تعدد المحل فلما كان المحل واحدا وقام فيه المتضادات امتنع لان المانع مضاد لاصل البصر وضد المثل ضد ﴿ قلت ﴾ نعم غير انه انما يلزم في غير المتعلق كالالوان والاكوان لان اللون اذا قام بمحل منع قيام ضده به فإن قام السواد مثلا بمحل واحد منع قيام البياض به واما قيام بصر زيد في جزء من محل عين عمرو فلا يمنع من قيام مانع بصر بكر فيجتمع المانع والبصر في محل واحد غير انهما مختلفان تعلقا كما ترى وهذا كلما مررت بهذا المحل الا خطر لي هذا الاشكال في صميم القلب فادفعه بما سبق من الجواب غير ان في القلب منه ما ذكرنا فتأمله منصفا والله اعلم .

والسؤال الثالث والرابع بالنسبة لعلم الكلام في تعلق علم الله بالمحال هل تعلق به تصورا او تصديقا وهو سؤال قوي فقد زلت فيه الافاضل والفحول فلم يفصح لي بالجواب ايضا نعم تعلق علم الله بنفي الشريك وشبهه من كل محال وانما الخوض في علمنا الذي يتعلق

---

[1] في ثلاث نسخ سارت

تصورا وتصديفا واما علم الله فمنزه عن ذلك وان بفي فيه نوع خبط(١) غيرانه خوض في ما لا يليق به تعالى اذ اكثر من هذا مستحيل عليه تعالى .

والسؤال الخامس في فول السيد الخرشي في شرح خطبة خليل وحمد المؤلف العام وشكره الخاص في مفابلة فول البراذعي على ما خص وعم من نعمه فما للبراذعي ترف وما للمؤلف محتمل له وللتدلي ففال في تفرير ذلك ونسبه لابن مرزوق ان الاصليين اختلفوا هل الخاص افضل او العام في ذلك فولان فاذا بنينا على ان العام افضل ففول البراذعي ترف لانه بدا بالخاص ثم العام واما فول خليل فيحتمل الفولين فاذا كان العام افضل فهو تدل وان كان العكس فترف ﴿ فلت ﴾ هذا منفوض لان البراذعي كخليل اي عبارتهما معا تحتمل الفولين فلا فرف بينهما والتفريف بينهما تفريق بلا مفرف وهو من التحكم فطعا ﴿ حاصله ﴾ فد اتحد نسبة الفولين الى كلام الامامين اي نسبة واحدة فلما ذاق هذا وحففه سلم الايراد وانه لم يفهم وجه الترفي والتدلي ﴿ ففلت ﴾ له ولمن حضر من العلماء في الجواب ان الترفي في كلام البراذعي انه بدا بالاخص اذ هو افل افرادا ثم العام اذ هو اكثر فهو ترف فطعا واما كلام خليل فمحتمل للترفي والتدلي بيانه هو ان فوله الحمد لله حمدا يوافي ما تزايد من النعم يحتمل ان يكون على الحامد نفسه فيفدر حمدا يوافي ما تزايد علي وفي فوله والشكر له على ما اولانا من الفضل الخ النون للتشريك اي علي وعلى غيري فيكون عاما ﴿ حاصله ﴾ ان الحمد خاص كما سبق والشكر عام فهو ترف فكأنه فال يوافي ما تزايد علي والشكر على ما اعطاني اي لي ولغيري فيكون ترفيا كما للبراذعي او يكون تدليا وهو الظاهر فان حمد المؤلف عام اي يوافي ما تزايد من النعم علي وعلى غيري وشكره خاص فبدا بالعام ثم الخاص وفد تفرر ان العام اكثر افرادا من الخاص فهو تدل فطعا وبالجملة فكلام خليل يحتمل التدلي والترفي غيران التدلي فيه اظهر .

---

(١) في نسخة خطب

﴿ فان قلت ﴾ قول الخرشي وحد المؤلف العام وشكره الخاص الخ مناف لهذا التفريع لكونه جزم بقوله وحمد المؤلف العام فما هذا منك الا شبه تناف لكلام خليل ﴿ قلت ﴾ ولا منافاة ان شاء الله تعالى لان جزمه بذلك على الظاهر من الاحتمال كما سبق فتامله منصفا وقد جعلت فيه رسالة على نحو ما سبق فاستحسن الجواب كل من حضر المجلس وهذا الذي قررت شيء فتح الله به علي في هذا المقام اذ كل من يمر به يستهوله ويستصعبه وانهم لا ينفصلون عنه كبير انفصال .

وقد اوردنا هذا الكلام على الوالد رحمه الله لانه افقه زمانه وما رأيت مثله في الفقه اذ انه في التحقيق بمكان فاستصعبه غاية ولما سمع بما فتح الله به علي شكر الله على ذلك وفرح بسببه فرحا عظيما .

والسؤال السادس في النحو وهو قولنا في قول ابن مالك

وصالحا لِبَدَلِيَّـةٍ يُـرَى * في غير نحو يا غلامُ يَعْمُرَا
ونحـو بشْرٍ تابعِ البَـكْرِيِّ * وليس ان يُبْدَلَ بالمَرْضِيِّ

اما بشر تابع للبكري فهو ظاهر المنع لان البدل على نية تكرار العامل ولا تصح هنا لان المحلى بالالف واللام لا يضاف الا لما هو كذلك وهنا ليس كذلك واما يعمر بالنصب فاعرابه عطف بيان صحيح لكونه تابعا للمنادى المضموم لفظا المنصوب محلا فنصب واما اعرابه بدلا فلا يصح لانه على نية تكرار العامل والعامل هنا ياء النداء كأنه قال وذلك قول الشاعر [وهو المرار الاسدي]

انا ابن التارك البكري بشر * عليه الطير ترقبه وقوعا

يا غلام يا يعمر فيضم مع انه لم يقع مضموما غير ان هذا لا يظهر كونه علة للمنع واما المثال الاول فقد ظهر فيه علة المنع واما المثال الثاني فليس له علة للمنع غايته مخالفة ما نطق به المتكلم وذلك ليس بمنع فليس من باب القراءة لان القراءة سنة متبعة فيصح حينئذ عطف البيان

فيه وكذلك البدل ايضا فلا تاثير لمتابعة ما نطق به المتكلم من النصب فيجوز حينئذ اعتبار الوجهين قطعا البدلية وعطف البيان فتامله منصفا .

وقد استخبرت عليه اناسا غربا وشرقا فلا اجد احدا يقول غير ما ذكرناه من وقوع النطق به منصوبا وانما اسأل الناس هل اجد احدا منهم حفظ هذا اللفظ وهو يا غلام يعمر من الشعر وانه رفع بالنصب رعيا للقافية اذ لو ضم لخالف الحرف الروي في القصيدة لانها منصوبة فلو ضم لوقع فيه المخالفة المذكورة .

اقول جميع من شرح الالفية لم ينبه على هذا السؤال ولا على الجواب نعم انا اظن انها من قصيدة شعر رويها منصوب فلو ضم على البدلية لانه على نية تكرار العامل لوقع الخلف فيها غير اني لم اطلع على انه من الشعر فانظر رحمك الله لعلك تطلع عليه في ديوان الشعراء فيزول اللبس فيما وقع فيه الكبس من سائر الطلبة المسئولين عنه انتهى .

والسؤال السابع عن الكيمياء اي عن الاكسير فقال امره سهل اذ قال انه مستور بشعرة وعلمت من كلامه انه يعرفه واشار لي ايضا ببيانه فتغافلت عنه ظنا مني انه لا يعرفه .

والسؤال الثامن سالته ومن حضر عما نقله الشيخ ابراهيم الشبرخيتي في شرحه لخليل في باب الجنائز من ان الموت عرض قائم بيد ملك فمن مسه بها مات وهو انه عرض والعرض اذا قام بمحل اوجب الحكم لمن قام به لا لغير من قام به وهنا اوجب الموت لغير من قام به واما من قام به فلم يمت وهي اليد التي قام بها والقضية العقلية (١) يستحيل تبديلها عقلا فلن ترتفع فتجبر الكل في الجواب «نعم» فلا جواب عنه على مقتضى القواعد العقلية غير ان المعتزلة خالفوا في هذه القضية وامثالها لكنه لا يكون جوابا فاذا علمت هذا علمت ان كون الموت في مخلوق عند المس باليد التي قام بها الموت ليس من اعطاء الصفة الحكم لغير من قامت به بل ان الله اجرى عادته ان يخلق الموت في الحي عند

---

(١) في نسخة النقلية

ذلك المس فيخلق عنده لا انه(١) اوجبه وصف الموت القائم بتلك اليد ولا انه به فالحاصل انه يخلق عنده لا به ولا انه موجب الحكم المذكور الخ واما اتصاف اليد بالموت فلا مانع منه ايضا ان قام به الموت حقيقة ﴿ فنقول ﴾ انها ميتة وتلتزم ذلك على قواعد العقل ومع ذلك متحركة حركة اضطرارية فان الميت يتحرك بتحريك من غيره اياه .

حاصله ان اليد وان ماتت فلا مانع من ان يحركها الله بمحرك كما يتحرك الميت بغيره تحركت خرق عادة لان الحياة ليست شرطا عقليا في الالوان والاكوان والحركة وانما الحياة شرط عقلي في الادراك لا غيروقد توقف في هذا السؤال جميع من رايناه ولقيناه من اكابر العلماء غربا وشرقا نعم وقد من الله علي بالفتح في هذا المقام الذي يستهوله ويستصعبه ويقول باحالته كل من سمعه او مر عليه فلا تستحقر فان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء وممن توقف في هذا السؤال ايضا الشيخ علي الصعيدي وغيره انتهى .

والسؤال التاسع قد سألته عن التناقض الذي بين المذاهب لان النبي واحد والملة واحدة ومع ذلك تناقضت الاحكام وتضادت والقائل بها في الواقع واحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم والواحد مثلا لا يقول في صلاة واحدة باطلة صحيحة كيف وان مالكا يقول بأن الصلاة التي بسمل المصلي في اول الفاتحة مكروهة وان تركها اولى ويلزم من ذلك صحة صلاة تاركها قطعا واما الامام الشافعي فيقول ببطلانها ان تركت لانها آية من الفاتحة ومن ترك آية عمدا بطلت صلاته ومذهب مالك انها ليست آية من الفاتحة فياعجبا كيف تكون الصلاة في دين واحد باطلة غير باطلة هذا على من يقول ان المذاهب كلها على الحق في الواقع اذ قال الامام الشعراني يجب على كل مسلم ان يعتقد ان الائمة الاربعة كلهم على الاصابة في نفس الامر فيلزم ان بطلانها وصحتها

---

(١) في نسخة لانه

حق وهو باطل لما علمت من أن اجتماع النفيضين محال واما من يفول ان الاصابة بحسب ظن المتجهد فلا كلام او ان حكم الله هو ظن المجتهد في حفه وحق مفلده فلا فدح ايضا وان المصيب واحد غير ان الله لم يكلفنا بتعيينه فلم يبق الا ثوب التنافض فيما اذا جعلت الاصابة لكل في نفس الامر ولذا فال الامام المذكور حصلت لي وفعة منذ ازمنة متطاولة في مثل هذا التنافض الى ان دخلت الخلوة ففتح الله علي بأن بعض الائمة شدد وبعضهم رخص الخ ما ذكره ﴿ وهذا ﴾ الجواب لا يغني شيئا لان مالكا فد كرهها مطلفا وذلك ليس لمفلده ففط والشافعي اوجبها على كل مصل باجتهاده الخ .

فلما ذكرت ذلك بحضرة شيخنا الشيخ العفيفي وجماعة من العلماء فمنهم من فهم السؤال وصار ينظر في الجواب عنه ومنهم من لم يصل الى السؤال فضلا عن ان يجيب والشيخ المذكور فهم السؤال وانكر وجود فولة باصابة الجميع في نفس الامر للاصوليين ﴿ نعم ﴾ فلت فد كان ذلك في المحلي فلما اتوا بنسخة منه وجدناه كذلك وانكروا ما ذكره الشعراني بان فالوا لم يذكره فاذا بشيخنا العفيفي فد اخرج كتابه فاصبناه كذلك ايضا فبعد ذلك سلم الكل الايراد الا الفاضل سيدي احمد بن عمار مفتي الجزائر فد انكر وصادر عن المطلوب غير انه لم يفصد عنادا وبعد ذلك سلم رضي الله عنه وعن الجميع آمين .

ولا غرابة ان يمن الله على بعض الناس بالجواب وفد من الله علينا بالجواب بما هو حاصله ان ترك البسملة في الصلاة مبطل على مذهب الشافعي وغير مبطل عند مالك وذلك تنافض فطعا نعم الاصابة بحسب الثواب ونفي العفاب اذ كل من المذاهب مصيب في نفس الامر بحسب الثواب في صحة العبادة على من يفول بها وعدم العفاب على من يفول ببطلانها وفسادها واما في الوافع عند الله فاما صحيحة او فاسدة لاستحالة الجمع بين صحتها وفسادها في علم الله وانما يصح ويثبت في علمه تعالى احد المذهبين ففط لما علمت من عدم اجتماع النفيضين فحينئذ فترك البسملة في الصلاة اما ان يوجب

خللا عند الله في الواقع كما هو مذهب الشافعي او لا يوجبه كما هو مذهب مالك والحق في الاصابة في علم الله احدهما دون الاخر واما بالنسبة للثواب وعدم العقاب فكلاهما صحيحان يعتد بهما في ظاهر الشرع لان مالكا يرى ان البسملة ليست آية من الفاتحة ولذا قال تركها لا يوجب خللا بل التلبس بها مكروه لما فيها من التلبس في قراءتها في اول الفاتحة وايهام انها منها وهي ليست كذلك لادلة عنده قولية وفعلية من اهل المدينة لانه يقدم عمل اهل المدينة وذلك قاعدة من قواعده ولذا جزم بانها ليست من الفاتحة فاذا كان كذلك عند الله فالحق معه ظاهرا وباطنا والا فيحصل الثواب من تلك الصلاة المتروك فيها البسملة وان كانت في علم الله فاسدة فاصابته حينئذ بحسب الثواب عليها وعدم العقاب على ترك البسملة فيها وان كانت فاسدة بسبب تركها في علم الله تعالى .

حاصله ان مالكا مصيب فيها اما بحسب علم الله وغيره واما مصيب في الثواب عنها وعدم العقاب على تحمل المفسد في علم الله تعالى وهذا معنى اصابته .

وبالجملة فهو مصيب قطعا في صحة الصلاة وثوابها واما مصيب في الثواب وعدم العقاب فقط وان كانت فاسدة في علم الله تعالى وهذا معنى الاصابة في كل مذهب وذلك مطلقا اي في العمليات والعبادات وعلى هذا تحمل الاصابة في نفس الامر والا فالتناقض ظاهر بين لا ينكره عاقل فضلا عن عالم وكذا مذهب الشافعي في حمل الاصابة فيما يناقض غيره من المذاهب فاذا قلنا بفساد الصلاة عنده بترك البسملة اما عند الله تعالى فتكون فاسدة ظاهرا وباطنا واما ان تكون فاسدة بحسب رايه واجتهاده بالادلة الواردة في ذلك اي بأنها آية من الفاتحة فيكون حينئذ اما مصيبا في نفس الامر او في الظاهر فقط .

وحاصله ان اصابته اما بحسب علم الله انها فاسدة بتركها او بحسب الظاهر من الادلة فيكون مصيبا قطعا غير انه ان كان مصيبا في فسادها بحسب علم الله فيكون مالك مخطئا بحسب صحتها غير انه مصيب بحسب الثواب وعدم العقاب واما ان يكون مالك هو

المصيب في صحتها بتركهـا في علم الله تعالى فيكون الشافعي مخطئا في فسادها بحسب علم الله وانما يكون مصيبا في فسادها بحسب الظاهر من الادلة ويكون حال من ينتمي اليه يعاقب ولا يثاب عليها ايضا لمخالفتـه ما دل عليه الحديث انها آية من الفاتحة ومن تعمد ترك آية منها عوقب واثم .

﴿ فان قلت ﴾ قد اجتمع الثواب والعقـاب في صلاة واحدة لانـك حملت الاصابة على ذلـك فمـا فررت منه من اجتماع النقيضيـن وقعت فيه فهو مشترك الالزام قطعـا ﴿ قلت ﴾ السؤال قوي غير ان لطف الله موجـود وكرمه معهود وفتحه ممدود فلا منـع ان يجعل الحق حيث شاء ﴿ اقول ﴾ وعلى الله اعتمـدت ان الصلاة اذا كانت صحيحة عند الله مع ترك البسملة فالفساد حينئذ ليس الا في الظاهر ومخالفة الظاهر ضعيفة لاسيما مع عدم التعيين فيه فلا اقل ان يكون مع ما عند الشافعي من الحكم بفسادها بحسب الظاهر من الادلة من انها آية من الفاتحة غير مجزوم به ولا مقطوع به اصلا لاسيما على ما تقدم ان صحتهـا هو الواقع في علم الله تعالى فيكون بطلان الصلاة بتركها امرا خفيا لما لم يكـن في علم الله تعالى فخف امره وتيسر حاله فكأنه معفو عنـه فالالتفـات اليه التفات الى حال الادلة واعتبار لقواعد اجتهاده فيصير العقـاب والفساد امرا عارضـا غير موثوق به اذ المعتبـر ما عند الله من الصحة فيها بتركها فيكون الشافعي مصيبا بحسـب الادلة انها آية من القرآن اي آية من كل سورة فيلزم ان تكـون آية من الفاتحة فعلى من اجتهد ولاحظ انها آية من الفاتحة من غير ان يعتريه شك في ذلـك بأن كان عنده ظن قوي بأنها آية من القرآن فبفسـاد الصلاة بتركها ظاهر وهو مصيب من هذه الحيثية ومعاقبـا على تركها عقاب اقله توبيخ وتقريع على مخالفة الشافعي في ظنه انهـا آية من الفاتحة اذ المعتمد على مذهبه لابد ان يعمـل به والا عوقب عليه لان العمل بمقتضى المذهبين تناقض والاصابة فيهما مستحيلة اذ لا يمكـن الجمع بين النقيضين .

وبالجملة فالاصابة على المذهبين هو ان لا مؤاخذة على كل من عمل بهما وعلى هذا تحمل

الاصابة في نفس الامر ولا شك ان كل مجتهد في المظنونات بشروط الاجتهاد غير مؤاخذ في نفس الامر وكذا مقلده وان اخطا بحسب علم الله تعالى بخلاف المجتهد في الاعتقاد فلابد ان يكون مصيبا في نفس الامر والا عوقب هو ومقلده لان الناس مكلفون فيها بالعلم واليقين ولا يصح فيها الظن القوي ولذا كان المصيب في العقائد واحدا لان العلم له وجه واحد والمطلوب فيها العلم بالاحتمال فاذا علمت هذا علمت صحة اصابة كل مجتهد في الفقه في نفس الامر بحسب عدم المؤاخذة فيه عند الله تعالى فمن صلى حينئذ بغير بسملة كما هو مذهب مالك لا مؤاخذة وكذا على مذهب الشافعي ان يسلم وظن انها آية من الفاتحة نعم كذا كل مذهب في الفقه .

حاصله ان التناقض الواقع بحسب المذاهب الفقهية ان كانت مدونة ومقتفية كمالك والشافعي واحمد وابي حنيفة يجب ان يحمل كل رأي منهم على الاصابة في نفس الامر بمعنى ان من عمل بمقتضاها غير مؤاخذ شرعا وان كان المصيب في علم الله واحدا اذ لا يمكن الاطلاع عليه الا بالوحي او الادلة العقليلة وقد تعذر ذلك اما الوحي فقد انقطع به صلى الله عليه وسلم وكذا الادلة العقلية لان هذه الاحكام نقلية ولا مجال للعقول فيها فان كان كذلك فلا يكلف الله نفسا الا وسعها وترجيح المصيب من المجتهدين فيها تحكم نعم يصح فيما ظهر فيه المدرك اوكثرة القائل نعم فلا يكون ذلك دليلا على انه في علم الله كذلك بل غايته انه محتمل على ان سبب الترجيح دال عليه بحسب الغالب ولهذا تجب الفتوى بالراجح والعمل به واما في العمليات فالمصيب فيها واحد والعمل بما في علم الله انه الحق واجب والبحث على ذلك بالادلة العقلية لازم متحتم والمعتقد على خلافه مأثوم او كافر وان اجتهد بامكان التوصل الى ما في علم الله من المعتقد الصحيح بالادلة العقلية .

فظهر لك ان المصيب فيها بحسب المؤاخذة واحد بخلاف المجتهد في المظنونات صح ان يكون كل مصيبا بحسب عدم المؤاخذة هذا وهو التحقيق في الجواب والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب .

ولتعلم ان الله قد من علي بفتح منه ولا فهذا المحل يستهوله كل من مر عليه ويستصعبه فلا ينفصلون عنه الا على بطلان القول بالاصابة في نفس الامر وانما الاصابة بحسب ظن المجتهد وان ظنه هو حكم الله في حقه وحق مقلده كما هو التحقيق في فن الاصول والاصابة لكل فلا لما علمت من التناقض والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان غير انك قد سمعت الجواب عنه والله هو الفتاح العليم .

والسؤال العاشر والله اعلم هو برهان القطع والتطبيق انما يستحيل في الحوادث دون القديم اذ قولهم ما دخل في الوجود متناهٍ وذلك والله اعلم في القديم والحادث واظن ان المحقق ابن التلمساني في شرح المعالم قال ادلة ذلك اي احالة التسلسل في الحوادث خاص بها لتوقف وجود بعضها على وجود بعض قبلها واما القديم فلا لعدم السبقية فيه ولهذا قال ابن التلمساني المذكور وتبعه المحقق المراكشي في حاشيته على الصغرى وكذا اليوسي في حاشيته على الكبرى ان كمالاته تعالى لا نهاية لها بحسب الواقع وانها صفات موجودة قائمة بذاته غير متناهية ودعوى الاجماع ان كل ما دخل في الوجود قديما او حادثا متناهٍ منقوض بمذهب الامام الصعلوكي في قوله ان علمه تعالى يتعدد بتعدد المعلومات ومعلوماته غير متناهية لان الاجماع لا ينعقد بدونه الخ ما ذكره الشيخ اليوسي فظهر لك ان الادلة العقلية غير جارية فيه وكذا الاجماع لما ذكر الصعلوكي وكذا ابن الحاجب في تعدد القدرة سلمنا الاجماع غير انه دليل ظني ﴿ قلت ﴾ سلمنا ذلك غير ان عدم احالته ممنوع وسند المنع ان امر الكمالات عدد وكل عدد اما ان يكون زوجا او فردا او غير زوج ولا فرد او زوجا فردا وكل ذلك لا يصح لانه ان كان زوجا او فردا فهو متناهٍ واما غير زوج ولا فرد فمستحيل وكذا زوجا فردا فمستحيل ايضا فاذا علمت هذا علمت استحالته في القديم ايضا وان كان هذا الجواب اقحاميا إذ اكثر أدلة الكلام اقحامية او اقناعية ﴿ نعم ﴾ حصول الفائدة للناظر من هذه الابحاث اشكالا وجوابا ظاهرا للمعتني بالعلم والراغب فيه واما غيره فضائع فيه كتعليق وعاء فيه مسك للحمار او نثر الجواهر للدجاج .

وبالجملة فامر مصر وحالها من يوم عمارتهـا الى الان امر غريـب وعجائبها في العلـوم والمعارف والعوارف والولاية لا تحصى وغرائبها كادت ان لا تستقصى فمن اختبرها وعاين بعض احوالها حصل له اليقين الخاص والعبرة العظيمة .

ومن عجائبهـا في كل شيء انك اذا رأيت شيئـا عظيما ثم رأيت شيئـا اعظـم منه نسيت الاول ثم كذلك الى هلم جرا «نعم» احوال مصر داخل المدينة وخارجها كافية في الاعتبار اذ في اهلها واسواقها ودكاكينها وازقتهـا وديارها ووكالاتها وقهواتها ومساجدهـا ومدارسها وعجائب قرائها وعلمائها وصالحائها وطلبتها وفقرائها وظلامها وبطارقتها واهل شرطتها وجنودها وعساكرها وامرائها وكثرة خلقها وكذا سحرتها وزناديقها وكذلـك كثرة اليهود فيها مع النصارى وكذا مقابرها في القرافة الصغـرى والكبرى وكذا عجائب ما فيها من البنيـان واعجب من ذلك ما فيهـا من العلماء المؤلفين والاولياء الصالحين ممن يستجـاب الدعاء عند الجميع وكذا خارج المدينـة ففيه من القصور والغـروف وصهاريج من الماء وكذا ما في داخلهـا من الحمامـات والافران على ان سعـة الديار فيها وعلـو اسوارها وتزيينها بالنحـاس والذهب والفضة فبعض الديـار ان كان احد في طرفها والاخر في الطرف الاخر لا يسمع كلامه بل وقد لا يرى له شخصا فان رآها بعض الناس غاب عن حسـه لما اصابه من مشاهدة رونقها يكاد المرء ان تكون عنده الجنة عجائب وغرائب لا تكاد توجد في غيرها من البلدان ايا كانت هذا الذي سمعته بعد ان دمرها الله وغيرهـا بسبب الفسوق والعصيـان على انها الان قد كثر فيها الظلم حتى سمعت من الشيخ العارف المحقق الفاضل سلطان الموحدين شيخنا الشيخ الحفناوي يقول في حجتنا هذه ان ظلم ولاتها قد وصل كل جنس من اجناس الادميـن حتى بلغ ظلمه الحاج المغربي والعلماء والطلبة والفقـراء والاشياخ والصناع والتجار والمجاورين وسائـر النـاس قاطبة ولذلك ابتلاهم الله بالشقاق والفتنة فكانت مصر لمن غلب وقد قال صلى الله عليه وسلم لم يكن شيء اسرع بصاحبه كالظلم .

فاذا علمـت هذا علمت ان والي بولاق قد تعدي على ركبنا اهلكه الله واخلى منه

الارض وكذا معينه يمسك جماعة بعد جماعة من الحجاج ويلقيهم في السجن فان اخذ منهم شيئا من الدراهم سرح لهم من غير ان يدعوهم احد للشريعة عدو نفسه الا انه لا يقدر ان يربط من الركب هو وغيره من الولاة وانما يربطهم من الاسواق وقد نجاني الله منه والحمد الله .

وسبب ذلك الشيالة اي الحاملين للحجاج فيشتكون اليه بباطل قصدا منهم ان ياكلوا ما عليهم من الدين الذي اقرضوه وتسلفوه منهم اذ كيدهم عظيم فاننا سلمنا منهم في الطلعة والهبطة لقوة الركب فلم يغن عنهم ما ارادوه من اتلاف اموال الحجاج بالباطل عند امير الحاج من مصر فلم يوافقهم على الظلم ولما وصلوا الى مصر رجعوا الى فعلهم الردي غير انهم لم ياخذوا شيئا منهم وانما ذلك الظالم هو الذي اخذ منهم «نعم» ما خرجنا من مصر حتى اوقع الله بها فتنة عظيمة وغلاء قويا ببركة الحاج .

ذكر خروجنا من مصر

ولما ظعنا من البركة نزلنا الدار الحمراء وهي لا ماء فيها بل انما ياتي الحاج بالماء من النيل يصحبه الى ان يصل دار عجرود او يجاوزه اذ ماؤه قبيح لا يشربه انسان الا خرج من حينه بل يغير طبيعة شاربه فلما يسلم شاربه من مرض البطن فيستعدون الماء لتلك المرحلة الا الفقراء فيضطرون لشربه فلا يسلمون منه غالبا بل الطعام الذي يطبخ به تصيبه مرارة فلا يؤكل الا بشدة الجوع «نعم» الذي عنده وسع في ماله وقوة في زاده يشتري الماء العذب اذ ياتون به من النيل فيباع في الاسواق اذ اسواق الركب المصري كثيرة لا يمكن عدها اذ فيها كل خير مما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وترغب فيه الناس الا كان فيه سواء كان نازلا او سائرا فان من لم يصحبه زاد من طعام وشراب وعنده فلوس يشتري كل ما يحتاجه منه غير انه يشتريه بزيادة الثمن وانما الرخاء فيه بكثرة ما يباع فيه من المطاعم والملابس والفواكه والخضر حتى يحكم الانسان ويجزم ان مصر خرجت برمتها وما فيها اذ تجد الطبائخ من انواع الاطعمة والاشربة والاغذية احسن

مما يوجد في الامصار الكبار ومع ذلك هم سائرون فالمضطر الجائع يجلس عند الطباخ وياكل عنده ما يحتاجه بثمنه فتجتمع نعمتان الاستراحة والشبع بل عنده نعمة شاملة كانه حاضر في سفر ونزهة في كدر وعبرة في ضرر ورحمة في سفر .

﴿ انعطاف ﴾ الى ما كنا بصدده وهو ان عجرودا هذا قد يوجد فيه بعض المياه العذبة في نواحيه وكذا في نواحي الدار الحمراء غير انها ليست في كل الاوقات ولا انها تكفي الحاج ومع ذلك لا يعلمها الحاج وانما يخبر بها بعض الاعراب .

ولذا قال شيخنا سيدي احمد بن ناصر المذكور ما نصه قرب هذه الدار مررنا على واد به ماء طيب بآبار قريبة القعر يحفر الانسان بيده فينبع له الماء قريبا بحيث تتناول الدابة منه بفيها من غير كلفة واخبرني بعض من كثر تردداه في هذه الطريق ان هذا الموضع يجدون به الماء ولو في الصيف هذه الازمنة وهذه السنة زاد الماء فيها كثيرا من كثرة الامطار ونداوة الارض الى ان قال وهو عن يمين الذاهب لعجرود فسرنا ومررنا كذلك على واد به فيعان من ماء يسيل سيلا تاما من المطر بازاء عجرود فقلت لاعرابي حجازي هذا الماء طيب فقال مجيبا نعم زي الشهد الى ان قال وماء عجرود يضرب به المثل في القبح واشتهر بذلك مع وجود ما يضاهيه كثيرا في مياه الدرب الا انه لما كان اول ماء يرده الحاج قبل ان يالف مشاق الطريق مع اعتياد الناس قبل ذلك لمياه النيل ووجود فضلة منه لا يكادون يسيغون منه جرعة الا وهمت بطونهم بالرجعة .

وفي هذا المورد حصنان متقاربان مبنيان باوثق بناء يترك الناس فيهما ما استثقلوه من الازودة والامتعة الى الرجوع وكثيرا ما تعطب المؤن من الابل في هاتين المرحلتين بجد السير وثقل الاحمال اذ لم يخفف منها شيء والابل قد الفت الراحة بمصر ويغلب عليها السمن وكثير من الناس لا يشفقون عليها فيحملونها فوق طاقتها ولا يرخون عليها في المشي لما يتوقعون من خوف اللصوص على من تأخر فكل واحد يريد ان يتقدم وقد لطف الله بنا عادة عودناها تعالى في جميع الاحوال فنتأخر عن الركب ونكون في اخرياته فنسير على مهل بابلنا

وينضم الينا من صعب من الناس أوتأخر لغرض فكان لنا في ذلك وللناس خير كثير فلم نر ما راى الناس من المشاق وموت الابل وفي احد الحصنين اللذين هناك بئر كبيرة تسني دائما بالبقر ويخرج الماء من البندر الى برك ثلاثة خارجات اثنتان صغيرتان والثالثة كبيرة وبهما عسكر لا يفارقهما ابدا وكذلك غيره من البنادر في كل سنة ياتي قوم فيذهب الذين كانوا فيه ولهم جراية من بيت المال على ذلك ولولا لطف الله بالعباد بوجود هذه البنادر في الطريق لما قدر احد على سلوكها مع كثرة مخاوفها وقلة مرافقها ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور ومن هنا يعدل عن طريق الحاج ذات المصانع ذات اليمين للنابعة والمصانع سواري مبنية في سبخة لا يظهر فيها اثر الطريق وكذا في الرمل القريب منها فجعلوا تلك الاعلام المبنية ليستدلوا بها على الطريق وجعلوا في رؤس الابنية حجرا مستطيلا خارجا لناحية الطريق ليستدل بها الماشي ليلا وربما علقوا على بعض الاعلام مصابيح ليلا لبعد ما بينها وبين كل علم وعلم نحو فرسخ او اقل او اكثر في محالها وعلى هذا الطريق يسلك الحاج المصري والمغربي دائما الا في اوان الحر وخوف العطش فيعدلون الى النابعة عن طريق المصانع وهي واد كبير ذو رمل به احساء كثيرة تزيد على المائة بل اينما حفرت مقدار قامة او اقل وجدت ماء حلوا باردا في غاية الحلاوة كانه ماء النيل ربما يتوهم انه احسن منه شرفي مدينة سويس .

وهي مدينة صغيرة ذات اسواق ومساجد ووكالات مستطيلة على شاطئ البحر المالح الذي يأتي من الهند وهناك يقف بين جبال شامخات وبينه وبين البحر الرومي نحو مرحلتين قاله الشيخ ابو سالم في رحلته .

﴿ قلت ﴾ وذكر المقريزي ان ما بينهما هو البرزخ الذي ذكره الله تعالى في كتابه في قوله تعالى بينهما برزخ لا يبغيان وبهذه المدينة ترسى السفن التي تاتي من جدة ومكة واليمن فيها السلع التي لا تحصى والبضائع التي لا تستقصى ومن هناك تحمل الى مصر في البر .

﴿ فلت ﴾ وهي بموضع مدينة الفلزم التي ينسب اليها هـذا البحر وبالفرب منهـا غرق فرعون فال المفريزي في خططه وفد عرف بهذا البحـر وذكر في تفاصيلـه وان مبداه من البحـر الكبير المحيط بالارض المسمى ببحر الظلمات لتكاثـف البخـار المتصاعـد منه وضعف الشمس عن حله فيغلظ وتشتد الظلمة ويعظم موج هـذا البحر وتـكثر اهواله ولم يوفف من خبره سوى ما عرف من بعض سواحله وما فرب من جزائره وفي جانب هذا البحر الغربي الذي يخرج منه البحر الرومي الجزائر الخالدات وهي فيما يفال ست(١) جزائـر يسكنها فوم متوحشون كما ان في جانبه الشرفي مما يلي الصين ست جزائر ايضا تعـرف بجزائر السيلي نزلها بعض العلويين في اول الاسلام خوفـا على انفسهم من الفتل ويخـرج من هذا البحر المحيط ستة بحار اعظمها اثنان وهما اللذان ذكر الله تعالى في كتابـه في فوله تعالى مرج البحرين يلتفيان وفي فوله تعالى وجعل بين البحرين حاجزا فاحدهما من جهة الشرق والاخر من جهة الغرب فالخارج من جهة الشرق يفال له البحر الصيني والبحر الهندي والبحر الفارسي والبحـر اليماني والبحـر الحبشي بحسـب ما يمر عليه من البلـدان واما الخارج من الغرب فيفال له البحر الرومي واما البحر الهندي الخارج من جهة الشرق فيبدا خروجه من مشرق الصين وراء خط الاستواء بثلاث عشرة درجة ويجري الى ناحية الغـرب فيمر على بلاد الصين وبلاد الهند الى مدينة كتبانة (٢) والى التبر(٣) من بلاد مكرافـ(٤) ينفسم هناك فسمين احدهما يسمى بحر فارس والاخر يسمى بحر اليمن فيخرج بحر اليمن من ركن ينزل خارجا من البحر يسمى هذا الركن رأس الجمجمة فيمتد من هناك الى مدينة ظفار وساحل بلاد حضرموت والى عدن فاذا انتهى الى باب المندب يخرج بحر الفلزم والمندب جبل طوله اثنا عشر ميلا وسعة فوهته فدر ما يرى الرجـل من البر تجاهـه فاذا فارق بـاب

---

(١) كذا في جميع النسخ وفي الرحلة الناصرية ليست — (٢) كـذا في اربع نسخ وفي نسخة كنبانة وفي الرحلة الناصريـة كبتانـة — (٣) كذا في اربع نسخ وفي الرحلـة الناصرية واما في نسخة فتبت — (٤) في الرحلة الناصرية مكران

المندب مربجهة الشمال بساحل زبيد وإذا وصل الى الفلزم انعطف من جهة الجنوب ومر الى الفصير ومن الفصير الى عيذاب الى بلد الزيلع وهو ساحل بلاد الحبشة ويتصل برا وطول هذا البحر الف وخمسمائة ميل وعرضه من اربعمائة ميل الى ما دونها وهو بحر كريه المنظر والرائحة واما البحر الرومي بفد تفدم ان مخرجه من جهة الغرب وهو يخرج في الافليم الرابع بين الاندلس والغرب سائرا الى الفسطنطينية واذا خرج هذا البحر مر مشرفا في بلاد البربر وشمال الغرب الافصى الى وسط بلاد المغرب على افريفية وبرفة والاسكندرية وشمال التيه وارض فلسطين وسواحل بلاد الشام ثم يعطف من هناك الى العلايا وانطاكية الى ظهر بلاد الفسطنطينية حيث ينتهي الى البحر المحيط الذي خرج منه وطول هذا البحر خمسة آلاف ميل وفيل ستة آلاف وعرضه من سبعمائة (١) ميل الى ثلاثمائة وفيه مائة وسبعون جزيرة عامرة .

وذكر بعض اصحاب السير من الفلاسفة ان ما بين الاسكندرية وبين بلادها أي وبين الفسطنطينية كان في فديم الزمان ارضا تنبت الجميز وكانت مسكونة وكان اهلها فوما من اليونانية وكان الاسكندر خرق اليها البحر فغلب على تلك الارض وكان فيها فيما يزعمون الطائر الذي يفال له فُفَنَّس وهو طائر حسن الصوت واذا حان موته زاد حسنا في صوته فبل ذلك بسبعة ايام حتى لا يمكن احدا يسمع صوته لانه يغلب على فلبه من حسن صوته ما يميت السامع وانه يدركه فبل موته بايام طرب عظيم وسرور فلا يهدأ من الصياح وزعموا ان بعضا من الفلاسفة اراد ان يسمع صوت ففنس في تلك الحال فخشي ان هجم عليه ان يفتله حسن صوته فسد اذنيه سدا محكما ثم فرب اليه فجعل يفسخ من اذنيه شيئا فشيئا حتى استكمل فسخ الاذنين في ثلاثة ايام يريد ان يتوصل الى سماعه رتبة بعد رتبة ولا يسمعه في اول مرة فياتي عليه وزعموا ان ذلك الطائر هلك ولم يبق منه ولا من فراخه

(١) في الرحلة الناصرية تسعمائة

شيء هجم عليه ماء البحر وعلى رهطه بالليل في الاوكار ولم تبق له بقية ويقال ان بعض الفلاسفة اراد ملك من الملوك قتله فاعطاه قدحا فيه سم ليشربه واعلمه بذلك فظهر منه مسرة وفرح فقال له ما هو هذا ايها الحكيم فقال له هل اعجز ان اكون مثل فقنس انتهى كلام المقريزي مع بعض حذف ولولا الاطالة بما لم يكن لنا بصدده لاستطردنا ذكر البحور السبعة ومواقفها وكيفية مجاريها في امكنتها وانما تعرضنا لهذين لان لهما تعلقا بطريق الحاج ومجاورتهما له ذهابا وايابا والله الغفور بفضله وطوله .

قال شيخنا ابو سالم ﴿ تتميم ﴾ قد ظفرت بمصر برسالة للشيخ البكري واظنه شيخنا محمد ابن الشيخ زين العابدين ذكر فيها منازل الحج وديارة ذهابا وايابا وحقق قدر ما في كل مرحلة من الساعات والدرج والدقائق وصعوبتها وسهولتها بنثر بليغ وعبارة رائقة وذكر في كل منزلة شعرا يتعلق باحوالها فاردت ان اقتطف منها ما يكون في اذن هذه الرحلة شنفا اذ كلامي بالنسبة الى كلامه لا يعد معه صنفا ولما كانت المنازل التي ذكرها قد لا تتفق مع منازلنا ومراحله تزيد او تنقص عن بعض مراحلنا لم اذكر في كل مرحلة ما يناسبها من كلامه فاخرت ذلك الى آخر مرحلتين او ثلاث او ازيد فاخترت لادراج كلامه المراحل التي فيها البنادر لانها في الغالب متفقة فاذا جاء ذكر بندر من البنادر ذكرت من كلامه ما يتعلق بالمراحل التي قبله ليكون ذلك اسهل لمطالعته وابقى لرونق كلامه من التقطيع وكثير التوزيع .

قال فلنذكر الان من كلامه ما يتعلق بالمراحل التي قبل عجرود فاقول قال الشيخ البكري رضي الله عنه فاول المنازل البركة المباركة * التي توحدت في مشارق انوارها ومشارع شوارع اقطارها عن المشاركة * وقصرت عن اوصافها ذوو اللُّسُن * وجمعت بين الماء والخضرة وقدوم الوجه الحسن * فهي مخضرة الاكناف * بديعة الاوصاف * قد مدحت اطيارها * ونفحت بالنسائم ازهارها * وبها الخيام منصوبة ومرفوعة * والخيرات لا مقطوعة ولا ممنوعة * مع وقوف اشائرها على الاقدام * يستدل بضوئها في الليل من له على القدوم

إقدام * كانها في جنح الليل نجم الثريا اذا اقترنت بالنثرة * او كالاكليل اذا قارن الزهرة * وبها سوق يساق اليه بدائع البضائع * التي يحتاج اليها المسافر في اكثر الوقائع * ما قصد نحوه قاصد * الا وعاد منه موصولا بالصلة والعائد * وكان هذا النعيم المقيم مسامرنا ومسائرنا في الذهاب والاياب * الى ان رجعنا الى بركة الحج ثانيا ولاقينا الاحباب * قال الشاعر

في بركة الحج ترى * نخلا زها لكن عجب
زبرجدا يحكي وما * ثماره الا ذهب
فيها نسيم رائق * بلطفه يشفي الوصب
والطير فوق مائها * يشدو بانواع الطرب
فيا لها من بركة * تبلغ القلب الارب
عوذتها من طارق * وغاسق اذا وقب

وبعد ما كملت الركائب * واجتمع بعد التفريق نجائد النجائب * وانقضى مقام المقيل * ونودي في ذلك المكان الرحب بالرحيل * وحمل المحمل الشريف * وفارق المربع والظل الوريف * وسار الركب سير السيل * وتسابقت العيس لجهات الخير كانها الخيل * حتى وصل الى قرب البويب المعروف بالتصغير * وفي الحقيقة هو باب الدرب ومفتاح المسير * فاجتمع شمل الركاب في ذلك المكان * ورجع المودع في خبر كان * فاستراح الناس والبهائم * واستيقظ بسهر الليل كل نائم * ثم اطعمت الجمال العلائق * وقطع الحجاج من تلك المحطة العلائق * ومدة المسير في تلك المرحلة * ثلاث ساعات مكملة * ثم نادى منادي الرحيل * فسار الركب الى ان اصبح مقاربا للبئر الطويل * وهو المكان المعروف بالمصانع * ومطلب راحة الناس في الاقامة لولا الموانع * وبه تقطير الجمال وضبطها في سير الركوب * واحتياج الماشي من تعبه الى الراحلة والركوب * فيا له من يوم تقطر فيه الدموع * ويطول فيه الوقوف والوقوع * وتشرب فيه الفقراء

كاسات الردى * لشدة ما يحصل لها من جور الجنود واعتداء الاعتدا * فما من فقير الا ويحتاج الى غني يسعفه * والى عادل من ظلامته ينصفه * قال الشاعر

قد اتينا الى محل المصانع * فاصنع الخير فيه ان كنت صانع
وانفع الناس في كثير جميل * عل تلقى خيرا كثيرا ونافع

واعلم ان عدة درج المسير * الى هذه المنزلة ست ساعات على التحرير * ثم قام دليل الركب للمسير * وامر الناس من تقطيع ازمة الجمال بالتقطير * فسرنا طول ليلنا الى الاسفار * واسترحنا بالوصول الى عجرود عن مشقة الاسفار * فوصلنا الى بندر عجرود * وماؤه ملح اجاج غير مورود * فاتانا اهل بندر السويس * وعطفوا علينا انعطاف الاغصان في الميل والميس * واهدوا الينا الاحطاب للمشاعل * والاغنام للمآكل * وعدة درج هذه المرحلة المبهجة * سبع وثمانون درجة * انتهى كلام الشيخ البكري .

فلنرجع الى ذكر مراحلنا * وحيث انتهى سيرنا * فاقول لما قضى الناس من هذا البندر الاوطار * وعانقوا اعناق التسيار * وجدوا السبخة لكثرة ما توالى عليها من الامطار * بركة واحدة من جميع ارجائها والاقطار * فنكبوها وعدلوا ذات اليسار * ونزلنا بعد ما توغلنا في الرمل مغيربان * في افيح بسيط واوسع مكان * ثم ارتحلنا من ذلك الموضع يوم السبت وبلغنا وادي الرمل قبل الظهر ووجدنا به غدرانا من الماء غدرها السيل * لما جر عليها الذيل * وللناس اليه اي ميل * وادركنا الركب التونسي هنالك * وكان قد خرج من مصر قبلنا لما تأخرنا للتوارك * كما ذكرنا وسرنا حتى خلفناه وراء ظهرنا * فارحنا ركبنا * ونزلنا لصلاة الظهر * واراحة الظهر * ولما بلغنا ركبنا وكنا في اخرياته و زالت الشمس * ولم يبق في زوالها لبس * اذنا لها * ثم اقمناها * فصليناها جماعة * وكان ذلك لاهلها اربح بضاعة * فتمطينا مطايا المسير * وشمرنا لقطع المراحل ابلغ تشمير * حتى انخنا بغربي وادي السدرة والخروبة * والسرقة في تلك الليلة من كل ناحية من الركب اعجوبة * ولكن الله تعالى سلم وحده * فرد على السارق في نحره كيده * فاخذوا بلغة لسيدي

احمد بن اطاع الله وضايفوهم عليها فعبروا عنها واخذها صاحبها وسمي الوادي بشجرة كبيرة من الخروب ومن السدر في اصل الوادي ثم ارتحلنا من هناك يوم الاحد رابع ذي القعدة الخامس والعشرين من دجنبر الرابع عشر من الليالي وسرنا مع الوادي برهة ومررنا بالعقبة المشرفة على التيه وقت الضحى ونزلنا(١) بعد ان جاوزناها في اوائل التيه في انتظار الركب وتناول الاغذية وهي عقبة فيها بعض صعوبة الا انها سويت حتى صارت طريقا بينا(٢) ومنها ينزل الى ارض التيه وهي ارض مقفرة موحشة طويلة عريضة معطشة قد امتدت فيها الطرق امتداد السطور في الطروس * لم يلحقها على قدم العهد الدروس * وهذا المحل من المحال التي تعظم فيها المشقة ايام الحر وقد تتلف فيه انفس كثيرة بالعطش .

قال ابو سالم وقد وقع لنا مثل ذلك في سنة تسع وخمسين ارتحل الناس من عجرود ظهرا ولم يمروا على النابعة فبتنا ليلتين بلا ماء الا ماء عجرود الذي لا يتجرعه الظمآن ولا يكاد يسيغه فلم نصل الى ارض التيه حتى اشتد الحر وقل الماء في اليوم الثالث ومات بعض الابل وجعل الناس يعصرون ما في بطون الابل من الفرث ويشربونه وفي ذلك قلت

ولم انس بالتيه يوما بـه * تعاني الحجيج صدى وولوها
وان يستغيثوا يغاثوا بماء م عجرود كالمهل يشوي الوجوها

﴿ قلت ﴾ وكذا يشتد امره في زمان الشتاء لان ارضه عراء لا حطب فيها وقد تتلف به النفوس من البرد واما عامنا هذا فسلكناه في اطيب هواء لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سآمة ووجدنا به اقفرار غدران من الماء في اخاديد ما كفى الله به شر العطش واوامه فتوسطنا التيه فنزلنا بعيد المغرب .

والتيه كما في خطط المقريزي ارض بالقرب من ايلة لا يكاد الراكب يصعد اليها

(١) في نسختين وصلينا — (٢) في الرحلة الناصرية لاحبا وفي العياشية مليحا

لصعوبتها الا انها مهدت في زمان جاروية بن احمد بن طولون وهو مقدار اربعين فرسخا في مثلها ويسير الراكب مرحلتين في فحص التيه حتى يصل بحر فاران وفيه غرق فرعون وفيه تاه بنو اسرائيل اربعين سنة لم يدخلوا مدينة ولا اووا الى بيت ولا بدلوا ثوبا وفيه مات موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ويقال ان طول التيه نحو من ستة ايام واتفقوا ان المماليك البحرية لما خرجوا من القاهرة هاربين في سنة اثنتين وخمسين وستمائة وطائفة منهم بالتيه فتاهوا فيه خمسة ايام ثم تراءى لهم في اليوم السادس سواد على بعد فقصدوه فاذا مدينة عظيمة لها سور وابواب كلها من رخام اخضر فدخلوها وطافوا بها فاذا هي قد غلب عليها الرمل حتى طمر اسواقها ودورها ووجدوا بها اواني وملابس وكانوا اذا تناولوا منها شيئا تناثر من طول البلى ووجدوا في صينية بعض البزازين تسعة دنانير ذهبا عليها صورة غزال وكتابة عبرانية وحفروا موضعها فاذا حجر على صهريج ماء فشربوا منه ماء ابرد من الثلج ثم خرجوا ومشوا ليلة فاذا بطائفة من العربان حملوهم الى مدينة الكرك فدفعوا الدنانير الى بعض الصيارفة فاذا عليها انها ضربت ايام موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ودفع لهم في كل دينار مائة درهم وقيل لهم ان هذه المدينة الخضراء من مدن بني اسرائيل ولها طرفان رمل يزيد تارة وينقص تارة اخرى لا يراها الا تائه والله تعالى اعلم ثم ظعنا منه يوم الاثنين وغلسنا الرحلة وانفرد عن الركب مسائره بازائه رجل من اهل توات مع ولده وعبده بعد ما حملوا على جملهم ولقوا جماعة من المتلصصة فاخذوا الجمل وما عليه وهو كل ما يملك وذلك مقدار ثمانمائة مثقال تبرا بعد ما شجوه فخر صريعا نسأل الله السلامة والعافية التامة والله يخلف له من فضله الفياض انه الكريم الوهاب واتينا بندر النخيل قرب الزوال ووجدنا الركب التونسي نازلا واستقرت بهم الدار وحططنا الرحال وتسابق الناس لسقي الجمال والبغال وصادفنا فيه بقية من السوق به بعض الفواكه الشامية اتى بها اهل غزة مثل الزبيب الفاخر الحلو ونحو ذلك وذلك عادتهم ابدا يتعرضون للركب هنا ذهابا وإيابا بالكثير من انواع الفواكه الشامية .

وهنالك بندر حصين فيه بئر ماء عذبة كثيرة لا تنزح ابدا يسقى منها بالبقر الى برك خارج الحصن وهي ثلاث بركات مثل ما بعجرود الا ان هذه اكبر وقد وجدنا الماء فيه فاضلا عن الركب المصري واخذ الناس منه حاجتهم وهو من المواضع التي يصعب فيها الماء اذ ليس فيه الا بئر واحدة فاذا شرب المصري ما في البرك وقعت الزحمة على البئر فلا يصل الناس الى الري الا بعد تعب شديد ومشقة فادحة واتفقت الاركاب المغربية على الذهاب وعدم البيات به فلما قضوا منه الغرض * ووفوا الحق المتعرض * سرنا ونزلنا بعيد المغرب وقل في ركبنا الفلاحون فضبط امر الركب بعض ضبط .

قال الامام ابو سالم وقد كانوا في غالب السنين يكثرون عليهم في الركب المغربي فرارا من جور عساكر المصري فيكثر ضجيجهم وخصوماتهم فلا يكاد ينضبط للركب المغربي امر من كثرتهم فيه فيرحلون في غير ابان الرحيل ويتبع الاخر الاول من غير تأن لاسيما في محل الضيق والخوف ولا يبالون بما اتلفوا من أنفسهم واموالهم خشية التأخر والمزاحمة على القرب من اول الركب لغلبة الجبن والخوف عليهم اذ لا يعرفون في بلادهم قتالا ولا مدافعة عن الانفس والاموال لكونهم رعايا ان شتموا مروا * وان ضربوا فروا * وكلما نقص الله من جهدهم وجرأتهم * وبطش ايديهم زيد في ألسنتهم * حيث لا يخافون فيبالغون في الشتم والسب حتى لايكاد سامعهم يملك نفسه فاذا راوا من هم بضرب خضعوا وقالوا عافية يا مغربي عافية ويقولون المغاربة مجانين لا يعرفون الا الضرب وكان الضرب عندهم ابعد بعيد يصدر من شخص عاقل ولعمري انه لكذلك في حق كل مسلم لمسلم ولكن الغريزة الغضبية لا سيما ممن لم تذلله الاحكام * ولم تكسر من سورته شدة الايام * لا يملكها الا الاقوياء وهي لا تنتهى دون ابلغ عقوبة تمكنها نسأل الله تعالى ان يكفينا شرها * ويسخر لنا امرها * انه سميع مجيب انتهى .

قال البكري في رحلته من عجرود الى النخيل ثم سرنا الى النواطير ورأس وادي

المنصرف * وهو واد بكثرة الرمال والكثبان قد عرف * ليس به ماء ولا مرعى * وانما عيون الناس بمضيق ارجائه ترعى * قال الشاعر

نزل الركب بوادي المنصرفْ * وعلى لقياه كم مال صُرِفْ
نحمد الله الذي جئنا له * وجميع الهم عنا منصرف

ثم سرنا الى وادي القباب * وهو واد فسيح الرحاب * تهيم به قلوب الاحباب * ويتذكر به عهد زينب والرباب * لا سيما اجتماع الاصحاب * في مواطن البعد والاغتراب * قال الشاعر

شاقنا وادي القباب المرتضى * في اسمه وهو فسيح في الربى
فوصلناه وقد قلنا عسى * بعده ناتي الى وادي قبا

وميقات المسير اليه عشر ساعات على التمام * وبعد اقامتنا به الى وسط النهار تهيانا للقيام * ثم نادى المنادي بالرحيل * فسرنا الى وادي تيه بني اسرائيل * وهو واد واسع الفضا * يعتبر فيه بأحوال من مضى * ليس فيه ماء ترده الانام * ولا ظل سوى ظل بني اسرائيل من الغمام * قال الشاعر

لا تسلكنّ بوادي التيه منفردا * بلا دليل ترى وقع الردى فيه
فما سمعت كلاما من اخي ثقة * في الناس الا وقال احذر من التيه

ومدة المسير اليه عشر ساعات * حررها اهل الميقات * ثم سرنا الى قلعة نخل الحصينة المحمية * وتعجبنا من كثرة الفواكه الشامية * من سفرجل ورمان * وعنب على اختلاف الوان * والخيرات الكثيرة * وما يحتاج اليه من الذخيرة * والفساقي المملؤة بالماء البارد * المعدة للغادي والوارد * قال الشاعر

الى نخل الحصينة سر حميدا * ترى فيه المنى والخير باقي
ولا تَشْكُ الظمأ لفقد ماء * فساقيها مقيم بالفساقي

ومدة المسير اليه ست ساعات محررة * وخمس من الدرج مقدرة * انتهى كلامه رضي الله عنه .

﴿ رجوع وانعطاف الى التعداد لمراحلنا والائتلاف ﴾ ثم قوضنا الاخبية * وحملنا الامتعة * من منزلنا الذي جاوزنا النخيل اليها في صرشديد * وبرد متزايد جديد * تخال الايدي منه رميت بالشلل * والارجل نظمت بالسلا والاسل * قال الشاعر

رحلنا العيس نمشي في هواء * له برد على الغادي يشقّ
فما في الركب الا من تراه * له حنك بسورته يدقّ

ولم يزل الهواء كذلك اذا سد منه منخر جاش منخر * وعم ببرده المفرط المتقدم والمتاخر * وسرنا ولم يزل البرد ساحب اذياله * الى ان حان وقت العصر فاشرف جرحه على اندماله * فصلينا صلاة العصر ببئر الصعاليك وتسمى ببئر البارود وهي بئر كبيرة طويلة مطوية بحجر وبناء متقن في اصل واد وبجانب البئر اثر بناء وبركتين الا انه لا عمارة عليه وماؤها بارد الا انه قبيح لا يكاد الشارب يسيغه فتقدمنا ونزلنا بعد المغرب ثم ارتحلنا منه بعد صبح يوم الاربعاء سابع ذي القعدة الثامن والعشرين من دجنبر سابع عشر الليالي في اشتداد القر * وتزايد الصر * ولما تعالى النهار تراءت للركب خيل وابل للمحاربين(١) فاخذ الناس حذرهم * وكفى الله شرهم * ثم تبين بعد ذلك انهم سلم للحاج لا حرب لهم وانما اغاروا على بعض اعدائهم واكلوهم والتقوا مع الحاج وبتنا بسطح العقبة .

﴿ انعطاف ورجوع ﴾ الى ما عليه ركبنا وانما نقلت كلام شيخنا سيدي احمد بن ناصر وما راى في هذه المراحل وما رآه فيها من العجائب والاعتبار حتى يعلم الانسان انه لا يسلك تلك الطريق احد الا بفضل الله وقوته والسلامة فيها من المعاطب من اكرم الكرامات لا سيما زمان الحر وزماننا هذا لزيادة ظلم الظالمين * وعتو المجرمين * ومكر

(١) في الرحلة الناصرية الحراميين

الجمالين * وسرقة الحجاج وصولة تحيلهم الا من اجاره الله برحمته وقد وصلنا بندر عجرود بعد صلاة العصر في يوم حر شديد وعجرود هذا كثر ماؤه غير انه لا يمكن شربه من فوة فبحه وتغير مائه وبتنا هناك ونزل رحلنا في حروف الركب وبعد جواز ثلث الليل واذا بالسراق اتوا الينا اي الى ناحيتنا فرفعوا جملا للحاج عبد الله الشباخي (١) وقد كان جمال شيالنا وكذا عندي جملان امرت عند النوم بزوالهما من ذلك الموضع الى موضع آخر فاتوا اليهما فوجدوا المكان فارغا ووجدوا هذا الجمل هناك ولم يكسب صاحبه الا هو فذهبوا به نعم بنفس رفعه استيفظ جيراننا وممن استيفظ ابن عمنا خالي عبد العزيز الشريف فذهب في اثارهم وكذا انا تبعته وقد جاء بعض الناس في اثرنا وذهبنا في ظلمة الليل في ذلك الوادي حتى لا نسمع صوت الركب ولا عرفنا اثرهم فلم يرجع احد منا حتى ايسنا من لحوقهم فرجعنا خائبين .

فلما اصبح الله بخير الصباح ظعنا منه وسلكنا طريق اليمين على النابعة لكثرة مائها وعذوبته وقلته في الطريق الميسرة ولما انفصلنا عن دارنا سبقنا انا والفاضل اخونا في الله سيدي احمد الطيب في غيم شديد ورياح شديدة بحيث لا يمكن الركوب معها فلحقنا الفاضل الكامل الاخ الشفيق والودود الصديق سيدي محمد الشريف البلغيثي النوفلي والفقيه الاديب سيدي محمد بن عزوز وسيدي الحاج احمد المسراتي الجميع على البغال والحالة ان الركب تأخر عنا كثيرا بحيث لا نرى له اثرا فنزلنا على البغال في موضع منخفض على الريح نرتقب الركب فصلى من صلى منا الضحى واطمأن بنا المجلس الى ان لحق الركب ونحن كذلك حتى دخل السبخة فركبنا ولحقناه ثم سرنا كذلك الى قرب الزوال فنزلنا النابعة في رمل عظيم بين آبارها المحفورة الا انها مملؤة بالرمل الا البعض منها غير ان التي عذب ماؤها عذبا شديدا لم ينزل عليها الركب لان ماءها يكاد ان يكون كالنيل .

وبالجملة فماؤها عذب وان اختلفت عذوبته فاشتغل الجميع بالسقي الى ان ملئوا

(١) في نسخة الشياخي

اسفيتهم فسفوا واستفوا مع كثرة الهرج من الحجاج لفلة الحكم من الامراء اذ لا يفدرون عليهم لكثرتهم وكثرة تعصبهم غير ان فضل الله عليهم لما لم يكن فيهم فتال وموت ذريع حسبنا الله منهم ونعم الوكيل .

وظعنا منه حين تنفس الصبح فانفصل ركبنا بخير وعافية فسار في تلك الرمال وهي كالجبال ترى كثيبا منه تفول لا يخرج منه احد على خير فاذا دخلتها خرجت منه على احسن حال ونحن كذلك الى ان وصلنا الى دار بعدها فنزلنا بعد العشاء ومنهم من نزلها بعد المغرب ونحن والحمد لله في جماعة لا نسير الا آخر الركب صونا للضعفاء ومن بفي رحله وفد بفي رحل ولد الشيخ الناصح والفطب الواضح سيدي محمد بن عبد الله بن ابي جملين المسيلي الغوث فرفعناه على بغالنا الى ان لفينا صاحبه سيدي احمد فرفعه وبعد ذلك والحمد لله سرنا ساعات فدخلنا التيه الذي تاه فيه بنو اسرائيل وفد سبق ما فيه من الكلام ما اوحشه من موضع واصعبه من محل لكثرة حره وشدة امره مع انعدام الماء فيه وفد كثر فيه الهلاك من العطش زمان الحر فلا تجد من يسخى بالماء الا من فوي يفينه وغلب عليه الرفة والشفقة والرحمة والخوف من الله تعالى ترى الفوم فيه صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من بافية من ثوران الحر في ذلك الموضع الا ان رحمة الله واسعة ورافته فوية ونعمته بالحجيج شاملة خصوصا اهل المعرفة بالله تعالى فلا تراهم فيه وفي غيره مما هو نظيره في الصعبة الا كالعرائس تتلالا وجوههم نورا وتنبسط اثار محبة الله في طلعة خدهم علما منهم ان غاية امرهم غيبهم عن اليم ما هم فيه وهو بيت الله وحرمه وكذا حضرة الله وحضرة رسوله صلى الله عليه وسلم وحرمه ايضا فلما شهدوا مطلوبهم غيبهم ذلك عما لافوه من العذاب وبعد تلك المرحلة وصلنا بندر النخيل فنزلنا عند الضحى الاعلى والله اعلم في فرح وسرور لما سلمنا من ارض التيه .

وفد مات لنا واحد من اصحابنا وهو رجل من العامة رجل صالح مديم للصور كثير الصمت فليل الاضطراب فلا ترى عليه الا آثار الخير دائما وهو الحاج محمد من مدشر اسامة

من قرى بني ورثيلان وبندر النخيل بندر عظيم فيه عسكر كما في عجرود وفيه اسواق وكل ما تريده موجود لانه ياتي من ناحية الشام اناس بذلك اي من بيت المقدس وقربها محل فيه ابسط الخيرات وانواع الملذوذات لاسيما الفواكه في زمانها فلا تراها في غير ذلك المحل والشكر لله تعالى وهذا البندر رحمة للحجاج فوضعوا فيه امتعتهم تخفيفا ورحمة بالابل الى ان يرجعوا وكذا اشترى من خصه الابل او بدله فلما اصبح الله بخير الصباح ظعنا منه عند الضحى فلما انفصلنا تأخر بعض من احبابنا وهو الحاج بلقاسم الحربيلي ثم اليعلاوي يشتري جملا من بعض العرب فتاخرنا معه فاشتراه فلما اقبض الدراهم لصاحبه هرب الجمل فتبعته على بغلتي حتى ايست من كوفه وخفت اللصوص من الحراميين ورجع سيدي احمد المسراتي على فرسه وكفه ثم وقع الصياح في آخر الركب ان فلانا واصحابه قد اخذه اللصوص فرجع البعض الينا باسلحتهم فلم نر الا خيرا والحمد لله حتى لحقنا بالركب وصاروا يحمدون السلامة لنا لما علمت من كثرة عطب الطريق وكثرة محاربيه ولصوصه فلا ترى احدا تاخر الا اخذ وسلب او هلك فالحمد لله علينا نتاخر نحن معاشر الاخوان عن الركب كثيرا واللصوص في آثارنا فلا نرى منهم ما يكره فلم يسلب احد الى ان وصلنا الى مكتر المشرفة ثم كذلك نسير والحمد لله حتى قربنا بئر الصعاليك فبتنا ومن الحجاج من سقى من البئر المذكورة وهي عميقة جدا وماؤها بارد فكاد ان يكون كالثلج الا انه قبيح لا يكاد يساغ من مرارته وفي اثاره بناء قديم ولما ظعنا سرنا بعد في اودية وشعب صعبة في يوم قوي ريحه واشتد امره فلا تنفع فيه استراحة ولا نزول ونحن كذلك سائرون الى قرب سطح العقبة فنزلنا وبتنا في خير وعافية ومات بعض من اهل وطننا فدفناه ليلا .

ولما صبح الله بخير الصباح ذهبنا الى ان بلغنا سطح العقبة فانتظر الحجاج بعضهم بعضا يسيرون على قدم واحد فاستعدوا باسلحتهم وافترقوا فرقا فمنهم من سبق ومنهم من تاخر ومنهم من توسط خوفا من متلصصي العرب لكونهم في الغالب لا يتركون الشر في ذلك

الموضع فنحن معاشر ركبنا لم نر منهم احدا والحمد لله غير ان كل من كان من اهل الركب لا نزل ولو كان من اهل المخدرات فيسيرون على ارجلهن ولو نساء الملوك فراينا نساء السلاطين ذاهبات على ارجلهن وانا والحمد لله عيالي ما نزلوا ابدا نعم جعل الله البركة في الجمل الذي حمل اثنتين من النساء في المهيا(١) وهو يسير كانه ليس في ذلك المحل الصعب والمنة لله فتعجب كل من راى ذلك وذلك كله من فضل الله تعالى علينا فلما انفصلنا وانحدرنا من العقبة الى ساحل البحر اشتغل الناس بالغداء فلما فرغوا منه اخرجوا استلحتهم وما معهم من البارود واجتمعوا على قدم واحدة وقدموا امامهم سلطان فزان بالبارود واللعب بالخيل وكذا الناس على الارجل ارهابا لعرب العقبة اذ العام الذي قبل عامنا اخذوا ركب المغربي لقلته وقلة سلاحه وبينما نحن كذلك واذا عسكر من الركب المصري خرج ولقينا برعود من البارود والخيل تلعب والناس كذلك الى ان وصلنا الى البندر فتعجب كل من كان في ذلك من اهل ذلك الوطن من العرب ومن تسوق من غيره حتى بلغ ذلك اقصى عرب الحجاز فلا تجد سارقا يدور بنا ولا قاطع طريق ليلا ونهارا خوفا من الركب المغربي لكثرته وكثرة سلاحه لا سيما الركب الجزائري نعم الركب المصري يخاف منا ومع ذلك هو في قوة عظيمة امد مروره ثماني ساعات كما رسمه من اعتنى بذلك بالدرج فكل عام امير الحاج من مصر يربط من الركب المغربي ويفعل فيه ما شاء ان شاء قدمه وان شاء اخره وان شاء زاد في الكراء زاد وغير ذلك من ظلم الغُزّ(٢) اما عامنا وركبنا هذا فليس عليه حكم ولا له عبرة على ان ركبنا تعصبوا وقالوا ان ابى الا ان يحكم علينا منعناه وضربناه وقتلناه فلما راوا منهم ذلك فروا عن الحكم عليه فلا نقول الا سلم سلم كما سمعت منه ذلك ومع ذلك انه رجل حليم لا يرضى الفساد ولا الظلم الكثير والحمد لله على ذلك .

---

(١) في نسخة المهيع — (٢) كذا في جميع النسخ

قال شيخ شيوخنا سيدي احمد بن ناصر ما نصه ثم ظعنـا بكرة يـوم الخميس ثامـن ذي القعدة التاسع والعشرين من دجنبر وثامن عشر الليالي وما تعالى النهار * وتفتحت للشمس عيون الازهار * حتى راينا عقبة ايلة وخبرها قد روع القلوب * ونوع المهابة لامرها فما من الركب الا من هو من لباس الصبر مسلوب * فحصـل هناك من الزحمة * ما تقطعـت به القلوب رحمة * وتصادمت المحاف وتكسرت * وبرزت انياب النوق وتكشرت * فما كان باسرع من خمود امرها * وركود حرهـا وجمرها * وهي عقبة كؤد * صعبة الهبوط والصعود * الا ان الطريق بها منحوتة * قد سويت في اكثر الاماكن الصعبة * وبنيت حافاتها ببناء متقن .

ولما كان المحل معروفا بلصوص الاعراب وحرابتهم * تهيا الناس واخذوا حذرهم وابرزوا أسلحتهم * وعبوا تعبيتهم * خوفا من اعدائهم فان الغالب لابد ان يتعرضـوا للركب فـي هذا الموضع لصعوبته وتقدمت طائفة من الحجاج بمدافعهم امام الركـب وتأخـرت طائفـة وكفى الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا فلم نربها سارقا ولا غائرا * ولا عاتيا ولا غادرا * فانفرجت هذه الشدة * وكفـى الله منهـا مدية المدة * فما زهقـت روح * ولا اثيـرت جروح * وخلص الناس من تلك الضغطة * وخرجـوا من ضيـق القبض وجلسوا عـلى بسط البسطة * ونزل الناس منها سالميـن * وقيل الحمـد لله رب العاليـن * قال الشاعر

كم قد فككنا رقبة * لما اقتحمنا العقبة

وكم لنا من امنية * في حجنا مرتقبة

وبعد ان نزلنا من المنحدر الصعب جعلـت الطريق تلتوي في شعاب كأنها ازقة يكثـر فيها المخاوف والمتالف فيرى البحر من بعيد فيظن انه قريب ووصلنـا البندر ظهـرا ولـم يبلغ الحاج الى قرب العصر ووجدنا المصري به مخيما وارسل الينا امير الحاج إمامه * وابلغنا سلامه * واسمه ابراهيم ابو شنب واقمنا بها الخميس والجمعة وفيه حصن حصين في قرية على شاطيء البحر في سفح جبل وبها ابار كثيرة وفيها نخيل وسوق كبير يحضره اهل غـزة وتاتيه العرب بالابل والغنم والسمن والعسل والعلـف للدواب ووجدنـا الفول فيها رخيصـا

ارخص ممن اكترى عليه من مصر وبتنا بها وبات المصري هناك واوقد بالليل نيرانا كثيرة وضرب المدافع ورمى المحارق فى الهواء ولها منظر عجيب * واسلوب غريب * كانها شهب النجوم يرمى بها من الارض الى السماء فتراها في الجو طالعة حتى ترى من اعالي هام شوامخ الجبال دونها ثم تنعطف راجعة كانها ثعبان احمر ثم يسمع لها صوت وتخرج منها شرارات من النار فاذا انقطعت تلك اتبعها باخرى وخروجهن فيما نرى من نار زرقى كانها نار الكبريت تشتعل اشتعالا قويا فتطلع منها تلك الشهب ولا نعلم صنعة ذلك وهي من الغرائب والرمي بها وبالمدافع عادة المصري في كل منزل اقام فيه اذا اراد الرحيل قاله الامام ابو سالم .

ثم ارتحل في الغد واقمنا بعده ولم نر في مبيتنا ولا اقامتنا ما يسؤنا من سارق ولا غيره .

قال شيخنا ابو سالم وقد سألنا هناك وبحثنا عن القرية التي كانت حاضرة البحر هل بقي من رسومها شيء فقد ذكر المفسرون انها ايلة فلم نجد من يشفي لنا خبرها .

وقد ذكر لنا بعض الناس ان بأعلى الوادي اثر بناء كثير يشبه ان يكون مدينة ولعلها هي وقد اخبرنا كثير من متسوقة الاعراب الذين هناك ان وراء الجبل الكبير المشرف على القرية بلدة فيها نخل وماء الا انها خالية ويمكن ان تكون هي فانها قريبة من البحر والعلم عند الله تبارك وتعالى .

﴿ قلت ﴾ وفي الخطط للمقريزي ان ايلة مدينة في شاطئ البحر المالح سميت بأيلة ابنة مدين بن ابراهيم عليه السلام وقد كانت مدينة جليلة القدر بها التجارة الكبيرة واهلها اخلاط من الناس وكانت حد مملكة الروم في الزمان الفائت وعلى ميل منها باب معقود لقيصر قد كان مسلحته ياخذون المكس وبين ايلة وبين القدس ست مراحل والطور الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه الصلاة والسلام على يوم وليلة من ايلة وكانت في الاسلام منزل بني امية واكثرهم موالي عثمان بن عفان رضي الله عنه كانوا سقاة الحجاج وكان بها علم كثير وادب ومتاجر واسواق عامرة وكانت كثيرة النخل والزرع .

فال وكانت بايلة مساجد عديدة و بها كثير من اليهود يزعمو ن ان عندهم بردا للنبي صلى الله عليه وسلم وانه بعثه اليهم امانا وكانوا يخرجونه رداء عدنيا ملفوفا في الثياب فد ابرزوا منه فدر شبر ففط .

ويفال ان ايلة هي الفرية التي ذكرها الله في كتابه العزيز حيث فال واسألهم عن الفرية التي كانت حاضرة البحر واختلف في تمييرها ففال ابن عباس وعكرمة والسدي رضي الله عنهم هي ايلة وعن ابن عباس ايضا انها مدينة بين ايلة والطور وعن الزهري انها طبرية وفال فتادة و زيد ابن اسلم هي ساحل من سواحل الشام بين مدين وعينونى .

وسئل الحسن بن الفضيل هل تجد في كتاب الله الحلال لا ياتيك الا فوتا والحرام ياتيك جزافا فال نعم في فصة ايلة اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا و يوم لا يسبتون لا تاتيهم انتهى المراد منه مع بعض حذف ولما التفينا بالمصري بالعفبة اخبرونا عن حالهم مع البرد وانه فتل منهم واحدا أواثنين ليلة العفبة وفرب عجرود ما ينيف على خمسين نفسا وذكروا ان الانسان يكون في حمل الخشب فيوجد ميتا بالبرد وعلى الدابة كذلك .

وحدثنا بعض حجاج الفدس التفوا مع المصري في سطح العفبة انه لافوا من البرد والثلج والمطر ما يفضى منه العجب مكثوا يومين وليلتين ما اوفدوا نارا ولا فدروا عليه ولا أكلوا من كثرة المطر واخبرني واحد منهم انه عليه عدة لباس من الافبية والفمص وجوخة فوق ذلك وبات من اول الليل الى آخره وافعا و رجلاه داخلتان في الطين الى ركبتيه والمطر يصب عليه حتى افضى الى كمه وعاينوا من ذلك الموت الاحمر ونحن والحمد لله سلمنا الله من ذلك كله .

﴿ تتمة ﴾ في ذكر كلام البكري من النخيل الى العفبة فال ثم سرنا من النخيل الى وادي الفريض المشهور * وهو واد ينبت به الشوك عوضا عن الزهور * فكم آذى بشوكه افدام * وعطل من له على المشي إفدام * ولاسيما الفيحاء لاتساع ارضه * وزيادة فضائه في طوله وعرضه * فال الشاعر

في وادي الفريص(١) كم سائر * من غير نعل ثابت الكعب
قد صار كالاعجام من شوكه * يرقص من رقص على الكعب

وسيرنا اثنتا عشرة ساعة كاملة * محررة في الميقات متواصلة * ثم سار الركب الى بئر العلاء في التجريد * وهي محطة بئرها معطلة وليس بها قصر مشيد * وبقربها حدرة منحدرة(٢) * واشجار اثل منتشرة * وبجانبها سفيتان ليس بهما منفعة * فما ورد عليها حيوان ضمآن الا وقام عند رؤيتها بالاربعة * قال الشاعر

الى بئر العلاء قد اتينا * وفزنا بالنجاح وبالهناء(٣)
شكرنا للدليل وقد دعانا * الى شيء يوصل للعلاء

ومدة المسير * اليه اثنتا عشرة ساعة بالتحرير * وبعدها الجد الى سطح العقبة في المسير * وهو سطح واسع الاكناف * متسع الجوانب والاطراف * لا يوصل اليه الا بالاستطاعة * لان مدة المسير اليه اثنتا عشرة ساعة * ثم سرنا الى العقبة * وما ادراك ما العقبة * فكم بها من حدرة ومضيق * وجبال في شكل الحمرة والبياض وهي عقلة في الطريق * وصعود وانهباط * وعلو وانحطاط * قال الشاعر

عقبات يسلك الناس بها * بقلوب لم تزل مرتعبه(٤)
قد قطعناها بوقت هين * لم نرى فيها امورا متعبه
نحمد الله الذي خلصنا * فاسترحنا من عقاب العقبه(٥)

فقطعنا تلك الحدرة الكبرى * ثم سرنا الى واد بشاطىء البحر واحطت به خبرا * وبجانب البحر مغائر ماؤها عذب فرات * وآبار تسقي منها الناس بسائر الجهات *

---

(١) في الرحلة العياشية في وادي فيحاء — (٢) في الرحلة العياشية حذرة وفي الرحلة الناصرية جدرة منحذرة — (٣) في غير الرحلة العياشية وبالثناء — (٤) في غير الرحلة العياشية متعبة وفي ثلاث نسخ متعبة مكررة وفي نسخة منتعبة — (٥) في الرحلة العياشية وارحنا وفي جميع النسخ اراحنا من عقبات

ورأينا نخلا زاهية * وقلعة حصينة عالية * فاقمنا بتلك المنزلة ثلاثة ايام * ونحن في زيادة إنعام * وذبح أنعام * وقد وردت القوافل من غزة واعمالها * فنصبت للبيع وانخفضت(١) الاسعار ورفعت البواقي على احمالها * وبقلعتها يوضع البضائع ودائع الى الاياب * ومدة المسير تسع ساعات في الحساب * انتهى كلام البكري .

وزرنا قبر الشيخ ابراهيم اللقاني في مقبرة هنالك محوط عليه بالاحجار على يسار الذاهب الى منزل الركب اوقفنا عليه مغربي ساكن في بندر العقبة نيفا وعشرين سنة ثم ارتحلنا من العقبة صبيحة السبت فسرنا في مسلك ضيق بين البحر والجبل لا يمر به الا جمل اثر جمل كأنه مثل الصراط الا انه غير مستقيم وقلما يخلو هذا المحل من لصوص يتعرضون للركب فتشتد اذايتهم وتعظم نكايتهم لا سيما عند البرج قرب بندر العقبة ولكن ذلك في الرجوع اكثر ولم نر فيه والحمد لله باسا ولا بؤسا ووصلنا ظهر الحمار بعد الظهر ووجدنا أخريات المصري ووقفنا حتى غاب عنا وسار وصلينا العصر وهو بسيط من الارض احرش مرتفع يطلع اليه من مسلكين لا يخلوان من صعوبة وتحته على ساحل البحر احساء كثيرة في وسط حدائق النخل وقلما يخلو من عمارة بعض صعفة الاعراب لا سيما في وقت جذاذ النخل ويكون فيها في ذلك الوقت رطب جيد وماء هذا المحل كله عذب طيب قال شيخنا ابو سالم في رحلته ويسمى ذلك المحل في زماننا هذا حفائر النخل وخلفنا البحر يمينا فسرنا ونزلنا بعيد المغرب في فسحة من الارض بين جبلين ثم ارتحلنا منه يوم الاحد الاول من يناير حادي عشر ذي القعدة وبلغنا عش الغراب قبل الظهر وجاوزنا دار المصري بشرفات بني عطية بموضع يقال له ام العظام وهناك ارجام كالشعاب عن يمين الذاهب .

ذكر العبدري في رحلته ان ذلك قبر الشقاق والشقاق رجل كان يقطع الطريق

---

(١) في الرحلة العياشية وانحبطت

على الحاج هناك في غابر الزمان وقصته مشهورة في رحلة العبدري ومن وراء الجبل الذي على يسار الذاهب بلد واسع فيه ماء جار وارض مخصبة وربما عطش الركب في ذلك المحل فياتي العرب بماء يبيعونه ونزلنا قبيل مغيب الشفق وبنو عطية هم عرب هذا البلد .

قال الامام ابو سالم ويقال لهذا المكان يعني الشرفات عش الغراب ﴿ غريبة ﴾ تزعم العرب ان الابل تنفر في هذا المكان ويقولون انها تسمع صوت سقب(١) ناقة صالح وانه في ذلك الجبل وان هنالك الصخرة التي دخل فيها لما عقرت امه فالابل اذا وصلت الى ذلك المكان تسمع صوت العشار فتنفر ولا ادري من اين لهم ذلك وهو بعيد اذ ليست هذه ديار ثمود الذين عقروا الناقة وهم قوم صالح على نبينا وعليه الصلاة والسلام ثم منه يوم الاثنين وصلينا العصر(٢) بالمكان المسمى بمغائر سيدنا شعيب على نبينا وعليه الصلاة والسلام في حش ملتف ملنا اليه لاجل الحريم الذي معنا وهي احساء كثيرة في مضيق بين جبلين فيها نخيل وماؤها طيب حلو خفيف نافع وعادة اعراب مدين ان تسوق الاركاب هنالك باحمال كثيرة من انواع العنب وغيرها من الفواكه وتنخفض اسعار ذلك كله وبينها وبين مدين مسيرة نصف يوم وهي بلدة بساحل البحر كثيرة الفواكه والمياه الغزيرة وسكانها اعراب اهل بادية وكانت قبل ذلك مدينة ويذكر ان أثر البناء باق فيها الى الان .

قال شيخنا العياشي وعلى يسار منزل الركب خارج المضيق مغارة يقال ان فيها كان شعيب على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام ياوي بغنمه وبازائها بئر كبيرة معطلة وبجانبها بركة ويقال ان هنالك كانت البئر التي سقى منها موسى عليه السلام غنم شعيب عليه

(١) في الرحلة العياشية صغب ولعله صقب وهو السقب وزنا ومعنى — (٢) في غير الرحلة الناصرية يوم الاثنين وصلنا المصري

السلام وفي ذلك الوادي دوم طويل كانه نخل صنوان وغير صنوان وعريش كثير في الوادي وهو محل مخافة فلما يخلو من لصوص الاعراب .

﴿ قلت ﴾ ولمدين اخبار واثار ذكر المقريزي منها نبذة ولما صلينا العصر بالمغارة كما تقدم تجاوزنا ونزلنا بين العشاءين في بسيط افيح ثم ارتحلنا منه يوم الثلاثاء ونزلنا عيون الاقصاب بعد العصر وهو ماء جار في مضيق بين جبلين في محل كثير القصب والديس وفي اعلى الوادي نخل وارض صالحة للحرث فلما يخلو ذلك المحل من اعراب نزول به فيكثر الخوف ويعظم ضررهم لاسيما مع نزول الليل فياخذ الناس حذرهم فيطلعون الرماة الى اعلى الوادي مراقبين حتى ياخذ الناس حاجتهم من الماء ويكتفوا فياتي الرماة لمنازلهم على شفير الوادي عند منزل الركب مسجد مبني بالحجارة المنحوتة ومنبر بازائه .

ثم ارتحلنا منه يوم الاربعاء الى ان قال الى بندر المويلح و بنينا الاخبية بحيث تقرب الامواج من الاستار وماء هذا البندر كثير حلو فيه ابار كثيرة وبساتين حسنة ونخل وهناك حصن كبير وفيه عسكر وامير وتخزن فيه الميرة والفول كثيرا وعلى بابه سوق كبير يوجد فيه غالب المحتاج وبه مرسى حسنة تنزل بها السفن القادمة من السويس والقادمة من جدة ومن القصير .

﴿ تتميم ﴾ قال البكري رضي الله عنه في ذكر المراحل من العقبة الى المويلح ثم سرنا الى مرحلة يقال لها ظهر الحمار * وهي محطة عالية كثيرة الاوعار * يصعد اليها من عقبتين * واليمنى اوسع من اليسرى في المسلكين * قال الشاعر

صعدوا على ظهر الحمار لعلهم * ان يبلغوا بصعودهم كل الامل
تعب الحمار من الطريق وطولها * ومديدها واجتث من بعد الرمل
حتى الجمال به شكت ياهل ترى * يقبل[1] به عذر الحمار ام الجمل

---

(1) في الرحلة العياشية به تلت ياهل ترى تقبل

ومدة المسير اليه ثمانية من الساعات * محررة عند اهل الميقات * ثم سرنا الى بين الجرفين * وهو مكان كأن الجبال قد قسمت به شطرين * يحترز منه ان يقذف بالحجاج * في ايام السيل الى البحر المالح الاجاج * قال الشاعر ملغزا فيه

وخمسة احرف في اللفظ تقرا * فان صحفتها صحت بحرفين
وان اسقطت خامسه فتبقى * ثلاثة احرف من اصل القين

ومنها الى الشرفة * وهي بطول السير متصفة * تتعب فيها الجمال * ولو رحلت بلا احمال * لما فيها من الوهاد * والطلوعات الشداد * وخلف جبالها قبيلة بني عطية * المعروفين بالسرقة والاذية * قال الشاعر

اذا ما جئت للشرفه * ترى العربان مختلفه
واما العيس فاجعلها * بحسن الحفظ متصفه
فان منعت بحارسها * والا فهي منصرفه

ومدة المسير اليها خمس عشرة ساعة من غير ريب * وبعدها المغار المعروف بمغار شعيب * وهو غار يتبرك به الناس * وترى فيه الحظ والايناس * وبه الماء العذب والنخيل * وشجر المقل والاثل والظل الظليل * قال الشاعر

قد وصلنا الى مغار شعيب * فراينا المياه كالانهار
فاستقينا من مائه واشتفينا * وظفرنا بغاية الاوطار
وذكرنا بغاره غار ثور * من حوى للصديق والمختار
خير من انزل الاله عليه * ثاني اثنين اذ هما في الغار

ومدة المسير اليه ثمان عشرة ساعة * محررة عند اهل الصناعة * ثم منها الى عيون القصب * اذا نظر اليها العاجز اذهبت عنه الوصب * لان خضرتها نضرة * والاشجار بها منتظمة ومنتشرة * قال الشاعر

فـد وصلنـا لعيـون الفصـب * واستراح الفلب بعد النصـب
وعيـون المـاء بيها فـد جـرت * كسيول الغيث بين الفصب(١)
بجلسنـا بصبـاء حولـهـا * وظبرنـا عندهـا بـالارب
وتشـوفنـا لشـاد مـطـرب * يتغنـى بعيـون الفصـب

ورأينا مجاورا لتلك العيون * نسوة من العرب يوصبن بحسن العيون * ويتعاجبن بظبائر الشعور * بيمنعن من عفل الحب الشعور * كانهن الافمار * وكانما نبتت بـي وجناتهن الازهار * بـكان فطع المفاوز والاوعار * كالمتنزهات بي الرياض والازهار * فـال الشاعر بي بدوية اسمها ساكتة

بروحي ابـدي ظبيـة بدويـة * لها وجنة بيها الازاهـر نابتـة
اذا رمت منها ان تكلمني غـدت * تكلمني ألحاظها وهي ساكتة

ومدة المسير اليها اربع عشرة ساعة وثلاثة من الدرج * يتعب بي سيرهـا من ركب ومن درج * ثم ارتحلنا منها الى بنـدر المويلح المشهور * ورأينـا بساحلة المراكب من السويـس والطور * بيا له من بنـدر بـاق البنادر * ياتي اليه الوارد والصادر * وبة جملة من الكروم * التي تذهب برؤيتها الهمـوم * وبمخازن الفلعة تودع الودائـع * والى سوفها تساق نبائس البضائع * من ثمار تجالبها العرب * وزلابية عجينهـا كاللجين باذا فليت اشبهت الذهب * وبهذا البنـدر رجل من ارباب الاحوال * حاز رتبتي الجـلال والجمال * صاح مجذوب * تميل اليـة محبة الفلوب * وله اسرار ظاهرة * ومكاشبات باهرة * يعتفده الناس * ويحصـل لهم به الايناس * لا يعرب الدرهم ولا الدينـار * ولا يفبل الا الفوت عنـد الاضطرار * لباسة جبة من صـوب * وراسة بي غالب الاوفات مكشوب * إن نطق تكلم على الخواطر * وان صمت نطفت عليه ألسنـة الناس بالثنـاء

---

(١) بي نسخة الغصب وبي اخرى الفضب

العاطر * ويكسوه المارّة العدد * فيقبلها ويغطيها لمن وجد * لان من رآها عليه * يطلبها فيدفعها اليه * وهذا شان الكرام * الذين قطعوا علائق الدنيا على الدوام * فاقمنا بهذا البندر ثلاثة ايام * وبعدها طوينا المضارب والخيام * ومدة المسير ثلاث عشرة ساعة * وخمس من الدرج في علم الصناعة * انتهى كلام البكري الى ان قال .

ونزلنا بالموضع المسمى بدار ام السلطان قبل الغروب وبه ابار عذبة المياه * تستلذه الافواه * على انه سخن ولكنه سريع الانفعال للهواء وهي محدثة واحلى ما في الدرب من الماء ومثلها ماء النبط اخبرني بعض كبراء اعراب هذه النواحي ان الامير ابراهيم الفقاري هو الذي تسبب فيها وانه طلع للحج وبعث الى اخيه بمصر وقال له ان الماء الطيب بهذا المنزل ان مت فاحفره واكد عليه في ذلك ومات بمكة لما حج وحفر اخوه ابارا ولها نحو من عشرين سنة والمحل قبل لا ماء به انتهى كلامه الى ان قال .

ومررنا بالمضيق الموسوم بشق العجوز وسايرنا البحر المالح عن يسارنا جبال سلمى وكفافة ومررنا ضحى بقبر سيدي مرزوق الكفافي على ساحل البحر عليه اعواد قد علم بها عليه والناس يتبركون به وطلعت الشمس فارتفعت حارة ونزلنا بندر الازلم قبيل الاصفرار ووجدنا به شرذمة من الاعراب يبيعون الحشيش والغنم وبه ثلاث ابار كبيرة محكمة البناء وماؤها غزير الا انه زعاق يصلح للابل ولضرورية الناس من غسل ونحوه ولا يسيغه الا المضطرون قال الشيخ ابو سالم وعلى يسار البندر بعيدا عن الابار حسى اي ماء حي محفور في الارض ليس بمطوي ماؤه احسن من ماء الابار الا انه قليل ولا يعرفه الكثير من الناس وهذا البندر قليل الجدوى لقبح مائه وقربه من المويلح ومن الوجه وهما اتم منه منفعة فليس فيه كبير فائدة وقد انهد ما في داخله من البيوت وتثلم بعض سوره والخلاء اقرب اليه من العمارة شعر

اذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى * فابعدكن الله من شجرات

انتهى ثم ارتحلنا منه الى اسطبل(١) عنتر وفيه ثلاث ابار قليلة الماء وهو حلو طيب للشراب واما الابل فلا تكاد تطمع فيه .

ثم مررنا بوادي الاراك وهو واد واسع ياتي من ناحية الشمال والبحر عن يمينه قريب منه وفيه كثير من شجر الاراك الاخضر الناعم ثم يسير الماشي في مضائق بين فدافد من جبال ذات حدور وصعود الى ان يصل الى بندر الوجه وفيه حصن حصين في حرف واد كبير يخرج بين جبلين والناس يتهيئون النزول في اصل الوادي اذا كان الوقت وقت السيول فيرتفعون عن جنبي الوادي وفي الوادي عدة ابار بعضها احسن من بعض والتي فوق البندر احسن من التي تحته وداخل البندر بئر تسنى بالبقر وتصب في ثلاث برك لصق حائطه احداها من بناء الامير رضوان في آخر ايامه واثنتان من بناء مملوكه الامير غيطاس عام تولى امارة الحاج بعد مولاه والبرك الثلاث ملاصقة لسور البندر .

قال ابو سالم وفي اعلى الوادي بين الجبلين ماء يسمى الزعفران وماؤه طيب الا انه قليل فاذا كثر الزحام على الابار طلع اليه اهل الجرأة من الناس وربما هجمت عليهم العرب هناك فيقع بينهم قتال الا ان الموضع قريب من البندر فيغاثون واستقى الناس ما احتاجوا اليه واوردوا ابلهم بالغوا في حمل الماء [وتعاهدوا اسقيتهم واوثقوا اوكيتها ولم يالوا ما ملئوا من الاوعية وباتوا ليلتهم في الابار اذ نزحت وكابد الناس لذلك مشقة فادحة.](٢) لانهم استقبلوا المياه القبيحة والمسافة العويصة التي ليس في الدرب اصعب منها لتوالي المياه القبيحة فيها وبعد العمارة ووخم هواها وسوء اخلاق اعرابها(٣) .

قال ابو سالم وهذا البندر آكد البنادر الى الخزن لان الركب في الاياب قد يسبق الملاقي من مصر الى هذا المحل فيغلى فيه الفول والطعام غاية حتى تعجز عنه الاثمان في

---

(١) كذا في بعض النسخ وهي لغة في الاصطبل بالصاد — (٢) ما بين القوسين ساقط في الرحلة العياشية — (٣) في الرحلة العياشية وبعد العمارة وشدة الحر (الحرب) لقربها من بلاد الحجاز بل غالبها منه وسوء اخلاق عربها

بعض الاوفات وفي حجتنا عام تسعة تجاوزناه لقلة مائه ونزلنا فرب العشاء بعد مجاوزته باميال اذ لم نجد به شيئا من المنال .

قال الشيخ البكري في ذكر المراحل من المويلح الى الوجه ما نصه ثم سرنا من المويلح الى دار ام السلطان * التي هي لعرب البادية اوطان * ونزلنا بوادي سلمى وكعافة * وحصل مزيد الامن بعد المخافة * وخلف جبلها الغربي البحر الاصيل * وبجانبه الفسطل البري وهو كثير طويل كالنخيل(١) * وحفائر مائها عذب بارد * يشرب منها الغادي والوارد * قال الشاعر

ان وادي سلمى بهي بهيج * حيث فيه فبر الولي المسمى
صاحب السر والمعارف مرزوق م الكعافي طاب روحا وجسما
فاذا جئت فبره فم فنادي(٢) * وتوسل بجاهه ثم سل ما

فافمنا بتلك المرحلة الافامة المعتادة * وحصل لنا ببركة الشيخ مرزوق في الرزق الزيادة * ومدة المسير كاف تمام * وعددها معروف من غير ايهام * ثم سرنا الى بندر الازلم * ولا يرغب فيه من بحفيفته يعلم * فماؤه ملح اجاج * ما شربه انسان الا احتاج الى العلاج * فافمنا به من غير اقبال * ورحلنا منه بعد الزوال * ومدة المسير اليها ست عشرة ساعة محررة * وخمس من الدرج مقدرة * ثم سرنا الى مرحلة تسمى اسطبل عنتر * وفد اختفى بها العربان للاذى وتستر * والمسير اليها بين جبال صاعدة * وحدورات واوعار متقاربة ومتباعدة * وبها ابار عذبة * يود كل ضمئان شربة * قال الشاعر

ان جئت للاسطبل لا * تغفل به عند النزول
واحذر من العرب الذي * بجباله ابدا تصول

---

(١) في الرحلتين العياشية والناصرية الفسطل البري منتظم كالنخيل — (٢) كذا في جميع النسخ وفي الرحلتين فبره فتأدب وهذه الرواية أصوب

واعلـم فديتـك انــہ * صعـب ولكني افول
فـد سمي الاسطبـل من * عـرب بـہ شبـہ الخيـول

ومدة المسير ثلاث عشرة ساعة(١) في العدد * صحيحة الضبط والسند * ثم سرنـا منه الى وادي الاراك * وهو واد ليس لانفراد محاسنه اشتراك * و بعده دخلنا بين جبال واوعار * ومضيق واحجـار * وحدرات طوال * وصعودات وتلال * حتى نزلنـا ببنـدر الوجـہ المبارك * وصار حصنه متقاربا متدارك * فراينا به الابار الخاليـة * وحفائر المـاء العذب غير خالية * فافمنا به الى فبيل العصر * وفد زال من الناس الحصر * فال الشاعر

فد دخلنـا بنـدر الوجه الـذي * فيـہ فوت كل عـام يختـزن
وشـــربنا من ميـــاه عـذبــة(٢) * شربها يجلو عـن الفلب الحـزن
نحمـــد الله الـــذي اسعفنـــا * و راينـا ذلـك الوجـه الحســـن

ومدة المسير اليه سبع عشرة ساعة وثلثا ساعـة بالاجماع * حررها اهل العلم والاطلاع * انتهـى كلامه رضي الله عنه .

ثم منه الى الاكره وهو واد كبير تاتيه السيول من بلاد بعيدة ويذكر ان سيل المدينة المشرفة على من تشرفت به افضل الصلاة والسلام وازكى التحية والاكرام يصل اليه وماؤه فبيح جدا الا ان يكون عفب سيل فيحســن وبه احســاء كثيرة واشجار ملتفة و وجدنا جل ماء ابارہ جيدا لفرب العهد بالسيل وسفى الناس منه واخذوا من مائه ما ليس لهم عنه بد وسفوا ابلهم وتجاوزوه فبل الظهر وباتوا غربي بئر الدركين ثم ارتحلنا منه و بلغنا بئر الدركين مع طلوع الشمس وهو منـزل الحاج المصـري وسمي بذلـك لانه بين درك اعراب مصر واعـــراب الحجاز فان ما بعده من عمل الحجاز وفي درك اعرابہ الى ان فال .

ولما بلغنا العفبة السوداء وهي عفبة صغيـرة في حـرة سوداء ذات احجار واشجار ويفـال

---

(١) في ثلاث نسخ عشر ساعات وفي اخرى باسفاط عشر — (٢) في الرحلة العياشيـہ عذبة

انها اول ارض الحجاز ولا يبعد ذلك فان من هنالك تخالف الارض ما قبلها وتباين الجبال ما سواها ويشتد شبهها بجبال الحجاز السود ويتقوى الحر الى ان قال .

وهذه المرحلة والتي قبلها يشتد فيها الحر وهي ارض سهلة مطمئنة ليس فيها جبال الا ما يتراءى عن شمال المار بها والبحر يتراءى عن يمينه وفيها غياض من شجر الطلح وهي من انواع الكلا الذي ترعاه الابل كثيرا الا انها لا تترك للرعي فان المحل مخوف تغير فيه اعراب بلي وجهينة وغيرهما الى ان قال .

نزلنا الحوراء بعد المغرب وتفرق الناس في مياهها وهي على حفائر على ساحل البحر يحيط بها ديس كثير وفيه ملوحة كثيرة(١) والقريب العهد بالحفر اجود من غيره وكلما طال في القرب خبث والاكثار منه يورث اسهالا مفرطا كماء الاكره والازلم وعجرود والحاج منها راق على تلال واديها واكامها وروابيها لكون المحل محل الغارات الى ان قال ومن امثال الحاج لارجال الا رجال الحوراء ولا جمال الا جمال الدورة ويعنون بالدورة الرجعة يعني لا يعد صابرا من الجمال(٢) الا من صبر في حالة الرجوع من الحجاز اذ هو آخر السفر ومحل قلة العلف ومنه ذاهبين مع واديها الكثير الاشجار من اراك وغيره ثم يعدل الحاج يمينا الى الوادي المسمى على السنة الحجاج بوادي العقيق .

قال شيخنا ابو سالم ولا مناسبة بين الاسم والمسمى بل تسميته بواد العقوق انسب لشدة جرأة اعرابه على السرقة فانهم من اجرأ الناس على ذلك ثم منه الى النبط وبه ابار محكمة البناء بالحجر المنحوت وماؤها عذب حلو غزير في الغالب .

قال ابو سالم وغزارة ماء اودية الدرب انما يكون بحسب كثرة المطر وقلته فاذا حمل الوادي ولو مرة في السنة غزر ماؤه سائر السنة ومنه الى الخضيرة مرحلة لا ماء فيه ولا في

---

(١) كذا في جميع النسخ وفي الرحلتين العياشية والناصرية قليلة — (٢) في الرحلة الناصرية الرجال

الخضيرة الى الينبع حاصله يومان لا ماء فيهما ومن النبط الى الخضيرة واد حار وهو مكان ينشوف فيه الناس ويموتون عطشا الا اذا وجد فيه ماء المطر وهذا الوادي قد وافق فيه الاسم المسمى فلما تخلو سنة من شدة تقع للحجاج فيه من عطش او موت وهو واد كبير طبق ما بين جبلين لا سعة فيه من النبط الى الخضيرة فاذا اشتد الحر في النهار حجبت الجبال عنه الهواء البحري فينعكس غربيا او شرقيا صاعدا من الوادي او منهبطا فيصير سموما محرقا ولا ماء هناك فربما اتلف الناس فيه العطش المهلك وربما احدث ذلك سمية الابدان بقبح الهواء مع حرارته فتموت المئون بل الالاف من الخلق في اسرع مدة فياخذ الرجل الماء فلا يضعه من يده حتى يموت .

قال الشيخ ابو سالم ووقوع ذلك في الاياب كثير وفي الركب المصري اكثر وقد غمرتنا فيه والحمد لله ألطافه تعالى الخفية * وحضرتنا منته ومواهبه السابغة الوافية * فلم نر به باسا في الحر والقر والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات .

ونزلنا مغيب الشفق قبيل الخضيرة وصلينا بها الصبح وقطعنا الوعرات السبع المسماة على ألسنة الحاج بسبع وعرات وخرجنا الى متسع من الارض وبلغنا ينبع النخل غروب الشمس ولما قربنا مضيق ينبع تاخر كثير من الصعاليك فخرج عليهم المحاربون وجردوا صعلوكا فصاحوا ورجع اليهم بعض الحجاج فهربوا وجلسوا تحت احجار ورموهم ببنادق ورماهم الحجاج فكفى الله شرهم واستبشر الناس بقدومهم الينبع لانها اول بلاد الحجاز العامرة وفيها قرى كثيرة ومزارع ونخيل وعيون جارية وذكروا ان عمرانه متصل نحو ثلاثة ايام والقرية التي ينزل بها الركب هي آخر القرى التي من ناحية البحر وليس بعدها الا ينبع البحر الذي هو المرسى وغالب اهل القرى ياتون الى هذه القرية التي ينزل بها الحاج للتسوق وتعمر هناك سوق كبيرة يوجد فيها غالب المحتاج وتجلب اليها البضائع والسلع ذوات الاثمان ويجلب اليها من الثمار والفواكه والحبوب والفول شيء كثير وهناك وجدنا اخبار المدينة ومكة زادهما الله تعالى تشريفا وتعظيما * وتبجيلا وتكريما * ووجدنا ايضا

اخبار سائر بلاد الحجاز وتعرفنا رخصها من غلائها وخصبها من جدبها ومن هناك تجلب الميرة للمدينة المشرفة لان السفن الجالبة للطعام من مصر ما كان منها للمدينة يرسى بينبع البحر وما كان منها لمكة يتجاوز الى جدة فاذا وصل الطعام الى الينبع حمل منها الى المدينة تحمله اعراب تلك الناحية من بني سالم وجهينة ويتداركون بالطريق من هناك للمدينة .

قال شيخنا ابو سالم واكبر جبال تلك الناحية جبل رضوى وهو المشرف على بلاد الينبع وليس هو الجبل الصغير الذي هو بجانب الينبع بل هو الجبل الكبير المشرف عليه والى هذا البلد كانت غزوة العشيرة من غزواته صلى الله عليه وسلم ومسجد القرية الان هو مسجد العشيرة المعدود في المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم .

قال السيد السمهودي ما نصه ومسجد العشيرة معروف ببطن الينبع وهو مسجد القرية التي ينزلها الحاج المصري ولابن زبالة(١) ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد الينبع بعين بولا «(قلت)» وعنده عين جارية لكنها لا تعرف بهذا الاسم انتهى .

وقد دخلنا هذا المسجد وقِلْنا فيه حتى صلينا الظهر والعصر وتوضانا من هذه العين وعليها نخيل ملتفة ناعمة ووجدنا بها العام يبس ماء العين وانهدم بعض سقف المسجد وذبلت النخل وفي الينبع مزاراة على تل مرتفع لابي الحسن النباتي وقبر الحسن المثلث فوق القرية لم نصل اليه لبعده وذعارة عرب البلد يزار من بعيد بالنية وبهذا البلد موطن طائفة من الاشراف ومنهم شرفاء بلدنا القاطنون بسجلماسة .

قال البكري في ذكر المراحل من الوجه الى الينبع ما نصه ثم سرنا من الوجه الى مشرف(٢) النعام * ثم الى جذرات واكام * واماكن يرى منها البحر الاجاج * وشدة تلاطمه بالامواج * ثم الى حدرات كبيرة المقدار * كثيرة الصخور والاوعار * ونزلنا في

(١) كذا في الرحلتين العياشية والناصرية وفي ثلاث نسخ زباله وفي نسخة زياد —
(٢) في الرحلة العياشية معرش

مرحلة يقال لها بركة اكره * وهي ارض بها حفائر ماء تكره * ماؤها مر المذاق * فمن تفيد بشربه حصل له الاطلاق * وهي مرحلة لا تراح بها النفوس * ولا يضحك بها العبوس * قال الشاعر

يا من اتى اكره في سيره * ابشر بنيل القصد والمنه
لا تكره المكروه في اكره * فبالمكاره حفت الجنه

ومدة المسير اليها تسع ساعات بتمامها * وثلث ساعة ثابتة في احكامها * ثم سرنا منها الى مرحلة يقال لها الخنك * ولها من بين القرى اسم مشترك * بين فضاء واسع المجال * ومراعي اعشاب للجمال * الا انها خالية من الماء للوراد * والاقامة بها انما هي على طريقة السير المعتاد * ومدة المسير اليها اربع عشرة ساعة من الزمان * حررها اهل الاتقان * ثم سرنا منها الى العقبة السوداء المشهورة * وقطعنا مفاوزها ونزلنا بالحوراء النضرة * وهي مرحلة رملها غزير * ومخاطبها كثير * وبها شجر الاراك الاخضر * والماء من حفائر رملها ينفجر * قال الشاعر

جئنا الى الحوراء وهي محطة * فيها الاراك نزاهة للرائي
ناديت خلي قف بها متاملا * وانظر لرمل مغمر بالماء
واغنم زمانا مقبلا بسعوده * فيه اجتماع الشمل بالحوراء

ومدة المسير اليها في جمل الاعداد * حررها اهل الارشاد * ثم سرنا منها الى مفازة نبط * وهي حد عربان جهينة في الشيل والحط * وبطرقها مضائق وحدرات * وجبال راسيات شامخات * وشجر اثل كالنخيل * وحفائر ماء عذب يشفي العليل * قال الشاعر

وفي اكره والتي بعدها * مرارة ماء تزيد الفساوه
فجئنا الى نبط نشكو الظما * فانعشنا ماؤها والطلاوه
ولما صبرنا على مرها * فاعقبنا صبرنا بالحلاوه

ومدة المسير اليها عدد كاب * وهي عشرون ساعة من غير اختلاب * ثم سرنا الى طراطير الراعي * وهي مكان تحمد بيه المساعي * وهي جبال سود بوف الجبال * وتسمى ايضا بالاباطح كمايفال * ثم الى واد يسمى وادي النار * وهو واد بين جبال ووعر وغبار * ثم نزلنا بالخضراء وفيل الخضيرة يالتصغير * وهي من اعمال بندر الينبع بي المسير * فال الشاعر

انظر الى الخضراء واغنم بسطها * تلفى رباها نزهة للرائي
ولرب حشاش شكا من همه * فد زال عنه الهم بالخضراء

ومدة وصولنا اليها بي المسير (١) ثم رحلنا منها واستفبلنا دار البفر * ورأينا اول الوعرات فد ظهر * وهي سبع وعرات كبيرة * اصعبها الاولى والاخيرة * بين كل وعرة بضاء وبعده عفلة بي الطريق * ويليها شباء جبل هائل ومضيق * ثم انخنا الركاب ببندر الينبوع * وهو اول بلاد الحجاز بي الذهاب وآخرها بي الرجوع * به حدائق ونخيل * وعيون بين زروع تسيح وتسيل * وكان به سور * منيع وجامع مبرد وسيع * وبيوت بسحة الرحاب * وآل امرها الى الخراب * وبه الان سوف للحجاج * ياخذون منه الذخيرة عند الاحتياج * وبه ابران وحيشان كبار * وعشش تسفى بيها الفهوة من ايدي الجوار * فال الشاعر

حبذا بندر ينبوع وما * بي رباه من رياض وعيون
وسفاة من ملاح نهد * يصرّعن الصب من نبل العيون
بارتحل عنهن واذهب وانتصح (٢) * باذا خالفت اذهبت العيون

وجميع تلك الاسواف جارجة عن المساكن * ويعم نعبها الساكن والظاعن * بنصبنا

---

(١) بياض بي الرحلتين العياشية والناصرية وكذلك بي ثلاث نسخ وبي نسخة معلومة بلا ضير والغالب على الظن ان هذه زيادة من الناسخ — (٢) بي ثلاث نسخ واتضح وبي الرحلة العياشية وانتظم

بهذا البندر الخيام * واقمنا به ثلاثة ايام * ومدة المسير اليه سبع عشرة ساعة في العدد * محررة في ميقاتها صحيحة السند * انتهى كلام البكري .

ثم رحلنا من الينبع ومررنا على السفائف ودار الوفدة ثم كذلك من الرمل المشرف على بدر ثم كذلك الى ان نزلنا بدرا وسمي هذا المنزل دار الوفدة لانهم يوقدون فيه الشمع الكثير يستصحبه الناس معهم من مصر لذلك ويبيعونه في الركب ويجعلونه على اقتاب الجمال بالليل فترى الركب كله كانه من اعظم المساجد المسرجة مصابيحها في احد المواسم .

قال ابو سالم وشاع عندهم ان الصحابة في غزوة بدر اوقدوا هناك نيرانا كثيرة فنحن نتشبه بهم وتلك غفلة منهم وخطاء من وجهين احدهما ان وقوع الامر بايقاد النار الكثيرة انما كان في غزوة الفتح بمر الظهران كما هو معروف في كتب السير واما بدر فلم يقل فيها احد بذلك وثانيها لو سلم ان ذلك وقع فيها فقد كان لارهاب العدو واظهار قوة المسلمين وكثرة عددهم فحيث لا ضرر فلا عدو له ولا شك ان الفرح بنصر الله اولياءه على اعدائه والاستبشار بالاماكن التي اعز الله تعالى فيها الاسلام امر مطلوب مستحسن ما لم يؤد ذلك الى محظور مثل اعتقاد ان الوقود سنة متبعة بل ربما ظن بعضهم انها من افعال الحج فلتعظم بغير ذلك من فرح وسرور وصدقة وعبادة واعلان بشكر وقد جاءني كثير ممن لا شمع عنده يستفتون ويقولون لا شمع عندنا فهل يلزمنا شراؤه ممن هو عنده ظانين ان ذلك من مناسك الحج وشعائره وكم مثلها من بدعة محدثة يرى الناس انها من اعظم القربات نسأل الله ان يثبتنا على سنة النبي صلى الله عليه وسلم المستقيمة التي لا ترى فيها عوجا ولا امتا انتهى .

ثم ان الركب يتوسط وتوسطنا بين الجبلين جبل الرمل الكبير المشرف على بدر يسرى الطريق والجبل الاخر الاخضر يمناه فاذا بالناس يشرعون يريدون(١) الصعود لجبل الرمل

(١) في الرحلة الناصرية يهرعون يتجشمون

افواجا رجاء ان يسمعوا ما يوثر هنالك من صوت الطبل وزعم كثير من الحجاج انهم يسمعونه هنالك .

﴿ تتمة ﴾ ذكر الامام ابن مرزوق في شرحه على البردة ما نصه ومن الايات ببدر الباقية ما كنت اسمعه من غير واحد من الحجاج انهم اذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة طبل ملوك الوقت ويرون ان ذلك لنصر اهل الايمان قال وربما انكرت ذلك وربما تاولته بأن الموضع لعله صلب فيستجيب فيه حواجر الدواب وكان يقال لي انه دهس رمل غير صلب وغالب ما يسير هنالك الابل واخفافها لا تصوت في الارض الصلبة فكيف بالرمل قال ثم لما من الله تعالى بالوصول الى ذلك الموضع المشرف نزلت عن الراحلة امشي وبيدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بام غيلان وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت اسمع فما راعني وانا اسير في الهاجرة الا واحد من عبيد الاعراب الجماليين الذين كانوا معنا يقولون اتسمعون الطبل فاخذتني لما سمعت كلامه قشعريرة بينة وتذكرت ما كنت اخبرت به وكان في الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وانا دَهِش مما أصابني من الفرح او الهيبة او ما الله اعلم به فشككت وقلت لعل الريح سكنت في هذا الذي في يدي وحدث مثل هذا الصوت وانا حريص على طلب التحقيق بهذه الاية العظيمة فألقيت العود من يدي وجلست الى الارض او وثبت قائما او فعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعا محققا او صوتا لا أشك انه صوت طبل وذلك من ناحية اليمن ونحن سائرون الى مكة المشرفة فظللت اسمع ذلك الصوت يومي اجمع المرة بعد المرة ولقد اخبرت ان ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس انتهى .

وقال الامام المرجاني رحمه الله تعالى ولقد ضربت طبلخانة(١) النصر ببدر فهي تضرب الى يوم القيامة نقله عنه السيد السمهودي في تاريخه الكبير والصغير .

---

(١) في غير الرحلتين العياشية والناصرية طبجانة

فال شيخنا ابو سالم وفد كثر كلام الناس في هذه المسألة واذا ذكر من يوثق به كابن مرزوف وغيره انهم سمعوه فالصحيح ان بعض الناس يسمعه دون بعض وفد مررت ببدر سبع مرات وانا في كلها الفي البال لذلك فلم اسمع شيئا اتحففه وفي هذه المرة سمعنا بعد ما فربنا من البندر صوت طبل محفف فاذا هو طبل بعض امراء الركب كان متأخرا وراءنا وتحففنا ذلك بجلوسنا مر بنا وكثير من الناس ممن لم يتحفف ذلك زعم انه الطبلخانة المذكورة وفد سألت عن هذه المسألة محفف زمانه شيخنا ابا بكر السجستاني رضي الله عنه ففال لي كنت حريصا على تحفيف ذلك. ولفد مررت ببدر نحوا من سبع وعشرين مرة فلم اسمع شيئا اتحففه والعلم عند الله «(فلت)» وهذه المسألة مثل ما شاع على ألسنة الحجاج انهم يرون الانوار مشرفة من يوم فربهم من الينبع ويفولون ان وادي النار اسمه وادي النور لاجل رؤيتها منه فحرف الناس التسمية وفد الفيت البال لذلك فكلما فالوا انهم راوا الانوار نظرنا فاذا هو بروف تخفق من بلاد بعيدة وتحففنا ذلك بظهوره مرات كثيرة في غير ناحية المدينة وتارة في ناحيتها ويتصل خففانه حتى يفرب الينا فنتحفف انه برف وتظهر امارات اخر تحفف ذلك مثل رؤية غيم متراكم واصوات رعد وارض الحجاز معروفة بكثرة الرعد والبرف وكثير من الحجاج يصممون على انها انوار ولو ظهرت الامارات ولو كان من غير ناحية المدينة .

فال وفد سألت شيخنا ابا بكر السجستاني رضي الله عنه عن هذا ففال لي كنت أتأمل ذلك كثيرا فلم ار شيئا مما يزعمه الحجاج الا البرف نعم فال لنا رضي الله عنه وارضاه الذي لا يمترى فيه انه نور النبي صلى الله عليه وسلم حفيفة وان كانت جميع الانوار من نوره ما عايناه مرارا ونحن مجاورون بالمدينة المشرفة في الحرم الشريف فانا نجلس احيانا نهارا حتى يستفيض من ناحية الحجرة ما يخالف ضوء النهار فيغشى الحرم الشريف كله فيراه الناس «(فلت)» ولعل هذا الذي ذكر شيخنا رضي الله انه خاص ايضا به وبامثاله ممن تنورت بصائرهم فاستنارت بها ابصارهم فيشاهدون الانوار المعنوية

محسوسة والا فكثير من الناس لا يشاهدون ذلك والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وفي آخر المضيق الذي بين الرمل والجبل عريش الى الان يزعم الناس انه موضع العريش الذي بني لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وان ذلك موضع الواقعة وليس به .

ونزلنا بدرا بعيد المغرب وهي قرية حسنة ذات نخيل وماء عذب فيها بركة كبيرة تكفي الاركاب كلها ومادتها من عين هنالك وعلى ذلك البلد انوار تلوح * ورياح النصر تغدو وتروح * وينشرح فيه الصدر والقلب * ويتجلى فيه بصفة الجمال لكل مسلم الرب * سبحانه وتعالى * ومعالم النبوءة لا تخفى * ومواطئ اقدام الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم لا تعفى * وقد ظهرت على اهل هذا البلد بركة الرسول صلى الله عليه وسلم معلنين بذلك فاسعارها في الغالب ارخص من غيرها مع صغرها وانقطاعها عن البلاد واهلها محفوظون آمنون مطمئنون مع سوء اخلاق عرب صبح المجاورين لهم وكان نزولنا خارج البلد .

﴿ غريبة ﴾ وزرنا قبور الشهداء وعليهم جدار قصير محيط بقورهم .

قال الامام ابو سالم وبالقرب منهم قبور السادات الاشراف الزيدنية(١) من اهل اليمن نزل اسلافهم بهذا البلد ولهم اتباع في طريق القوم ومجلس ذكر قال وكبيرهم اليوم السيد ابو الغيث وزرنا ايضا المسجد المسمى بمسجد الغمامة وهو موضع العريش يوم الوقعة ببدر كما نص عليه غير واحد وانشرحت صدورنا بذلك ووجدنا به المصري ونزل علينا الشامي سحرا واخذ المصري ساعتئذ في الرحيل * وحثوا ركابهم بالرسيم والذميل * وظعنا نحن بعد صلاة الظهر ومررنا على قبور الشهداء وموضع العريش مع الاخ سيدي محمد الاخصاصي

---

(١) كذا في الرحلة الناصرية وفي ثلاث نسخ وفي نسخة الزيدية وهو الاصوب وفي الرحلة العياشية الردينية

وجدناه هنالك ينتظرنا اذ هو مجاور بالمدينة المشرفة وقبور الشهداء اسفل الوادي من جهة البزوة وليس بالموضع الذي تزعمه العوام تحت الكثيب على طريق القادم من مصر .

قال البكري ثم سرنا من ينبع الى الدهناء في فضاء ورمال * واكام وجبال * حتى وصلنا الى الابرقين * وهي كناية عن جبلين متفرقين * احدهما رمل صاعد * والاخر من وعر وجلامد * وبينهما تدق الطبول الحربية * لنصرة خير البرية * فيسمعها من كان اهلا للسماع * ويحجب اهل الزيغ والابتداع * ثم دخلنا قرية بدر وحنين * التي حماها الله من كل شين * وبها جسر طويل * وعيون تجري بين حدائق ونخيل * وبها مسجد العريش وقيل مسجد الغمام * وموضع حوض المصطفى عليه الصلاة والسلام * ومحل النصرة لجيوش الاسلام * على اهل الانصاب والازلام * وهي الغزوة العظيمة المقدار * التي بها شاهت وجوه الكفار * فيالها من غزوة قاتلت فيها الملائك * وضاقت بها على اعداء الدين المسالك * واخزى الله اهل الشرك والغواية * واستشهد من المسلمين من سبقت له العناية * وخرج فيها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للجهاد * وقتل فيها ابو جهل راس اهل العناد * فبلغت الشهداء من السعادة اوفر نصيب * وقلبت اعداء الله في القليب * ووجدوا ما وعدهم ربهم من العذاب الاليم * والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم * قال الشاعر

يا اهل بدر لقد طابت مـآثركـم * وقد علا قدركـم في ارفع الـدرج
فزتم بغفـران اوزار وحسن ثنـا * على المدى نشره من اطيب الارج
يكفيكم في علاكم قـول مادحكـم * هم اهل بدر فلا يخشون من حرج

فيا لها من ليلة بتناها وقد اشرق بدرها * وسما قدرها * اذهبت عن العيون الهجوع * لاشتغالها برؤية القناديل والشموع * واما الشموع فقد ملات الارجاء بالنور * ومحت بضوءها ظلمة الديجور * وقد دقت طبول الافراح * وزالت عن القلوب الاتراح * واحضر السكر المذاب * واذيب في الماء للوراد * وملئ به البواطي والحلل * وسقي به جميع الطوائف واهل العمل * فشرب كل منهم اوفر نصيب * فكانت ليلة من صفائها اقصر من

جلسة الخطيب * وفضينا الاوطار من مشاهدها المبتهجة * وعدة المسير اليها ثمان ساعات واثنتا عشرة درجة * انتهى كلام الشيخ البكري رضي الله عنه .

فسرنا نطوي المراحل * ونتضي الرواحل * الى ان رعت الغزالة نرجس الكواكب * وصلى المكتوبة كل راجل وراكب * الى ان نزلنا بفاع ﴿ البزوة ﴾ والناس بفرب المزار في فرح ونشوة * من رجال ونسوة * وهو فاع لا يظهر غائصه بفاع * ولا يرى المسافرون نظيرا له في البفاع * ونزلنا بعيد المغرب * ولا يرى من الناس الا مضطرب ومطرب * الى ان تفجر ينبوع الفجر * وفبض كل متهجد في مصلاه جائزة الاجر * فشمرنا الذيل لفطع بسيط البزوة * وكم فيه من غدوة وسروة * فهو حفا فاع صحصح * ومهمه نفنف * لا ترى فيها عوجا ولا امتا * ولا تجد فيه الا السماء سمتا * ولله در الفائل

فد سلكنا الفاع المديد الذي م اضحى مضافا دون(١) البفاع لبزوة
فهو فاع لا نبت فيه تراه * عين سار وكم لنا فيه سروة

فاعاننا الله تعالى على فطع مسافته * وكان لنا في طي مراحله واتمام مفازته * فسرنا وبلغنا اول سبيل * وفلنا مستظلين بظله الظليل * حتى وصلنا الركب فسرنا وبتنا غربي مستورة * حيث تراءت لنا بخلوة مشهورة * فراينا هلال ذي الحجة * ابين واصفى من الحجة * ليلة السبت ثاني عشر يناير من شهور العجم وهي فرية وبها بئر كبيرة مطوية بالحجر المنحوت الا ان الرمل فد غلب عليها وحولها عمارة فليلة وبها فبر يزار عليه بناء واسم صاحبه الشيخ يحيى فالوا انه شريف من اهل اليمن .

ثم ارتحلنا من منزلنا ذلك وخلفناه * ووالينا المصاحبة غيره فعزلناه * فجد بنا السير * وكادت المطايا من سرعتها تحكي الطير * حتى اوصلتنا فرب الظهر رابغ * وكم لها علينا من فضل شائع سابغ * ووجدنا بها الاركاب المصري والشامي فد خيموا * واذا الشاميون على

(١) في الرحلة الناصرية بين

الرحيل فد صمموا * فنفضوا اخبيئهم * وعانفوا ارديتهم * فارتحلوا ملبين * وللسير مزمعين * ووجدنا واديه فريب العهد بالسيلان * وجلسنا للصلاة في ظل النخيل والفسلان * وجاء ركبنا فاخذ الناس منازلهم * فالتحفنا باصحابنا واناخوا رواحلهم .

ورابغ فرية فيها نخيل وابار كثيرة في واد ياتي اليه السيل من بعيد تزرع فيه مفاثي كثيرة ودخن وذرة وهو من اخصب اودية الحجاز ثم اشتغل الناس بغسل ثيابهم والاغتسال * والتنظيف وشراء النعال * توجد هناك معدة للمحرمين الا انها في الغالب غالية .

ولما حان للشمس افول * شمر الركب المصري الذيول * ففام وارتحل * وعن رابغ انتفل * وبتنا هنالك وفي غد تهيانا للاحرام * فاغتسلنا وأزلنا ما في ازالته فضل ورغبة من الشعث * والفينا التفث * واخرنا الاحرام * فارتحلنا ضحى الاحد ثاني الشهر الى ان وازينا(١) مهيعة * وتراءت أبنية الجحفة * اتحفنا هدايانا باكمل تحفة * ففلدنا واشعرنا * وجللنا وتجردنا * فركعنا واحرمنا ملبين * بالحج مفردين * وللفرض الكفائي ناوين * وحافظنا على استحضار النية * وواصلنا الاحرام بالتلبية * واتبعنا فيها السنة السنية * وتابعنا السير بها صارخين * غير مفرطين * ولا مفرطين * مستبشرين آمين * مسرورين مطمئنين * ولبث الناس في ثياب احرامهم * كانهم نشروا من فبورهم با كفانهم * يزفون (٢) ويهرعون للموفف

وسرنا كاموات لففنا جسومنا * باكفاننا كل ذليل لمولاه
لعل يرى ذل العباد وكسرهم * فيرحمهم رب يرجّون(٣) رحماه
ينادونه لبيك لبيك ذا العلى * وسعديك كل الشرك عنك نفيناه
ولو كنت يا هذا تشاهد حالهم * لابكاك ذاك الحال في حال مرآه
وجوههم غبر وشعث رؤسهم * فلا راس الا للاله كشفناه
لنزداد روعا من خضوع لربنا * وما كان من درع المعاصي خلعناه

(١) في نسخة ان راينا — (٢) في نسخة يرفلون — (٣) في نسختين ويرجون

وذاك قليل في كثير ذنوبنا * فقد طالما رب العباد عصيناه
الى زمزم زمت ركاب مطايانا * ونحو الصفا عيس الوجود صففناه
نؤم مقاما للخليل معظما * اليه استبقنا والركاب حثثناه
ونحن نلبي في صعود ومهبط * كذا حالنا في كل مرقى رقيناه
فكم نشز(٤) عال علته وفودنا * وتعلو لنا الاصوات حين علوناه
نحج لبيت حجه الرسل قبلنا * لنشهد نفعا في الكتاب وعدناه
دعانا اليه الله عند بنائه * فقلنا له لبيك داع اجبناه
اتيناك لبيناك جئناك ربنا * اليك هربنا والانام تركناه
ووجهك نبغي انت للقلب قبلة * اذا ما حججنا انت بالحج رمناه
فما البيت ما الاركان ما الحجر ما الصفا * وما زمزم انت الذي قد قصدناه
وانت مُنانا انت غاية سؤلنا * وانت الذي دنيا واخرى اردناه
اليك شددنا الرحل تخترق الفلا * فكم فدفد في السواد(٢) خرقناه
كذلك ما زلنا نحاول سيرنا * نهارا وليلا عيسنا ما ارحناه
الى ان بدا احدى المعالم من منى * وهبت نسيم للوصال(٣) نشقناه
ونادى بنا الحادي البشارة والهنا * فهذا الحمى هذا تراه(٤) غشيناه

وسرنا وجاوزنا الرمال * التي تتيه فيها الاركاب كالجبال * واخذنا بطن هرشاء ونزلنا بعيد المغرب شرقي السيل وغربي قُدَيْد وهي قرية غالب ابنيتها حيشان وفيها قهاوي وفواكه تباع ولا ماء بها الا ما يسقى من بعيد ثم ارتحلنا منه ومررنا وقد متع النهار بالمشلل ويسمى اليوم بعقبة السكر .

(١) في نسخة شرف — (٢) هكذا في الرحلة الناصرية وفي نسخة فكم فدفد صعب سواد وفي ثلاث نسخ فكم سُدَّ سُدٌّ في السواد وهو اصوب — (٣) في نسخة وهبت لنا ريح الوصال وفي ثلاث نسخ وهبت ريحنا للوصال — (٤) في نسخة قتار وفي ثلاث نسخ اثاره

قال الامام ابو سالم واكثر الناس خصوصا المصرية يجلبون السكر من مصر بالقصد ليشربوه هناك ويأثرون في ذلك اثرا لا اصل له يزعمون ان رمل ذلك المحل انقلب للصحابة سكرا فشربوه وهي عقبة في جبل صغير فيها رمل يتعب الابل [مع كثرة التلاحي وشدة التلاحم * وافراط التزاحم * وعدم التعاطف والتراحم * وفيها قيل

كم جمل منتصب للشفا * ما جره الجمّال الا انكسر
وكان في الركب يُرَى مبتدا * فما له من بعد هذا خبر](١)

وقد سوى البناء في جانبيها والتقطت احجارها وبني مسجد صغير باحد جانبيها وبينها وبين خليص نحو من ثلاثة اميال .

وذكر السيد السمهودي ان هناك بالشملل مسجدا للنبي صلى الله عليه وسلم على يسار الذاهب الى منى ولعله هو هذا المبني هنالك اليوم فقد دخلناه وزرناه وتبركنا بالاثار المضافة له صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم فبلغنا الكديد قبل الظهر ونزلنا في قبة عظيمة بازاء بركة عظيمة تحت القرية وفي خليص هذا عين تجري وابنية وقهاوي وسوق حافلة وقد سيق الماء في قنوات محكمات من العين يفجر عنها(٢) ويبرز في مواضع للسقي والوضوء الى ان خرج الماء الى البركة المذكورة وكانت عميقة يغرق فيها من لا يحسن العوم ويخرج الماء من البركة الى مزارع قريبة من البلد وجل حرثهم الدخن ويكثرون من المقاثي وماء هذه العين احلى واعذب الا انه سخن ونمنا هنيئة ريثما يحين وقت الصلاة فتوضأنا وصلينا الظهر وتلاحق الركب وسقى الناس واستقوا وركعنا بمسجد هنالك فوق البركة ينسب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد تهدم وامتلا اوساخا وصار اصطبلا للدواب فانا لله وانا اليه راجعون لقد ضعف الدين وقلت الرغبة في الخير حتى يكون بهذه المثابة المكان الذي دخله سيد الاولين والاخرين عليه افضل الصلاة وازكى التسليم

---

(١) ما بين القوسين ساقط من الرحلة العياشية — (٢) في نسختين يجري

وصلى فيه وكان من حقه ان يذهب ويقصص وقد اشرت بذلك لامير الحاج المصري ووعد باصلاحه والله يوفقنا واياه .

وسرنا في غيضة كبيرة ذات اشجار ملتفة من اثل وغيره وفي خلالها فدادين يزرع فيها المقاثي والدخن وغير ذلك ونزلنا بين العشاءين في بسيط من اشجار برية من السيال وغيره ثم منه قبيل الفجر ومررنا بالثنية التي يهبط منها الى عسفان اسفارا والطريق فيها مبنية ملتقطة احجارها كعقبة السكر الا ان هذه اطول منها واسهل وباحد جانبيها مسجد فلما خرجنا من العقبة وصلنا عسفان ضحى وفيها سوق وابار من جملتها البئر التي يذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها وماؤها حلو غاية وشربنا منه تبركا باثاره صلى الله عليه وسلم واستفاض ذلك على ألسنة العوام ولم اقف عليه في شيء من التواريخ التي بايدينا وعثرنا عليها والله اعلم بحقيقته وبه مسجد ولم ادر ما اصله فسرنا وقطعنا تلك المفاوز كلها من ارض تسمى ببرقة وهي ارض طيبة ذات مزارع ووادي العميان الى ان انخنا بمر الظهران بعد العشاء ويسمى وادي فاطمة ووادي الشريف ووجدنا به الشامي والمصري خيما وبفور نزولنا رحل الشامي وتبعه المصري آخر الليل وهو واد كبير فيه قرى متعددة ذات نخيل وبساتين وعيون تجري واعظمها القرية التي ينزل بها الحاج وفيها سوق وعين كبيرة وبساتين مونقة * وجدنا بها الثمار مزهوة * فالقلوب بالنظر لنضارتها من الاحزان مجلوة * مع ما غمرها من السرور بقرب الديار * ومشاهدة الاثار * ففرح الناس * وتزايد الايناس * واعبق عليهم بأرجه الاريج * وعرفه المتكاثر البهيج * شجر الكادي (١) * باستنشاق (٢) الحاضر والبادي * فغمر عبيقه كل نادي * ولما بلغنا عام تسعة هذا الوادي * قلنا بعريش هنالك وجرى ذكر الكادي في النادي * وسالنا عنه صاحب العريش واخبر ان شجره كشجر

---

(١) كذا في الرحلة الناصرية وفي اربع نسخ البكادي ولعله الفادي — (٢) في الرحله الناصرية باشراق استنشاق والاصوب فاستنشق

النخل وبعث من اتانا بشيء من اوراقه واذا فيها رائحة طيبة جدا واوراقه عريضة * وانوراه وميضة * فسبحان من يخص من يشاء بما شاء .

﴿ تكملة ﴾ قال الامام البكري رحمه الله تعالى في عد المراحل من بدر الى هنا ما نصه ثم سرنا من بدر الى قاع البزوة وتسمى طرف النجحان * ثم الى عالج وجبل الفرود ومكان يسمى ودّان * ثم نزلنا بسبيل محسن المشهور * وتنزهنا في خضرة اعشابه وسرحه المعطور * قال الشاعر

فد شكا لي بعض المحبين يوما * ظمأ الماء قلت ذا غير ممكن
كيف تشكو الظمأ وتجزع منه * وبهذا السبيل احسن محسن

ومدة المسير منه ثمان عشرة من الساعات * وعشرون درجة محررة بالميقات * ثم سرنا منها الى بستان القاضي * ونسينا بقرب الديار تعب السير الماضي * ثم نزلنا برابغ محل الميقات * وتجردنا عن لبس المخيط بصدق النيات * واحرمنا بالعمرة والحج * عملا بقوله الحج العج والثج(١) * واهللنا بالتلبية لعلام الغيوب * وسالنا الله تعالى غفران الذنوب * ورأينا حفائر ماء تنبع * ومزارع بطيخ يتنوع * ومسجدا قديم الاثر * ويسمى ذا الجحفة كما ورد في الخبر * وهو محل إحرام المصطفى * صلى الله عليه وسلم زاده الله شرفا * قال الشاعر

تجردت لما ان وصلت لرابغ * ولبيت للمولى كما حصل الندا
وقلت الاهي عندك الفوز بالغنى * واني فقير قد اتيت مجردا

ومدة المسير اليها ست عشرة ساعة بالتمام * وعشرة(٢) من الدرج ثابتة الاحكام * ثم سرنا الى الجرينات ونزلنا بطارق قديد * الذي لا يحل في حرمه للمحرم الصيد * وارجاؤه

---

(١) في نهاية ابن الاثير افضل الحج العج والثج وفي الرحلة العياشية الحج والعمرة والثج — (٢) هكذا في الرحلة الناصرية وجميع النسخ وفي الرحلة العياشية عشرون

واسعة المجال * كثيرة الوعر والرمال * الا انها تبشر بقرب البلاد * وهي مواطن الامجاد *
قال الشاعـــر

قـد نزلنـا بطـارق لقديـد * ودخلنا حماك نرجو الحمايه
فتفضـل عـلى عبيـد وفـود * منك يرجو دفع العنآ والعنايه

ومدة المسير اليها سبع عشرة من الساعات * محررة بالميقات * ثم سرنا الى عقبة السويق *
وهي عقبة عالية الرمال في الطريق * ثم منها الى خليص الشهيرة * وبها فسقيـة من الماء
كبيرة * يخرج منها الى الديسة * ويحترز فيها من اللصوص اصحاب النفـوس الخسيسة *
ثم خرجنا من مدرج عثمان * الى قرية عسفان * وبها البئر التي تفل فيها سيـد البشـر *
صلى الله عليه وسلم وهي بئر من يشرب من مائها زال عنه الضرر * قال الشاعر

ان عسفـان تسـامـت رفعـة * وعلـت قـدرا عـلى كل القُـرَى
وبهـا بئـر النبـي المصطـفـى * خيـر مـن صـلى وصام وقَـرَا
واذا جئت لها كـن محسنـا * فعسى تحسب من اهل القِرَى

ومدة المسير اليها زاي في العدد * معلومة في المدد * ثم سرنا منها الى جبل العميان *
الذي تجتمع فيه الفقراء بقصد الاحسان * ونزلنا بالوادي * وهو نهاية سير البوادي * وهو واد
خصيب * يرى فيه طالب النزاهة اوفر نصيب * اغصانه زاهية * قطوفها دانية * واطياره
ناطقة * وجداوله دافقة * ومزارعه تنبت من كل زوج بهيج * ويفوح من ازهارها كل عرف
اريج * وهي زائدة الابتهاج * وعلى كل حديقة سياج * فلو رآه مصري من الناس * نسي
الروضة والمقياس * به عشش تسكنها عرب البوادي * وبارضه ينبت شجر الكادي *
قال الشاعـــر

يا حبـذا واد فسيـح الفضـا * اريجه قـد عطر النـادي
كم فيه من باغية قد زكت * وفيه زهـر الفـل والكادي
وكـم ثمـار وزروع بـه * والماء فيه ينعـش الصـادي

فلـت كخلي حيـن شاهـدتـه * ولاح لي نـور السنا بـــادي
هل دار ليلى(١) فد تدانت لنا * وفـال لي انـك بـالـوادي

ووصوله خمس عشرة ساعة في المسير * وخمس من الدرج بالتحرير * ثم سرنا الى سبيل الجوخي المعروف * ورأينا جنان مكة دانية القطوف * ثم مررنا بمساجد ميمونة بالعمرة * وفد افترن لسماء سموها كوكب الثريا بالزهـرة * ولاحت لنا اعلام الديـار * ومشاهـد المشاعر والآثار * ووصلنا ثنية كدا * وبعدها المعلى التي بها مشاهد اهل الهدى * وكنا عند خروجنا من عدم الوصول خائفين * حتى تلفتنا هواتف البشائر لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين * فدخلنا من باب السلام * وشاهدنا البيت والمفام * وطفنا طواف الفدوم * وذهبت عنا الهموم * وجئنا الى محل الصفـا * وسعينا في طلـب الوفا * ولما تم سعينـا بالطواف * وحفتنا من عناية الله الالطاف * افمنا بمكة بالاحرام * الى سابع ذي الحجة الحرام * انتهى كلام البكري .

ولنرجع الى تعداد مراحلنا * وذكر منازلنا * ولما اطمان المنزل بنا بالوادي * ولاحت لنا من اعلام الفرب الهوادي * رحلنا آخر الليل سحرا * وما جعلنـا سوى شـد الحمولـة وطرا * فسرنا ونسمات الوصال تهب علينا * وبشائر التلافي تترادف الينا * وظفرنا بمسرة ما ظفر بها مسرور * ولا طوى كشحه عليها مصرور * وفلنا بالفلوب والفوالب * الحمد لله الذي ادنانا وانالنا المطالب * وبلغنا جميع المآرب * وبلغنا سَرِف(٢) ضحى وبها فبر(٣) ام المومنين ذات النفيبة الميمونة * الهلالية السيدة ميمونة * رضي الله عنها وارضاها * بمفاصير فراديـس الجنان حباها * توفيت بهـذا الوادي * وكان مـن غريب الاتفاق * الـذي ليس للاذهان اليه انسياق * ان بهـذا الوادي بنى بها سيدنا صلى الله عليه وسلم ورضي

---

(١) كذا في الرحلتين العياشية والناصرية وفي جميع النسخ هذه ليلى — (٢) كـذا في الرحلة الناصرية وفي نسخـة فوصلنـا الى العمرة وفي ثلاث نسخ ببيـاض — (٣) فـي الرحلة الناصرية فبة

الله عنهـا وكان تزوجها بمكة وهو محرم في عمرة القضاء وبنى بها بسرف في رجوعه وعلى قبرها بناء * ومسجد فزرناها خارج البناء * معظمين لحرمتها * راجين حسن بركتها * وزار من معنا من الحرم معظمات للحرم * وركعنا في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم هنالك * وتجاوزنا نفري المسالك * الى ان جئنا التنعيم وقد متع النهار حيث المسجد المنسوب للسيدة عائشة رضي الله عنها بني في المكان الذي احرمت منه بالعمرة مع اخيها عبد الرحمن رضي الله عنه بامر من النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ومن ذلك المكان يحرم الناس بالعمرة في المواسم وغيرها وهو ادنى الحل حتى صار يطلق على المكان اسم العمرة تسمية للشيء باسم ما يقع فيه فنمنا هنالك واسترحنا * وطبنا واطمأننا * وقمنا وتوضانا * وفي مصلاه صلى الله عليه وسلم ركعنا * فسرنا وتجاوزنا المكان المسمى بالزاهر ويسمى جنان مكة وبه ابار وبه قبر يذكر انه قبر الصحابي الشهير الامام المشهور ابي عبد الرحمن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

قال الامام ابو سالم فقد صح انه مات بمكة بعد الحج فقيل انه دفن خارجها بوصية منه كراهية ان يدفن في البلد الذي هاجر منه فمن قائل انه بهذا الوادي ومن قائل انه بالوادي الذي بطرف المحصب وهو الذي شهره كثير من الناس الا انه ليس هناك قبر ينسب اليه قال وقد زرناه في هذا المكان بحسن النية واكثر الناس اغتسل بهذا المكان لدخول مكة اقتداء بمن قال ان هذا هو ذو طوى الذي بات به صلى الله عليه وسلم واغتسل فيه واستحب اكثر العلماء الاغتسال فيه والتحقيق ما عليه كثير من المورخين ان ذا طوى امام هذا وليس بينه وبين مكة واد آخر وهو الوادي الذي وراء قعيقعان وباسفله الموضع المسمى بالشبيكة حيث الثنية السفلى التي يخرج منها الحاج فأعلى هذا الوادي هو ذو طوى واسفله هو الشبيكة انتهى ونزلنا ذا طوى ظهر الاربعاء خامس ذي الحجة الخامس والعشرين من يناير وبتنا به في مسرة اعظم بها من مسرة * لم تدع من العناء ذرة * ويالها من مبرة * نولت كل قلب قرارا وكل عين قرة * فلما صلينا الصبح اغتسلنا غسلا خفيفا كما هي سنة المحرم

لدخول مكة بذي طوى وبللنا بذلك غلة الجوى * فارتحلنا آمّين ام القرى * ودخلنا من باب المعلى * وهو الثنية العليا التي دخل منها المصطفى سيد الاخرة والاولى * عليه افضل الصلاة والسلام وانماهما وأعطرهما وازكى وهي المسماة بكدا بالفتح وقد بالغت الولاة في حفر هذه الثنية وتنقيتها من الاحجار حتى صارت كاحد الازقة ومع ذلك ففيها صعوبة ومنها يشرف على مقبرة مكة المسماة بالحجون وهي احدى المقابر التي تضيء لاهل السماء كما تضيء الكواكب لاهل الارض كما ورد في الحديث .

﴿ انعطاف ﴾ الى ما كنا بصدده فلنرجع الى تعداد مراحلنا من العقبة الى مكة المشرفة ولما ان قربنا العقبة دخلناها بشوهة عظيمة ونزاهة كبيرة والحجاج قد شاك جميعهم السلاح التام وقامت الصيحة والتنادي وارتفع حس البارود وصوت البنادق الى ان دخلنا منزل العقبة فخيمنا فيه البيوت قرب الركب المصري اذ وجدناه هناك واقمنا فيه ما كتب لنا في نشاط عظيم وتسوق قوي وفيها سوق لا يكاد ان يحصى ما فيها من انواع البز والثياب والامتعة والاطعمة وانواع الخير من كعك وخبز وانواع الطبائخ بتابل وغيره من ابزار متنوعة الاجناس ومفترقة الاصناف فناقص العقل ان دخل السوق كاد ان لا يرجع بدرهم عنده غير ان الله مكن العقول واثبتها فلم تكترث بما هنالك لما غلب من شوق الحبيب ومحبته عليه الصلاة والسلام فلم تعتبر شيئا الا الوصول اليه ومشاهدة أثره صلى الله عليه وسلم فخف عليها كل ما تشاهده من مشاق السفر ووعثه وكذا تغيب عما تشاهده من الملذوذات فطابت النفس بما قصدته وارادته من التنقل في منازل القرب ومراتب الاشهاد ومقامات السعود والحضور والاستبداد بما فيه الغنيمة العظمى والفوز بحضرة العزيز الغفار لما به من الموفقات التي بها الانسان يتعامى .

حاصله اننا اقمنا بها في عزة ومنع وسرور وجذل وفرح وهناء اذ اعظم شيء مذلة الاعراب الذين صدوا الحاج في العام الذي قبلنا وقد اصابهم خزي وذل حتى ان الانسان ياخذ بعض مالهم فلا يستطيع ان يتكلم لما راوا من شوكة الركب المغربي وقوته فجزاهم الله جزاء

وفافا لانهم اخذوا ركب الحجاج الجزائري والطرابلسي بـل اخذوا منهم كيت وكيت مـن الدراهم وبذلك خلوا سبيلهم ولولا عطاؤهم ذلك وافامة امير مصر ما جاوزوا العفبة ولامـروا عليها بل بفضل الله وجاه النبي صلى الله عليه وسلم انعطف عليهم والا لهلـكت كلهم اوجلهم فبكل ما كان رحمة بهم فلما علم الحجاج اي ركبنا ما جاز عليهم ارعدوا وابرفوا وترجـوا واتعظـوا ففاموا على ساق واحدة ورمية متحدة فما ملكت انفسهم الا الفتال غير ان اعـراب العفبـة سكنت شوكتهم وطوي بساطهم وانسد سبيلهم علما منهم انهم لا يستطيعون مفاومة هذا الركب لا سيما وان فيه افاضل وصلحاء وعلماء فالحمد لله .

نعم أودع الناس في الفصر ودائعهم وبضائعهم لوفت الرجوع فلما ظعن الركب المصري وانفصل عن محله ظعنا في اثره بعد ملء سفايتنا فإن مياه العفبـة بين بيـن الا ان بعـض الابار فيه ماء عذب وهو بندر عظيم يكاد ان يكون في اسوافه مثـل المدينـة فهو يشبهها فـي الارتفاق به والاستعداد منه للزاد فترى الحاج كأنه جدد السفر لحصول الاستراحة فيه حسا فلا تعلم نفس ما فرق فيـه من فرة اعين فيه ما تشتهيه الانفس وتلذ الابصار فلا ترى فيه عوجا ولا امتا يوم نزولها يتبع الداعي ما كتب له من الملذوذ والبز المتنوع وكـذا الفواكه فيـه صنوان وغير صنوان تساق من غزة واطرافها من نواحي الشام فيشتري منها الفانع والمعتر كل على حسب فدره وفوة زاده وضعفه على ان اهل الاموال في نزهـة وتنعـم فتجد احدهـم يشرب ماء النيل الى مكة المشرفة وبعضهم الى الرجوع .

وفد ذهبت انا والفاضل الاخ سيدي احمد الطيب الزواوي الى الكخية اعني خليفة الامير لامر يتعلق بامر اصحابنا بل بالركب جميعه لان شيخنا الولي الصالح * والفطب الواضح * سلطان العارفين * وخاتمة المحففين * شيخ المريدين * الشيخ محمد الحفناوي بعث معنـا مزبورة ليكون مع الحجاج فلما وصلنا اليه فام الينا وعظمنا غاية التعظيم ومع ذلـك هو في رفعة عظيمة ومرتبة منيفة ومعه عسكر عظيم لا يصل اليه الضعيف الا بعد شدة كبيرة وانتظـار فوي واما نحن والحمد لله فبنفس سماعه بنا لفينا وادخلنا محله الخاص به وذلك المحل الذي

هو فيه يخطف الابصار فلا يكاد الضعيف يطمئن به و يسكن في محله لاختلاف الالوان وكثرة الاواني المزخرفة فجلسنا عنده ساعة الا والطعام حضر قرب الاصفرار فاتوا بالاطعمة المختلفة والطبائخ المتنوعة في الموائد المستحسنة لا يكاد ان يحصى ما عليها من الاواني فاجلسنا عليها وألح علينا في اكلها .

حاصله هذا الامر في السفر فكيف هو في الحضر نعم فما عندنا الا الصبر وطلب عوضه في الاخرة وهذا واننا ظعنا منه على خير وعافية ومنة وفضل من الله قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون .

ولما انفصلنا عن بندر العقبة و وقفنا على الحصن الذي فيه العسكر نعم الاعراب دائرة بالحصن على عادتهم من اجتماعهم مع كونهم بسلاحهم تامين للسلاح ينتظرون فرصة او غفلة من الحاج ياخذون ما بدا لهم خلسة ومكرا او تتخلف بعض الرواحل فياتون اليها ظاهرين قهرا ونحن والحمد لله سلمنا من ذلك كله اذ الركب معه هيبة عظيمة لا يستطيعون ذلك فتخلفنا على العادة من التخلف شفقة على ضعفاء الركب انا وسيدي محمد الشريف الطرابلسي ومن معه من اصحابه وكذا سيدي احمد الطيب قل ان ينفرد عنا وذلك من توافق الطبائع ونحن كذلك من المشي بالتدريج على شاطيء البحر في آخر الركب فما علمنا احدا من العرب وراءنا علما منهم لا قوة لهم بنا خفية اوظاهرا الى ان وصلنا شاطيء البحر قرب الزوال قبل وصولنا الى ظهر الحمار فتوضأنا وصلينا الظهر ثم ركبنا بغالنا فسرنا ساعة واذا ببعض الاجمال لاصحاب سيدى محمد الشريف المذكور وقفت من شدة السير وكثرة الحمل فذهبنا ساعة معها ثم خلفناها واشرفنا على ظهر الحمار و فيه نخل على شاطيء البحر ولا باس به و في وسطه ابار طيبة الماء عذبة من احسن المياه فسقت الناس ابلهم وملات سقاياتهم فلم ننزل بطرف النخل وانما ينزل فيها الحاج بعد الرجوع و وجدنا ثمت آخر المصري بل جميع الركب لم يستقيموا على المشي وانما ينتظرون استقامة الافطار ورجوع كل الى موضعه ثم صعدنا العقبة التي بعد الابار وفيها طريقان كما سبق وهي صعبة الصعود غير

انها ليست طويلة جدا والحمد لله ولا لهلك جله او بعضه فلما صعدنا بعد الظهر في حر عظيم نزلنا في وسع كثير ورحب فوق فوق العقبة لما علمت ان المغربي يمشي في النهار بخلاف المصري فانه يمشي ليلا .

وهذه المرحلة قصيرة ومع قصرها انها شديدة الحر والخوف من الاعراب موجود فان شوكتهم هناك قوية اذ طريقه ضيقة وقد تنزل الاعراب في زمان الثمرة فيه فلما مر اكثر الليل واذا بالركب ارتحل ليلا فسرنا بعض الليل الى طلوع الفجر [فسبق من كان على الخيل والبغال لنستعد لصلاة الصبح حسبما هو العادة منا فلما طلع الفجر](١) وتنفس الصبح صليناه ثم ركبنا الى وقت الضحى ونزلنا الى صلاة الضحى كذلك كل يوم ثم سرنا كذلك الى ان وصلنا الى الشرف وقد ذكر وصفه الشيخ اعني سيدي احمد بن ناصر .

ويسمى هذا المحل الان ام العظام نزلناه عند وقت العصر ثم بتنا فيه على خير وعافية ثم قطعنا آخر الليل والحمد لله ولم تكن مرحلة اطول منها فان الابل اكثرها يموت في هذه المرحلة لطولها وشدة تعبها فقطعنا منها على خير وعافية فسرنا كذلك الى ان وصلنا الى مغار شعيب بعد الظهر وفيها نخل عظيم وغيضة كبيرة وماء جار فلا يجري ماء الا هنا وفي عيون القصب في جميع مراحل الدرب وقد تقدم اخبار مدين فيما سبق وفيها بعض الخصب للدواب وللابل نعم الحجاج يتانسون في هذا المنزل كانهم حصلت لهم راحة وسرور فان خاصة من توجه الى بيت الله الحرام يشاهد انوار النبوءة والرسالة في ارض الحجاز فيتيسر عليه حمل بعض الاثقال فاذا تجلى ربه على قلبه جعل هم القلب دكا وخر موسى المحبة صعقا فلما افاق من غشية التجلي قال سبحانك مما حصل لي في الخيال من بعض التوهمات في التجلي نعم نودي في سره يا موسى المحبة اني اصطفيتك على الناس برسالتي اي لالهام اذ لم ينقطع بالنبي صلى الله عليه وسلم وانما انقطع به رسالة الوحي وقال رسالة

---

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة .

الالهام ايضا في سره واني اصطفيتك على الناس بكلامي اي نداء الحق يا ايها الحبيب ويا ايها العبد فخذ ما اتيتك من التوجه الى الله وكن من الشاكرين حيث اسعدك التوفيق للتوجه للاماكن الشريفة دون من يساويك في البشريات فان الاواني تتشرف بما فيها من سر الملك والملكوت * ونسيم الجبروت * وكذا بالمعاني قال الشاعر

قلب بذكر الله اضحى روضة * وواحد باللهو صار مزبلة
ما منبت الورد كنبت غيره * ولا شذا المسك كريح البصلة
لو سقي الحنظل شهدا دائما * ما انبت الحنظل الا حنظلة

وقال ايضا

ومن حضر السماع بغير قلب * ولم يتحرك فلا تلم المغني(١)

﴿ قلت ﴾ هذه المنزلة شذاؤها طيب وانوارها بينة فالعارف تجده فيها منشرح الصدر طيب الوقت منبسط الظاهر والباطن لان اثار المحبوب حاصلة فيه الا من اصابه زكام محبة الدنيا فهو لا يشم شيئا من هذه العواطر الالاهية والروائح النبوية وذلك معلوم في الشاهد ثم ظعنا منها ليلا ايضا على ما اسلفناه الى ان وصلنا عيون القصب وفيها ماء حار عذب قريب من البحر وهو كثير القصب وذكر وصفه شيخنا سيدي احمد بن ناصر وكذا ذكر المسجد الذي يزار هناك فنزلنا به عند صلاة العصر ونزلنا على اكمل الخير وانعم العافية وارتحلنا ايضا ليلا ثم كذلك على ما علم منا(٢) من جد السير على شاطيء البحر الى بلوغ بندر المويلح وقد نزلنا عند الظهر والله اعلم وهو بندر عظيم كثير الارزاق ثم ان اسواقه تامة وفيها ما لا يحصى من انواع النبات والاطعمة المختلفة والملابس المزخرفة والطبائخ المنوعة وعلف الدواب كثير وفيه مرسى قوية النفع وان هذا البندر اعظم بنادر الدرب نفعا واسرعها لقضاء الحاجة فلا تعلم نفس ما يوجد فيه من منافع الخاصة والعامة فلا حرج الا في قلة الفلوس وضعف

---

(١) كذا في ثلاث نسخ وفي واحدة لا يلم وعلى كل حال ففي الشطر خلل من جهة الوزن ولعل الرواية ولم يطرب بدل ولم يتحرك — (٢) في نسخة لنا

اليقين وعدم الصدق في التوجه مع الحق ومع الخلق فالذي زلزلت ارضه بالبهتان والكذب والخيانة وعدم الحياء من الله ومن الناس قل ان تصحبه السلامة في دينه ودنياه نعم هذا البندر فيه ابار كثيرة ومياه عظيمة مغترفة وفيه نخل كثير وبساتين متعددة وكذا زروع لا تحصى وهو حصن قوي عامر بالعسكر وبالبيوت الكثيرة والديار المتعددة .

حاصله قد سكن فيه من شاء(١) بنية الاقامة وان الحاج يضع فيه امتعته الى الرجوع من الحج يتزودون به الى مصر وقد وضع اصحابنا ما فضل عنهم من الزاد وما لا يحتاجون اليه من الامتعة وكل ذلك باجرة ثم اقمنا فيه ما كتب في اكمل حال واتمه وما معنا الا البركة والحمد لله على ذلك وقد ظهر فضل الله علينا وعلى اصحابنا وتمت عندنا النعمة فلله الحمد لله والمنة نعم انفصلنا عنه في عافية فسرنا على شاطىء البحر ثم سرنا كذلك الى ان وصلنا الى ابار السلطان وهو محل عظيم ينشرح فيه الصدر وتلتذ به الاعين وتنبسط اليه النفس فلاترى احدا الا اطمأن قلبه به غير انه كثير السراق من متلصصي الاعراب فينبغي للانسان ان يحتاط فيه بمزيد الحذر غاية جهده وهذا المحل كان لا ماء فيه وانما حفر اباره الامير ابراهيم اذ هو الذي تسبب فيه وكمل ذلك اخوه بوصية اخيه المذكور كما تقدم في كلام شيخنا المذكور ويسمى هذا الموضع دار ام السلطان وماؤه عذب سخن سريع الانفصال كما سبق ثم ظعنا منه سائرين ومررنا بالمضيق الموسوم(٢) بشق العجوز وسرنا عن يميننا وعن يسارنا جبال سلمى وكفافة ومررنا بقبر الشيخ مرزوق المتبرك به دائما وعليه اعواد دليل عليه فيزوره من يعرفه ثم كذلك فنزلنا ببندر الازلم بين الظهر والعصر وفيه ثلاث ابار كبار محكمة البناء وماؤها غزير الا انه مر يصلح للابل فقط ولضرورية الناس من غسل ونحوه ولا يسيغه الا المضطرون وبتنا في ذلك المحل في اكمل حال ثم ظعنا منه وسرنا بين جبلين في مضائق وعقبات صغار الى ان وصلنا سبيل عنتر قرب

---

(١) في اربع نسخ قد ساكن فيه ما شابه ان يكون مدينة — (٢) في نسختين المرسوم

العصر وفيه ثلاث ابار وماؤها حلو الا انها قليلة الماء يستقيه الناس للشرب غير انه لا يكفيهم ولا تكاد الابل تطمع فيه ثم ظعنا منه ومررنا بوادي الاراك وهو واد واسع كثير الاراك الاخضر الناعم وبعده مضائق بين جبال صعودا الى ان وصلنا بندر الوجه عند العصر والله اعلم وفيه حصن حصين في حرف واد كبير بين جبلين كبيرين والناس نازلون اطرافه اذا كان ليس الوقت وقت سيول والا ارتفعوا عنه وفيه ابار والتي فوق البندر احسن من التي تحته وفيه داخل البندر بئر ماؤها عذب طيب [وفي اعلى الوادي ماء بين جبلين يسمى الزعفران الا انه قليل الماء كما تقدم عن شيخنا وماؤه طيب](١) غاية ثم ارتحلنا من الوجه صبيحة ونزلنا الاكره بين المغرب والعشاء على حرف الابار فسقى الناس ابلهم ودوابهم ثم ان ماءه لا يكاد احد يسيغه لحرافته ومرورته الا بعض الابار فاني قد وجدت فيه ماء يكاد ان يكون عذبا من جهة المشرق وهو بئر قريب من الغيضة في وسط الوادي .

وقد حكى لنا بعض الناس من الركب انه وجد بئرا ماؤها عذب طيب وذلك يستغرب في هذا الموضع وهذا المنزل اشد منازل الدرب واصعبها لمرورة مائه وكثرة حره وسخونة ريحه فيشتد ذلك على الحجاج حتى يهلك كثير منهم بالعطش وان ماءه خبيث اخبث شيء في هذه المراحل فترك مائه متعين لانه مضر فلله الحمد على سلامتنا منه .

ثم ارتحلنا الى ان وصلنا الى الدركين قرب العصر وهو منزل الحاج المصري وسمي بذلك بئر درك اعراب مصر واعراب الحجاز فان ما بعده من اعمال الحجاز اذ تتغير بعد ذلك البلدان ويتضح امر الحجاز وتباين الجبال ما بعدها لما قبلها ويشتد شبهها بجبال مكة لسوادها .

وفي هذا المحل غياض من شجر الطلح وهي من انواع الكلأ الذي ترعاه الابل كثيرا الا انه لا تترك للرعي لان المحل مخوف تغير فيه الاعراب الخ ما ذكرناه آنفا

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة

ثم ظعنا منه الى ان نزلنا الحوراء عند العصر وتفرق الناس في مياهها وهي حفائر على ساحل البحر يحيط بها ديس كثير وفيها ملوحة قوية وقريب العهد بالحفر اجود من غيره وهو مكثر للاسهال لا سيما مع الاكثار منه وهو مفرط في علة البطن كماء الاكره والازلم وعجرود ومن امثال الحجاج لا رجال الا رجال الحوراء ولا جمال الا جمال الدورة اي الرجعة من مكة وفيه الان ابار قد حدثت احدثها بعض الناس وهي بعيدة عن ساحل البحر وماؤها اطيب من القديمة واجود وعليها ينزل المصري في عصرنا هذا وكذا سائر الاركاب وقد علمنا عذوبة مائها ان لم يطل جدا والا خبث كالقديم .

ثم ظعنا منه آخر الليل فصلينا الصبح مع جماعة الفضلاء في الوادي المضيق ثم سرنا في تلك المضائق الى الوادي المسمى الان بوادي العقيق بل تسميته بوادي العقوق اولى لتلصص اعرابه وجرءتهم على الناس بالسرقة ثم سرنا كذلك الى ان وصلنا الى النبط بين الظهر والعصر وفيه ابار اربع محكمة البناء بالحجر والصخر وماؤها عذب حلو طيب غزير لا ينقطع مدده .

وفي هذا المنزل تنشرح النفس وتفرح فيه لطيب مائه وحلاوة مكانه وطلاوة منظره وقربه من الاماكن الشريفة والمآثر الطيبة كالينبع ونحوه ثم ارتحلنا منه ايضا ليلا اي آخره ثم سرنا كذلك الى ان دخلنا وادي النار وهذا الوادي قد وافق فيه الاسم المسمى اذ لا يخلو من شدة تقع للحاج فيه من عطش وموت ومرض وهو واد كبير قد انطبق عليه الجبلان من النبط الى الخضيرة فلا ينفذ فيه الهواء غالبا لان الهواء اذا تحرك بالرياح انطبق عليه الجبلان فينعكس الريح الى وراء وتحدث الحرارة والسموم في الهواء فينشأ الهلاك منه ولا ماء هناك من النبط الى الينبع فاذا قبح الهواء مع الحرارة مات من الناس الوف مؤلفة في اسرع مدة فياخذ الرجل الماء فلا يضعه من يده حتى يموت وقد صار ذلك في رجوعنا « نعم » اشتد بنا العطش انا وجماعة من الفضلاء كثيرا قرب وصولنا الي النبط واذا باعرابي اتانا بقربة ماء عذب واظنه من ماء المطر بارد كأنه

من ماء الثلج وسقي جميعنا لوجه الله العظيم ولو طلب الدراهم لاخذ منا كثيرا لقرب الموت والهلاك منا فاستغربنا حال الرجل وما صدر منه الينا من غير طلب شيء ولو دعوة خير اذ عادة الاعراب لا يعطون شربة الماء الا بفلوس كثيرة لا سيما عند العطش ونحن والحمد لله قد وقع بنا فضل عظيم وجود كريم ٠

ثم سرنا كذلك الى ان وصلنا الخضيرة اوان العصر وهذا المنزل لا ماء فيه اصلا وبتنا فيه على احسن حال واتمه وارتحلنا منه آخر الليل ثم كذلك الى ان صلينا الصبح وقطعنا الامكنة المسماة بسبع وعرات فخرجنا الى متسع من الارض وبلغنا الى ينبع النخل بين الظهر والعصر في حر شديد ووجدنا المصري نازلا هناك فنزلنا حذاءه الفلالي والجزائري والفزاني فلما خيمنا البيوت تفرقت الناس على المياه وشراء علف الدواب وما يحتاجونه من الزاد اذ سوقه عظيم ونخله كريم واستبشر الناس بوصولهم الى هذا المحل لانه اول بلاد الحجاز بالعمارة وفيها قرى كثيرة ومزارع ونخل وعيون جارية وهو انتهاء موضع وصله صلى الله عليه وسلم وفيه اخبار المدينة ومكة وغيرهما والحاج اذا وصل هناك كانه وصل الى مكة .

وهذا المحل تزهي فيه النفوس وهو روضة من رياض الله تعالى تصلح للمنقطعين وللغرباء والمساكين وهي باب من ابواب الله تعالى يتيسر فيها الذهاب الى المشرق والمغرب لانها مرسى وفيها اسواق كثيرة فلا تكاد تنعدم فيها الخيرات * وتقضى فيها جميع الحاجات * وفيها غالب الحبوب والثمرات * وكذا الخُرُبز اعني الدلاع وجميع الاقوات * والمشتهات فاقمنا فيها ما شاء الله ثم ارتحلنا منه مع المصري قرب الزوال الى قرب الاصفرار فنزل الركب المغربي ومعه اهلنا وانا قد وقع لي غيظ من اجل ظلم الحجاج بعضهم بعضا فاقسمت بالله اني لا ابيت معهم فسرت مع الركب المصري راكبا على بغلتي مع بعض اصحابنا وهو الحاج يوسف الى ان اشرفنا على بدر بعد صلاة الصبح وعند طلوع الشمس هبطنا بين الكديتين من الرمل ثم مررنا على الحجارة المجتمعة التي يظنونها اليوم انها

قبور الشهداء وليست هي وانما قبور الشهداء ناحية القرية فوق منزل الركب وقد زرناها والحمد لله فلما نزل الركب المصري ذهبت انا وصاحبي الحاج يوسف الشيباني الى قرب القرية لنستظل بظل جدار المدشر فجلسنا هناك ننتظر الركب المغربي الى ان وصل ونزل اعلى الركب المصري قرب الجبل وبينما انا كذلك واذا باخينا في الله سيدي محمد المحفوظي قد رآني عند السقائف التي تشرب فيها القهوة فاخذ بيدي وذهب بي الى شيالة المصري ودخلت خيمته ففرح بي فرحا شديدا فقام فجعل لنا الغداء وتكرم علينا غاية واخذت في القيلولة عندهم وكل ذلك انا والحاج يوسف المذكور الى صلينا الظهر وزال حر النهار فذهبنا الى اصحابنا واهلنا فنزلنا ذلك اليوم واقمنا الذي بعده وزرنا فيه قبور الشهداء ضحى فاجتهدنا في الدعاء عندها الى ان حصل لنا وجد عظيم تكاد النفس تزهق من شدة ما تجلى لها من الانوار التي هي حاصلة منه صلى الله عليه وسلم ومن اصحابه الذين قاتلوا هناك رضي الله عنهم وارضاهم .

وقد قيل ان صوت الطبل الذي وقع به النصر للنبي صلى الله عليه وسلم يضرب هنا ويسمعه من خصه الله بتلك المزية العظمى وقد سمعته في الحجة الاولى وفي الثانية وهذه على شك الا ان بعضهم يقول هو حوافر الدواب تضرب بارجلها فتسمع كالطبل وقال بعضهم الريح تهب وتلتقي مع بعض الاجرام الخاوية فيردها حائط الجرم فيسمع صوتها كالطبل وهذا من التاويل المرجوح استبعادا لان يبقى صوت الطبل الى الان اعجازا لقدرة الاله بل ذلك سائغ وواقع غير مستبعد وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم الباقية الى الان غير ان بعض الاكابر الثقات اعترفوا بها وصدقوا بذلك يقينا وبعضهم يقول انما هو تخيل بعضهم ينكر اصله ويقول بنفيه بل الحق الذي اجتمع عليه اهل الخير قاطبة انه واقع قد سمعه خاصة كل ركب بل كاد ان يكون اجماعيا «نعم» قد قد سمعت ممن يوثق به انه سمعه الناس في غير ابان الحج فلم يبق الا تسليمه او التصديق به «نعم» الذي يحتاط بنفي ذلك عن نفسه لا انه يقول لا اصل له او يؤول ان طبل الناس من المصري يتاخر في الطريق فيسمع صوته فيظن

الناس انه طبل الفدرة ولو كان الامر كذلك ما وجد صوته الا يوم دخول الركب البندر وفد سمعناه يوم الافامة بعده « نعم » الصوت شاهدناه في ذلك المحل فطعا كما شاهدنا الانوار تبرق جهة المدينة المشرفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام وان فال بعضهم انها ابراق تلمع لان الحجاز تكثر فيها الرعود والابراق غير انه وان احتمل ذلك فالحق ان البرق والنور متباينان فلا يلتبس احدهما بالاخر اصلا وفوق كل ذي علم عليم .

وبدر هذه فرية عظيمة حلوة طيبة روضة من رياض البلدان من رآها يتمتع بنظرها ويشاهد فيها انوار الجلال * ولوائح الجمال * كأنه صلى الله عليه وسلم مستقر فيها لم يغب فصورته صلى الله عليه وسلم وصور اصحابه هناك تشاهد لدى المحبين فتنبسط النفس هنالك اتم انبساط فهي تمرح في تلك الرياض * وتتردد في تلك الحياض * فما زالت فائمة على اصول التجليات * والمشاهدات * لاثار النبوءة فتجد العارف بالله منشرح الصدر * مستنير السريرة * منور البصيرة * عالي الهمة * فوي المحبة * تعلوه انوار * وتنفتح له اسرار * وتنكشف له امور فينسى كل فريب له * ومحب لديه * بما شاهد فكانه عروس فبدر من اعياد العارفين * ومواسم المفربين * في ضيافة حبيبه صلى الله عليه وسلم ونزول في مفعد صدق عند مليك مفتدر يطمئن فلبه بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكيف لا وهو محل النصر من الله وان ملائكته فد فاتلت اعداء الله هنالك فلا تعلم نفس ما حصل لمحبيه صلى الله عليه وسلم .

وان هذه الفرية فد توطنها الاشراف ونزلوا بها من فديم الزمان وفيها اهل السنة وكذا الزيدية(١) اعني الخوارج الظاهرية وهم في الاعتفاد فدرية وفيها نخل كثير وبساتين وماؤها طيب حلو عذب وفيه ايضا بركة تكفي الامصار العظيمة فضلا عن الاركاب وهي مستمدة من عين هناك وفي بدر توفد النيران الكثيرة والنزهة الفوية وهي ازيد من كل بندر بشيء

---

(١) في ثلاث نسخ الزيود

كثير ثم انفصلنا عن هذا المحل على خير وعافية ومنة وفضل عظيم بعد انفصال المصري عند الظهر ومررنا بواد ثم كذلك الى وقت العصر فصلينا العصر بعد خروج ذلك الوادي فسرنا في ارض متسعة واسعة سهلة طيبة غير ان الهواء تقوى علينا ثم كذلك الى بعد العشاء فنزلنا والبعض خيم البيوت والبعض لا الى ان طلع الفجر وتنفس الصبح ارتحلنا في فرح وسرور ونشاط كبير فرحا بقرب الوصول والوصال * الى الاماكن الشريفة وحضرة الاتصال * ﴿ نعم ﴾ تقوى علينا شذاء القرب من الرب الكريم فتشنفت الاحوال والنعوت * فربحت تجارة الحاج بمجاورة اللهوت * ثم كذلك الى ان وصلنا قاع البزوة وهي محل نزول الركب عند الزوال فوجدنا المصري إذًا راحلا وقد ادركنا آخره فلم ينزل ركبنا هناك بل جاوزنا سائرين آخر المصري ذاهبين معه الى وقت المغرب فنزلنا وبتنا والحمد لله في عافية وسرور بقربنا مكان الاحرام والمصري سائر على حاله الى قرب طلوع الفجر فارتحلنا منه آخر الليل ثم كذلك مجدين السير الى منزل يقال له مستورة وهي بلدة طيبة ووصفها كما ذكره شيخنا سيدي احمد بن ناصر .

ثم ارتحلنا منها ايضا فجد بنا السير ليلا وسرنا في الليل الى وقت الضحى فقربنا منزل رابغ نعم دخلنا وادي رابغ من جهة المغرب عند قوة حر النهار قرب الزوال [فدخلنا رابغ ووجدنا المصري قد خيم فيه ونزلنا فوقه قبل الزوال](١) وبعض الركب يستظل بالنخل والبعض بالبيوت الى ان حان وقت الظهر فصلينا الظهر ثم اقمنا نستعد لاحوال الاحرام * وكثير من الركب لا يعرف احكام الاحرام * فصار جميعنا معشر الطلبة نعلمهم فرائض الاحرام * وسننه وشرائطه وموانعه والناس كلهم ذكور واناث في غسل واغتسال * وغسل ثيات وموانع الاحرام في انتقال * حتى قرب وقت العصر فآن احرام الكل فشمرنا عن ساعد الجد * ليناهب جميعنا لما فيه الكمال بالكد * ورمينا ما كنا بصدده من مجاورة الضد * ونبذنا

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة

ما كنا عليه من مجاوزة الحد * بل طوينا مسافة الاعراض * ومتابعة الدنيا وما فيها من الاغراض * وسعينا لما فيه رضاه * وفعلنا ما امرنا به وارتضاه * وازلنا ثياب الحياة * ولبسنا ثياب الممات * وحنطناها كالكفن * وايقظنا العيون والجفن * وقصدنا بالاحرام الانسلاخ * من طبائع الاجباح التي هي كالسباخ * ووجهنا النفوس لعلام الغيوب * وما مسنا في ذلك من لغوب * ولبسنا الازار والردا * وتركنا ما طغى منا واعتدى * وازلنا ايضا المخيط والمحيط * ليتسع الوارد علينا وينبسط * ويتحلى كلنا بالرضى وما به الانسان يغتبط * فالحج قصد للمولى * وارتباط وترق لمراتب العلى * بعد غسل القلب من الادران * ويطلب حينئذ المحرم غاية الغفران * ويتهيأ للوصول الى ما به الامتنان * سمعا وطاعة لما فيه رضى الرحمان * فصلى المحرم ركعتين * على نوعي الكونين * فبالتكبير لم يبق في قلبه احد الثقلين * فلما استوى قائما في حضرته * قال لبيك اللهم لبيك وسعديك في فضله ورحمته * فقال له الرب جل جلاله تفضل عليك الاله بمنته * ثم تجلى بما هو اعلى فتدلى له ربه وهو في منصته * فكان اقرب اليه * من ريقه في فيه * فربا من سطوته * فصار محرما باحرام البشر * وهو في الحقيقة غيب نفسه عما لا يعتبر * وعن الاكوان بمشاهدة المكون ولكنه الذات يعتمر * فاناخ نفسه ليحمل عليها اعباء التكليف * ويشد عليها احمال الحقيقة مع الهودج من التعريف * فجمع بين الذكر والتذكر * والسعي والتفكر * والمعرفة والشكر * متوجها لبيت الله الحرام * بالشوق والعشق وقوة الغرام * فركب مركوب العز والتقوى * ونال من الله الفوز والقرب والغاية القصوى * حينئذ قد زالت بشريته * وانبطست عليه روحانيته * فاذا نطق نطق به * فبه يسمع ويبصر به * هذا هو الاحرام على التحقيق * وصاحبه معزول عن التعويق * ﴿ نعم ﴾ هذا صاحب الاصابة والسعد والتوفيق وهذا رابغ * مشتهر وسائغ * وروضة العز والدنو والقرب * وفيه المشاهدة والمجاهدة والحرب * والاغاثة من كل شدة وكرب .

هذا وانه قرية عظيمة كثيرة المزارع والمقاثي والنخل والمياه وسوقها عظيمة وفيها النعال

الكثيرة مستعدة للبيع قبل اوانه * مدخرة لزمانه * غير انها غالية الاثمان * وبعد امتثال الناس اوامر الرحمان * انفصلنا في غاية المنة والفضل والشكر لله تعالى لما وصلنا الى ميقات الاحرام فلم يعقنا عائق * ولا ارهقنا شيء مانع غير لائق * فانفصل الكل بالتلبية والاحرام * مع الخضوع والخشوع والدعاء لجميع الانام * بالتقشف والتذلل للرب الكريم شعثا غبرا منكسين الرؤس * فرارا من غضب الله والمقت والباس والبوس * يطلب جميعنا رحمة المنان * والمغفرة والعفو من الرحمان * قد اصابنا شدة الحر * حتى انسلخ الجلد عن الرأس والظهر * فما ارعوى احد بذلك * ولا رجع وانزجر بما هنالك * لعل الله ان ينظر الينا بعين الرحمة * ويغمس جميعنا في بحر النعمة * حشاه من كريم ان لايمن على وفده بجنة الرضوان بذهابه وعوده ووقت انفصالنا عنه بعد صلاة العصر بمدة بل قبل الاصفرار سائرين فصلينا المغرب ثم كذلك الى ان صلينا العشاء كذلك ساعة طويلة نزلنا فبتنا خير مبيت واقمنا ليلا فارتحلنا في مدة من الليل ننتظر الصبح الى ان صليناه ثم كذلك وكان ذلك اليوم يوم حر شديد بحيث لا يقدر الانسان ان يقف للشمس حتى اصاب الحر كثيرا من الناس فحماهم ذلك على أن غطوا رؤسهم لان الدين يسير ولن يشادّ احد هذا الدين الا غلبه والله تعالى يقول يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر الا جماعة الافاضل فلم يغط احد رأسه وهو الفاضل سيدي احمد الطيب ومثله سيدي احمد بن حمود وسيدي محمد الشريف الطرابلسي والفقيه سيدي احمد عياض وسيدي محمد بن ختوش(١) رحمه الله واصحاب الجميع كالاشراف منا وكذا اهل وطننا فلو غطينا رؤسنا ما بقي احد الا غطى رأسه واما امير الركب فقد غطى رأسه وكذا جميع من كان معه من كبار الركب وبالجملة فلما اشتد الحر علينا غطى جل الناس رؤسهم لقيام العذر بل كاد ان يكون ما فعلناه من عدم التغطية ان يكون

(١) كذا في نسخة وفي اخرى يخشوش وفي نسختين بوخثوش

منهيا عنه نعم ثم سرنا كذلك في تلك الرمال اول النهار غير ان فيها حرا عظيمة من طلوع الشمس الى غروبها الى ان نزلنا فديد وهي قرية غالب ابنيتها حيشان وقهاوي وفواكه تباع ولا ماء فيها الا ما يسقى من بعيد نزلنا عند الظهر وما خرجنا من تلك الرمال القوية الواسعة التي تتيه فيها الاركاب بعض الاحيان الا بمشقة عظيمة .

وقد بتنا في فديد ثم ارتحلنا منه آخر الليل سائرين الى طلوع الفجر فصلينا الصبح في جماعة ثم ركبنا وسرنا كذلك الى عقبة السكر فصعدناها وهي صعبة على الجمال والرجال لا سيما من صعدها في زمان اخر غير ان من علم قرب الوصول الى مكة المشرفة هان عليه امر ذلك وسهل عليه حالها واشرفنا على الكدية التي بها البناء المعلوم وفيها ابنية كثيرة نعم من وصل هناك شم رائحة الجوار واستراح من التعب بل الانسان يغيب عن حسه اذا وصل الى ذلك الموضع ويتقوى عليه شذاء تلك الاماكن العالية والمواضع الطيبة فلا تجد احدا الا انبسط وجهه وانشرح صدره وتمكن قلبه واطمأن بالله صدره وطابت بذلك نفسه ويتجلي البيت انخشع (١) قلبه وتتزاحم الاركاب وتتلاحم حتى لا ينعطف بعضهم على بعض رحم الله الجميع بمنه وكرمه .

وقد زرنا ذلك المحل وقد قيل فيه مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم ولما هبطنا تلك العقبة سرنا في طريق ذات احجار كثيرة واوعار صعبة بينها وبين خليص ثلاثة اميال فسرنا غير بعيد الى ان دخلنا على خليص وفيه عين جارية قوية سافيتها مبنية محكمة البناء لا تجد اعظم منها بناء وفيها بركة عظيمة عميقة يعطب فيها من لا يحسن السباح لعظمها ومنها تجري سافية الى ارض الحراثة وفيها مزارع ومقاثي وبساتين واكثرها الدخن وفيها قرية حلوة طيبة لا يكاد الانسان يحزن فيها بل داخلها منبسط على الدوام اذ يغلب آثاره صلى الله عليه وسلم فيها ويتقوى شهوده بتحقيق النظر فيها ما اعذبها من قرية وما احلاها من

---

١) كذا في نسخة وفي ثلاث نسخ ويتجلي البيت انخشع وفي اخرى يخشع

منزلة واسعده من موضع كانه صلى الله عليه وسلم خيم هناك فترى الانوار ساطعة واللوائح مشرقة * ولوامع النبوءة منبلجة * وسر الكائنات صلى الله عليه وسلم يلاقينا بالرحب والتكرمة والتحية الطيبة والاوصاف السنية صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فقد زال الحجاب عن الخاصة من خلقه فشاهده محسوسا طالعا في فلك الاقبال * وازهى نوره في عوالم الوصال * تغدو الحجاج خماصا وتروح بطانا بالتمتع بالنعيم الشريف * الذي لا يكيف * فلا يدرك الا بذوق مثله وفي خليص تنعم النفس برؤية من الكمال التام والشفاعة الكبرى صلى الله عليه وسلم وحينئذ ترى الوجوه تتلألأ نورا اذا هب عليها نسيم الوصل فينعطر شذاء قرب المنزل فتكون النفس شائقة خائفة فيردها فقص البدن فيعصمها اللطيف القوي فحينئذ تنظر الوعد الرباني * والفتح الصمداني * ساعتئذ ان لم يصبها وابل فطـــل .

وقد نزلنا خليص عند الضحى الاعلى الى وقت الظهر فصلينا فيه جماعة وبين الظهر والعصر انفصلنا من خليص وارتحلنا منه الى ان حان وقت العصر فصلينا جماعة ثم كذلك الى قرب المغرب اشرفنا على العقبة التي يصعد منها الى الثنية التي يهبط منها الى عسفان عند المغرب والطريق فيها مبنية ملتقطا احجارها كعقبة السكر الا ان هذه اطول منها واسهل وباحد جانبيها مسجد .

فلما خرجنا العقبة وصلنا عسفان ومررنا كذلك عند العشاء سائرين غاية النـــاس ان بعضهم شرب من ماء عسفان تبركا بآثاره صلى الله عليه وسلـــم اذ قد قيل ان ماء بئرها كان مرا فتفل فيه صلى الله عليه وسلم فصار حلوا طيبا وماؤها عذب كماء خليص وان كان سخنا وهذه البئر التي تفل فيها صلى الله عليه وسلم سمعنا بها قبل وليس ذلك من ألسنة العوام فقط كما قال شيخنا سيدي احمد بن ناصر بل سمعناه من اهل العلم بل من كتب التاريخ نقلناه وفي خليص مسجد ولا ادري انه للنبي صلى الله عليه وسلم اولا وسرنا ليلا وقطعنا تلك المفاوز بل لما انفصلنا عن خليص في ليلة مقمرة بعد صلاة العشاء بامد سمعنا النساء يصرخن

ولهن صوت التولول كان عروسا زفت لزوجها وصوت البنادق والبارود وغيـر ذلـك من اصوات الناس [التي تدل على الفرح فلما سالنا عن السبب فالوا نوره صلى الله عليه وسلم هو الذي يلوح ويلمع](١) فلما نظرنا ابصرنا نورا يلمع ويلوح جهة اليسار نحو المدينة المشرفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام يلمع كالبرق وهو يخفق غير انه ليس كالبرق لان له لونا يخالف سائر الالوان كانه حديث عهد من ربنـا طريء(٢) النـزول * ليتـم سرور الحـاج ويستبشر بالقبول * ويترقب كرامة النزول * فلا اقل انه من كرامة الحـاج وان احتمـل ان يكـون من البرق لكثرة رعود ارض الحجاز نعم الرعـد بيـن وعلامته ظاهرة واثـاره سحـاب وتغير في الهواء بالتحرك وان لم يكن معه مطر .

واما ما وقع هذه الليلة فلا رعد ولا ريح ولا حركة ولا تغير في الهواء بل ولا سحاب اصلا ولا غيم بل السماء صاحية وليس فيها شيء من السحاب اصلا وانما هو النور الـذي تـواتـر نقله عن الحجاج قديما وحديثا لا مجال لجحوده فهو من فضل الله الـذي يجب الاقرار به اذ ليس خاصا باحد حتى يقع للانسان فيه شـك او طروق احتمال خوفا من الاستدراج او تمكن به النفس الامّارة وقد اتفقت كلمة الناس من القرون الماضية والعلماء السالفة والصلحاء الخالية والاولياء السابقة والعامة والخاصة انهم يرونه وانهم يعرفون حال البرق فلم يحصـل لهم شك انه ليس هو بل اطبقـوا على انه نـوره صلى الله عليه وسلم فمن طـرّق الاحتمال فيه فقد طـرق الاحتمـال فيما لا يخفى انه نور لان البرق لا يلازم جهة المدينـة المشرفة وانما يختلف بحسـب الجهات وهذا لا بر الا من جهة طيبة كما شاهدنا في غير هذه الحجة وهذا معلوم عند الحاج سابقا ولاحقا فلا يخفى امره والله اعلم .

﴿ انعطاف ﴾ الى ما كنا بصـدده ثم اعلم لما سرنـا كذلـك الى مغيب القمـر نزلنـا وبتنا مفترقين واننا تهنا اعني الركـب شيـئـا قليلا عن الطريق غير اننا سبقنا اول الركب

---

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٢) في نسخة طوري

فلما قرب طلوع الفجر ارتحلنا وسرنا الى ان صلينا الصبح في جماعة فقطعنا المفاوز وبعد الضحى الاعلى دخلنا الشجر القريب من الجبل المشرف على وادي فاطمة يسمى جبل العميان الذي يجتمع فيه الفقراء لقاصد الاحسان نزلنا بالوادي وهو نهاية سير البوادي عند الزوال بل قبله بقليل نعم الحر في ذلك النهار قوي عظيم كأن النار اضطرمت في الارض واشتعلت فيها بحيث لا يستطيع احد ان يصل الى الماء والى السوق فلما تحرك نسيم الرواح * [واستبشرت الناس بالارواح * اذهب علينا ريح التلافي بالغدو والرواح](١) * لم يبق لنا نصب ولا تعب لما ذاقته الارواح * من لطائف الوصل بالمحبوب * وقرب مشاهدة جوار(٢) علام الغيوب * لا خير في اوقات الحياة سوى وقت رؤية آثار المحبوب * فتزاحمت الواردات الالهية على القلوب * فزال السدد عن اقفالها من غطاء الحُجُب * فلا يسمع المحب حسيس اعتراض النفس * وفي ذلك الوادي ما تشتهيه الانفس * وتلذ الاعين لا سيما فتوحات الجبار * ترد هناك على الانسان من غير اختيار * فليس على مثله للانسان اصطبار * ان رحمة الله قريب من المحسنين بلا افتخار * وفي هذا الوادي مياه كثيرة * وعيون جارية * وبساتين مشهورة * ومزارع قوية وفواكه مختلفة * نعم بقينا هناك الى ان حان وقت العصر فصليناه جماعة ثم تاهبنا للرحيل فلما حان وقت العشاء ارتحلنا من الوادي بفرح وسرور بالوصول الى بيت الله الحرام * وكل ما اصابنا من تعب ونصب كطيف المنام * فلما حصل المطلوب * وبلغنا غاية المامول والمرغوب * استبشرنا برسوم الكرم وزوال الكروب * بفضل الله قرب النائي والصعب * اذ لولا ذلك ما تيسر بالكد والكرب .

ثم سرنا كذلك بنية الخشوع(٣) والانابة * والخشية والخضوع والمهابة * الى طلوع الفجر وصلينا الصبح جماعة ثم ركبنا وسرنا الى ان وصلنا قبر السيدة ميمونة زوجة النبي صلى الله عليه

---

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٢) في نسخة بيت — (٣) في ثلاث نسخ باسقاط بنية الخشوع وفي واحدة كذلك بالانابة

وسلم وقد تزوجها في هذا الوادي كما سبق فزرناه بنية خالصة من غير دخول للروضة اذ ادب من يزور نساءه صلى الله عليه وسلم لا يدخل محل البناء بل يزورهن من خارج كانهن حال حياتهن رضي الله عنهن وعلى قبرها بناء ومسجد فعظمناها من خارج وفي ذلك مصلى للنبي صلى الله عليه وسلم فمن وفق يركع فيه .

ثم سرنا كذلك الى ان وصلنا الى التنعيم صبيحة قبل الشروق وفيه مسجد لعائشة رضي الله عنها كما سبق ذكره وفي ذلك المكان يحرم الناس بالعمرة في المواسم وغيرها ثم سمي هذا المكان [باسم ما يقع فيه توسعا ومجازا (١) وهو ادنى الحل فيطلق عليه اسم العمرة لان المحرم بالحج او العمرة لابد ان يحرم من الحل وادنى الحل هذا المكان] (٢) ثم سرنا فوصلنا الى الزاهر وقد قيل انه ذو طوى فيغتسل فيه استحبابا داخل مكة والحق ان ذا طوى هو القريب لمكة وليس بينه وبين مكة واد آخر وهو الوادي الذي وراء قعيقعان وباسفله الموضع المسمى بالشبكة حيث الثنية السفلى الذي يخرج منه الحاج فاعلى الوادي هو ذو طوى فزرنا التنعيم ثم سرنا الى ان وصلنا ذا طوى وقت الضحى فقرت (٣) الناس على الاغتسال من غير نزول فخيم بعض الناس الخيام للستر في الغسل فخيمنا خيمة لنا فاغتسلنا نحن والاصحاب غسلا من غير دلك خشية قتل بعض الدواب حسبما هو غسل المحرم فلما اغتسلنا ركعنا ركعتين للضحى ووظيفة الطهارة لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من احدث ولم يتوضأ فقد جفاني ومن احدث وتوضأ ولم يركع فقد جفاني ومن احدث وتوضأ وركع ولم يدع فقد جفاني ومن احدث وتوضأ وركع ودعا ولم اجبه فقد جفيته وانا لست برب جاف فركع كل منا ركعتين من وظائف الوضوء ومنهم من صلى الضحى اعني الذي يلازمها فلما حصل كل فضيلة ذي طوى قام الركب على ساق الجد والحزم لدخول مكة المشرفة فركب من ركب ومشى من مشى واستقبلنا جبل قعيقعان وصعدنا الى الثنية قاصدين ام القرى اعني مكة ودخلنا من باب المعلى .

---

(١) في ثلاث نسخ تمجزا ـ (٢) ما بين القوسين ساقط في نسخة ـ (٣) في ثلاث نسخ فتنفرت

وهي الثنية العليا التي دخل منها صلى الله عليه وسلم سيد الاولين والاخرين عليه افضل الصلاة والسلام وانماها واعطرها وازكى هي المسماة بكداء بفتح الكاف .

وقد بالغ الولاة في حجر هذه الثنية وتنقيتها من الاحجار حتى صارت كاحد الازقة ومع ذلك ففيها صعوبة ومنها يشرف الانسان على مقبرة مكة المسماة بالحجون وهي احدى المقابر التي تضيء لاهل السماء كما تضيء الكواكب لاهل الارض كما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام .

دخولنا مكة المشرفة

زادها الله تشريفا وتعظيما وتكريما

فدخلنا مكة فلم تغادر في النفس ترحة * وازالت عن الجفون كل قرحة * فدخلناها في زحمة عظيمة كادت النفوس ان تزهق غير ان سرورها بالوصول اليها خفف بعض الالم بل قد زال التعب والنصب كأن النفوس في وليمة عظيمة لا يعلمها وما فيها من الفرح الا من منحه الله بل الارواح قد تجلى عليها ربها فخرت صَعِقة مغشية عليها فغيبها عن الاكوان كلها بمشاهدة مكونها ومن جملة من غابت عنه هذا الغيب فلم تكترث بما اصابها من الهم والمشقة فلما هب نسيم جوار الحبيب عليها ايقظها واشهدها رسوم مكان الوصال * ودلائل الحضرة وسواطع الانتقال * فعلمت بيت الرب * وتعلق به الجفح واللب * سدل كل حبيب سوى هذا الحبيب وراءه * فأقام كاس الجوار وادارة(١) * وصار شذاؤها انتظاره * فهبطنا منحدرين الى ان وصلنا قرب البيت فدخلنا المسجد من باب بني شيبة * فافاض الله علينا من جوده كرامة وهيبة(٢) * فظفرنا بالامن والامان والسلام من باب السلام .

---

(١) في نسخة وقضى كل حبيب اوطاره وافام كاس المحبة وادارة — (٢) في نسختين باسقاط كرامة وهيبة وفي اخرى من جوده وفضله وكماله

ثم اقول كما قال شيخنا سيدي احمد بن ناصر ما نصه فشاهدنا البيت العتيق الذي تزيح انواره كل ظلام وقد تدلت استاره * واشرقت انواره * وقد شمر البرقع عن اسافله * حتى لا يكاد الطائف يناله بانامله * يفعلون به ذلك من اول تقدم الوفود * ولا يطلقون استاره حتى تعود .

قال الامام ابو سالم وقد قلت في هذا المعنى * وابديت فيه تشبيها غريب المبنى *

وكأنه لما بدا متشمرا * والطائفون به جميعا احدقوا
ملك همام ناهض للقاء من * قد زاره وله اليه تَشَوُّقُ
فتبادر الغلمان رفع ذيوله * حتى اذا رجعوا جميعا اطلقوا

قال ومن راى اكابر الملوك عند قيامهم * وتشمير الغلمان لفاضل الذيول عن يمينهم وشمالهم * علم غرابة هذا التشبيه وحسن موقعه * وانه واقع في موضعه * وعلم ما بينه وبين من شبّهه بهند وليلى * وانه لم يجد وصفا ولم يحسن قولا * فلما وقعت عليه ابصارنا * وافتضح ما اكنت من الشوق اليه اسرارنا * قطعنا التلبية لما رايناه * وقلنا من الدعاء ما رويناه * وتجلت لنا الكعبة الشريفة * ورأينا جماعة الناس بها مطيفة * فيا لذلك المنظر الذي ملا القلوب مهابة * والعيون جلالة تسكن لها الرياح الهابة * ولما تطوفنا من الجرد قبل ما تطوفنا به عقدا نظيما * رفعنا ايدينا وقلنا اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما * بعد ان بسملنا وسلمنا وصلينا وهللنا وطفنا * وللحجر الاسعد يممنا * ولم نقدم على تقبيله شيئا * ولا التحفنا من ظلال غيره فيئا * وقبلنا يمين الله في ارضه * والشاهد لمن قبله في يوم عرضه

الى سيد الاحجار في الحرم الذي * قضى الخالق البـاري بتعظيم شانه
حثتنا مطايا الشوق والسوق في الفلا * فجاءت بنا انسان عين زمانه

وطفنا بالبيت سبع طوفات * للقدوم نوينا هذه الحركات * فاتممناه ولم نبال بما لنا

في تقبيل الاحجار من الازدحام * والمورد العذب كثير ازدحام * و بعده اوقفنا ركعتين خلف المقام * وعدنا للبيت فوقفنا بالملتزم * وشربنا من ماء زمزم * ودعونا في ذلك كله بالادعية الماثورة * ونظم كلماتها المنثورة * فعاودنا بالحجر بالاستلام * ناوين سنة السعي كما ورد عنه عليه الصلاة والسلام * فخرجنا لقضاء شعيرة السعي من باب الصفا * كما روي عن معدن الصفا * و بدانا بما الله به بدا * فارتقينا على الصفا * ووقفنا * وللكعبة الشريفة استقبلنا * فهللنا وكبرنا * فوشينا الصحف بالدعوات الماثورة الى ان قال وسعينا بين الميلين الاخضرين سعيا رفيقا سديدا(١) انتهى .

ثم اعلم اننا خيمنا بوادي سيدي ابي طالب والمسجد الحرام وذلك الوادي تحت ابي قبيس فذهبنا كما سبق الى المسجد فدخلنا من الباب المذكور * وقلنا الدعاء الماثور * عند رؤية الكعبة حسبما ذكره شيخنا آنفا فلما دخلنا المسجد بالذكر الوارد فيه قصدنا المطاف لطواف القدوم فبدانا بتقبيل الحجر مع الزحمة العظيمة من الرجال والنساء فاكتفى الكثير منا بالتكبير ومعي جماعة كثيرة تكاد ان لا تحصى اطوف بهم وعلمتم كيفية الطواف ومن الحجر البدء الى السبعة الاشواط وكان البدء من الحجر الاسود غير ان من قبله امرته بالبدء من مكان يحاذيه ولا يتم الشوط الا من ذلك المكان الذي به البدء وكذا أمر المقبل للحجر الاسود للرجوع اليه اذ ربما رجع منه مقهقرا فينقص له الشوط حسبما يفعله الجهال فطفت بهم طوافا كاملا بشروطه وانتفاء موانعه مع الدعاء الوارد فيه اعلمهم اياه ولما راى اهل مكة فعلي ذلك تغيروا وقالوا الم تعلم ان اهل مكة لا ينتظرون الا هذا الموسم فقالوا طف لنفسك واترك الناس فقلت انا اطوف بهم واعلمهم وانتم خذوا الاجرة منهم فلما كملنا الاشواط السبعة صلينا ركعتين خلف المقام و بعد الفراغ منهما افمنا بالملتزم لان الدعاء به مستجاب بعد ان شربنا من ماء زمزم وسالنا الله فيه ما شاء الله ثم مشينا للحجر

(١) في نسخة المأثورة وسعينا سعيا مشكورا

فمنا من قبله ومنا من كبر عنده لكثرة الزحمة فذهبنا للسعي في حر عظيم وازد حام قوي فبدانا بالصفا وصعدنا درجها الى ان رأينا الكعبة كما هو السنة فدعونا الله بالدعاء الوارد فيها فمررنا كذلك الى المروة ثم كذلك الى تمام السبعة فلم نكمل السعي حتى اشتد علي الحال فظننت عدم التمام فكملته راجلا بمنة الله والفضل من السلام لان محل السعي محل شوق عظيم وازدحام عميم .

واقول كما قال شيخنا ما نصه ولو ايقظ الله الامراء لمنعوا الناس من التسوق فيه ايام الموسم لكان في ذلك نفع كثير واجر كبير فلما قضينا الوطر من السعي نزلنا بذلك الوادي ثم اننا اكترينا دارا مع اصحابنا معلومة طريقها والله اعلم من المروة غير ان اهلي ما دخلوها الا بعد الرجوع من عرفة ونحن بتنا في ذلك الوادي اي اهلي واصحابي واما انا فقد بت في الحرم والله اعلم وبعد ذلك اليوم هو يوم الذهاب فيه لمنى ثم الى عرفة ثم الى مزدلفة في الرجوع ﴿ نعم ﴾ حين نزلنا بمكة طفنا نهارا اي الرجال واما اهلي النساء وكذا نساء من يحجب من الركب اي المخدرات طفن طواف القدوم ليلا فبعد ذلك اليوم عند صلاة العصر ارتحلنا الى منى اليوم الثامن من ذي الحجة فانفصلنا عن مكة في ازدحام عظيم من كثرة الاركاب .

وفي ذلك اليوم فنزل لي جملا طيبا فل نظيره سيدي محمد ابن سيدي خروف تلميذي فنزلنا بمنى قرب مسجد علي اي استندنا لحائطه من جهة اليمين بينه وبين الجبل الذي فوقه وهذا المسجد الدعاء فيه مقبول مستجاب وورد فيه فضل عظيم * وثواب جسيم * والصلاة فيه كذلك فصلينا فيه المغرب والعشاء وان بعض الاركاب من المصري والشامي والعراقي والمغربي لم يرحل الى نصف الليل او الثلث الاول ثم ارتحلوا الى عرفة فترك الكل الفضيلة وهو النزول هناك الى شروق الشمس على ذلك الجبل فلما تحرك الكل الى الرحلة وقع الكلام في ركبنا بالرحلة ليلا فتشاورنا على المبيت ثم مرة اخرى تحركوا ظنا منهم ان من رحل ليلا ليدرك المبيت في عرفة لانها ليلة شك ثم ان الجميع ارتحل فارتحلنا

فلما خرجنا من مزدلفة ووصلنا بينها وبيـن عرفة طلع الفجر اي بين العلمين فوجدنا اكثـر الاركاب هناك نائمين او الكل والله اعلم وبطل ظننا الذي انهم ارتحلوا ليدركوا الوقوف ليلا في عرفة فوصلنا ضحى مسجد نمرة الـذي ينبغي الجمع بيـن الظهرين فيه بالقصـر ولو لاهل مكة اي لغير اهله فنزلناه ثم كذلـك الى قرب الزوال فاغتسلنا ايضا للوقوف بين ذلـك المسجد ومسجد عرفة فامتلا المسجد ناسا وكذا مراحه واشتد فيه الحر بحيث لا يقدر احد ان يضع رجله على الارض عند الضحى وورد علي رجل ضرير فقيه عظيم يحفظ اكثر الشراح وهو مالكي من جزيرة العرب اعني البحرين فلما سألته عن اكثر اهلها فقال مالكيون نعم مسائل الفقه كلها اوجلها على طرف لسانه ليس يبغي الا رضاء الله تعالى فجدير على انه من اهـل الفضل والكمال ووعدني بالملاقاة بالمسجد الحرام ثانيا فلما حان وقت الظهر صلينا في زحمة عظيمة يكاد الانسان ان يموت من شدة الحر وان العرق علينا يسيـل فلا تجد احدا الا كاد ان تزهق روحه فصلينا خلف واحد من الائمة ونوينا القصر وصلى هو بالاتمام من علم منـا لما فرغ اعاد جميع اهل بلدنا وهو اننا نوينا القصر ونوى هو الاتمام فلما اختلفنا في النيـــة بطلت صلاتنا ثم اعدناها جماعة جمعا وقصرا ثم حثثنا مطايانا للوقوف بعرفة الخ .

فلنرجع الى ما ذكره شيخنا ونصه والله اعلم بما نال وفد الله من الطرب والفرح * ونسيان العناء والترح * لما عاينوا تلـك المشاهد * وشاهدوا تلك المراسم والمعاهـد * فلا تـرى الا ضاجا بالذكر * وصارخا بالدعاء بالسر والجهر * كما قال قائلهم ولله دره

وما زال وفد الله يقصـد(١) مكـة * الى ان بدا البيت العتيق وركنـاه
فضجت وفود الله بالذكـر والدعـا * وكـبّرت الحجـاج حين راينـاه
وقـد كادت الارواح تزهـق فرحـة * لما نحن من عظم السرور شهدنـاه
تصافحهم الاملاك من كان راكبـا * وتعتنـق المـاشـي اذا تتلـقـــاه

(١) في الرحلة الناصرية يطلب

وطفنـا بـه سبعـا رملنـا ثلاثـة * واربعة مشيـا كمـا قـد وُعِدنـاه
كذلـك طـاف الهاشمـي محمـد * طواف قدوم مثل ما طاف طفنـاه
وسالت دموع من مآقي(١) جفوننـا * على ما مضى من اثم ذنب كسبناه
ونحن ضيـوف الله جئنـا لبيتـه * نريد القرى نبغي من الله حسنـاه
ينادي(٢) بنا اهلا ضيوفـي تباشروا * وقـروا عيونـا فالحجيـج اضفنـاه
غدا تنظرون في جنان خلودكم * وذاك قراكـم مع نعيـم ذخرنـاه
فـاي قـرى يعلو قـرانا لضيفنـا * واي ثـواب فوق ما قـد اثبتنـاه
وابدانكـم قد طهـرت من ذنوبكـم * وما كان من رين القلـوب غسلنـاه
وكل مسـيء قـد اقلنـا عثـاره * ولا وزر الا عنكم قـد وضعنـاه
ولا نصـب الا وعـنـدي جـزاؤه * وكل الذي انفقتمـوه حسبنـاه
ساعطيكم اضعاف اضعاف ضعفـه * فطيبوا نفوسـا فضلنا قـد افضنـاه
رفعت لكم ما لم تر العيـن مثلـه * ولا علمت نفس بما قـد رفعنـاه
فيا مـرحبا بـالقادميـن لبيتنـا * التي حججتم لا لبيـت بنينـاه
علي الجزآ مني المثوبـة والرضـى * ثوابكـم يـوم الجـزآ نـتـولاه
وجاهي واجلالي وعـزي ورفعتـي * وجودي ومن قد أَمَّنَا مـا رددنـاه
فطيبـوا وسـروا وافرحـوا وتباشـروا * وتيهـوا وهيمـوا بابنـا قد فتحناه
ولا ذنب الا قـد غفرنـاه عنكـم * وما كان من عيب عليكم سترناه
فهـذا الـذي نلنـاه يوم قدومنـا * واول ضيـف للصـدور شرحنـاه

ولما كان اليوم الثامن وهو يوم التروية وزالت الشمس طفنا فخرجنـا لمنـى اذ السنـة الخروج وقتئذ بقدر ما يدرك به الظهر كل على قدر حاله فان المراد بقولهم يدركون بمنى

(١) كذا في الرحلة الناصرية وفي جميع النسخ عموم — (٢) كذا في جميع النسخ وفي الرحلة الناصرية ونادى

الظهر اي يدركون اواخر الوفت المختار ويكره التراخي عن ذلك الا لعذر كما يكره التفدم فبل ذلك ومن خاف خروج وفت الظهر فبل ان يصل الى منى صلاها في الطريق وتردد مالك في فصره واتمامه واستحسن سند الفصر .

﴿ تنبيه ﴾ الطواف يوم التروية ذكره ابو الحسن فال ابو الحسن في مناسكه واذا كان اليوم الثامن ويسمى يوم التروية طاف سبعا بعد الزوال ثم يتوجه الى منى ملبيا والسنة ان يخرجوا بفدر ما يدركون بمنى الظهر وكذلك ذكره خليل في مناسكه ونصه ثم اذا كان اليوم الثامن ويسمى يوم التروية فاذا زالت الشمس منه طاف بالبيت سبعا ثم يخرج من مكة الى منى ملبيا وفي مناسك ابن هلال ابن حبيب وغيره اذا مالت الشمس يوم التروية فطف بالبيت سبعا ثم اركع ثم اخرج الى منى وكذا في مناسك ابن فرحون .

وانما ذكرت هذا لانا لما اردنا الخروج الى منى طفنا وانكر بعض ان يكون الطواف وفتئذ عن اهل المذهب ولعله اغتر بما حكاه ابن المنيّر والدماميني وابن حجر عن مالك من ان الحاج لا يتنفل بطواف بعد طواف الفدوم حتى يتم حجه فان ذلك غريب ذكره الحطاب[1] في مناسكه ومررنا بمسجد العفبة ودخلناه وصلينا فيه ودعونا الله تعالى وكان نزولنا بمنى شرفي مسجد الخيف فريبا من بابه الشرفي وصلينا بمسجد الخيف الظهر وكذلك العصر خارج الفبة التي التواتر انها موضع خيمة مولانا علي كرم الله وجهه .

واجتمعت هناك بالشيخ محمد اكرم بن الشيخ عبد الرحمن مفتي الهند وهو رجل عالم له تآليف على رجال البخاري واختصر البخاري في مجلد خذف الاسانيد والمكرر وهو ضرير كبير السن به مرض ملازم بيته ويوم النحر فدمنا من منى للافاضة ولما رجعنا الى منى التفينا محجبة وبها رجل كبير مستلفى ولما كف بنا الاخ الشفيق الصالح سيدي محمد الاخصاصي اخبرني انه هو واخبرني ولده الشيخ محمد انه شرح نخبة ابن حجر عشرين كراسة وله تاليف

---

[1] في رواية الجلاب

بي الرد على الروابض وهو رجل صالح محقق بيما ذكروا وسألناه عن المسابة بيننا وبين الهند بقال اربعون يوما بي البحر واربعة اشهر او ستة بي البر وان بلده هو السند وبينه وبين الهند ثلاثون يوما انتهى .

ولما صلينا العصر وجلسنا بي مناخنا هنيئة اذ اخبرني بعض اصحابنا ان اهل تونس زعموا انهم راوا الهلال ليلة الثلاثين والراؤن له سبعة احدهم من طلبة العلم وسألنا عنهم لنستخبر رؤيتهم بنكون على يقين من امرهم بوجدناهم ذهبوا مع الذاهبين لعربة لان الاركاب كلها ذهبت كما هي للجبل ولم ينزل احد بمنى سوانا وجماعتنا وهذه السنة عياذا بالله اميتت منذ ازمان .

وقد ذكر ذلك كثير من المرتحلين كالعبدري وابن رشيد ومن بعدهما وذكروا ان الخوب يمنع من المبيت هناك بعد ذهاب الاركاب وقد من الله علينا باحياء هذه السنة ولم تفتنا بي حجة من الحجات ولله المنة والحمد ولما طرق اسماعنا ما ذكر من الخبر عن التونسيين اجتمع راينا على الذهاب وقتئذ لعربات بنستيقن الخبر برحلنا وقتئذ وبلغنا نمرة وقد غاب الشبق وبتنا بازائها باذا بخبر الرائين خبر سجاح * ثم اضمحل مدارج الرياح * ولا هدي علينا بي ذلك على ما شهر بي المذهب ونقل التادلي والجزولي عن ابن العربي انه يلزمه الهدي ولم يحك غيره بي سقوط الدم خلابا ومن تورع بليهد ولا حرج عليه بيه ونزل بازائنا الشيخ عبد القادر بن ابي بكر مفتي الحنفية واتاني ضحى مع ولدين صغيرين له وسألته عن البناء القائم الان بمسجد الخيف ونمرة واخبر انه بناء قايت باي ولما زالت الشمس ابضنا علينا الماء للاحرام واغتسلنا غسلا خبيبا وتلك سنة هذا الغسل وجمعنا بين الظهرين مع اصحابنا ومن انحاز الينا من اهل الابات باذانين وباقامتين وتقدمنا الى الموقف ووقفنا تحت الجبل الذي عليه القبة المنسوبة لآدم عليه السلام والخطيب لم نر له شخصا ولا سمعنا له صوتا وان لم يكن بالبعد منا لكثرة الازدحام واختلاط الاصوات * مع اختلاب اللغات * وتباين الرغبات باصوات التلبية لاشتراك الكل بيها ولا سبيل لاحد

الى تغييرها و وقفنا على ابلنا وارحنا بغالنا اغتناما لبركة سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم نزل في موضعنا ذلك واقفين مستغفرين مكبرين مهللين داعين الى ان غربت الشمس وتحققنا انا اخذنا جزءا من الليل فاذا الامام نفر ونفر الناس ونفرنا معهم في زحمة محفوفة بالالطاف * مصحوبة من الله بالمواهب والاتحاف * ولم نر احدا نفر قبل ذلك في سنتنا هذه وان كانت الجمالون والاعراب تنفر قبل ذلك في غير هذه السنة والحمد لله على ذلك فانصرفنا بين المأزمين بلا كلفة ولا تعب ولما وصلت الى الشعب ملت اليه ففعلت كما به فعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم سرنا آمّين المصلى بالمزدلفة فلغناها بعد مغيب الشفق فجمعنا بين العشاءين ونزلنا فبتنا فيها فنفرق للقط الجمار هنالك من اراده من الناس فلو شاهدت يا هذا تلك الحال وما عليه الناس في جبل عرفات * ووقوفهم بتلك العرصات * لَهَالَك ذلك المشهد الذي هال امره * وعجز عن وصفه زيد البيان وعمره * اذ ترى الملوك في مقام الافتقار والذلة * والفقراء في محل الاضطرار والقلة * والجميع يرغبون في المغفرة من الرحمان * ويطلبون الرحمة والعفو من العفو الرحيم الحنان المنان

جاؤا باحمال او زار تـؤدهـم * منها جبال وحسن الظن وَطّاها
فسال لما رأى الرجان ذلتهـم * طوفان عفو وغفـران فَغَطّاها

فكم دموع تدفقت * وكم ضلوع تحرقت * وكم نسمات هبت * وكم سحائب رحمة صبت .

فكم حامد كم ذاكر كم مسبّح * وكم مذنب يشكو لمولاه بلـواه
وكم خاضع كم خاشع متذلل * وكم سائل مُدّت الى الله كفاه
وساوى عزيز في الوقوف ذليلنا * فكم ثوب ذل في الوقوف لبسناه
ورب دعانا ناظر لخضوعنا * خبير عليم بالـذي قد اردناه
ولما رأى تلك الدموع التي جرت * وطول خشوع مع خضوع خضعناه

تجلى علينـا بالمتـاب وبالـرضـى * وباهى بنا الاملاك حيـن وقفنـاه
وقـال انظـروا شعثـا وغبـرا نراهـم * اغثنـا اجرنـا يا إلاهًا عبدنـاه
وقـد هجـروا اموالهـم وديارهـم * واولادهـم والكـل يـرفع شكـواه
الي فانـي ربهـم ومليكـهم * لمن يشتكـي الملوك الا لمـولاه
ألا فاشهـدوا اني غفـرت ذنوبهـم * ألا فانسخوا ما كان عنهم نسخنـاه
وقد بدلت تلك المساوي محاسنـا * وذلـك وعـد مـن لدنـا فعلنـاه
فيا صاحبي من مثلنا فـي مقامنـا * ومن ذا الذي قد نال ما نحن نلناه
على عرفات قـد وقفنـا بموقـف * به الذنب مغفـور وفيـه محونـاه
وقد أقبل البـاري علينـا بوجهـه * وقال ابشـروا فالعفو فيكم نشرنـاه
وعنكم سمحنا كل تابعة جـرت * عليكم واما حقنـا قـد وهبنـاه
أقلناكـم من كل ما قـد جنيتـم * ومن كان ذا عـذر الينـا عذرنـاه
فيا من عصى من يا اسا لو رأيتنـا * وأوزارنـا تُـرْمَـى ويرحمـنـا الله
وددت بان لو كنت حول رحابنـا * وترجـو رحيمـا كلنـا قـد رجونـاه
وقمنـا اليـه تائبيـن مـن الخطـا * وغفراننـا من ربنـا قـد طلبنـاه
أُمِرْنا بذاك الظـن والله حسبنـا * عليه وهذا في الحديـث قد نقلنـاه
عليه اتكلنـا واطمأنـت قلـوبنـا * لِمَا عنده من وسـع عفـو عرفنـاه
فطوبى لمن ذاك المقام مقامـه * وبشراه في يـوم التغابـن بشـراه
يرى موقفا فيـه الخزائن فتحـت * ووالى علينـا الله منهـا عطايـاه
وصالَحَ مهجـورا وقـرَّبَ مُبْـعَـدًا * فذاك مقام الصلح فيـه اقمنـاه
ودارت علينا الكاس بالوصل والرضى * سُقِينـا شرابـا مثلـه مـا سُقِينـاه
فان شئت تسقى ما سقينا على الحما * فَخَلِّ الوَنَى واحلل محـلا حللنـاه
وفيـه بسطنـا للرحيـم اكفنـا * وقـال كفيتـم عفونـا قد بسطنـاه

واعتقنـا كـلا واهــدر ما مضـــى * وقال لنا كل العتـاب طويـنـاه
وابليس مغموم لكثـرة ما يـــرى * من العتـق محقور ذليـل خزينـاه
على رأسه يحثو التـراب مناديـــا * باعـوانـه و يـلاه ذا اليـوم ويـــلاه
واظهـر منـه حسـرة ونـدامـــة * وكل بنـاء قــد بنــاه هدمنــاه
تركنـاه يبكي بعد ما كان ضاحكا * وكم مذنب من كفه قد سلبناه
وكم من منـى نلنـا بيـوم وقوفنـــا * وكم من اسير للمعاصي فككناه
وكـم ذا رفعــنـا للالـه مسائــلا * ولا احدا ممــن نحـب نسينـــاه
وخصصت الابـاء والاهـل بالدعـا * وكم صاحب نودي به ودعونـاه
كذا فعـل الحجاج هاتيك عـادة * وما فعل الحجــاج نحـن تبعنـــاه
فظل حجيـــج الله لليـــل واقفـــا * فقيـل انفـروا فالكل منكم قبلناه

فلما سقط قرص الشمس نفروا * وكشفوا عن وجوه الاستبشار واسفروا

الـهـنـــا الهـنـــا * وعدتنا منك الهنـا
فـان تجد برحمـــة * فكم مضى عنا العنـا

ولما اصبحنا بالمزدلفة * وصارت القلوب على حصول الرحمة والمغفـرة مؤتلفـة * غيـر مختلفة * واسفر الفجر عن وجه الغـرض * وادينا من صـلاة الصبح الكـف المفتـرض * غلّسنا الرحلة * ونادى منادي النقلة .

افيضوا وانتـم حامدو ن الهكـم * الى مشعر جاء الكتـاب بذكراه
وسيروا اليه واذكروا الله عنـــده * ذكرنا كمـا رب العباد هدانـاه

و وقفنا به الى الاسفار * وما تركنا من الدعاء وحميد الاذكار * فسرنا حتى جئنا بطن وادي محسر وهـو وادي النـار فأسرعنا وحركنا دوابنا وهو اول ما تحاذي البركة الخربة التي على يسارك ان مررت بطريق الاركاب وانت ذاهب الى منى حتى تاخذ في الطلـوع الى منى وترتفع بك الارض وبهذا عرفه اعلم اهل عصره بالمناسك خليل المكي المالكي

حسبما نقله عنه البلوي في رحلته اذ سأله عن حده والاسراع فيه مشروع ذهابا وايابا فمضينا كما نحن على الطريق الكبرى التي تشق منى الى ان اتينا جمرة العقبة حين الطلوع بُعَيْدَه ورميناها بسبع حصيات من اسفلها مكبرين مع كل حصاة كما كنا راكبين غير راجلين كما هو السنة عن سيد الاولين والاخرين * عليه افضل صلاة المصلين * وازكى سلام المسلمين * فعدنا لرحالنا ومناخنا * ونحرنا هدايانا * ودعونا كلافنا * اخينا وودينا الحاج عبد القادر فحلقنا فسرنا الى مكة فاتيناها على هيئتنا * من ثياب احرامنا * فطفنا للافاضة ووجدنا البيت مفتوحا والناس على ظهره يكسونه ولما قضينا فريضة الطواف * عرض لي وفي المطاف * الاخ الحاج ابو عزة المراكشي وحث علي في الدخول للبيت فامتنعت تادبا وتعللت له بالزحمة وقال لا زحمة بداخله وهو فارغ منبسط وما ترى من الزحمة لا يتعدى بابه ولا يتجاوزه الان واذا بامير الحاج المصري ابراهيم ابو شنب واقف بالباب وخاطبه قائلا ان فلانا ذا واقف بالباب يبتغي الدخول للبيت واشار إلي وفرح بي ورحب * وهش واطرب * وتقدمت واخذ بيدي واطلعني من غير كلفة ولا زحمة فدخلت البيت وعلاني من الهيبة ما الله به عالم فركعت به ركعتين لناحية الباب مواجهه غافلا عن السنة بأن اجعله خلف ظهري لما علاني من الخجل * والدهش والوجل * ودعوت بما امكنني وحضر لي من الدعوات * معمما ومخصصا اهل المحبة والقرابات * ولم تطل مدة فتحه وانما يفتحونه هذا اليوم لتعليق الكسوة الجديدة وازالة العتيقة وليس بيوم دخول عام وانما يدخل القيم وامير الحاج المصري واتباعهما المعينين في ذلك ولا ينصب سلم للدخول وانما يدخل من تكلف الصعود بمعين او بخفة اعضاء وعلى الباب احد خدام الامير يمنع الناس من الدخول الا ان الناس يكاثرونه فان منعوا من جانب دخلوا من جانب وربما يتعامى عن البعض ويحصل لكثير من الناس في ذلك المكان سوء ادب من ضرب وشتم بالفاظ ينزه المكان عنها فالاولى عدم الدخول الا لمن تيسر له ذلك عفوا وصفحا من غير ايلام ولما دخلت اليه المرة الثانية في حجتنا هذه الى

ان فال ركعت بيه الى الجهات وجعلت الباب اولا خلب ظهري وكبرت بي نواحيه واجلت النظر بي نواحيه وطوله وعرضه وسمائه وارضه طلبا للتحفيق وان كان الاولى خلاب ذلك الا ان الامر سهل ان كان لطلب العلم والوفوب على حفيفة الشيء ولم تزايلنا بي ذلك السكينة والوفار * والاعظام والاكبار * والاجلال * والابتهال * والله يغبرلنا ويتفبل .

واما لطلب التبرج والتنزه بلا بل يستشعر الداخل عظمته وحرمته وروي عن عائشة رضي الله عنها انها فالت عجبا للمرء المسلم اذا دخل الكعبة كيب يربع بصره فبل السفب ليدع ذلك اجلالا لله تعالى واعظاما ما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة بما خالب نظره موضع سجوده حتى خرج منها صلى الله عليه وسلم والبيت الان على ثلاثة اعمدة من العود ونفصوا منها من جهة الحجر مفدار السلم ولما برغنا من الطواب ركعنا خلب المفام واكثرنا من شرب ماء زمزم ولم نسع لانا سعينا اثر طواب الفدوم كما هو السنة .

﴿ تنبيه ﴾ فال الامام ابو سالم وكثير من العوام يظن انه يلزمه سعي آخر اثر الاباضة وبعض المتبفهة أبتى من لم ينو برضية الفدوم باعادة السعي اغترارا بظاهر فول المختصر ونوى برضيته والا بدم والتحفيق ان من شروط السعي وفوعه اثر طواب اي طواب كان وكونه برضا انما هو واجب يجبر بالدم ولا يلزم منه بطلان السعي ومعنى البرضية كونه يتوفب عليه صحة السعي لا كونه برضا بي نبسه وهذا الفدر يعلمه كل من له ادنى معربة بالمناسك واذا كان كذلك بلا اعادة على من سعى اثر طواب الفدوم ولو لم يستحضر نية برضيته اذ كان عالما بذلك بإن نية الاحرام كابية بي الحج لانه عبادة واحدة ولا يشترط بيه ابراد نية لكل جزء منه كالصلاة وتمييز البرائض من غيرها امر مختلب بيه بي كونه شرطا بي صحة الصلاة ام لا والحج اوسع من الصلاة ولا اعادة عليه ايضا لو جهل برضية طواب الفدوم لان الشرط كما تفدم هو وفوعه اثر طواب وهذا وافع اثر طواب بان كان عالما بالتلازم بينهما بلا دم ايضا اذ ذلك الفدر هو المعبر عنه بالبرضية والا بدم وهذا ما حففه بعض المشائخ وادلة ذلك يطول سردها وكثير من المتبفهة لا يحفق المسألة هذا التحفيق ويشغب على

الناس بالزامهم الاعادة ويفول لابد من افراد نية لطواف الفدوم انه فرض والا بطل السعي والعجب كيف يجعلون نية الفريضة شرطا في صحة السعي ولا يجعلونها شرطا في صحة الطواف ذي النية فتكون نية الفرض في ركن شرطا لركن آخر لا له والشرط اذا لم يؤثر عدمه في محله فكيف يؤثر في محل آخر فشد يدك على ما ذكرنا من التحفيق ولا تلتفت الى من طريفه التفيد بظواهر الفاظ المختصر والله تعالى اعلم انتهى كلامه .

﴿ فلت ﴾ وفي مناسك الشيخ يحيى الحطاب اما تفديم طواف صحيح على السعي ففال ابن عبد السلام انه متفق عليه فلو سعى من غير طواف لم يجزه ذلك السعي بلا خلاف ولا يشترط كون ذلك الطواف الذي يتفدمه واجبا بل ذلك من الواجبات التي تجبر بالدم فيجب عليه ان يوفعه ان كان في حج اثر طواف الفدوم او اثر طواف الافاضة وان كان في عمرة اثر طواف عمرة فان اوفعه بعد طواف الوداع او بعد طواف التطوع اعاده ما دام بمكة فان لم يعاوده حتى بَعُدَ عن مكة لزمه الهدي باتفاق انتهى .

وفال والده في شرح المختصر بعد نفول فعلم مما تفدم ان معنى فول المصنف ونوى فرضيته الخ ان الطواف الذي يفع بعده السعي يجب ان ينوى فرضيته بان يكون طواف الافاضة او طواف الفدوم في الحج او طواف العمرة فان اوفعه بعد طواف لا ينوي فرضيته كطواف الوداع او طواف تطوع كمن احرم بالحج من مكة وطاف وسعى فانه يؤمر باعادته بعد طواف واجب فان لم يفعل حتى تباعد فعليه دم وفول المصنف والا فدم فيه مسامحة لان ظاهره انه لا يومر بالاعادة وليس كذلك .

ولما فرغنا من الطواف وتوابعه جلسنا للاستراحة في اخريات المسجد واشترينا خبزا وسمنا وعسلا فاكلنا ورجعنا لمنازلنا بمنى وصلينا بها الظهر كما فعل المصطفى صلى الله عليه وسلم وفيل انما صلى الظهر صلى الله عليه وسلم بمكة على فول الاكثر وكان نزولنا ازاء ثبير فرب الغار الذي أنزلت فيه والمرسلات على النبي صلى الله عليه وسلم وخبره مذكور في الصحيح وفد بني عليه بابه محوط شبه مسجد صغير والناس يفصدونه للصلاة فيه والدعاء

وهو في اصل جبل ثبير بينه وبين مسجد الخيف رمية حجر وكان نزولنا بهذا المحل ايثارا للقرب من هذا المكان وقرب المسجد مع كونه انظف واوسع واستر وامكن للانسان في حاجته والناس يتحامون من القرب من الجبل تقية من اذى السراق فيستجير بعضهم ببعض ويفرون الى الدخول في غمار الناس ولا يبالون بما نالهم في ذلك من وطء الاقدام وتقطيع الحبال وتعفن الارجاء واستنشاق الروائح الكريهة ونحن استسهلنا امر السرقة في جانب هذه المضار وكذلك فعلنا في كل ما مضى من الحجات والله يعيدنا اليه الكرات بعد الكرات وقد ذبح بمنى في ذلك اليوم والذي بعده من الغنم ما اكسب الغني والفقير * وكفى البصير والضرير * واغنى الوارد والمستوطن فامتلات الطرقات واقبية المنازل باللحم واما الجلد والسافط والاكارع فلا ترى احدا ياخذها ضيافة الله الملك الحق الذي لا يقدر احد على كفاية الخلق سواه فقد ورد من افاق الارض اصناف من الخلق لا تحصى اغنياء وفقراء فاكل الكل من ضيافته مالكهم وتزودوا ما قدروا وفضل ما اعجز الطير والوحش والهوام قال الامام ابو سالم فاقسم لقد مررت بهذا المكان بعد سنة او قريبا من ذلك في قفولي من الطائف فوجدت فيه عدة كثيرة من الغنم قد يبست جلودها على لحومها وعظامها لم تمس الى ان صارت مثل الخشب من يبسها والمرجو بل المحقق من كرم الملك الوهاب ذي الطول كما عم وفده بالضيافة المحسوسة التي صيرت الفقير كالغني في ايام الضيافة كذلك او اعظم منه ضيافته المعنوية بالمغفرة وقبول الدعاء واجزال المثوبة لعباده فوق ما يخطر بالبال * وما ينال بقياس ومثال * فما سعدنا به من رب كريم منعم متفضل وهاب * جواد محسن متطول لا اله الا هو مالك الملوك ورب الارباب * ولا يهلك على الله الا هالك نسأله سبحانه ان يعمنا بفضله وكرمه * ويتحفنا برضوانه * ويعاملنا باحسانه * آمين وبتنا بمنى تلك الليلة في نعمة كاملة * ورحمة من الله شاملة * وانقضى ذلك النهار وقد عيدنا * وعلينا مناسك الحج وشيدنا * ووفى امانينا أعطينا .

بَلَغْتِ يا نفسي المُنَى في مِنَى(١) * وقد ازال الله عنك العَنَا
واستنفدي وسعك في جهده * وشَيِّدي منك بناء الثنا(٢)

ثم في الغد عمرت الاسواق * وكثرت الانفاق * واخرجت البضائع ذوات الاثمان وصنوف التجارات وتزاحم الناس على الشراء رجاء بركة ذلك المكان في ذلك الزمان واكثر التجار يقولون إن من اشترى شيئا من منى وجعله في تجارته وجد بركته * وظهرت له ثمرته * ولا يبعد ذلك فانه موسم شريف * ومحل بركة وتشريف * ياتيه الناس من كل فج عميق ليشهروا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام * وقد عمهم الله فيه من امر دنياهم واخراهم بغاية الانعام * ولما زالت الشمس توضانا وخرجنا لرمي الجمار من غير تراخ ولا توان مبتدئين بالاولى التي تلي مسجد الخيف ثم بالوسطى وختمنا بالعقبة فوقفنا اثر الاولين بقدر الامكان * مجتهدين في الدعاء لنا ولعامة المسلمين وخاصتهم وسائر الاحبة والاخوان * وما نسينا احدا في ذلك المكان .

ولما كانت الليلة الثانية من ليالي منى بالغ اهل مصر واهل الشام في ايقاد المصابيح واتخاذ المصانع منها وصور الاشجار والاخبية واكثار الرمي بالمدافع والبنادق والمحارق المرتفعة في الجو وفي ذلك نزهة للابصار * وتسلية للافكار * ومجال للاتعاظ والاذكار * والقبول والانكار * فنزل جميع اصناف العباد * وحشر اليه عمار البلاد * فهو اجمل الاندية * ومبانيه احسن الابنية * تشرق في النهار فساطيطه المؤنقة * وبالليل مصابيحه المشرقة .

قال الامام ابو سالم وبالجملة فليالي منى غرر في اوجه الزمان * ومواسم فرح وسرور لاهل الايمان * ومناهل رحمة ومغفرة من الله ورضوان * ومحال بركة وعافية وامان * يتجلى فيها الحق لوفده بصفة الجمال * جزاء على رضاهم قبل ذلك بتجلي الجلال * فهناك يستصغر المرء ما قاسى في طريقه من الشدائد * في جنب ما حصل له من النعيم والفوائد * انتهى .

---

(١) في نسختين بمنى — (٢) في نسخة واسلكى جميل الثناء وفي الرحلة الناصرية في جهده وبقاء بدل بناء

فلما اصبح الناس في اليوم الثالث اخذوا في الرحيل متعجلين * فمن تعجل في يومين * فلا اثم عليه * ومن تاخر فلا اثم عليه * لمن اتقى وتعجلت الاركاب وطويت الاخبية * ونفضت القبب والابنية * ولم يبق الا جماعتنا و بعض اهل البصرة والاحسا نزلوا تحت الجبل * على بعد منا ولواء السلطان المكي تعجل * وكان من عادته الا يتعجل * وبتنا وحدنا ولم نر والحمد لله باسا وبتنا آمنين اين ما كنا والله يختم بخير واغتنمنا الصلاة بمسجد الخيف في هذا اليوم منفردين بعمارته دون غيرنا من اهل الافاق

﴿ نكتة ﴾ وهذا المسجد اعني مسجد الخيف يسمى مسجد علي قيل ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه اول من بناه وهو موضع منزل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم في حجة الوداع .

قال الامام ابو سالم وطول هذا المسجد من المحراب الى الباب الذي يقابله اربعمائة قدم وعرضه ثلاثمائة واربعون وبوسط المسجد قبة مثمنة كل ثمن منها اربعة وعشرون قدما ورأيت في بعض التواريخ ان في محل هذه القبة كان فسطاط النبي صلى الله عليه وسلم وصحن هذا المسجد كبير اذ المسقف من مقدمه نحو اربعة من الصفوف ومن سائر الجوانب غير مسقف قال وقد رأيت قبل هذا في احدى سواري هذا المسجد مكتوبا ما اظن ان صورته هذا

ايها الغائبون بالله جودوا[1] * لغريب بدعوة ان قدمتم
كان من قبل هاهنا مثل ما قد * كنتم حاضرا كما قد حضرتم

وتحته مكتوب ما نصه[2]

قد حضرنا بذا المكان وغبتم * وشهدنا به كما قد شهدتم
وذكرناكم بكل جميل * فاذكرونا بمثله إن حضرتم

---

(١) كذا في الرحلتين العياشية والناصرية وفي نسخة القادمون وفي غيرها القائمون — (٢) هذه الزيادة مع البيتين اللذين بعدها موجودة في نسخة وفي الرحلتين العياشية والناصرية

و وجدت في سارية اخرى بيتا مفردا وهو

ان في الجنة نهرا من لبن * لعلي وحسين وحسن

قال وقد صدق قائله الا انه تشم منه رائحة التشيع وان هذا النهر خاص بهم رضي الله عنهم وبمن والاهم دون غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم وهو مذهب الرافضة ومذهبنا معشر اهل السنة انه لهم ولغيرهم من الصحابة وصالحي الامة رضي الله عن جميعهم وجعلنا ممن احسن من تابعيهم آمين انتهى .

ولما زالت الشمس من اليوم الرابع ارتحلنا من منى ورمينا الجمار بلا زحمة بعد الزوال وارغمنا انف الشيطان بقذف تلك الحصيات التي تكونت من طينة الوبال

قد رميت الشيطان في يوم حجي * بجمار بطاعة الرحمان

وعجيب ان لم يكن قد تلظى * وهي سبعون جمرة بالعيان

وملنا الى مسجد الكبش فزرناه ثم بعده * مسجد العقبة اتيناه * وهو المكان الذي بايع فيه الانصار رضي الله عنهم بيعة العقبة فهو من المساجد المنسوبة الى النبي صلى الله عليه وسلم المتبرك بها وهو معدود من الاماكن التي يستجاب فيها الدعاء وهو في الشعب تحت جمرة العقبة بيسير على يسارك وانت ذاهب من مكة الى منى فسرنا فجئنا المحصب فنزلنا به بازاء مسجد عائشة فصلينا به الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقدنا رقدة .

ثم ذهبنا للعمرة واحرمنا بها من التنعيم لتعذر الجعرانة من شدة الخوف وقلة الرفيق بعد ان اغتسلنا لاحرامها هنالك مع من لم يغتسل بالمحصب من اصحابنا واتينا مكة فطفنا ووطئ انسان على بنصر رجلي اليسرى ولا اظنها الا انكسرت واتممت الطواف وانا احجل ولم اقبل الحجر مباشرة في اكثر الاشواط

هل انت الا اصبع دَمِيتِ * وفي سبيل الله ما لَقِيتِ

وخرجت الى السعي وسعيت من الصفا الى المروة ومن المروة الى الصفا على رجلي وتعبت جدا فعجزت عن اتمامه راجلا فاتيت بدابة فركبت واتممته راكبا واتيت المنزل

الذي اكتريناه ورفدت رفدة واصحابنا بمكة يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة ثالث فبراير وافمنا بها بعد فضاء النسك تسعا * وفي هذه المدة في تلك العرصات نجول ونسعى * ودخلنا البيت الشريف كما فدمنا وتمتعنا باجالة النظر في نواحيه * حرصا على تحفيف مبانيه * كما فيل

وُرُدْتُ الى البيت الحرام وُفُودُنا * تحن له كالطير حنّ لمأواه
وطفنا طوافا للافاضة حوله * ولذنا به بعد الجمار وزرناه
ومن بعد ما زرنا دخلناه دخلة * كأنا دخلنا الخلد حين دخلناه (١)
ونلنا امان الله عند دخوله * كما اخبر الفرآن فيما فراناه
فيا منزلا فد كان ابرك منزل * نزلناه في الدنيا وبيت وطئناه
ترى حجة اخرى اليه ودخلة * وذاك على رب الورى نتمناه
واخواننا ما كان احلى دخولنا * اليه ولبثا في حماه لبثناه (٢)
واخواننا اوحشتمونا هنالكم * فيا ليتكم معْنا اوان حففناه
نطوف به والله يحصي طوافنا * ليسفط عنا ما نسينا واحصاه (٣)
وبالحجر الميمون لذنا فانه * لرب السما في الارض للخلق يمناه
نفبله من حبنا لإلاهنا * فكم لثمة طول الطواف لثمناه
على لثمة للشعث والغبر رحمة * فكم اشعث كم اغبر فد رحمناه
وذاك لنا يوم الفيامة شاهد * وفيه لنا عفد وعهد عهدناه
ونستلم الركن اليماني رحمة (٤) * ونستغفر المولى اذا ما لمسناه (٥)
وملتزم فيه التزمنا لربنا * عهودا وعفو الله فيه لزمناه

---

(١) في الرحلة الناصرية كأنا دخول الخالدين دخلناه ـ (٢) في الرحلة الناصرية وبتنا في حماه لبثناه ـ (٣) كذا في الرحلة الناصرية وفي جميع النسخ واخطأناه ـ (٤) في الرحلة الناصرية طاعة ـ (٥) في الرحلة الناصرية سلمناه

وكم موقف فيه يجاب لنا الدعا * دعونا به والفضل فيه نويناه
ولما قضينا للاله مناسكا * ذكرناه والمطلوب منه سألناه
فمن طالب حظا لدنياه ما له * خلاق باخراه اذا الله لاقاه(١)
ومن طالب حسنى بدنيا لدينه(٢) * وحسنى باخراه وذاك يوفاه(٣)
وآخر لا يبغي من الله حاجة * سوى نظرة في وجهه يوم يلقاه

﴿ ذكر المشاهد التي ينبغي للحاج ان يزورها بمكة شرفها الله تعالى ﴾

منها الدار التي ولد فيها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد اتخذت الان مسجدا ومزارا عظيما تفد اليه الوفود من كل ناحية ايام المولد النبوي هذا على ما علم مما وقع من الاختلاف في كتب السير في مولده صلى الله عليه وسلم هل هو بمكة او بالابواء وعلى انه بمكة فقيل بالشعب وقيل بالمحصب الى غير ذلك من الاقوال ولا ادري من اين اخذ الناس تعيين هذا المحل بالخصوص اللهم الا ان يثبت ان تلك دار والده صلى الله عليه وسلم فيترجح القول بأنه في مكة بقضية عادية وهي ان ولادة الانسان في الغالب في منزل والده وان اريد بالشعب شعب ابي طالب الذي انحاز اليه مع بني هاشم وبني المطلب في قضية الصحيفة فلا يبعد ذلك لان هذه الدار قريبة من الشعب من اسفله والعجب انهم عينوا محلا من الدار مقدار مضجع وقالوا انه موضع ولادته صلى الله عليه وسلم .

قال شيخنا ابو سالم ويبعد عندي كل البعد تقييد ذلك من طريق صحيح اوضعيف لما تقدم من الخلاف في كونه بمكة او غيرها وعلى القول بأنه فيها ففي اي شعابها وعلى القول بتعيين هذا الشعب ففي اي الدور وعلى القول بتعيين الدار فيبعد كل البعد تعيين الموضع من الدار * بعد مرور الازمان والاعصار * وانقطاع الاثار * والولادة وقعت في زمان الجاهلية وليس هناك من يعتني بحفظ الامكنة لا سيما مع عدم تعلق غرض لهم

---

(١) في الرحلة الناصرية خلاقا لاخراه — (٢) في الرحلة الناصرية بدنياه ناويا — (٣) في الرحلة الناصرية يوفاه

بذلك وبعد مجيء الاسلام فقد علم من حال الصحابة وتابعيهم ضعف اعتنائهم بالتقييد بالاماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعي لصرف اعتنائهم رضي الله عنهم لما هو اهم من حفظ الشريعة والذب عنها بالسنان واللسان وكان ذلك هو السبب في خفاء كثير من الاثار الواقعة في الاسلام ومن مساجده عليه الصلاة والسلام ومواضع غزواته ومدفن كثير من اصحابه مع وقوع ذلك في المشاهد الجليلة فما بالك بما وقع في الجاهلية لا سيما ما لا يكاد ان يحضره احد الا من وقع له كمولد علي رضي الله عنه ومولد عمر ومولد فاطمة رضي الله تعالى عن جميعهم فهذه اماكن مشهورة عند اهل مكة فيقولون هذا مولد فلان وذلك مولد فلان وفي ذلك من البعد ابعد من تعيين مولده صلى الله عليه وسلم لوقوع كثير من الايات ليلة مولده صلى الله عليه وسلم فقد يتنبه بعض الناس لذلك بسبب ما ظهر من الايات وان كانوا اهل جاهلية واما مولد غيره ممن ولد في ذلك العصر فتكاد العادة ان تقطع بعدم معرفته الا ان يرد خبر عن صاحب الواقعة بنفسه أو احد اهل بيته وحاصل الامر ان هذه الاماكن اشتهرت بين الناس فتزار بحسن النية رعاية لتعظيم قدر من اضيفت اليه صلى الله عليه وسلم فليستحضر الزائر في قلبه عظمة من نسبت اليه الامكنة وعظمة تلك النسبة ولا يشغل قلبه بصحة النسبة وضعفها لوجودها في الخارج ولو عدمت في نفس الامر لرعاية تعظيم الموجودة على النسبة له أثر كبير في الجلب والدفع نسأل الله تبارك وتعالى ان يجعلنا ممن يعظم حرماته وشعائره تعظيما يوافق امره ومن المزارت ايضا مولد فاطمة رضي الله عنها والنفس اميل الى صحة هذا المكان اكثر من غيره ومنها البيت الذي سكنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع السيدة خديجة رضي الله عنها وولدت فيه الاولاد وفيه توفيت ولم يزل صلى الله عليه وسلم مقيما به حتى هاجر ومنها مولد علي رضي الله عنه ومنها دار ابي بكر الصديق رضي الله عنه وبقربها حجر في جدار فيه كأثر المرفق يقال ان مرفق النبي صلى الله عليه وسلم غاصت فيه لما استند اليه والناس يتمسحون به ويتبركون ومنها دار الخيزران عند الصفا فله فيها صلى

الله عليه وسلم تردد وافامة ومنها مسجد البيعة الذي بايع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الجن ومنها مسجد ابراهيم بعرفة وهو غير الذي يصلي فيه الامام ولا يعرف اليوم ومنها مسجد الكبش بمنى الذي نزل فيه فداء اسماعيل عليه السلام ومنها مسجد باجياد يقال له المتكأ قيل انه صلى الله عليه وسلم اتكأ هناك ومنها مسجد العقبة حين بايع الانصار ومنها غار جبل ثور الذي اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه في هجرتهما وصرح القرآن بذكره في قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار وجبل ثور على ثلاثة اميال من مكة اذا مر السالك اليه فيما بين الخندمة وابي قبيس وهو وراءهما واما من مر باسفل مكة حتى يدور اليه باضعاف ذلك وعليها يسلك من مر راكبا مع بعدها لتوعر الطريق وهو جبل منقطع عن الجبال التي حوله ذاهب في الهواء مشرف على كل ما حوله من الجبال مكسو جلالة ومهابة صعب المرتقى غاية وارتفاعه في السماء نحو من ثلاثة اميال والغار في اعلاه من الناحية الموالية لمكة. وهو من عجائب آثار قدرة الله تعالى وله بابان بابه الاصلي الذي دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم مع صاحبه ابي بكر رضي الله عنه من ناحية الغرب وهو صغير جدا ملاصق بارض الغار وهو شق صغير بين صخرتين عرضه نحو ثلاثة اشبار وارتفاعه ازيد من شبرين .

قال ابو سالم ولقد خيل لي عند ما رأيته ان احدا لا يمكنه الدخول منه فايست من الدخول منه حتى رأيت من هو اعظم مني جثة قد دخل منه فتحاملت ودخلت من ذلك الشق مع مشقة وترتيب اعضاء من تقديم احدى اليدين الى المنكب واتباع الرأس لها وارسال اليد الاخرى مع الجنب .

ولقد طال تعجبي من معرفة الناس بكونه غارا واسعا من داخل فهو ان لم يكن معروفا عندهم قبل ذلك معهودا فالاقرب انه بالوحي او إلهام من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم لان العادة تكاد تقطع بأن مثل ذلك لا يكون كهفا متسعا من داخل اذ هو صخرة واحدة منقطعة عن غيرها منكفئة على اخرى منقورة في وسطها قدر قامة الانسان ارتفاعا

وسعة نحو العشرة اذرع ولولا عظم الصخرة وتواتر الخبر بأنه كذلك من قديم الدهر لتوهم انها صخرة نقرت في وسطها ثم قلبت على اخرى بصنع آدمي واما الباب الاخر فانه الى ناحية المشرق وهو واسع يدخل منه الانسان ويخرج كيف شاء وزعموا انه مفتوح بصنع الادمي وان سبب فتحه ان شخصا تكلف الدخول فلم يقدر على الخروج وكرهوا تغيير الباب الاصلي بتوسعته ففتحوا هذا الباب من الناحية الاخرى لخروج هذا الشخص وليدخل منه من لم يقدر على الدخول من الباب الاصلي .

وبازاء هذا الباب المفتوح مصطبة محوط عليها باحجار شبه مسجد مفروش برمل والناس يصلون فيه ويصلون ايضا في داخل الغار وفوق الغار في قنة الجبل غار كبير واسع تحت صخرة عظيمة مفتوح من جوانبه محوط عليه باحجار شبه مسجد آخر يجلس فيه الناس ولا ادري ما اصله وفيه منظر رائق يشرف منه الانسان على بلاد كثيرة قال ولم ار في تلك الناحية جبلا اعلى منه الا جبل اكرى الذي يصعد منه الى الطائف .

وقد ذكر بعض من الف في اخبار مكة وجبالها ان من زار هذا الغار وكان به حزن آلمه وسأل الله إذهابه أذهبه الله عنه ولا يحزن بعد ذلك وكانه اقتبس ذلك من قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا انتهى .

ومنها جبل حراء وفضله مشهور وفيه الغار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث فيه قبل النبوءة وفيه نزل الوحي اول ما نزل وفيه نزلت سورة اقرأ كما في الصحيح وهو جبل متوحد باعلى مكة على ثلاثة اميال منها وعلى رأسه قبة .

قال ابو سالم ترى هذه القبة من المسجد الحرام والغار في اعلاه من الناحية الغربية الموالية لمكة وهو مع صعوبته قد سويت طريقه وازيلت الاحجار المتعرضة من غالب طريقه وبني ما يحتاج للبناء فيها حتى ان الدابة يمكنها الصعود براكبها الى اعلاه وفي اعلاه شبه مسجد على باب القبة يصلى فيه والغار اسفل من القبة بين صخرات هنالك وهو صغير جدا يسع

ثلاثا او اربعا فيما اظن و يصلي فيه الناس للبركة وقد جلسنا هنالك هنيئة وباب الغار متنكب الى ناحية الشمال .

قال وقد كنت اسمع قبل هذا ورايته منصوصا ان الجالس في الغار يرى الكعبة ولذلك اختار النبي صلى الله عليه وسلم التحنث فيه لان النظر الى البيت عبادة فتجتمع له فيه انواع العبادات التي لاتكاد تجتمع في غيره وهذا لا يصح الا ان أريد المحل الذي هو فيه فان البيت قبل ان يتكنفه البنيان العظيم قد يظهر من الخارج واما من الغار فلا .

قال واخبرنا شيخنا ابو مهدي انه خرج ذات مرة للتحنث بهذا الغار وكان يخرج اليه بهذا القصد قبل ذلك وخرج اليه في هذه المرة مع ثلاثة من اصحابه من الهنود وكان اثنان مقيمين معه والثالث يتردد عليهما بما يحتاجون من ماء وطعام .

قال وكان معي بداية المجتهد للحفيد ابن رشد اطالع فيها احيانا فبينما هو ذات يوم في الغار وصاحباه في القبة والثالث تحت صخرة هنالك اذ عرض في السماء عارض غيم وبرق ثم ارزم الرعد واتى بامر هائل ما رأيت مثله قط فلم اشك انه الموت ولزمت مكاني وطبت نفسا بشروف البقعة فقلت حبذا لقاء الله تعالى في هذا المكان والزمت نفسي حضور القلب منتظرا حلول القضاء حتى انكشف ذلك وخرجت من الغار فاذا صاحباي اللذان في القبة قد ماتا واحدهما جالس على هيئته لم يتغير منه شعرة والاخر ساقط قد سال الدم من بعض منافذه فلم ار منظرا اهول ولا افزع من ذلك فالتمست الثالث من اصحابي فوجدته تحت صخرة وقد سلمه الله تعالى فبعثته الى مكة ليعلم اصحابنا فبقيت هنالك وحدي منفردا معهما في الليل فلم ار امرا افزع ولا اوحش من ذلك ولا اعظم واشق علي من الحال التي كنت عليها في الغار فما جاءني الناس مع صاحبي حتى كدت اهلك غما فاحتملنا صاحبينا وذهبنا ومن ذلك الوقت ما رجعت للتحنث الا ان اذهب زائرا ثم ارجع .

قال ابو سالم والانفراد عن الناس لاسيما في المفازات والمغارات البعيدة عن العمران

لا يقوى عليه الا من ايد بروح القدس وكانت له همة عالية وسقطت من قلبه مخافة غير الله تعالى فان الانسان دني الطبع لا يحتمل وحشة الانفراد لاسيما ان نزلت به ملمة وهو منعزل عن الناس فان عيشه يتكدر وحاله يتغير وتضيق نفسه وتخرج من معتادها فربما يتلف من ذلك او يذهب عقله واما من كان قلبه متعلقا بالله لا يلتفت الا اليه في السراء والضراء فذلك هو قرة عينه ولو انطبقت السماء على الارض ما زاده ذلك الا تلذذا بما فيه لانه في تلك الحال يقوى تعلقه بربه وانحياشه اليه وتنتفي الخواطر المشتتة له في اودية الاغيار واي شيء هو طلبة المريد وبغيته الا هذه الحال ولذلك قيل مواسم العافات اعياد المريدين .

قال ولا اظن أن شيخنا في ذلك الوقت كان من اهل هذه الحال لما غلب عليه من محبة العلوم الرسمية وصرف بعض الهمة اليها يدل على ذلك استصحابه لكتاب بداية المجتهد ومن كانت هذه حاله وان كانت محمودة لا يقوى على تحمل واردات القدر الخارجة من باب القهر المتلققة بمروط الجلال والهيبة لتعلق قلبه بامور وخيالات وعلوم هي في الحقيقة وسائل فاذا تجلى الحق بصفة القهر ذهبت الوسائل وحق الحق وبطل ماكانوا يعلمون فيفجأ القلب امر غير معهود له ولا مألوف ولا متصور قبل ذلك فلا تسأل عما يكابده من ألم الغربة والوحشة والخروج عن المالوف نسأل الله تعالى ان يثبت قلوبنا ويؤيدها بنور المعرفة عند كل وارد وعند واردات القهر خصوصا ويشهدنا اللطف المصحوب بها ويغرقنا في بحار التلذذ بمشاهدته حتى لا نحس بذلك وعافيتك اوسع لى يا ارحم الرحمين انتهى .

ومنها الجِعْرَانة وهي موضع بين مكة والطائف وهي الى مكة اقرب بكثير بينها وبين مكة ثمانية عشر ميلا ومنها كانت عمرة النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة حين قسم غنائم حنين كما في الصحيحين وذكر المحب الطبري عن الواقدي ان احرامه صلى الله عليه وسلم بالعمرة منها كان ليلة الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة .

قال المحب الطبري ومنها يحرم اهل مكة كل عام في ليلة سبع عشرة من ذي القعدة وذلك خلاف ما ذكره الواقدي .

قال القاضي تقي الدين الفاسي مورخ مكة في شفاء الغرام وما ذكره الطبري يخالف ما ادركنا عليه اهل مكة فانهم يخرجون من مكة في اليوم السادس عشر من ذي القعدة ويقيمون اليوم السابع عشر بالجعرانة ويصلون المغرب بها ليلة الثامن عشر ويحرمون ويتوجهون الى مكة وهو يلايم ما ذكره الواقدي .

قال الحطاب وعلى ما ذكره القاضي تقي الدين ادركنا عمل اهل مكة ﴿ قلت ﴾ ولا ادري متى انقطع عمل اهل مكة هذا فانهم الان لا يحرمون منها ولا تكاد تجد احدا يعلم انها من مواقيت العمرة الا من مارس كتب الفقه منهم واما العوام فلا يطلقون اسم العمرة الا على التنعيم ومكانها وادي افيح كثير العضاه وماؤه شديد الحلاوة غزير وبها بئران عظيمتان مطويتان بالحجر المنحوت وعنده دوحات عظيمة وعلى شفير الوادي مكان مسجد يقال ان منه احرم النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن فضائلها ما يروى انه احرم منها بالعمرة ثلاثمائة نبي ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم فحص موضع مائها بيده المباركة فانبجست فشرب منه وسقى الناس ويقال انه غرز فيه رمحه فنبع ومنها مسجد التنعيم حين اعتمرت عائشة رضي الله عنها وفي مكة غير هذا من المساجد التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار مشهورة عند اهل مكة قد تطاولت عليه الاعصار ووجدنا التنصيص على اشتهارها في القرون الماضية من كثير من المورخين والمرتحلين مع العلم بعدم اشتهارها في القرن الاول والثاني وما يقرب منهما فتزار بالنية المتقدمة وبنية من دخلها وتبرك بها من المسلمين من لدن تلك الاعصار الى الان وقد علم اختلاف الائمة في القديم والحديث في تتبع هذه الاثار والمشاهد التي لم يرد بها خبر صحيح بمكة والمدينة والقدس وميل اكثرهم لا سيما المالكية الى عدم التقييد بذلك لما علم من شدة حرصهم على الاتباع فقد

ورد ان سيدنـا عبد الله بن عمر رضي الله عنهمـا ارتحل الى المسجـد الاقصى فلما دخلـه لم يزد على ان صلى فيه ركعتين ودعا ورجع من يومه ولم يقف الى الصخرة ولا الى غيرها من الاثار والمشاهد الكائنـة هناك مع كثرتها اذ لم يصـح في الحديث الا اتيانه للصـلاة فاقتصر على ما صح عنده ولم يعرج على غيره والكل ان شاء الله تعـالى مصيـب * ففاز من الاجر باوفر نصيب * فل كل يعمل على شاكلته * وحسن نيته وصفاء طويته .

(انعطاف) الى ما كنا بصدده وهو اننا لما صلينا الظهر والعصر في المسجد المشهور وهو مسجد نمرة توجهنا الى محل الوقوف والمشاهدة * ومكان التضرع والمساعدة * زاد الاشتياق الى الجليل * والتعلق بكل حبيب وخليل * فاصاب الناس شدة الحر والوهج * حتى كاد ان يذيب الاكباد والمهج * فتفرقت النـاس على رفع احمالها * وسلكت مسالـك جمالها * فركب من ركب ومشى الماشي و الغريب * وساق الابل كل اجير ونقيب * وقد انفصل الجميع بالتوجه والادب * الى محل الاعتراف والاغتراف من فيض القرب * وعند ذلك تظهر زفرات المحبيـن * ولوعة المخبتين والمشتاقيـن * فحركها ريح السعـادة لمأوى الرضى والتوفيق * ان لم يصبها وابل فطل من رضى مولاها بالتحقيق * نعم كادت النفوس ترجع الى اصولها * وتتنور بنور المعارف في تنقلاتهـا * فقذف بها ما سكن فيها حيـن تحرك * وازعجها تلاقـي الارواح في ذلـك الفلـك * ثم القوالب والاجباح تابعـة * والصفقة السعيدة رابحة * فشمروا لما وصلـوا * واهلوا لما به اهلوا * فدخلنا محل الوقوف بالذل والمهابة * والروع والخوف والانابة * والدعاء والتضـرع والاضطرار لنفع الاجابة * فوقفنا راكبين * لسنة نبينا صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء والتابعيـن * غير ان الركوب على الابل افضل * اقتداء به صلى الله عليه وسلـم واجمل * وانا وقفت على بغلتي وكذا اخي في الله سيدي احمد الطيب ومثله سويداء القلـب سيدي احمد بن حمود وانسان عين قلبي سيدي محمد الشريف الطرابلسـي وقد وقفنا عند الاحجـار قرب الجبل واما تحـت الجبل ففيه الزحمـة الكثيرة التي تمنع الانسـان الدعاء فالزمنـا الدعاء لانفسنـا سرا وجهر

عموما وخصوصا مجتهدين غير مقصرين لعل الله يقضي حوائجنا الظاهرة والباطنة * وان يجعل هممنا عالية ونفوسنا كاملة * وان يطهرها من التعلق بسواه * لتكون مطمئنة به وصاحبها معتصما بمولاه * فالزم الكل التضرع والابتهال * واللجأ والاضطرار والتنقل من حال الى حال * فعم الله الجميع بالعفو والمغفرة والمنة والافضال * وكيف لا والموسم فيه النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الانبياء ومن خص بالارسال * وكذا اهل الوقت من اهل التصريف والخضر والياس ومن نعت بالكمال * فاستمر جميعنا الى تحقق الغروب والخطيب يخطب * وبدعائه تقضى الحوائج (١) وتنفرج الكُرَب * ريحانة(٢) او عرفة موضع جود وكرم ورحمة ووسع تعم الحاج وغيره كالمتسوفين والمتنزهين لانها فيها قوم لا يشقى بهم جليسهم وهو محل عظيم لا يغضب فيه الرب تعالى وانما ينظر بالرحمة الى اهل السعادة من اوليائه فتصيب جميع من فيها وان الله يغفر الذنوب الكبائر والصغائر لاهل عرفة وانه يعطي عنهم التبعات ويتولاهم بالخصوصية وان الواقف بها يستأنف العمل فهو كيوم ولدته امه .

وهذا كله نص عليه الفاسي في شرح دلائل الخيرات وان الشيخ زروق رجح القول بالتكفير بالحج للصغائر والكبائر خلافا لابن عبد البر ومن تبعه القائل بأن الكبائر لا تغفر الا بالتوبة او بفضل الله تعالى لان التكفير خاص بالصغائر وهذا القول خلاف المعتمد وان قال بعض انه مجمع عليه لان من فضل الله تعالى ان تغفر بعض الذنوب بالاعمال الصالحات وهو من فضل الله قطعا اذ لا مانع عقلا ونقلا لاسيما وقد نص عليه غير واحد وانه روي في ذلك احاديث صحيحة فلم يبق الا الجزم به او ترجيحه ويعضد هذا ما وقع لنا من المرائي الحسنة التي لا شك فيها اذ لا يمكن افشاؤها وفي التلويح * ما يغني عن التصريح * وفي الاشارة * ما يغني عن العبارة .

ثم ان من فضل الله علي اني نزلت على بغلتي ونويت رؤية الخطيب الذي يخطب

---

(١) في نسختين بياض — (٢) في نسخة بياض

بها لتعلق همتي به وتافت نفسي ايضا لسماع كلامه وهو لا تمكن رؤيته لازدحام الناس عليه ربما فاصده ان احتمل المشي اليه والاجتماع به مات او انكسر وذلك معلوم بالعيان الا من سبق الى مكان قبل اجتماع الجموع فيها فتوجهت الى موضعه ورأيته فدخلت الصف الذي يليه والناس حوله بالاعمدة يضربون من يريده فلما توجهت اليه ودخلت من حوله واذا بالناس تركوا لي ممرا اليه وفرجة لديه الى ان وصلت الى الضاربين بالاعمدة فاتى الي واحد منهم فاخذ بيدي الى ان بلغ بي اليه وسلمت على ركبته وسمعت كلامه اعني خطبته وتبسم في وجهي وانبسط ولم ينقبض وهو رجل شريف كبير السن وكلامه عليه حلاوة وطلاوة يعلوه نور وهو اجمل خلق الله قدا وخدا بياضه مشرب بحمرة وسيع الوجه يتلالا نورا قد شاب فلم تبق فيه شعرة سوداء والله اعلم ولو حواجبه لا يسأم الناظر فيه فعلمت ان الله نوّر بصيرته وطهر سريرته واعلى همته فوجدت قلبي حين رأيته بل اخذ مجامع قلبي وان الله اسعدني برؤيته فلما قضيت مآربي منه رجعت الى موضعي واشتغلت بالدعاء الى أن تحقق الغروب لاخذ جزء من الليل لانه ركن يبطل الحج بتركه بخلاف الوقوف نهارا فانه واجب يجبر بالدم فنفر جميعنا بعد المغرب وتحقق الاخذ من الليل والامام قد نفر قبلنا غير انه لا يخرج من عرفة الا بعد تحقق الليل ﴿ نعم ﴾ قد وجدنا قلوبنا في ذلك المحل واننا شاهدنا فيه امرا عظيما لا يمكن التعبير عنه اذ يعلم الانسان من حاله آثار الوجود والقرب من الحبيب فعممنا بفضل الله تعالى بدعائنا القريب والبعيد والخاص والعام لان الوقت واسع فمنّ الله تعالى بفضله وكرمه وجوده ان جعلنا من اهل ذلك الموقف فنفرنا راكبين وماشين بين المغرب والعشاء مفترقين لا يعرف احد صاحبه الى ان وصلنا بعد العشاء مزدلفة فحط الجميع رحالهم اذ السنة هو ذاك فجمع الله بين المعارف والاقارب وصلينا المغرب والعشاء اذ السنة التاخير فبتنا هنالك في نعمة شاملة * ورحمة كاملة * ورفعة عظيمة * فحمدنا الله على ذلك * وشكرناه على ما هنالك * فلله الكمال والتمام فلما اصبح الله بخير الصباح ظعنا مغلسين كما هو الاثر والسنة وصلينا الصبح والتقطنا الجمار الجميع

من الحصا ثم كذلك الى قرب الاسفار وصلنا المشعر الحرام على اكمل حال واتمه فوقفنا به وقفة عبد خاضع * وذليل خاشع * انصدع القلب بالشوق اليه * والعشق لديه * فكل من له الفقه التام نوى بوقوفه منا الوجوب اذ بعض المذاهب يقول بوجوبه والورع ينوي به الخروج من الخلاف حسبما ذكروا ذلك في قراءة البسملة في الفرض ناويا الخروج من الخلاف ﴿ فان قلت ﴾ قراءة البسملة في الفرض مع نية الخروج من الخلاف وكذا نية الوجوب بالوقوف بالمشعر الحرام مخالف لمذهب مالك والقائل به ممن يقتدي بمالك فكيف يمكن الجمع بينه وبين هذا المذهب ﴿ قلت ﴾ لا اشكال في ذلك والله اعلم لان مذهب مالك كراهة البسملة واستحباب الوقوف بالمشعر الحرام فما هذا الا كونه احتياطا مع نفي الخلل بفعل ذلك فالحاصل ان الاحتياط في الشيء مع كونه غير موجب للخلل في نفس العبادة هو من قواعد مالك اذ مذهبه مبني على سد الذرائع والاحتياط فهو من لازم مذهبه وان كان ليس صريحا من مذهبه وانما تكره البسملة في الفرض اذا نوى انها آية من الفاتحة جزما فذلك مكروه على مذهب امامنا واما ان نوى الخروج من الخلاف احتياطا فان مالكا لا يقول بكراهته بل لو سئل لقال بكونه حسنا وكذا نية الوجوب في الوقوف بالمشعر ومثلهما في الفقه كثير .

فلما وقفنا وجدنا امير مصر واقفا هناك داعيا مستقبلا المحل المذكور وهو من طرف المزدلفة من جهة منى فسألنا الله تعالى في الوقوف به سؤال مضطر ذليل خاضع (١) وكل من رآنا من الركب وقف معنا وسألنا عن ذلك الموضع فاخبرناهم به وانه يستحب الوقوف عنده وانه من شعائر الحج ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ووقفنا عنده وقوف قربة وطاعة الى طلوع الشمس وانتشارها فسألنا الله تعالى قبول حجنا واخلاص سعينا وربح تجارتنا وزوال الحجاب عن سرائرنا والدخول لحضرة الله والتمتع بالنظر لوجه الله

---

(١) في نسخة سؤال اضطرار وذل وخضوع

تعالى والموت على حسن الخاتمة بمنه وكرمه وان يجعل البركة في ذريتنا وان يرزق الاخذين عنا بالعلوم والمعارف الالهيـة والفتوحات اللدنية والمواهـب الربانية والاخلاق المحمدية والتخلق باوصاف الله تعالى التي يجوز التخلق بها والتعلـق بجميع اسمائـه والخروج عن الاكوان بمشاهدة المكون واتباع الشريعة ونهج الحقيقة والتادب باداب الاشياخ ومواسـاة الاخوان وموادتهم على لسان الشريعة والنصيحة للامة المحمدية بان يجعل الكبير ابا والصغير ابنا والمساوي اخا وتعليم الجاهل بالرحمة والشفقة واخذ العلم بالتواضع وحرمة الاولياء وحسن الظن في جميع المسلمين عند عدم المخالطة والا فسوءه حتى يظهر خلافه والتسليم للفقـراء فيما لم يكن مجمعا عليه والتصديق باحوال اهل الله تعالى من مواجدهـم ومواردهم وخـرق العادة في حقهم اذا كان مغلوبا مطلقا اوكان متبعا للسنة هذا وان المشعر الحرام موضع عظيم لا يكاد يخفى فضله على كل مسلم فضلا عن الاتقياء .

ولما وصل وقت الاسفار سرنا منه الى ان وصلنا الى بطن محسر وكثير من الناس لا يعرفه وقد شغفت بالسؤال عنه فلم اجد من يعرفه بالعيان نعم لما توجهنا الى الطلوع الى منى راينا الناس يسرعون فيه بالمشي فلدناهم في ذلـك فأسرعنا فيه فذلـك هو والله اعلم .

قال شيخنا سيدي احمد بن ناصر ما نصه وهو وادي النار واسرعنا وحركنا دوابنـا وهو من اول ما تحاذي البركة الخربة التي على يسارك ان مررت بطريق الاركاب وانت ذاهب الى منى حتى تاخذ في الطلوع الى منى وترتفـع بك الارض وبهذا عرفه اعلم اهل عصره بالمناسك خليل المكي حسبما نقله عنه البلوي في رحلته اذ سأله عن حده والاسراع فيه مشروع ذهابا وايابا فمضينا كما نحن على الطريق الكبرى التي تشـق منى الى ان اتينـا جمرة العقبة ورميناها بسبع حصيـات من اسفلها مكبرين مع كل حصاة كما كنا راكبين غير راجلين كما هو السنة عن سيد الاوليـن والاخرين عليه افضل صلاة المصليـن وازكى سـلام المسلمين انتهى .

﴿ انعطاف ﴾ فسرنا الى قرب منى فتسارعنا كالناس المسارعين في وادي النار فعلمت

انه هو وان لم نعرف الحدود ثم كذلك الى ان وصلنا جمرة العقبة فرميناها كما قال شيخنا بالتكبير الخ .

فرجعنا فمن عنده هدي ذبحه ثم حلقنا كما هو السنة ثم ذهبنا الى مكة في غير وقت الفضيلة وهو قرب العصر لطواف الافاضة وهو ركن فطفنا ذلك الوقت فوجدنا باب الكعبة مغلقا لانه يفتح ذلك اليوم غير انه عند الزوال فمن اسرع ادركه ومن لا فلا ونحن اشغلنا امر الاهل فمنعنا من المشي ذلك الوقت غير ان الاركان قد تمت وان فاتني الدخول ذلك الوقت فقد دخلناها مرة اخرى والحمد الله اذ دخلت في الليل غير ان الزحمة كثرت على الباب فلما دخلت الكعبة وجدت فيها فسحة عظيمة وهي مملوءة بالناس والزمان زمان الحر وركعت ركعتين وجعلت الباب وراء ظهري ثم ركعتين ركعة لكل جانب منها وقد علاني من الهيبة ما لا يعلم به الا الله فينبغي للانسان ان يصحبه الاجلال والهيبة النورانية والعظمة والابتهال والخشية والتذلل والمسكنة فيعتقد انه ضيف ربه وان الرحمة قريبة منه هناك فلا ينبغي ايضا النظر الى السقف الا للعلم به فيخف الامر كما ذكره شيخنا المتقدم حاصله يستحب الدخول اليها الا اذا كانت زحمة فلا يليق دخولها بل تركه اولى هذا كله اذا كان فيه السلامة من الاذاية للمسلمين والا فيحرم نعم الحال يحمل الانسان على اكثر من هذا وقد حصل لي عند الدخول امر عظيم لا استطيع التعبير عنه اذ ورد علي حال عظيم وابتهال قوي وقد طال بقاؤنا فيها حتى قضينا حوائجنا على التمام والوفاء فالله يتقبل منا ومن كل من كان معنا بمنه وكرمه اذ يحدث عند الدخول امر عظيم لا يمكن التعبير عنه غير انه لا ينبغي رفع البصر فيه الى السقف بل يستشعر الداخل عظمته وحرمته وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت عجبا للمرء المسلم اذا دخل الكعبة كيف يرفع بصره قبل السقف ليدع ذلك اجلالا واعظاما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة فما خالف نظره موضع سجوده حتى خرج منها صلى الله عليه وسلم .

والبيت الان على ثلاثة اعمدة من العود ونفصوا منه من جهة الحجر مقدار السلم ولما فرغنا من الطواف ركعنا خلف المقام واكثرنا من شرب ماء زمزم عند ذلك واني شربته بنفس اشتياق فذقت منه طعم الحليب السخن ولقد سألت عن ذلك من ظننت فيه الذوق اخبرني بذلك ولا سعي بعد طواف الافاضة [لمن قدم السعي عند طواف القدوم ونحن قد سعينا عنده فلا سعي بعد طواف الافاضة](١) وكثير من الجهال يعيد السعي وهو عذاب من غير فائدة اذ الاول كاف حاصله ان السعي لابد وان يكون بعد طواف واما كونه بعد طواف واجب فيجبر بالدم وكثير من المتفقهة يعتقد ان من لم ينو الفريضة اعاد السعي كما حكاه الامام ابو سالم وليس كذلك اذ شرط صحة السعي ان يكون متوقفا على الطواف واما كونه واجبا فيجبر بالدم اذ كونه بعد طواف شرط وكونه بعد الفرض واجب فيجبر بالدم فان من سعى بعد طواف القدوم صح ولو لم يستحضر نية الوجوب لان نية الاحرام كافية اذ النية عند الاجزاء غير شرط كما في الصلاة وبالجملة فان علم بالتلازم بين السعي والطواف فلا دم والا فدم اذ الفريضة هي العلم بالتلازم بين السعي والطواف الخ ما ذكره انتهى .

وقد ذكر الشيخ يحيى الحطاب وكذا والده في شرحه على المختصر ان من سعى بعد طواف الوداع او طواف تطوع يؤمر باعادته ان كان بمكة وان تباعد لزمه الهدي وقوله ونوى فرضيته اي فلابد ان يكون السعي بعد طواف ينوى فرضه كطواف القدوم وطواف الافاضة هذا معناه وان كان هذا غير ظاهر منه انظر الشيخ ابراهيم الشبرخيتي وغيره .

ولما فرغنا من الطواف استرحنا ساعة في أخريات المسجد بل صلينا المغرب فيه وقد خالفنا السنة لانه من السنة ان ياتي الانسان قبل الزوال فيطوف ويرجع ويصلي الظهر بمنى كما هو فعل النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انما صلى الظهر بمكة وكان نزولنا في منى بسفح

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة

الجبل وراء المسجد الكبير قرب مسجد محوط اعني غارا يشبه المسجد الصغير والناس يزورونه ويصلون فيه وقد زرته والله اعلم انه الغار الذي نزل فيه والمرسلات وخبره مذكور في الصحاح(١) واسم الجبل ثبير انظر رحلة شيخنا سيدي احمد بن ناصر وانما نزلنا هناك لقرب المسجد وللاستخلاء والتستر وامكان المشي الى الجمرات لقلة الخلق فيه ولقد جمع الله فيه من اصناف الخلائق ما لا يعد ولا يحصى وكذا ما ذبح في منى من الهدايا فلا تعلم(٢) الغني والفقير وهي ضيافة عظيمة لا يقدر على القيام بها الا خالق هؤلاء الخلق لقد كثر اللحم وانتشر حتى استغنى الخاص والعام فضلا عن الفقراء ومنى زمان الحاج آية عظيمة تدل على وحدانية الله وعظيم كبريائه وكذا مكة انها تسع الحاج بلغ ما بلغ وكذا مسجدها فانه يسعهم للصلاة وكل ذلك من الخوارق المستمرة الى قيام الساعة فالسعيد يحصل له اليقين التام والمعرفة الكاملة من اعتبار تلك الجموع ومن كفايتها ماء وطعاما وحطبا وعلفا وسعة(٣) وفواكه وبز(٤) التجارة فكيف يتوهم عاقل ثبوت الكمال لغيره تعالى وأنّى يصح لمتكبر ان يقول انا او لذي جاه ان يقول قدرت او لغني يقول ملكت اوذي سلطان يقول عندي عساكر فلم يبق الا التوكل على الله والاعتماد عليه فان العاقل تضمحل نفسه عند رؤية ذلك هيبة واجلالا وعظمة وحينئذ يرى سطوة البارئ عز وجل(٥) فينطق المعتبر قهرا وغلبة بقوله سبحان الملك الخلاق الا له الخلق والامر له الملك وله الحمد هذه الضيافة الحسية ما اشد وسعها اذ الغني ذلك اليوم ان سخا صار من ملوك الجنة والفقير صار غنيا فيه فالضيافة المعنوية اعظم لانها المغفرة الشاملة * والرحمة التامة * والنعمة العظيمة * والمثوبة القوية * بحيث يكون كل احد مغفورا له * ومنعما عليه ومقربا منه * ومحبوبا لديه وآخذا بيده * اذ ما كل موضع من تلك الاماكن الشريفة * الا له خاصية عظيمة * في الغفران والاستجابة وكل ذلك فضل

---

(١) كذا في جميع النسخ ولعله صحيح البخاري كما في السطر الاخير من ص ٣٩٨ — (٢) في نسخة ما عم — (٣) في جميع النسخ سيعة — (٤) في نسخة بزر — (٥) كذا في نسخة وفي غيرها بياض

من الله تعالى نسأله سبحانه ان يعمنا بفضله * و يتحفنا برضوانه * ويعاملنا باحسانه * وقد انقضى عنا يوم العيد وبتنا تلك الليلة في منى في نعمة شاملة * و بركة عظيمة * وعلينا منار الحج

بلغت يانفسي المنى في منى * وقد ازال الله عنك العنا
فاستنفذي وسعك في جده * وشيّدي منك بناء الثنا

ثم عمرت الاسواق * وكثرت الانفاق * واخرجت البضائع ذوات الاثمان وصنوف التجارات وتزاحم الناس على الشراء رجاء بركة ذلك المكان في ذلك الزمان واكثر التجار يقولون من اشترى شيئا في منى وجعله في تجارته وجد بركته وظهر له ثمرته ولا يبعد ذلك فانه موسم شريف ومحل بركة وتشريف ياتيه الناس من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم و يذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام وقد عمهم الله فيه من امر دنياهم واخراهم بغاية الانعام ولما زالت الشمس توضانا فخرجنا لرمي الجمار الثلاث بلا مهلة ولا توان مبتدئين بالجمرة الاولى التي تلي مسجد الخيف ووقفنا عندهما وقوفا ظاهرا بينا سائلين الله تعالى حوائج الدنيا والاخرة مبتهلين متضرعين لله عز وجل اذ المطلوب الوقوف عند الاوليين مقدار سورة البقرة عند الاولى وفي الثانية دون مقدار آل عمران وان لم نقف كذلك فقد وقفنا قريبا من ذلك عند الاوليين ثم سألنا الله الرحمة والعافية والتوفيق ولنا وللاحبة ولجميع المسلمين عامهم وخاصهم لا سيما القريب لنا في الله وفي الدم .

قال شيخنا المذكور ولما كانت الليلة الثالثة(١) بالغ اهل مصر واهل الشام في ايقاد المشاعل(٢) والمصابيح واتخاذ المصانع منها وصور الاشجار والاخبية واكثار الرمي بالمدافع والنبادق والمحارق المرتفعة في الجو وفي ذلك نزهة للابصار * وتسلية للافكار * ومجال للانتعاظ

---

(١) في الرحلة الناصرية الثانية وهو الاصوب — (٢) لا توجد هذه الكلمة في الرحلة الناصرية

والاذكار * والفبول والانكار * منزل جميع اصناب العباد * وحشر اليه عمار البلاد * بهو اجل الانديـة * ومبانيه احسن الابنيـة * تشرق بي النهار بساطيطه المؤنقة وبي الليـل بالمصابيح المشرقة .

فال الامام ابو سالم وبالجملـة بايام منى غرر بي اوجه الزمـان * ومواسم برح وسـرور لاهل الايمان * ومناهل رحمة ومغبرة من الله و رضوان * ومجال بركة وعابية وامان * يتجلى بيه الحق لوبده بصبة الجمال * جزاء على رضاهم فبل ذلك بتجلي الجلال * بهنالك يستصغر المرء ما فاساه بي طريفه من الشدائد * بي جنب ما حصل له من النعم والبوائد * انتهى .

وبي اليوم الثالث اخذ الناس بي الرحيل والتجهيز للانتفال الى مكة لفوله تعالى بمـن تعجل بي يومين بلا اثم عليه ومن تاخر بلا اثم عليه لمن اتفى وتعجلت الاركاب وطويـت الاخبية * ونفضوا الابنية * وبي تلـك الايام لا تفع صلاتنا الا بى مسجد الخيب الذي نزلنا حذاءه وهو المسمى بمسجد علي فيل ان علي بن ابي طالب اول من بناه وهو موضـع منزل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم بي حجة الوداع .

فال الامام ابو سالم هذا المسجد من المحراب الى الباب اربعمائة فدم وعرضه ثلاثمائـــة واربعون و بوسط المسجد فبة مثمنـة كل ثمن منها اربعة وعشرو ن فدما و رايت بي بعـض التواريخ ان بي محل هذه الفبة كان بسطاط النبي صلى الله عليه وسلم وصحن هذا المسجـد كبير اذ السفـب من مفدمه نحو اربعة من الصبوب ومن سائر الجوانب غير مسفـب فال وفد رايت فبل هذا بي احد سـواري هذا المسجد مكتوبـا ما اظن ان صورته هكذا

ايهـا الغـائبـو ن بـالله جـودوا * لغريـب بدعـوة ان فـدمتـم
كان ما فبـل هاهنـا مثل ما فد * كنتـم حاضـرا كمـا فد حضرتـم

وتحته مكتوب ما نصه

فد حضرنا بذا المكان وغبنم * وشهدنا به كما فد شهدتم
وذكرناكم بكل جميـل * باذكرونا بمثله ان حضرتـم

ووجدت في سارية أخرى بيتا مفردا وهو

ان في الجنة نهرا من لبن * لعلي وحسين وحسن

قال وقد صدق قائله الا انه تشم منه رائحة التشيع وان هذا النهر خاص بهم رضي الله عنهم وبمن والاهم دون غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم وهو مذهب الرافضة. ومذهبنا معشر اهل السنة انه لهم ولغيرهم من الصحابة وصالحي الامة رضي الله عن جميعهم وجعلنا ممن احسن من تابعيهم آمين انتهى .

فلما رمينا الجمار الثلاث عند الزوال وارغمنا بها انف الشيطان زرنا المساجد احدها فوق العقبة ولا نعرف ما اسمه والثاني مسجد في الشعب واظنه الذي نص عليه شيخنا في رحلته ونصه وملنا الى مسجد الكبش فزرناه ثم بعد مسجد العقبة اتيناه وهو المكان الذي بايع فيه الانصار رضي الله عنهم بيعة العقبة فهو من المساجد المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم المتبرك بها وهو معدود من الاماكن التي يستجاب الدعاء عنده وهو في الشعب تحت الجمرة بيسير على يسارك وانت ذاهب من مكة الى منى قال فسرنا فجئنا المحصب فنزلنا بازاء مسجد عائشة وصلينا الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقدنا رقدة ثم ذهبنا الى العمرة واحرمنا لها من التنعيم لتعذر الجعرانة من شدة الخوف وقلة الرفيق انتهى .

هذا وان شيخنا المذكور نزل المحصب للسنة وتاخر عن التعجيل ليحصل الفضيلة المتروكة والناس في زماننا قد تركوا ذلك كله الا من شذ من الناس لكثرة الاذاية والخوف من اللصوص وقد زاد الفساد والظلم والتعدي من الاشراف وغيرهم من اصحابهم فلا يكادون يرجعون عن التعدي بل على اقل شيء يقتلون عليه العبد ولقد قتلوا صاحب اخينا في الله سيدي محمد بن قسوم الريغي على شربه الماء .

حاصله اني دخلت على سلطان مكة المشرفة في داره في منى في بعض الابل ذهبت للحجاج اغار عليها العرب فاستأذنا في الدخول عليه انا وجماعة من الفضلاء فاذن لي منفردا في الدخول وحدي ومن معي بقي عند باب الدار ينتظرون ما ارجع به فلما

دخلت عليه وجدته جالسا على فرش مرتفعة مواجها باب طاق ينظر الاركاب ويعتبر ومعه اشخاص قليلة فلما قربت منه تحرك عن موضعه فقبل كتفي وقبلت كتفه ثم قال ما تريد قلت الجمال لان العرب اغاروا عليها عند البئر القلانية وقلت له الم تعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم يقول كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ﴿ نعم ﴾ لما سمعني قلت كلكم راع كمل وكلكم الحديث وقد فرح بي وسر سرورا عظيما لما علم اني صاحب علم وانبسط وجهه انبساطا كاملا فتحرك وجدا وقال نعم فان دخلنا مكة تاتكم الابل التي ضاعت لكم واعتذر لي بان قال ما ضيع الاحكام الا الاشراف فان امرهم قد قوي علي وعلى غيري او كلاما هذا معناه والله اعلم وقد سألني عن وطني ونسبي فاجبته بما حاصله اني من عمالة الجزائر واني شريف فلما اردت الانفصال سألني الدعاء له ولذريته وقام وودعني توديع الحبيب لحبيبه وهذا السلطان اسمه مساعد واما الحجة الاولى فقد كانت في ولاية اخيه السلطان مسعود وهذا كله يرشد الى ان الزمان قد زاد في الظلم والتعدي نعم الحج قد كاد ان يكون ساقطا من الظلم من الولاة واصحابهم والعرب والظلم الكبير من الشياليين زادوا في الارتياش للظلام والشكوة .

﴿ تتمة ﴾ قد دخلنا مكة وسكنا دارا بالكراء انا واهلي واما اصحابنا الفضلاء سيدي احمد بن حمود وسيدي احمد الطيب وسيدي احمد الشريف الطرابلسي واصحاب كل قد اكترى كل واحد دارا لنفسه مع اصحابه وانما يكون اجتماعنا في المسجد الحرام وقد لزمته ايامي هناك فلا اخرج الا لامر مهم لابد من الخروج اليه واني دخلت الكعبة كما ذكرنا اولا والله اعلم اني لقيت صاحب السعد الكامل في الطواف وفي بعض الجمرات تقبل الله من جميعنا ثم بعد ذلك اتينا بالعمرة من التنعيم لتعذر الجعرانة من الخوف كما سبق مع اغتسال جميعنا هناك واحرمنا بها وقضيناها ليلا بسعيها وطوافها وحلاقها والحمد لله على التمام ولله در شيخنا حيث قال

وردت الى البيت الحرام وبودنا * تحن له كالطير حن لمأواه
وطفنا طوافا للافاضة حوله * ولذنا به بعد الجمار وزرناه
ومن بعد ما زرنا دخلناه دخلة * كأنا دخلنا الخلد حين دخلناه
ونلنا امان الله عند دخوله * كما اخبر القرآن فيما قرأناه

الى ان قال

وكم موقف فيه يجاب لنا الدعا * دعونا به والفضل فيه نويناه
ولما قضينا للاله مناسكا * ذكرناه والمطلوب منه سألناه
فمن طالب حظا لدنياه ماله * خلاق باخراه اذا الله لاقاه
ومن طالب حسنى بدنيا لدينه * وحسنى باخراه وذاك يوفاه
وآخر لا يبغي من الله حاجة * سوى نظرة في وجهه يوم يلقاه

قال شيخنا المذكور « ذكر المشاهد التي ينبغي للحاج ان يزورها بمكة شرفها الله تعالى » منها الدار التي ولد فيها صلى الله عليه وسلم وقد جعلت الان مسجدا ومزارا عظيما تفد اليه الوفود من كل ناحية ايام المولد النبوي هذا على ما علم مما وقع من الاختلاف في كتب السير في مولده صلى الله عليه وسلم هل هو بمكة او بالابواء وعلى انه بمكة فقيل بالشعب وقيل بالمحصب الى غير ذلك من الاقوال ولا ادري من اين اخذ الناس تعيين هذا المحل بالخصوص اللهم الا ان يثبت ان تلك دار والده او جده صلى الله عليه وسلم فيترجح القول بأنه في مكة بقضية عادية هي ان ولادة الانسان في الغالب في منزل والده وان اريد بالشعب شعب ابي طالب الذي انحاز اليه مع بني هاشم وبني المطلب في قضية الصحيفة فلا يبعد ذلك لان هذه الدار قريبة من الشعب من اسفله والعجب انهم عينوا موضعا من الدار مقدار مضجع وقالوا انه موضع ولادته صلى الله عليه وسلم .

قال شيخنا ابو سالم و يبعد عندي كل البعد تقييد ذلك من طريق صحيح او ضعيف لما تقدم من الخلاف من كونه في مكة او غيرها وعلى القول بأنه فيها ففي اي شعابها وعلى

القول بتعيين هذا الشعب في اي الدور وعلى القول بتعيين الدار فيبعد كل البعد تعيين الموضع من الدار مع مرور الازمان والاعصار وانقطاع الاثار والولادة وقعت في زمان الجاهلية وليس من يعتني بحفظ الامكنة لا سيما مع عدم تعلق غرض لهم بذلك وبعد مجيء الاسلام فقد علم من حال الصحابة وتابيعهم ضعف اعتنائهم بالتقييد بالاماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعي لصرف اعتنائهم رضي الله عنهم لما هو اهم من حفظ الشريعة والذب عنها بالسنان واللسان وكان ذلك هو السبب في خفاء كثير من الاثار الواقعة في الاسلام من مساجده عليه الصلاة والسلام ومواضع غزواته ومدفن كثير من اصحابه مع وقوع ذلك في المشاهد الجليلة فما بالك بما وقع في الجاهلية لاسيما ما لا يكاد يحضره احد الا من وقع له كمولد علي رضي الله عنه ومولد عمر ومولد فاطمة رضي الله تعالى عن جميعهم فهذه اماكن مشهورة عند اهل مكة فيقولون هذا مولد فلان وهذا مولد فلان وذلك من البعد ابعد من تعيين مولده عليه الصلاة والسلام لوقوع كثير من الايات في ليلة مولده صلى الله عليه وسلم وقد يتنبه بعض الناس لذلك بسبب ما ظهر من الايات وان كانوا اهل جاهلية واما مولد غيره ممن ولد في ذلك العصر فتكاد العادة ان تقطع بعدم معرفته الا ان يرد خبر عن صاحب الواقعة بنفسه او احد من اهل بيته وحاصل الامر ان هذه الاماكن اشتهرت بين الناس فتزار بحسن النية لعظم قدر من اضيفت اليه صلى الله عليه وسلم فليستحضر الزائر في قلبه عظمة من نسبت اليه الامكنة وعظمة تلك النسبة ولا يشغل قلبه بصحة النسبة وضعفها لوجودها في الخارج ولو عدمت في نفس الامر لرعاية تعظيم الموجودة على النسبة له اثر كبير يعني الجلب والدفع نسأله تبارك وتعالى ان يجعلنا ممن يعظم حرماته وشعائره تعظيما يوافق امره وقد مر قريبا ذكر باقي المزارات التي تزار في مكة .

﴿ ذكر من لقيهم في الحرم المكي من الائمة ﴾ الشيخ احمد المخيلي[1] الشافعي والشيخ عبد الله بن سالم البصري الشافعي والشيخ محمد تاج الدين مفتي الحنفية وابناه الشيخ عبد

---

(1) كذا في جميع النسخ وفي الرحلة الناصرية النخلي

المحسن والشيخ عبد المنعم والشيخ عبد القادر بن ابي بكر الحنفي المفتي كان تولى الفتوى قبل والشيخ محمد اكرم الهندي والشيخ مصطفى بن فتح الله الحموي المكي الشافعي وله تاليف على التاريخ ذكر فيه علماء الحادي عشر وصلحاءه وادباءه وملوكه وشعراءه اطلعني على سفر منه ذكر فيه المحمدين فقط ولم يكمل الى الان وله رحلة الى اليمن ولقي الوالد واخذ عنه وجعل له ترجمة والشيخ محمد بن عبد الباقي الاسكندراني المالكي والشيخ ادريس بن احمد الصعدي الشافعي وهو نسبة الى صعدة بلدة باليمن والشيخ عبد الرحمن السندي والد اكرم والشيخ عبد الكريم الهندي .

وفي عام ستة وتسعين التقينا بمكة واكرمنا بها الشيخ الحسين العجمي(١) والشيخ الحسين الحنفي المكي واهدى لنا عكازا من الخيزران والشيخ علي اليمني والشيخ عبد الله اليمني وهما من اصحاب سيدنا الوالد رضي الله عنه وطلعا معنا الى جبل ابي قبيس فجلسنا هنالك سويعات للدعاء ومشاهدة البيت العتيق والمسجد الحرام ومكة كلها وقيقعان وغير ذلك من الامكنة العظيمة وزرنا هناك وليا مدفونا بروضة عليه بناء باحجار وهناك بيت فوق شعب بني هاشم قالوا من حوله وحياله انشق القمر له صلى الله عليه وسلم وزارا معنا غير ذلك جزاهما الله خيرا انتهى .

واما من اجازه في مكة فانظره في رحلته وكذا من لقيه فيها واما من لقيته فيها فقد لقيت كثيرا من الفضلاء الاجلة والبدور الاهلة وكذا زيارة المواطن فقد زرت مقبرة مكة كالشيخ ابن حجر الهيتمي شارح الهمزية وكذا قبر زوج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وكذا الاماكن المذكورة في مكة .

واما الغار الذي اختفى فيه صلى الله عليه وسلم وكذا غار تحنثه اي غار حراء فانما زرناهما بالنية فقط عن بعد وكذا الجعرانة .

---

(١) الرحلة الناصرية العجيمي

﴿ تتمة ﴾ اذكر من اخذ عليه شيخنا سيدي احمد بن ناصر فافول فـال عن شيخنـا الانصاري وهو عن ابي محمد بن طاهر الحسني وابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن الدلائـي والشهاب ابي العباس المفّري التلمساني .

اما الاول فاخذه كذلـك عن غير واحد ومن اجلهم ابو العبـاس احمد بن علي المنجـور الفاسي وهو عن جماعة منهم ابو محمد عبد الرحمن بن علي بن احمد الفصري المعروف بسفين والعلامة ابو الحسن علي بن هارون المصغـري وابو عبد الله محمد بن عبد الرحمـن اليسيتننـي وابو محمد عبد الواحد بن احمد بن يحيى الونشريسي الفاسيون وهم اربعة اخذوه عن حافظ المذهب في عصره ابي عبد الله محمد بن احمد بن غـازي وزاد سفيـن عـن ابـي العبـاس احمـد زروق الفاسي و زاد عبد الواحد عن ابيه ابي العباس احمد بن يحيى الونشريسي التلمساني ثم الفاسي مؤلف المعيار المعروف في النوازل .

واما الثاني والثالث فاخـذاه عن ابي عبد الله محمد بن فاسـم الفيسي الشهير بالفصـار وهو عن اليسيتننـي وغيره والسيتننـي عمّن تفـدم وعن الففيه ابي العبـاس بن علي الزفاق الفاسي وهو عن ابيه علي بن محمد الزفاق و زاد الثالث وهو الشهاب المفري فاخذه عن عمه امام الفتوى بتلمسـان بالمغرب سنين سنة ابي عثمـان سعيد المفري وهـو عن ابي عبد الله محمد بن محمد التنسي وهو عن ابيه الحافظ ابي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني وفد انتهت الطرق باعتبار ما وففنا عليه الى خمسة اعيان من اعلام فاس وتلمسان الامام ابن غازي والشيخ زروق والعلامة الونشريسي والمحفق الزفاق والحافظ التنسي اما ابن غازي فعن جماعة من اجلهم ابو عبد الله محمـد بن فاسم الفوري اللخمـي المكناسي والمحفـق النظـار ابو العباس احمد المزدغـي وابو زيد الكـاواني اما الفـوري فعن الجاناتي واما المزدغـي والكاواني فعن ابي مهدي عيسى بن علال وابي الفاسم التازغدري والجاناتـي وابن عـلال فهما عن العبدوسي الفاسي وهو عن الفوري الفاسي صاحب التفييد على المدونة المنسوب لابي الحسن الصُغيِّر وعن شيخ الرسالة والمدونـة ابي زيد عبد الرحمـن بن عفـان الجزولي

والفوري عن شيخ الاسلام ابي الحسن الصغير بضم الصاد المهملة وفتح الغين المعجمة وتشديد المثناة التحية وهو وابن عفان الجزولي عن الشيخ ابي الفضل راشد ابن ابي راشد الوليدي الفاسي وعن شيخ المدونة الاعرج صاحب الطرر على المدونة وهما عن ابي محمد صالح الهسكوري الفاسي وهو عن ابي موسى المومناني وابي القاسم بن البقال وهما عن خلف ابن عبد الملك بن بشكوال وهو عن ابن عتاب وابي الوليد ابن رشد والقاضي ابي بكر ابن العربي وغيرهم .

واما الشيخ زروق فعن القوري وعن عالم الصلحاء وصالح العلماء ابي زيد عبد الرحمن الثعالبي الجعفري مؤلف شرح ابن الحاجب وغيره وعن ابي العباس حلولو شارح المختصر وغيره وعن قاضي الجماعة الرصاع التونسي شارح حدود ابن عرفة وغيره والثلاثة الرصاع والثعالبي وحلولو اخذوه عن النظار البُرْزُلي مؤلف النوازل المشهورة وزاد الثعالبي عن العلامة محمد بن خليفة الأُبّي مؤلف اكمال الاكمال والحافظ ابي الفضل ابن مرزوق الحفيد وزاد حلولو عن ابن ناجي شارح الرسالة والمدونة وزاد الرصاع عن ابن عقاب التونسي وزاد الرصاع ايضا مع الثعالبي عن عبد العزيز بن موسى بن معطي العبدوسي الفاسي والجميع ما عدا العبدوسي عن ابي عبد الله محمد بن عرفة الورغمي التونسي وزاد البرزلي عن قاضي الجماعة احمد بن حيدرة التونسي واما العبدوسي فعن ابيه ابي عمران العبدوسي بسنده المتقدم واخذه الامام ابن عرفة والقاضي ابن حيدرة عن جماعة منهم قاضي الجماعة ابو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري التونسي شارح ابن الحاجب وهو اخذه عن جماعة منهم العلامة المعمر(١) والامام المجتهد محمد بن هارون التونسي شارح ابن الحاجب ومختصر المتيطية وهما اخذاه عن جماعة منهم ابن هارون القرطبي ثم التونسي وهو عن ابي القاسم ابن بقي القرطبي وهو عن محمد بن عبد الحق الخزرجي القرطبي وهو عن ابن فرج مولى ابن الطلاع .

(١) في الرحلة الناصرية باسقاط وهو اخذه عن جماعة منهم العلامة المعمر

واما الحافظ الونشريسي فعن جماعة اعلام اجلهم ابو الفضل قاسم بن سعيد العقباني التلمساني وولده ابو سالم والعلامة محمد العبادي التلمساني واخذه ابو العباس عن ابي الفضل قاسم المذكور عن امام المغرب وقطبه الحافظ المطلق ابي الفضل محمد ابن مرزوق الحفيد التلمساني وهما اخذاه عن ابي عثمان سعيد العقباني وزاد الحفيد عن ابيه وعن العلامة المحقق ابي محمد عبد الله بن محمد الشريف التلمساني عن الامام ابن عرفة بسنده المتقدم واما العقباني وابن عرفة ايضا فاخذاه عن ابي عبد الله محمد بن سليمان السطّي وزاد العقباني عن التلمسانيّيْن ابي زيد وابي موسى ابني الامام وهما اخذاه عن جماعة منهم ابن تميم اليفرني وهو والحافظ السطي عن ابي الحسن الصغيّر .

واما والد الحفيد ابن مرزوق فعن والده الامام الجليل ابن مرزوق الخطيب وهو عن السطي بسنده وعن العلامة ابن راشد البكري القفصي شارح ابن الحاجب وهو عن العلامة المجتهد شهاب الدين احمد ابن ادريس القرافي مؤلف الذخيرة وغيرها وهو(١) عن القاضي ناصر الدين الابياري وعن العلامة النظار ابي العباس ناصر الدين ابن المنيّر الاسكندراني وثلاثتهم اخذوه عن امام التحقيق وفارس الاتقان ابي عمر جمال الدين عثمان بن ابي بكر ابن الحاجب وهو اخذه عن العالم الراسخ شمس الدين ابي الحسن الابياري بكسر(٢) الهمزة وسكون الباء الموحدة بعدها مثناة تحتية وهو اخذه عن ابي طاهر اسماعيل بن مكي بن اسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري من ذرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وهو عن الامام الكبير ابي بكر الطرطوشي .

واما العلامة عبد الله الشريف التلمساني فعن والده الامام النظار التلمساني وهو عن ابني الامام ابي موسى وابي عيسى وعن الحافظ السطي بسنده المتقدم وهو عن البرزلي(٣) وهو عن ابي الحسن الصغير بسنده .

---

(١) في الرحلة الناصرية باسقاط هو — (٢) في الرحلة الناصرية بفتح وهو الاصوب كما في التاج — (٣) في الرحلة الناصرية البرونين

واما ابو الحسن الزقاق الفاسي فعن القوري وعن الحافظ العبدري الغرناطي المعروف بالمواق وهو عن جماعة منهم الامام القاضي محمد بن محمد بن السراج الغرناطي وهو عن فرج ابن قاسم بن احمد بن لب الغرناطي ايضا وهو عن ابي عبد الله المعروف بابن ابي بكر المالقي وهو عن الحافظ الكبير ابي جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير وهو اخذه عن جماعة منهم القاضي الجليل ابو عبد الله ابن غازي الانصاري السبتي والقاضي ابو الخطاب السكوني وهو عن ابيه احمد بن خليل وهو وابن غازي عن امام الشورى ابي الفضل عياض ابن موسى اليحصبي مؤلف التنبيهات وغيرها وهو عن شيوخ المذهب ابي عبد الله التميمي السبتي وقاضي الجماعة بقرطبة ابي الوليد ابن رشد القرطبي مؤلف البيان والتحصيل والمقدمات وغيرها والامام ابي عبد الله ابن الحاج القرطبي صاحب النوازل وغيرها والقاضي ابي بكر ابن العربي الاشبيلي مؤلف القبس وغيره والامام ابن عتاب القرطبي ايضا وبالاجازة مثله .

واما الحافظ التنسي فعن جماعة منهم الحافظ ابو الفضل ابن مرزوق الحفيد وهو عمن تقدم ومن جملتهم العلامة عبد الله بن محمد الشريف التلمساني وهو عمن تقدم وعن الامام القباب وهو عن قاضي الجماعة ابي عبد الله القشتالي صاحب الوثائق وهو عن ابي الحسن ابن سليمان القرطبي وهو عن ابي عمر ابن حوط القرطبي ايضا وهو عن ابيه وهو عن الامام الجليل ابي الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد الحفيد مؤلف بداية المجتهد ونهاية المقتصد وغيره والحافظ البرزلي عن ابي عبد الله بن سعيد بن زرقون مؤلف الانوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار وغيره فالاول وهو الحفيد اخذه عن ابيه عن جده وعن الامام النظار المجتهد القوي(1) الباع في تحقيق النظر ابي عبد الله محمد بن علي التميمي المازري مؤلف شرح التلقين وغيره والثاني وهو ابن زروق اخذه عن القاضي ابي الفضل

(1) في الرحلة الناصرية المديد

عياض ﴿ جامعة * مشارق انوارها لامعة ﴾ فد انتهت الطرق الى اعلام الطبفة وشيوخ الفتيا وائمة الشورى الامام المازري وابي الوليد ابن رشد وابن الحاج وابي بكر الطرطوشي وابن العربي وابي محمد ابن عتاب والفاضي ابن عيسى التميمي اما الامام المازري فعن ابي الحسن علي بن محمد اللخمي مؤلف التبصرة والمحفف النظار ابي محمد عبد الحميد المعروف بابن الصائغ مكمل تعليفة التونسي وهما عن ابي اسحاق ابراهيم بن حسن التونسي مؤلف التعليفة على المدونة والعلامة ابن محرز الفيرواني مؤلف التبصرة وهما عن الامامين ابي بكر بن عبد الرحمن وابي عمران الفاسي وهما عن شيخي المذهب وموشي طرازه المذهب ابي محمد عبد الله ابن ابي زيد مؤلف الرسالة والنوادر والمختصر وغيرها وابي الحسن علي بن محمد بن خلف الفابسي وزاد ابو بكر بن عبد الرحمن عن ابي الفاسم الغاففي الجوهري المصري وزاد ابو عمران الفاسي عن وهما ابي عبد الله المعروف بالوشاء المصري وهما أعني الوشاء والجوهري اخذاه عن ابي اسحاف ابن شعبان المعروف بالفرطي[1] بفاف مضمومة وراء ساكنة وطاء مهملة بعدها ياء النسبة المصري مؤلف الزاهي ومختصر ما ليس في المختصر وهو عن احمد الصدفي المصري المعروف بالزياتي[2] وهو عن رابع المحمدين ابي عبد الله محمد ابن عبد الحكم وهو عن ابيه وابن الفاسم واشهب وابن وهب .

واما الشيخان الراسخان ابو محمد ابن ابي زيد وابو الحسن الفابسي فاخذاه عن ابي ميمونة ابن اسماعيل الفاسي وعن الابياني بكسر الهمزة والموحدة المشددة المكسورة بعدها مثناة تحتية وزاد ابن ابي زيد عن الحافظ ابي بكر محمد بن اللباد الفيرواني وعليه عمدته وعن ابي العرب محمد بن احمد بن تميم التميمي اما ابو ميمونة ابن اسماعيل المذكور فاخذه عن جماعة منهم الحافظ ابن عبد الله ابن ابي مطر وهو اخذه عن محفف المذهب

---

(١) في الرحلة الناصرية الفهري بفاف مضمومة وراء ساكنة وهاء مهملة بعدها ياء النسبة — (٢) في الرحلة الناصرية الزيات

ابي عبد لله محمد بن المواز مؤلف المختصر المعروف بالموازية وهو اخذه عن محمد ابن عبد الحكم وابن الماجشون واصبغ والحارث بن مسكين والاخيران اخذاه عن ابن القاسم واشهب وابن وهب .

واما الثلاثة ابو العباس الابياني وابو بكر ابن اللباد وابو العرب التميمي فاخذوه عن الامام المجاب الدعوة ابي زكرياء يحيى بن عمر الاندلسي القيرواني مؤلف اختصار المستخرجة وعن الحافظ المقدم ابي جعفر المعروف بابن الصواف وعن احمد بن محمد الاشعري المعروف بحمديس القطان وثلاثتهم أخذوه عن الامام ابي سعيد عبد الله بن سحنون القيرواني مؤلف المدونة وتسمى ايضا المختلطة وهو اخذه عن علي بن زياد التونسي وابي أشرس وابن غانم وابن القاسم واشهب وابن وهب وعبد الله بن عبد الحكم وعبد الملك بن الماجشون .

واما زعيم فقهاء وقته ابو الوليد محمد بن احمد بن رشد وابو عبد الله احمد بن الحاج فاخذاه عن جماعة منهم ابن زرقون(١) القرطبي وعن ابي عبد الله محمد بن فرج مولى الطلاع مؤلف كتاب الشروط وكتاب الاحكام وهما اخذاه عن احفظ الناس للمدونة ابن القطان وهو اخذه عن ابن دَحُون القرطبي وعن الشيخ ابن الشفاء القرطبي ايضا وهما اخذاه عن ابن المكوي مؤلف كتاب الاستيعاب في المذهب وهو عن ابي بكر اللؤلؤي القرطبي ايضا وعن ابن مسرة مؤلف كتاب النصائح فاللؤلؤي اخذه عن ابي صالح المعافري القرطبي والثاني وهو ابراهيم عن ابي عبد الله ابن لبابة وعن ابن عبد الملك ابن ايمن القرطبي والثلاثة ابو صالح وابن لبابة وابن ايمن اخذوه عن ابن عتبة ابن ابي سفيان مؤلف العتبية ويقال لها المستخرجة ايضا وعن ابن وضاح القرطبي ومن ابي زكرياء يحيى ابن مزين القرطبي مؤلف المستقصية وغيرها وعن النظار ابن مطروح الاعرج والاربعة

(١) في الرحلة الناصرية رزق

اعني العتبي وابن وضاح وابن مزين وابن مطروح اخذوه عن يحيى بن يحيى الليثي القرطبي وعن ابي عبد الله اصبغ بن الفرج المصري وزاد الثلاثة سوى ابن مزين عن الامام سحنون وزاد ابن مطروح وابن مزين عن فقيه الاندلس ابي محمد عيسى بن دينار القرطبي صاحب الاسمعة وهو وسحنون واصبغ ويحيى عن ابن القاسم وزاد ابن وضاح عن القاضي ابي عمر والحارث بن مسكين المصري وعن الفقيه ابي مروان عبد الملك بن الحسن المعروف بزونان وعن عالم الاندلس ابي مروان عبد الملك بن حبيب مؤلف الواضحة وغيرها والاولان ابن مسكين وزونان اخذاه عن ابن القاسم واشهب وابن وهب والثالث وهو ابن حبيب اخذه عن اصبغ بن الفرج وعن الغازي ابن قيس وعن زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون وعن مطرف وابن الماجشون وعبد الله بن نافع وعبد الله بن عبد الحكم .

واما شيخ الشيوخ ابو بكر الطرطوشي فاخذه عن النظار المعروف بالباجي الاندلسي مؤلف المنتقى وغيره وهو عن ابي الاصبغ ابن سهل القرطبي مؤلف الاعلام بنوازل الاحكام ومن طريق القرويين عن مكي القيسي ومن طريق العراقيين عن ابي الفضل ابن عمروس البغدادي اما ابن سهل فعن القطان بسنده وعن شيخ المفتين ابن عتاب القرطبي ولازمه واختص به وعن الفقيه ابي بكر يحيى بن محمد الغساني القليعي اما ابن عتاب فاخذه عن جماعة منهم القاضي ابو المطرف ابن بشير المعروف بابن الحصار ولازمه واختص به وكان يفخر به وعن ابي بكر عبد الرحمن بن احمد التجيبي المعروف بابن حربيل فالاول وهو ابن بشير اخذه عن قاضي الجماعة ابن ذكوان وهو عن ابن اصبغ البياني وهو عن ابن وضاح والثاني وهو ابن حربيل التجيبي المذكور فاخذه عن الخشني مؤلف كتاب الاتفاق والاختلاف في المذهب وهو اخذه عن ابي بكر بن اللباد وابي جعفر احمد بن ابي نصر الهواري وهما اخذاه عن يحيى بن عمر ومحمد بن عبدوس ومحمد بن سحنون وجميعهم عن سحنون .

واما الفليعي فاخذه عن محمد بن عبد الله بن ابي زمنين بفتح الزاي والميم وكسر النون البيري مؤلف كتاب المنتخب في الاحكام وهو عن ابن مسرة بسنده .

واما ابو محمد مكي فعن شيخيه ابن ابي زيد والقابسي بسندهما .

واما ابن عمروس فعن البغدادي المعروف بابن القصار مؤلف عيون الادلة في الانتصار للمذهب وعن عبد الوهاب البغدادي مؤلف التلقين والمعونة وغيرهما وهو اخذه عن الحافظ ابن الجلاب مؤلف التفريع وهو وابن القصار وعبد الوهاب اخذوه عن الابهري مؤلف الشرح لمختصر ابن عبد الحكم وهو عن الليثي البغدادي مؤلف الحاوي وعن ابي عمرو محمد بن يوسف وعن ابن الجهم المعروف بابن الرواق مؤلف كتاب مسائل الخلاف والحجة لمذهب مالك وشرح المختصر الصغير لابن عبد الحكم وهو وابو الفرج وابو عمرو اخذوه عن سهيل بن حماد البصري وهو اخذه عن احمد ابن المعدل البصري وهو عن ابن الماجشون ومحمد بن مسلمة .

واما المعافري الاشبيلي فاخذه عن الطرطوشي بسنده وعن ابن العربي وهو عن ابن عتاب بسنده واما ابن عتاب فعن ائمة بسنده .

واما محمد بن عيسى التميمي السبتي فعن النسيلي وابن عبد الرحيم ابن العجوز وعن الغساني القرطبي اما النسيلي فعن فقهاء سبتة ابراهيم بن يربوع السبتي وابن غالب الهمداني السبتي وهو عن ابن ابي زيد اخذ عنه جميع كتبه بسنده وابن يربوع وهو الهمداني اخذ عن الباجي وهو عن ابن لبابة وابن ايمن بسندهما .

واما ابو عبد الله ابن العجوز فعن ابي محمد عبد الرحمن وهو عن ابي اسحاق التونسي بسنده وعن ابيه ابي عبد الرحمن عبد الرحيم السبتي وهو عن ابن ابي زيد بسنده .

واما ابو علي الجياني فعن ابن عبد البر مؤلف الكافي والاستذكار والتمهيد وغيرها وهو عن المكوي بسنده وعن ابن القاضي القرطبي وهو عن جماعة منهم ابن الفخار البيري وعن ابن اصبغ البجاني بموحدة فجيم مشددة اما ابن الفخار فعن ابن سلمة مؤلف مختصر الواضحة

وهو عن ابن مروان الهمداني القيرواني وهو عن ابن عبدوس وهو عن سحنون واخذ ابن مروان ايضا عن سحنون وعن ابن عبد الحكم اما مجاهد ابن اصبغ فعن سعيد البجاني وهو عن المغامي الدوسي من ذرية ابي هريرة رضي الله عنه وعن ابن ميسر بفتح السين المهملة فالمغامي عن يحيى بن يحيى وابن حبيب وابن مزين وغيرهم بسندهم وابن ميسر اخذ عن ابن المواز بسنده ﴿جامعة﴾ من المدنيين الامام الثقة المغيرة المخزومي وابن دينار الجهني مولاهم وابن مسلمة وابن مطرف اليساري وابن الماجشون وابن نافع مولى بني مخزوم ومن المصريين عبد الرحمن ابن القاسم العتقي واشهب وابن وهب وابن عبد الحكم ومن الافريقيين ابن زياد التونسي وابن اشرس الانصاري وابن راشد القيرواني ومن الاندلسيين الغازي ابن قيس القرطبي وابو عبد الله ابن شبطون ويحيى بن يحيى الليثي وجميعهم اخذوه عن امام دار الهجرة مالك بن انس وهو اخذ عن الزهري وربيعة ويحيى ابن اسحاق الانصاري وابي نمر الليثي والعلاء بن يعقوب مولى الحرقة والحرقة فخذ من جهينة وابي عبيدة حميد الطويل وابي عبد الله الثقفي وابي عثمان بن ميسرة مولى المطلب ابن حنطب المخزومي وهؤلاء عن انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم ابن يدرس مولى حكيم بن حزام وابو عبد الله المنكدر التيمي القرشي وابو أسامة مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابو نعيم وهب بن كيسان مولى ابن الزبير بن العوام وهؤلاء عن جابر بن عبد الله وزاد وهب عن عمر بن ابي سلمة ومنهم ابو عبد الله نافع وابن دينار موليا ابن عمر وهما عن سيدهما ومولاهما عبد الله بن عمر وزاد نافع عن ابي سعيد الخدري وابي لبابة رضي الله عنهما ومنهم سلمة بن دينار مولى بني ليث وهو عن سهل الساعدي وكذا ابن شهاب الزهري ايضا ومنهم سعيد بن ابي سعيد واسمه كيسان مولى بني جندع وهو عن الكعبي ومنهم نعيم بن عبد الله وهو عن ابي هريرة والجملة من الصحابة المذكورين تلقوه عن سيد الكونين وجمال الثقلين ابي القاسم سيدنا ومولانا ونبينا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وعظم ومجد وهو عن الروح

الامين جبريـل عليه السلام عن رب العالميـن جل جلاله وتقدس كماله انتهى ما نسب لجامعها وصاحب سلسلتها سيدي عيسى بن محمد الثعالبي .

﴿ انعطاف ﴾ الاماكـن التي ينبغي زيارتهـا بمكة خلاف ما تقدم دار الارقـم[1] التي اختفى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها كان اسلام عمر رضي الله عنه وخبرهـا مشهور في السير وهي الان مسجـد قرب الصفا ومنها موضع بسوق مكة يسمى المودع يقال ان فيه ودع النبي صلى الله عليه وسلـم اهل مكة في حجـة الوداع لما اراد الخروج الى المدينة وهو مكان مشرف تظهر منـه بعض استار الكعبة وليس في اسواق مكة محل تظهر منه الكعبة الا هذا فيقـف الناس للدعـاء وقريب من هذا المكان رباط ينسب للشيخ عبد القادر الجيلاني يسكنه الفقـراء وله اوقـاف وبه قبور تزار لا اتحقـق اصحابها ومنهـا مسجد الجن وهو باعلى مكة بجانـب الطريق بين الدور فيه شجرة ياوي اليها الفقراء ويستظلون فيه وهو المكان الذي جاء فيه الجن الى النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا ومنهـا شعب ابي طالب الذي انحـاز اليه هو وبنو هاشم وخبره مشهور في السير ومنها جبل ابي قبيس يشرف منه على مكة كلها والمسجد والبيت وفيه مغارة يقال ان بها قبر آدم عليه السلام والحجاج يشترون من مكة رؤس الغنم المشويـة ويصعدون اليه ياكلونها ويزعمون ان من فعل ذلـك امن من وجع الاسنان والرأس ومنها قبة على الجبل الذي على يسار الذاهب الى الشبيكة يقال ان فيها مولـد عمـر رضي الله عنه ومنها محـل في الجبل المشـرف على المحصب على يمين الذاهب الى منى يزعم اهل مكـة ان به قبر عبد الله ابن عمر رضي الله عنه فيخرجون اليه في احدى ليالي ذي القعـدة اظنها الثالثة عشرة رجـالا ونساء كبـارا وصغارا يبيتون هنالـك عامة ليلتهم .

قال ابو سالم وسألت اهل العلم بمكـة عن ذلك فاخبرونـي انهم لا يعلمون لذلـك

---

[1] في ثلاث نسخ دار اختصار الارقم

اصلا قال ومن جملة خرافاتهم المتعلقة بتلك الليلة في ذلك انهم ياخذون معهم نوى التمر فيدفنونه بالارض في ذلك الجبل تلك الليلة ويزعمون ان من دفن شيئا حصل له في تلك السنة (١) بعدده ريالا او دنانير واغرب من ذلك ما حكى لي بعض اصحابنا تصديقا لزعمهم ذلك ان الشيخ علي بن الكمال الشافعي وكان من فقهاء مكة المعتبرين خرج مع بعض اهل مكة في بعض السنين الى هذا المحل فلما راى فعلهم ذلك انكره ثم انه جمع شيئا من النوى حتى جمع نحو المائتين فدفنها ثم وجد سبعا اخرى ودفنها وهو في ذلك كالمتلاعب فلما كان وقت الموسم بينما هو جالس في المسجد الحرام اذ جاء شخص من اهل العراق يسأل عنه حتى وجده فناوله صرة كبيرة وقال له ان جماعة من طلبة الاحساء كانوا يقرءون هنا عندك قبل ذلك وقد جمعوا لك هذه الدراهم بقصد التبرك منك وقد سلموا عليك وهذه مائتا ريال قال فوقع في نفسي تصديق ما زعموا واني كنت دفنت مائتي نواة ثم قلت واين السبعة التي دفنتها بعد ذلك فلم ارم مكاني حتى رجع الي ذلك الشخص وقال لي يا سيدي وهذه سبعة اخرى قد تبعني بها شخص بعد ما فارقت الجماعة وقال لي اوصلها الى الشيخ قال فتعجبت من ذلك ومن موافقته للحال والله اعلم .

ولاهل مكة في هذه الليلة ايضا عمل مولد كبير في مشهد العيدروسي رضي الله عنه عند الشبيكة يجتمع هناك جماعة من اولاده واتباعه السالكين على طريقه ويعملون هنالك سماعا وقراءة وتلاوة ويجتمع فيه خلق كثير وقد فرش المشهد كله وما حوله واعدت للحاضرين اطعمة واشربة ويستكثرون هنالك من المصابيح فهو من المشاهد المشهورة بمكة والمزارات المعظمة وبينهم له صيت ومكانة عند الخاص والعام .

واما المقابر فالحجون كله مزارات واشهر المزارات فيه قبة ام المومنين السيدة خديجة

---

(١) في الرحلة الناصرية الليلة

رضي الله تعالى عنها وفبة فيها فبر الفضيل بن عياض وغير ذلك ومحوط فيه فبور كثيرة لائمة من العلماء الغرباء فال ابو سالم فرات على حجر فيه هذا فبر الامام ابي الفاسم الفشيري وهذا غريب الا ان يكون فد نفل بعد موته الى هنالك ولم نر احدا من المؤرخين ذكر انه مات بمكة .

وفد رأيت في طبفات الامام تاج الدين السبكي التعريف بولد ابي الفاسم الفشيري وذكر انه توفي بمكة المشرفة فعلمت ان الفبر فبره لافبر ابيه رضي الله تعالى عنهما وعلى حجر آخر فبر ابي حامد بهاء الدين السبكي وجماعة كثيرة واسفل الحجون بجانب الطريق فباب كثيرة غالبها للشرفاء امراء مكة ومنها فبة سامية يفال لها فبة ابي طالب وعوام الغرباء يظنونه ابا طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وبعضهم يفول ابو طالب المكي وانما هو امير من امراء مكة المتاخرين من اشرافها من آل بني نمر اسمه ابو طالب فالوا كان في حياته شجاعا مفداما فاتكا دوخ بلاد الحجاز وفهر عربانها غاية الفهر واهل نجد وتهامة الى الان يؤرخون بعهده فيفولون كان هذا في زمان ابي طالب وكان سفاكا للدماء ومع ذلك كان حسن السيرة ولم يكن احد ياتيه بالولاية لما هو عليه من الفتك والبطش الا ان بعض اهل الكشف كان يفول هو مظهر من مظاهر اسمائه تعالى الفهرية افيم في مفام الجلال فلما توفي ظهرت له كرامات كثيرة وصار فبره من اعظم المزارات .

فمما ظهر منها انهم فالوا جلس جماعة من الفراء حول فبره يفرءون الفرآن فرب موته كما هو عادتهم وبين ايديهم شمعة تضيء فليل فوفعت الى الارض فانطفأت فتحيروا فلم يجدوا من يوفدها لهم فانشق الفبر عيانا فخرج منه واوفد لهم الشمعة فرجع ومنها ان بدويا خرج من مكة بففص عنب فلما وصل الى فبره تذكر حاجة بمكة فوضع الففص ورجع فجاء سارق لياخذه فيبست يده والتصفت بالففص وبفي وافعا عنده حائرا الى ان جاء البدوي فلما رأى ذلك فال على حسب نيته واعتفاده جادٌ يا ابا طالب جادٌ يا ابا

طالب جاءٔ يا ابا طالب جاءٔ يا ابا طالب اطلفه الان وفـد فضيـت حاجتي وانطلفت يد السارف وذهب .

ومن المزارات فبر الولي الصالح الفطـب الشهيـر الذكر عند اهل مكة واعرابها سيدي عمر العرابي وغالب السائلين بمكة والمستصرخين انما يهتفون باسمه واهل البادية تسمـع الرجال منهم والنساء يفولون شيء لله يا عرابي وهو عندهم عظيم الفدر شهير الذكر وحف له ذلك فانه كان من ائمة الطريف رضي الله تعالى عنهم .

ومن الاماكن التي لا ينبغي للمجاور او من معه نفس من الزمان اهمال زيارتها والورود عليها مدينة جدة وما بها من المشاهد كالمحل الذي يفال ان فيه فبر أمنا حـواء وممن جزم ان فبرها بها ابن خلـكان في ترجمـة ابن فلافس الشاعـر وذكره ايضا في ترجمـة اخرى على ان جدة في نفسها من اعظم البفاع ففد ورد في فضلها وفضـل المفـام بهـا والرباط فيها عدة اثار نفلها اهل الاخبار وهي مدينة كبيرة ممتدة مع ساحل البحر نحو ميليـن في كلا طرفيها حصار متفن البناء فيه مدافع كثيرة وعسكره لا يفارفه .

فال الشيخ ابو سالم وفد رأيت في الحصار الغربي منها ما يستغرب وصفه من المدافع طولا وكبـرا وفد رأيت فيها مدفعا له خمسة افواه بصنعة غريبـة وفي مرساهـا سفن كثيـرة كبار وصغار وغالبهـا معمول بالشريط بصنعة عجيبـة ليس فيها مسمار * وهي مع ذلـك كبيرة المفدار * متباينة الافطار * واسعة الانحاء تحمـل اضعـاف ما يحمـل غيرهـا من السفن واسواف البلد ممتدة مع جانب البحر وغالبها اخصاص واسعة مفتحة الى البحر وإلى ناحية البلد فيها فهاوي ومجالس حسنـة يبالغ اصحابها في كنسهـا وتنظيفهـا ورشهـا بالمـاء وفيها جلوس غالب اهل البلـد وفد اتخذوا فيها اسرة كثيرة منسوجة بشريـط المسـد بصنعة محكمة ومسجدها الكبير من اجل المساجد فيه اعمدة من الساج مخروطـة عـلى هيئـة اعمدة الرخام المخروط صليب عودها يحسبها من لم يتاملها رخاما احمر .

فال واخبرني شيخنا ابو مهدي انه يفال ان اعمـدة ذلـك المسجد جلبت في صـدر

الاسلام من كنيسة بارض الحبشة عند ما افتتحها المسلمون قال وقد شاهدنا في هذه الخطرة من العافية التي بسطها الله تعالى في الطرق والقرى والامان التام ما قضينا منه العجب فمن ذلك انا لقينا عيرا في ليل مظلم تحمل احمالا من البز الهندي والقماش الرفيع نحوا من عشرين جملا وطلبنا احدا من اصحابها نسأله عن اخبار البلد فلم نجد معها احدا وذهبنا نحوا من ميل فوجدنا اصحابها في قهوة مستريحين واخبرونا انها لو ذهبت كذلك الى مكة لم يتعرض لها احد واخبرونا بعجائب من مثل ذلك وقعت في ايام الامير زيد ووالده محسن .

فمن ذلك انهم زعموا ان رجلا جاء الى السلطان محسن فقال له اني وجدت في البلاد الفلانية جملا من البز في الطريق فقال له ومن اخبرك بانه من البز فقال له مسسته برجلي فامر بقطع رجله وقال له لِمَ مسسته برجلك الى غير ذلك من امثال هذه الحكاية لا نعلم صحيحها من سقيمها .

ومن لطيف ما شاهدناه من امان هذه الديار وعافيتها ان المسافرين من مكة الى جدة ومن جدة الى مكة يكترون الحمير للركوب ولا يذهب صاحب الدابة معها فاذا ذهب المكتري الى المحل الذي ذهب اليه ارسل الحمار ولا عليه فيه ولا ياخذه احد الا ربه ان كان في ذلك البلد او نائبه ولكل واحد من اصحاب الدواب نائب في غير البلد الذي هو فيه يعرف دابته ويقبضها حتى يكريها ممن يرجع الى البلد الذي هو فيه وهناك من فاره الحمر ما يقضي العجب من سرعتها .

قال ولم ار اسرع مشيا من حمر الحجاز ولا اوطا مركبا ولا اقل لغبا مع السرعة المفرطة في المشي فلقد كنت انظر وانا راكب الى اطرافي هل يتحرك فيها شيء مع الاسراع في المشي فلا يكاد يتبين حركة شيء منها مع ان مركوبي من اجاودها فلقد اخبرت انه كان حمار عند رجل من اهل مكة يصلي المغرب بجدة فيركب عليه ويصلي الصبح بمكة وهي مسافة القصر تحقيقا وهم يتغالون في ثمن ما هذه صفته منها فيبلغ الحمار مائة دينار ذهبا

وقد رأيت جمارا عند فقيه الحنفية الشيخ الزنجيل رافقنا عليه من المدينة الى مكة تقتحمه العين فاخبرت انه اشتراه بقريب من ذلك الثمن .

ومنها بلد الطائف فان فيها مزارات كثيرة ويمر اليها على طريق الحاج الى منى ثم الى مزدلفة ثم الى بسيط عرفة والطريق من مكة الى الطائف فيها فهاوي يستريح المارة بالنزول فيها واشتراء المحتاج من طعام وعلف كما ذلك ايضا بطريق جدة ويسلك مع طريق السافية التي من اصل الجبل الى عرفات ثم الى المشاعر ثم الى مكة ومنها تاتي المياه الى مكة في هذه الازمنة بعد اندثار الاخرى التي تاتي من الجعرانة .

وقد ذكر المؤرخون اخبار العينين معا وان التي من الجعرانة من عمل بني امية وهذه من عمل بني العباس وهي من صدقات زبيدة بنت جعفر المنصور الا انها ما وصلت الى مكة الا في دولة بني عثمان ملوك العصر من الترك .

قال ابو سالم وقد شاهدنا في بنيان هذه السافية ما يدل على فخامة ملكهم وقوة اعتنائهم بامر الحرمين فكلما مررنا غلوة او غلوتين وجدنا عينا منها مفتوحة عليها بناء وثيق ووجدنا الفعلة في وقتنا جادين في اصلاح ما وهي من بنائها وكسر ما تهور من ارجائها وهي صاعدة مع وادي نعمان الاراك بفتح النون الذي اكثرت شعراء العرب فمن بعدهم من ذكره وهو واد عظيم افيح منحدر من جبال نجد به ادواح يانعة يصافحها نسيم نجد فتهتز اغصانها طربا وتميل الى ان تلثم افواه الازهار الغضة الناعمة الملتفة بجانبي ذلك الوادي وقد كساه الخصب من مروط الزهر الوانا وعمّ رؤس هضابه افاحا وارجوانا .

قال فلم نزل نسايره صاعدين الى ان قربنا من جبل اكرى فعدلنا يمينه مع بعض تلك الهضاب وآوانا الحر الى قهوة باصل الجبل بين صخور عظام حولها ماء صاف يجري على حصباء كالزبرجد عذب بارد سهل التناول للصادر والوارد قال فما راينا فيما سلكنا من بلاد الحجاز مكانا اشبه ببلادنا منه فلما زالت الشمس وتوضانا للصلاة اخذنا في صعود الجبل العظيم الذي لا يماثله في عظمه جبل من جبال تهامة وسلكنا في طريق تميل مع الهابطة من اعلاه وغالب

الطريق في هذا الجبل قد نقي من الصخور العظام ونضدت الحجارة فيه بناء وثيق مصبح على ممره ويقال ان ذلك من عمل بني العباس لكثرة اعتنائهم ببلد الطائف ونزول ولاة الحجاز منهم به وقد اثرت السيول مع طول العهد في اماكن كثيرة من هذا الجبل فخربت بناءه وكثرت للسالك عناءه .

قال ووجدنا في هذا الجبل اشجارا عظيمة من العرعار وغيره من اشجار بلدنا فانسنا بذلك غاية ورأينا القرود به تصيح وتثب في اعالي تلك الصخور فتعجبنا من ذلك فاخبرنا انها توجد في ذلك الجبل وما سمعنا قط انها بارض الحجاز وانما يقال انها تجلب من الشام والروم الى مصر والحجاز وقد لقينا في صعود هذا الجبل مشقة ونزلنا عن الدواب وارتحلنا اوعاره واغواره كرها وما كدنا نصل اعلاه حتى تمكن وقت المغرب وصليناه وتلفعنا بثيابنا لشدة البرد وتعجبنا من صنع الله تعالى وبديع قدرته فقد قاسينا اول النهار من شدة الحر وسمومه ما كادت العظام منه تذوب وتقطر القلوب وكابدنا من شدة البرد آخره ما ارتعدت المفاصل منه وكلت القوى عنه .

قال ثم وصلنا الى قهوة هنالك ونزلنا بها بعد العشاء فدخلنا محلا اوقد اصحابنا فيه نيرانا عظيمة فاصطلينا بها عامة ليلنا من شدة البرد وحمدنا الله تعالى على ذلك وكان هذا في ابان الحر الشديد ولذلك خلفنا ثيابنا بمكة ولم نلبس منها الا ما يوافق الوقت وقضينا عجبا من شدة الحر والبرد في المكانين المتقاربين قال ثم ارتحلنا من ذلك المكان قرب صلاة الصبح وهبطنا عقبة هنالك وهي دون التي طلعناها بكثير الا انها وعرة وسلكنا في شعاب ذات مياه غزيرة ونبت ملتف الى ان خرجنا الى قرن الثعالب الذي هو ميقات اهل نجد بازائه قرية ذات مزارع واشجار من انواع الفواكه حولها واد يسيل ماؤه وتجاوزناها قرب الطلوع وسلكنا بين تلول هنالك في صعود وهبوط واستواء الى ان وصلنا بلد الطائف وهي قصور في مستو من الارض تحيط به جنات من نخيل قليل واعناب كثيرة وفواكه مما يشتهون وقصدنا المسجد الاعظم .

ومن الاماكن التي تزار ببلاد الطائف البلد نفسه فقد وردت آثار تدل على فضله وانه منقول من الارض المقدسة نقله جبريل عليه السلام باذن الله تعالى وورد في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم حرم عضاه وَجّ(١) وهو الطائف وهو عند الشافعية كحرم مكة لا يقطع شجره وكفاه هذا هذه فضيلة شارك فيها الحرمين الشريفين .

ومنها قبر ترجمان القرآن حبر الامة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما وهو في قبلة المسجد الاعظم من يمناه وعليه بناء فخم وحوله على يسار(٢) الداخل من الباب قبر البطل الهمام والليث المقدام فارس بني هاشم سيدنا محمد بن الحنفية ابن امير المؤمنين مولانا علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وفضائله مشهورة وسبب انحيازه هو وابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الى الطائف مذكور في التواريخ وبازاء قبر ابن عباس قبر يقال انه قبر عبد الله الطيب الطاهر ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والناس يتبركون به بهذه النية .

ومنها المسجد الاعظم نفسه فانه في محل نزول عسكر النبي صلى الله عليه وسلم عند محاصرة ثقيف بعد غزوة حنين وفي صحن المسجد مسجد صغير يقال انه منزل النبي صلى الله عليه وسلم في الحصار المذكور وفيه محل يقال انه محل قبة ام المؤمنين ام سلمة بفتح اللام وقبة ام المؤمنين عائشة رضي الله عنهما وخبر حضورهما معه صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة وانه اتخذ لكل واحدة قبة ومصلاه صلى الله عليه وسلم بين القبتين مذكور في كتب السير وهناك محال متعددة فيها اثار في الصخر الصلد كاثر ظلف الغزالة والناس يتبركون بها ويقولون انها اثر غزالة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه في ذلك المحل ولم نر لذلك ذكرا في شيء من كتب السير .

ومنها مسجد على شفير الوادي باعلى البلد فيه شجرة كبيرة لها اصلان متقاربان بينهما

---

(١) كذا في الرحلة الناصرية وهو الاصوب كما في نهاية ابن الاثير وتاج العروس واما جميع النسخ ففيها حرم امورا كما في مكة — (٢) في الرحلة الناصرية يمين

مثل ممر الشاة يقال انها الشجـرة التي اعترضت للنبي صلى الله عليه وسلـم في طريق له فانشقت شقين حتى مر بينهما وخبرها مذكور في بعض الاحاديث .

قال ابو سالم ولم أر من ذكر انها بهذا المحل ولا انها باقية الى الان واظن ان حديثهـا مذكور في معجم الطبراني الصغير والله تعالى اعلم «قال» وفي هذا البلد اسواق حافلة يحضرها الناس من اطراف نجد ويجلب اليهـا من الحبوب والثمار والزبيب والعسـل ما قضينـا العجـب من كثرته بحيث يخيـل لنا انا لم نر مثل ذلـك في الكثرة في اسـواق الامصار العظيمة وذكر في رجعته هذه انه طلع لهم الفجر بمنى قال فدخلت مسجد الخيف وصليت فيه الصبح وليس به داع ولا مجيـب وقد كان في وقت الموسم ربما لا يجـد الانسان اين يضع جبهتـه من الارض احيانا لكثرة الزحـام قال وتاملت بسيط منى وشعابه وتبينت سعتها وامتدادها وكانت في ايام الموسم ربمـا يخيل الى الناظر ضيقها لكثرة الخلـق ومن راى منى وما حولها من الاماكن في غير ايام الموسم علم حسن تشبيـه من قال مـن اراد ان ينظر الى الدنيا بعد انقراض اهلها فلينظر الى منزل الركب بعد ارتحاله .

ومنى في ايام الموسم هي الدنيا باسرها قصور عالية واسـواق حافلة وجنود مجندة وملابس فاخرة واطعمة شهية ومراكب هنية وبضائع غير معدودة ومتاجر ثمينـة الى انواع العبـادات من تـكبير وتهليل وصـلاة وقراءة ونحر وذبـح واطعام طعـام ورمي جمار وما الدنيا محمودهـا ومذمومها الا ما ذكرنا ولا تمر على ذلـك كله الا ثلاثـة ايام حتى لا تحس منهم من احد ولا تسمع لهم ركزا فلا ترى في منازلهم الا عظامـا نخرة وخرقا بالية وفضـلات منتنة وغثـاء احوى وقتاما اغبر تسفيه الرياح وتـذروه وهذا هو المثل الحقيقي للدنيـا فليعتبـر اولو الابصار من سكان البادية والامصار انتهى كلامه .

ومـزارات مكة كثيرة جدا بل اعظم المزارات ومحط امال الراغبين ومنتهى سير الاملين ومناخ همم العارفين وغايـة منيـة الشائقيـن وقبلة العابديـن ووجهـة المعتبرين واليها تفـد الوافدون ومسقط رأس سيد العالمين صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه اجمعين فيا لها من

بلدة ما اعز سناها فَأَهْوِنْ بالطريف والتليد في الاحتماء بحماها جنة من دخلها كان من الامنين ومن نحا نحوها من الفائزين ولله در الامام ابي علي اليوسي رضي الله تعالى عنه وارضاه واناله منه بغاية مناه اذ يقول وما احسن ما يقول في وداع وفد الله

احجاج بيت الله سيروا وأبشروا * بما لم ينله رائح ومبكر
وطيروا عَجَالَى فوق اجنحة القطا * واجنحة الشوق المبرح أطْيَرُ

الى ان قال

لقد ضاع دهري في المقام بمغرب * ومطلع وحي الله يرجى وينظر
أُنَهْنِهُ نفسي في السباق الى العُلَى * فتشمس عن ذاك الرهان وتنفر
واسمو بها عن روضة الغي والهوى * فيقعدها صلصالها المتكدر
وادفع عنها في الوغى لاجيرها * فتنهك اجناد الهوى وتكثر
فهل لي من صوب من الغيب باهر * يشيعها فيما تروم وينفر
وهل لي من ريح تثير ركائبي * الى روضة فيها النبي المبشر
عليه صلاة الله ما انسجم الحيا * بروض ورضوانٌ من الله اكبر
واصحابه الغر الذين تالفوا * على الله في الدين القويم وشمروا
خصوصا ابا بكر رفيقَ نبيه * وصاحبَه وهو الكبير المؤثر
وايضا ابا حفص وكان محدثا * يكشف احلاك الدجى وينور
فيا روضة فيها النبي محمد * سقاك من الغيث السجيم المكرّر
ويا روضة تزهو بشمس منيرة * وبَدْرَيْنِ مُلْتَاحَيْنِ فيها وتزهر
دعاك غريب اوثقته بمغرب * مساوي المساعي والقضاء المقدر
فهل تسمح الايام فيك بزورة * وَيُشْفَى غَلِيلٌ في الفؤاد مسَعَّر
وهل تنجز الدين الذي مَطَلَتْ به * فتكفي بقايا ذنبها وتكفّر
فيا رب لا تحرم عبيدك سُؤْله * وابلغه ما ابلغت من تتخيَّر

وقد جاء سعيا بالحشا اذ تعذرت * عليه خطاه وهو اشعث اغبر
سألتك بالمختار احمد انه * لَا نَفْسَ عِلْقٍ فِي المطالب يُذْخَر
عليه صلاة الله ثم سلامه * ورضوانه ما فاح روض معنبر
واصحابه والآل ما ذر شارق * فأجلى الدياجي ضوءه المتفجر

ذكر خروجنا من مكة المشرفة

بعد قضاء المناسك كلها والاتيان بالعمرة على تفصيلها والاحرام بها من مكان الاحرام فقد تم ذلك على الوجه الاكمل تقبل الله منا جميع ذلك واننا مكثنا في مكة ما مكثنا اعني المدة المعلومة كما قيل .

اقمنا بها يوما ويوما وثالثا * ويوما له يوم الترحل خامس

اذ مدة اقامتنا في مكة نحن مشتغلون بالطواف والذكر والنظر في الكعبة على اكمل حال واتمه ليلا ونهارا والحمد لله تعالى على ذلك وقد انفصلنا من مكة عند الظهر والبعض عند العصر اما احمالنا واهل بيتنا فعند صلاة العصر اذ ودعوا البيت عند ذلك الوقت واما انا فقد ودعته ذلك الوقت ظنا مني الانفصال ثم ظهر لي بعض الشؤن لا سيما المحب في الله والاخ من اجله سيدي محمد الشريف الطرابلسي فانتظرته الى ان صلينا المغرب فودعت التوديع بقلب حاضر فلما كمل الوداع * وتم الانتفاع * واشتاق الروح واصابه الانتفاع من الم الفراق * واضطرمت نار الشوق في الفؤاد واصابه حر الاحتراق * فركبنا وانفصلنا والحمد الله فوصلنا الى موضع الخيام عند العشاء او بعدها بقرب وخرجنا من اسفل مكة من الموضع المسمى بكدى بضم الكاف وهو الموضع الذي خرج منه النبي صلى الله عليه وسلم اذ يستحب الخروج منه وهو باب الشبيكة ونزل الركب هناك في منزله المعلوم ينتظر كمال الرفقة والعالم بالاحكام كلها يخرج من كدى اقتداء به صلى الله عليه وسلم في حجته على أن

ابن رشيد ذكر في رحلته عن بعض الائمة ان الخروج الى عرفات من الثنية السفلى ايضا فروي عن الحافظ ابي محمد علي بن احمد الاندلسي قال كداء الممدودة هي باعلى مكة عند المحصب حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذي طوى اليها اي صعد اليها وكدى بالضم والتنوين باسفل مكة عند ذي طوى بقريب من شعب الشائعين والشعب بكسر الشين وذلك عند فعيفعان حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم منها الى المحصب الى ان قال بات صلى الله عليه وسلم بذي طوى ثم نهض الى اعلى مكة فدخل منها وفي خروجه الى اسفل مكة ثم رجع الى المحصب .

قال ابو محمد الاندلسي الظاهري اخبرنا بذلك احمد بن محمد العذري عن كل من لقي بمكة من اهل المعرفة بمواضعها من اهل العلم بالاحاديث في ذلك قال ابن رشيد وانما سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الطريق محلقا شبه الدائر لانه لا يحصل التيامن في النزول والدخول الى مكة والخروج عنها الا كذلك فتامله والله تعالى اعلم .

قال الشيخ ابو سالم وما نقله ابن رشيد عن ابن حزم الظاهري من ان خروجه صلى الله عليه وسلم الى عرفات من كدى لم ار من ذكره من اهل السير والحديث مع شدة تتبعهم لافعاله صلى الله عليه وسلم في حجته لما جمعت من معالم الشريعة وقواعدها وحضور جمع من المسلمين لم يجتمع مثله قط في حياته صلى الله عليه وسلم ومثل هذا لا يخفى من افعاله في ذلك المجمع العظيم فقد حفظ من افعاله صلى الله عليه وسلم في تلك الحجة الجلي والخفي حتى مباله صلى الله عليه وسلم في الشعب قبل الوصول الى المزدلفة فكيف يخفى هذا على ائمة الحديث والسير مع ان الحافظ ابا محمد ابن حزم مغرما بجميع الغرائب مع سعة اطلاعه ووفور علمه وكثرة حفظه الذي لا ينكره له موافق ولا مخالف فقد ذكر بعض الائمة ان ابا محمد ابن حزم ساق حجة الوداع في كتابه الذي افرده لحجة الوداع لا يمكن ان يسوقها كذلك حتى بعض من حضر لكثرة ما جمع ومبالغته في التتبع للطرق وجمع الروايات وترجيحها وهو اهل لذلك والمذكور عند سائر المحدثين انه صلى الله عليه

وسلم لم يزل من يوم دخوله مكة نازلا الى ان ارتحل ذاهبا الى منى يوم التروية ويبعد ان يرتحل من الابطح وينحدر الى مكة ثم يخرج من كدى ثم يصعد الى كداء فينزل منها الى الابطح فيذهب الى منى من غير حاجة أكيدة لما في ذلك من المشقة الفادحة الحاصلة من تحليفه بامكنة متعددة حتى يعود الى المكان الذي ارتحل منه ومثل هذا ليس من الافعال الجبلية ولو فعله صلى الله عليه وسلم لكان فيه اقوى دليل على مشروعيته وتاكيد العمل به ولسأله اصحابه عن السر في ذلك لمخالفته للعادة مخالفة قوية ولو كان ذلك لنقل نقلا مستفيضا وصار من افعاله المطلوبة وليس هذا مثل ادارته ناقته في محل كخفة الادارة وقد تكون لغرض اقتضاه الحال مثل قصد العدول الى ناحية او ارادة تكليم احد فدارت الناقة لاجل ذلك وذلك كثير ما يقع للابل ومع ذلك فقد نقل فليتامل ما ذكرنا والله تعالى اعلم انتهى .

﴿ انعطاف ﴾ وهو اننا نزلنا في محل الركب مع نزول المصري اي المغربي على ناحية وهو على ناحية ثم ان امير الحاج المصري اي حسين باي مملوك عمر باي وهو رجل صالح محسن عاقل ومع ذلك انه اراد ان يتخلف المغربي وراء المصري فهرا اذ العادة السابقة ان الركب المغربي يتخلف في الطلعة وفي الرجعة يسبق على ان المصري لما تقوى وكثر فيه الظلم من الجند وضعف الركب المغربي جعلوه وراءهم ذهابا وايابا نعم لما تقوى ركبنا كثر نحو المصري غاية المصري كثر فيه الابل والخدام فتشعب(١) امر المغربي فاجتمع رأي جميعهم على السبق اعني الفلالي والجزائري والطرابلسي لا سيما ان سلطان فزان هو الذي قدم بنفسه وقد اشتهر بالعدالة فاتفق امرهم على التقدم بل تعاهد الجميع على ذلك غير ان الفزاني تأخر في مكة وكذا الفلالي فلم يسبق الا ركبنا الجزائري غير انه قوي قوة عظيمة لو اتفقت كلمته الا انه وقع فيه النزاع لان الشيخ سيدي محمد المسعود نجل

(١) في نسخة تقوى

الشيخ سيدي الموهوب نجل البركة سيدي محمد الحاج سهل الحكم لين العريكة يترك الناس على هواهم فلما حان وقت الظهر واذا بالناس ارتحلوا خوفا من سبق المصري لان اميره يبعث الينا و يقول بالذهاب جميعا الى منزل الينبع اما انا وامثالي فقد رضينا بذلك واما باقي الركب فلم يرض الا بالسبق ولو ادى ذلك الى الفتنة العظيمة بين المسلمين فارتحلوا وما بقي الا العبد الضعيف لان من اكتريت منه قد هرب بالجمال فلم يترك الا اربعة منها ومع ذلك انها ضعيفة وقد دخل المصري اذ الجمال اذا هرب ودخل المصري تعذر وجدانه فلم يبق في المنزل الا خيمتي وعزمت على المشي في المصري ولم يبق معي الا سيدي احمد بن حمود ببلغته مع سيدي احمد الشريف الطرابلسي واصحابه كانوا متاخرين في مكة باجمالهم فوقع بنا امر عظيم ثم ان الله تفضل علينا اذ جاءنا واحد من الجماليين الذين هربوا فمسكناه وربطناه واذا بواحد من اصحابه قد استغاث به ليسرحه فلما ذكرنا له الحجة قال سبحان الله اكرى لكم واكرى لنا ثم ان واحدا من اصحاب عسكر المغربي من الجزائري اتى ليسرحه منا قهرا لكونه جعل له رشوة كما هي عادة ظلم العسكر باخذ الحلاوة ويفعل ما بدا له من غير نظر الى الشرع فلما عرفني وعلم بحالي رجع عليه و (١) ودخل المصري نعم كفه ومسكه وقال له لابد ان تاتي بالجمال الذي هرب للشيخ وهو يوم قد اشتد فيه الحر ونحن نبحث في المصري عليهم انا وولدي وذلك الشخص فاصابني عطش عظيم قد بلغ بي حد الموت فلما رآني بعض من المصري علم بحالي فسقاني سقاه الله من حوضه صلى الله عليه وسلم فاحياني ثم ادخلني لخيمته حتى زال عني ذلك فرجع الي ذلك الجزائري اسعده الله دينا ودنيا فذهب بي الى خيمة عسكر المصري(٢) اعني بيت كاخيتهم وهو رجل مسوسي(٣) قد فرح بي فرحا شديدا وامر بالبحث عن جمالي وقال لا تذهب به الى امير المصري فانه تغير شديدا

---

(١) بياض في جميع النسخ — (٢) في ثلاث نسخ المغربي — (٣) في نسخة رجل لا بأس به

على تقدم ركب المغربي فقالـوا له لاتبقى الا خيمة الشيخ فقال لاباس عليه ثم انهم اتـوا الي بجملين في محل جمالي قالوا واما هو فلـم نجد له خبرا وذلـك عنـد وقت العصر فذهبنـا الى الخيمة فرفعنا الاهل والدبـش عـلى تلـك الجمال وذهبنـا منفردين ثم لحقنـا الركـب الفزاني ثم ذهبنا كذلـك الى ان صلينا المغرب بعد مرورنا بالتنعيم ولم نزل كذلـك في اثر الركب الفزاني حتى مضى وقت العشاء بمـدة فوجدنـاه نازلا فنزلنـا معه ثم صبيحـة تلـك الليلة ظعنا معه الى ان بلغنا وقـت الضحى الوادي الشريـف المسمى الان في ألسنة العوام بـوادي فاطمة فنزلنـا فيه بخيامنا(١) بعـد ان اردنا اللحوق بركبنـا الجزائري منفردين فلما سمع السلطان الفزانـي بعث الينا فكلمنا فقال بعد زوال الحر عند وقت الظهر نرتحل ونسير ليـلا الى ان نلحق بالركـب في عسفان ثم لم يخلف الوعد كذلـك فظعنا عند الظهر ولم نزل كذلـك الى قرب الصبح واذا بزوجته اي السلطـان المذكور توفيـت فنزلوا في الغيضة المعلومة بين عسفان والجبل فلما دفنوها ارتحلنا عند الضحى .

ثم سرنا كذلـك الى ان اشتد الحر فوصلنا عسفان فنزل فاردنـا الذهاب الى الركـب في خليص فتشاورنا مع السيد الشريـف الطرابلسي فقـال الى الفراغ مـن الغـذاء فلمـا فرغنا من شغلـه ارتحلنا مـع خيمتين للشريـف المذكور مع اصحابـه متقلديـن بالحديـد نحو الاثنتي عشرة بندقة فذهبنا الى ان طلعنا الثنية التي بعـد عسفان فوجدنـا فيـه سبالـة فشربنا وتوضانا وصلينا الظهر ولم نزل كذلـك ذاهبين في الطريق المعلومة فعند العصـر راينا جموعا من العرب اصابنا منها خوف شديد لانهم لا يغادرون احدا الا فتلوه واخـذوا ما له وذلـك معلـوم ضرورة فاستعددنا لهم مع الخوف الشديـد غير ان اصحابنـا مـن طرابلس فيهم قوة وشجاعة اذ حلفوا بالله تعالى انـكم لا ترون شيئـا الا بعد مـوت جميعنا ولم نزل كذلـك سائرين وهم بمرأى منا ومسمع فبعيد ساعة زمانية الا ورجل انفصل منهم

---

(١) في نسخة فخيمنا

جاءنا نذيرا ومحذرا منهم فقال اجمعوا امركم ولا تهملوا حالكم واظهروا شوكتكم فان العرب قد استعدوا لكم وارادوا شركم وقال حسبنا الله ونعم الوكيل او كلاما هذا معناه فعلمنا انه رجل صالح مع الاحتمال انه منهم او من غيرهم فالذي دلت عليه القرائن انه منهم ثم تركناه وانفصلنا عنه متوقعين امرهم ومتخوفين شوكتهم فهم اكثر من ان يحصوا غير ان الله تفضل علينا بقوة اليقين في قلوبنا فلم نستنشق منهم رائحة خوف نعم لم يتحرك الينا احد ولا التفت الى جهتنا شخص فهم على حالهم ونحن على حالنا بعد ان صلينا العصر جماعة فلم نزل كذلك الى ان صلينا المغرب فرأينا النار بعيدة فظننا انه عمارة خليص فلم نزل كذلك الى العشاء فقربنا العمارة ولم نزل كذلك الى ان وصلنا الى السافية الكبيرة التي تخرج من خليص فوجدنا ركبنا نازلا بازائها وفرحوا بلحوقنا فرحا شديدا وقالوا ما نزلنا الا منتظرين امركم لا سيما من انفرد عن رفقته منقطعا عنها وهم جماعة انقطعوا معنا ياكلون ويشربون في رحلنا نحو الثلاثة ايام الى ان بلغنا الى خليص فتلاحقت الناس وتم الامر واجتمعت الاحباب .

ثم ان الركب صار مقيما ذلك اليوم الى ان صلينا الظهر فطعنا بعد صلاة الظهر بعد السقي والاستقاء ودفنا من مات هناك وهو الحاج عبد الله بن الحاج الشباني وقد جعلني وصيا على اولاده ولم يكن له ابن وانما له بنات فوجدنا عند زوجته طفلا جعل الله فيه البركة ولم نزل سائرين الى ان بلغنا عقبة السكر وفيها بناء وقد كتب في بعض احجاره ان اقبح الناس من اتى الى الحج بامراة وكتب في اخرى ان اقبح الناس من اتى بلا زوجة ففهمنا منهما ان القبيح اذا كان قادرا ولم يات بزوجته فعليه الذم المكتوب واما الذي لا يقدر واتى بها فعليه الذم المسطور وهو كذلك ونحن والحمد لله ذهبنا باهلنا ولم نر ما يخل بديننا ومع ذلك قد علم قلة زادنا وضعف حالنا نعم لما تفضل الله علينا سرنا سيرة الملوك وذلك كله فضل من الله ومنة ولم نزل كذلك

سائرين الى الصبح ثم الى قرب الظهر فنزلنا قديدا وبتنا فيه ولما ان اصبح الله بخير الصباح ظعنا منه ونزلنا رابغا وهي قرية كبيرة ذات اسواق ونخيل كثير وواد عظيم .

ثم ظعنا منه والنفس مسرورة الى ان نزلنا مستورة واكثر الناس يسمونها قاع البزوة واظن انهما مكانان متباينان ثم ظعنا منه فنزلنا بدرا وهي قرية عظيمة ذات اسواق ومساجد ومياه ونخل كثير واتى الناس الى الركب من كل فج عميق اذ اجتمعت الاركاب كلها هناك واقاموا فيه يوما صحيحا في شرهة عظيمة ونزهة كبيرة وهي بدر التي ذكرها الله في القرءان وهي مزارة عظيمة لا سيما قبور الشهداء ثم ارتحلنا منه بعد صلاة الظهر قرب صلاة العصر وسبقنا الركب المصري بل وقع الازدحام في الوادي المعلوم فكثيرا لا يجد الانسان فرجة يخرج منها غير ان المصري لا يستوي ذاهبا الا بعد صلاة المغرب لانه حينئذ يسوّي الافطار ويتسع الطريق ولم نزل كذلك سائرين في الليل الراكب راكب والماشي ماش على ان اكثر الناس من الفلاحين ومن لا قصد له في زيارته صلى الله عليه وسلم يذهب من بدر الى الينبع حاصله نحن سائرون في الليل في ذلك الوادي وفيه قرى كثيرة ذات بساتين وانه قد وجد فيها شجر الموز وقيل انه يصلح فيها ويثمر ولم نزل راكبين كذلك سائرين في الوادي وفي تلك الخيوف فلم يكن اشد حرا من تلك الخيوف بل في بلاد الحجاز .

ثم كذلك الى ان نزلنا القرية المعلومة التي ينزل فيها الركب وهي جديدة وفي هذه القرية مسجد جامع له بناء متقن تجرى العين من تحته من بناء الامير رضوان رحمه الله تعالى وكم له في طريق الحجاز من مآثر ومعالم تدل على همته ثم ظعنا منه عند الظهر ثم ذهبنا على الطريق المعلومة وهي الوادي ولم نزل كذلك الى ان وصلنا مسجد الغزالة وهي من الامكنة التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم وهو المسمى عند المؤرخين بمسجد عرق الظبية فزرناه وسالنا الله تعالى فيه كل ما يصلح دينا ودنيا .

ثم صعدنا كذلك مع الوادي الى وقت المغرب فبتنا الى الصبح ومررنا ببناء عظيم

واظنه ما نقله شيخنا المذكور ونصه اتينا الروحاء وقت الظهيرة وتفرق الناس باشجارها ولوقت الظهر ينتظرون ووجدنا بئرها لا ماء به وحوله بركة معطلة وبازائها مسجد وثيق البناء صحيح وصلينا به الظهر ولو قيض الله تعالى لذلك الموضع من يعمره لكانت فيه اعانة للحجاج لكن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقد ذكر السيد السمهودي قريبا من البئر مسجدا من مساجده صلى الله عليه وسلم ولا ادري هل هو المبني الاول أو غيره .

ثم سرنا وصلينا العصر بِمَلَل بعد ما تجاوزنا السيالة ومررنا على شرف الروحاء وهو المكان المسمى الان بقبور الشهداء وقد ذكر بعض الناس ان الشهداء الذين سمي بهم المكان قوم قتلوا هنالك ظلما .

وقد ذكر السمهودي ايضا مسجدا من مساجده صلى الله عليه وسلم بشرف الروحاء قال ابو سالم وكان هناك مكان محوط عليه بحجارة شبه مسجد يزوره الناس واظنه هو وفي شرف الروحاء اثار ابار معطلة وبنيان داثر وقد كانت في القديم هناك قرية ولم يبق بها الان شيء من ذلك وأخبرنا ان وراء الجبل بلدا خاليا فيه ابار وبعض نخيل واظنه انه السقيا فإنها قريب من شرف الروحاء فلما تجاوزنا شرف الروحاء سرنا ورأينا هلال المحرم ليلة الاثنين حتى مغيب الشفق واهل طيبة على مشرفها ازكى السلام واطيبه راوه ليلة الاحد انتهى .

فاقول لم نزل سائرين الى ان بلغنا قبور الشهداء عند الظهر فوجدنا الركب المصري نازلا هناك ومررنا سائرين كذلك الى ان صلينا المغرب ونزلنا الى الصبح بل قبل طلوع الفجر ظعنا مبكرين عازمين نهارنا وليلنا دخول المدينة المشرفة فسرنا نهارا وليلا فتراسلت الناس افواجا * وتتابعت بحور الاركاب امواجا * كانها البحر في سيرها * او البرق في خفة امرها * ولم يسام الناس مما لقوا من النصب والتعب لشدة الفرح * الذي استولى على الترح * وقد خفف بعض ذلك بل ازاله من اصله واذا عمرت القلوب بالمسرات * ذهلت الاجسام عما تلاقي من المضرات * واذا تنعمت بروح القرب الارواح * لم تبال بما حصل من المشقة الاشباح * واي مسرة اعظم من الدنو من دار الحبيب الرسول * صلى

الله عليه وسلم واي لذة اهنأ واتم من رؤية حضرته * صلى الله عليه وسلم والوقوف عند روضته التي هي غاية المنى والسؤل * فلعمري لقد انتعشت الاجسام بعد ما ذبلت * وطلعت شمس الافراح بعد ما افلت * وانبسطت انوارها من القلوب الى الوجوه فاشرقت * وسرى اجلالها واعظامها من الافئدة الى الرؤس فاطرقت * وظهر اثر النشاط والمراح في الركائب فاسرعت * وخبّت من دون حاد ولا سائق وأوضعت * وكأن ما ينالها من سموم النصب ولهيب التعب نسيم السحر * وكأن عرقها السائل مع الاعناق بليل المطر * لا تلوي الى سمرة خضراء * ولا تالو ما اسرعت في موماة غبراء .

قال ابو سالم وعند ما شاهدت من صنيعها الغريب ما شهدت ترنمت * فوق الاكوار وانشدت

خليلي ما للعيس في سيرها تعدو * ومن قبل اعيت من يسوق ومن يحدو
أظن لها علما يقينا بانها * لقبر رسول الله قد اصبحت تغدو
لذلك لم تجزع لحر اصابها * كما جزعت بالامس اذ مسها الجهد
فلا تعجبوا من علمها باقترابها * وليس لها بالدار من قبل ذا عهد
فقضل رسول الله في الكون ظاهر * اقرت به العجماء والحجر الصلد
وانوار ارض حلها قد تلالات * احست بها الابصار والعظم والجلد
دنت فدنت اعلامها فبدا لنا * من الشوق في الاحشاء ما لم يكن يبدو
عليها من الرحمان ازكى تحية * تدوم دواما ما لاخره حد
تكاد من الاشواق ارواحنا لها * تطير ولم تجزع وان نالها كد
ولولا الذي قد عاقها من جسومنا * لطارت ولكن الجسوم لها قيد
وكنا نظن القرب يذهب بعض ما * بها فاذا بالقرب زاد لها الوجد
ولِمْ لا وآن الوصل محكم ذكرها * غدا ناسخا ما كان يقرأه البعد
أتاح لنا الرحمان فيها اقامة * بخير الى ان يحوي الجسد اللحد

بجـاه حبيـب الله افضـل مـن بـه * توسـل مـن لم يغنـه الجد والجـد
عليه صـلاة اللـه ما دام وصلـه * يزيد له شوقـي اذا ذكرت نجـد

ولم نزل كذلك بصواعق الشوق ترتعد الجوارح منها وتطيش * ولا تشاهد العيـن الا مشاهدة الضمير فجناح العشـق له ريش(١) * والـزوار في كل واد يهرعـون * والى الارتفاب في كل مرفب يسرعون * ليشاهدوا بعض تلك الفباب * فتتمتع العيـن فبل تتمع الجسم بالدخول من الباب * واول مكان ترى منـه فبابها واسوارها * وتشاهـد منه بالبصر والبصيرة انوارها * الجبل المسمى بمفرح * اذ لا يبفى بعد الصعود اليه هم مبرح * فتسارع الناس عند الدنو منه لصعوده * وتباشروا برؤية منزل الرسول وشهوده * فلم يتخلف عن الصعود اليه * الا من لا فدرة له عليه .

فال شيخنا المذكور عن شيخه ابي سالم وفي ذلـك فلت هذه الابيـات * ذاكرا لبعض المعالم التي هي للفرب من اصدق الايات

يا صاحبـي نلت المنى فاستبشـر * ودنـوت مـن دار الرسول الاطهـر
وبدت معالم طيبة لـك فاستمع * اوصافها من صـادق لـك مخبـر
هذا مفـرح كاسمه وكأنـه * يافوتـة رشت بـذائـب عنبـر
وامامه البيـداء يسطـع نورهـا * لبصائـر الـزوار هـل مـن مبصـر
وعلى يمينـك فد بدا عيرٌ يُـرَى * بالفـرب كالثـور العفير الاعفـر
وانـخ ركابـك بالمعـرس انـه * لمبـارك وبمائـه فتطـهـر
واحـد الركاب مع العفيـف منعما * عينيك في ذاك المكان النيـر
يا حبـذا أُحُـدٌ نـراه يحبـنـا * ونحبه جبـل جميـل المنظـر

(١) في الرحلتين العياشية والناصريـة ولم نزل ذلك اليوم في ارغد عيش * وان كان تباريح الشوق غير خال من الطيش * فلا تسمع الاذان الا ذكر الحبيبة مسكن الحبيب * ولا تشاهد الاعيـن الا مشاهد تمت اليها بنسب فريب

وكأنما هو حلة من عسجد * صبغت جوانبها بمسك اذفر
واذا اتيت كرة غربية * وعلوت غاربها علو مشمر
ودنا النقا وبدا المصلّى فاغتبط * بالقرب من أصل المفاخر وافخر
واترك قبا من عن يمينك واجعلن * سلعا وديتك في الجناب الايسر
واصمد تجاهك يعترضك مهنيا * بطحان دون مناخة والعنصر
ما بعد ذا الا الدخول لطيبة * بسكينة تمشي بدون تكبّر
يهديك للحرم المكين شذاه من * باب السلام ادخله دون تصبّر
وعن الصلاة على النبي مسلما * مهما قربت لداره لا تفتر
واعلم بانك ان وقفت مصليا * ما بين روضة سيدي والمنبر
في روضة من جنة متقلبا * من[1] ارضها في طاهر ومطهر
تغشاك من رحمات ربك نفحة * تحظى بها دنيا ويوم المحشر
فلانت بينهما يقينا واقف * ما بين جنة عدنه والكوثر
فاذا وقفت أمام وجه نبيه * حيّاك بالرضوان منه الاكبر
فهناك تستجلي البصيرة ان صفت * اصل الجمال بدا باعظم مظهر
فترى العوالم كلها بجمالها * وجلالها حضرت باقدس محضر
اصل الوجود ومنبع الجود الذي * عمّ المظاهر في جميع الاعصر
نور الاله به استنار عباده * دنيا واخرى ذي المحيّا الازهر
محمود كل الخلق احمد حامد * ومحمد بمقام حمد اشهر
صلى عليه الله خير صلاته * وللال وللاصحاب اكرم معشر

لما تجاوزنا جبل مفرح بمسيفة قطعناها دون مين * وصلنا الى منتهى ابعد الكرمين *

---

[1] في رواية هي

وهو حرم الشجر الذي هو بريد في بريد * وحده طرف البيداء التي بها الهموم تبيد * وقطعناها بفرح وسرور * ونشاط وحبور * وجئنا قبيل الزوال ذا الحُلَيْفَة * فد نسي كل الف من شدة السرور الفه * وهي البطحة المباركة المكينة * وميقات ساداتنا اهل المدينة * و بها المعرس الذي امر النبي صلى الله عليه وسلم بالتعريس فيه * فنحن في ذلك نفتنفيه * واغتسل من اصحابنا من اراده هنالك وتوضات وصلينا بمسجد ذي الحليفة و بالمعرس ايضا انتهى ·

﴿ انعطاف ﴾ الى ما كنا بصدده وهو اننا سرنا بالليل الى طلوع الفجر ففربنا المدينة المشرفة ثم كذلك الى الاشراف بل الى الضحى دخلنا المدينة المشرفة ونزل الركب المغربي عند الباب الذي يذهب منه الى جبل احد وتخلف اكثر اصحابنا ومعهم ولدي محمد حتى ظننت انه نام في بعض المواضع وخفت ان ياخذه اللصوص فكنت اسأل عنه فاخبرت انه تخلف مع الاصحاب راكبا على فرس الشيخ سيدي مُحمد المسعود وهو راكب على بغلتي اذ هو مريض فد اشرفه المرض على الموت واوصاني على اهله واولاده بأن اكون لهم حافظا ومراعيا الى ان يصلوا مذكال فبرئ والحمد الله ثم بعد وصول ولدنا .

حاصله لما اشرفنا على المدينة المشرفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام غشينا نور عظيم وبهاء فوي لا يخفى عن اهل الذوق السليم والطبع المستفيم الا من حجب بالحجاب الجسماني والهوى النفساني ونزغات الشيطاني وافول كما فال شيخنا المذكور ولم نزل يومنا هذا في حل وارتحال * وانتفال من حال الى حال * حتى اذا لاحت حدائق النخيل من المدينة والفباب * وتلك المآذن في الحرم الشريف على باب * تذكرنا فول الفائل ولفد صدق من فائل(١)

---

(١) في هامش الرحلة الناصرية وهو ابو الفضل الجوهري حيث فرب من المدينة المنورة

ولما رأينا رَسْمَ مَنْ لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لُبّا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة * لمن بان عنه ان نلمّ به رَكْبا

انتهى

ولما استقر بنا المنزل * واجتمعت فيه الاصحاب والاهل * ذهبنا الى الحرم الشريف * والمسجد المنيف * الى ان وصلنا فدخلنا من باب السلام * على صاحبه افضل الصلاة والسلام * ولقد تاه القلب في الجلال * والبهاء والكمال * وانبسط علينا النور في الحال * وكنا في التنقل في مراتب التجلي اعز انتقال * فاطمأن الفؤاد وطاب الحمد والثناء على الوصول الى روضة المتعال * فبلغ القلب مناه فغاب عن الاكوان بكامل البدور وقمر العز فتنزه عن سواه غير اني خفت بل تيقنت اني لست اهلا لمشاهدة الرسول * ولا ممن يتادب بادب الفحول * نعم الفضل والمنة على الاصاغر لا يزول * فتوجهت الى الموضع الذي صلى فيه الرسول * وهو القريب من العمود المخلق لانه ليس بمجهول * فركعت تحية المسجد ومع ذلك اني في مرض ونحول * وهو مرض الاسهال وتقوى علي السقم غير ان القلب مني فوق يجول في العالم العلوي يسري وبالعلوم اللدنية يقول * فلا يكاد يرجع بل يثنيه ويتعالى في الارتفاع فهو بعيد عن التنزل والنزول * فلم يمر علي زمان احلى من هذا الزمان * ولا استقررت بمكان احلى من هذا المكان * فذلك الوقت هو عيد الارواح * وجنة الاشباح * وبستان الفؤاد يزهو بالاقاح * وحور المعارف قد حليت بحلل الالمع والالماح * فيا لها من صفقة قد علت وقامت بالارباح * فليس لذلك الزمان ثان * ولا لذلك العصر اوان * بخ بخ على زيارة الحبيب * والاشراف على رحيم قريب * حريص عليكم بالمنى * رؤف بالغنا * رحيم بالهنا * لطيف بالسنا * شفيق يودنا * هنيئا مريئا لنا * اذ قال مرحبا واهلا وسهلا بوفودنا * وهو اكرم من تكرم من انبيائنا ورسلنا * حاشاه ان يحرم تلك الوفود والزوار منا ومن اصحابنا * بل ما عنده من خزائن الكرم لضيافة تفنني * فانه اجل ان يمنع بعض الناس بسوء فعله وما حصل له من

العنا * نعم بسط رداء كرمه لجميع من اتاه فلم يخب احد مما تمنى * فحقيق وجدير قد حصل للناس كلهم الغاية القصوى والمنى * وكيف لا والله يقول حريص عليكم بالمومنين رؤف رحيم فليس الا الفرح والحبور والهنا * لان كل احد من الواقفين لديه تيقن من نفسه انه حصل له منه صلى الله عليه وسلم ما به القصد والمعتنى * هذا وان العبد ذهب للقبر الشريف * والمحل العظيم المنيف * يستنشق سباحة طلعته * صلى الله عليه وسلم وكريم نشاته * وطيب ذاته الكريمة وجميل هيئته * لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره الشريف وانه روضة من رياض الجنة ينظر القاصدين اليه بان يكمل الكاملين * ويغسل المتلوثين * فكل يعامله على حسب نيته * ويرفعه على حسب همته * فلما توجهت اليه اقول كما قال شيخنا المذكور «(ما نصه)» فركعنا بمصلى النبي صلى الله عليه وسلم بازاء العمود المخلق الكائن في روضة الجنة * وعظمت عليّ من الله المنة * فتقدمت الى الحجرة الشريفة * البهية المنيفة * ولما واجهت الضريح * وعدلت عن حديث النفس الى البيت الصريح * وافصحت عما في النفس اي افصاح * والححت اي الحاح * اخذت الدموع في الانحدار * ومناداة البدار البدار * على ذلك الحال الاول * من توالي العبرات والعهد الذي ما تحول .

خَلِّي الدموع لوقتها * يا مقلتي وتمتعي
وتغنمي طيب اللقا * وَرِدِي لذيذ المشرع
هذا الذي يوم القيا * مة راج خير مشفع
هذا الذي إن جاد أزْ * رَى بالغيوث الهُمَّع
فترقبي خِلَعَ القبو * ل مع النَّدَى المتنوّع
وانا الكفيل اذا * رحلت من البكا ان تشبع

فزرنا أكرم نبي وافضل رسول * وسلمنا عليه وعلى صاحبيه الفائزين من قربه بأعظم مامول * واسنى سول

وصلنـــا اليـه واتصلنـــا بفربـــه * فلله ما احلى وصـــولا وصلنـــاه
وفمنـــا وسلمنـــا عليـــه وانـــه * ليسمعنا من غير شك شككنـاه
ورد علينـــا بالســـلام سلامنـــا * وفد زادنا فوق الذي نحن زدناه
كذا كان خلق المصطفـــى وصفاته * بذلك في الكتب الصحاح وصفناه
ومن كان وَصّى بالسـلام لاحمـد * فبُشْراه بَلَّغنـا السـلامَ ونُبِّنـــاه
وثَمّ دعونـــا للاحبـــة كلهـــم * وكم من حبيب بالدعاء خصصناه
وملنـا لتسليـم الامامـين بعـــده * فانهما حفـا هنـاك ضجيعـــاه

ومتعت بذلـك الكرم * وكرعت في مناهل الفضل والكرم * انتهى ·

﴿ نكتة وفائدة ﴾ فد فعلنـا ما امرنا به وامتثلنا طبق ما نحن بصـدده تفبـل الله من الجميع ولله المنة فايام افامتنا بمسجده صلى الله عليه وسلم ان لازمنا الصلـوات الخمس فيه والحمـد لله ما صلينا صلاة في غيره وبالجملـة ففد لازمت المسجـد النبـوي للصـلاة ولغيرها فلا نخرج منه الا لما لابد منه كالاعراض البشرية وزيارة البفيع وغيـره من المـزارات ولما استفر بنا الحال خرجنا لزيارة البفيع مع البعض من اصحابنـا من المدينـة المشرفـة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ·

فال شيخنا المذكور ﴿ ذكر المشاهد التي زرناها بالمدينة المنورة ﴾ الى ان فال خرجنا الى زيارة اهل البفيـع * ذوي المجد الاثيل والفـدر الرفيع * رضوان الله تعـالى عليهم وتتبعنا الاماكن المشهورة الى ان فال ودعونا الله عند كل مشهد بما نرجو الله فبوله لنا ولاخواننا وأحبائنا الحاضرين والغائبين ومشائخنـا نسأل الله تعالى ان يعود ببركة ذلك علينا وعليهم في ديننا ودنيانا وفد استوفى السيد السمهودي في تاريخ المدينة ذكر المشاهد الظاهرة بالبفيع احسن استيفاء فليراجعه من اراد تحفيق ذلك .

ولنذكر بعض المشاهد ممن زرناه والا فمفبرة المدينة لا مفبرة على وجه الارض اشرف منها بالاجماع فهي خارجة من الخلاف الذي في تفضيل المدينـة على مكة اذ لا نعلم مفبرة على

وجه الارض مثلها دفن فيها من سادات هذه الامة وافاضلها من الصحابة خصوصا الخلفاء وازواج النبي صلى الله عليه وسلم واولاده واكابر اهل بيته وسادات التابعين وتابعيهم باحسان فهم آل زمرة تحشر مع النبي صلى الله عليه وسلم فيهم خلفاؤه واعمامه وعماته و بناته و ولده ابراهيم وازواجه واكابر اهل بيته والجم الغفير من اصحابه وانصاره واولادهم واتباعهم فلا يشك مسلم ان ليس في امة النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الزمرة التي تبعث من المدينة .

وقد روي عن الامام مالك رضي الله عنه انه قال دفن بالمدينة اكثر من عشرة الاف من الصحابة وبها شهداء احد وليس في غزواته صلى الله عليه وسلم اكثر من هذه الغزوة شهيدا و بها شهداء الخندق و بها شهداء الحرة وليس فيمن استشهد بعد النبي صلى الله عليه وسلم اكرم منهم شهيدا وكم فيها من مآثر ومشاهد يعلم بعضها بالنظر في تاليف من الف في فضلها فاول من يلقاك من المشاهد اذا خرجت على باب المدينة المسمى بباب البقيع قبة فيها صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم على يسارك وانت ذاهب في الزقاق الذي وسط البقيع الى ناحية المشرق وان ملت الى اليمين مع سور المدينة فهناك مسجد صغير قيل انه موقف النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج يستغفر لاهل البقيع وقيل هو زاوية دار عقيل بن ابي طالب التي دفن فيها و فيها دفن اكثر اهل البيت روي عن خالد بن عرفجة قال كنت ادعو ليلة الى زاوية عقيل فمر بي جعفر بن محمد فقال لي اعن اثر وقفت هنا فقلت لا قال هذا موقف النبي صلى الله عليه وسلم بالليل اذ خرج يستغفر لاهل البقيع .

قال المراغي وقد اخبرني غير واحد ان الدعاء هناك مستجاب فاذا مررت كذلك تحت سور المدينة يمينا الى ان توازي قريبا من زاوية سور المدينة الذي فيه مشهد السيد اسماعيل فهناك على يسارك القبة الكبيرة المؤثلة في الهواء وفيها مشهد العباس ومشهد الحسن بن علي ومشهد أمه السيدة فاطمة الزهراء على المشهور رضي

الله عنهم اجمعين وقيل أمامهم لجهة القبلة ومشهد زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وكثير من اهل البيت وبين هذا المشهد وزاوية دار عقيل مشاهد متعددة الى جهة المشرق ومنها مشهد امهات المؤمنين يروى ان فيه امهات المومنين كلهن ما عدا خديجة وميمونة رضي الله تعالى عن جميعهن وهو في قبلة المشهد المنسوب لعقيل ومنها المشهد المنسوب لعقيل وفيه قبر ابن عمه ابي سفيان بن الحارث روي ان عقيل ابن ابي طالب رى ابا سفيان بن الحارث يجول بين المقابر فقال يا ابن عمي مالي اراك هنا فقال اطلب موضع قبر فادخله داره فامر بقبر فحفر في فاعتها فقعد عليه ابو سفيان ساعة ثم انصرف فلم يلبث الا يومين حتى توفي ودفن فيه ومنها مشهد يقال ان فيه بنات النبي صلى الله عليه وسلم كلهن رضي الله تعالى عن جميعهن ما عدا فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها وهو قرب مشهد عقيل ولا شك ان من مات من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم في حياته كان في قبة قرب قبر عثمان بن مظعون لما ورد في الاحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات عثمان بن مظعون وضع عند رأسه حجرا قال اعلّم به قبر اخي وادفن فيه من مات من اهلي وهذا المشهد قريب من ذلك .

ومنها مشهد سيدنا ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم فيه قبره وقبر عثمان بن مظعون فقد جاء في الحديث ان اول من دفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبقيع عثمان بن مظعون فلما توفي ابنه ابراهيم قالوا يا رسول الله اين نحفر له قال عند فرطنا عثمان بن مظعون وفي الحديث ما يدل على ان بنات النبي صلى الله عليه وسلم هناك فقد روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما لما ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحقي بسلفنا عثمان بن مظعون والثابت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يحضر ابنته رقية لغيبته ببدر وانه حضر ابنته ام كلثوم وزينب قال السمهودي اصل المروي في الطبراني وارد في احداهما ثم قال والظاهر انهن جميعا عند عثمان بن مظعون لقوله عليه الصلاة والسلام لما وضع الحجر عند رأس عثمان بن مظعون اعلّم به قبر اخي وادفن اليه من مات من

اهلي رواه ابن ماجة بفتح الجيم مخففة والحاكم وفي ذلك المشهد ايضا قبر فاطمة بنت اسد ام علي رضي الله تعالى عنه كما حققه السيد واستدل لذلك باحاديث ثم قال وهذا صريح في مخالفة ما عليه الناس اليوم في المشهد المنسوب اليها في فم زقاق اقصى البقيع من شرقيه بل ليس من البقيع . وفي هذا المشهد قبر عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقد روي عن حميد ابن عبد الرحمن قال ارسلت عائشة الى عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما حين نزل به الموت ان هلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اخويك فقال ما كنت مضيقا عليك بيتك إني كنت عاهدت ابن مظعون اينا مات دفن الى جنب صاحبه .

وفي المشهد ايضا سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه روي عن ابن دهقان قال دعاني سعد بن ابي وقاص فخرجت معه الى البقيع وخرج باوتاد حتى اذا اتى موضع زاوية دار عقيل الشرقية الشامية امرني فحفرت حتى اذا بلغت باطن الارض ضرب فيها الاوتاد ثم قال ان هلكت فأدلهم على هذا الموضع يدفنوني فيه فلما هلك قلت ذلك لولده فخرجنا حتى دللتهم على ذلك الموضع فوجدوا الاوتاد فحفروا له هنالك وفي هذا المشهد ايضا قبر عبد الله بن مسعود فقد روى ابن سعد في طبقاته ان ابن مسعود رضي الله عنه قال ادفنوني عند قبر عثمان بن مظعون وفي المشهد ايضا قبر خنيس بن حذافة السهمي زوج حفصة قبل النبي صلى الله عليه وسلم فقد روي انه دفن عند عثمان بن مظعون وفيه ايضا قبر أسعد ابن زرارة رضي الله عنه .

قال السيد السمهودي بعد ذكره لما تقدم مبسوطا بأدلته فينبغي السلام على هؤلاء كلهم عند زيارة مشهد سيدنا ابراهيم معه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على القول بانها بالبقيع وهو الارجح انتهى .

قلت وقد تقدم انها في قبة العباس مع ابنها الحسن وذريته وهو الاولى ان شاء الله تعالى قاله ابو سالم .

ومنها مشهد امير المومنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بموضع يسمى حش

كوكب في اقصى البقيع من ناحية المشرق عليه قبة عظيمة هائلة وفي قبلته خارجه محوط من خشب مخروط فيه قبر النقشبندي رضي الله عنه ومنها مشهد ينسب لحليمة السعدية مرضعة النبي صلى الله عليه وسلم شامي مشهد عثمان الى جانب الطريق عليه قبة لطيفة .

ومنها مشهد الامام مالك رضي الله عنه اذا خرجت من باب البقيع كان مواجها لك على يمين زقاق البقيع الذي يشق وسطه والى جانبه يقال انها لنافع مولى ابن عمر وقيل لنافع القارئ وقيل لبعض ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ومنها المشهد المنسوب لفاطمة ابنة اسد باقصى البقيع وقد تقدم عدم ارتضاء السيد لذلك قال عند ذكره لهذا المشهد والظاهر انه مشهد سعد بن معاذ الانصاري رضي الله عنه ومن المشاهد القريبة من البقيع وليست منه مشهد سيدنا اسماعيل بن جعفر الصادق وهو كبير يقابل مشهد العباس في المغرب وهو ركن سور المدينة هناك وبني قبل السور فصار بابه من داخل المدينة والمسجد الذي بجانب المسجد لزين العابدين وعرصة المسجد داره والبئر التي بين الباب الاول والمشهد بئره وقد ذكر انه يتداوى بها .

وقال شيخنا ابو سالم وهناك بئر اخرى في الرحبة الواسعة التي هي خارج المشهد يقال انها هي التي يستشفى بمائها ﴿ غريبة ﴾ قال شيخنا ابو سالم في رحلته لما قدم ركب اهل العراق وكان غالبهم روافض بل كلهم وكانوا يكثرون زيارة مشهد السيد اسماعيل رضي الله عنه كغيره من مشاهد اهل البيت وكانوا ياتون اليه افواجا فلما ينقطع زائر منهم ايام اقامتهم بالمدينة قال فبينما نحن ذات يوم جالسون اذ جاءت طائفة منهم فيهم بعض من يشار اليه منهم فزاروا وسلموا وكان من جملة سلامهم ان قالوا السلام عليك يا سيدنا اسماعيل و بالغوا في تعظيمه الى ان قالوا نشهد انك على دين اخيك موسى يعنون موسى الكاظم رضي الله عنه ونشهد انك غير مخالف له متبع لطريقه في هذيان كثير .

وسبب ذلك والله اعلم ان الرافضة قبحهم الله منهم طائفة تقدم اسماعيل على اخيه

ويفولون انه الامام بعد ابيه وانه احد الائمة الاثني عشر المعدودين عندهم يعتفدون فيهم العصمة وهذه الطائفة تسمى الاسماعيلية وكثير منهم بارض اليمن الان لهم مذاهب ينتحلونها واراء في العفائد يعتفدونها ومن سوى هؤلاء الروافض يعتقدون الامامة لاخيه موسى الكاظم رضي الله عنه ويعتفدون ان اخاه لا ينازعه في ذلك ويرون ان الاسماعيلية كاذبون عليه مفترون في ادعائهم الامامة له ولاجل ذلك ينزهون اسماعيل عن مخالفة اخيه رضي الله تعالى عنهما ومن علم احوال هؤلاء الائمة من اهل البيت واسلافهم واولادهم رضي الله عنهم وعلم ما كانوا عليه من تعظيم السنة ووفور العلم وتعظيم اصحاب جدهم صلى الله عليه وسلم علم براءة ساحتهم من كذب هؤلاء الارجاس وافترائهم عليهم احاديث ما انزل الله بها من سلطان * ولا جاء في سنة نبيه بيان * ولما خرجت الطائفة المذكورة من المشهد وجاء والى البئر الخارجة وففوا عليها وترحموا ودعوا وفال لهم كبيرهم ان هذه البئر هي التي دخل فيها الامام جعفر الصادق رضي الله عنه فغاب عن اعين الناس الى الان وهم يظنون انه فد مات او كلاما هذا معناه ففضينا العجب من حمفهم وفبح اعتفادهم في آل البيت الذي آل بهم الى تنزيههم عن الموت وذلك معتفد الروافض باجمعهم في الامام الثاني عشر من ائمتهم وهو محمد بن حسن العسكري رضي الله عنه يعتفدون انه الى الان حي وانه هو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان الموعود به في الحديث الصحيح انه يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا فلت والعجب كل العجب من متابعة بعض اهل التصوف في ذلك لهم حسبما نفله سيدي عبد الوهاب الشعراني عن بعض مشائخه وانه اجتمع به واخبره بمفدار عمره وانه جاوز السبعمائة سنة اذ ذاك بل في كلام بعضهم ما يشير الى ان الشيخ محيي الدين يفول بذلك ولولا الاطالة لنفلت كلامهم في ذلك والعلم عند الله تعالى فان صح عن هؤلاء الائمة انهم فالوا ذلك فنحن ممن يعتفدهم ويجزم بصدفهم فيما يفولون لانهم خيار الامة الا انا نكل العلم الى الله تعالى في فهم ما ورد عنهم في ذلك اذ ليس في الشريعة فاطع يدل على كذب الروافض في هذه المسألة بخصوصها وان كانوا كاذبين في غيرها وموافقة بعض ائمتنا الصوفية لهم في ذلك من جهة الكشف لا يفدح في كمال

منصبهم لعدم القاطع في كذبهم ولا يدل ايضا على صدق الروافض فيما سوى ذلك مما تبين كذبهم فيه وافتراؤهم فان موافقة المحق للمبطل في جزئية لا دليل على بطلانها لا يدل على صدق المبطل فيما سوى ذلك ولا على كذب الصادق فيما سوى ذلك وقد وافق كثير من الائمة المحققين اهل الكشف الصادق آراء الفلاسفة في جزئيات مما ادعوه لم يقم الدليل على بطلانها كما وافق كثير منها ايضا الجم الغفير من المحققين من علماء الظاهر اهل الكلام فلا يشكل عليك ما تجده في كلام ائمة الطريق رضي الله عنهم موافقا للفلاسفة تارة وللروافض اخرى فذلك لا يقع في كلامهم غالبا الا فيما لم يقم دليل على بطلان قولهم فيه وان فرض فيما سوى ذلك وما ابعده من جلالة منصبهم فهو مؤول قطعا فشد يدك على ما قررنا وهذه الفائدة ساق الله تقريرها في هذا المحل ولم يكن تستطيرها قبل ذلك لنا ببال انتهى .

ومنها مشهد على يسارك وانت مار في زقاق البقيع يقال انه لابي سعيد الخدري رضي الله عنه وقد ذكر السيد السمهودي المشاهد كلها التي ذكرناها الا هذا والذي نسب لحليمة فلم يذكرهما ولا ادري هل حدث بناؤهما بعده او لم يتضح له صحة نسبتهما لمن ذكر مع ان السيد السمهودي قد ذكر ابا سعيد فيمن دفن بالبقيع وروى عن عبد الرحمن ابن ابي سعيد قال قال لي ابي يا بني اني قد كبرت وذهب اصحابي وحان موتي فخذ بيدي فاخذت بيده حتى جاء الى البقيع فجئت اقصاه مكانا لا يدفن فيه فقال يا بني اذا هلكت فاحفر لي هاهنا فاذا ثبت ان قبره اقصى البقيع فلا يبعد ان يكون هذا قبره .

واما قبر حليمة فقال لم ار احدا ذكر انها دفنت بالبقيع والله تعالى اعلم وعلى كل حال فيزار كل مشهد له نسبة الى الله او الى رسوله صلى الله عليه وسلم ولو لم تصح نسبة المشهد اليه فان لمجرد النسبة اثرا في حصول البركة .

ومن المشاهد التي تزار بالمدينة وليست بالبقيع ثلاثة احدها مشهد مالك بن سنان والد ابي سعيد الخدري وهو من شهداء احد رضي الله عنهم ومشهده غربي المدينة

بلصق السور من داخله وعليه قبة قديمة البناء ومحله من سوق المدينة القديم روي عن ابي سعيد رضي الله عنه انه قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقل من شهداء احد الى المدينة ان يدفنوا حيث ادركوا فادرك مالك بن سنان عند اصحاب العباء اي الذين يبيعون العباء في طرف الحناطين ولابن زبالة فوافوه في السوق فدفن عند مسجد اصحاب العباء وهنالك كانت احجار الزيت ثانيها مشهد ذي النفس الزكية وهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم اجمعين وهو اخو السيد ادريس اول اهل البيت قدوما الى المغرب وعامة شرفاء اهل المغرب من نسله الا شرفاء سجلماسة فانهم من نسل النفس الزكية استوطن اسلافهم الينبع فقدم جدهم منه الى المغرب في السابعة والله اعلم ومشهده بناء في جوف مسجد كبير شرقي سلع وفي قبلة المسجد منهل من عين الازرق وهذا هو المستفيض بين اهل المدينة .

قال السيد وذكر سبط ابن الجوزي ان كثيرا من الناس كان قد بايعه فخرج على المنصور بعد حبسه لابيه واقاربه فجهز اليه المنصور عمه عيسى بن موسى في اربعة ءالاف وذكر قتله عند احجار الزيت اي عند مشهد مالك بن سنان وان جسده دفن بالبقيع الى ان قال وثالثها مشهد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وهو باحد فهذه المشاهد هي المعروفة بالمدينة فينبغي لزائرها ان يزورها ويسلم على اصحابها ويتوسل بهم الى الله تعالى في بلوغ مآربه .

﴿ نكتة ﴾ مما ينبغي لزائر المدينة الاكثار من الصلاة في المسجد النبوي فقد روى الامام احمد والطبراني في الاوسط ورجاله ثقاة عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه من صلى في مسجدي اربعين صلاة لا تفوته صلاة كتب له براءة من النار وبراءة من العذاب وبرئ من النفاق ولفظ الصلاة وان كان شاملا للفرائض والنوافل فالظاهر من الحديث خصوص تلك بالفرائض بدليل زيادة الطبراني لان الفوات فيها اظهر ولا يبعد إلحاق النوافل الموقتة باوقات معلومة بها كالوتر وركعتي الفجر وان ألحقت بها الرواتب ايضا

والضحى والتهجد خصوصا عند من لا يرى التحديد فيها كالامام مالك رضي الله عنه اتسع الفضل و رجي حصول ذلك الفضل لمن اقام ولو يوما واحدا وحافظ على تلك الصلوات في المسجد النبوي كحجاج المغرب فانهم في بعض السنين لا يقيمون الا يوما واحدا فليتنبه لهذه الدقيقة وليحافظ عليها من قصرت اقامته بالمدينة ليحصل له هذا الفضل العظيم الذي فيه خير الدنيا والاخرة واما من تطول اقامته بالمدينة ثمانية ايام فانه يحصل له هذا الفضل بالفرائض دون النوافل كاهل الشام فانهم يتاخرون بالمدينة عن الاركاب المغربية والمصرية ويتسع مجالهم في المدينة ويتتبعون بالمشاهد من غير منازع ولا مدافع فيقيمون العشرة ايام فا كثر ويتمتعون بمشاهد تلك البقاع ونصبت الاسواق * واتسعت الارزاق * وقسمت الصدقات * وكثرت الارتفاقات .

و بالجملة فلا ينتفع اهل المدينة بركب انتفاعهم باهل الشام فانهم يقدمون بتجارات كثيرة وطعام و زيت واشربة يبيعونها بالمدينة عند قدومهم و يدخرون ما بقي الى الاياب فيبيعون كل ذلك بالمدينة .

قال ابو سالم لاهل المدينة عند قدومهم عادة مذمومة وهو انه لا تبقى مخدرة من النساء شريفة كانت او وضيعة الا خرجت تباشر البيع والشراء بنفسها ولهن في ذلك الوقت على الرجال اتاوة يؤدونها لهن ينتفعن بها ما احببن من اللائق بهن من طيب وشبهه و ربما لا تقنع احداهن من زوجها الا بالخمسين دينارا فما فوقها فقد حكي ان امراة بعض المدرسين بها اعرفه طلبت منه في ذلك اليوم ما تخرج به الى السوق على العادة فدفع لها عشرة دنانير ذهبا فاستقلتها وذهبت من شدة الغضب فرمت بها في المرحاض واتلفتها عليه وقالت امثلي يخرج الى السوق بهذا المقدار فلم يملك من امره الا ان ذهب وتسلف خمسين دينارا فدفعها لها وهذه حسرة عظيمة وذل للرجال الذين جعلهم الله قوامين على النساء فلا ينبغي لذي همة ان يرضى بذلك بيد ان نساءهم يبالغن في الستر الظاهر بحيث لا يبدو من المراة ولو مغرز ابرة حتى من اطرافها يلبسن الخفاف السود ويتبرقعن و يسدلن

من أُزُرِهِنّ ما يكون نهاية في الستر الا انهن يكثرن من الطيب عند الخروج فيوجد عرف الطيب منهن من مسافة فيكون ما سترنه ظاهرا ابدينه باطنا وبهذا فسر بعض العلماء قوله صلى الله عليه وسلم رب كاسية في الدنيا عارية في الاخرة لان الحكم في الاخرة انما هو للحقائق ومن هذه صفته من النساء وان اكتست في الظاهر فهي في الحقيقة عارية لان حقيقة التعري ابداء ما حقه ان يخفى كما ان التستر اخفاء ما لا ينبغي ان يظهر ولا خفاء ان عطر المراة من اعظم زينتها والذ ما يشتهى منها وقد امرت باخفاء ما هذا سبيله من اوصافها فاذا ظهر منها ذلك فهي في الحقيقة عارية وان اكتست فان من العورات ما لا تواريه الكسوة ولا يواريه الا تركه رأسا او الخلوة ككلام المراة فالصحيح انه عورة وكذلك عطرها فلا يواريه الا تركه ولذلك جاز لها الطيب المؤنث وهو ما ظهر لونه وخفي ريحه لان اللون تستره الثياب بخلاف الريح فلا يستره الا الترك رأسا او عدم الخروج فليتامل . انتهى .

﴿ ذكر المساجد التي تزار بالمدينة لنسبتها للنبي صلى الله عليه وسلم ﴾ فمنها مسجد قُبَا وهو المسجد الذي اسس على التقوى في اصح الاقوال وقيل هو مسجده عليه الصلاة والسلام كما ورد في حديث وجمع بانه يطلق على كل منهما وينبغي زيارة هذا المسجد ويختار كونها يوم السبت كما ورد في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتي مسجد قبا كل سبت راكبا وماشيا وكان عبد الله يفعله يعني ابن عمر رضي الله عنهما وورد في فضل هذا المسجد اثار كثيرة منها ما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال لو كان مسجدنا هذا بطرف من الاطراف لضربنا اليه اكباد الابل وعن سعيد بن ابي وقاص رضي الله عنه لان اصلي في مسجد قبا ركعتين احب الي من أن آتي الى بيت المقدس مرتين لو يعلمون ما في قبا لضربوا اليه اكباد الابل وعن زيد بن اسلم رضي الله عنه الحمد لله الذي قرب منا مسجد قبا ولو كان بافق من الافاق لضربنا اليه اكباد الابل وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال الصلاة في مسجد قبا كعمرة الى غيرها من الاحاديث والاخبار وقد اتيناه فدخلناه وصلينا في

مصلاه صلى الله عليه وسلم سجدة الضحى وهو الى حرف الاسطوانة التي في الصف الموالي لمحراب المسجد عن يمين المصلي فيه وهناك اماكن اخر ذكر انه عليه الصلاة والسلام صلى فيها منها في رحبته ومنها في زاويته الشرقية من الصف الاول .

وقد ذكر السيد السمهودي ذلك كله و بينه احسن بيان وخارج المسجد من قبلته موضع يسمونه مسجد علي قال السيد لعله مسجد دار سعد بن خيثمة فقد ورد انه عليه الصلاة والسلام اضطجع فيها وتوضأ من المهراس الذي فيها قال وفي قبلته ايضا دار كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه عليه الصلاة والسلام لما قدم قبا قلت ولعل موضعه مسجد صغير آخر لم نجد من يسميه قاله ابو سالم .

وقريب من مسجد قبا كناسة كبيرة من شرقيه يقال انها مسجد الضرار ودخلنا الحديقة التي فيها بئر اريس وشربنا من مائها وتوضانا منه ومنها مسجد الجمعة وهو في طريق قبا نحو ميل او اقل من مسجد قبا على يمين الذاهب من المدينة على الطريق التي تمر بين النخل ومن مر على طريق الحرة الغربية فهو عن يساره فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من قبا في هجرته ادركته الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن الوادي وهي اول جمعة صلاها عليه الصلاة والسلام بالمدينة وهذا المشهد اليوم في منخفض من الارض قد احاطت به حدائق النخل من اكثر جهاته و في شماليه أطم خراب قيل انه محل عِتْبَان ابن مالك رضي الله عنه و فيه اثر مسجد صغير غير مسقف يقال انه المكان الذي صلى به صلى الله عليه وسلم من بيته ومسجد الجمعة في مستبطن الوادي الذي يحول بينه وبين قومه اذا سال ومنازل قومه في غربي الوادي على طرف الحرة ومنها مسجد الفضيخ وهو مسجد صغير شرقي مسجد قبا على شفير الوادي على نشز من الارض مرضوم بحجارة سود ٠

فقد روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير فضرب قبته قريبا من مسجد الفضيخ وكان يصلي في موضع مسجد الفضيخ ست ليال وسمي مسجد الفضيخ لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بفضيخ

وهو فيه فشربه وقيل غير ذلك ويعرف الآن بمسجد الشمس قال السيد ولا أعرف سبب هذه التسمية ومنها مسجد بني قريظة قرب حرتهم الشرقية على باب حديقة هناك وعنده خراب ابيات شمالي الحديقة من دور بني قريظة وأطم الزبير بن باطيا القرظي داخل في هذا المسجد ففي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى سعد بن معاذ رضي الله عنه لما نزل بنو قريظة على حكمه فلما كان قريبا من المسجد قال عليه الصلاة والسلام للانصار رضوان الله تعالى عنهم اجمعين قوموا الى سيدكم وليس المراد مسجد المدينة لانه عليه الصلاة والسلام لم يكن بها بل مسجد بني قريظة كما أشار اليه الحافظ ابن حجر رضي الله عنه وأخطأ من زعم أن لفظ المسجد غلط وهذا المسجد كبير عليه حظيرة من حجارة قريب من القامة وفي زاويته الغربية الشمالية دكة كبيرة هي موضع منار المسجد قبل انهدامه فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بيت امرأة من الخضر وان المكان الذي صلى فيه هو موضع هذا المنار .

ومنها مسجد مشربة ام ابراهيم عليه السلام فقد روي انه عليه الصلاة والسلام صلى في مشربة ام ابراهيم وسميت بذلك لان مارية ولدت سيدنا ابراهيم بن نبينا صلى الله عليه وسلم فيها وكان النبي صلى الله عليه وسلم اسكنها هناك فهي من اموال مخيريق التي هي من صدقاته صلى الله عليه وسلم وهذا المسجد شمالي مسجد بني قريظة قريب من الحرة الشرقية ومنها مسجد بني ظفر من الاوس شرقي البقيع بطرف الحرة الشرقية ويعرف الآن بمسجد البغلة فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني ظفر وانه اتى لبني ظفر في مسجدهم فجلس على الصخرة التي في المسجد ومعه عبد الله(١) بن مسعود ومعاذ بن جبل وناس من اصحابه وامر صلى الله عليه وسلم قارئا فقرأ حتى اتى على هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الآية فبكى الحديث .

(١) في غير الرحلتين العياشية والناصرية عبد الرحمن

وعند هذا المسجد اثار في الحرة من جهة القبلة يقال انه اثر حافر بغلته صلى الله عليه وسلم وهناك اثار على حجر كانه اثر مرفق يذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم اتكا عليه ووضع مرفقه الشريف عليه وعلى حجر آخر اصابع والناس يتبركون بها ومنها مسجد الاجابة وهو لبني معاوية بن مالك من الاوس وهو شمالي البقيع قريب منه على يسار السالك الى العريض بازائه تلول هي اثار قرية بني معاوية ففي صحيح مسلم من حديث عامر بن سعيد عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل ذات يوم من العالية حتى مر بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف الينا فقال سألت ربي ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته ان لا يهلك امتي فاعطانيها وسألته ان لا يهلك امتي بالغرق فاعطانيها وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها وعن سعد بن ابي وقاص انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فمر بمسجد بني معاوية فدخل فركع فيه ركعتين ثم قام فناجى ربه ثم انصرف وعن محمد بن طلحة بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني معاوية على يمين المحراب نحو ذراعين قال السيد فليتحر ذلك مع الدعاء قائما .

ومنها مسجد الفتح والمساجد التي في قبلته وتعرف اليوم كلها بمساجد الفتح والاول هو المرتفع على قطعة من جبل سلع في المغرب يصعد اليه بادراج شمالية وشرقية وهو المراد بمسجد الفتح عند الاطلاق ويقال له ايضا مسجد الاحزاب والمسجد الاعلى .

وفي مسند الامام احمد برجال ثقاة عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا في مسجد الفتح ثلاثا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء فاستجيب له يوم الاربعاء بين الصلاتين فعُرِفَ البِشْرُ في وجهه قال جابر فلم ينزل بي امر مهم غليظ الا توخيت تلك الساعة فادعو فيها فاعرف الاجابة وروي انه عليه الصلاة والسلام مر بمسجد الفتح الذي على الجبل وقد حضرت صلاة العصر فرقي فصلى به صلاة العصر وروي انه عليه الصلاة والسلام دعا

في مسجد الفتح يوم الاحزاب حتى ذهب الظهر وذهب العصر وذهب المغرب ولم يصل منهن شيئـا ثم صلاهن جميعا بعد المغرب *

قال ابو غسان وسمعت غير واحد ممن يوثق به ان الموضع الذي دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجبل هو اليوم الى(١) الاسطوانة الوسطى الشارعة في رحبة المسجد قال السيد ومحل ذلك اليوم ما يقابل محراب المسجد من الرحبة لتوسطه فانه كان على ثلاثة أساطين بين المشرق والمغرب بمسقفه رواق واحد كما هو اليوم لكن غيرت أساطينه وذكر الدعاء الذي ينبغي ان يدعو به في ذلك الموضع وهو لا اله الا الله العظيم الحكيم(٢) لا اله الا الله رب العرش العظيم لا [اله الا الله رب السموات والارضين ورب العرش العظيم](٣) اللهم لك الحمد هديتني من الضلالة فلا مكرم لمن اهنت ولا مهين لمن أكرمت ولا معز لمن اذللت ولا مذل لمن اعززت ولا ناصر لمن خذلت ولا خاذل لمن نصرت ولا معطي لمن منعت ولا مانع لمن اعطيت ولا رازق لمن حرمت ولا حارم لمن رزقت ولا رافع لمن خفضت ولا خافض لمن رفعت ولا خارق لمن سترت ولا ساتر لمن خرقت ولا مقرب لمن أبعدت ولا مبعد لما قربت اللهم انت عضدي ونصيري بك احول وبك اصول وبك اقاتل اللهم يا صريخ المستصرخين والمكروبين ويا غياث المستغيثين ويا مفرج كروب المكروبين ويا مجيب دعوة المضطرين صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما واكشف عني كربي وغمي وحزني وهمي كما كشفت عن حبيبك ورسولك صلى الله عليه وسلم كربه وحزنه وهمه في هذا المقام وانا استشفع به اليك صلى الله عليه وسلم في ذلك فقد ترى حالي وتعلم عجزي وضعفي يا حنان يا منان يا ذا الجود والاحسان اسالك من خير ما سألك منه عبدك وحبيبك محمد صلى الله عليه وسلم ويدعو بما احب وينبغي ان يضم لذلك ما دعا به الشافعي عند دخوله على الرشيد في محنته فقد روى

(١) في الرحلة الناصرية الموالي إلى — (٢) في الرحلة الناصريـة الحليم — (٣) ما بين القوسين ساقط من نسختين ومن الرحلة الناصرية

ابو نعيم من طريق الشافعي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا به يوم الاحزاب وهو دعاء عظيم وان كان رفعه غير صحيح كما قال البيهقي وهو شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الاسلام اللهم اني اعوذ بنور قدسك وبركة طهارتك وبعظمة كلامك من كل عاهة وآفة وطارق الانس والجن الا طارق يطرق بخير يا رحمان اللهم انت ملاذي فبك الوذ وانت غياثي فبك استغيث يا من ذلت له رقاب الفراعنة وخضعت له مقاليد الجبابرة اللهم ذكرك شعاري ودثاري ونومي وقراري اشهد ان لا اله الا انت اضرب على سرادقات حفظك وقني رغبتي بخير منك يا رحمان .

قال وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ يوم الاحزاب شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام ثم قال وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهذه الشهادة وديعة لي عنده يؤديها لي يوم القيامة اللهم اني اعوذ بنور قدسك وعظيم ركنك وعظمة طهارتك من كل آفة وعاهة ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير اللهم انت غياثي بك استغيث وانت ملاذي بك الوذ وانت عياذي بك اعوذ يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له أعناق الفراعنة اعوذ بك من خزيك ومن كشف سترك ونسيان ذكرك والانصراف عن شكرك انا في حرزك ليلي ونهاري ونومي وقراري وظعني واسفاري وحياني ومماتي ذكرك شعاري وثناؤك دثاري لا اله الا انت سبحانك وبحمدك تشريفا لعظمتك وتكريما لِسُبُحَات وجهك أجرني من خزيك ومن شر عبادك واضرب علي سرادقات حفظك وادخلني في حفظ عنايتك وجد علي منك بخير يا ارحم الراحمين انتهى .

قال وتسمية هذا المسجد بمسجد الفتح لان الاستجابة وقعت به وجاء حذيفة بخبر رجوع الاحزاب ليلا به فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وقد فتح الله عز وجل

لهم ونصرهم وافر اعينهم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم ابشروا بنصر الله وفتحه وقول ابن جبير ان سورة الفتح انزلت به لا اصل له انتهى .

قلت انما انزلت بين مكة والمدينة في شان الحديبية فرجع النبي صلى الله عليه وسلم منها وقد حيل بينهم وبين نسكهم وكان الصحابة بين الكآبة والحزن فنزلت تسلية لهم وبشرى .

واما المساجد التي في قبلته فقد روي عن معاذ بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد الفتح الذي على الجبل وفي المساجد التي حوله .

قال السيد وهو ظاهر في انها ثلاثة غيره فأحدها الذي يلي المسجد الاعلى يعرف بمسجد سلمان الفارسي وثانيها فهي قبلة هذا المسجد يعرف بمسجد علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وثالثها في قبلة الثاني على طرف جبل سلع جانحا لجهة المشرق ويعرف بمسجد ابي بكر وهو اصغرها وفي باب المعروف منها بعلي ماجل ماؤه ينزل اليه بدرج واهل المدينة يخرجون الى هذه المساجد لقصد التفرج في ايام كثيرة ولهم يوم معلوم في السنة يخرجون اليها بالاخبية والاطعمة الكثيرة فيبيتون بها في لهو وطرب وهو يوم النصف من شعبان .

وقال شيخنا ابو سالم وقد خرجنا مرة لزيارة المساجد فوجدنا الاعلى منها مملؤا نساء ولم نتمكن من الدخول اليه وهن يطبخن فيه انواع الاطعمة ونساء المدينة لهن عوائد مذمومة في الخروج الى التنزه والتفرج في البساتين والاماكن المنفسحة ويسمون ذلك القائلة فيقولون نقيل اليوم في الموضع الفلاني وخروج الرجال لذلك اكثر فتكلف المراة زوجها من النفقة ما لا قدرة له عليه ومن الاماكن التي هي في عدد المساجد وينبغي التبرك بها والصلاة فيها كهف سلع وهو كهف بني حرام فقد جاء ان النبي صلى الله عليه وسلم جلس به وكان يبيت به ليالي الخندق .

قال السيد السمهودي والظاهر انه المراد بما في الاوسط والصغير للطبراني من ان معاذ بن

جبل خرج يطلب النبي صلى الله عليه وسلم فدل عليه في جبل ثواب فخرج حتى رقي جبل ثواب فبصر به في الكهف الذي اتخذ الناس اليه طريقا الى مسجد الفتح فاذا هو ساجد فقال فهبطت من راس الجبل وهو ساجد فلم يرفع حتى اسات به الظن فظننته قبضت روحه قال جاءني جبريل بهذا الموضع فقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول ما تحب ان اصنع بامتك قلت الله اعلم فذهب ثم جاء الي فقال انه يقول لا اسوءك في امتك فسجدت فافضل ما أتقرب الى الله السجود .

قال السيد جبل ثواب لم اقف له على ذكر لكن وصفه الكهف بما ذكر ظاهر في ارادة الكهف المذكور بسلع على يمين المتوجه من المدينة الى مساجد الفتح من الطريق القبلية بقرب شعب بني حرام فان عن يمينه هناك مجرى سائلة تسيل من سلع الى بطحان فاذا دخلها صعد يسيرا في المشرق وكان الكهف عن يمينه واعلى منه في المشرق وكهف آخر لكنه صغير جدا فالاول هو المراد واذا توجه من هذه السائلة طالب مسجد الفتح كان شعب بني حرام عن يمينه وهو شعب متسع به اثار مساكنهم واثر مسجدهم الكبير الذي زاد عمر بن عبد العزيز في بنائه واختلف في صلاته صلى الله عليه وسلم بهذا المسجد بناء على ان تحولهم الى هذا الشعب كان في زمانه عليه الصلاة والسلام فانه روي انه كان في زمان عمر رضي الله تعالى عنه اه قال ابو سالم واثر المسجد اليوم باق باسفل الوادي الا انه لا بناء عليه وانما عليه حظير صغير وهو لا يعرفه كثير من الناس ولا يوبه به وكذلك الغار المذكور لا يعرفه كثير من الناس ولا يقصد للزيارة ومنها مسجد القبلتين وهو لبني سلمة وسمي مسجد القبلتين لان القبلة حولت فيه .

قال السيد والارجح ان تحويل القبلة كان بمسجد القبلتين والنبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي به وليحيى عن محمد بن الاخنس قال زار رسول الله صلى الله عليه وسلم ام بشر ابن البراء من بني سلمة في بني سلمة فصنعت له طعاما فحانت الظهر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه في مسجد القبلتين الظهر فلما ان صلى ركعتين امر ان يوجه

الى الكعبة فاستدار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة واستقبل الميزاب وهي القبلة التي قال الله فلنولينك قبلة ترضاها فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين وهو غربي بطحان وسلع قريب من العقيق في مكان مرتفع والطريق اليه في آكام سود من الحرة وشعاب ومنها مسجد السقيا اللاتي ذكرها في الابار وليست السقيا التي بينها وبين المدينة مرحلة بل محل آخر بالحرة الغربية وهذا المسجد على يسار الذاهب الى المدينة من العقيق في الحرة الغربية على طريق الحاج عند ما يقرب من المساكن ويشرف على المدينة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم عرض جيش بدر بالسقيا وصلى في مسجدها ودعا هنالك لاهل المدينة ان يبارك لهم في مدهم وصاعهم وان ياتيهم بالرزق من هاهنا وهاهنا .

قال السيد وقد تطلبت المسجد بهذا المحل فرأيت رضما على ربوة هناك فارسلت اليه بعض العمال ليحفر عن اساسه فظهر تربيعه وبقية محرابه ومن جدرانه ازيد من نصف ذراع في دوره مبيضة بالقصة فبني على اساسه الاول .

قال الشيخ ابو سالم وهو اليوم مبني ببناء وثيق ياوي اليه الغرباء في بعض الاحيان خصوصا ايام الموسم فان الركب المصري ربما وصلوا بالنزول في بعض السنين الى تلك الناحية ومنها مسجد ذباب ويعرف اليوم بمسجد الراية وهو على جبل صغير قريب من سلع من شرقيه قريب من ثنية الوداع على يسار الداخل الى المدينة من طريق الشام فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى على ذباب وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ضرب النبي صلى الله عليه وسلم قبته على ذباب يعني في غزوة الخندق والارجح ان الخندق كان من ناحية ذباب قال السيد وقد رأيت لذباب ذكرا في اماكن كثيرة كلها متفقة على وصفه بانه الجبل المذكور بحيث لا تردد عندي فيه .

﴿ قال ﴾ ولعل اشتهاره بمسجد الراية لقول الواقدي في وصف اصطفافهم على الخندق وكان يزيد بن هرمز في موضع ذباب يحمل راية الموالى وصفهم كراديس بعضها خلف بعض الى رأس الثنية يعني ثنية الوداع .

ذكر جبل احد وما به او بطريقه من المساجد النبوية وذكر مشهد سيد الشهداء حمزة ومن معه من الشهداء رضي الله تعالى عنهم

جرت عادة اهل المدينة شرفها الله تعالى بزيارة قبر سيدنا حمزة رضي الله تعالى عنه كل يوم خميس وربما باتوا هنالك ليلة الخميس في اغلب الاحوال .

قال شيخنا ابو سالم ولا اعلم لاختيارهم الزيارة في الخميس سببا الا ان يكون ما ورد ان الاموات يعلمون بزائرهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده فلما كان يوم الجمعة يضيق المشي فيه بسبب الاشتغال بمقدمات الصلاة وزيارة البقيع ويوم السبت لزيارة قبا فلم يبق الا يوم الخميس .

وزيارة احد والشهداء به من السنن الماثورة ففي صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات وفي حديث ابي داود خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نريد قبور الشهداء حتى اذا اشرفنا على حرة راقم فاما تدلينا منها فاذا قبور فقلنا يا رسول الله اقبور اخواننا هذه قال قبور اصحابنا فلما جئنا قبور الشهداء قال هذه قبور اخواننا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتي قبور الشهداء باحد على رأس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكان اذا واجه الشعب قال سلام عليكم بما صبرتم فنعم أجر العاملين وروي ان فاطمة رضي الله تعالى عنها كانت تزور قبر عمها حمزة رضي الله تعالى عنهما ترمه وتصلحه وقد علمته بحجر وروى الحاكم عن علي ان فاطمة رضي الله عنهما كانت تزور عمها حمزة رضي الله عنهما كل جمعة فتصلي وتبكي عنده وروى البيهقي ان النبي صلى الله عليه وسلم زار قبور الشهداء باحد فقال اللهم ان عبدك ونبيك

يشهد ان هؤلاء شهداء وان من زارهم وسلم عليهم الى يوم القيامة ردوا عليه والمشهور ان الذين اكرموا بالشهادة باحد سبعون رجلا افضلهم وسيدهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وروي ان مصعب بن عمير رضي الله عنه دفن معه في قبر واحد وان عبد الله بن جحش معهما قال السيد والصحيح انه ليس معه احد في قبره وان مصعبا وعبد الله دفنا بقربه فيسلم على الثلاثة في مشهد حمزة رضي الله عنهم والمشهد عليه قبة عالية متقنة وبابه مصفح بالحديد وحوله بناء متسع فيه بئر وفيه اخلية للوضوء متصلة بالسطح .

قال السيد والقبر الذي عند رجلي سيدنا حمزة رضي الله عنه والذي في الصحن ليسا من قبور الشهداء وباب المشهد في سائر الايام مقفل لا يفتح الا يوم الخميس ياتي القيم من المدينة بالقصد لذلك ولاهل المدينة موسم كبير في رجب يختلفون فيه لزيارة حمزة والشهداء رضي الله عنهم ياتي الناس اليه من اقطار الحجاز من مكة واليمن والطائف والينبع فيحشر هنالك خلائق لا يحصون يقاربون ما يجتمع في موسم الحج ويخرج اهل المدينة الا القليل باولادهم ونسائهم ويخرجون معهم المضارب الحسان والخيام الكبار ويخرج امراء المدينة وعسكرها وتنصب الاسواق العظيمة هنالك يخرجون من اوائل رجب ويتلاحق الناس كل على قدر حاله فيتكامل خروجهم في اليوم الثاني عشر وهو اليوم المشهود عندهم ويوم الزينة فلا يبقى بالمدينة الا اهل الاعذار ومن شاكلهم ويحصل هنالك في تلك الليلة من انواع اللهو والطرب واللعب باشياء كثيرة والرمي بالمدافع والمحارق ويبيت الناس طول ليلهم ويومهم في القراءة والزيارة حول القبر ويوقد هنالك من الشمع شيء كثير .

قال الشيخ ابو سالم واصحاب شيخنا القشاشي هم المتولون لوظيفة القراءة حول القبر لا تنقطع القراءة في الليل باجمعه والنهار بتمامه قال وكبيرهم شيخنا الملا ابراهيم رضي الله عنه معهم لا يفارق ذلك المحل وكيفية القراءة ان تجتمع جماعتهم كلهم فيبدا احدهم فيقرا جزءا فيستمع الباقون فاذا فرغ من جزئه اخذ الذي يليه في القراءة والاخرون يستمعون ثم كذلك سائر الليل والنهار .

قال وحكي ان بعض الفقهاء بالمدينة كان ينكر على اهل المدينة خروجهم الى احد في رجب ويقول لهم ان ذلك من البدع المذمومة لما يحصل في ذلك من انواع اللهو والسرف في المطاعم وغيرها والتكلف في النفقات والخروج من المدينة بالاهل والاولاد والخيم الشبيه بشد الرحال بل هو مع ما في ذلك من التشبه بمواسم الحج في الهيئة واعتقاد القربة واعتياد يوم في السنة الى غير ذلك من الامور التي لا توافق ظاهر الشرع وكان ذلك الفقيه لا يخرج معهم اذا خرجوا ويشدد النكير عليهم في ذلك فبينما هو ذات يوم من الايام التي تهيا الناس فيها للخروج جالس في الروضة او قريبا منها اذ غلبته عيناه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدخل ويخرج من الحجرة ويقوم ويقعد كفعل المتهيء للسفر واثاث السفر معدة بين يديه فقال له يا رسول الله ما هذا الذي ارى اتريد الانتقال عنا والخروج من المدينة قال لا انما اريد الخروج لزيارة عمنا حمزة مع اهل المدينة او كلاما هذا معناه فانتبه الفقيه من نومه وتهيا للخروج مع الناس فتعجبوا من ذلك وسالوه فاخبرهم بذلك ولابدع فان للنبي صلى الله عليه وسلم تعلقا معنويا وموافقة روحانية لامته في سائر شؤنهم وتقلباتهم فيهتم بما يهتمون ويفرح بما يفرحون ويسوءه ما يسوءهم فما بالك باهل المدينة الطيبة المطيبة وكل ذلك رحمة منه لهم ورافة بهم وحنانا ولا يمنعه من ذلك كون بعض شؤنهم قد يلابسها ويخالطها خلاف المشروع فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته معهم على هذا الحال وفيهم المسيء والمحسن والطائع والعاصي بل المومن والمنافق فيعلم جاهلهم ويرشد ضالهم ويرفق بالشرير الاخلاق منهم حتى ينقاد ولم تحمله اساءتهم ولا عصيان بعضهم بل نفاقه على مفارقتهم والتخلي عنهم اذ لو تخلى عنهم لعوجل المسيء بالهلاك وخذل المطيع في طاعته ولم يبال الله بهم باله فكذلك حاله صلى الله عليه وسلم مع امته بعد موته وقد قال حياتي خير لكم ومماتي خير لكم الحديث فهو معهم صلى الله عليه وسلم في كل اطوارهم وتقلباتهم بمدده الرباني وسره الحقاني يستغفر لمسيئهم ويشفع له ويشهد لمحسنهم ويستوهب له من الله الزيادة ولا يخفى عليه شيء من احوالهم ولا يغفل

عنهم طرفة عين في كل شؤنهم فلا يستبعد حضوره صلى الله عليه وسلم بروحانيته في محافل المسلمين ومواسمهم ومحال اجتماعهم على اي حال كانوا فلو فارقتهم روحانيته صلى الله عليه وسلم الشريفة طرفة عين لضلوا عن سواء الطريق * ولهوت بهم الضلالة في مكان سحيق * فسبحان من منّ به على عباده * وجعله برزخا بينه وبين اهل وداده * فما ارأفه بنا من اله اذ جعله رسولا الينا * ورحمة علينا * نسأله سبحانه ان لا يخلينا من مدده صلى الله عليه وسلم طرفة عين آمين .

وتفهم من هذا ما يحصل من الاجتماع العظيم في محال بعض الصالحين واشتماله على بعض المناكر ومع ذلك يحضره الاولياء وارباب القلوب من الصالحين فيشاهدون حصول مدده لكل زائر * وسريان سره في كل حاضر * وذلك كمولد سيدي احمد البدوي بمصر ومولد الامام الشافعي وعند سيدي ابي مدين وسيدي ابي يعزى وسيدي ابي العباس السبتي بارض المغرب وعند مولاي عبد السلام بن مشيش يوم المولد النبوي وغير ذلك من الاماكن الشهيرة المنسوبة لكثير من الاولياء شرقا وغربا .

فقد ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني في كثير من تواليفه عن جماعة من اهل الكشف انهم يشاهدون النبي صلى الله عليه وسلم في مولد سيدي احمد البدوي رضي الله عنه وانه يحضره كل سنة مع اشتماله على كثير من الامور التي لا تنبغي .

قال قد اخبرنا شيخنا ابو مهدي عيسى الثعالبي عن بعض مشائخه ان سيدي عبد الوهاب الشعراني عزم مرة على التخلف عن مولد سيدي احمد البدوي وان لا يذهب اليه لما يقع هنالك من المناكر فلما عزم على ذلك وقرب الوقت راى في المنام سيدي عبد العالي خديم الشيخ سيدي احمد البدوي وخليفته من بعده فقال له مباسطا يا عبد الوهاب لا تنقطع عن زيارتنا ونحن نطعمك ملوخية والملوخية عند اهل مصر والريف من اشهى الاطعمة التي لا كبير مؤنة فيها فلما استيقظ عزم على المشي فذهب فكان من الامر الغريب الدال على صدق الرؤيا انه ليلة وصوله لمكان الشيخ اتفق انه لم يطبخ احد تلك الليلة في الزاوية كلها

ولا في القرى التي حولها الا الملوخية فكانت طعامه وطعام اهل تلك الناحية كلها في تلك الليلة والحكايات الدالة على امثال هذا كثيرة من انتصار الاولياء لمن آذى من حضر محالهم او انتهك حرمتهم ولو كان من أدنى ممن يستخف ذلك في بادئ الراي ومع هذا كله فلا يتخذ هذا ذريعة الى الاستهانة باقامة الحدود على من وجبت عليه في تلك المحال والى التغافل عن ازالة المناكر الواقعة هنالك لمن قدر عليها والى التعامي عن ذلك بل التنبه لذلك والاشتغال به لمن له قدرة عليه من افضل القربات لمن حسنت نيته ولا يمنعه من ذلك ما يقع لبعض من تعاطى ذلك من الامور التي هي كرامة لذلك الولي فان ذلك في الغالب لا يقع الا لمن لم تكن له نية صالحة في النهي عن المنكر وقصد بذلك إظهار نفسه او تنقيص ذلك الولي فان فرض وقوعه لحسن النية فهو مما يزيده عند الله قربة ويقيم حرمة عبده المنسوب اليه المكان ولله في ذلك اسرار خفية لا تخفى على اهل القلوب الصافية .

قال والى مثل هذا التقرير يجنح شيخنا علامة الوقت سيدي عبد القادر الفاسي رضي الله عنه فيمن ياوي الى قبور الصالحين من الجناة وقد يكون على احدهم حد من الحدود فلا ينبغي اهماله وان اخرج من المحل كان في ذلك هضم لحرمة الولي واستهانة بقدره عند العامة فليخلص من ابتلي بذلك عمله لله تعالى وليصدق الله في امره فان الله جاعل له من ذلك مخرجا والله الموفق انتهى .

﴿ تتمة ﴾ مما يجب التنبه لمثل ما سبق ما يقع عند الصالحين في وطننا من المناكر والمحرمات التي لا تحصى كثرة كاجتماع النساء والرجال الذين فيهم فتنة عظيمة فان اكثر ذلك الشبان والشابات المتنعمات فمن شاهد ذلك تاه عقله وخاب سعيه وضل قصده وفسد مذهبه وقبح عمله الا من حفظه الله وعصمه بقصده الرباني وسره النوراني وحبه الصمداني لان روحانيته صلى الله عليه وسلم امتزجت به فلا يضره ما يقع في ذلك المكان من المناكر لانه محجوب عن التلبس بها والاناطة بماهياتها وان شاهدها

بحواسه الظاهرة لان قلبه مجذوب وممحو عن سواه فقالبه مشغول بالاحكام الظاهرة وقلبه منور بنور الحقيقة فناه في حضرة المكون وان الى ربك المنتهى الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وذلك كالاجتماع ببجاية آخر رمضان فانه موسم عظيم يجتمع فيه العامة والخاصة وكذا يوم عرفة عند قبر القطب سيدي يحيى العيدلي فان النساء والرجال يجتمعون هنالك وكذا عند الولي الصالح سيدي علي بن شداد وسيدي علي بن موسى بل وعند سيدي عبد الرحمن الثعالبي (نفعنا الله ببركاته آمين) في الجزائري وسيدي سعيد السفري[1] بقسنطينة وفي جبلنا المثقوب وكذا قبر جدنا سيدي احمد الشريف وقبر سيدي علي بن عبد العزيز وكذا مسجد حنيف وغيرهم من المواضع التي يكون الاجتماع فيها في الظاهر على الله وفي الباطن على شهوات النفس وخطرات الشياطين ووساوس اللعين فان مفاسد تلك المحال اعظم من خيرها .

﴿ نعم ﴾ قد شاهدنا من تلك الجموع حين كنا نجتمع معهم قوة الحب في الله والشوق لديه بل والله كنت شابا لا يخطر لي خاطر فاسد وانما شغفت بحب الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم وغيري ممن له قوة نفس وشغف في النساء قد حصل له مقصوده من هؤلاء الجموع كما حكي لي عن بعض الطلبة من فساقهم وكذا بعض الفقراء المدعين بالكذب بيد اني لم اشاهد منهم ذلك .

وبالجملة فان كان في تلك الجموع العلماء العاملون والصديقون والصالحون وغيرهم ممن له نصيب قوي في الله والرغبة لديه بان يكون له تعظيم الشريعة وتعظيم اهلها فالغالب ان[2] من له نية صافية وقصد صحيح افلح[3] اذ الشوق رباني والحضرة الاهية والدائرة نورانية فلا يخيب قاصدها ان صفا قلبه من اللهو والفساد فلا شك انه يفوز بنيته لانهم من قوم لا يشقى بهم جليسهم فلا يقدح بما وقع فيه من المناكر لكثرة المجتمعين لان روحانيته

---

(١) في نسخة الصفراوي — (٢) في ثلاث نسخ من — (٣) في ثلاث نسخ الفلاح

صلى الله عليه وسلم سارية في اسرارهم فلا يخلو محلهم ذلك من اهل التصريف ورجال الغيب فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين من الرحمة والاسرار النبوية والفتوحات [الالهية لما علمت ان كل جمع يستحيل تواطؤه على الباطل لابد فيه من الرحمة الالهية والفتوحات](١) النبوية(٢) والعلوم اللدنية والاسرار النورانية ولا يضرهم المخالف لهم في افعالهم ومقاصدهم واحوالهم الشريفة لان جمعه صلى الله عليه وسلم لا يخلو عن المنافقين والعاصين وكذا عن الكفار غير انه لا يرضى بذلك وان حصل له العلم بشيء من ذلك نهى عنه لانه لا يقر على معصية واما غيره فقد يحصل لهم العلم بذلك فلا يجدون سبيلا للنهي او للمنع اما لكثرة المجتمعين او ذلك موكل لارباب الولاية فانهم المكلفون به او قلوب الصالحين من ذلك الجمع غائبة عن ذلك المنكر .

حاصله كل سوق من الاسواق او جمع من الجموع لا يخلو عن اهل اللهو والباطل لكن ان كانوا غير مقصودين فلا يلتفت الى ذلك اذ النظر الى من صلح منهم فلا يخيب من له قصد صحيح وان كان اهل اللهو هم المعتبرون فلا يصلح المجتمع بهم والقصد لديهم فاعلم هذا رحمك الله واشدد يدك عليه حاصله الحق يدور مع اهل المحفل فان كان الغالب فيهم اهل العلم والعمل والجذب الصحيح والصدق الصريح فقاصدهم يفوز من غير شك لانهم العبرة وان كان المحفل أعد لاهل الفساد ومن اجلهم وقع فلا شك ان قاصدهم خائب لا يفلح اصلا وان كان فيه اهل الخير فلا التفات اليهم اذ المقصود اهل اللهو وسطوة المجلس لهم فالاحوط عدم الاجتماع بهم وهذا هو الفارق بين المحفلين فالمحفل الاول ضوء شمسه تتزايد والمحفل الثاني شمسه منكسفة على الدوام والحمد لله على ما من الله به علي في هذا المقام .

قال شيخنا المذكور ما نصه ومن الاماكن التي ينبغي زيارتها في احد قبور الشهداء سوى قبر حمزة ومن معه واماكنهم ليست معلومة العين على التحقيق لكنها معلومة الجهة فاما

(١) ما بين القوسين ساقط في ثلاث نسخ — (٢) في نسخة الربانية

مصعب بن عمير وعبد الله بن جحش فليسلم عليهما في مشهد حمزة كما تفدم واما سهل بن فيس من بني سلمة ففبرة دبر فبر حمزة شاميا بينه وبين الجبل واما عمرو بن الجموح وعبد الله ابن عمرو بن حرام فبي الموطأ انهما في فبر واحد مما يلي المسيل فال الوافدي ومع عمرو بن الجموح فبر خارجة بن زيد وسعيد بن الربيع والنعمان بن مالك وعبد الله بن الحسحاس فال ابو غسان وفبرهم مما يلي المغرب من فبر حمزة نحو خمسمائة ذراع . .

وفال السيد وفد تأملته فوجدته كذلك(١) بالربوة التي غربي المسيل الذي هناك ومجرى العين بفربهم من الفبلة وفد روي ان ابا ايمن مولى عمرو بن الجموح معهم ايضا وكذا خلاد بن عمرو بن الجموح فيسلم على هؤلاء الثمانية هنالك فال واما بفية الشهداء فلا تعرف فبورهم والذي يظهر انها فرب فبر الموضع المذكور وبفرب فبر حمزة رضي الله عن جميعهم واسماؤهم مذكورة عند اهل السير .

وفضل جبل احد على الجملة معلوم مشهور ففد فال عليه الصلاة والسلام انه يحبنا ونحبه وكان ياتيه وفال انه على باب من ابواب الجنة فترابه يستشفى به وفال الزركشي ينبغي ان يستثنى من منع نفل تراب الحرم تربة حمزة رضي الله عنه اي الماخوذة من المسيل الذي به مصرعه لاطباق الخلف والسلف على نفلها للتداوي للصداع .

فال السيد وتربة صهيب اولى بذلك وللطبراني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فال لاحد هذا جبل يحبنا ونحبه على باب من ابواب الجنة وهذا عير جبل يبغضها ونبغضه على باب من ابواب النار وعير جبل كبير على يسار ذي الحليفة وانت خارج من المدينة وهو يفابل احدا الى ناحية مكة من المدينة وأحد الى ناحية الشام .

فال السيد وسمي احد احدا لتوحده وانفطاعه عن جبال اخرى هنالك او لما وفع من اهله من نصر التوحيد ولا اسم احسن من اسم اشتق من الاحدية بخلاف عير الذي هو اسم

(١) في الرحلتين العياشية والناصرية فوجدت ذلك

الحمار المذموم اخلافا والحب في احد من الجانبين حقيقة كما صححه النووي وغيره ولذا كان من جبال الجنة اذ المرء مع من احب ولا مانع من وضع الحب فيه كما وقع التسبيح من الجبال وقد خاطبه صلى الله عليه وسلم مخاطبة من يعقل فقال لما اضطرب اسكن احدا ولا ينكر وصف الجماد بحب الانبياء كما حنت الاسطوانة لمفارقته صلى الله عليه وسلم حتى سمع القوم حنينها .

ومما ينبغي لزائر احد ان ياكل شيئا من نباته فقد روي عن زينب بنت نبيط وكانت تحت انس بن مالك رضي الله عنهم انها كانت ترسل اولادها فتقول اذهبوا(١) الى احد فاتوني من نباته فان لم تجدوا الا عضاها فاتوني به فان انس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا جبل يحبنا ونحبه قالت زينب فكلوا من نباته ولو من عضاهه قال فكانت تعطينا منه قليلا قليلا فنمضغه انتهى .

﴿ لطيفة ﴾ قال ابو سالم وقد وقع البحث بين الطائفة المالكية ونحن بالمدينة عما يقطع من نبات الحرم المنتفع به للاكل كالخبيز وغيره فانه يوتى به ويباع في الاسواق فهل يحل للمالكي ومن لا يرى جواز ذلك شراؤه واكله فكنت اميل الى الجواز اذا كان القاطع لذلك والبائع له ممن يرى جواز ذلك في مذهبه لانه فعل ما يسوغ له شرعا لانا نقول باصابة كل مجتهد وان كنا نرى ان غيره اصوب والممنوع عندنا انما هو قطعه فلو وجد الانسان منه شيئا مقطوعا بنفسه من غير ان يكون له سبب في قطعه جاز له الانتفاع به وهذا بعد القطع ووصوله الى الاسواق بوجه سائغ لمتناول ذلك صار في حقنا كالمقطوع بلا سبب اذ لا سبب لنا في قطعه ولا يقاس النبات على صيد الحرم الذي هو ميتة لظهور الفرق بين الصيد والنبات والاجماع على حرمة صيد الحرم والخلاف في نبات حرم المدينة ولو فتح باب الامتناع من الشراء

---

(١) كذا في جميع النسخ وفي الرحلة العياشية ولائدها فتقول اذهبن الخ وفي الرحلة الناصرية وليدتها فتقول اذهبي الخ

لادّى ذلك الى فساد كبير وحرج في المعاملات بالامتناع عن ذبائحهم والشراء منهم والبيع لهم لوقوع الخلاف بين الائمة في فروع كثيرة من الذبائح والصيد وابواب الربا فيمنع البعض ما يجيزه غيره فلو كنا لا نشتري الا ممن يتقي الربا على مذهبنا ويشترط في الصيد والذبيحة واللقطة ما نشترطه لادى ذلك الى ضيق وحرج وتضليل بعض الائمة لبعض وهو بعيد من نظر الشارع فلما صح لنا الاقتداء به في الصلاة صح لنا ايضا في غيرها مما يقع فيه الارتباط بين الفعلين فان البيع حقيقة متوقف حصولها على وجود فعل فاعلين من بائع ومشتر فلا يشترط في صحة البيع الا كون كل فعل واحد منهما موافقا للمشروع في مذهبه ومعتقده وكذلك صلاة الماموم متوقفة صحتها على وجود فعل فاعلين هما الامام والماموم فاذا كل منهما ما تصح به الصلاة في مذهب امامه صحت الصلاة ولا يلزم كون الامام فاعلا لما تصح به الصلاة في مذهب الماموم على المذهب المشهور .

قال وبعد ان كتبت هذا رأيت في نوازل البرزلي ما يدل على أن اجتناب مثل ذلك من الورع وتشتد فيه الكراهة عند بعد الماخذ ونص ما ذكر وقد سئل اللخمي عن تناول ما اختلف فيه الفقهاء كشافعي رأى مالكيا غصب طعاما فنقله او عقد عقدا فاسدا في عين وخلطها وقال ملكت ذلك على مذهبي فهل ملكه ملكا صحيحا لا شبهة عليه فيه ام لا وهل يجوز للشافعي ان يعامله بالشراء منه والاكل له ام لا فاجاب لا ينبغي لمن قلد الشافعي ان يفعل ذلك وهذا مما يتاكد فيه الورع وان قلد مالكيا في هذا وامثاله فلا باس به وان كان شافعيا مقلدا لمالك في هذا ولعل هذا مما تشتد فيه الكراهة لبعد الماخذ فيه البرزلي فظاهره ان العزيمة في هذا ارجح من الرخصة الا ان يقال ان هذا مما تعارض فيه الحظر والاباحة فالورع تركه انتهى .

قال فقد ظهر من قوله لا ينبغي ومن قوله مما يتاكد فيه الورع ان ذلك سائغ لا ممنوع وهذا كله اذا لم نقل بجواز التقليد للمذاهب المختلفة مع القول بصحتها واما إن قلنا به وهو قول

جم غفير من المحققين منهم عز الدين ابن عبد السلام فقد ارتفع الاشكال واتضح المقال انتهى كلامه .

ومن فضائل احد ما روي عن جابر رضي الله عنه مرفوعا ان موسى وهارون عليهما السلام اقبلا حاجين فمرا بالمدينة فخافا من يهود فخرجا مستخفيين فنزلا احدا فغشي هارون الموتُ فقام موسى فحفر له ولحد ثم قال يا اخي انك تموت فقام هارون فدخل في لحده فَقُبِضَ فحثى موسى عليه التراب قال السيد وهناك شعب يعرف بشعب هارون يزعمون انه باعلاه وهو بعيد جدا وباعلى الجبل بناء اتخذه بعض الفقراء قريبا .

قال ابو سالم وقد شاهدت هذا البناء يوم طلوعنا الى الجبل في الرجبية وهو صورة مسجد قريب منه موضع معد لماء المطر وهو في قبة(١) الجبل في مكان عال مشرف على المدينة وما حولها من البقاع فيه نزهة للناظرين خصوصا وقت طلوعنا اليه في فصل الربيع وبعض الناس يسمون تلك القبة قبة هارون قال وقد اخبرني بعض الناس ان بانيها رجل كان يتعبد هنالك واسمه هارون فسميت به ولم تزل الى الان يتعاهدها الناس للعبادة والخلوة وما اولاها بذلك فقد وجدت بقلبي عند الوقوف بها والصلاة هنالك ما لا مزيد عليه من الحلاوة والتلذذ بالعبادة وكيف لا ومستقبل القبلة فيها يكون الحرم النبوي بين يديه والقبة الشريفة بين يديه وبقاع المدينة المشرفة كلها تلقاءه ومكة تجاهه حتى انه ليخيل عليه انه مشرف على الحرمين الشريفين وما بينهما وما فيهما من الاماكن المشرفة وعلى كل حال لم ار مكانا ينشرح فيه الصدر ويصفو القلب من الاكدار وتتجلى فيه عظمة الربوبية وجلالة النبوءة كهذا المكان ويقرب منه في ذلك جبل حراء وجبل ثور بمكة .

وفي اصل الجبل غار يزعمون ان النبي صلى الله عليه وسلم اختفى فيه ولا يصح ذلك ففي مسند احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما وجال الناس جولة نحو الجبل ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار انما كان تحت المهراس انتهى .

---

(١) كذا في الرحلتين العياشية والناصرية وفي جميع النسخ قنة .

وفي اعلى الشعب عند مضيقه من حيث يشرع في الصعود للجبل الموضع المسمى بالمهراس وهو مواضع منقورة في الجبل بين صخور عظيمة يجتمع فيها المطر فلما تخلو منه ومنه غسل جرحه صلى الله عليه وسلم يوم احد كما في الصحيح وتحت المهراس بقليل موضع يقال انه موضع الصخرة التي نهض صلى الله عليه وسلم ليعلوها وجلس طلحة تحته رضي الله عنه وقال ابن هشام في السيرة بلغني عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المبنية في الشعب اي فليست هي الصخرة المذكورة .

ومن المساجد التي تزار في احد المسجد اللاصق باحد على يمينك وانت ذاهب في الشعب الى المهراس وهو صغير منهدم قال السيد والناس يسمونه مسجد الفسح ويقولون ان فيه نزلت يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا الاية ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه الظهر والعصر يوم احد بعد انقضاء القتال وعن رافع بن خديج ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد الذي باحد في شعب الجرار على يمينك لازق بالجبل .

قال ابو سالم وبين هذا المسجد ومشهد حمزة في البيداء التي هناك مسجد صغير مبني بالحجارة المنحوتة مرتفع عن الارض اقل من قامة يصعد اليه بدرج غير مسقف ولا مرتفع الحيطان يقال له مسجد الثنية واحدة ثنايا الانسان يقال ان فيه كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وهذا المسجد لم يذكره السيد السمهودي رضي الله عنه(1) .

ومنها مسجد ركن جبل عينين الشرقي على قطعة من الجبل وهذا الجبل في قبلة مشهد سيدنا حمزة رضي الله عنه وهو الجبل الذي كان عليه الرماة يوم احد وموضع المسجد هو المكان الذي طعن فيه سيدنا حمزة رضي الله عنه وقد روي عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم احد على عينين الطرف الذي باحد عند القنطرة قال السيد يعني بالقنطرة قنطرة العين التي كانت هناك قديما .

(1) في جميع النسخ زيادة وهي ومحل الورع الثاني

ومنهـا ايضا مسجـد الوادي عـلى شفيره شامي جبل عينين فريب من المسجد فبله يفال انه مصرع حمزة رضي الله عنـه وأنه مشـى بطعنته من الموضع الاول الى هذا الموضع فصرع وفد روي ان حمـزة رضي الله عنـه لمـا فتـل افام في موضعه تحت جبل الرماة ثم امر به النبي صلى الله عليه وسلم فحمل من بطن الوادي ويسمى هذا المسجد ايضا بمصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فال السيد وتسميته بالمصلى اما لكونه موضع مصلى الصبح على ما جاء في غزوة احد ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه الصبح بموضع الفنطـرة وعليهم السلاح يعنى فبـل الفتال واما لما ورد من صلاته صلى الله عليه وسلم على حمزة .

ومن المساجـد مسجد طريق السافلـة وهـي طريق اليمنى الشرفية الى مشهـد حمزة رضـي الله عنـه يفال انه مسجـد ابي ذرالغفـاري رضـي الله عنه وروى البيهفـي في شعب الايمان عن عبد الرحمـن بـن عوف رضي الله عنه انه كان برحبـة المسجد فرأى النبي صلى الله عليه وسلـم خارجا من الباب الـذي يـلي المفبـرة فخرج على اثره فدخل حائطا من الاسواف فتوضأ ثم صلى ركعتيـن فسجد سجـدة اطال فيها وان النبي صلى الله عليه وسلم فال له ان جبريل عليه السلام بشرني انه من صلى علي صلى الله عليه ومن سلم علي سلم الله عليه وفي بعض طرفه ذكر السجود ففط وفال فسجدت لله شكرا فال السيد بعد نفله لما تفدم والاسواف فريبـة من محل هذا المسجد فلعله مسجد السجدة المذكورة .

فال ابو سالم وفي الطريف الى أحد ايضا عند آخر النخل مسجد صغير محوط عليه باحجار يفال ان النبي صلى الله عليه وسلم جلس فيه للاستراحة بعد الرجوع من احد ولم يذكره السيد رحمه الله تعالى .

ومن المساجـد التي ينبغي زيارتهـا والصلاة فيهـا مساجـد مصـلى الاعياد التي صلى النبي صلى الله عليـه وسلم العيـد فيها وفد ورد انه صلى العيد في اماكن متعددة والمشهور منها الان ثلاثة كلها غربي المدينة خارج البـاب المصري بين الموضـع المعروف بالمناخة

وبطحان احد يسمى مسجد مصلى العيد والاخر ينسب لعلي والاخر لابي بكر رضي الله تعالى عنهما .

قال السيد ولعل سبب نسبتهما اليهما كونهما صليا فيهما العيد ابوبكر رضي الله عنه في خلافته وعلي رضي الله عنه لما حُصر عثمان رضي الله عنه ولا يبعد(١) ان يصليا في غير مصلى النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المصلى يستسقي فبدأ بالخطبة ثم صلى وقال هذا مجمعنا ومستمطرنا ومدعانا لعيدنا ولفطرنا واضحانا فلا يبنى فيه لبنة على لبنة ولا خيمة وقد حمل بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومصلاي روضة من رياض الجنة على مصلى العيد فتتسع الروضة وفضل الله تعالى اوسع وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قدم من سفر فمر بالمصلى استقبل القبلة ووقف يدعو ومصلاه صلى الله عليه وسلم عند العلم الذي عند دار كثير بن الصلت وهناك ايضا مسجد ينسب لسيدنا عمر رضي الله عنه ولعل السبب كما تقدم وهذا آخر القول في المساجد المعلومة العين بالمدينة المشرفة واطرافها وقد زرناها والحمد لله رب العالمين مع حسب الامكان ويتقبل الله بالقبول التام .

ذكر الابار التي ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها او شرب من مائها او توضأ فيها فاكتسبت بذلك فضلا على غيرها فصارت مقصودة بالزيارة والاستشفاء بمائها

ولم نذكر منها الا ما زرناه وشربنا من مائه وهي سبعة اولها «بئر اريس» كجليس نسبة الى رجل من اليهود اسمه اريس وهو الفلاح بلغة اهل الشام وفي الصحيح خبر خروج رسول

(١) في الرحلة العياشية ولا فيبعد

الله صلى الله عليه وسلم وان ابا موسى الاشعري خرج في اثره حتى دخل بئر اريس وتوسط فيها وكشف عن سافيه وان ابا بكر جاء ثم عمر ففعلا مثل ذلك ثم جاء عثمان وبشر الجميع بالجنة الحديث بطوله وفي الصحيح ايضا ان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم كان في يد ابي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان حتى سفط منه في بئر اريس فنزحت فلم يوجد واما ما اشتهر على الالسنة ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها فقد فال العرافي في تخريج احاديث الاحياء لم افف له على اصل فال السيد ومن الغريب فول العز ابن جماعة في منسكه فد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها وهذه البئر في حديفة غربي مسجد فبا فريبا منه وماؤها غزير يسنى منه الى بركة في الحديفة وفي هذه الحديفة انواع من الفواكه والاشجار وبها عنب كثير فلما يدخل أحد للزيارة في وفت العنب الا ويشتريه وياكله فيها حتى ظن بعض العوام ان ذلك من الفربات واهل المدينة يفصدون هذه الحديفة للفائلة فيها للتفرج والتنزه وفد جعل لمائها نفق من اسفلها على وجه الماء حتى يتصل ماؤها بالبئر التي يفال لها العين الزرفاء وهي في حديفة اخرى فريبة من بئر اريس وهي بئر كبيرة فد أمدت بمياه ابار متعددة منها بئر اريس فصارت متبحرة يشخب فيها ميزابان عظيمان من مياه غيرها من الابار فاتخذت لها اسراب من تحت الارض الى ان خرجت الى بطحان ثم الى غربي المدينة ففسمت جداول فادخل منها الى المدينة ما احتيج اليه فاظهرت داخل المدينة في مناهل متعددة وبني لها بناء متفن يهبط اليها في نحو ثلاثين درجة محكمة البناء متفنة الوصف واسعة الممشى منها يستفي اهل المدينة كلهم لشربهم .

فال ابو سالم والذى رأيت منها ثلاثة مواضع احدها شرفي المسجد بينه و بين باب البفيع في المكان المسمى الان بالحارة (١) والاخر خارج باب السلام في الناحية الغربية

---

(١) في الرحلة العياشية الحرّة

عند سوق المدينة بالبلاط والاخر شامي المسجد بعيدا منه الى ناحية باب الشامي واما خارج المدينة فأخرجت في محال متعددة ايضا ثم لم تزل تقرب من وجه الارض قليلا كلما انحدرت في ارض المدينة الى ان خرجت على وجه الارض قريبا من الغابة شرقي مسجد رومة بينه وبين احد وعليها هنالك مزارع وقد رأيت جدولا منها قريبا من مسجد الراية في طرف ذباب يهبط اليه في نحو ثلاث درج وهذه العين المباركة من اغزر العيون واحلاها ماء وألذه بها جل انتفاع اهل المدينة ومنها كل السبيلات الموقوفة بالمدينة ومنها تملا الدوارق التي توضع في الحرم الشريف للشرب وهي لا تكاد تحصى كثرة فما اعظم بركتها واوسع نفعها ولقد شاهدت من يستشفي بمائها فيشفى وقد حملنا بعض مائها للاستشفاء ولله در القائل

لئن قيل في زرق العيون شآمة * فعندي ان اليمن في عينها الزرقا

وتسميتها بالعين الزرقاء من لحن العامة وصوابه عين الازرق لان مروان الذي اجراها لمعاوية كان ازرق العينين فلقب بالازرق وكان اجراؤه لهذه العين بامر معاوية لما ولاه المدينة وكان لمعاوية رضي الله عنه اهتمام بذلك فاجرى في المدينة وما حولها عيونا كثيرة قد دثرت كلها ولم يبق الا هذه العين المباركة وقد اعتني بشانها من قبل السلطنة فلها اوقاف معلومة وجرايات تاتي من عند السلطان ولها امير معلوم وله خدام يتفقدون احوالها على ممر الازمنة ويصلحون ما وهي منها ولولا ذلك لدثرت كغيرها من العيون .

قال الواقدي رحمه الله تعالى وكان بالمدينة على زمان معاوية صوافي كثيرة وكان يجدّ بالمدينة واعراضها الف وسق وخمسين الف وسق ويحصد مائة الف وسق حنطة انتهى فهذا الذي كان يجدّه معاوية وحده فما بالك بما كان لغيره من الرعايا ووجوه الناس فقد كان للصحابة رضي الله تعالى عنهم وابنائهم في ذلك الزمان ضياع وقرى ومزارع كثيرة بالمدينة وما حولها وما اظن هذا العدد الذي كان يستغل لمعاوية رضي الله عنه بالمدينة فقط يستغل في زماننا هذا من ارض الحجاز كلها مع سعة اقطارها ما عدا نجدا فان بها مزارع كثيرة

وبهذا تعلم نسبة زماننا هذا الى الازمنة الماضية في سعة الارزاق وكثرة الخلق مع ان اهتمامهم في ذلك الوقت بالدين كان اكثر من اهتمامهم بالدنيا فانت ترى كيف انبساطها عليهم واما الان فالاهتمام كله بالدنيا ولم يبق من الاهتمام بالدين الا ما نسبته الى الاهتمام بالدنيا نسبة الفلك الاعظم الى الجزء الذي لا يتجزأ وهذا اعظم دليل على قرب انقراض الدنيا واستبدال عمرانها بالخراب وانهارها بالسراب فان عمرانها انما هو باسباب الدنيا والدين(١) وانت ترى ما آل اليه امرهما معا فنسأل الله تعالى الخروج من الدنيا بلا محنة ولا بدعة آمين.

قال السيد ومن الغرائب ما ذكره الميورقي في فضائل الطائف عن شيخ الخدام بدر الشهابي(٢) انه بلغه ان ميضاة وقعت في عين الازرق بالطائف فخرجت بعين الازرق بالمدينة انتهى .

قال شيخنا ابو سالم ولعل هذه الحكاية وامثالها هي السبب في اعتقاد كثير من جهلة الحجاج ان العين الزرقاء اصلها من مكة وانها هي التي جاءت الى مكة من ناحية عرفة من جبال وراءه ويقولون انه لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة تبعته فهي التي ظهرت بمر الظهران ثم بخليص ثم ببدر ثم بالخيوف كلها الى ان وصلت المدينة ويصممون على ذلك حتى اني رأيت بعض من هو معدود من الفقهاء يعتقد ذلك فقلت له كما قال الامام ابو بكر بن العربي رضي الله عنه في مسألة الصلاة على النجاشي حيث قال بعضهم رفع له حتى رآه فصلى عليه ان الله تعالى على ذلك لقادر وان نبينا صلى الله عليه وسلم لاهل لذلك وفيما صح من معجزاته صلى الله عليه وسلم والايات الظاهرة على يديه غنية عن انتحال ما لا اصل له وبطلان كون هذه العين من مكة اوضح من ان يذكر فانه لم يكن في زمانه صلى الله عليه وسلم بعرفة ولا بمكة ولا بالمدينة عين تذكر على هذا النعت ولا ما يقرب منه وانما اجريت هذه العيون بعد ذلك بازمان .

---

(١) في الرحلة العياشية والبنين — (٢) كذا في الرحلة العياشية وفي الرحلة الناصرية الشهاب وفي جميع النسخ التهامي

﴿ الثانية بئر البصة ﴾ بضم الباء وتخفيف الصاد المهملة كما هو الدائر على ألسنة اهل البلد وفال المجد صاحب الفاموس انه بالتشديد كأنه من بص الماء بصا رشح وان روي بالتخفيف فمن وبص يبص و بصا و بصة كوعد يعد وعدا وعدة اذا بلغ او من وبص لي من المال اي اعطاني ففد روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه فال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي الشهداء وابناءهم ويتعاهد عيالهم فال فجاءني يوما ففال هل عندك من سدر اغسل به رأسي فان اليوم الجمعة فلت نعم فاخرجت له سدرا وخرجت معه الى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومرافة شعره في البصة وهذه البئر فريبة من البفيع على طريق فبا في حديفة نخل على طرف بطحان وماؤها اخضر وهناك بئر أخرى صغيرة .

فال المطرزي والناس يختلفون فيهما اينهما بئر البصة والصغرى هي التي تلى اطم مالك ابن سنان ولد ابي سعيد الخدري رضي الله عنه و رجح السيد انها الصغرى حاكيا عن غيره في الاطم المذكور انه الذي يفال لبئره البصة فال والكبرى لا تنسب للاطم لبعدها منه وفد ابتني بفرب الصغرى مسجد واتخذ لها درج ينزل فيها اليها وفد شربنا من مائها اي الكبرى وغسلنا رؤسنا افتداء به صلى الله هليه وسلم والمنة لله وحده .

﴿ الثالثة بئر بضاعة ﴾ بضم الموحدة على المشهور وحكي كسرها و فتح الضاد المعجمة واهملها بعضهم و بالعين المهملة ثم هاء غربي بئر حا الى جهة الشمال فعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه فيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه يستفى لك من بئر بضاعة وهي يطرح فيها ما يكره من النتن ففال الماء لا ينجسه شيء وفي رواية الا ما غلب على ريحه ولونه وطعمه وعن سهل بن سعد بصق النبي صلى الله عليه وسلم في بضاعة وسفينه بيدي منها وعن سهل ايضا بئر بضاعة فد بصق النبي صلى الله عليه وسلم فيها فهي يتنشّر بها ويتيمن فال المجد في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بئر بضاعة فتوضأ من الدلو وردها الى البئر وبصق فيها وكان اذا مرض المريض في ايامه يفول اغسلوني من بئر بضاعة فيغسل فكانما نشط من عفال .

وقالت اسماء بنت ابي بكر كنا نغسل المرضى من بئر بضاعة ثلاثة ايام فيعافون وهي في حديقة كبيرة ذات نخل اقرب أبواب المدينة اليها باب الشامي عن يمين الخارج منه قليلا وحولها مسجد و بركة ماء .

﴿ الرابعة بيرحا ﴾ بفتح الموحدة وكسرها و بفتح الراء وضمها و بالمد فيهما و بفتحهما والقصر فيعلى من البراح وهي الارض المنكشفة وقيل بئر اضيف الى حاء من حروف الهجاء وهو اسم رجل او امراة او مكان وخبرها في الصحيح وانها كانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب وهي اليوم في حديقة صغيرة قريبة من سور المدينة شماليه بينهما الطريق واقرب ابواب المدينة اليها باب البقيع وهي بينه وبين الباب الشامي .

قال السيد والظاهر ان بعضها اليوم داخل السور وقد دخلناها والحمد لله وشربنا من مائها وسقيت الحاضرين معنا من اصحابنا رجاء للبركة واكلنا من خضرها المسقي بمائها .

﴿ الخامسة بئر رومة ﴾ بضم الراء و بالهمز ودونه وفي الحديث نعم القليب قليب المزني فاشتراها عثمان فتصدق بها وورد ايضا نعم الحفيرة حفيرة المزني يعني رومة وعنه صلى الله عليه وسلم من يشتري رومة فله مثلها في الجنة وكان الناس لا يشربون منها الا بثمن فاشتراها عثمان فجعلها لله وكانت لرجل من غفار او مزينة او ليهودي اسمه رومة فنسبت اليه وهي بئر جاهلية روي انه استقي منها لِتُبَّع لما نزل بقناة وهي باسفل العقيق قرب مجتمع الاسيال وهي بعيدة من المدينة والى الجوف اقرب والطريق اليها على مساجد الفتح ثم يعدل يسارا الى ناحية مسجد القبلتين ثم يمر تحته اسفل منه قاصدا العقيق فهي هناك وبقربها مزارع فزرناها وشربنا من مائها واستقينا منها ما شربناه مدة .

﴿ السادسة بئر اليسيرة ﴾ من اليسر ضد العسر وتعرف الان ببئر العهن بكسر فسكون وهو لغة الصوف الملون وهي معروفة بالعوالي مليحة جدا منقورة في الجبل وعندها سدرة فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم جاء بني امية بن زيد فوقف على بئرلهم فقال

لهم ما اسمها فقالوا عسيرة فقال لا ولكن اسمها اليسيرة وبصق فيها وبرّك فيها وروى ابن سعيد في الطبقات عن عمر بن ابي سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم سماها اليسيرة وان اباه ابا سلمة غسل بعد موته بين قرنيها وقد زرتها والحمد لله وشربت من مائها وهي في عوالي المدينة قريبا من مسجد بني قريظة وعلى بابها حديقة كبيرة حسنة(١) .

﴿ السابعة بئر غرس ﴾ بضم فسكون وقال المجد بفتح فسكون وضبطه بعضهم بالتحريك كشجر وهي بئر شرقي قبا على نصف ميل من مسجدها الى جهة الشمال وقد ورد ان رباحا غلاما للنبي صلى الله عليه وسلم كان يستقي من بئر غرس مرة ومن بئر السقيا مرة ولابن حبان في الثقات عن انس انه قال ايتوني بماء من بئر غرس فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضا ولابن ماجة بسند جيد عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئر غرس وكانت بقبا وكان يشرب منها وفي رواية لم تحلل اوكيتهن وكانت البئر لسعد بن خيثمة وروي انه عليه الصلاة والسلام توضأ واهرق بقية وضوئه فيها وروي ايضا انه قال رأيت الليلة اني اصبحت على بئر من الجنة فاصبح على بئر غرس فتوضأ منها وبزق فيها واهدي له عسل فصبه فيها وقد جعل لها درج ينزل اليها منها وحولها حديقة وبجانبها مسجد وقد زرتها والحمد لله فهذه الابار السبعة هي المشهورة اليوم عند اهل المدينة وقد نظمها الزين المراغي فيما أنشد عنه السيد في بيتين وهما

اذا رمت آبار النبي بطيبة * فعدتها سبع مقالا بلا وهن
اريس وغرس رومة وبضاعة * كذا بصة قل بيرحاء مع العهن

﴿ قلت ﴾ وبقي بئران أخريان يتبرك بهما احداهما بئر السقيا فقد ورد انه عليه الصلاة والسلام كان يُسْتَعْذَبُ له الماء من بئر السقيا والسقيا هذه في آخر منزلة النقا على يسار السالك

(١) في الرحلة العياشية السادسة هي بئر غرس والسابعة هي بئر اليسيرة

الى بئر على وهي بالحرة الغربية وحولها بركة عظيمة لورود الحاج ايام نزولهم هنالك والثانية بئر زمزم وهي قريبة من السفيا على يمين الطريق حتى زعم بعضهم انها بئر السفيا وهي بئر مليحة في حديقة نخل حولها بركة و بناء وسميت زمزم تشبيها لها بزمزم في التبرك بها ونقل مائها للافاق ولم اقف على هاتين البئرين اما زمزم فوعدنا الاخ سيدي محمد الاخصاصي انه يقدم معنا اليها يوم خروجنا ولم يقدر لنا ذلك فتاسفنا اسفا عظيما انا لله وانا اليه راجعون واما السفيا فلم يكن لي بها علم اذ ذاك والسفيا هذه غير السفيا المذكورة في الحديث في قول الراوي لقيته بِتَعْهِنَ وهو قائل السفيا بل تلك مكان قرب شرف الروحاء .

وقد عدّ السيد رحمه الله ابارا متعددة سوى هذه ثم قال فمن ذكر انها سبعة فقط قصور منه وانما اقتصرنا على ذكر ما شاهدناه وزرناه منها وشربنا من مائها .

﴿ ومن المواضع التي يتبرك بها بالمدينة ﴾ تربة صعيب فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بالحارث فاذا هم روبى فقال مالكم يا بني بالحارث روبى فقالوا اصابتنا يا رسول الله هذه الحمى فقال فاين انتم عن صعيب قالوا يا رسول الله ما نصنع به قال تاخذون من ترابه فتجعلونه في ماء يتفل عليه احدكم ويقول بسم الله تراب ارضنا بريق بعضنا شفاء لمريضنا باذن ربنا ففعلوا فتركتهم الحمى قال طاهر بن يحيى العلوي عقب رواية ذلك عن ابيه صعيب وادي بطحان دون الماجشونية وفيه حفرة مما ياخذ الناس منه وهو اليوم اذا وفي انسان اخذ منه قال ابن النجار وقد رأيت انا هذه الحفرة والناس ياخذون منها وذكروا انهم قد جربوه فوجدوه صحيحا قال وانا سقيته غلاما لي مريضا من نحو سنة تواظبه الحمى فانقطعت عنه من يومه وذكر هو كالمطري ان ترابه يجعل في الماء ويغتسل به من الحمى .

قال السيد فينبغي ان يفعل اولا ما ورد ثم يجمع بين الشرب والغسل قلت وقد وصلت

الى وادى صعيب الى موضع هذه الحفرة واخذنا من ترابها واستصحبناه معنا لبلادنا بقصد التداوي .

قال ابو سالم وقد نص غير واحد على جواز نقله للتداوي كماء زمزم للتبرك ولم يزل على ذلك عمل الناس قديما وحديثا قلت والخلاف في نقل تراب الحرم واحجارة والكيزان المصنوعة من ترابه معلوم مشهور والورع ترك نقله لاحتمال خصوصية الاستشفاء به لاهل الحرم وامكان حمل الحديث عليهم والعلم عند الله وقد ذكر ايضا الاستشفاء من الحمى بتراب مشهد حمزة انتهى .

ومما زرناه موقف وقف فيه النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ومشربة ام ابراهيم ونخيل سلمان الفارسي وقصة النخيل مشهورة في الصحيح وغيره وفيه آيات باهرة * ومعجزات ظاهرة * والله تعالى يوفقنا ويعيننا بمنه ويمنه آمين وهو المستعان * وعليه التكلان * ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انتهى كلام شيخنا المذكور فانه حسن لانه مشتمل على فوائد ونكت مستحسنة لا يملها ذو الذوق السليم والطبع المستقيم .

﴿ انعطاف ﴾ الى ما كنا بصدده فاني قد زرت المدينة المشرفة ثلاث مرات وشاهدنا تلك المشاهد المذكورة على الجملة لضيق مدة الاقامة فيها وانما يحصل كمال التفتيش والبحث على المواضع المنورة والاماكن المشرفة بمجاورة المدينة المنورة واستيطانها على الدوام فلا يزول الاشتياق الا بطول المكث فيها لما علمت ان المسافر لا تفرغ عينه بالبلدان حال كونه مشتغلا بالسفر وشؤنه فان القلب واحد لا يمكن تعلقه بامور مختلفة لاسيما اضداد المعتني به يعلم ذلك من شد ازاره لتحقيق المراتب ونعوت المقامات لان الضد لا يجتمع مع ضده نعم قوة الفضل من الكريم الوهاب وشفاعة افضل الخلق على الاطلاق * ومنة الغني الخلاق * امطرت سحائب الفتح فان لم يصبنا منه وابل فطل *

فلما استقر بنا القرار في مدينة الرسول وشاهدنا تلك المشاهد النبوية الفردانية الصمدانية القدسية الروحانية المحمدية الاحدية ظهرت لنا معالم الانوار * ونتائج النبي المختار *

وثمرة الود وكشف الاستار * وحضرة القهار * فانعكس في قلوبنا روحانيته عليه الصلاة والسلام فامتزجت بقوالبنا وظهر نوره صلى الله عليه وسلم على الاجباح * فناط متمكنا منا بعلم الارواح * فغاب منا عالم الصفات في محو صفاته صلى الله عليه وسلم فاستعقب ذلك سريان آثار اللهوت * فتمكن في المحل الذي هو الناسوت * فلم يبق لوجود الخلق اثار لان سطوة الحق لا يبقى معها غيره اذ كل شيء ما خلا الله باطل .

ولذلك طبقات الطبقة الاولى مشاهدة الافعال والثانية مشاهدة الصفات والثالثة مشاهدة الذات فمن شاهد من الحق تجلي الافعال اضمحلت افعاله لافعاله وكذا من تجلي الحق [عليه باوصافه اضمحلت اوصافه لاوصافه ومثله تجلي الذات فمن تجلي الحق عليه](١) ايضا بذاته اضمحلت ذاته فلم يبق لسواه اثر فهذا مقام المحو والفناء لان الكون كله ظلمة فمن لم يشاهد الحق فيه او معه او قبله فقد اعوزه وجود الانوار * وغابت عليه شمس المعارف في كنه الكون من غير فرار * فالحق سبحانه لا يثبت معه شيء فالوجود وجود واحد بل جميع الموجودات متحدة فلا أصل لها بل هي مستمدة من عين الوجود وبالجملة صاحب المحو يغيب فعله في فعله ووصفه في وصفه وذاته في ذاته تبارك وتعالى فاذا قوي عليه حال الشهود نسبت اليه شطحات حتى ينطق عن حاله * وعن قوة شهوده واثبات اتصاله * ومحو انفصاله * برعود الهيبة والجلال فيقول في حضرة الحق والكمال وعالم الامر وهو قوله اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فتتجرد الروح عن مادة الاستعداد فيقول صاحب الشطحات انا الحق لكونه مغلوبا في حاله * ومضطرا في مقاله * فتكون الشريعة قائمة عليه وعلى منواله * فان العارف بالله تعالى يقول رامزا لهذا المقام اعني ابن مالك ما نصه

وذو ارتفاع وانفصال انا هو * وانت والفروع لا تشتبه

اي الضمير المرتفع اي الغائب عن الاكوان بوصوله الى المكون وانفصاله عن

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة

الخلق واتصاله بالحق انا هو اذ هو محو محض وفناء صرف وان صاحب الصحو رجع الى ظاهر الشريعة فيقول في حال صحوه وانت والفروع اي الصديقون لا تشتبه اي لا تلتبس لان الصديق * لا يلتبس بالزنديق * فان ما خامر القلوب فعلى الوجه يلوح آثاره * الاسرة تدل على السريرة * وان الناس ايضا حوانيت مغلقة فاذا تكلم الرجلان تبين العطار من البيطار * ما كان فيك ظهر على فيك * كل اناء بما فيه يرشح * ولان الكلام صفة المتكلم * ويعرف صدق الرجل بثلاث عند مغاضبته ان لازم الحق واتصف بالصدق فهو ذاك والا فليس هناك انتهى .

وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه المرء مخبوء تحت لسانه فان تكلم فمن حينه وان سكت فمن يومه انتهى .

هذا وان شطحات العارف تقوي ما ذكرناه وتؤيد ما اصلناه نعم شطحه على قدر غيبته عن الاكوان وقوة اتصاله بالمكون لان عالم الارواح بقدر تمكنه وسريانه في عالم الملك والملكوت وكذا ما دونه من عالم الجبروت تتقوى بصيرته وتتجلى انواره فتتدلى له العلوم الالهية * والمواهب الربانية * والواردات الجسمانية * فتضمحل نفسه وتتلاشى احواله فيغلب عليه الشهود وتتراكم عليه الرعود والصواعق من زواجر الخوف وسرادق الهيبة ولوائح الجلال فيكون كله بكله فلا يرى في حضرته سوى محبوبه فان التفت عنه زل قدمه وسقط حظه فيترامى جذبا ويمتلئ عشقا ويكتسي معرفة فيتغذى بتجريد التوحيد وتجريد التفريد فينادي بلسان الحقيقة الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وحينئذ تكون عنده مفاتيح الغيب فيعرف مسالك البر اعني الشريعة وطرق البحر اعني الحقيقة ثم يثمر بثمرات التجلي باوصافه ويتخلق بمعاني اسمائه ليكون طاهر القلب بالتعريف * وجميل الظاهر بالتكليف * فتنطبق عليه الصفة المشبهة فيحسن[1] فاعلها بادبار

---

(1) هنا بياض في نسختين وفي نسختين لم ينبه عنه وفيهما فيحسن ولعله الاصوب

المحن * واقبال المنن * فيظهر فيه اللهوت * ويضمحل منه الناسوت * فاذا تنوب اوصافه عن اوصافه وافعاله عن افعاله وذاته عن ذاته ووجوده عن وجوده فليس له ثبوت في عالم الحق فان استولى عليه ذلك بالمدد ارتقى في المراتب * وتعالى في الدرجات والمواهب * وبحسب ذلك تكون مراتب الاولياء وذلك من بحر المعارف وعليها تبنى الشطحات والامور الربانية الروحانية والاوصاف الملكية واهل الديوان لا تخلو احوالهم ومددهم ومواردهم ومعارفهم ومواجدهم من هذا البسط لان بسطها انما يكون من الحقيقة الاحدية والدائرة المحمدية والنقط النبوية فان الحروف قد جاءت لمعنى وهي الاعضاء المكسوة بالتكاليف وكلها في جمع الجمع اعني الحقائق ثم ان الافعال المتصرفة والمنصرفة انما تكون في مساجد الربع وهي الشريعة فمن لا شريعة له لا حقيقة له ومن لا حقيقة له فشريعته رسم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وعند ذلك تناديه حقائق الاكوان انما نحن فتنة فلا تكفر فان ترقى نادته هواتف الحق الذي تطلبه امامك وان الى ربك المنتهى ﴿ نعم ﴾ الله يقول واتوا البيوت من ابوابها وباب كل شيء بين فابواب الحقائق السلوك والترقي(١) واخذ العهود والا فتنعكس شمسه وينكسف نوره لان ثدي المعارف لا يثبت ولا يتقوى الا بغذاء الارواح فالرضاع عندهم حولين كاملين فان تصفية النفس وتنوير القلب انما يكون بالفطام من الهوى ومن الغيبة عن السواء غير ان صاحب التربية لابد وان يكون خاليا عن التلوين(٢) منعوتا بنعوت التمكين الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر الاية بيد ان المطمئن يداوي المتحرك .

وقد قال ابو علي الثقفي لو ان رجلا بلغ العلوم كلها وصاحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بشيخ عارف او اخ ناصح او مفت محقق والا فلا تَعْبَأَنَّ به فليس من الله في شيء انظر القشيري ولذا قال بعضهم من لم يكن له شيخ كان الشيطان شيخه لان

(١) كذا في نسخة وفي ثلاث التربي — (٢) كذا في جميع النسخ

النفس كثيرة التلبس عظيمة الخدع والمكر توهم الانسان انه صادق وهو كاذب وانه موف بعزمه وهو ناكث الى غير ذلك من اوصافه الذميمة وهذه العلوم من خزائن الغيب تنبع في القلوب وتظهر في الفهوم من غير مفتاح بل هي لدنية وهبية صمدانية فردانية الاهية ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واي حكمة اعظم من هذه فتكون على حسب الفضل قل بفضل الله وبرحمته واهل هذا الشان يسرعون بالجواب * لزوال الحجاب * لفتح(١) رب الارباب *

﴿ تتمة ﴾ انما ذكرت هذا الكلام * من فتح الرحيم العلام * اذ هو فيض الهي من خزائن الغيب * وعطاء الغيب * فاعرضت عن ذكر التحفة التي ذكرها شيخنا المذكور لما فيها من المتشابه وشحت هذه النبذة بما يقرب للافهام * ولا تزل فيه الاوهام * وقد علمت ان عجائب القرآن لا تنقضي وقد قال شيخنا المذكور ما نصه .

قال الامام ابو سالم ﴿ لطيفة ﴾ اخبرنا الشيخ شهاب الدين رئيس الموقتين بالمدينة المشرفة ان والده لما كان في الاسر تكلم مع راهب من رهبانهم فقال له الراهب انكم معشر المسلمين تزعمون ان كتابكم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فقال له الشيخ تاج الدين نعم نقول بذلك فقال له اين تجد في كتابكم اسمي فقال له ما اسمك فقال له كَبَك فاخرج له تاج الدين المصحف فاراه ما بعد الراء من قوله ما شاء ركبك فتعجب الراهب من ذلك وصدق بأن في الكتاب كل شيء قال وهذه فراسة قوية وهداية سنية من الشيخ رضي الله عنه ولا شك ان في الذكر كل شيء ولكن لا يهتدي الى ذلك الا من خصه الله تعالى بالفهم الرباني والعلم الالهي .

قال وقد ذكر لي بعض الناس انه رأى منصوصا وقوع هذه الحكاية لغيره قلت ويحتمل ان يكون هذا الراهب اخذ هذه الحكاية ممن سبقه اليها ممن تقدم وثبتت في ذهنه

(١) في نسخة بفتح

وابرزها في معرض الاختبار للشيخ او افترحها من غير ثبوت سلف فيها ويكون من وقع الحافر على الحافر والله تعالى اعلم .

قال من نظير ما تقدم من اشتمال القرآن الكريم على اخبار كل شيء حتى علم الحدثان والوقائع ما اخبرني به شهاب الدين احمد بن التاج ان ملك بلاد الروم السلطان سليم احد ملوك الترك وهو أول داخل منهم لمصر وتملكها من يد السلطان الغوري في سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة كان سبب تملكه لها انه لما تملك بلاد الشام حدثته نفسه بالتملك على بلاد العراق اذ هي اصل منشأهم ومساكن اسلافهم التركمان فخرج من بلد اصطنبول التي هي قاعدة ملكهم فلما وصل الى الشام بعساكره تعذرت عليه العلوفة لغلاء حصل في تلك الناحية فاحتاج الى الميرة والتزود من مصر فكتب بذلك الى الغوري يستاذنه في الامتيار من بلده وكان الشاه ملك عراق العجم في ذلك الوقت لما سمع بتحرك السلطان سليم كاتب الغوري وكانت بينهما صداقة يطلب منه ان يشغله عنه وان يثبطه ما استطاع وصادف ذلك من الغوري غيرة من السلطان سليم وأنفة من تملكه بلاد الشام وخشي ان اتسع ملكه ان يستولي على مصر ومصر اذ ذاك هي ام البلاد الاسلامية وملكها اعظم الملوك لانتقال الخلافة العباسية من العراق بعد واقعة التتار الى مصر وعند ما طلب السلطان سليم من الغوري الميرة تعلل له بان ذلك لا يمكن في هذا الوقت لغلاء الاسعار واعتذر له باعذار ضعيفة ففطن سليم لما قصد وعلم انه انما اراد تعويقه عن المسير الى العراق فحدثته نفسه بالركوب اليه وصرف العنان عن غزو العراق الى غزو مصر فاستشار في ذلك من كان بحضرته من العلماء وذكر لهم عذره وان الغوري منعه من التزود من بلده وهو محتاج الى الزاد فكلهم قال ان ذلك لا يبيح لك قتاله لانه ملك بلاده ولم يخلع لك يدا من طاعة ولا بادأك بحرب فكيف يحل لك الهجوم عليه في بلاده ومحاربته بلا سبب وكان من جملة العلماء الحاضرين المحقق ابن كمال باشا وأصغرهم فقال له ايها الامير انه يباح لك غزوه وفي كتاب الله انك تدخل مصر في هذه السنة فقال له وكيف

ذلك فقال له لا افتي بين يدي هؤلاء الائمة وهم مشائخ الاسلام حتى تؤجلهم سبعا لينظروا ويتدبروا فان الله تعالى يقول ما فرطنا في الكتاب من شيء فكيف لا تكون هذه النازلة في كتاب الله تعالى الذي فيه تبيان كل شيء فقال لهم سليم اني اجلتكم سبعا عسى ان تجدوا أو يتبين لكم ما قال فقالوا كلهم ايها الامير ما كان جوابنا الان هو جوابنا بعد سبعة فقال ابن كمال لابد من التاجيل وقصده والله اعلم اظهار مزيته عند الملك وانه اهتدى لما عجزوا عنه بعد التدبر والتلوم اذ لو أبدى ما عنده في المجلس لربما ادعى ان ذلك يمكن الاهتداء اليه بالتامل والتدبر فاجلهم الامير سبعا فلما انقضت جمعهم فسألهم فقالوا له جوابنا فيما مضى جوابنا الان فقال له ابن كمال ايها الامير انهم ليقرءون في كتاب الله العظيم انك لتدخل انت وجنودك هؤلاء مصر في هذه السنة الا انهم لا يهتدون لفهمه فقالوا اين هو فقال قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون فضحكوا منه وقالوا اين هذا مما نحن فيه فقال لهم ان قوله تعالى ولقد في قوة لفظ سليم بحساب الجمل فان كل واحد من اللفظين مائة واربعون عدده فتكون إشارة الكلام سليم كتبنا في الزبور من بعد عشرين وتسعمائة ان الارض يرثها لان الذكر عدده بدون آدة التعريف ما تقدم قال والارض في الاية الكريمة على قول كثير من المفسرين هي ارض مصر والعباد الصالحون في هذا الوقت هم جنودك اذ لا اصلح منهم في عساكر المسلمين بأقطار الارض لاقامتهم سنة الجهاد وفتحهم اكثر البلاد النصرانية وهم على مذهب اهل السنة والجماعة وغيرهم من عساكر البلاد اما ممن فسدت عقائدهم كاهل العراق واكثر اليمن والهند واما ممن ضعفت عزائمهم عن اقامة شعائر الاسلام كالمغرب واما ممن استولت عليهم الدنيا كمصر وبالغ في تقرير هذا المعنى وسر السلطان سليم بقوله وسلم له الفقهاء حسن الاستنباط ولطف الاشارة الا انهم قالوا له ان هذا لا يكفي في اباحة قتال من لم يخلع يدا من طاعة ولا حارب احدا من المسلمين وان كانت الاشارة القرآنية تدل على ان هذا سيكون فلابد من اظهار وجه تعتمده الفتوى الفقهية فقال ابن كمال ايها الامير اما هذا فهو

ايضا متيسر وذلك بأن تبعث الى السلطان الغوري وتقول له اني لما قدمت الى هذه الاوطان ولم يتيسر الغرض الذي قدمنا لاجله عزمنا على التوجه للحجاز لاداء فريضة الحج وليس لنا طريق ولا تزود الا من بلادكم فاردنا ان تاذن لنا في المرور ببلادكم والتزود منها فانه لا محالة مانعك وصادّك عن المرور ببلده فاذا صدك عن حج البيت جاز لك قتاله وصار محاربا فاستحسن الفقهاء رايه في ذلك لان الحيل في مذهبهم سائغة * وانتهاج طريقها عندهم شريعة شائعة * فكتب السلطان سليم الى الغوري في ذلك فراجعه الغوري بجواب سيء وصرح بمنعه وصده وانه لا يشرب من نيل مصر جرعة ماء الا ان مشى على ظهور الموتى الى غير ذلك من التهديد فقوى حينئذ عزم السلطان سليم على غزو مصر وتهيأ لذلك فكان ما كان من استيلائه عليها ومحو الدعوة الغورية من مصر وإنحائه وقتله اكثر العلماء والصلحاء والخليفة العباسي وكثير من ارباب المناصب وكان امر الله قدرا مقدورا فعظمت بذلك مكانة ابن كمال عنده وخيره فيما شاء من الولايات فاختار الفتوى فتولاها وحسنت سيرته فيها وتصدى لنشر العلم وتعظيم اهله والله يتقبل منه آمين ·

ونظائر هذه الحكايات والاستنباطات كثيرة يتعاطاها اربابها على ان التسلق على مثل هذا وتعاطي فهمه من القرآن مما لا ينبغي الا لذي بصيرة نورانية يصدق كشفه فتحه والا فالهجوم عليه ببضاعة العقل خطر فان الواقع قد لا يكون كذلك فيؤدي الى نسبة شبه الكذب لخبر الله تعالى وان بالفحوى والاشارة والقرآن ينزه عن مثل ذلك فان الله تعالى ما انزله على عبده لهذا وان كان موجودا فيه وانما انزله هدى وموعظة وذكرى لاولي الالباب فاستعمال الفكر في معانيه التي حض الله عليها ورسوله اولى من استعماله في امثال هذه الامور التي لم يرد عن الشارع ولا عن السلف الصالح اعتبار جنسها في امثال هذه الامور وان اعتبرها بعض السلف لكن في غير هذا الجنس كاستخراج ابن عباس رضي الله عنه تعيين ليلة القدر من بعض آيات سورته واما المتاخرون فمنهم من اعتبره في هذا الجنس

كاستخراج بعضهم فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين ابن ايوب من قوله تعالى غلبت الروم الى قوله في بضع سنين الا انه امر نادر لا ينبغي أن يعتمد وذو الكمال الصحيح * والكشف الصريح * لا ينبغي ان يقتدي به والله الموفق للصواب اه واياك وان تقفو ما ليس لك به علم فتقع في مهواة لا قعر لها من العطب حذرا حذرا .

وممن التقينا به بالمدينة خطيب الحرم الشيخ اسماعيل قرأنا عليه حديث انما الاعمال بالنيات فاجازني ونص اجازته احمد الله سبحانه ونسأله ان يصلي ويسلم على نبيه واشرف خلقه مولانا محمد وآله وصحبه واتباعه واحبابه اخذت قراءة القرآن والحديث عن العارف بالله تعالى الشيخ علي الشمولسي(١) عن الشيخ الحلبي صاحب السيرة عن القاضي شَمْهُرُوش عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد اجزت الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ احمد بن محمد ابن ناصر ان يروي بهذا السند الشريف العالي المنيف حديث سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ككتاب البخاري وغيره من الكتب وقد قرأ علي حديث انما الاعمال بالنيات نفع الله تعالى به المسلمين وجعلني واياه في بركة سيد المرسلين آمين . الى ان قال

ومن عادة اهل المدينة ايضا في كل ليلة جمعة أن يجتمع الناس بعد صلاة العشاء في آخر اروقة المسجد النبوي الموالي لصحن المسجد فتاتي جماعة من المنشدين فينشد كل واحد قصيدة او قصيدتين بصوت رخيم * وتطريب وتقسيم * والناس محدقون ولهم اتباع يردون عليهم مثل ما تقدم في ليلة المولد الا انهم لا يحتفلون لذلك في ليلة الجمعة كاحتفالهم لليلة المولد ولا قريبا منه .

ومن عادتهم في يوم الجمعة الخروج للبقيع ووضع الرياحين الكثيرة على القبور خصوصا المشاهد المعلومة فيكون عندها اضغاث من الرياحين ويوتى به الى الحجرة الشريفة ايضا ويلقى من طيقان الشبابيك الى داخلها فلا يزال هنالك حتى يذبل ويذوى ويخرج في

(١) كذا في ثلاث نسخ وفي نسخة الشبراملسي وفي الرحلة الناصرية الشمولي

كناسة الحجرة و يقتسمها الاغوات بينهم مع باقي الشمع الذي يوقد داخل الحجرة وما يتساقط من الطيب فيجمعون ذلك فيهدون منه لاصحابهم وللاكابر ويبعثون منه الى من يهاديهم من اهل الافاق .

ومن عادتهم يوم الجمعة ان يكنس المسجد النبوي كله ويوتى باغطية من ديباج اسود مخوص بالذهب فتعلق على ابواب المسجد ويوتى برايتين سوداوين من ديباج مخوص ايضا فيركزان عن يمين المنبر وشماله وتكسى درج المنبر من اعلاه الى اسفله ديباجا من ذلك النعت ويعلق ايضا على ابواب الحجرة الشريفة فاذا كان قبل الزوال بقريب من ساعتين طلع المؤذنون على المآذن فيبتديء مؤذن الرائسية بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقراءة آيات من القرآن فاذا فرغ تلاه صاحب السليمانية على نحو من ذلك ثم لا يزالون كذلك يتناوبون الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتلاوة على المآذن كلها الى ان يخرج الامام باثر الزوال يقتسمون الوقت بذلك فاذا قرب دخول الامام قام احد المؤذنين على سرير المؤذنين فينشد ما شاء الله فإذا دخل الامام ورقي المنبر أذن المؤذنون دفعة واحدة داخل المسجد على السرير الذي في وسط المسجد وكيفية اذانهم انه يبتدئ رئيسهم فيقول الله أكبر الله اكبر فيقوله الاخرون بعده دفعة واحدة ثم يقول اشهد ان لا إله الا الله مثنى فيقولونه ايضا بعد فراغه منه دفعة واحدة وهلم جرا الى آخر كلام المؤذن واما الخطابة فهي كالامامة موزعة بين فقهاء المدينة لكل واحد مقدار معلوم من الايام على قدر حصته التي ياخذها من جامكية الخطباء فمنهم مقل ومكثر وذلك اما بالوراثة من اسلافهم او بالشراء من الولاة وهو الغالب ومنهم من تدور نوبته في كل شهر مرة ومنهم من لا تصل اليه النوبة الا مرة في السنة ومنهم بين ذلك على حسب انصبائهم في المال الماخوذ على ذلك .

ومن عادة المدرسين بالمدينة ايضا تعطيل القراءة في المكاتب والتدريس يوم الثلاثاء ويوم

الجمعة ويفرءون فيما سوى ذلك من الايام خلاف عادتنا في المغرب من التعطيل يوم الخميس ويوم الجمعة .

قال شيخنا ابو سالم وكنت ايام اقرائي بالحرم الشريف يكلفونني القراءة يوم الخميس فيشق ذلك علي لكونه خلاف المعتاد لدينا ولخروجنا في ذلك اليوم لزيارة احد وغيره من المشاهد فطالبتهم كل المطالبة ان نعوض الخميس بالثلاثاء فابوا كل الاباءة فجريت على عادتهم كما قيل

ان جئت ارضا اهلها كلهم * عور فَغَمِّضْ عينك الواحده

قلت ولا ادري ما السبب في تعطيل الثلاثاء واما الخميس والجمعة فسببهما مشهور قلت والسبب في ذلك كما في شراح الرسالة ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما اطال في بعض اسفاره اشتاقه اهل المدينة فلما سمعوا باِيابه تلقاه الناس رغبة وشوقا فتسابق اليه الصبيان فباتوا معه ليلة الخميس والجمعة فاجازهم جائزة وانهم لا يقرءون يوم الخميس ويوم الجمعة الى صبيحة يوم السبت وهذا حاصل معناه .

ثم قال شيخنا المذكور ومن عادتهم ايضا في الحرمين الشريفين التهنئة بالشهر اي شهر كان خلاف المعتاد لدينا بالمغرب فان التهنئة عندنا انما تكون بالاعياد وماشاكلها ولديهم لابد من التهنئة في اول يوم من كل شهر فيذهب كل واحد إلى من له عليه حق بولاية او شيخوخة او صحبة حتى يهنئه بالشهر في منزله ولله در القائل

ان الاهلة في السماء مناجل * بطلوعها تتحصَّد الا عمارُ
ابدا يهنئ بعضنا بعضا بها(1) * وطلوعها باقولنا انذار

ومن عادتهم في اقامة الصلوات الخمس في الحرم الشريف تقديم الصلاة في اول الوقت ما عدا الصبح للحنفي فيؤخره الى قرب الاسفار فيصلون الظهر اول ما تزول الشمس

(1) في ثلاث نسخ بمصابها

وما يقيل غالب الناس الا بعد الصلاة فيذهبون بعد الصلاة الى منازلهم لنوم القائلة وكان ذلك يشق على الغرباء قبل اعتيادهم لذلك فتكاد صلاة الظهر تفوتهم في المسجد لانهم لا يتأهبون لها الا بعد الاذان وليس بين الاذان والصلاة قدر يسع التأهب فمن لم يتأهب للصلاة قبل دخول الوقت فاتته الصلاة في الجماعة غالبا وذلك خلاف السنة في تاخير صلاة الظهر الى ربع القامة او ازيد للابراد في شدة الحر فانا لله وانا اليه راجعون على تفويت الفضائل في اماكن قطب الافاضل واول من يصلي من الائمة الشافعي ثم الحنفي الا في صلاة المغرب فيتقدم الحنفي لضيق الوقت عنده كالمالكي ولا يؤم بالمدينة من الائمة سواهما من اهل المذاهب الا في الجمعة فيصلي صاحب النوبة على اي مذهب كان فيتناوب الامامان الصلاة في المحراب النبوي فان صلى احدهما فيه صلى الاخر في المحراب الذي على يمين المنبر الشريف واما المحراب العثماني الذي في الصف الاول فلا يصلى فيه الا في بعض ايام الموسم ان كثر الناس .

ومن عادتهم في الصلاة على الجنائز ادخال الجنازة الى الحرم الشريف فيصلى عليها بالمسجد ثم يمر بها امام الوجه الشريف و يوقف بها وقيفة ثم يذهبون بها الى محلها من البقيع او غيره الا جنائز الروافض كالنخاولة فانها لا يدخل بها المسجد ولا يوتى بها الى المواجهة بل ياتي بها اصحابها الى خارج المسجد من ناحية الروضة ثم يرجعون ولقد احسن من سن لهم ذلك من الولاة فحق من يبغض ضجيعي الرسول صلى الله عليه وسلم و رفيقيه في المحيا والممات ان يبعد عن حماه حيا وميتا فيض الله من يخليهم منها الى تيماء واريحاء آمين .

ومن عادتهم في الاملاكات ان يكون عقد النكاح بالمسجد الحرام فياتي اكابر المدينة من ارباب المراتب والمناصب والخطيب فيجلسون صفين من المنبر الى الحجرة الشريفة صف مستقبل القبلة وصف مسند ظهره الى جدار القبلة وبازاء الخطيب المتعاقدان فيشرع في الخطبة فيثني على الله بما هو اهله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ثم يذكر المتعاقدين ويشير

اليهما ويرضيان بذلك ثم يوتى باطباق الرياحين وتوضع بين الصفين واطباق من اللوز والسكر ويفرق ذلك على الحاضرين ويقوم المنشد ينشد قصيدة او قصيدتين في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فيفترق المجلس ويقوم الحاضرون الى المتعاقدين ويهنئونهما وهذه صورة املاك كل ذي وجاهة ورياسة من امير او تاجر او صاحب خطة واما غيرهم فعلى حسب ما يتفق لهم فاذا كان ليلة الدخول اتي بالرجل ومعه جماعة كبيرة من اصحابه واقاربه ومعهم الشموع حتى يوقف به على باب المسجد بعد العشاء الاخيرة فيدخل ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو فيخرج ثم يذهب به كذلك يزفونه الى بيت المراة في دار اهلها عكس المعتاد في كثير من البلاد ان المراة هي التي تزف الى زوجها وان الدخول في بيت الزوج وعند هؤلاء لما كانت العادة الدخول بالمراة في بيت اهلها صار الزوج هو الذي يزف فاذا اصبح الزوج ذهب من بيت الزوجة الى بيته واخذ في اطعام الناس طعام الوليمة وجاء الناس لتهنئته وفي الليلة المقبلة تاتي الزوجة من دار اهلها الى دار الزوج ولكل قطر عادة ولكل قوم سادة وعادة السادة سادة العادات .

ومن عادتهم في التعامل انهم يسمون الاربعين مايديا(١) صرفا فيقولون عشرة اصرف وعشرون صرفا يعنون كل اربعين قيراطا من قراريط الفضة المسكوكة يعد صرفا كقولنا في بلادنا لهذا المقدار مثقالا ويقولون للدينار من الذهب شريفيا وسلطانيا ويقولون للريال المسكوك من الفضة ريالا وقرشا .

قلت وهذا خلاف مصر في القرش فانه اقل من الريال ويقولون للقيراط المسكوك محلقا وفي مصر يقولون له فضة ومؤيديا ويقولون للصاع الذي به التعامل ربعيا ويسمون الصروف المتقدمة اذا ذكرت مجموعة ذهبا فيقولون عشرون ذهبا وثلاثون ذهبا يعنون عشرين صرفا من غير قصد ارادة الذهب اذ التعامل بالذهب انما هو بالدنانير واجزائها .

---

(١) كذا في الرحلتين وفي ثلاث نسخ وفي نسخة ميريا ولعله مؤيديا

ومن عادتهم في الشراء من الاعراب الذين يجلبون اللبن والجبن والسمن والغنم ان يشتري منهم قوم من الاعراب الساكنين بالمدينة واطرافها ولهم اسم يختصون به كالبرغازين عندنا فيدخلونه الاسواق ويشتري منهم اهل المدينة وهذا من تلقي السلع المنهي عنه ولكنهم قد الفوا ذلك واستمرت عليه عادتهم والف ذلك القادمون ايضا لو ان احدا من اهل المدينة اراد ان يشتري منهم لم يبيعوه الا باضعاف ما يشتريه البرغازون فاذا جاء البرغازون اخذوه منهم باقل من ذلك ويركنون اليهم ويميلون الى قولهم ويعرفون كيفية المساومة معهم فلا يتعاصون عليهم لقرب الشكل من الشكل وغيرهم ليس بتلك المثابة فلا يكاد احد يشتري منهم لجفائهم وغلظ طبائعهم فاستسهل الناس الشراء من البرغازين بربح قليل زيادة على ما اشتروا به من الاعراب واغتفروا التلقي لذلك اللهم الا ان يكون الموضع الذي يحطون فيه ما ياتون به من اللبن وغيره معلوما عندهم لذلك ولا يقصدون سواه ولا يتعدون لغيره لبيع ما ياتون به من سوق او حانوت او دكان فيكون ذلك كالسوق لسلعهم فلا نهي اذًا اذ لا تلقي حينئذ لكون السلع بولغ بها سوقها ومحل بيعها وابتياعها .

ومن عادتهم في كراء الرواحل من القوافل الذاهبة الى مكة والينبع ان بالمدينة رجالا يعرفهم غالب الجماليين فمن احتاج الكراء من ارباب الدواب او ارباب السلع اتى اليهم فيعقدون لهم الكراء مع صاحبه ويتكلفون بما عسى ان يصدر من الجمال من غرر في الطريق بهروب او مكر ويسمى احد هاؤلاء المخرج فلا يعقد احد كراء الا بحضرة احدهم وجلوسهم في الغالب بباب المصري وياخذون بذلك حلاوة من الجمال ومن المكري وذلك دأبهم بمكة ايضا .

وفواكه المدينة المشرفة في غاية الجودة خصوصا عنبها ورطبها واما الخضر فأكثرها وجودا الجزر والباقلاء والملوخية والبامية والبصل واللفت والخضر البرية ليس فيها الا الخبيز

ولا ياكل احد في تلك البلاد السمن القديم والشحم الغوي الا اضرا به ما لم يكن حديث عهد بالبلد فاذا طالت اقامته في البلد تطبع بطبعهم .

قال ابو سالم وطبع ذلك البلد الشريف وهواؤه فلما يوافق احدا من اهل مغربنا الاقصى ممن بلده ريف ذات مياه وخصب وانما يوافق امزجة اهل الصحراء كتوات وتقورارن واهل السودان وذلك والله اعلم لفرط حرارة بلاد هؤلاء فقلما رأيت احدهم مريضا في تلك البلاد الا مرضا خفيفا وقلما رأيت احدا ممن بلده كبلادنا ريف وخصب الا وقد الظ به المرض الا القليل ممن طالت اقامته جدا في البلد وتطبع بطبع اهلها قال من يوم قدومنا للمدينة كل من تكلمنا معه من اصحابنا المجاورين يقول لنا استعدوا لحمى المدينة فلا بد لكم منها فانها تحفة النبي صلى الله عليه وسلم وكرامته لجيرانه لتمحيص ذنوبهم وكان بعض اصحابنا يتمغص من ذلك ويشق عليه سماعه منهم ويقول نحن نرجو ان تكون كرامة النبي صلى الله عليه وسلم لنا بغير ذلك فكان اولنا وقوعا في المرض واطولنا اقامة فيه والله يغفر له ويكفر زلله قال ولا بعد ولا نكر في تسمية الحمى بتحفته صلى الله عليه وسلم لذلك اصل في السنة فقد ورد في بعض الاحاديث ان الحمى استاذنت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها اذهبي الى الانصار فان لهم علينا يدا او كما قال عليه الصلاة والسلام وروى الامام أحمد وغيره برجال الصحيح عن جابر رضي الله عنه استأذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقالت ام ملدم فامر بها الى اهل قبا فلقوا ما لا يعلمه الا الله فاتوه فشكوا ذلك اليه فقال ما شئتم ان شئتم دعوت الله أن يكشفها عنكم وان شئتم تكون لكم طهورا قالوا او تفعل قال نعم قالوا فدعها وفي رواية وان شئتم تركتموها واسقطت بقية ذنوبكم انتهى .

ولا تحفة ولا كرامة لزائريه صلى الله عليه وسلم اعظم مما يطهرهم من الاثام وهل فارقوا الاهل والاولاد * وقطعوا الاغوار والانجاد * وامتطوا ظهور النجائب * وفلوا بارجلها ناصية

السباسب * اليه صلى الله عليه وسلم الالتحط عنهم اوزارهم * وتغسل ادرانهم * فجزاه الله عن امته * افضل ما جزى به نبيئا عن قومه .

وقد حقق العارف الامام ابن ابي جمرة رضي الله عنه ان المغفرة اعلى ما يناله العبد من الله قائلا ان الرحمة وان نال منها الانسان ما عسى ان يناله فيمكن ان يبقى معها بقية ذنب فيؤاخذ بها بخلاف المغفرة ولذلك امتن الله بها على نبيه صلى الله عليه وسلم .

قلت فينبغي اذاً للعارف(١) ان يكون اهم ما لديه تعاطي اسباسب المغفرة من الله كصلاة التسبيح كل يوم مرة او اسبوع او شهر او سنة او مرة في العمر فقد ورد فيها ما يحمل الراغب في ربه * المشفق من ذنبه * على ان لايدعها * ولا يقدم عليها سواها * وافضل اوقاتها ما بين الزوال وصلاة الظهر ان تاتى ذلك والا فسائر النوافل تصلى في اوقاتها من ليل او نهار وتصلى تارة على ما رواه ابن المبارك رضي الله عنه وتارة على غيره من تقديم القراءة على الاذكار والجلوس للاستراحة قائلا الاذكار فيها قبل ان ينهض قائما وقبل التشهد فشد يد الضنين عليها ولا يشغلنك عنها شاغل واستبشر بنعمة من الله وفضل ان وفقك الله واهلك لتعاطيها ونشطك لها اذ لو اراد بك الاخرى عياذا بالله لثبطك عنها فتكاسلت وتوانيت ولا يزهدك عنها زاهد فان العارفين بالله بالغوا في الحث والحض عليها والله يوفقنا وإياك ﴿ ولنذكر ﴾ هنا الاحاديث الدالة على الخصال المكفرة لما تقدم وتاخر من الذنوب جمع الامام الحافظ ابن حجر في جزئه المسمى بالخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتاخرة تيمنا وتبركا فاقول عن ابن حجر بسنده الى حمران ابن ابان مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال دعا عثمان بماء فاكثر ترداد الماء على وجهه ويديه فقلت حسبك قد اسبغت الوضوء والليلة شديدة البرد فقال صب فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسبغ احد الوضوء الا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر اخرجه ابن ابي شيبة في مصنفه

---

(١) في الرحلة الناصرية للعاقل

وسنـده واخـرج ابوعوانـة فـي مستخرجـه عـلى مسلـم عن سعـد بن ابي وقـاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع المؤذن فقال اشهد ان لا اله الا الله وحـده لا شريك له وان محمدا عبده ورسولـه رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيـا وفي رواية رسولا غفر له ما تقدم من ذنبـه وما تاخر فقال له رجـل يا سعـد ما تقـدم من ذنبـه وما تأخر فقال هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلـم واخرج ابو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلـم قال للعباس بن عبد المطلب يا عباس يا عماه الا اعطيك الا امنحك الا احبوك الا افعـل بك عشر خصال اذا انت فعلت ذلـك غفر الله لـك ذنبك اوله وآخره خطأه وعمده صغيره وكبيره سره وعلانيته عشر خصال ان تصلي اربع ركعات تقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في اول كل ركعة وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولهـا وانت راكع عشرا ثـم ترفع راسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوى ساجدا فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفـع راسك من السجود فتقولها عشرا فذلـك خمس وسبعـون مرة في كل ركعة تفعـل كذلـك في اربع ركعات ان استطعت ان تصليها في كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة فان لم تفعل ففي كل سنة مرة فان لم تفعل ففي عمرك مرة انتهى واخرج ابن وهب في مصنفه عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الامـام فامنوا فان الملائكة تؤمن فمن وافق تامينه تامين الملائـكة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واخرج آدم بن ابي اياس في كتاب الثواب له عن علي بن ابي طالب رضـي الله تعـالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مـن صلى سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا كتب الله له بها مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ورفع له مائة درجة او مائتي درجة وغفر له ذنوبـه كلها ما تقدم وما تاخر الا القصـاص واخرج ابوعبـد الرحمـان السلمـي عن انس رضي الله تعالى عنـه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا سلم يوم الجمعة قبل ان يثني رجليه فاتحة الكتاب وقل هو الله احد

وفل اعوذ برب الفلق وفل اعوذ برب الناس سبعا سبعا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واعطي من الاجر بعدد كل من آمن بالله واليوم الاخر وفي اسناده ضعف شديد جدا واخرج الامام احمد رضي الله تعالى عنه في مسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واخرج احمد عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر في العشر البواقي من قامهن ابتغاء حسبتها فان الله تبارك وتعالى يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وهي ليلة وتر تسع او سبع او خامسة او ثالثة او احدى وعشرون واخرج ابو سعيد النقاش في اماليه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم عرفة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر مَنْ أَهَلَّ بحجة او عمرة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر او وجبت له الجنة أخرجه ابو داود عن ام سلمة من جاء حاجا يريد وجه الله فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وشفع فيمن دعا له اخرجه ابو نعيم عن عبد الله بن مسعود اذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله فان مات قبل ان يقضي نسكه وقع اجره على الله وان بقي حتى يقضي نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر اخرجه ابو يعلى واحمد بن منيع عن جابر من صلى خلف المقام ركعتين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيامة مع الامنين ذكره القاضي في الشفاء من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر اخرجه الثعالبي وابن مردويه في تفسيرهما من علم ابنه القرآن نظرا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ومن علمه اياه ظاهرا فكلما قرا آية رفع الله بها للاب درجة حتى ينتهي الى آخر ما معه من القرآن اخرجه الطبراني عن انس واخرج ابو محمد عبد الله بن محمد في فوائد الاصبهانيين عن ام هانيء وكانت تكثر الصلاة والصيام والصدقة فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه ضعفها فقال لها ساخبرك بما هو عوض من ذلك تسبحين الله مائة مرة فتلك مثل مائة رقبة تعتقينها متقبّلة وتحمدين الله مائة مرة فتلك مثل مائة بدنة مجللة تهدينها متقبلة وتكبرين الله

مائة مرة وهناك يغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر مَنْ عَدّ في البحر اربعين موجة وهو يكبر غفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تاخر وان الامواج لتحت الذنوب حتا ذكره ابو الحسن الربيعي في فضائل الشام وروي ايضا عن انس عنه عليه الصلاة والسلام مدينة بين الجبلين على البحر يقال لها عكا من دخلها رغبة فيها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ومن خرج منها رغبة عنها لم يبارك له في خروجه وبها عين تسمى عين البقر من شرب منها ملا الله بطنه نورا ومن افاض عليه منها كان طاهرا الى يوم القيامة هذا حديث منكر جدا من قاد مكفوفا اربعين خطوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر اخرجه ابن مندة في اماليه عن ابن عمر من سعى لاخيه المؤمن في حاجة قُضِيَتْ له او لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق اخرجه ابن الناصح في فوائده عن ابن عباس رضي الله عنهما ما من عبدين متحابين في الله وفي رواية ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان ويصليان على النبي صلى الله عليه وسلم الا لم يفترقا حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تاخر اخرجه ابو يعلى عن آنس من اكل طعاما ثم قال الحمد لله الذي اطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر ومن لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر اخرجه ابو داود عن آنس واخرج الحكيم الترمذي عن عثمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل اذا بلغ عبدي اربعين سنة عافيته من البلايا الثلاث من الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة حاسبته حسابا يسيرا فاذا بلغ ستين سنة حببت اليه الانابة فاذا بلغ سبعين سنة احبته الملائكة فاذا بلغ ثمانين سنة كتبت حسناته والقيت سيئاته فاذا بلغ تسعين سنة قالت الملائكة اسير الله في ارضه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وشفع في اهله قال الحكيم هذا من جيد الحديث وذكرتها لمناسبتها لما نحن

بصـــدده من المغفـرة رغبـة ان يعمل بها من وقف عليها او ببعضها فقد اجزت بهـا من اراد العمل بها من المومنيـن رجـاء الثواب وحسن المآب .

ومن عادتهم اذا قرب زمن انقضاء الحر واقبلت هوادي زمن البرد وظهرت البـرودة في الهواء صباحا ومساء اخذوا يدثرون ابدانهم في الثياب الكثيفة التي تلبس في ايام البـرد الشديد ويقولون ان البرد في اول ابانه يسرع فساد الامزجة وهو اضر مـن البـرد الشديـد الذي يكون في وسط الشتاء ويقولون ان الناس يلبسون من غليظ الثياب في آخر الخريـف ما لا يلبسون في صميم الشتاء وشديد الزمهرير .

قال شيخنا ابو سالم وكنا نحن لالفنا البرد الشديـد في بلادنـا نتلقاه بأبداننـا ونعـري له اطرافنا فرحا بقدومه لما قاسينا من شدة الحر الذي لم نعهد مثله في قطرنا فكانوا ينهوننا عن ذلك ولا ننتهي ويقولون ليس هواء هذه البلدة وبردها كالتي تعهدون فكنا لا نلتفت لذلك ثقة بما نعهد في انفسنا في بلادنا من الصبر على بردهـا الذي لا يكـون بـرد هـذه البلدة بالنسبة اليه الا كنسبة زمان الاعتـدال قال فكان ذلـك مع قدر الله تعالى هو السبب فـي حصول المرض المتطاول لنا ولاصحابنا ويشهد لمقالهم في ذلك قول امير المومنيـن مولانـا علي بن ابي طالب رضي الله عنه اتقوا البرد في اول ابانه وتلقـوه في آخر اوانه فانه يفعـل بالابدان ما يفعل بالاشجار فاوله محرق وآخره مورق ذكره الزمخشري فـي كتاب ربيع الابرار له قال ولقد صدقوا في ذلـك خصوصا في تلـك البلاد فان بدن الانسان يكون مشتعلا حرارة ويبسا لغلبة الحر فاذا فاجأ البـرد البدن في تلـك الحرارة اضر به بخلاف البرد الذي يجيء في آخر الابان فانه يصادف البدن قد سكنت حرارته والله اعلم .

ومن عادتهم ان لا يتولى خدمة الحجرة الشريفة والمسجد الا عبيـد اغوات موقوفو ن على ذلـك لا يشاركهم غيرهم وشيخ الحرم هو كبيرهم والاغا بلغتهم كناية عن الخصي من العبيد واختاروا وقف الخصي دون غيره لكونه اطهر وانزه واكثر فراغـا من الاشغـال اذ لا اهـل له ولا ولد يشتغل بهم وهو ابعـد من دنس الجنابة ومباشرة النساء وهم عدد كثير قريب مـن

الثمانين يزيدون وينفصون بحسب كثرة الراغبين في الوفف وفلتهم والاربعون منهم هم الكبار الذين ياتي رزفهم ومئونتهم من بيت المال وما زاد على ذلك انما يرزفون من الاوفاف التي لهم بالمدينة اومما ياتيهم من الهدايا والصدفات من افطار الارض ويسمى ما سوى الاربعين البطالين لانهم انما يستعملون في الاشغال التي هي خارج الحجرة والمسجد النبوي من الاعمال المتهنة ولا يجلسون مع الاكابر في الدكة انما يجلسون خارجها ولهم ضبط وسياسة كسياسة الملوك فلكل واحد منهم رتبة معلومة وشغل معلوم فاذا مر بالاصاغر احد الاكابر فاموا له كلهم وكذا الاكابر فيما بينهم فاكبرهم شيخ الحرم فهو يتجدد في الغالب اما في سنة او سنتين او اكثرولا ياتي الا من دار السلطان من عبيده ويليه النفيب ويليه المستسلم وهو الذي يتولى فبض الصدفات وما يهدى لهم او للحجرة وبيده مفاتيح الحجرة وحواصل الزيت والشمع وبيده جميع ما يتصرف فيه الاغوات من مصالح المسجد ومن اوفافهم فاذا مات واحد من الاربعين دخل واحد من البطالين في موضعه وهو من كان شيخ البطالين والترتيب في ذلك بالتفدم فمن تفدم مجيئه يفدم على من تأخر مجيئه وليس فيهم شافعي ولا حنبلي بل كلهم حنفية ومالكية على مذاهب ساداتهم الذين اوففوهم وذلك لان الشافعية والحنابلة لا يرون صحة وفف الحيوان ومن اوفف عبدا من الاغوات على الحجرة نسب اليه سواء كان من التجار او من الامراء او العلماء فيفال اغا فلان وكلهم يبيتون في المسجد عدا شيخ الحرم والنفيب واما الاخرون فلا يبيت واحد منهم بداره الا لعذر بين من مرض او نحوه ولكنهم جزاهم الله خيرا عن تعظيم المكان وتوفيره وتبجيله وكلهم اهل خير وبركة فد اختارهم الله لخدمة اشرف البفاع وشرفهم بالنسبة الى اشرف الخلق صلى الله عليه وسلم ولله در الامام البوصيري اذ يفول

واذا سخر الاله اناسا * لسعيد فانهم سعداء

ومن عادة الاغوات كل ليلة اذا فرغ الناس من صلاة العشاء ورواتبها فاموا بايديهم الفوانيس الكبار وهي الفنارات عندنا مشعلة ليخرجوا الناس من المسجد فياتون الى المواجهة

والصف الاول فيقف بعضهم اول الصف ووسطه وآخره فيخرجون كل من فيه فاذا لم يبق احد بذلك الصف تكلموا بكلمة ذكر رافعين اصواتهم بها فينتقلون الى الصف الذي يليه ثم كذلك حتى لا يبقى في المسجد احد سواهم فيغلقون ابواب المسجد و يطفؤن المصابيح كلها الا التي في مواجهة الوجه الشريف والتي داخل الحجرة فيخرجون من المسجد الى الصحن والى الاروقة التي بجانبه فيخرجون فرشهم من الحواصل فينامون هنالك ولا ينام احد منهم في المسجد بل ولاياتيه الا من قصد منهم الصلاة .

ومنهم اناس على قدم صدق في العبادة وغالب نوم الصغار منهم في مؤخر المسجد ومن وراء المسجد في الناحية الشامية ميضاة كبيرة فيها بئر كبيرة واخلية وفتح لها باب الى مؤخر المسجد ولا تفتح الا ليلا بعد غلق الابواب وتسرج فيها المصابيح لوضوء الاغوات وازالة حفنة من احتاج الى ذلك ليلا فاذا غلقت الابواب هدات الاصوات منهم وخشعوا فلا تكاد تسمع من احد منهم كلمة فمن احتاج منهم الى كلام احد منهم كلمه كأخي السرار .

قال ابو سالم ولقد رأيتهم يبالغون في خفض اصواتهم بالليل حتى بالسعال والعطاس وتنزل عليهم السكينة وتلحقهم هيبة المكان وليس منهم مجرد استعمال لما يخالط قلوبهم من هيبة المكان .

قال ولقد اخبروني انه لا يقدر احد منهم بالليل ان يصل الى الروضة واطراف الحجرة والمواجهة الا الافراد منهم وانهم ليسمعون بالليل قعقعة السقوف ورفعة الشبابيك حتى يظنوا ان احد ابواب الحجرة فتح وان بعض السقوف وقع فلا يجدون شيئا من ذلك وذلك والله اعلم لتنزل ملائكة الرحمة على قبره صلى الله عليه وسلم او قدوم بعض رجال الغيب للزيارة ويظهر أثر ذلك بالليل لهدو الاصوات به وخلو المكان وان كان تنزل الملائكة على قبره صلى الله عليه وسلم وغشيان الرحمة له لا ينقطع ليلا ولا نهارا .

قال ولقد شاهدت من الهيبة والعظمة في احدى الليالي التي بتها في المسجد ما اعجز

عن وصفه ولقد كنت اجتهد اذا عسعس الليل ان اصل الى المواجهة واقف للتسليم والدعاء فما اصل الى ذلك حتى تكاد اوصالي تنقطع هيبة فاذا وصلت وسلمت واردت اطالة الوقوف للدعاء كما كنت افعل نهارا فلا اقدر فاخفف السلام والدعاء فارجع .

قال ولقد سمعت بعض ما ذكر من قرقعة السقف وما اشبه ذلك فملئت منه رعبا الا اني كنت اشتغل عنه واتلهى عن سماعه بقراءة القرآن سرا فيا لها من ليلة هي عندي نتيجة عمري وفريدة ايامي فلئن كانت ليلة القدر خير من الف شهر فهذه الليلة عندي كالف ليلة القدر اللهم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فلك الحمد على جزيل عطائك * ولك الشكر على سوابغ آلائك * فاذا كان بعد الثلث الاخير من الليل جاء رئيس المؤذنين ففتحوا له وصعد الى المأذنة الرئيسية واذن وشرع في الدعاء والذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيقوم كل من في المسجد من الاغوات فيتوضؤن ثم يصبحون كل ما في المسجد من المصابيح فاذا فرغوا من الاصباح وقرب الصباح فتحوا ابواب الحرم ولا ياتي وقت فتحها حتى يجتمع بابواب المسجد جماعات كثيرة من المتهجدين ينتظرون الفتح فاذا فتحت الابواب دخلوا مزدحمين وتسابقوا الصف الاول من الروضة فيما بين القبر والمنبر فمن سبق الى موضع كان احق به فاذا اراد القيام لحاجة كزيارة او تجديد وضوء بسط نمرة له في محله فلا يجلس فيه احد ولو ابطأ وكثيرا ما يعتدى في ذلك اقوام فيدخلون مع اول داخل من غير طهارة لقصد السبق الى الموضع وتحجيره فاذا بسط فيه فروته او منديله ذهب اذ ذاك الى الطهارة واسبابها وكثير منهم يبطئ في الطهارة فيحجر على الناس المحل وربما عرض لاحدهم حاجة في منزله او في السوق فيترك النمرة في محله فلا يقربه احد وان ابطا كثيرا وفي ذلك من الضرر على المصلين ما لا يخفى على ان في دخولهم مزدحمين واستباقهم الى الروضة حتى ربما سمع لاقدامهم من شدة العدو دوي سوء ادب لا يخفى وربما يحتج لذلك محتج بقوله عليه الصلاة والسلام لو يعلم الناس ما في الصف الاول لاستبقوا اليه فلابد من تقييد ذلك بما لا يخل بادب البقعة المطهرة

وساكنها لقوله عليه الصلاة والسلام واتوها يعني الصلاة وعليكم السكينة والوقار فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا .

قال والمراد بالمسابقة في الحديث المتقدم الاهتمام بشانه والحرص على الصلاة فيه من غير عدو بالاقدام ومزاحمة بالمناكب .

وساداتنا الاغوات رضي الله عنهم وجازاهم خيرا لا يغفلون طرفة عين عن حراسة الحرم الشريف وتاديب من اساء فيه الادب بلغط او رفع صوت او نوم ولو في قائلة الا في مؤخر المسجد ومن وجدوه مضطجعا من دون نوم للاستراحة فان مد رجليه الى ناحية الحجرة زجروه وان استقبل القبلة بوجهه او الحجرة من غير ان يكون مستدبرا لها تركوه ولا يغفلون عن حضور المسجد في ساعة من ليل او نهار فان خرجت طائفة جلست طائفة ولهم ديار وخدم واتباع وضياع وخيل وسعة دنيا ولا يشغلهم ذلك عما هم بصدده من خدمة المسجد بل لبعضهم ازواج وسراري اتخذوها للتلذذ بما سوى الجماع واحكامهم فيما بينهم منضبطة غاية الانضباط ولا يحكم فيهم سلطان ولا غيره ولا يولي عليهم ولا يعزل منهم الا بامر شيخهم ولا يرث معهم بيت المال شيئا ان مات احدهم انما يتوارثون بينهم ومن وجبت عليه عقوبة او ادب منهم ادبوه من غير ان تكون لاحد عليهم ولاية كل ذلك تعظيما لجانب النبي صلى الله عليه وسلم ان تكون لاحد ولاية على عبيده وخدم حجرته الشريفة ولا يدخل معهم من العبيد الذين يُهْدَوْنَ من الافاق الا من رضوا ادخاله بمال يدفعه عنه سيده او يدفعه هو ان كان له مال ومع ذلك يبقى في مرتبة الصغار المشتغلين بالخدمة الخارجة فان رضوا حاله وحسنت اخلاقه تركوه حتى تاتي نوبته في الدخول في زمرة الاربعين وان ظهرت منه خيانة او سوء اخلاق او سرقة او شيء يشينه نفوه الى حيث شاء من البلاد .

وبالجملة فلعبيد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخدام مسجده جلالة قدر وعظيم منصب وسعة ارزاق وكرم اخلاق وهم احفاء بذلك ولكبيرهم كلمة نافذة في المدينة

وتصرف تام ويد مبسوطة وهو احد عظماء الولاة بالمدينة تنفذ احكامه وتمضى تصرفاته في القوي والضعيف والشريف والمشروف ويطا عقبه الكبراء والاشراف .

واذا كان اول رجب جعل الناس يقدمون من اقطار الحجاز واليمن كمكة والطائف ونجد وجدة وما ولاها من اطراف اليمن لشهود الرجبية وزيارة سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه فما من يوم الا وتدخل فيه قافلة من مكة ونواحيها ولم يزل الناس يتلاحقون فخرج اهل المدينة الى أُحُد من اليوم الخامس والسادس من الشهر ورجعوا في اليوم الثاني عشر ولم يبق بالمدينة الا القليل وخرج العسكر لحراسة الناس في الطرقات من المدينة الى أُحُد كما تقدم شرح ذلك .

وبعد الرجوع من احد نزل الوافدون بالمدينة ينتظرون الرجبية وهي ليلة سبع وعشرين منه ليلة المعراج وقدم خلق كثير من الاعراب وكانت بالمدينة سوق عظيمة وامتلا المسجد وجوانبه فما من يوم الا ويزداد فيه الخلق كثرة فاذا كانت الليلة السابعة والعشرون تكامل حشر الناس فمن لم يدخل الى المسجد من قريب من العصر فلما يجد موضعا لصلاة المغرب والعشاء فيغص المسجد بمن فيه ويفتح الحرم طول الليل ويبيت الناس في ذكر وقراءة وصلاة كل على حسب ما يسنح له الى الصباح فاذا اصبح الناس اخذ الاعراب في التوديع فيسمع لهم حنين كحنين الابل في المسجد وصياح وصراخ رافعين اصواتهم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والاستغاثة به فيرق قلب سامعهم ويحن ويشفق لهم على جفائهم وجهلهم فلا ياتي مساء ذلك اليوم حتى لا يبقى بالمدينة منهم الا القليل وعسى الله ان ينفعهم بحسن نياتهم .

واذا استهل شهر شعبان اخذت القوافل في الرجوع الى مكة ويرجع غالب من جاء من اهلها ولا يبقى الا القليل ممن يريد شهود رمضان بالمدينة .

ذكر بعض أودية المدينة التى تسيل اذا كثرت الامطار فيخرج اهل المدينة للتنزه بهـا

فمنها وادي العقيق وهو ايضـا من المواضع المباركة التي ينبغي زيارتها ففي الصحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال سمعـت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بوادي العقيـق اتانـي الليلة آت فقال صلّ في هذا الوادي المبـارك وروي مرفوعا العقيق واد مبارك وروي ان عمر رضي الله تعـالى عنه كان اذا انتهى اليه ان وادي العقيق قد سال قال اذهبوا بنا الى هذا الوادي المبارك والى الماء الذي لو جاءنا جاء من حيث جاء لتمسحنا به وقال فيه عليه الصلاة والسلام هذا الوادي يحبنا ونحبه وهو وادٍ كبير غربي المدينـة وراء الحرة الغربية ياتي سيله من اماكن بعيـدة وربما دام شهرا فاكثـر وروي انه صلى الله عليه وسلم ركب الى العقيق ثم رجع فقال يا عائشة جئنـا من هـذا العقيـق فمـا الين موطأه واعذب ماءه فقلـت يا رسول الله أفلا تنتقـل اليه قال وكيـف وقد ابتنى النـاس وعن آنس رضـي الله تعـالى عنـه خرجنـا مع رسـول الله صلى الله عليـه وسلـم الى وادي العقيق فقال يا آنس خذ هذه المطهرة واملاها من هذا الوادي فانه يحبنا ونحبـه وعن سلمة قال كنت اصيد الوحش واهدي لحومها الى رسول الله صلى الله عليـه وسلـم فقال لو كنت تصيد بالعقيق لشيعتك اذا خرجت وتلقاك اذا جئت واسفله مما يلي الجرف هو المسمى بالعرصة الى غربي رومـة وما فوق ذلـك الى النقيـع يسمى العقيـق

قـال ابو سالـم والمشتهـر في زماننـا بالعقيـق من غربي رومـة الى ذى الحليفـة قـال عياض النقيع صدر العقيق وهما عقيقان ادناهما عقيـق المدينـة وهو اصغر واكبـر فالاصغر فيه بئر رومـة والاكبر فيـه بئر عروة والعقيـق الاخـر على مقربـة منه وهـو من بـلاد مزينة انتهى وسمي عقيقا لان سيله عق في الجرف اي شق وقطع وقيـل سمي بذلـك لحمرة موضعه .

قال السيد ومر تبع بالعرصة وكانت تسمى بالسليل فقال هذه عرصة الارض فسميت العرصة ومر بالعقيق فقال هذا عقيق الارض فسمي به وفي العقيق بئر عروة بن الزبير رضي الله عنه وهي من اغزر الابار ماء واعذبها واحلاها وهي بئر شهيرة فيها اخبار واشعار

قال الزبير بن بكار رأيت الخُرّاج من المدينة الى مكة وغيرها ممن يمر بالعقيق يتخففون من الماء و يتزودونه من بئر عروة واذا قدموا منها بماء يقدمون به على اهليهم يشربونه في منازلهم عند مقدمهم قال ورأيت ابي يامر به فيغلى ثم يجعل في القوارير ويهديه الى امير المومنين هارون .

قال جابر الربعي فيها

يعرضها الاتي من الناس اهله * ويجعلها زادا له حين يذهب

وقال السري بن عبد الرحمن الانصاري

كفنوني ان مت في درع اروى * واستقوا لي من بئر عروة مائي
سخنة في الشتاء باردة م الصيف سراج في الليلة الظلماء

وانشد عبد الرحمن لام يوسف وهو في غاية العذوبة والسلاسة

على ساكني بطن العقيق سلام * وان اشهروني بالعراق وقاموا
حظرتم علي النوم وهو محلل * وحللتم التعذيب وهو حرام
اذا بنتم عن حاجر وحجرتم * على السمع ان يدنو اليه كلام
فلا ميّلت ريح الصبا فرع بانة * ولا سجعت فوق الغصون حمام
ولا انفقعت فيه الرعود ولا بكى * على حافتيه بالعشيّ غمام
فما لي وما للربع قد بان اهله * وقد قرضت من ساكنيه خيام
الا ليت شعري هل الى الرمل عودة * وهل لي بتلك البانتين لمام
وهل نهلة من بئر عروة عذبة * اداوي بها قلبا براه أوام

الا يا حمامات الاراك اليكم * فما لي في تغريدكن مرام
فوجدي وشوقي مسعد ومؤانس * ونوحي ودمعي مطرب ومدام

وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما اقطع الناس العقيق وقف في موضع بئر عروة بن الزبير التي عليها سفاينه وهو يقطع للناس ويقول اين المستقطعون فنعم موضع الخبيرة فاستقطعه ذلك خوات بن جبير الانصاري فاقطعه تلك الناحية فاشترى عروة موضع قصره وبياره بعد وقد صدقت فراسة عمر رضي الله عنه في هذه البئر كما هو شأنه في كل ما يفترسه فيه وللزبير بن بكار ان النبي صلى الله عليه وسلم اقطع بلال بن الحارث المزني العقيق ولم يعمل فيه شيئا وان عمر رضي الله تعالى عنه قال له ان قويت على ما اعطاك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتمله فما اعتملت فهو لك فان لم تعتمله اقطعته بين الناس ولم تحجره عليهم وفي رواية انظر ما اطقت ان تقوى عليه فامسكه واردد الينا ما بقي نقطعه فابى بلال فترك عمر بيد بلال بعضه واقطع ما بقي للناس ولما دنا عمر رضي الله عنه من موضع قصر عروة وقف في موضع بئر عروة الى آخر ما تقدم انظر كلام السيد فقد اشبعه وسيل العقيق عند اهل المدينة من اعظم المتنزهات من سالف الدهر ولشعرائهم الاقدمين فيه اشعار كثيرة مذكورة في كتب الادباء .

قال شيخنا ابو سالم امام المرتحلين في زماننا وقد حضرت بالمدينة سيله ثلاث مرات فخرج الناس على طبقاتهم ونصبت الخيام والمضارب بحافتيه وطبخت الاطعمة الكثيرة مع سرور ولهو وطرب واقاموا به يوما او يومين وقد سال مرة سيلا عظيما منع الرفاق الواردين من مكة للرجبية عن الوصول اليها الا بعد مدة قال وقد حضرني ابيات ونحن على شاطئه مع جملة من اصحابنا اولها

جرى العقيق ودمعي كالعقيق جرى * فلا تسل سائلي عما هناك جرى
الوجد اورى زنادا في الحشا فَصَلَى * به الفؤاد فسال الدمع منتدرا

اذكرني جريه جري السوابق في * بين الكتائب في الميدان معتجرا
وظلـه والنسيم في جوانبه * اطربني فسرى الاحزان حين سرى
اذكرني زمنا عند الذين بهم * افاخر الشهب في وسط الدجى سحرا
قومي وأهلي ومن البست بينهم * شرخ الشباب نظيفا طيبا عطرا
ما استبدلت منهم نفس المشوق سوى * طيب مجاورة المختار من مضرا
اكرم بذا بدلا قد فاز آخذه * لو انه في الشراء أدفع العمرا

ومن جملتها هذه

سال العقيق ودمعي * سال كمثل العقيق
وسيله كالرحيق * وأدمعي كالحريق
فلا تلم يا عذولي * ولتسعدن يا رفيقي

ومنها وادي بطحان وهو الوادي المتوسط بيوت المدينة ودور الانصار غالبها على حافتيه شرقا وغربا ولابن ذبالة ياتي من الكالتين حالتي صعب على سبعة اميال من المدينة او نحو ذلك ثم يصل الى وادي جفاف شرقي مسجد قبا واوله من الماجشونية ثم يمر كذلك الى ان يمر غربي سور المدينة الى طرف المصلى ثم يخرج الى غربي سلع وقرب مساجد الفتح ثم يمر كذلك الى ان يلتقي مع العقيق بالغابة حيث مجتمع الاسيال فقد روى البزار وابن شيبة مرفوعا عن عائشة رضي الله تعالى عنها بطحان على ترعة من ترع الجنة ويخرج الناس للتفرج فيه وعلى حافتيه منازل كثيرة لاهل المدينة قد جعلت لها شبابيك ومجالس الى ناحية الوادي وعليه قنطرة كبيرة قرب المصلى وقلما يخلو اعلاه من ماء يسيل به نجلا يقوى اذا كثرت الامطار ويقل اذا قلت .

ومنها وادي قناة وهو اعظم اودية المدينة سيلا فان سيله ياتي من الاماكن البعيدة يروى ان تبع نزله فلما شخص منه قال هذه قناة الارض فسمي به ويسمى ايضا بالشظاة . وفي القاموس انه عند المدينة يسمى قناة ومن اعلى منها عند سد نار الكرة يسمى بالشظاة .

فال ابن شيبة وادي فنـاة ياتي مـن وج اي وج الطائـف وفال المدائنـي فنـاة واد ياتي من الطائـف ويصب في الارحضية وفـرارة الكدر ثم ياتي بئر معونـة ثم يمـر على طرف الفدوم في اصول فبور الشهداء باحد ثم ينتهي الى مجتمع السيول بالزغابـة .

وفال ابن ذبالة سيل فناة اذا استجمعت ياتي من الطائف وهو احد فحول اودية العرب فياتي من المشرق حتى يصل الى السد الذي احدثته نار الحرة بالمدينة وانفطع هذا الوادي بسببه ثم انخرف سنة تسعين وسبعمائة فجرى الوادي سنة على ما بين الجبلين وسنة اخرى دون ذلك ثم انخرف بعد السبعمائة فجرى سنة او ازيد ثم انخـرف سنة اربع وثلاثين وسبعمائة بعد تواتر الامطار فحفـر واديا آخر غير مجراه الـذي هو على مشهـد سيدنا حمـزة فبليه وفبلي عينين وبفي المشهد وعينين في وسط السيل نحو اربعة اشهر لايفدر احد على الوصول اليهما الا بمشفة وكان اهل المدينة يفغون على التل الذي خارج باب البفيـع فيشاهدونـه ولو زاد مفدار ذراع في الارتفاع وصل الى المدينة ثم استفر في الوادي بين الفبلي والشمـالي فريبـا من سنة وكشف عن عين فريبة فبلي الوادي جددهـا الاميـر ودي ثم دثرت وهذا الوادي هو الذي ورد في الصحيح في استسفائه صلى الله عليه وسلم انه سال شهرا واهـل المدينة يخرجون الى موضـع اعلاه من ناحية المشرق وراء الحـرة فيفيمون فيـه الاسبـوع و اكثر .

وفد ذكر السيد من جملة اودية المدينة وادي رانوناء كعاشوراء ووادي مذينب مصغـر مذنب ووادي مهزور يفتح فسكون آخره راء وهذه الاودية كلها ترجع الى بطحان .

فال الزبير بن بكار ثم يلتفي سيل العفيـف ورانونـاء واذاخر وذي صلـب وذي ريـش وبطحان ومعجب ومهزور وفناة بزغابة وسيول العوالي هذه تلتفي بعضها ببعض فبل ان تلتفي بالعفيف ثم تجتمع فيلتفي العفيف بزغابة عند ارض سعد بن ابي وفاص رضي الله عنه وذلك عند اعلى وادي اضم سمي به لانضمام السيول واجتماعها به .

فال الزبير ثم تمضي هذه السيول فتنحدر على عين ابي زياد والصورين في ادنى الغابة

ثم يتلقاها وادي نظما ووادي نعمان اسفل عين ابي زياد ثم تنحدر وتلقى وادي ملل بذي خشب وظلم والجنينة ويلقاها من الغرب بواط والخرار ومن المشرق ذراوان ثم الاتمة ثم يلقاها وادي رمة من الشام ووادي برعة من القبلة ثم يلتقي هو ووادي العيص من القبلة ثم يلقاه وادي احجر ووادي الجزل الذي به السقيا والرحبة في نخيل ذي المروة ثم عمود في اسفل ذي المروة ثم يلقاه واد يقال له سعان حين يمضي الى البحر عند جبل يقال له اراك ثم يدفع في البحر من ثلاثة امكنة يقال لها اليعبوب والنبجة وخبيب .

قال السيد وذكرنا في الاصل ما في كلام المطري من المخالفة لما ذكر وان مصبه في البحر من ناحية اكرى في طريق المصري .

قلت وهو الوادي المسمى اليوم بالاكره على ألسنة الحجاج شرقي الوجه بينه وبين الوجه مرحلة(١) .

﴿ تتمة ﴾ فلما لاح لنا لائح الافتراق * وانقدح زناد الاشتياق * تحركت الاحشاء * وذابت الاكباد وانهمرت العيون بالبكاء * واصابت النفس العبرة فكادت ان تزهق الروح من شدة ما اصابها من الم الفراق واضطرم القلب وانحرق من قوة ما وجد من عذاب البين ومفارقة الصديق الامين صلى الله عليه وسلم فلم يوجد زمان احلى واعذب من زمان الوصول اليه ومشاهدة حضرته والتلذذ في محاسن روضته ولا اشهى من الوقوف بين يديه ﴿ نعم ﴾ ولا اصعب من يوم فراق دائرته فقد انغم القلب حزنا بل اعتل بعلة لا يعلمها الا من وردت منه وخلفها عند قرب مفارقته فحرارة الجسم كادت ان لا تبرد وقلق القلب قد قوي وصل وهام فعز ان لا يهتدي .

وبالجملة فامراض البين لا يعلمها الا من شارك في هذا السبب وهو الذي اصابه ما اصابنا فعند ذلك ينتفي عنه اللوم فلا مصيبة اعظم من هذه الافات فانا حيران وولهان *

---

(١) في نسختين ما نصه سقطت هنا ورقة ولم ينبه عن ذلك في غيرهما

بكثرة الهموم والاحزان * وضرورة عند مفارقة الاحباب والخلان * نعم لما دنا وقرب السفر من المدينة المشرفة ظهر لي ترك السفر والرجوع في ذلك الى الوطن ليزول عنا الاشتياق بمجاورته صلى الله عليه وسلم فعزمت على المجاورة وسألت اولاد الفاضل الكامل ذي الحب والود في الله اولاد الشيخ الجملي اذ كان الشيخ صديقا لنا في الحجة الثانية عن المنزل اسكن فيه فقالوا نعم وفرحوا بذلك وسروا سرورا عظيما فذهبت كخيمتنا فاعامت اهل الدار بذلك اعني النساء وقد اصابهن مرض شديد كاد بعضهن ان تصل الى السياق وهي الحرة الجليلة الكريمة الطيبة النخبة الشريفة المتطلبة فانها تقرأ نحو الربع وتحفظ بعض الاذكار كوظيفة الشيخ زروق وكانت تحفظ الصغرى للشيخ السنوسي وكذا بعض الرسالة لابن ابي زيد حاصله في غاية الادب والفهم والفطانة بنت الشيخ الفقيه النزيه الفاضل الكامل صاحب الفضائل والفواضل الشريف تحقيقا سيدي عبد الله بن رجاب من اولاد الشيخ سيدي رجاب المتوطن في اولاد دراج ومحلهم الوكة فوق قمر تحت جبل بوطالب مشهور عند الناس من غير التباس وقد حج معنا فلما اشرفت على الموت وجدت عذرا عند الحجاج اذ لا يستطيعون مفارقتي واسمها عويشة وكذا اختها فاطمة زوج ابني والاخرى زوجتي بنت الشيخ الفاضل المحقق المتكلم العالم الصالح خطيب وقته وفريد عصره لاسيما في اصول الكلام سيدي المسعود بن عبد الرحمن جدها من قبل ابيها وهو منسوب للشيخ ابي محمد صالح الدكالي المعلوم في الكتب الذي اخذ عن الشيخ ابي مدين وعن الشيخ سيدي عبد القادر في القرن السادس ومحله بنو عيدل بلد الشيخ القطب سيدي يحيى صاحب الوظيفة المشهورة في وطنه وقد شرحتها والحمد لله وهو شيخ الشيخ رزوق وقد قيل انه هو الذي ملكه مشارق الارض ومغاربها نفعنا الله بهم وافاض علينا من بركاتهم ﴿ نعم ﴾ لما ظهر ذلك عند الركب اجتمعوا ونادوا بالويل فقالوا والله ان اقام اقام جميعنا فلما رأيت شدة اتصالهم بنا وكثرة عويلهم علينا وقالوا ان خصه ما يوصله جمعنا له ما يبلغه الى وطنه بل ما يغنيه علما منهم بأن الذي حملني على الاقامة قلة

الـزاد لا سيما وان الشيالة اعني اصحـاب الابل هربوا لي فقلـت والله لا اقبل درهمـا من احد اذ لا احمل المنة وغاية امري اقبل السلـف لاني ملي في بلدي وعند ذلـك ذهب سيـدي عبد الله بن رحاب وسيـدي احمد بن حمـود وكاتب الحـاج ابن قانة شيـخ العرب الذي هو محبنـا سي عيسى فاشتروا لي ثلاثـة جمـال لحمـل الاهـل وعند ذلـك ظعن الركب المصري والمغربي فتاخرنا عنهم لشراء حوائـج الابل وعلفهـم لان ابني محمـدا ذهب لذلـك مع ابن عمنا سيدي عيسى الشريف فلم يبق الا خيمتنا فرفعناها وركب الاهل لانهـم ودعوا النبي صلى الله عليه وسلـم ليلا فلما انفصلـوا في آخر الركب خفنـا عليهم غيران الله حفظهم وانا وبعض الاصحاب منتظرون ولدي وحين وصوله الينا ذهبـت لاودعه صلى الله عليه وسلم مع من كان معي من الحجاج فدخلـت مسجده صلى الله عليه وسلم وقصدت قبره الشريف وعلتني قد زادت فلم اجد لها دريافا سوى الصبر ﴿ نعـم ﴾ لم يبق مودع الا المعظم المكرم الشريف الهلالي امير الركب منها فوقفت بعض وقـوف عند قبره ثم اني دخلت الى الشيخ الصفي الودود النقي ذي الاحوال الصادقة والانفـاس الطيبة والاعمال الزكية والمواجد الالهية والمعارف الربانيـة والعلـوم اللدينـة صاحـب الاوراد والمريدين الشيخ السمان القرشي المدني اذ داره عند باب البقيع فوجـدت الـود الصدوق والخل الفاروق سيدي محمد الشريف الطرابلسي مع بعض اصحابه فاطعمنا خبـزا ولحما وما احسنه من طعام فلم اذق طعاما مثله ثم ودعناه عند ذلك توديعـا تاما قويا اذ نظـر الينا نظر رحمة علمنا منه انه سقانا بتلك النظرة اذ وجدت اثارها في الحين ثم اوصاني بشـرح الصلاة المنسوبـة اليه وهي صلاة عظيمة (١) تكـاد ان تـكون كصلاة الشيخ عبد السـلام بن مشيش فعلمت ان الشيخ لاحظني بخاطره وان كنـت لسـت اهلا لشرحهـا فبفتـح الله بعلوم لا تكاد توجد في عصرنا ولا غرابة في ذلـك وعنـد انفصالنـا من داره رجعنـا الى

---

(١) في ثلاث نسخ غميضة

توديعه صلى الله عليه وسلم وعظم علي امر التوديع حتى علا صوتي وارتفع وكاد امري الى العويل بل انوح عليه نياح الثكلى العديمة لولدها وكيف لا وهو ان فراقه اعظم المصائب ولم انفصل عنه الا بصبر عظيم وهول جسيم وحزن شديد فلم املك نفسي عند ذلك فعظمت المصيبة وعز الصبر غير اني تسليت بانتقاله من دار الدنيا وفراق اصحابه ثم خرجنا منه على اصلح حال ومنة عظيمة مع ما كان في القلب من مرض البين وحرقه واضطرام الفؤاد بسببه مسرعين في ازقة المدينة الى ان خرجنا من الباب الذي يخرج منه الحجاج واذا بالناس منها يقولون ان العرب يضربونكم ويؤذونكم لا سيما اني تخلفت منتظرا لحمل القول على الجمل فركب ولدي وكذا سيدي عيسى المذكور ثم لحقت بالاخ في الله سيدي محمد المحفوظي يريد المجاورة والاقامة بها فألححت عليه بالذهاب فامتنع فزجرته وقلت له تترك زوجتك خالية عن الزوج فاجابني باني بعثت لها ما تنفقه حتى ارجع وان اختارت التزويج فلها ذلك وكذا البقاء ثم قهرته على المشي معنا فقال اعاهدك اني اقدم بعدكم من الينبع الى الصعيد والى مصر فلم اقبل منه بل ذهب معي الى ابيار علي ثم فر من هناك الى الان والحالة خرجنا منها مع الخوف والحرامية يتبعون وراءنا الى أن وصلنا الى الركب .

وبالجملة فانا اقول في ذلك كقول شيخنا المذكور وأتمثل به ما نصه ولقد احسن القائل

ما اشتفت علتي وهذا فراقي * قد تحققته بسير رفاقي
هذه مهجتي تذوب دموعا * فانظروها تسيل من آماقي
كبدي تلظى وعيني تهمي * هكذا فليكن بديع الطباق
يا رسولا لنا اتى بكتاب * لم تُعَارَضْ آياتُه باتفاق
والكريم المعراج والبرق خلاني م طريحا اذ سار فوق البراق
والذي اقتنص من قلوب غلاظ * ابت الكفر بالسيوف الرقاق
يا مزيل الغماء ان جل خطب * يا شفيع العصاة يوم التلاقي

آن عن قبرك الشريف انصرافي * وانصرامي وما شفيت اشتياقي
ولئن كنت قد بللت غرامي * بالتثام الثرى فعندي بواقي
وقفة بي تجاه حجرتك الغمراء م ساوت ممالك الآفاق
اتمنى انني بها أتملّى * في محل خلاه لي خلّاقي
موقف لذّ لي خضوعي فيه * حين اطرا تأدّبي أطواقي
وتلذذت فيه حين تذللت م ونلت الآفراد بالارفاق
معدن الخير مهبط الوحي مثوى * خير هادي الورى على الاطلاق
كيف اسري من طيبة لسواها * وهي عندي حديقة الاحداق
آه والوعتي افارق منها * مثل هاذي الانوار والاشراق
انا عبد قد اثقلتني ذنوبي * لم يلق بي الا اليها اباقي
اترى يسمح الزمان بعودي * فالاماني علالة المشتاق
لا يكن ذا الوقوف آخر عهدي * بك يا منبع الهدى الدفاق
فالكريم الوهاب ذو الفضل حي * والذي عنده من الجود باقي

ثم انني سرت مع بعض الاصحاب * والدموع في الاماق اي انسكاب * ومشينا وزاد التصبر ينهب * والقلق قد اطنب * في توقده أسهب * الى ان قال وينشد

لما ترحل ركبنا عن طيبة * ووجدت عندي للرحيل محركا
اودعت في الحرم الشريف حشاشتي * ورجعت لا ادري الطريق من البكا

قلت واما نحن فقد انفصلنا بين الظهر والعصر وفقد كل واحد منا الاصطبار * وزال منا ايضا الاختيار * لان العبد مجبور في قالب مختار * والا فكيف يفارق الخيار (نعم) الارواح باقية في عوالم الاسرار * فلولا ذلك لانتقلت من الجسوم بالدثار *

ولما نزلنا ابيار علي اذ هي اول منزلة بعد فراق المدينة الشريفة * وفارقنا تلك المعاهد

التي على الكواكب منيفة * رأيت كانه على الركب واهله حول خود * وعلى مطيهم وجمالهم حول جود * ذاقه هذا من ذاقه * وتحققه من لقلبه بعد الايمان ادنى علاقه .

يا ليت لي ما جئتكم زائرا * الا وجدت الارض تُطْوَى لي
ولا انثنى عزمي عن بابكم * الا تعثرت باذيالي

ثم بتنا تلك الليلة وافترقنا عند المغرب لاتيان ما تنعشى به الابل فصلينا المغرب في تلك البساتين الى العشاء فرجعنا الى الاخبية وبتنا خير مبيت الى طلوع الفجر ظعنا واعقل الركب المطايا * واستخرج خبايا شوقه لاهله من حنايا الزوايا * فسرنا مع العافية والسلامة من كل مكروه والحالة اني راكب على بغلتي مع من ركب على البغال من اصحابنا في شوق ووجد وحرق ونحن كذلك الى ان وصلنا والله اعلم قبور الشهداء بين الظهر والعصر والركب المصري نازل هناك اذ سبق من المدينة ونحن ركب الجزائر وراءه وان كان عادة المغربي السبق في الاياب وانما سبقناه عند الينبع ثم خلفنا تلك المنزلة وسبقنا وتركنا الركب المصري هناك الى ان تجاوزنا العشاء الاخيرة فنزلنا في الوادي ثم ان الركب المصري سبقنا في الليل واصبح في الصفراء وقد بتنا هناك في عافية ثم بكرنا قبل طلوع الفجر ووصلنا الصفراء عند الزوال ونزلنا وراء المصري لتعذر المرور في وسطه من شدة الضيق فبتنا هناك خير مبيت واستقينا من العين الكبيرة ورجعنا الى خيامنا وبين هذه المنزلة وقبور الشهداء مسجد الغزالة وقد زرناه مرارا والحمد لله .

ثم اقام الركب المصري فيها الى قرب الظهر ثم ارتحل المصري وارتحلنا بعده بعد الظهر وما ذكرناه من النزول وراء الركب بل نزلنا تحت القرية في القيلولة ثم ان الشيال الذي اكترينا عليه من مكة الذي هرب لنا ببعض الجمال وترك البعض في يدينا ولم يعتبره لشدة غلاء القول وحصلت لنا مشقة عظيمة وكربة قوية اذ طلبناه في بدر عند الامير فلم يتفق لنا الاستواء معه لكثرة فجوره وتحيله فاختفى في المصري فرارا مما يلزمه منا شرعا ثم اشتكيت لامير مصر حاله حين نزلنا الصفراء فوعدني بالاستخلاص منه عند المدينة ولما

وصلنا المدينة ذهبت اليه فامرنا الى كيخة الصوان(١) اذ هو الذي يحكم بين العرب وغيرهم فامرني بترك الثلث من الكراء فلم ارض الا بالربع فاختفى عند ذلك ايضا فلما شكوت له المرة بعد المرة امرني بالذهاب الى آغة عسكر المغربي فامرني بترك الثلث ايضا وظننت فيه وفيمن سبق عدم نصحي فلم يكن الامر كذلك بل نصحاني جازاهما الله خيرا ولما امتنعت هرب واختفى ولم اجد له خبرا الا عند الصفراء فوجدته مارا ومسكته عند الظهر فضاقت حيلته ولم يجد سبيلا واتى اهله لتسريحه فامتنعت من اطلاقه حتى آخذ ما اعطيت له وهو تسعون ريالا بوطاقة ولما حان وقت الظهر ذهبت للصلاة وخفت ان يهرب وتركته في خيمة الفاضل الكامل سيدي عبد الرحمن بن فري واصحابه الحاج محمود والحاج بلقاسم بن دحان اليعلاوي مسكوه فلما قاموا الى الصلاة تركوه في يد شيال آخر فهرب منه فتبعه فاختفى فلم يلق له اثر واختفى في الركب المصري فاردت ان اغرم الذي تفلت من يده ظنا مني انه هو الذي افلته فاصابتني شفقة عليه حين رأيته يبكي ويحلف انه ما تفلت منه اختيارا ثم لما ارتحل الركب المصري ولم يبق منه احد وتبعه المغربي ولم يبق منه شخص وبقي العبد وابنه وتخلفنا لكثرة الدبش وقلة الاصحاب اذ منهم مريض ومن لا يستطيع الخدمة مع ضعف النساء ومرضهن فاحتجنا لكثرة اليد غير ان الله تبارك وتعالى عصمنا من تكشيط العرب وسلبهم لنا اذ كل من مر منهم يقول لنا شيلوا بسرعة واحفظوا انفسكم .

ولما انفصل المرحول عن مدشر الصفراء تخلفت مع بعض الناس من الركب الفلالي وقع بهم ما وقع بنا من التخلف غير ان المراحل سبقت ووصلت الى الركب وتخلفت مع هذه الرفقة فبعضهم يمشي على الرجل وبعضهم على البغال وقد صحبوا السلاح والبنادق فلم يصبنا خوف ولا روع ونحن في جماعة من العرب في اطراف القرية فلم تقع لهم

---

(١) في ثلاث نسخ السيوان وفي نسخة الصيوان

عين سوء علينـا بل فرحـوا بنـا فرحا شديدا فمنهـم من يطلـب الدعاء ومنهم من يقـول لا تخافوا فلا باس عليكم ولا ضرر لديكم وشيعونا الى ان برزنا عن بساتين العمارة وارونـا الطريق التي نسبق فيها الركب احسـن الله اليهم واجزل لهـم الثواب فمشينا سويعـة من الزمان واذا الركب قد سبقنا الاكثر منه فافترقنا لما دخلنا وسطه اذ كل ذهـب الى رحله فكنت انا اطلب رحلنا فلم يتبين لي غير اني وجدت رحل الفاضل الاديب الود الصدوق الخل الفاروق سيدي محمد بن القاضي الملقب ابا وغثوش(١) اميـر زواوة راكبا فـي محفة مريضا مرض الاسهال فلما وقع بصره علي فرح بي ورحب وضحك وسألته عن مرضه وحاله فاخبرني بانه اشتد مرضه في المدينة وبعد خروجه منهـا ثم كذلـك استمر عليه الحـال بعد ان عزم ان يقيم بالمدينة المشرفة لظنه الموت فضيق عليه بعض الاصحاب بـأن امـره بالعزم على السفر لعل الشفاء يحصل فخرج راجيا ذلك ومنتظرا ما هنالك فقلت له لا يكون معك الا الخير والعافية ان شاء الله فقال متأسفا لا اظن السلامة اوكلاما يقرب منه فعاودته الدعاء بالبرء .

ثم قال احكي لك رؤيا اني رأيتها فقلت له وما هي(٢) فقال اني رأيته صلى الله عليه وسلم وكنت اسأله الشفاعة اوكلاما هذا معناه واعيد له ذلـك المرة بعد المـرة حتـى قـال لي اني شفعت فيك او(٣) انـك مغفور لك او(٣) لا تخف مما هو حاصل هذا المعنى فسرني ما رأى وطمعت في البرء له بيد اني لما اخبرني بانه صلى الله عليه وسلم بشره(٤) بالمغفرة خلت موته ثم اني صحبته كذلك راكبا على بغلتي وهو راكب على جمله الى بعيد المغرب وأتى علي(٥) وقته فارقته ثم نحن كذلك نسير الى العشاء بعدها بسويعات وزمان نزلنا قرب الاستشراف على المضيق قرب الجبل اذ لا يمكن سيره لصعوبة الطريق وكثرة الاحجار وضيقه بيـن الجبال فليشكر الله من خرج منه على عافية وسلامة وطيب وقـت في نفسه ومـع ذلـك تكثـر

---

(١) في نسخة وعشوش وفي اخرى وغثوش — (٢) في ثلاث نسـخ وما هذه — (٣) في نسخة و — (٤) في ثلاث نسخ بشرني — (٥) في ثلاث نسخ وتاغل

فيه فساق العرب ومحاربوهم فل ان يخرج الركب سالمين منهم فبتنا فيه خير مبيت فلما فرب الصباح ظعنا منه ووصلنا المضيق الوعر والركب المصري فرب وصوله موضع النزول فسرنا في ذلك الوعر رويدا رويدا وخرجنا منه على سلامة وعافية ومع ذلك دارت العرب ببنادقها مع ضرب البارود في اطراف الركب فعلي النداء والصياح فانحجم اول اول الركب وربضوا(١) الى ان وصل سلطان فزان في تختة مع اصحابه فسلم الحجاج وركبنا والحمد لله نعم كل من مر على هذا المضيق فل ان يسلم من المحاربين .

فلما اجتمع الركب سرنا على بركة الله وحسن عونه الى ان بلغنا المنزلة التي بعد نقب علي وهي مشهورة ولما ان استنفر بنا الفرار في يوم حر لا فر وفي تلك المنزلة شجر كثير وفيها بئر عظيمة بعث لنا الفاضل سيدي محمد السابق ذكره وهو ابن الفاضي انا والمحب في الله سيدي احمد بن حمود وسيدي احمد الطيب لكونه اشرف على الموت فاوصى الجميع على حوائجه وحسبنا ماله وعلمنا به اين كان والحافظ له سيدي احمد بن حمود اذ بيّنه(٢) هو وفد وصيناه ايضا لانه هو الذي يصون اموالنا وعند الظهر اخذت الناس في الرحيل والتاهب للسفر فصلينا الظهر وعند ذلك ظعنا منه على انم حال وابركه فتفدم المصري وتاخر المغربي من حيث هو فانفصل الجميع عن المنزلة نعم تخلفنا آخر الركب حسبما عادتي انا وسيدي احمد الطيب وسيدي محمد الشريف الطرابلسي صونا للذي يتاخر من ضعفاء الحجاج ممن ليس له مركوب كالدراوشة فربما يفع لهم الضعف فيكون جميعنا في عونه فسرنا آخر الركب رويدا رويدا الى ان صلينا المغرب ثم كذلك الى ان صلينا العشاء ثم كذلك الى ان سرنا سويعة بعدها فاخبرونا بموت ابن الفاضي المذكور فاجتمعنا لتجهيزه ليلا وهي مفمرة فنزل الركب ذلك الوفت فحفرنا له وكفناه وصلينا عليه اي جميع من كان من الفضلاء في الركب وعلمنا فبره وهو بين تلك المرحلة ومنزلة الينبع

---

(١) في ثلاث نسخ ريضوا — (٢) كذا في ثلاث نسخ وفي واحدة نوبه

واصابنا بموته مصيبة عظيمة لم انسها الى الان لان ظننا ان يرجع الى بيته سالما ينتفع به العامة والخاصة غير انه لما تاب وقبلت توبته مات بمرض البطن فهو شهيد وفي طريق الحج وانه غريب فكل واحد من هذه الثلاثة تقتضي الشهادة لان الشهداء غير شهداء القتل معدودون وقد حصر عدهم الشيخ اليوسي في حاشيته على كبرى السنوسي ولقد اجاد في ذلك وما ظننت احدا انه ذكرهم كذلك فانظره وكذا الشيخ ابراهيم الشبراخيتي في الجنائز في شرحه لمختصر خليل ثم ارتحلنا آخر الليل وظعنا من ذلك المحل وتبعنا المصري وعند صلاة الصبح أشرفنا على الغيضة الملتفة بشجر ام غيلان القريبة من الينبع فاذا انا في التغليس بعد صلاة الصبح جماعة وما فاتتني ركعة والله اعلم في جماعة منذ خرجنا من بلادنا الى ان رجعنا الى بيوتنا وذلك مع الفضلاء في اكثر الاوقات والحمد لله واذا برجل اتاني على رجليه زي الاعراب غير انه ليس عليه آثار السفر تشم منه رائحة الولاية فلما دنا مني اصابني منه الرعب والفزع ومع ذلك اسير مع اصحابي الفضلاء الذين اسير معهم على العادة المالوفة والحالة اني مشتغل في ذلك الوقت بالوظائف والاذكار الواردة بعد صلاة الصبح نعم اخذتني شبه سِنة وانا راكب على بغلتي متفكر في امر الجمال التي تركها الشيال في يدي بان اسلمها اهلها فصعب علي شراء القول وكذا القيام بها اذ شغلني امرها اتم شغل بل تشوش خاطري غاية فلم اجد مسلكا من ذلك فكلما امشي الى الظلام وارباب الدولة الا ظننت انه ذهب ديني بل قال لي العارف بالله سيدي محمد الشريف الاخ المذكور لما ذهب مرة معي في شان ذلك واصابه من الجلوس بين يدي الملك ما اصابني فقال لي سلم في هذا الامر واتركه لله فاخذ ذلك الكلام بمجامع قلبي فكنت اسأل الله الخلاص منهم ولو بالموت اي موتهم نعم قلبي متعلق بذلك الرجل الا انه استولت هيبته وجلالته علي فلم استطع كلامه وانا اسير وهو يسير معي ملاصقا ركبتي اظنها اليسرى فلما تمكن منه قلبي وملات عيني من نظره من غير نطق مني اجلالا وتعظيما له علما مني انه احد اصحاب الوقت اذ يعلوه نور ونحن كذلك فاذا هو دفع لي مسواقا رفيقا

يساق به مثل البغلة لراكبها كانه عود الاراك او من الريحان فلم اميزه لما فيه من اليبس فلما وصل الى يدي شممت منه رائحة المسك بل افوى رائحة وتلك الرائحة لا نظير لها كافورا او عنبرا او زبدا اومسكا فهو اي ذلك العود يعبق شذاؤه وبلغت تلك الرائحة جميع جسدي فذافها الجميع مني ذوفا معتبرا وعند مده ذلك العود فارفني بان فال لي خذ هذا ففهمت ان الله فرج عني اذ منذ دخلت مكة وانا في كرب الى الوفت الذي لفيني فيه ذلك الرجل الكامل فزال عني كل ذلك ببركته فعلمت انه ما جاء(١) الا اغاثة لي ثم اني اخذت ذلك العود في يدي مستحسنا لتلك الرائحة ومتعجبا منها ومنتظرا الخلاص من تلك الجمال فاستصحبته معي الى ان نزلنا الينبع وافمنا به ونزلنا فرب العين في عافية وسلامة فوجدنا كل خير في سوفه مع رخاء الاسعار والحمد لله .

وبعد ذلك اليوم بعت تلك الجمال دينا الى وصولنا الى مصر فسرني بيعها لانها نعمة عظيمة وكاني بعدها متجرد فلم يشغلني شيء ولا همني امر سوى ما احمل عليه شئوننا وحوائجنا فطلبت الكراء فلم اجده فنويت الافامة في الينبع باهلي اذ ذهبت الى شيخ الركب ليلا ليمهل بالرحيل من الينبع الى طلوع الشمس ولعلنا نجد ما نحمل عليه بالبيع او الكراء فرضي هو بالامهال فلما سمع اكثر الركب بانتظاره ايانا تحزبوا أحزابا اليه وحركوه الى السفر ليلا فاصدين سبق المصري احياء لعادة الركب المغربي لانه يتفدم في الرجعة فاجمعوا على ذلك ولو اداهم الى الفتال زعما منهم انهم يستطيعون محاربته وذلك سخافة عفل وتصرف ببضاعة وهم وإن سلّمنا تأتّي الحرب منهم فلا نسلم دخولهم مصر اذ فيه اربعة وعشرون بايا وفوفهم الباشا الذي ياتي من مدينة اصطنبول كل عام ما استوفى احد عامه الا ذهب واتى غيره مع الفاضي وذلك دأبهم فالعسكر المصري الذي يذهب مع الامير وفوته غير موجودة في عساكر(٢) ما رأيناه وان ركبنا المغربي من اسكندرية الى

---

(١) في نسخة فعلمت ان الله ما جاء به — (٢) في نسخة زيادة غيره

افصى المغرب ركب واحد الا الركب الفاسي فانه يذهب في وسط المصري يمشي ليلا واما المغربي فبالنهار نعم ما طلع ركب من المغرب فط افوى من ركبنا ذلك العام وفد تعجبوا منه في مصر وفي طرابلس وفالوا فيهما ان هذه الابل التي كانت في ركبكم لم تكن مولدة من النوف وانما هي مجتمعة من الحطب او الرمل حتى صارت في مصر كالمعز فلا تجد احدا يسأل عنها لكثرتها وفد عم بيعها ارياف مصر واطرافها من العرب واكثرها بيع بالدين الى الرجعة ولم يفتضوا من دراهمها الا الفليل «نعم» وافق الشيخ رايهم فسافر معهم فبفيت انا واهل بلادي ممن شغله امري بان تخلف معي كسيدي احمد الطيب وجملة زوارة وسيدي احمد بن حمود وجملة اهل بلادنا وسيدي محمد الشريف الطرابلسي واصحابه وسلطان فزان وركبه الى طلوع الشمس على ان شيخ سيدي محمد المسعود نجل الشيخ البركة سيدي محمد الحاج الدكالي المعلوم بعث لي جملا في الليل احمل عليه جازاه الله خيرا ووفاه ضرا وجعل البركة في اولاده اعانني به فلما اصبح الله بخير الصباح وفع بيننا وبين ركب فزان شنآن لان اهل وطننا فيهم الجفاء والغلظة وسوء الادب وعدم اذعانهم للحكم وسلطان فزان رجل عدل فائم بالاحكام لا سيما امور السياسة فثفل عليهم المشي جميعا وربما صرحوا بالفول لما يجدونه مما ذكرناه في اهل وطننا ومع ذلك فيه رغبة لصحبة الفضلاء منا فلم يكترث بما وفع من سوء الادب من اصحابنا مع اصحابهم .

واما الركب الجزائري فلا حكم عندهم اصلا ولا يففون عند الامر والنهي لاسيما اهل عامر فما فارفهم احد في هواهم الا أبغضوه وجعلوه عدوا وفد اصابتني منهم عداوة عظيمة من اجل اني آمرهم بالسنة والفيام بالاحكام الشرعية لاسيما السير بسير الشيخ والنزول بنزوله وستر نسائهم لانهن يذهبن مكشوفات العورات فيبدين زينتهن لكل الناس بل يتزين لاجل ذلك ليرغن من فتن بهن فاردت افامة الحد عليهن وعلى ازواجهن فصارت لي فتنة عظيمة غير اني من عاداني منهم ببركة السنة لم يرجع الى بيته فاظهر الله امري فتطيروا وتشاءموا بعد ذلك وتاب من بفي منهم بعد ان هلك من هلك منهم والحمد لله على اظهار السنة

النبوية وقد قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم الاية وقال ايضا ولينصرن الله من ينصره وقد قال تعالى في مثل اهل عامر ممن يريد الوصول الى الله بالدعاوي الكاذبة والزخارف البينة والاباطيل المزينة ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا وقال ايضا في شان مثلهم ومن يهن الله فما له من مكرم وقال ايضا سماعون للكذب اكالون للسحت وقد سمعنا ان بعض الفاسقات ممن يزعم الاحوال الربانية والمواجد الالهية ممن استولى الشيطان عليهن وسولت انفسهن لهن تتعرض بنفسها للرجال وتزعم ان من لم يوافقها في غرضها الفاسد ابتلي بمصيبة بل قد تقول ان لم توافقني في غرضي اصابك كذا وكذا بان تعينه فيصير ذلك ويظن الجاهل المغرور المخدوع المخذول الشقي والعياذ بالله تعالى ان ذلك امر رباني وكرامة منه تعالى لها وما هو الا استدراج بها وقد قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين اي ناخذهم(١) ان كيدي قوي تحقيقا انه اذا اخذ الظالم لم يفلته طرفة عين وقد سمعنا مثل هذا ممن يوثق به وكثير من الناس يحكيه فمنهم من يؤمن به ومنهم من يكفر به واما التزين بالملابس الفاخرة والكحل والجوز اسنيا كا والخضب بالحناء ولبس الحلي من الفضة وغيرها مع المشي في الاسواق واجتماع الشبان معهن ومن لا خير فيه والله يقول ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن الاية فامر مشهور لا يكاد يخفى على اوباش العامة فضلا عن الخاصة اما الجهال فيعتقدون ان ذلك من الدين معاذ الله ويابى الله ان يكون ذلك دينا او يكون الوصول الى الله بحرام والحمد لله على عدم مسخهم او يخسف بهم الارض او يسقط عليهم كسفا من السماء اي قطعة منها ويدلك على ذلك انهم تتجافى انفسهم عن مخالطة اهل العلم ومباعدتهم اياهم فجمحت عن الاجتماع بهم فضلا عن الامتثال لاوامرهم واجتناب نواهيهم والله يقول وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا الاية .

---

(١) في ثلاث نسخ نؤخرهم.

واما العلماء ممن فيه رائحة خير وحسن اعتقاد يقول فيمن هـذا شانـه اذا اجتمع معهـم ورأى المخالفة منهم انهم من اهل التخريف والتلبيس عن انفسهم اظهارا منهم للقبيح واخفاء للحسن كما يحكى ذلـك عن بعض الصديقين ممن سلف من اولياء الله تعالى فحشاهم ان يكونوا كذلـك بل هم زنادقة خلتهم انهم اباحوا المحرمات فقد تطبعوا بطبائع المرجيـة لانهم يعتقدون ان لا اثم مع الايمان فهذا امر لا يليق بالعلماء بل يجب عليهم زجرهم والنكر عليهم ما استطاعوا لقوله صلى الله عليه وسلم اذا رأى العالم بدعة ولم يغيرهـا فعليه لعنة الله او كمـا قال وقد قال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهـون عن المنكـر الاية والعلماء خيار من خيار وامته صلى الله عليه وسلم خير الامم والعلماء هم خيار الامة ولـذا كانوا خيارا من خيار .

واما السلاطين فيجب عليهم النكير والتغيير باليد اذ وظيفة العالم اللسان ووظيفة السلطان اليد لكن لما سكت العلماء زاد الناس في البدع واتسع الخرق على الراقع «(نعم)» فان من يقتدى به من اهل العصر ممن ينسب الى العلم بل الى الصلاح يجلس معهن ويظهر للناس ودهن ويعلم الناس انهن صالحات قانتات يعني اللاتي ذكرهـن في القرآن العظيم بل يزعمون انهن من اهل الحضرة في اعتقادهم وبعضهن في غاية الجمال والحسن فيخاف عـلى نفسه من زارهن من غير شك ومع ذلـك تبقـى هذه المزارة مكشوفة البدن بل تظهـر محاسنها للشبان ومن لا خير فيه بل قصد اكثر الناس الغـرض الفاسد ان وصـل اليه حتـى صار بعضهن مرصادا للزيـارة فلما اتاني بعضهن لام علي مـن حيـث ان افضـل العلمـاء خالطهن ليلا ونهارا واظهر صلاحهن في مجالس العامة والخاصة وكيف بك يا قليل النية و يا كثير الحيلة ان لا تاتي الينا وتكون معنا فقلت لهن لا يحل لكن الاجتماع بالاجانب والاختلاط بهم لقوله صلى الله عليه وسلم ما اختلى رجل بامراة الاكان الشيطان ثالثهما وقال ايضا باعدوا بين انفاس النسـاء وانفاس الرجال وقال ايضـا لو كان عرق الرجـل في المشرق وعرق المرأة في المغرب او العكس لتحاننا فليس في الجـواب القلوب مع الله

فلا علينا من الصور الظاهرة لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم وانما نظر الى قلوبكم فقلت لهن فان لم يكن لكن فتنة كانت الفتنة لمن اجتمع معكن فقالوا اللهم اهلكه وهذا كله ليس من السنة فاوصاف من هذا شانه لاتعد ولاتحصى ولا تضبط ولا تستقصى فيجب ان نثني القلم الى ما كنا بصدده وهو انه لما اصبح الله بخير الصباح رفع سيدي احمد الطيب وسيدي احمد بن حمود واصحاب الجميع بل ظعن الجميع ممن كان في وطننا واخذ في السفر والركب الفزاني لم يتحرك من موضعه يريد ان يضحي النهار ليقضي كل واحد حاجته من سوق الينبع فلم يذهبوا مع ركبنا الجزائري [ولا بقينا مع الفزاني ولا مع المصري بل انفردنا وحدنا فقطعنا عند طلوع الشمس وانفصلنا وتخلف اخونا في الله سيدي محمد الشريف واصحابه مع الفزاني لانه لا يليق به الجزائري](١) لما فيهم من الغلظة وسوء الادب فلما غبنا عن الاركاب استقللنا انفسنا ثم اجتمعنا وتقوى(٢) بعضنا ببعض فسرنا كذلك في يوم حر لا فر وان راينا العرب انضم بعضنا الى بعض فلم يستطيعوا الكرة علينا ابدا الى ان وصلنا الخضيرة بامن وعافية وسلامة فوجدنا الجزائري نازلا فيها فتعجبوا منا اذ بلغنا اليه قرب المغرب فقطعنا منه بكرة وهذا الموضع لا ماء فيه اصلا فسرنا مع الركب الى ان وصلنا الى النبط بعد الزوال في يوم شديد الحر كادت النفوس ان تذهب من شدة العطش بل مات بعض الناس به ولما قربنا منزل النبط تحركت علينا ريح شديدة الحر مع حرارة الشمس بحيث من ذهب الى رحله كاد ان يموت واما من تخلف فلا تسال عنه «نعم» تخلفنا في جماعة من الفضلاء في آخر الركب فاصابنا عطش شديد ونحن كذلك الى ان اشرفنا على النبط فزاد بنا شدة الحر وقوة العطش واذا بواحد من العرب لقينا بقربة من الماء فاسقى جميعنا ظنا منا ان هذا الشخص لم يرد منا الا الفلوس فشربنا الماء احلى من العسل وابرد من الثلج فلا نعلم انه من ماء المطر او من العيون التي في الجبال فلما اتى عن

---

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٢) في نسخة والتقى

آخرنا ارتفقنا منه ان يتكلم ويسال الدراهم كما هي عادة عرب الحجاز اعني هَبَّ الريح فلم يطلب من احد دعاء ولا سال شيئا منه بل رفع قربته ولم يلتفت الى احد منا فعجب جميعنا منه ووقع في قلوبنا ان هذا الرجل من اهل الله وانه من عباد الله الصالحة اذ يعلوه جلال وهيبة ونور فندم الكل من حيث انهم لم يسالوا منه الدعاء ومع ذلك آثر بمائه العلماء من الركب وفضلاءه فزال ما بنا من العطش فنزل الركب قرب الابآر وازدحموا عليها لسقي الابل وملء السقاية زحمة عظيمة حتى ظننا انه لا يبقى فيها قطرة ماء بل بفضل الله يتزايد فاستقينا وسقينا وملانا السقاية فزاد الماء من عنده الوسع لان ماء الحوراء ليس بطيب وبعده الدركين المسمى الان بالحنك لا ماء فيه وبعده الاكره فماؤه اقبح واقبح مرارة فمن شربه ربما اذاه واوجب له المرض وعنده تتغير الوجوه وتسود قل ان يسلم الناس منه من الوخم اي المرض ومع ذلك انه لا يحصل الا بمشقة عظيمة من الحفر والاستسقاء بالاواني الصغار كالقدح وغيره فلا ينبغي للحاج ان يكثر الاكل في هذه المنازل لان كثرته تستدعي الشرب الكثير والشرب الكثير من هذه المعاطن يؤذي كثيرا وربما اهلك وذلك مجرب صحيح وقلة الاكل تشد العصب وثاقا وتقوي الاعضاء فلا يظمأ صاحبها ابدا وضدها يرخي الاعضاء ويضعف البدن بل ربما امرضه وبعده الوجه ماؤه عذب غير انه قليل جدا فلا يكفي ماؤه عامة الركب اصلا وانما يغترفون في الوادي الذي قوقه فيحفرون فيه حفائر وماؤه قليل فلا يحصل منه نفع الا بطول المدة كعامة الليل والنهار بل ربما تشاجروا عليه فضعيف النفس اوالخدام او الرفقة رجع منه خائبا فيكون ذلك سبب هلاكه وقد شاهدنا ذلك كله ولولا فضل الله علينا ما ملانا السقاية ولا استقينا اصلا ولقد احسن الله الينا فلله الحمد والمنة .

ثم ارتحلنا من النبط ليلا وقد اجتمع فيه الركب الجزائري والفزاني والهلالي فلما ارتحل الكل اختلطت الاركاب فلا يعرف احد صاحبه من كثرة الخلق ومن عادتي مع سيدي احمد الطيب وسيدي محمد الشريف واصحابه ممن يركب على البغال اوالخيل اذا انفصل الركب نذهب جميعا لتحصل لنا الصلاة في الجماعة وليستعين بعضنا ببعض حتى الغداء نجتمع

عليه من غير اعتبار الجميع فانتظر بعضنا بعضا فلم يوافق ذلك اليوم الا سيدي احمد الطيب فتخلفنا عن الركب فاذا برجل من الفضلاء من ركبنا تخلف رحله وهو مريض في كرمود على جمل والله اعلم ان زوجة ابنه راكبة ايضا في باسور فوقع الجمل في الارض وازال عنه الحوائج فلما عرفناه انتظرناه الى ان استوى رحله وقام على جادة الطريق واذا بالحجاج فاتونا فلم يقع لنا بصر على احد ومع ذلك ضل علينا الطريق ثم ذهبنا مع سفح الجبل كذلك الى ان سمعنا نباح الكلاب فقلت لسيدي احمد ياحسرتنا قد هلكنا فقال فكيف الفعل قلت له ها هي عمارة العرب ثم اني نزلت عن بغلتي وانثنيت الى الجبل وتبعني سيدي احمد ومن معه وانا كذلك اتحسس من الركب فلم اسمع صوتا ولا همسا ثم كذلك الى قرب انقطاع الجبل فتحسست منه ايضا فسمعت صوت سائقة الابل وراء الجبل ففرحت غاية الفرح وبينما انا كذلك اذ رأيت الركب يمشي فكان مشي الحجاج عن يمين الجبل ونحن عن يساره وهو على جمعهم اذا يشاء قدير فرجعت الى سيدي احمد الطيب فذكرت له الخبر بعد ان ايس من لحوق الركب فاذا ركبت بغلتي ودخلنا وسط الركب وكل هذا من بركة الصالحين لان المنقطع عن الركب ما وصل قط سالما ابدا الا من عصمه الله وصانه وذلك من الغرائب ونحن كذلك الى ان نزلنا الحوراء بين الظهر والعصر فلما استقر بنا القرار واذا بخبر عال ان الفاضل الكامل الحسيب النسيب شيخ الركب الفلالي سيدي محمدا جرحه العرب في النبط في آخر الركب وقالوا ما ضربوا الا بندقة واحدة فجاءت فيه وهو رجل جميل شجاع حسن الهيئة راكب على فرس حمراء قال اصحابه لا يخاف اصلا فلم نذهب اليه ليلتنا تلك فسقينا ليلا واستقينا ظنا منا الرحلة ليلا كما هي عادتهم فلما سمعنا بالشيخ المذكور انه في السياق انتظروه لطلوع الشمس ليدفنوه فلم يمت صبيحة ذلك اليوم فذهبت اليه فوجدته قوي النفس كثير النهج فعلمت انه قريب الموت غير انه لا يموت عن قرب فرجعنا فقطعنا عند الضحى فنزلنا الدركين قرب الاصفرار وقد علمت انه لا ماء فيه فبعد

ذلك كفهم الفزاني وظعنا منه الى الاكره فنزلنا عند الظهر واذا بخبر موت الشريف في الدركين ثم انه لما لحق الركب الفزاني استطال العرب في آخره فسلموا منه وظننت انهم قتلوا منه ونهبوه فظعنا منه الى الوجه ووصلنا اليه والله اعلم بين الظهر والعصر فنزلنا تحت البرج وهو خال من العسكر وانما يحفظه العرب فقط ثم ان الناس افترقوا على المياه في الوادي الذي اعلى البرج واظنه المسمى بالزعفران فتبعه الناس الى اعلى الوادي غير انهم يخافون منهم خوفا شديدا لكن الناس طلعوا اليه باسلحتهم وطلعت انا وولدي محمد الى أن هيانا موضعا للسقي فرجعت الى الخيمة قرب العشاء فلما ملؤا اسقيتهم رجعوا الينا ليلا وان الفقيه الفاضل سيدي عبد الرحمن بن الزيعم العمري كان يسقي بغلته من البئر التي قرب الطريق فاذا باكراميين اخذوا بغلته وذهبوا فاراد ان يمسك العرب فيها وانا اريد اعانته فامتنع الشيخ من اعانته وكذا الكثير من الركب اذ خافوا منهم فذلوا وان الفسقية التي تحت البرج مملوءة ماء فتركناها لامير مصر بعدنا .

هذا وانا ظعنا من الوجه صبيحة عند الاسفار فخاف الناس من العرب وان العرب في بلاد الحجاز من عسفان الى الينبع بلاد حرب ومن الينبع الى الاكره بلاد جهينة ومن الاكره الى ظبة بالظاء المشالة والباء الموحدة والهاء واد دون المويلح بلاد بلي ومنه الى مصر بلاد الحويطات ومغارة والاعلوين وبني عقبة ثم ظعنا من الوجه وبلغنا اصطبل عنتر وبتنا فيه واستقت الناس منه ثم ظعنا منه صبيحة وسرنا كذلك الى ان نزلنا الازلم والله اعلم ليلا وماؤه حروف اي مر لا يصلح ولو لسقي الدواب ثم منه بكرة في آخر الليل ثم سرنا كذلك وبين هذه المنزلة والتي نصل اليها قبر سيدي مرزوق الكفافي والناس يزورونه وانا لا اعرف قبره ثم سرنا كذلك الى ان نزلنا آبار دار ام السلطان والله اعلم عند العصر وبعد الظهر بسويعة وماؤه طيب من احسن المياه فلا يكاد يوجد مثله في الدرب اذ هو محل طيب والاعراب كثيرة المكر فيه والخديعة فقل ان يسلم الركب منهم ثم ظعنا منه في آخر الليل على خير وعافية الى ان نزلنا بندر المويلح واظنه قرب العصر وبتنا فيه ليلتين ووجدنا فيه ملاقية من مصر اتى

بها بعض ملوك مصر ومعه عسكر عظيم فيه طعام كثير وبشماط كذلك ودفيق كذلك وفول اكثر الجميع وفد رخص يوم دخولنا البندر كثيرا وبعد ذلك فد ارتفع غلاؤه فكانت لم تكن ملافية من مصر فاشترينا منه ما نحتاج اليه من دفيق وفول وبشماط ثم ان اكثر الشياليين هربوا على الحجاج فمنهم من فر بابله ومنهم من تركها لغلاء العلف وفلة دراهم الكراء فهرب شيال سيدي احمد الطيب بابله فكان ما كان من فدر الله تعالى من احتياجنا الى الكراء فانا اريد الكراء لحمل النساء وهو يريد الكراء له ولاصحابه فاتانا بعض الاعراب من البركة فد فدم مع تلك الملافية فاكترينا منهم جميعا غير اننا خفنا منهم الخديعة والهروب كما كان ممن فبلهم ففال رئيسهم عهد الله لا اخذنا منكم درهما الا بعد البلوغ الى مصر فرأينا الفضل من الله تعالى والمنة فاكتريت منهم جملين باربعة عشر محبوبا فاحدهما ركب عليه امراتان في المهيأ والاخر ركب عليه ولدي مع زوجته في المهيأ ايضا واحسنوا الينا احسن الله اليهم وجعل البركة لديهم فلم يفع منهم نفور ولا مشاجرة الى ان وصلنا مصر فوفوا بالعهد اكرمهم بمنه وكرمه .

ثم ان سيدي محمد المسعود هرب شياله ايضا بابله فبفي كذلك مطروحا في الارض فطعنا آخر الليل على العادة المالوفة وتركنا المصري وراءنا فلما اخذ الناس في السفر سمعنا مناديا ينادي بان شيخ الركب لم يجد ما يحمل عليه فلم يلتفت اليه الركب بل ذهب جميعه وتخلف سيدي احمد بن حمود وسيدي احمد الطيب والعبد الزابر لهذه الرحلة مع اصحاب الجميع فرجعنا الى منزل الركب فحططنا الرحال عند خيمة الشيخ فصلينا الصبح وانتظرنا من يكري له بعد سويعات كذلك الى طلوع الشمس واذا بالشيخ فد اكترى لنفسه ولاصحابه والركب ذهب باجمعه وتركنا وراءه فالبعض منا يفول ننتظر المصري لانه يرتحل عند الزوال ومنا من يفول نذهب على بركة الله وحسن عونه اذ نحن في جماعة كثيرة غير ان المحاربين اذا اتوا في كثرة فلا طافة لنا معهم ثم وفع الاتفاق منا على المشي من غير تاخير ولا انتظار فعزمنا وارتحلنا ساعتئذ فطعنا منه فسرنا كذلك من غير باس ولا

خوف الى ان وصلنا عيون الافصاب فوجدنا ركبنا نازلا هناك فبتنا فيه خير مبيت ونحن لا سمن عندنا فاشترينا في هذا الموضع عكة سمن ونعم السمن هو ذوفا بل وضع الله فيه البركة العظيمة فد شاهدناها عيانا ونحن جماعة كثيرة .

وفد كان معنا في الزاد الفاضل الكامل سيدي علي نجل العالم الفاضل الخطيب المحدث سيدي عبد المؤمن البجائي الذي كان مفتيا فيها وسيدي علي هذا فد استوطن محروسة الجزائر وترك داره في بجاية اجزل الله خيره وجعل البركة في دينه ودنياه وكان لنا وله ولذريته بالخير والتوفيق والعلم والعمل والغنى والكفاف والزهد والعفاف الى غابر الدهر ثم ان هذا السمن فيه خير عظيم وفضل جسيم وما شاهدنا ذلك الا من الاحسان لاخواننا في الله مثل الود الصدوق والخل الفاروق ذي الفضائل والفواضل والمتوكل على الله الزاهد في الدنيا الراغب في الله سيدي الصالح الغربي(١) وفد شاهدنا فيه امرا عظيما وكيف لا وهو تلميذ العالم العامل الورع الزاهد المتخلي عن الدنيا رأسا المتبتل المدرس المقتفي اثاره صلى الله عليه وسلم سيدي احمد بن باباس الفليسي وفد ادركته وزرته في محله المعلوم وتبركت به وفد حصلت لي بركته والحمد لله وكذا ولده وفد صاحبته وجعلته اخا في الله وهو فاضل عالم متعبد زاهد ورع متمكن عارف منعزل في خلوته مدرس له كرامات عظيمة ومراء طيبة فد زبرها تلامذته وفد رأى الله مرارا في النوم وكذا النبي صلى الله عليه وسلم وهو سيدي المحفوظ وان سيدي الصالح هذا صهر الشيخ ايضا فد انفعلت سريرته له وظهرت آثار فضله عليه فلله الحمد على كونه من معارفنا واخواننا في الله .

ثم ظعنا منه على بركة الله وحسن عونه الى ان نزلنا مغارة سيدنا شعيب عليه السلام فرب العصر وهو فريب لمدين فال شيخنا ما نصه واتاني رجل وبيده زيف فيه فليل عنب اسود وطرحه بازائي نحو عرجونين والله اعلم وفلت له انت من مدين فال نعم وذكر ان

---

(١) في نسخة العربي

العنب يطعم بمدين مرتين في العام واكلت ذلك العنب ووجدته عنبا جديدا كان فيه قليل حموضة وهو طيب حلو واكلت العنب الجديد في نصف مارس وذكر ابو سالم لما انهم نزلوا هنا اتاهم الاعراب باحمال كثيرة من العنب الاسود وهو غاية الحلاوة و برمان كثير وبيع العنب اولا بدرهمين للرطل ثم صار بعد ذلك رطل ونصف بدرهم (١) .

ثم ظعنا منه فنزلنا شرف بني عطية وهو الموضع المسمى ابا العظام كما ذكره شيخنا المذكور واما الان فيكنى ام العظام ولا ماء فيه فبتنا فيه خير مبيت ثم ارتحلنا منه آخر الليل ثم سرنا كذلك الى ان نزلنا بحفائر النخل فيه احساء كثيرة في وسط حدائق النخل تحت ظهر الحمار وعلى ساحل البحر وبتنا فيه في ارغد عيش واتمه ثم ارتحلنا منه ونزلنا بندر العقبة اظنه عند الزوال او بعد الظهر وبتنا فيه ليلتين واستقينا من البئر التي في وسط القصر فاشترى كل من اصحابنا كل ما يخصه لان فيه سوقا عظيمة تاتيها الناس من كل فج لا سيما الملافية من الشام وقد بقي لي جمل بعته بثلاث ريالات ابي طاقة وقد اشتريته في المدينة المشرفة بما يقرب من خمسة عشر اباطاقة او بازيد منه ثم ظعنا منه صبيحة ثم سرنا كذلك على شاطيء البحر الى ان وصلنا العقبة فنزل كل من كان راكبا حتى النساء غير ان نساءنا ما نزلن في الطلعة ولا في الرجعة ولا ازيل عنهن الخدر ولله الفضل والمنة وكذا لم يصبهن ظمأ ولا نصب كثير ولا مخمصة وكذا اصحابنا فانهم مرضى غير ان الله تفضل علينا فلم يبق احد منهم وقد ركب الجميع مع العيش الرغد والماء الكثير ثم كذلك الى ان نزلنا السطح عند القيلولة فلما حان وقت الظهر صليناه فاختلفت الحجاج فمنهم من يريد الارتحال ومنهم من يريد المبيت فراودناهم الاتفاق انا والفاضل سيدي عبد الله بن رحاب فلم يساعدنا للارتحال سلطان فزان فارتحل جميعنا فلم يبق الا ركبه ثم ارتحل وراءنا آخر الليل ونحن سرنا كذلك الى الليل فبتنا ثم ظعنا آخر الليل ثم

---

(١) في الرحلة الناصرية بدرهم ونصف للرطل

سرنا كذلك الى ان مررنا ببئر العلائي المسماة الان ببئر الصعاليك وتوضانا وصلينا الظهر عندها وماؤها افبح المياه غير ان فيه برودة و بئره طويلة كبيرة ثم تجاوزناها الى الليل فبتنا خير مبيت ثم ظعنا ونزلنا النخيل عند الظهر او فربه والله اعلم و وجدنا به الملافي وبيع فيه الفول برخص وكذا الشعير وسائر الاطعمة ثم بتنا فيه خير مبيت وماؤه كثير جدا فوجدنا فسفياته مملوءة فاغترف الجميع من واحدة فلم يوثروا فيها شيئا .

ثم ظعنا آخر الليل وانفصلنا عن هذا البندر اذ فيه فصر عظيم وعمارة حوانيت ولما ذهبنا سويعة واذا بولد خالي الفاضل الكامل الشريف نجل ابن عمنا سيدي عبد العزيز ابن سيدي محمد جدي من فبل امي عم لابي سيدي الحاج احمد زروق وسيدي احمد زروق هذا فد حج في زمان الشيخ عبد البافي والخرشي وكان ففيها يحفظ العفائد الثلاث متنا وشرحا وكان يتعلم عليه ولد الشيخ عبد البافي حين كان صغيرا وهو الشيخ محمد الرزفاني شارح الموطأ وشارح المواهب اللدنية وكان من اكبر المحدثين وفد سمعنا عنه حكاية عظيمة وهي انه كان يحضر مع والده مجلس الشيخ الخرشي وكان لا يفرأ الحديث الا اذا حضر الشيخ محمد فتاخر عن الدرس ذات يوم فمسك الشيخ عن الحديث ففيل له ان لم يات الشيخ محمد فلا تفرأ ففال نعم ثم فال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفول لا تفرأ حديثي حتى ياتي الشيخ محمد وكان في عصره يسمى مالكا الصغير« نعم » سمعت انه كان يتعلم على جدي اول امره(١) باذن الشيخ عبد البافي والده وانه ذات يوم في مجلسه الفى الولد(٢) على الجد مسألة من مسائل الاعراب وهي كل انسان وضيعته وكل صانع وما صنع والجد وان كان يعرف النحو غير ان اهل وطننا لا يشتغلون بالاعراب اتم اشتغال وانما دابهم الفقه واصول الكلام واما مسائل الاعراب والمنطق والتصريف والبيان والاصول فعلى طرف الثمام فلما لم يعرفه الجد اعرابا شافيا فام الولد اعني الشيخ محمدا فتبعوه للجد واساء معه الادب لما علمت

(١) في نسختين اول مرة — (٢) في نسخة باسفاط ألفى وفي اخرى في مجلسه او رد على الجد

ان اولاد الامصار والمدن ألسنتهم طويلة فلما سمع الشيخ عبد الباقي قام لولده فأدبه و زجره وقال له اكفف اوكلاما هذا معناه فلما رأى ذلك قال له دعه فانه صغير فقال الشيخ عبد الباقي لا اسكت فانا امرنا بالادب مع الاشياخ اوكلاما هذا معناه وهذه الحكاية قد تلقيناها عمن قبلنا واظن ان الشيخ الفقيه الفاضل سيدي الصادق الشوثري هو الذي كان يحكيها والله اعلم انه سمعها من الجد المذكور او سمعها ممن سمع منه والله تعالى اعلم ثم ان السيد عبد العزيزهذا قد ترك في محل النزول طاجينا والله اعلم انه استعاره من بعض الناس فرجعت معه الى المحل الذي نزلنا فيه فبحثنا عنه غاية البحث ﴿ نعم ﴾ لما رجعنا الى منزله فبحث عنه فقلت له في اي مكان خبأته فقال قرب التنور غيراني غطيته بالرمل حين فرغنا من طبخ الخبز فبقينا نبحث عنه الى ان خفنا على انفسنا من متلصصة العرب فسرنا سيرا شديدا لعلنا نلتحق بآخر الركب وهو لا يقدر على المشي والذي كفناه اولا قافلة من غزة راجعة الى بلدها اعني الشام فتانسنا بها فسرنا بعد ذلك مع الجد في السير فلحقنا آخر الركب فتخلفت آخر الركب على عادتي وهوقد تقدم ليدرك مركوبه ثم سرنا كذلك الى ان نزلنا وسط السبخة قرب المغرب في زمان قرآخر النهار والا فهو حرلا قر وهذه السبخة اعظم امكنة الدرب واصعبها لقلة الماء فيها وحرارة ارضها وقوة هوائها قل ان يسلم الحجاج فيها من العطب اذ تغلب شدة العطش فيها فما أقبحها من مكان وقد تركت منزلة وهي منزلة التيه منزلة قبل هذه وليس الخلاص من جميعها الا بفضل الله تعالى وجوده وكرمه .

ثم منها آخر الليل وعند طلوع الفجر وقع الصياح والويل والنهب(١) في الركب فتأخر الاولون وتقدم الاخرون واختلطت الناس فلا تدري المصاب من غيره فان الركب جيش بلا رأس وذهب بلا تقطير بل كل يسبق الاخر فانهم في غاية الاهمال والتفريط والافراط في

(١) في ثلاث نسخ التناهب

القبح بحيث لا يقبلون نصح احد ولا يقبلون كلام فاضل او عالم ولا زجر امير فهم في تيه البطلان مترددون وقد اشتد حمقهم وسفههم فظنوا ان الدرب يقطعونه في مدة قريبة فلو ملكوا انفسهم لطاروا بها فكانت عاقبتهم الخسران والاخذ والسلب فدخلنا بعض المحاربين نحو الخمسة عشر فارسا فاخذوا جمالا من وسط الركب وعليها من الحوائج والذهب ما لا يعلمه الا صاحبه وقد سمعنا من بعض الثقات ما يبلغ نحو القين وهذا الذي ضاع لبعض الناس من بسكرة وهو جندي اي تركي وغيره مما اخذ له وسلب عنه ﴿ نعم ﴾ بئس اليوم ذلك اليوم وذلك عند طلوع الفجر فلما صلينا الصبح جماعة تاخرت اسال عما وقع في الركب فقالوا ضاع كيت وكيت فلما سرت خطوات واذا بالاخ في الله سيدي احمد الطيب رجع مشرفا نحو المنزل الذي ارتحلنا منه يغيث بعض اصحابه من زواوة اذ ترك غرارة مملوءة حوائج سقطت له حين اغارت الاعراب علينا فقلت له قد غررت بنفسك فلابد ان ارجع معك فقال لي مكان قريب فقلت له ولابد لانني لم املك نفسي ان يرجع وحده فاخذت المكحلة من الاخ في الله سي محمد بن قسوم فذهبت معه فلما رآني سيدي محمد البهلولي ذهب معنا وكذا الحاج عاشور من اهل ابن ضيف الله ذهب معنا وظننا ان ذلك قريب فذهبنا مشرقين والركب مغرب الى ان خفي علينا الركب باميال كثيرة ومسافة بعيدة يستحيل الغوث فيها من الركب عادة فوجدنا الغرارة بما فيها ثم رأينا رجلا بعيدا عنا يحسبه الرائي انه حجر فوصلنا اليه فوجدناه مريضا فاخبرنا بان رجلا آخر بقي في منزل الركب مريضا فرجعنا اليه فرفعنا احدهما على بغلتي والآخر على بغلة الشيخ سيدي احمد الطيب وهما من زواوة ولم نصل الى ذلك الموضع الا بعد الضحى الاعلى فرجعنا واذا الفرسان الذين سلبوا من الركب فتحولوا الينا علما منهم اننا لاغوث لنا ولا حصن ولا مهرب سوى الله تعالى فتحولوا الينا وداروا بنا دور الخاتم يمينا وشمالا ونحن واقفون ننتظر منهم القوت(١) والتمكين

---

(١) في نسخة الموت

فقلنا لبعضنا بعضا ليس الا الموت ولا مهرب ولا حصن فهي سبخة عظيمة واسعة الاطراف خالية من الاحجار والشجر والمدر ذات الارمال ومع ذلك فيها حرارة الشمس والحالة انه لا ماء معنا وقد توقعنا مخائل الموت ﴿ نعم ﴾ الحاج عاشور عنده نحو السبعين وجها من البارود وكذا من الرصاص فقال لا تخافوا واضربوا فقلنا لهم لا فائدة لكم عندنا ولا طائل يصاحبنا فنبهنا عليهم ليكفوا عنا وما زادهم ذلك الا نفورا وتكبرا واستطالة فتوهموا اخذنا في سرعة فقلت لهم لا تسرعوا بالضرب فان احجموا عنا وتاخروا فبها ونعمت وان بدءونا بالضرب فلا تضربوا الا اذا اختلطوا معنا وهم اربعة عشر فارسا وما عندنا الا ثلاث بنادق كبار طوال و بندقة صغيرة ويطغان فداروا بنا يمينا وشمالا وليس عندنا ما يسلب الا حوائجنا و بغلتان فلما توجهنا اليهم بالضرب تنحوا قريبا ثم تنادوا لبعضهم بعضا بالاغراء والاشلاء(١) والزعم فقالوا يردنا ثلاث بنادق ونحن في كذا وكذا فارسا فزعموا(٢) بانفسهم فتقدموا الي و(٣)الشيخ سيدي احمد عند كتفي والمكحلة الصغيرة في يده فتوجه الي واحد منهم اراد ان يضربني بقناته فتقربت اليه وتوجهت اليه باليطغان فهرب مني ثم داروا بنا دورة اخرى غير انهم لم يتمكنوا منا بفضل الله تعالى وقوته ونحن معهم كذلك ندور حيث داروا حتى ايسوا منا فاجتمعوا فانفصلوا منا مشرفين والحالة انا نسير نحو المغرب مع الالتفات اليهم سيرا رويدا إذ ربما رجعوا الينا فارتفع عنا الخوف منهم وزال وانما خفنا زيادة الاعراب الذين لا طاقة لنا بهم فلما وصلوا الى محل مرتفع بعيد منا اجتمعوا ونحن سائرون واذا بطائفة اكثر منهم قد غشيت الطريق تحيرنا منهم وذهلت عقولنا من اجلهم فلما شاهدنا جمعهم تيقنا الموت وقلت حينئذ لسيدي(٤) الان متنا فكنت استغيث بالنبي صلى الله عليه وسلم طالبا النجاة او الموت على حسن الخاتمة .

فلما دنوا منا اردنا قتال من سبق منهم الينا غير ان سيدي احمد عرف بعضهم انه من

---

(١) في نسخة الاسلاء — (٢) في نسخة فعزموا — (٣) في نسخة باسقاط واو العطف —
(٤) كذا في جميع النسخ

زواواة فنهاني عن ذلك فاذا بهم انهم رجعوا من الركب الينا لما سمعوا اننا تخلفنا فلما وصلوا الينا حمدوا لنا السلامة ونزل صاحبنا الذي اكرى لنا ابله على هجين فركبت عليه وقد انتقع لونه قبل فركبت عليه الى ان وصلت الى بندر عجرود [وكذا سيدي احمد الطيب قد ركب والذي ركّبه لم اعلمه الان فنزلنا عجرودا](١) ضحوة فوجدنا فيه خيرا عظيما من الرزق واما ماؤه فاقبح المياه يشوي الوجوه بئس الشراب ﴿ نعم ﴾ لما تركنا النابعة استعجالا أضر بنا العطش لولا ان الله تفضل علينا بقر لا حر في زمان الحر قطعنا ذلك اليوم منه بعد قضاء مآربنا منه ومع هذا ان المحاربين رجعوا الينا طمعا في آخر الركب الفزاني فلم يصيبوا منهم شيئا لشدة الحزم وسيدي محمد الشريف معهم فارتحلنا بعد الظهر وتركنا الفزاني هناك مبيتا(٢) ونحن كذلك الى بعد العشاء الاخيرة بسويعات والطائفة السابقة من المحاربين تتبعنا في آثارنا اهلكهم الله فبتنا هناك الى قرب طلوع الفجر ثم ظعنا منه ونحن سائرون طول النهار الى ان مررنا على الدار الحمراء قبل الزوال فتغدى الناس فيه ثم ذهبنا كذلك والمحاربون في آثارنا ونحن في جماعة فيها الخيل والبغال ومعنا البنادق والسلاح فلم نكترث بهم الى ان صلينا العصر فبقيت فرس الحاج يونس بن يلس المسيلي من فياد فصر الطير فتخلفنا من اجلها الى ان راينا الركب نازلا بعد العصر بكثير فخلفناها وكففنا بالركب لنبعث جماعة من حجاج المسيلة ليانوا بها فذهبوا فوجدوها قد ذهب بها المحاربون الذين في آثارنا فرجعوا خائبين فاعلموا الركب بتوقع الخوف منهم لانهم لم يعارضونا ولم يزالوا معنا ليستعملوا الحزم ﴿ نعم ﴾ اكثر الركب اصابه عطش عظيم لما علمت ان ماء عجرود لا يغني عن العطش بل يزيد حرارة للقلب فيطلع ذلك على الجسد فينتقع لون الشخص ويتغير وصفه من شدة ما اصابه فيتكدر وقته وتضعف مهجته فلا يستطيع الهروب فترى المحاربين يتراكضون بين خلال الركب فان رأوا محتزما قائما بنفسه خلوا سبيله والا سلبوه

---

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٢) في نسخة بائتا

ولما اشتد بنا العطش ذهب اصحابنا ممن اكثرينا منهم الى فرب البركة فاتوا لنا بماء عذب واظنه من ماء النيل فاحيونا به بعد فرب الموت جازاهم الله احسن جزاء فنعم الناس هم فشربنا وشرب من معنا من الاصحاب وفرفناه على المعارف ممن اضطر اليه فكانوا رحمة لنا ولاصحابنا اسعدهم الله دينا ودنيا فبتنا في ذلك الموضع فريبا من البركة الى ان طلع النهار وتجلى فطعنا منه متوفعين الخوف من هؤلاء المحاربين فنادى الناس بعضهم بعضا ليتهيؤا لهم فاجتمع اهل بلدنا من فسنطينة الى الجزائر وجعلنا حومة واحدة وتأخرنا عن جلة الركب الا اولاد عيسى واولاد عبد النور واولاد سعيد بن سلامة واهل عامر ومن حذا حذوهم من اهل البلد فد سبفوا وصارت فرجة بيننا وبينهم وانزلنا كل من عنده سلاح عن مركوبه فجعلنا البعض ميمنة والبعض ميسرة والبعض فلبا والبعض آخرا والبعض اولا غير ان المتاخر اكثر والجميع دائرون بالابل والفسمة هذه كفسمة النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على خمسة فلبا وميمنة وميسرة ومفدما ومؤخرا ولذا فال البوصيري

يجر بحر خميس فوف سابحة * يرمي بموج من الابطال ملتطم

فعلمنا انهم لا يصيبوننا نعم لما راونا محيطين بجميع الابل خلوا سبيلنا وذهبوا الى اول الركب فاخذوا منهم ما شاء الله ومن جملتهم الففيه النزيه سيدي عبد الرحمن بن الزيعم العمري ومثله الشيخ المكرم سيدي احمد بن خراز(١) الغرزولي وغيرهما وكلاهما بنسائهما فلم يضربوا شيئا وتركوهم ففراء مفلسين معدومين وسبب ذلك كثرة الاهمال وعدم الانتصال وففدان الفوة للفتال وكثرة النساء والصبيان والاوباش من الرجال فلم يهتدوا لاحد يرجعون لامره فتراهم كالامواج في البطحاء ولو كثر المحارجون لاخذوا جميعهم [فصاروا يُلْعَنُونَ من فوة عددهم وكثرة اموالهم وعدم الاستعداد](٢) لدفع من اتاهم واما نحن ففد حصلت لنا الفوة والحمد لله «نعم» تأخر مرحول الشيخ عن الجميع فانتظرناه الى ان دخل معنا والحمد لله على المنة والفضل .

(١) في نسخة خرازي وفي اخرى حزاز — (٢) ما بين الفوسين سافط في نسخة وفيها عوضه لكثرة الاستعداد

ذكر دخولنا مصر

فذهبنا كذلك الى ان وصلنا البركة وهو منزل الركب المصري وتلقى الناس اهل مصر والمغاربة وامراء الاجناد والاتراك خرجوا لملاقاة الركب فنصبوا الاخبية والخيام في سائر الطرقات وملئوا المحال بالاسواق من البركة الى مصر ودخلنا القاهرة عند الضحى الاعلى مارين على قرب باب النصر ذاهبين ومارين الى منزل الركب المغربي في بولاق غير ان ركبنا نزل بين بولاق والنيل في الطريق التي يسلكونها الى انبابة واستقررنا هناك اياما بخيامنا والبعض منا دخل المدينة المتجرد في الوكالة والمتاهل الغني في الديار والفقير المتاهل ايضا في الوكالة وبعد اليومين او الثلاثة دخل الركب المصري القاهرة فتقصر العبارة عن احوال النزهة من فرح وسرور لمن قدم سالما وحزن وكآبة وندبة عمن اتى خبره ميتا واما الاسواق والاخبية والاطعمة المختلفة الاواني من الذهب والنحاس والفضة والملابس الفاخرة والخيل المسومة والرايات المطرزة والاسلحة القوية والرجال المزينة والنساء المخدرة والاسواق العامرة مما لا يحصى كثرة يكاد العقل يحيل فناءها وذهابها وانعدامها فلا تسأل عنها ومن عجائب ذلك ان ارزاقها اكثر منها فان اهل وطننا بل سائر المغاربة يعلمون انهم ليسوا من اهل الدنيا بل اموات بالنسبة الى ما رأوا من زخارف من خرج من مصر بحيث لا يحيط ديوان بانواع ذلك ﴿ نعم ﴾ الاعراض عنه والغيبة عن كله اولى ما يسلكه العاقل اللبيب اذ كل ذلك خيال محض فالوقوف عنده عطب وهلاك وقد قال تعالى انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الاية وانما هي غرور في غرور وخديعة ومكر وظلمة وانما انارها وجود الحق فيها ولا لمات العارف بالحقيقة شوقا الى محبوبه حتى يرى الكل جيفة ونتنا بل كل ذلك انتن في الحقيقة علما منه انه يصد عن الحق بل الداخل في الحضرة الالهية اقوى نزاهة من هؤلاء المغرورين المخدوعين بالتخيلات الوهمية التي لا وجود لها اصلا وانما هي عدم محض ﴿ نعم ﴾ دائرة العارف تتسع بكثرة الاعتبار * في اختلاف الكائنات والصنائع

بفدرة العزيز الجبار * ومن اجل ذلك اختاروا المدن الكبار * فكثرت الائمة فيها وعز وجودها في الفرى وانعدمت من البادية رأسا فعلمنـا ان مجال الانظار * كثرة الخلق في الامصار * وفي كل شيء آية من الواحد الفهار * فمهمـا رأيت غير الله دليلا كان نظرك رحمة وعزا ورفعة واما ان نظرتـه اعتمادا وتعلفا كان نظرك هلاكا وعطبا ونفمـة فالغير غير وهلاك ان نظرت الى ذاته والا فخير وصلاح ان نظرته بنظر الحق اليه او دليلا عليه فل انظروا ما ذا في السموات والارض فلا افل ان الخلق رحمة في عين الحق وهلاكا في عين الباطل فلا تعتمـد على سواه وفل حسبنـا الله ونعم الوكيل وفل الله ثم ذرهـم في خوضهم يلعبون متعنـا الله بالنظر الى وجهه بمنه وفضله .

﴿ انعطاف ﴾ الى ما كنا بصدده ففـد نزلنا مصر في احسـن نزول غير انه وفع بيـن الركب واهل البادية الذين اكروا لهم شنئـان عظيـم وفتنة فوية فأشلوا الاتراك والاجنـاد على الحجاج فما خرج منهم الى السوف واحد الا حبسوه وسجنوه حتى انهم حبسوا أفاضـل الركب من العلماء والصلحاء والطلبة والفقراء واصحاب الشيخ كالعلام بل ارادوا حبس الشيخ فسلم والحمد لله وفد حبسوا ولد الشيخ سيدي احمد الطيب ولكن لم يطل وكذا سيدي احمد ابن بلفاسم وسيدي احمد بن حمود ﴿ نعم ﴾ تفضل الله عنه فاخرجوه في ساعة وكذا ابن عمنـا سيدي عيسى الشريف والفقيه سيدي بلفاسم بن الطيب وغيرهم ممن لا يحصى عددا غير ان والي بولاف ياخذ منهم شيئـا فليلا ويسرحهم رحمة منه اهلكه الله ما ابعده من شفي ومع ذلك ما رد شفاعتي فط وما ملك مصر الا المماليـك الذين اسلموا فكل من ملـك مصر الا كان مملوكا وحاكم بولاف هذا رجل كبير السن حسن الصورة عريض الوجه مشرب بحمرة طويـل اللحية كثيف الحاجبين وفد دخلت عليه مرارا للشفاعة في المكروبين ممـن كان في السجن الا وسرحه بسرعة من غير مهلة ولا تراخ وكان اعتفاده فينا حسنا .

وسبب ذلـك ان جماعة منا اكترينا من بعض الاجناد مـن التـرك جمالا وافبضنـا له الدراهم نحو نصف الكراء فائلا اشتري ما استعيـن به من الابـل وكنت السبـب

والواسطة غير ان الذي غرنا اظهـار الود وحسن الاعتقاد وغاية الادب فيسلم على يدي في اليوم كلما لقيني غير اني اعرف اهل مصر وغشهم فترى الرجل يظهر لك حسن الصنيع و يبطن لك الخديعة والمكر وهذا منهم ﴿ نعـم ﴾ من خادعنـا فالله انخدعنا له لا سيما ان بعض الفقهاء يصاحبه ويكثر الترداد الينا معه فصدقناه به غير انه لم تثق بما صدر منه علما منا بالتباس احوالهم واختلاط امورهم والتباس صنيعهم فلما ساء ظننا فيه ذهبنـا به الى سلطان العارفين * وخاتمة الفضلاء المحققين * صاحب التآليف العظيمة * والتلامذة السنية * صاحب الاوراد * وسلطان العلماء ذوي المد والامداد * شيخنا * وعمدتنا الى ربنا * الشيخ على الاطلاق * والولي بالاتفاق * سيدي محمد الحفناوي فقلنا له هل تعرفه ومعه ولده اي الذي سالنا عنه فقال الشيخ انما نعرف ولده فعقدنا عقدة الكراء عنده ولما اتينا من عند الشيخ ارانا بعض الجمال فاستحسناها غير انها لشريكه وبعد ذلك اقبضت له جملا من بعض الكراء فذهب به الى بولاق ونحن نازلون حينئذ بين بولاق ومصر فلما وصل به الى محله رجع الجمل الينا حينئذ فضلا من الله ورحمة بنا ﴿ نعـم ﴾ بعـد اليوم او اليومين ذهبنـا اليه فسالنا عنه في محله فلم يوجد له خبر ولا أثر ثم مسكنـا ولد الفقيه المذكور عندنـا ثم ذهبت الى حاكم بولاق الـذي الكلام فيه فدخلت اليه في المحكمـة وكلمتـه في شان ذلك وقد رحب بي و فرح فرحا عظيما حتى تعجب الحاضـرون ومن معنـا اذ لم اره قط وسالناه عن قصة الرجـل فقال قد مسكنا له جمـالا هي بينكم وبعـض النـاس من مصر له دين عليه فاعطانـا بعضهـا وبقي البعض في يـده وامرنـا بالاتيـان بذلك الولـد الممسوك عندنا فاتيناه به فحبسه فقـال ان كان الشرع اوجـب عليه الغـرم فيغـرم فتركناه في يده ورجعنا الى الركب فقومنا تلك الجمـال وقسمناهـا على حسب الديـون وارتحلنا فلما رجعنا سالناه عن قصة الرجـل وصاحبه الفقيه قال هلك الكل ببركتكم فانهم هربوا بامراة فكان ذلك سبـب هلاكهم وما دخلـت عليه بعد الا قضى حاجتي واحسن قضاءها ويطلب مني الدعاء الصالح وقد حكم بقتـل بعـض المغاربـة من بلادنـا

لكونه اتى بسكة جديدة مجردة مغشوشة فسرحه وقد سرحت من يده(١) كذا وكذا رجلا ﴿ نعم ﴾ لما حبس اصحاب سيدي احمد الطيب ذهبت انا وسيدي احمد اليه ليسرحهم فوجدناه نائما في بيته لم يظهر الى محكمته صبيحة وانما وجدنا حاكما تحته الكاخية فسرح لنا سيدي بلقاسم بن الطيب ورجالا من زواوة قبل كحوق الكبير ونحن كذلك واذا بتركي دخل علينا فاشار اليه بعض البدويين من المنصورة وكان لي عليه دين فقال له هذا هو الحاكم في الركب فلما قال له ذلك مسكني من يدي واراد بي السجن فقلت له وهل لاحد علي دين حتى اسجن فيه فقال البدوي لا وانما هو اذا مسكناه خرج ما كان في الركب من الابل التي مسكها اهل الركب في ديونهم فامتنعت من الذهاب الى السجن وهو يكرني وانا اتملص منه وصار ذلك الكاخية يقول له دعه فانه رجل صالح وعالم وشريف اوكلاما هذا معناه ثم قال اضمن ما كان في الركب فاعرضت عنه وجلست حذاء الكاخية فحاولني مرة ثانية للسجن ايضا فقال الكاخية ذره فانه رجل وحده واما اصحابي فلا يقدر عليك احد لان الذي ارادك بسوء انما اتى من مصر ارتشاه البدوي ولا عمل عليه ولا يعرف حالك ايضا فلما اتى الي ضربت به الحائط وخرجت في حالي ولم يتبعني احد الى ان وصلت الى الركب وذلك بفضل الله تعالى ورحمته بنا اللهم لا تشمت بنا الاعداء ولا تسلط علينا جبارا عنيدا ولا شيطانا مريدا ولا احدا من عباد الله تعالى .

حاصله ان الوقائع التي وقعت بيننا وبين البدويين كثيرة يطول بنا استقصاؤها هذا وان فضل الله تعالى ظاهر على الركب بحيث لا يستطيعون الامساك منه ولا تسريح المربوطين الذين هم فيه فلما خفنا تفاقم الامر بيننا وبين الحكام ذهب من ذهب في البحر الى الاسكندرية فلم يبق الا العبد وسيدي احمد بن حمود وسيدي عبد الكريم

(١) في ثلاث نسخ من نحو كذا

وسيدي محمد اليعلاوي وسيدي محمد الشريف الطرابلسي ذهبنا في البر على برقة واما ولدي واهلي فقد ركبوا في البحر مع من ركب فيه فافترقنا وعلى الله الاعتماد والتكلان لاني لا استطيع البحر وانتقلنا الى انبابة فلما كنا على شاطيء البحر في توديع من ذهب في البحر ولانتقالنا الى الموضع المذكور اتانا ذلك التركي الاول الذي اراد سجني في قضية اخرى ارتشاه بدوي آخر فلما رأيته ارادني اشليت عليه بعض اصحابي ليقتله فلما علم ذلك المتمرد خاف اذ هو منفرد ونحن في جماعة فصار يسلك مسالك الطامع فاعطاه سيدي احمد بن حمود نصف ريال ابي طافة وعليه البعد من الله فلا اظن انه مسلم اذ اكثر العسكر في مصر انهم خوارج او طغاة لا تعمى ابصارهم ولكن تعمى قلوبهم .

وقد حكي لنا انهم ياتون الى المستضعفين من الناس فيبيعونهم عبيدا او يجعلونهم اسرى يخدمون في مدينة السويس الى ان يموتوا اهلكهم الله ان لم يعلم هدايتهم (١) وهذا معلوم ضرورة في زمان هذه الحجة وسبب هذا الاهمال من الحكام والمترفهين لانهم في نعمة عظيمة لم يحسبوا احدا فاباحوا الرقاب والنفوس ولم يعلموا بهذه الرذائل كالغش في الاسواق والسرقة في الطرق والدكاكين فصارت في النفوس أقبح الاوطان واذلها للغريب مصر ومكة (٢) فلا تجد احدا من مصر الا يحتقر المغاربة حتى كادوا ان يخرجوهم من الاسلام وطبائعهم منافية لطبائع اهل المغرب فلا نظر لعلمهم ولا لفضلهم فترى المغربي اذ تكلم تعصبوا عليه بالباطل ولو بالزور فلم ينفع فيهم الا عدم مخالطتهم والانعزال عنهم فيتحاشى عن اسواقهم وما فيها فاذا اضطره امر اختلاس مقصوده اختلاسا يحفظه من المخالطة او يتزيا بزيهم ليصرف عنه السوء والفحشاء الصادرة منهم وما تخفي صدورهم لنا اكبر واعظم ودابهم وديدانهم التحيل لاخذ اموالنا وسلب ما عندنا بمجرد الاباطيل والتظلم واظهار المسكنة ان افاده

(١) كذا في جميع النسخ — (٢) في نسخة باسقاط مكة

ذلك والا ارتشوا اصحاب الحكم لياخذوا اموال المغاربة جهرة ظلما وعدوانا فما افبحها من بفعة للحجاج والمغاربة غير ان سبب ذلك ان المغاربة تشيطنوا وتمردوا على الطريق وضلوا واضلوا وهلكوا واهلكوا والمنتسب بالدعاوي الكاذبة والزندفة البينة افواها ادعاء الكيميا وما حذا حذوها من كل مضل من غير تحفيق الدعوى كعلم الاوفاق واخراج الخبايا والكنوز من الارض وافهار الظلام واصراع ذي الجن(١) واخدام الروحانيين وفهر الاعداء وحبس السراف ومنعه من النفوذ وتعريف الاحباب وتفريب البعيد وافصاء الفريب وافبال الملوك وادبارهم وغير ذلك من دعاويهم فلما انتشر عليهم ذلك وعم الناس كلهم واتضح كذبهم و بطل تحيلهم وتصنعهم وفع بغضهم في فلوب الخاصة فما رأوا احدا من المغاربة الا غمضوا العين فيه وظنوا انه من الفسفة المدعين المتلفين لاموال الناس بالباطل فالتبس عليهم الصديف بالزنديف فارتفع حسن الظن منهم في جانب المغاربة بحيث لا يعتفدون في احد منا ولو بلغ الغاية مع الله وفد فال تعالى ان الله لا يغير ما بفوم حتى يغيروا ما بانفسهم وهذا من الفتنة العامة(٢) التي عمت المغاربة الظالم والمظلوم وفد فال تعالى ايضا وانفوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة بل تصيب الظالم وغيره وانما اصابت المظلوم لسكوته عما ظهر من ظلم الظالم فصار ظالما بسكوته كما في التفسير اذا كانت لا غير زائدة اي غير صلة واما اذا كانت صلة فالمعنى واضح اي واتفوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا الاية او ان غضب الله اذا يفوى على اهل الارض لكثرة الفساف عمهم بالبلاء فيكون لاهل الفسف كفارة لهم ولغيرهم زيادة في مراتبهم وعلو مفاماتهم فافهم هذا فان مشاهدة الاعيان توجب العلم والايفان.

﴿ نعم ﴾ امر مصر غريب وعجيب في كل الاصناف والانواع والاجناس مهما رأيت جنسا فيها الا فلت ان هذا الجنس هو الذي في مصر فاذا رأيت العلماء فلت لا جاهل في مصر واذا رأيت الاغنياء فلت لا ففير واذا رأيت الاشياخ واصحاب الاوراد فلت هم اهلها

---

(١) في نسخة وصرع الجان — (٢) في نسخة العظيمة

وكذا اهل الصنائع والحرف فما وردت قوما او سوقا او نزاهة الا قلت اهل مصر موجودون فيه وهذا من عجائب مصر فان كل ما رآه العبد الا قال هذا هو الموجود فيها لان مصر تغني عن الغير ولا يستغني الغير عنها فهي رحمة لاهل التقوى ونقمة لغيرهم فهي مدينة الانبياء والصحابة والتابعين والعلم واهله بل فيها اهل الدائرة والتصريف فلا تخلو عنهم اصلا فكل من كان فيه طبع الا وجد اهل طبعه او صنعة الا وجد اهل صنعته خيرا او شرا وفيها عبرة لاهل البصائر فمن لم يفلح فيها لا يربح ابدا ولا يفوز اصلا لان مددها قوي وخيرها دوي وليحذر الانسان شرها وليغتنم بركتها فان اهلها ظاهرون في الخير والشر والساعي فيها يجتني منهما على حسب استطاعته وقوته واجتهاده فكل بلدة ربما انقطع فيها الدواء الا مصر فان دواءها دائم الاتصال وكذا عللها دائمة الوصال فليتعجب منها المتعجبون وكيف لا وانها ذكرت في القرآن كذا وكذا مرة فهي جنة لاهل الخير ونار في المآل لاهل الشر يحسبها المتامل انها جنة فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فان ارزاقها اكثر من خلقها ومع كثرة ارزاقها ان من سد عليه الباب في الرزق يدور الاسواق والدكاكين والوكالات والمساجد فلا يجد لقمة يطعم بها نفسه وغير هذا من عجائبها وساكتب ان شاء الله جملة من حسن المحاضرة واما الاسكندرية فلم ادخلها قط وقد رمت زيارتها مرارا فلم تساعدني الاقدار وقال شيخنا ما نصه

ذكر الاسكندرية وما بها من العجائب

ذكر الامام السيوطي في حسن المحاضرة(١) عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله تعالى عنه انه قال جاء رجال من اهل الكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم كتب فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم اخبرتكم عما اردتم ان

(١) تنبيه * قد وقع في النقل عن هذا الكتاب تقديم وتأخير واختصار وحذف في مواضع كثيرة

تسألوني فبل ان تتكلموا وان شئتم تكلمتم واخبرتكم فالوا بل اخبرنا فبل ان نتكلم ففال جئتم تسألوني عن ذي الفرنين وساخبركم عما تجدونه مكتوبا عندكم ان اول امره كان غلاما من الروم اعطي ملكا فسار حتى ساحل البحر من ارض مصر فابتنى عنده مدينة يفال لها الاسكندرية فلما فرغ من بنائها اتاه ملك فعرج به حتى استفله فرفعه ففال له انظر ما تحتك ففال ارى مدينتي وارى مدائن معها ثم عرج به ففال له انظر ففال فد اختلطت بالمدائن فلا اعرفها الحديث بطوله وفد اوردته في التفسير بالماثور في سورة الكهف واخرج ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص فال كان اول شأن الاسكندرية ان فرعون اتخذ بها مصانع ومجالس وكان اول من عمرها وبنى بها فلم تزل على بنائه ومصانعه الى ان تداولها الملوك ملوك مصر بعده فبنت دلوكة بنت زبا منارة الاسكندرية ومنارة بوفير بعد فرعون فلما ظهر سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام على الارض اتخذ بها مجلسا وبنى فيها مسجدا ثم ان ذا الفرنين ملكها فهدم ما كان فيها من بناء الملوك والفراعنة وغيرهم الا بناء سليمان بن داود لم يغيره ولم يهدمه واصلح ما كان خرب منه وافر المنارة على حالها ثم بنى الاسكندرية من أولها بناء يشبه بعضه بعضا ثم تداولتها الملوك من الروم وغيرهم ما من ملك الا يكون له بناء يضعه بالاسكندرية يعرف به وينسب اليه فال ابن عبد الحكم ويفال ان الذي بنى منارة الاسكندرية فليوبطرة الملكة وهي التي سافت خليجها حتى ادخلته الاسكندرية ولم يكن يبلغها الماء فال ويفال ان الذي بنى الاسكندرية شداد بن عاد(١) .

ويفال ان بها مساجد خمسة مفدسة مسجد موسى عليه الصلاة والسلام عند المنارة ومسجد سليمان عليه الصلاة والسلام ومسجد ذي الفرنين ومسجد الخضر احدهما عند الفيسارية والاخر عند باب المدينة ومسجد عمرو بن العاص الكبير رضي الله عنه .

---

(١) في حسن المحاضرة زيادة نحو خمسة اسطر سفطت من الرحلة الناصرية ومن جميع النسخ وتتضمن رواية اخرى في بناء شداد مدينة الاسكندرية

وكانت الاسكندرية ثلاث مدن بعضها الى جنب بعض وهي موضع المنارة وما والاها والاسكندرية وهي موضع قصبة الاسكندرية اليوم وهيطة (١) وكان على كل واحدة منهن سور وسور من خلف ذلك على الثلاث مدن يحيط بهن جميعا واخرج ابن عبد الحكم عن عبد الله بن طريف الهمداني قال كانت على الاسكندرية سبعة حصون وسبعة خنادق واخرج ان ذا القرنين لما بنى الاسكندرية رخمها بالرخام الابيض جدرها وارضها فكان لباسهم فيها السواد والحمرة فمن قبل ذلك لبس الرهبان السواد من نصوع بياض الرخام ولم يكونوا يسرجون فيها بالليل من بياض الرخام واذا كان القمر ادخل الرجل الذي يخيط بالليل ضوء القمر في بياض الرخام الخيط في حجر الابرة وكانت الاسكندرية بيضاء تضيء بالليل والنهار وكانوا اذا غربت الشمس لم يخرج احد منهم من بيته ومن خرج اختطف وكان منهم راع يرعى على شاطيء البحر وكان يخرج من البحر شيء فياخذ من غنمه فكمن له الراعي في موضع حتى خرج فاذا جارية فتشبث بها فذهب بها الى منزله فانست به فراتهم لا يخرجون بعد غروب الشمس فسألتهم فقالوا من خرج منا اختطف فهيأت لهم الطلسمات بمصر في الاسكندرية وعن عطاء الخراساني قال كان الرخام قد سخر لهم حتى يكون من بكرة الى نصف النهار بمنزلة العجين فاذا انتصف النهار اشتد وكانت الاسكندرية تسمى قبل الاسكندر رقودة وبذلك يعرفها القبط في كتبهم القديمة وعن الليث بن سعد قال كانت بحيرة الاسكندرية كرما كلها لامراة المقوقس فكانت تاخذ خراجها منهم الخمر بفريضة عليهم وكثر الخمر عليها حتى ضاقت به ذرعا فقالت لا حاجة لي في الخمر اعطوني دنانير فقالوا ليس عندنا دنانير فارسلت عليهم الماء فأغرقتها فصارت بحيرة يصاد فيها الحيتان حتى استخرجها بنو العباس فسدوا جسورها وزرعوا فيها ومن عجائب الاسكندرية عمود السواري وليس في الدنيا مثله قال صاحب المرآة وقد شاهدته

---

(١) كذا في جميع النسخ وفي الرحلة الناصرية هبطة وفي حسن المحاضرة لقيطة

ويقال ان اخاه باسوان قال ابن فضل الله بظاهر الاسكندرية عمود السواري عمود مرتفع في الهواء تحته قاعدة وفوقه قاعدة يقال انه لا نظير له في العمد في علوه ولا في استدارته .

﴿ قلت ﴾ وقد رأيت هذا العمود لما دخلت الاسكندرية في رحلتي ودور قاعدته ثمانية وثمانون شبرا ومن المتواتر عن اهل الاسكندرية ان من حاذاه عن قرب وغمض عينيه ثم قصده لا يصيبه بل يميل عنه وذكروا انه لم تحصل اصابته لاحد قط مع كثرة تحريهم في ذلك وقد جربت ذلك مرارا فلم اقدر ان اصيبه وذكر لي بعض فضلاء الاسكندرية انها كانت اربعة أعمدة على هذا النمط وكانت عليها قبة يجلس بها ارسطو صاحب الرصد وعن التنوخي قال كان بالاسكندرية صنم من نحاس يقال له شراحيل على خشفة من خشف البحر وكان مستقبلا باصبعه القسطنطينية لا يدرى اكان مما عمله سليمان او الاسكندر فكانت الحيتان تجتمع عنده وتدور حوله فتصاد فكتب اسامة الى الوليد بن عبد الملك يخبره بخبر الصنم ويقول ان الفلوس عندنا قليلة فان رأى امير المومنين ان يقطع الصنم ويضرب فلوسا فارسل اليه الوليد رجالا امناء فانزلوا الصنم فوجدوا عينيه ياقوتتين حمراوين ليس لهما قيمة فذهب الحيتان فلم تعد الى ذلك الموضع .

ومن عجائب مباني ارض مصر كما قال صاحب مباهج الفكر منارة الاسكندرية وهي مبنية بحجارة مهندمة مطلية بالرصاص على قناطر من زجاج والقناطر على ظهر اسطوانات(١) من نحاس وفيها نحو ثلاثمائة بيت بعضها فوق بعض تصعد الدابة بحملها الى سائر البيوت من داخلها وللبيوت طاقات ينظر منها الى البحر .

واختلف اهل التاريخ فيمن بناها فقيل انها من بناء الاسكندر وقيل من بناء دلوكة ملكة مصر ويقال ان طولها كان الف ذراع وكان في اعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال قد اشار بسبابة يده اليمنى نحو الشمس اينما كانت من الفلك يدور معها حيث دارت ومنها

---

(١) في حسن المحاضرة سرطانات

تمثال وجهه الى البحر متى صار العدو منهم على نجو من ليلة سمع له صوت هائل يعلم به اهل المدينة طروق العدو ومنها تمثال كلما مضت من الليل ساعة صوت صوتا مطربا وكان باعلاها مرآة ترى منها القسطنطينية وبينهما عرض البحر فكلما جهز الروم جيشا رئي في تلك المـــرآة .

وحكى المسعودي ان هذه المنارة كانت في وسط الاسكندرية وانها تعد من بنيان العالم العجيب بناها بعض ملوك اليونان يقال انه الاسكندر لما كان بينهم وبين الروم من الحروب فجعلوا هذه المنارة مرقبا وجعلوا فيها مرآة من الاحجار المشففة يشاهد فيها مراكب البحر اذا اقبلت(١) من رومة على مسافة تعجز الابصار عن ادراكها ولم تزل كذلك الى ان ملكها المسلمون فاحتال ملك الروم لما انتفع بها المسلمون في مثل ذلك على الوليد بن عبد الملك بان انفذ احد خواصه ومعه جماعة الى بعض ثغور الشام على انه راغب في الاسلام فوصل الى الوليد واظهر الاسلام واخرج كنوزا ودفائن بالشام مما حمل الوليد على ان صدقه على ان تحت المنارة اموالا ودفائن واسلحة دفنها الاسكندر فجهزه مع جماعة من ثقاته الى الاسكندرية فهدم ثلث المنارة وازال المرآة ثم فطن الناس انها مكيدة فاستشعر ذلك فهرب في مركب كانت معدة له ثم بني ما تهدم بالجص والاجر .

قال المسعودي وطول هذه المنارة في وقتنا هذا وهو سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة مائتان وثلاثون ذراعا وكان طولها قديما نحو اربعمائة ذراع وبناؤها في عصرنا ثلاثة اشكال فقريب من الثلث مربع مبني بالحجارة ثم بعد ذلك بناء مثمن الشكل مبني بالاجر والجص نحو ستين ذراعا واعلاها مدور الشكل .

قال صاحب مباهج الفكر وكان احمد بن طولون بنى في اعلاها قبة من الخشب فرمتها(٢) الرياح فبني مكانها مسجد في ايام الملك الكامل صاحب مصر ثم ان وجهها البحري

---

(١) في جميع النسخ انقلبت — (٢) في حسن المحاضرة فهدمتها

تداعي وكذلك الرصيف الذي بين يديها من جهة البحر وكادا ينهدمان وذلك ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس فرمه واصلحه وذكر ابن فضل الله في المسالك ان هذه المنارة قد خربت وبقيت اثرا بلا عين فكان هذا وقع في ايام قلاوون او ولده .

قال ابن المتوج في كتابه ايقاظ المتغفل من العجائب منارة الاسكندرية التي بناها ذو القرنين وكان طولها اكثر من ثلاثمائة ذراع مبنية بالحجر المنحوت مربعة الاسفل وفوق المنارة المربعة منارة مثمنة مبنية بالاجر وفوق المنارة المثمنة منارة مدورة وكانت كلها مبنية بالصخر المنحوت على اكثر من مائتي ذراع وكان عليها مرآة من الحديد الصيني عرضها سبعة اذرع كانوا يرون فيها جميع من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا اعداء تركوهم فاذا قربوا منها ومالت الشمس للغروب اداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا بها السفن حتى يقع شعاع الشمس في ضوء المرآة فتحترق السفن في البحر عن اخرها ويهلك كل من فيها وكانوا يؤدون الخراج ليامنوا بذلك من احراق المرآة لسفنهم فلما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية احتالت الروم بان بعثت جماعة من القسيسين المستعربين واظهروا انهم مسلمون واخرجوا كتابا زعموا ان ذخائر ذي القرنين في جوف المنارة فصدقتهم العرب لقلة معرفتهم بحيل الروم وعدم معرفتهم بمنفعة تلك المنارة والمرآة وتحيلوا انهم اذا اخذوا الذخائر والاموال اعادوا المنارة والمرآة على ما كانت فهدموا مقدار ثلثي المنارة فلم يجدوا فيها شيئا وهرب اولائك القسيسون فعلموا حينئذ انها خديعة فبنوها بالاجر ولم يقدروا ان يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما اتموها نصبوا عليها تلك المرآة كما كانت فصدئت فلم يروا فيها شيئا وبطل احراقها والنصف الاسفل الذي من عمل ذي القرنين يدخل الانسان من الباب الذي للمنارة وهو مرتفع عن الارض مقدار عشرين ذراعا يصعد اليه من قناطر مبنية بالصخر المنحوت فاذا دخل من باب المنارة يجد على يمينه بابا فيدخل منه الى مجلس كبير طوله عشرون ذراعا مربعا يدخل فيه الضوء من جانبي المنارة ثم يجد بيتا آخر مثله ثم مجلسا ثالثا ومجلسا رابعا

كذلك قال ولقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما السلام في الاسكندرية مجلسا من اعمدة الرخام الملون المجزع كالجزع اليماني المصقول كالمراة اذا نظر الانسان اليها يرى من يمشي خلفها لصفائها وكان عدد الاعمدة ثلاثمائة عمود وكل عمود بثلاثمائة ذراع (١) وفي وسط المجلس عمود واحد يتحرك شرقا وغربا يشاهد ذلك الناس ولا يدرون ما سبب حركته .

ومن عجائب الاسكندرية السواري والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة ويرمون بالاكرة فلا تقع في حجر احد منهم الا ملك مصر وكان يحضر هذا الملعب ما شاء الله من الناس ما يزيد على الف الف رجل فلا يكون منهم احد الا وهو ينظر في وجه صاحبه ثم ان قرئ كتاب سمعوه جميعا او لعب لون من الالوان في ذلك الملعب راوه عن آخرهم .

وقد حضر سيدي عمرو بن العاص رضي الله عنه هذا الملعب معهم في الجاهلية وذلك انه قدم لبيت المقدس في نفر من قريش لتجارة فاذا هم بشماس من شمامسة الروم من اهل الاسكندرية قدم للصلاة في بيت المقدس فخرج في بعض جبالها يسيح وكان عمرو يرعى ابله وابل اصحابه وكانت رعاية الابل بينهم نوبا فبينما عمرو يرعى ابله وابل اصحابه اذ مر به ذلك الشماس وقد اصابه عطش شديد في يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسقاه فسقاه عمرو من قربة له فشرب حتى روي ونام الشماس مكانه وكان الى جانب الشماس حيث نام حفرة فخرج منها حية عظيمة فبصرها عمرو فنزع لها بسهم فقتلها فلما استيقظ الشماس نظر الى حية عظيمة قد انجاه الله منها فقال لعمرو وما هذه الحية فاخبره الخبر عمرو وانه رماها بسهم فقتلها فاقبل الى عمرو فقبل رأسه وقال قد احياني الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية فما اقدمك هذه البلاد قال قدمت مع اصحاب لي نطلب الفضل من تجارتنا فقال له الشماس وكم ترجو ان تصيب من تجارتك فقال

(١) في حسن المحاضرة ثلاثون ذراعا وهو الاصوب وفيها هنا ايضا زيادة في العبارة

رجائي ان اصيب ما اشتري به بعيرا فاني لا املك الا بعيرين فأملي ان اصيب بعيرا آخر فتكون لي ثلاثة ابعرة فقال له الشماس ارأيت دية احدكم بينكم كم هي فقال مائة من الابل فقال له الشماس لسنا اصحاب ابل بل انما نحن اصحاب دنانير فقال تكون الف دينار فقال له الشماس اني رجل غريب في هذه البلاد وانما قدمت اصلّي في كنيسة بيت المقدس واسيح في هذه البلاد شهرا جعلت ذلك نذرا على نفسي وقد قضيت ذلك وانا اريد الرجوع الى بلادي فهل لك ان تتبعني الى بلادي ولك علي عهد الله وميثاقه ان اعطيك ديتين لان الله احياني بك مرتين فقال له عمرو واين بلادك قال مصر في مدينة يقال لها الاسكندرية فقال له عمرو لا اعرفها ولم اكن دخلتها قط فقال له الشماس لو دخلتها لعلمت انك لم تدخل قط مثلها فقال له عمرو او تفي لي بما تقول وعليك بذلك العهد والميثاق فقال له الشماس نعم علي عهد الله وميثاقه ان أفي لك وان اردك الى اصحابك فقال له عمرو كم يكون مكثي في ذلك فقال له شهرا تنطلق معي ذاهبا عشرا وتمكث عندنا عشرا وترجع في عشر ولك علي ان أحفظك ذاهبا وان ابعث معك من يحفظك راجعا فقال له عمرو انظرني حتى اشاور اصحابي في ذلك فانطلق عمرو الى اصحابه فاخبرهم بما عاهد عليه الشماس وقال لهم أقيموا حتى ارجع اليكم ولكم علي العهد ان اعطيكم شطر ذلك على ان يصحبني رجل منكم آنس به فقالوا له نعم وبعثوا معه رجلا منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس الى مصر حتى انتهوا الى الاسكندرية فرأى عمرو من عمارتها وجودة بنائها وكثرة اهلها فازداد عجبا ووافق دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع فيه ملوكهم واشرافهم ولهم اكرة من ذهب يترامى بها ملوكهم وهم يتلقونها باكمامهم وفيما اختبروا من تلك الاكرة على ما وضعها من مضى منهم ان من وقعت الاكرة في كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم فلما قدم عمرو الاسكندرية اكرمه الشماس الاكرام كله وكساه ثوب ديباج البسه اياه وجلس

عمرو والشماس مع الناس في ذلك المجلس حيث يترامون بالاكرة وهم يتلفونها باكمامهم فرمى بها رجل منهم فاقبلت تهوى حتى وقعت في كم عمرو فتعجبوا من ذلك وقالوا ما كذبتنا هذه الاكرة قط الا في هذه المرة اترى هذا الاعرابي يملكنا هذا ما لا يكون ابدا .

﴿ قلت ﴾ قد ملكهم قسرا ودوخهم قهرا في فتح مصر وان ذلك الشماس مشى في اهل الاسكندرية واعلمهم ان عمرا احياه مرتين وانه قد ضمن له الفي دينار وسالهم ان يجمعوا له ذلك فيما بينهم فجعلوا ودفعوها الى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس دليلا ورسولا وزودهما واكرمهما حتى رجع هو وصاحبه الى اصحابهما فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها وعلم منها ما رأى وعلم انها افضل البلاد واكثرها مالا فلما رجع عمرو الى اصحابه دفع اليهم فيما بينهم الف دينار وامسك لنفسه الفا قال عمرو وكان ذلك اول مال تأثلته .

ومن عجائبها المسلتان وهما جبلان قائمان على سرطانات من نحاس في اركانهما كل ركن على سرطان فلو اراد أحد ان يدخل تحتها شيئا يعبرها من جانبها الاخر فعل (١) .

ومن عجائبها عمود الاعياء وهما عمودان متلقيان وراء كل عمود منهما جبل حصى كحصى الجمار فمتى اقبل التعب النصب بسبع حصيات من ذلك الحصى فاستلقى على احداهما ثم رمى وراءه بالسبع حصيات ويقوم ولا يلتفت ويمضي لطلبته فام كانه لم يتعب ولم يحس بشيء .

ومن عجائبها القبة الخضراء وهي اعجب قبة ملبسة نحاسا كانه الذهب الابريز لا يبليه القدم ولا يخلقه الدهر .

ومن عجائبها منية (٢) عقبة وحصن فارس وكنيسة اسفل الارض وهي مدينة على مدينة

---

(١) هكذا في جميع النسخ وفي الرحلة الناصرية ان يدخل تحتها حتى يعبرها من جانبها الاخر فعل وفي حسن المحاضرة ان يدخل من جانبهما شيئا حتى يعبر الى جانبهما الاخر فعل — (٢) في حسن المحاضرة مينة

وليس على وجه الارض مثلها ويقال انها ارم ذات العماد سميت بذلك لان عمدها لا يرى مثلها طولا وعرضا انتهى مع بعض حذف وتغيير وتقديم وتاخير .

﴿ قلت ﴾ وما ذكر في الاسكندرية من الغرائب والابنية والعجائب(١) لم يبق بها الان سوى عمود السواري وغيره اجتاحه الدهر وأبلاه * واستاصله وأفناه * ولم يبق لها من الاثار * الا ما يذكر في الاخبار * والدوام والبقاء لله الواحد القهار * الى ان قال .

ومن مزاراتها غير ما تقدم مشهد سيدي علي البدوي رضي الله عنه ومنها قبر الخزرجي مشهور هناك بنسبته ولا ادري هل هو صاحب المنظومة في العروض او غيره وبازائه قبر الامام القاكهاني ومنها قبر الامام الشيخ الصالح سيدي عبد الرزاق اجل تلامذة الشيخ سيدي ابي مدين رضي الله عنهما واجل من نشر طريقه بعده واخذها الناس عنه وقدره بين اهل الطريقة معروف ومنها زاوية(٢) ابي الحسن الشاذلي كان ياوي اليها هو واصحابه وهي قلعة كبيرة في سور البلد الشرقي فيها بيوت متعددة ومنها قبر سيدي احمد المناري وهو مشهور البركة وسبب تسميته بالمناري على ما قالوا انه قدم البلد ومعه حمارة له وقال لهم اين ابيت فاشاروا كالمستهزئين به الى المنارة فقال لهم بسم الله وصعد بحمارته الى اعلاها فاجتمع الناس ينظرون متعجبين وهذا في حق اولياء الله تعالى يسير والله على كل شيء قدير وهو العالم بحقيقة الامر .

﴿ لطيفة ﴾ حكي ان السلطان سليم العثماني لما دخل مصر وجاء الى الاسكندرية طلع ذات يوم الى كوم مشرف على البلد وجاءه أهل الاسكندرية وقالوا يا سلطان ان بلدنا هذا قد استولى عليه الخراب كما ترى فنريد من كمال جودك ان ترحمنا وتصرف نظرك الى عمران هذا البلد فان مكانته من مدائن العالم معروفة فعسى ان يرجع الى بعض حاله الاول على يدك فسكت عنهم ساعة وهو مطرق ثم رفع رأسه اليهم وقال لهم ان هذه البلدة

---

(١) في الرحلة الناصرية باسقاط والعجائب — (٢) في الرحلة الناصرية قلعة

فد نظر اليهـا الحق وقال لها كوني دكا(١) وانـا لا اقدر ان اعمر ما اذن الله في خرابـه فانصرفوا عنـه .

قال ابو سالم لقد نظر هذا الملـك نظرة عارف وغاص بفكره الفائق في دقائق حكمـة الله تعالى الجارية في مملكته فكانه نظر الى ما اشتملت عليه هذه المدينة من المرافق الدنيوية واكتنفها من اسبـاب العمران مع توسطها في الممالـك الاسلامية وجمعها بين الاسباب البرية والبحرية والاجناس البدوية والحضرية فبابها الشرقي متصـل بارياف مصر التي هي مزرعة الدنيا التي لانظير لها وبابهـا الغربي متصـل ببادية برقة الفاصلـة بين بلاد المشـرق والمغرب فلا بادية في الدنيا تدانيهـا في اتسـاع الاقطار وطيـب المرعى وصحـة الهواء وبابها البحري مقابل لارض الروم التي تجلب منها البضائع النفيسة فاذا كانت بهـذه الحيثية فأسباب العمران متوفرة بها فلا موجب لخرابها الا ارادة الحق ونظره اليها بعين الجلال لتكبرها واستعلائها على غيرها من البلدان وحق على الله ان لا يرفع شيئـا من الدنيـا الا وضعه واذا كان خرابها بكلمة كن من الله فلا مطمع للعبد في عمران ما اذن الله في خرابه .

ولعمري ان هذا النظر مصيب وفكر عجيب ولا عجـب في ذلـك فان السلطـان سليم رحمه الله كان معروفا باصابة الرأي وثقابة الذهن وجـودة التدبير في المملكة وبـه فخمت دولة بني عثمان وهو المستولي على الممالـك الشامية والمصرية والحجازية وما والاها من البلاد .

وبالجملة فهي من امهات المدائـن المذكـورة في الدنيـا وهي دار مملكة الديـار المصرية قبل الاسلام وبها كان المقوقس الذي كان في زمانه عليه الصلاة والسلام وناهيك بفخامة ملـك بانيها الاسكندر وشهرته واستيلائه على الممالـك .

وقد ذكر المورخون اخباره واخبار بنائه لهذه المدينة وكيفية بنيانها وأنه جعلها مدينتين

(١) كذا في نسخة وفي الرحلة الناصرية واما في الرحلة العياشية ففيها « كذا » وهو الاصوب وفي ثلاث نسخ « دنا » وفي هامش احداها ما نصه لعله دثارا

احداهما تحت الارض والاخرى فوقها ظاهرة وان الماء يجري من النيل ايام فيضه حتى تمتلئ السفلى ويستقي من في العليا من تحتهم وآثار ذلك باقية الى الان .

﴿ انعطاف ﴾ الى ما كنا بصدده وهي اقامتنا بمصر اكثر الشهر من صفر الى اوائل ربيع الاول الى العشرين(١) منه والله اعلم فان مصر امرها عظيم وحالها غريب كاد ان لا يوجد مثلها وقد ذكرت في القرآن في ثمانية وعشرين موضعا بين التصريح والتلويح ولولا الاطالة لذكرتها تفصيلا ومن اراد ذلك فلينظر حسن المحاضرة وفيها من العجائب والغرائب وحسن الاخبار ونزهة الانظار وغاية الاعتبار وشوارق(٢) الافكار ما يغني عن اعتبار غيرها .

وقد ذكر السيوطي في هذا الكتاب حدها وقال ما نصه ومما هو معدود في كور مصر كورة القلزم على ثلاثة ايام من مصر خربت ومن اعمال مصر الجليلة (٣) الصعيد الى ان قال ﴿ ذكر من نزل مصر من اولاد آدم عليه الصلاة والسلام ﴾ ان آدم اوصى لابنه شيث فكان فيه وفي بنيه النبوءة والدين وانزل الله عليه تسعا وعشرين صحيفة وانه جاء الى ارض مصر وكانت تدعى بابلون فنزل بها هو واولاد اخيه فسكن شيث فوق الجبل وسكن اولاد قابيل فوق الوادي الى ان قال ﴿ ذكر من ملك مصر قبل الطوفان ﴾ نقراوس وكان عالما بالكهانة والطلسمات ويقال انه بنى مدينة افسوس وعمل بها عجائب كثيرة منها انه عمل صنمين من حجر اسود في وسط المدينة اذا قدمها سارق لم يقدر ان يزول عنها حتى يسلك بينهما فاذا سلك بينهما اطبقا عليه فيؤخذ وكانت مدة ملكه مائة وثمانين سنة الى قال .

وذكر بعض من الف في اخبار مصر ان سفينة نوح طافت بمصر وارضها فبارك نوح فيها وان اولاده سكنوا مصر ومن ولد ولده مصر بن بيصر بن حام وقد دعا له جده فاجيبت

---

(١) كذا في ثلاث نسخ وفي نسخة من صفر واوائل ربيع الاول الى العشرين وهو الاصوب — (٢) في نسخة وتنوير — (٣) بياض في نسختين وفي غيرهما لم ينبه عنه ولينظر هذا الكلام في حسن المحاضرة فانه وقع هنا حذف كبير

فيه دعوته واسكنه الارض المباركة وفي بعض التواريخ لما مات مصر بن بيصر كتب على قبره مات مصر بن بيصر بن حام بن نوح بعد الالفين وستمائة عام من الطوفان ولم يعبد الاصنام وهو الذي بنى اهرام دهشور الى ان ملكها يوسف عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة ثم دخل يعقوب عليه الصلاة والسلام وولده مصر وهم ثلاث وسبعون نفسا بين رجل وامرأة فانزلهم يوسف بين عين شمس الى القرما(١) وهي ارض ريفية وخرجوا وهم ستمائة الف وان اولاد يوسف ثلاث وسبعون نفسا وخرجوا وهم ستمائة الف ايضا ويعقوب عاش في ارض مصر ست عشرة سنة ومات ودفن في ارض كنعان فملك مصر بعده فرعون وكان في عصر يوسف وادرك يعقوب وهو قبطي من قبط مصر اسمه ظلمي وكان يكنى بأبي مرة من العمالقة واسمه الوليد بن مصهب(٢) وكان قصيرا وقد مكث اربعمائة سنة لم يصدع له رأس وكان يملك ما بين مصر الى افريقية وكان يقعد على كراسيه مائتان عليهم الديباج واساور الذهب الى ان غرق مع جنوده واما يوسف فقد مات في مصر وحمل الى بيت المقدس بعد ان دفن بها نحوا من مائتين وعشرين سنة الى ان قال .

﴿ ذكر من دخل من الانبياء عليهم الصلاة والسلام مصر ﴾ منهم ادريس وابراهيم الخليل واسماعيل ويعقوب ويوسف واثنا عشر نبيئا من ولد يعقوب وهم الاسباط ولوط وموسى وهارون ويوشع بن نون ودانيال وارميا ولقمان على ما قاله بعضهم واختلف في نبوءته واما من الصديقين فذو القرنين اي دخلها والخضر وفي نبوءتهما خلاف والقول بنبوءة الخضر حكاه ابو احيان عن الجمهور وجزم به الثعلبي وقال ابن عباس ومحمد بن اسحاق انه نبي مرسل ونصر هذا القول ابو الحسن الرماني ثم ابن الجوزي وان ذا القرنين دفن في الاسكندرية ومات بارض بابل ثم حمل اليها وقد قيل انه عاش الف سنة وقيل الفا وستمائة سنة وقيل ثلاثة آلاف سنة واما النساء فقد دخلن مصر مريم وسارة زوج الخليل وآسية

---

(١) في حسن المحاضرة الغرما — (٢) كذا في ثلاث نسخ وفي نسخة مصعب وفي حسن المحاضرة مصعت

امراة فرعون وام موسى وقد قيل بنبوءتهن حكى ذلك الشيخ تقي الدين السبكي في فتاويه المعروفة بالحلبيات وقد قال ابن عبد الحكم يقال ان موسى عليه السلام قتل عوجا بمصر اعني عوج بن بيصر وكان طول سرير عوج ثمانمائة ذراع وعرضه اربعمائة وكان طول عصا موسى عشرة اذرع وطوله كذلك فضربه فاصاب كعبه فخر على نيل مصر وقد عاش ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة ولم يعش احد هذا العمر وقد قيل انه ولد في عهد آدم وانه لما مات وقع جسده على النيل جسرهم سنة .

﴿ ذكر عجائب مصر القديمة ﴾ وقد قيل ان عجائب الدنيا ثلاثون اعجوبة عشرة منها بسائر البلاد وهي مسجد دمشق وكنيسة الرها وقنطرة طنجة وقصر عمان وكنيسة رومية وصنم الزيتون وايوان كسرى بالمدائن وبيت الريح بتدمر والخورنق بالحيرة والثلاثة احجار ببعلبك والعشرون الباقية بمصر وهي الهرمان وهما اطول بناء واعجبه ليس على الارض بناء اطول منهما واذا رأيتهما ظننت انهما جبلان موضوعان ولذلك قال بعض من رآهما ليس شيء الا وانا أرحمه من الدهر الا الهرمان فانا أرحم الدهر منهما وصنم الهرمين وهو بلهوية ويقال بلهنيت وتسميه العامة ابا الهول والفيوم وهي مدينة دبرها يوسف عليه السلام بالوحي وكانت ثلاثمائة وستين قرية على كل قرية منها مصر يوما وليس في الدنيا بلد بني بالوحي غيرها وجبل الطير فيه اعجوبة لم ير مثلها وهي باقية الى الان ومنها النيل ومنها الاسكندرية مدينة على مدينة على ثلاث طبقات وليس على وجه الارض مدينة على مدينة على هذه الصفة سواها واما الاهرام فهي في زمان شداد بن عاد اي بنيت كما ذكره البعض والا فاهل المعرفة لم ينصوا عليها والذي بنى الاهرام سوريد ابن سلهوق ملك مصر وكان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة وبناها لسبب فانظره في هذا الكتاب وعليها كتابة منقوشة تفسيرها بالعربية انا سوريد الملك بنيت الاهرام في وقت كذا وكذا واتممت بناءها في ست سنين (١) فمن اتى بعدي وزعم انه مثلي فليهدمها

(١) في نسخة ستين سنة

في ستمائة سنة وقد علم ان الهدم ايسر من البنـاء واني كسوتها عند فراغها الديباج فليكسها بالحصر واتى بعض الملوك لنقب كوة في الحائط فانفق عليه الـف دينار فوجد ما انفقه فيه كذلك ولما فتحه المامون اقام الناس يدخلونه فمنهم من يسلم ومنهم من يموت وقال بعض الشعراء وهو عمارة اليمني

خليـلي ما تحـت السمـاء بنيـة * تماثل في اتقانهـا هـرمي مصـر
بناء يخاف الدهـر منه وكلما * على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنـزه طرفـي في بديـع بنائهـا * ولم يتنزه في المـراد بها فكري

ومن عجائب مصر في الاسلام فتحها في زمان عمـر مع كثرة القبط والروم وقلة العـرب وكذا المسجد الجامع الذي بناه عمـرو بن العاص وكذا جبـل يشكر الذي عليه جامـع ابن طولون يقال انه قطعه من الجبل المقدس ويشكر رجل صالح وان هذا الجبل يستجاب فيه الدعاء وكان يصلي عليه التابعون وقد اشار ابن الصلاح على ابن طولون انه يبني جامعه فيه .

ومن عجائبها ايضا في الاسلام فتح برقة اذ وجـه عمرو بن العاص عقبـة بن نافع حتـى بلغ زويلة وصار ما بين برقـة وزويلـة للمسلميـن والذي سكـن طرابلس وهي برقة لواتـة وتفرقت في هذا المغرب وانتشروا فيه ونزلت هوارة مدينة لبـدة فسار عمرو بن العاص في الخيل حتى قدم برقة فصالح اهلها على ثلاثة الف الف دينار(١) يؤدونها اليه جزية على ان يبيعوا من احبوا من ابنائهم في جزيتهم ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خراج وانما كانوا يبعثون بالجزية اذا جاء وقتها انتهى من حسـن المحاضـرة بالمعنى ومن عجائـب ما وقـع في فتح مصر في زمـان عمر بن الخطـاب رضي الله عنـه كما ذكره صاحـب عقـود الجمان في مختصر اخبار الزمان للعلامة الشيخ محمد الشاطبي ما نصه .

ولما فتحـت مصر في خلافـة عمر رضي الله عنه استولى عليهـا عمرو بـن العاص فلمـا

(١) في نسخة ثلاثة الاف دينار

دخل شهر يونيه وهو عندهم خير زمان اتى اهلها عمرو بن العاص وقالوا لـه ان النيل عندنـا له سنة لا يفيض الا بها قال لهم وما ذلك قالوا اذا انتصف هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر حسنة فارضينا ابويها بالاموال والبسناها الحلي والحلل فالقيناها في النيل فقال لهم ان الاسلام يهدم ما قبله فمكثوا ثلاثة اشهر والنيل لم يفض شيئا فاتى الناس الى عمرو بن العاص وقالوا ان لم نفعل عادتنا أجدبنا فكتب عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما واعلمه بذلك فاخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بطاقة وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله امير المومنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت تفيض بما تفيض فلا تفض وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك فارسل البطاقة لعمـرو بن العاص وقال له القها في النيل فالقاها يوم الجمعة فاصبحوا يوم السبت وقد فاض النيل في ليلة ستة عشر ذراعا وقطع تلك العادة من ذلك الوقت ولم يشاهد النيـل فاض فـقـط مثل ذلك المقدار الا مرتين هذه الواحدة والاخرى في زمان موسى عليه السلام لما اهلك الله فرعون وكان عمر يقول الحمد لله الذي وافق مراده مرادنا في اشياء كثيرة اني قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فانزل الله واتخذوا من مقـام ابراهيـم مصلى وكسر الخاء هو المشهور من القراءات وقلت يا رسول الله لو صلينا لبيت الله الحرام فانزل الله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وقلـت يا رسول الله احجـب نسـاءك فانه يراهن البـر والفاجر فانزل الله آية الحجاب .

قال كعب الاحبار وضع الله في الدنيا اربعة انهار من الجنة نهر من عسل وهو النيل ونهر من خمر وهو الفرات ونهر من ماء وهو سيحان ونهر من لبن وهو والله اعلم جيحان ذكـره في كتاب الهداية وكان عمر رضي الله تعالى عنه مر بعبد يرعى غنما فقال له يا راعي بعني شاة يريد اختباره فقال له العبد اني اجير وليس الغنم لي فقال له عمر قل لسيدها اهلكها الذئب فقال له العبد واين الله فبكى عمر واشتراه واعتقه لله وقال له اعتقتـك لكلمة في الدنيا ولعلها تعتقـك في الاخرة ولم يكن في الخلفاء من يهابه الخلـق مثل عمر رضي الله تعالى عنه لانه

كان للارامـل كالزوج المفيم وللايتام كالاب الرحيم ولما توفي فال الناس ذهب تسعة اعشار من العلم .

ومن فضائـل عمر رضي الله تعـالى عنه انه لم يستطل بلسانـه فط على مسلـم ما دام في الخلافة بل يعطي الشريف منزلته والوضيع منزلته ولا يخاف في الله لومة لائم ينزل نفسه في مال الدنيا منزلة رجل مسلم ما دام في الخلافة ففيل له ان الله تعالى اولاك على اموال المسلمين فخـذ ما تفوم به ضروريـاتـك فيفول اني كولي اليتيـم ان احتجت اكلت وان استغنيت استعففت والذي فتل عمر هو العلج وكانت خلافته رضي الله عنه عشر سنين وستة اشهر واربعة ايام مات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

واما مدة خلافة ابي بكر فسنتان وثلاثة اشهر وعشرة ايام ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة وغزواته اثنتان وثمانون غزوة حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهده كلها وهي تسعة وعشرون وثلاث وخمسون غزوة في خلافته وفال صلى الله عليه وسلم اخبرني جبريل عن فضائل عمر ففال لوحدثتـك عن فضائل عمر ما لبـث نوح في فومه الف سنة الا خمسيـن عاما ما نفدت فضائل عمر(١) وان عمر حسنة من حسنات ابي بكر وكان صلى الله عليه وسلـم فال لفد استبشر باسلام عمر اهل السموات واهل الارض وان الحق لينطـق على لسانه وان من امتي محدثين وان عمر منهـم والله ما سلـك عمر فجا الا سلـك الشيطان فجا غيره وانه اجتمع باويس الفرني وذلـك باخبار النبي صلى الله عليه وسلم وانه يشفـع في مثل ربيعة ومضر .

واما غزوات عمر على ما ذكره المؤرخون فثلاثمائـة غزوة منها المشاهد النبوية كلهـا وهي تسعة وعشرون منها اربع للشام خرج فيها بنفسه ومنها واحدة لفتح بيت المفدس ومنها خمسون للروم ومنهـا مائتان واربع وخمسـون ببلاد فارس و بلاد الاعاجـم كل ذلـك مع اصوات و رجفات لاتكاد تنضبط ولا تفي بذكرها المجلدات .

---

(١) كذا في نسختين وفي نسخة اخبرني جبريل عن فضائل عمر وان عمر حسنة الخ وفي اخرى اخبرني جبريل عن خمسين عاما ما نفدت الخ

واما عثمان فغزواته اربع وخمسون غزوة في البحر(١) وكان له في جميعها وقائع عظام ومحاصرات وحروب لاهل الكفر لاتكاد تنضبط بالذكر واللسان والذي في التاريخ غزواته مائة وعشرون غزوة حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع المشاهد النبوية الا بدرا و بيعة الرضوان فانه لم يحضرهما لعذر كان به الخ ما ذكره في هذا الكتاب ويجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف وكان يلقب بذي النورين لانه تزوج رقية وام كلثوم بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى الى القبلتين وهاجر الهجرتين هجرة الحبشة هي الاولى ثم هاجر الى المدينة و فضائله لاتعد ولا تحصى ولا تضبط ولا تستقصى ولما كانت الليلة التي قتل رضي الله عنه في يومها رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه وهو يقول يا عثمان فطرك غدا عندنا فقتل رضي الله عنه في ذلك اليوم وهو يوم الجمعة بعد صلاة العصر ودفن يوم السبت قبل الظهر في ايام التشريق من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة .

واما علي رضي الله تعالى عنه فتولى الخلافة يوم موت عثمان وهو اول من اسلم من الصبيان واول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد معه المشاهد كلها الا غزوة تبوك واسلم رضي الله عنه وهو ابن تسع سنين شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة و زوجه ابنته فاطمة الزهراء وبعث معها اليه لما اتته(٢) خميلة و وسادة من جلد محشوة ليفا ورحيين وسقاء وجرتين فلما قتل عثمان اتى الناس اليه وقالوا لابد لنا من امام وانت اولى بها فابى عليهم فلم يزالوا به(٣) حتى بايعوه بالمسجد وحضر طلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص والاعيان كلهم ولم يتخلف عن بيعته الا معاوية ومن كان معه من اهل الشام وانما بايعه الناس لقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثرة علمه وفهمه وشجاعته و زهده وحلمه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت مني بمنزلة هارون

---

(١) في نسخة باسقاط في البحر ـ (٢) في نسخة بما اتته به ـ (٣) في ثلاث نسخ عليه

من موسى وقال رسـول الله صلى الله عليه وسلـم علي مني وانا منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا مدينة السخاء وابو بكر بابها وانا مدينة الشجاعة وعمر بابهـا وانـا مدينـة الحياء وعثمـان بابهـا وانا مدينـة العلـم وعلي بابها الى غير ذلـك مما قاله صلى الله عليـه وسلم في شأنه وكان علي رضي الله مشهورا بعلم قلبي افاضه الله عليه بدعائه صلى الله عليه وسلم له فكان يستخرج من الحروف المقطعة التي في اوائل السور وقائع الغزوات ودقائق المغيبات وليس في العلوم الغريبة علم الا وينتهي اليه رضي الله عنه وعلي استنبـط النحـو واملى على ابي الاسود الدؤلي .

ومن وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم له اكظم غيضك يا علي فيملا الله قلبك نورا وصدرك علما وحلما ورحمة واستر عيوب الناس فيستر الله عيوبك في الدنيـا والاخـرة ولا تعير احدا بما فيه فيبتليك الله ويعافيه جالـس الفقراء فـان رحمـة الله لا تفارقهـم مجالسة الاغنياء تميـت القلب وتنسي المـوت ومجالسـة الفقراء تحيي القلب وتذكر ما عند الله من الفضل للسعيد ثـلاث علامـات قول الحـق ولو على نفسه والرغبـة في طاعة الله والفرار عن معصية الله وللشقـي كذلـك جمود العيـن وقساوة القلب وحب الدنيا وقال ايضا لا فقر اشد من الجهل ولا مـال اكثـر من العقل ولا ورع احسن مـن الكف عن محارم الله ولا معيشة اهنأ من العافية ولا حسنـة اعظم من البر وحسن الخلـق ولا سيئة اشد من الحدة وسوء الخلق ولا عبادة كالتفكر في عبادة الله وقـال ايضا كـن عالمـا او متعلما ولا تكن الرابع فتهلك وهو الذي لا يعلم ولا يتعلم ولا يسمع ووصاياه له كثيرة لا تحصى .

وقال له ايضا كيف بك يا علي اذا زهد الناس في الاخرة ورغبوا في الدنيـا(١) واكلوا التراث اكلا لما واحبوا المال حبا جما الحديث قال اتركهم وما اختاروا واختار الاخرة لنفسـي واصبر على مصائب الدنيا و بلواها حتى الحق بك يا رسول الله قال صدقت اللهم افعل ذلك

(١) في ثلاث نسخ في الاخرة

به وفضائله لا تعد ولا تحصى بدليل ان الله باهى بعلي ملائكة السبع سموات الى غير ذلك وهو الذي فتله ابن ملجم الخارجي اذ ابن ملجم فال انا اكفيكم عليا واما البرك فال انا اكفيكم معاوية وفال عمرو بن بكر انا اكفيكم عمرو بن العاص وهم رؤساء الاسلام وذلك ان عليا فتلهم يوم النهروان حتى كاد ان ياتي على آخرهم وهذه الطوائف كلها خوارج وافترفوا في الاعتفاد فكل على الضلال لاسيما من يعتفد ألوهية علي وفد فاتاهم واحرفهم على ذلك فلم يرجعوا فيل دفن علي وهو اول امام خفي فبره لانه اوصى بذلك لعلمه ان الامر يصير الى بني امية فيمثلون بفبره وفبور ذريته .

وفد اختلف الناس في موضع دفنه ففيل في زاوية جامع الكوفة وفيل في بفيع المدينة وفيل بالخيف من منى وفيل حمل الى بلاد طيء في تابوت على نافته والله اعلم بذلك كله كيف كان واما غزواته فثلاث وثلاثون غزوة حضر المشاهد النبوية كلها وفتل رضي الله عنه سنة ثمان وثلاثين من الهجرة وكانت خلافته اربع سنين واربعة اشهر وثمانية ايام واما البرك المتفدم فانه وصل الى الشام في تلك الليلة وضرب معاوية في المسجد فاصابه على وركه وكان عظيم الاوراك ففطع منه عرق النكاح فلم يولد له بعد ذلك فاخذه واراد البطش به ففال لهم اخبركم ان عليا فتل في هذه الليلة فلما برئ معاوية فطع يده ورجله واطلفه وكان على البصرة يزيد بن معاوية فلما دخل البصرة فتله وفال يولد للبرك ولا يولد لامير المومنين ومن ذلك الوفت امر معاوية باتخاذ المفصورة واما ابن بكر فاخذه الناس وجلبوه الى عمرو بن العاص ففتله بفتل خارجة .

واما الحسن ففد بويع بعد موت ابيه ثم كتب لمعاوية الى الشام ان حملت شرطي سلمت لك الامر لما رأيت في ذلك من جمع كلمة المسلمين ثم اشترط عليه شروطا ففبلها معاوية وحملها له فيل انه اخذ منه مائة الف درهم وفيل اربعمائة الف دينار وفيل انه شرط عليه ان يمكنه بما في بيت مال المسلمين فمكنه وفد فال صلى الله عليه وسلم فيه ان ابني هذا السيد ويصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فلما اخذ المال خلع نفسه ورجع

للمدينة فعوتب من اجل ذلك فقال اخترت الجماعة على الفرقة وحقن الدماء على سفكه والعار ولا النار ثم بعد ذلك كان يمشي لبيت الله الحرام على رجليه والنجائب تقاد بين يديه من كل جانب عشرين مرة يقول استحيي ان القى الله ولم امش الى بيته وقد خلع (١) عن ماله مرتين لله وعن نصفه ثلاثا وكانت خلافته ستة اشهر وستة ايام تتميما للخلافة التي اشار اليها صلى الله عليه وسلم فانه قال الخلافة بعدي في امتي ثلاثون سنة ثم ترجع ملكا بعد ذلك فكانت خلافة الحسن تمام الثلاثين سنة بعده صلى الله عليه وسلم ومات الحسن رضي الله عنه ابن سبع واربعين سنة .

﴿ فائدة ﴾ لما بلغ عمر بن عبد العزيز الغاية في العدل والانصاف والانتصاف حتى أنه نزع ما في يد اقاربه من اموال السلطان وعزل من لا يراه اهلا لذلك أعطوا الف دينار لخديمه الذي كان ياتيه بطعامه وشرابه وقت افطاره على ان يلقي له السم في اكله وشربه فلما استقر في جوفه قال للخديم ما الذي حملك على هذا قال الف دينار اعطيتها قال هاتها فاتاه بها فطرحها في بيت المال وقال له انج بنفسك قبل ان يراك الناس فيقتلونك بقتلي وكانت زوجه فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تقول والله منذ ولي الخلافة ما اغتسل من جنابة وانما نهاره في شان الخلق وليله في عبادة الله .

ولما بلغ به الداء قال اجلسوني فاجلسوه فرفع يديه الى السماء وهو مستقبل وقال الاهي انك امرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ولكني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ولما كان قبل موته بايام بعث وفدا الى ملك الروم فلما اتوه تلقاهم بالجميل الى ان قال والله الرجل صالح وخير ملك في العرب كان يخاف الله تعالى والله تعالى لا يجمع بين خوفين على عبده ولقد بلغني من بره وفضله وصدقه ما لوكان احد بعد عيسى يحيي الموتى لكان هو وليس عجبي من الرهبان الذين عبدوا الله في الصوامع ورؤس الجبال وبطون الاودية

---

(١) في نسخة انخلع

وانما عجبي من ملككم الذي صارت له الدنيا تحت قدمه لكن اهل الخير لا يفقون مع اهل الشر فكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر ومات وهو ابن اربعين سنة كانت سيرته كسيرة جده من امه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولقد وجدوا بطاقة مكتوبة بخط ابدع من خط العرب سقطت بردة فانكسرت تلك البردة فاذا فيها ورقة فيها بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله العزيز الجبار لعمر بن عبد العزيز من النار فوضعوها في اكفانه .

ولما توفي رحمه الله قال الفرزدق يرثيه

اقول لما نعى الناعون لي عمرا * لقد نعيتم قوام الحق والدين
قد حان للراسيين اليوم من رمسوا (١) * بدير سمعان قسطاس الموازين
لم يلهه عمره عين يفجرها * ولا النخيل ولا ركض البراذين

واما الدولة العباسية فاول من بويع فيهم السفاح واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم سنة ثلاث وثلاثين ومائة فاخذ في قتل بني امية ولم ينج منهم احد الا مستخفيا كعبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك فر من العباسيين واستخفى ببلاد المغرب ثم قطع الى الاندلس فقام في قرطبة سنة ثمان وثلاثين ومائة ملكا وملك الاندلس كلها وورث فيه الملك لبنيه واخوانه فدامت خلافتهم اي بني امية بالاندلس الى سنة سبع واربعمائة نحو الثلاثمائة سنة فظهر الشرفاء بنو حمود بالاندلس فيها سبع سنين فقام عليهم الثوار الخ ثم بويع اخو السفاح ابو جعفر المنصور ولما كان بطريق الحج جاز بموضع يقال له الصافية فقال صفا امرنا ان شاء الله وكان عابدا ناسكا بخيلا بالاموال الا في النوائب وعند مستحقها ولما استقر الملك في يده بنى الخضراء اي قصره الجعفري .

ثم مات وولي ابنه محمد المهدي ابن ابي جعفر المنصور سنة ثمان وخمسين ومائة فكانت

---

(١) هكذا في جميع النسخ وفي مروج الذهب « قد غيب الرامسون اليوم اذ رمسوا »

خلافته عشر سنين وتمكنت له الخلافة تمكينا عظيما وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبنى مدينة بين دجلة والفرات الخ .

قال اهل التاريخ ان محمدا المهدي ليس هو المهدي الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي مني وانا منه وقال صلى الله عليه وسلم يكون في امتي المهدي يعيش تسعا او سبعا يواطيء اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي يملا الارض قسطا وعدلا قد تسمى بالمهدي محمد بن الحنفية واليه انتسب جميع خوارج المشرق وقد اختفى في آخر عمره والمهديون كثيرون والثامن منهم هو المذكور المنتظر اجمع عليه العلماء الف فيه محمد بن العربي الطائي كتابا سماه عنقاء مغرب في معرفة شمس الاولياء وقطب المغرب(١) وهو رجل محقق عارف مشهور في الولاية وهذا المهدي المنتظر هو المذكور في الاحاديث لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في امتي المهدي يحثى المال لطالبه حتى لا تدع السماء في زمانه قطرة الا صبتها ولا تدع الارض نباتا الا اخرجته حتى يتمنى الاحياء ان ترجع امواتهم للدنيا وقال صلى الله عليه وسلم يكون اختلاف عند موت خليفة فيبايع الناس رجلا بمكة وهو كائن بين الركن والمقام وغير ذلك من الاحاديث المشهورة في ذكر الفاطمي المهدي وانما ذكرنا هذا لئلا يظن ان المهدي واحد وقد قال صلى الله عليه وسلم لا مهدي الا عيسى ومعناه لا مهدي كعيسى كقول القائل لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي اي لا سيف كذي الفقار ولا فتى كعلي هذا معناه .

[ثم بويع لموسى الهادي يوم مات ابوه وكان سنه اربعا وعشرين سنة بعهد من والده](٢) وتوفي موسى الهادي ولم تكن ولايته الا سنة وخمسة واربعين يوما .

وبويع هارون الرشيد يوم موت اخيه موسى الهادي بولاية ابيهما لهما وولد لهارون الرشيد في تلك الليلة عبد الله المامون فمات في تلك الليلة خليفة وتولى خليفة وولد خليفة

(١) كذا في جميع النسخ وفي كشف الظنون وبروكلمان عنقاء مغرب في معرفة ختم الاولياء وشمس المغرب — (٢) ما بين القوسين لا يوجد الا في نسخة واحدة

في وقت واحد ومن حلمه وعفوه ان رجلا قام عليه في اطراف مملكته ومالت عنه كافة الخلق الى ذلك الرجل فجهز له الجيوش وانفق عليه الاموال العظام ولم يزل حتى اخذه بعد حروب كثيرة مات فيها ابطال هارون فلما اتي به اليه قال له هارون ما تريد ان اصنع بك الان قال اصنع ما تريد أن يصنع الله بك بين يديه غدا قال هارون انما اريد ان يعفو الله عني قال له وانا اريد ان تعفو عني قال له قد عفوت عنك اذهب حيث شئت فلما خرج قال وزراؤه هذا الذي اجرى عليك الفساد وقطع ابطالك وخسرت عليه اموالك حتى مسكته ثم اطلقته فأمر به فرد اليه فقال له يا أمير المومنين ان الملوك اذا عفوا لم يندموا فان كان هؤلاء قد أندموك فلا تطعهم فان الله لو أطاع الخلق فيك ما ولاك قال صدقت ثم امر له بصلة من المال وصرفه على خير وكان شجاعا مجاهدا في الكفار وله وقائع عظيمة ومن يوم ولايته لا ينام حتى يوتر ولا يوتر حتى يصلي مائة ركعة وكل ليلة يتصدق بالف درهم .

وقد قال الغزالي لما هنأه العلماء في الولاية تخلف سفيان الثوري وكان اخا له في الله فكتب له هارون بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون الرشيد امير المومنين الى اخي سفيان الثوري اما بعد فقد علمت ان الله تعالى آخى بين المومنين وكان فيما بيني و بينك مواخاة لم نصرم منك حبلك * ولم نقطع منها ودك واني منتظر لك * وقد علمت بفضل المحبة ولولا قلادة الامارة لاتيتك وقد زارني جميع الناس واخواني واعطيتهم الجوائز السنية وانني انتظرك وقد استبطأتك فلم تاتني فكتبت شوقا مني اليك ولقد علمت فضل زيارة المومن ومواصلته فاذا ورد عليك كتابي هذا فالعجل العجل فلما وصل الكتاب للكوفة لسفيان كتب له في ظهر كتابه بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الميت سفيان بن سعيد بن منذر الثوري الى العبد المغرور هارون الرشيد الذي سلب حلاوة الايمان اما بعد فاني قد صرمت حبلك * وقطعت ودك * وخليت موضعك * وانك قد جعلتني شاهدا عليك باقرارك على نفسك بانفاقك بيت مال المسلمين على غير حقه وانفدته بغير حكمة ثم اشهدتني واخواني الذين شهدوا قراءة كتابك على

نفسك (١) غدا بين يدي الله يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم فهل رضي بذلك الفقراء والمساكين والمؤلفة قلوبهم والعاملون عليها والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل والارامل والايتام ام رضي بذلك خلق من رعيتك فاعمل للمسألة جوابا * وللبلاء جلبابا * عند وقوفك بين يدي الملك العدل وقد سلبت حلاوة العلم ولذيذ القرآن ومجالسة الاخيار ورضيت لنفسك ان تكون ظالما وللظالمين اماما فجلست على السرير * ولبست الحرير(٢) * واسبلت الستور * واقعدت الاجناد على بابك يظلمون ولا ينصفون ويشربون الخمر ويجلدون الناس عليها ويزنون ويحدون الزناة ويسرقون ويقطعون السارق وانت شريكهم في ذلك كله لانك لم تحكم عليهم ولابد من النداء غدا وامتازوا اليوم ايها المجرمون اي الظلمة واعوان الظلمة فتتقدم بين يدي الله ويداك مغلولتان الى عنقك لا يفكهما الا عدلك وانصافك والظالمون حولك وانت سائقهم الى النار وقد جعلت حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة على ظلمة واحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي فاني قد نصحتك واتق الله في نفسك وفي رعيتك واحفظ محمدا في امته واحسن الخلافة عليهم واعلمهم ان هذا الامر لو تركته لغيرك لم يصل اليك وهو صائر الى غيرك لا محالة لان الدنيا تنتقل باهلها واحدا بعد واحد فمنهم من تزود زادا نفعه ومنهم من خسر الدنيا والاخرة اني احسبك ممن خسر الدنيا والاخرة ولا تكتب الي كتابا بعد هذا فلا اجيبك عليه والسلام ثم دفعه للذي جاء به وهو عباد الطيالفي منشورا غير مطوي ولا مختوم فوقعت الموعظة في قلب عباد وخرج للسوق ولبس مدرعة صوف خشنة وعباءة ونزع ثياب الاجناد والقاها على البرذون وساقه(٣) خلفه الى هارون فلما رآه الناس هزؤا به وهو لا يبالي بقولهم فلما دخل على هارون صاح صيحة عظيمة وبكى هارون وقال انتفع والله الرسول وخاب المرسل ما لي وللدنيا

(١) هكذا بياض في نسختين ولم ينبه عنه في غيرهما — (٢) في ثلاث نسخ الاثير — (٣) كذا في ثلاث نسخ وفي نسخة أمامه

مالي وللملك يزول عني ثم اخذ الكتاب وجعل يقراه ويبكي وينتحب فقيل له يا أمير المومنين قد اجترأ عليك سفيان فقال اتركوني يا عبيد الدنيا المغرور والله من غررتموه والشقي والله من اشقيتموه اتركوا سفيان وشانه ثم لا زال يفتح كتاب سفيان ويقراه وهو يبكي وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة واياما ولد بالري ومات بطوس وهو ابن سبع واربعين سنة ومات سنة ثلاث وتسعين ومائة من الهجرة .

وبويع محمد الامين يوم موت ابيه هارون الرشيد فلما استقرت له الخلافة القى(١) اخاه المامون على كور خراسان وكانت ولايته اربع سنين وثمانية اشهر فلما صارت له الخلافة وبلغ ماله الفضل بن الربيع أغرى اخاه المامون في بلاد خراسان فخالف عبد الله المامون على اخيه محمد الامين فحاصره في بغداد وجرت بينهم وقائع عظام الخ .

قال اهل التاريخ قتل الامين وهو ابن ثمان وعشرين سنة فلم يشتغل بولاية الا باللهو والطرب * واللذة واللعب * وهي علامة الخراب قال الشاعر

إذا ترى ملكا باللهو مشتغلا * فاحكم على ملكه بالزيل(٢) والخرب
او ما ترى الشمس في الميزان ساقطة * اذ كان ذلك بيت اللهو والطرب

وبويع عبد الله المامون وبايعه جميع العلماء والامراء في كل بلد الا الاندلس لبعده ولفصل البحر بينه وبينه وكان فقيها عالما لاسيما علم النجوم فانه لا نظير له فيه الا انه كان معتزليا يقول بخلق القرآن ويعاقب من لم يقل به ولم يكن في العباسيين اعلم منه وقد تبع شيخه ابا الهذيل البصري المعروف بالعلاف رئيس المعتزلة وفي ولايته امر باحضار احمد بن حنبل بعد ان اختفى فدعا عليه فمات في ليلته .

وفي خلافة المامون مات الامام الشافعي وهو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان ابن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف رحمه الله سنة اربع ومائتين وهو ابن اربع وخمسين سنة .

(١) كذا في ثلاث نسخ وفي نسخة أولى — (٢) في نسخة بالنقض

وبويع ابراهيم المعتصم بالله بن هارون الرشيد يوم موت اخيه عبد الله المامون بالموضع الذي مات فيه في غزوة بلاد الروم وكانت ولايته ثماني سنين وثمانية اشهر وكان اشجع الناس اعطاه الله قوة زائدة على الخلق وكان اميا لا يقرأ وقد رفع الحمار الواقع في الطين لقوته وشدة تواضعه وهذا الحمار لشيخ كبير السن فلما اخرجه غسل اطرافه وامر له باربعة آلاف درهم وهو يدعو له ومع ذلك امر بعض خدامه به الى ان اوصله الى بيته وكان يجتمع عليه الاتراك ويلبسهم الديباج وغيرهم من العساكر مما لا يحصى عددا وفي سنة ست وعشرين ومائتين مات بشر الحافي رضي الله عنه ببغداد ومحمد بن كثير المدني وابو دلف وعشرون من الائمة وفيها مات المعتصم بفصده الخاقاني وكان قبض على الامام احمد رضي الله عنه وكان في سجن اخيه المامون منذ ثمانية وعشرين شهرا فاخرجه المعتصم واقام له مجلسا للمناظرة وبقي ثلاثة ايام يراوده على القول بخلق القرآن فابى فامر بضربه فضرب ثمانية وثلاثين سوطا وسقط كانه مغشي عليه فنخسه السياف براس السيف فلم يتحرك فايسوا من حياته ورموه فحمل لمنزله فاستفاق ولم يبرأ الضرب من ظهره حتى مات رحمه الله بعد سنين متطاولة .

قال ابن الجوزي ولد الامام احمد سنة اربع وستين ومائة وتوفي سنة احدى واربعين ومائتين ولم يمت حتى جعل كل من ضربه او تسبب في ضربه في حل وحضر جنازته ثمانمائة الاف من الرجال وستون الفا من النساء واسلم يوم موته نيف وعشرون الفا من اليهود والنصارى والمجوس وكان اكثر دعائه اللهم يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لنا كل شيء ولا تسألنا عن شيء .

ولما مات المعتصم وتولى بعده الواثق بالله شدد على الامام احمد اكثر مما شدد عليه المعتصم الى ان مات الواثق بالله وولي المتوكل على الله فامر باخراجه من السجن واكرمه وقد ضرب ثمانية وثلاثين سوطا وغشي عليه فبلغ الضرب ثمانين سوطا ولم يحس به فظنوا انه ميت وهذه عادة الاكابر من اولياء الله تعالى ليعظم ثوابهم في الاخرة .

وكذا ابن المسيب حلقت لحيته و ربط الى خشبة في ليلة باردة والماء يقطر عليه وسكنته علة البرد حتى مات وكذا ربيعة ضرب وحلقت لحيته وضرب ابن سيرين ومحمد بن المكندر ومالك بن انس ويحيى بن ابي كثير ووهب بن منبه وعبد الرحمن بن الاسود وابن ابي ليلى وثابت البناني وبهلول بن راشد وخلق كثير وذلك كله من غير جريمة ولكن بلاء من الله وكرامة لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل .

وبويع الواثق بالله واسمه هارون بن محمد بن هارون الرشيد وكانت خلافته خمس سنين وستة اشهر وهو الذي قطع القول بخلق القرآن واظهر السنة وكان واسع المعروف متفقدا للرعية .

ومن وصية شيخه له لا تدع احسان محسن عدوا كان او صديقا وخذ الحق من الوضيع والرفيع وخذ من كل شيء احسنه حتى من الكلب والخنزير والغراب فمن الكلب الاقرار بالمعروف ومن الخنزير البكور الى المنافع ومن الغراب شدة الحذر الخ .

وبويع المتوكل على الله بن جعفر المنصور فلما بويع قطع القول بخلق القرآن واظهر السنة وصار يقتل المعتزلة حتى فقدت المعتزلة ولا لهم ذكر غير انه كان يكره عليا فكان ذلك سببا في قتله على يد ولده المنتصر وكانت خلافته اربع عشرة سنة وكان كثير الاكل كسليمان بن عبد الملك والحجاج وغيرهم حتى انه ياكل في اليوم مائة رطل من الطعام بالعراقي وفي ايامه رجفت دمشق ومات بالهدم فيها خلق كثير وفيها ايضا انكفات قرية من دمشق على اهلها فلم ينج منهم احد وكذا زلزلت انطاكية فمات منها ما يزيد على عشرين الفا بالردم وفي ولايته ايضا وقع حجر من السماء في ناحية طبرستان وزنه ثمانمائة واربعون مثقالا وقد غاص في الارض اربعة اذرع وسمعت هدته على مسيرة ستة عشر فرسخا وفيها ايضا خسفت ثلاث عشرة قرية من قرى القيروان فلم ينج منهم الا اربعة عشر شخصا فاسكنهم امير القيروان خارج المدينة وقال لهم انتم من المغضوب عليهم فلا

تدخلوا عندنا وفيها ايضا رجمت فرية من نواحي مصر بخمسة احجار في كل واحدة خمسة ارطال واحرفت كل ما مسته وكذا طائر ابيض دون الرخمة ووفف الغراب يصيح بلسان عربي مبين ايها الناس انفوا الله الخ وكذا سفط طائر ابيض على جنازة رجل يصيح بالفارسية ان الله يغفر لهذا الميت ولمن حضر جنازته وكذا زلزلت انطاكية فسفط فيها الف وخمسمائة دار ووفع من سورها نيف وتسعون برجا ولما بنى فصر الجعفرية فال لابي العيناء كيف ترى هذا الفصر فال الفصر في الدنيا وانت تبني الدنيا في الفصر وفي ولايته مات احمد بن حنبل رضي الله عنه ودفن بباب حرب بالجانب الغربي .

وبويع المنتصر بالله بن جعفر المنصور سنة سبع واربعين ومائتين وكانت ولايته ستة اشهر ولما رجع من حجه دخل الحمام ثم احتجم فحم ومات من فوره وفيل احتجم بحديدة مسمومة .

وبويع ابن عمه المستعين بالله بن المعتصم يوم موت المنتصر وذلك سنة ثمان واربعين ومائتين .

وبويع محمد المعتز بالله ابن المتوكل على الله سنة اثنتين وخمسين ومائتين وكانت خلافته اربع سنين وستة اشهر ايامه ايام فساد وفتنة .

وبويع جعفر(١) المهتدي بالله سنة خمس وخمسين ومائتين وفد فطع الملاهي وفطع شرب الخمر من جميع بلاده وطاعته ونفى المغنين والمغنيات حتى لم يدع في ايامه منكرا ولا باطلا وكان يفول استحيي ان يكون في بني امية عمر بن عبد العزيز ولا يكون في بني العباس مثله وكان يصوم الدهر ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر فلم يرد ذلك الاتراك فهربوا منه لما فطع عليهم الخمر وخالفوا عليه فهرب اهل الفساد الى الترك واهل الصلاح الى المهتدي ووفع بينهم الحرب العظيمة واشتدت الفتنة وانفطعت الطرف وحاصروه في فصر الخلافة بعد

(١) كذا في جميع النسخ والمشهور في كتب التاريخ ان اسمه محمد بن الواثق

أن فتل من المغاربة الذين معه خلق كثير وفتل من ابطاله نحو الاربعة آلاف فخرج المهتدي بالمصحف في يده يدعو الى الحق والى نصرة الدين فغدره طبيع اخو بابك واخوه حيا وحملوه الى دار الخلافة وربطوا انثييه حتى فتلوه وكانت خلافته احد عشر شهرا واياما .

وبويع المعتمد على الله احمد ابن المتوكل على الله يوم فتل عمه المهتدي بالله فاستوزر ابن عمه الموفق بالله ولم يدع لنفسه الا اسم الخلافة فلما مات الموفق بالله استوزر ابنه المتفضل بالله الخ وكان مولعا بالطرب وآلاته والغناء ونغمانه فانظر انواعه في هذا الكتاب وقد فيل

من لا يهيجه الروض وازهاره * ولا يسليه العود واوتاره
فذلك فاسد المزاج * فما لداء علته علاج (١)

فقال المعتمد احسنت فكم هي ايفاعه وطرفه الثفيل الاول وخفيفه والثفيل الثاني وخفيفه والرمل الاول وخفيفه والهزج وخفيفه الخ وما كان اشتغاله الا بامور اللهو .

وبويع المعتضد بالله واسمه احمد سنة تسع وثمانين ومائتين وكانت ولايته ست سنين وستة اشهر وفي ايامه وايام ابنه بعده صلحت الدنيا واخذ الناس بالملاطفة والرفق فارتفعت الحروب ورخصت الاسعار الا انه كان شحيحا بخيلا وكان كثير الجماع فاعتل من ذلك ومات وفي هذه السنة وفعت زلزلة بمدينة (٢) مات من اهلها في ليلة واحدة بالردم مائة وخمسون الفا .

وبويع ابنه المكتفي بالله بمدينة السلام واسمه علي بن احمد وكانت ولايته خمس سنين ونصفا(٣) فام عليه الفرمطي ابن مهرويه(٤) فخرج على طريق الركب واخذ الحجيج فخرج اليه المكتفي واخذه وفتله شر فتلة وكان يحب علي بن ابي طالب رضي الله عنه ويكرم ذريته ويحسن اليهم ولما فتل الفرمطي مرض بالدرب ومات .

---

(١) كذا في جميع النسخ فليحرر — (٢) بياض في جميع النسخ — (٣) كذا في جميع النسخ — (٤) كذا في جميع النسخ

و بويع اخوه المقتدر بالله وهو ابن ثلاث عشرة سنة ولم يبايع احد قبله اصغر منه سنا فقام عليه المرتضى بالله مع يونس الخادم ثم بقيت الخلافة له بعد هروب يونس الخادم اربعا وعشرين سنة واحد عشر شهرا ثم قتله يونس الخادم بقتل المرتضى .

و بويع محمد القاهر بالله فكانت ولايته سنة وستة اشهر ولما ولي (١) المقتدر وعذبها حتى ماتت ثم(٢) اخذ في ارتكاب الفواحش واستباح المحرمات مما لا يحل ذكره في الاسلام فقامت العامة مع الاجناد فخلعوه وسلبوا جميع الاموال واستباحوا دار الخلافة فكان بعد ذلك يطلب الصدقة على باب جامع بغداد بعد ست سنين ونصف نعوذ بالله من سوء القضاء .

وبويع احمد الراضي بالله ابن المقتدر بالله .

ثم بويع المتقي بالله وكانت خلافة الراضي ثلاث سنين غير شهر وخلافة المتقي ثلاث سنين واحد عشر شهرا .

و بويع عبد الله المستكفي بالله فكانت خلافته سنة ونصفا .

و بويع ابو الفضل المطيع بالله ودام فيها ثلاثين سنة .

و بويع عبد الكريم الطائع بالله يوم خلع ابيه نفسه وذلك سنة اربع وستين وثلاثمائة وهو في سن الخمسين اكبر سنا من العباسيين ثم اصابه داء الفالج الخ .

و بويع ابو العباس احمد القادر بالله وكان كثير الدين والصدقة يحب الفقراء و يؤثر التبرك بهم ودام في الخلافة احدى واربعين سنة وثمانية اشهر وتوفي ابن سبع وثمانين سنة سنة اثنتين وعشرين واربعمائة وله مصنفات في اقامة السنة وذم المعتزلة والروافض وكان يختم القرآن في كل جمعة .

وبويع ابنه القائم بالله وكان يحب الصالحين ويعز العلماء ويحترمهم غاية الاحترام وما

---

(١) بياض في جميع النسخ — (٢) في نسخة باسقاط وعذبها حتى ماتت ثم

تجرد من ثيابه لنوم منذ ولي الخلافة الى ان توفي سنة سبع وستين واربعمائة وكانت خلافته اربعا واربعين سنة وثلاثة اشهر .

وبويع ابن ابنه المقتدي بامر الله يوم موت جده وكانت ايامه طيبة وعمرت بغداد .

وبويع المستظهر بالله ابنه بامر ابيه كان محبا للصالحين وقطع الظلم في زمانه جملة وانصف المظلوم من الظالم لين الجانب مع الرعية يجري في الخير دائما فدامت خلافته خمسا وعشرين سنة وثلاثة اشهر وتوفي سنة اثنتي عشرة وخمسمائة .

وبويع ولده المسترشد بالله وكان شجاعا مهابا الى ان قتلوه مكرا .

وبويع ابنه الراشد بالله جعفر بن المسترشد بالله الى ان قتله الفدرية ولما مات ترك بضعا وعشرين ولدا من الذكور .

وبويع بعده عمه المقتفي بالله وانما سمي بذلك لانه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قبل خلافته بسبعة اشهر فقال له يصلك هذا الامر فاقتف فكان لا يخالف السنة في امر الملك وفي دولته زلزلت الارض فمات فيها بالردم مائتنا الف وثلاثون الفا وزلزلت مرة اخرى في جلوان(١) حتى تقطعت الجبال وهلك بها اكثر الخلق وزلزلت من الشام ثلاثة عشر بلدا منها ما هلك جميعه ومنها ما بقي منه القليل .

وبويع بعده ابو المظفر يوسف المستنجد بالله بعهد ابيه له بذلك .

ومن عجائب ما رأى ليلة موت ابيه رأى ملكا في صفة شخص نزل من السماء وكتب له في يده اربع خاآت في الالفاظ الاربعة (اي يلي الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة) وكان ذا عدل وانصاف وخلافته احدى عشرة سنة .

وبويع ابنه على المستضئ بنور الله ولم يكن في الملوك العباسيين من يعظم العلوم مثله توفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة وكانت خلافته تسع سنين ونصفا واحتجب عن الناس فلا يدخل عليه الا وزيره .

(١) كذا في جميع النسخ

وبويع ابنه احمد الناصر لدين الله فبسط العدل وغير المنكرات وكسر آلات الملاهي والطرب وازال المكوسات في جميع البلاد فكثرت الارزاق ورخصت الاسعار وعمرت بغداد وسعد الخلق في ايامه ودامت خلافته سبعا واربعين سنة الى ان توفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة وهو ابن سبعين سنة وكان يدور بالليل في الاسواق ويحرس البلد بنفسه وفي جميع البلاد عيون تستخبر الخلق في ظلم الرعية حتى ظن الناس انه من اهل الكشف ثم اصابه داء الفالج فيه سنين سنة الى ان مات(١) .

وبويع ابنه الظاهر بامر الله يوم موت ابيه وكان في سيرة ابيه فدامت خلافته ثمان عشرة سنة وصلته كثيرة لا سيما العلماء وحبس الاحباس على المدارس والمساجد وكان جنده الف(٢) فارس وخطب له بالاندلس وبالمغرب الاقصى ثم هجم عليه حاجبه فقتله سنة ست وخمسين وستمائة .

وبويع بعده ابن عمه المستعصم بالله وهو آخر الخلفاء العباسيين العراقيين وكانت دولتهم خمسمائة سنة وعشرين سنة .

وبويع المستكفي بالله سليمان بن الحاكم بامر الله واستمر في الخلافة سبعا وثلاثين سنة وتوفي سنة احدى واربعين وسبعمائة .

وبويع المستعين بالله ونزل بالاسكندرية فبقي بها الى ان مات بالطاعون سنة ثلاث وستين وسبعمائة .

وبويع المعتضد بالله ابو الفتح والفى في موضعه اخاه المستعين بالله واستقرت الخلافة للمعتضد حتى مات سنة خمس واربعين وثمانمائة .

وبويع المستكفي بالله العباسي بعد موت اخيه المعتضد سنة خمس واربعين وثمانمائة .

قال الصفدي فكانت عدة ملوك العباسيين سبعة وثلاثين خليفة وكانت مدتهم خمسمائة

---

(١) كذا في جميع النسخ — (٢) كذا في ثلاث نسخ وفي نسخة مائة الف

سنة وعشرين سنة كما سبق واول من تسمى باسم الاضافة الى اسم الجلالة المعتصم انتهى من عقود الجمان في مختصر اخبار الزمان للعلامة الشيخ محمد الشاطبي باختصار من ابواب شتى والتقاط من نصوص فصوص الاسطار * مع التقديم والتاخير بحسب ما ظهر للانظار * وذلك كقطرة من أقطار البحار * وانما نقلت ذلك واسسته هنا اي في رحلتي هذه تبركا بهم واغتناما * وتكريما لهم وتعظيما واتخذت ذلك بين بني امية وبينهم سبيلا قواما .

واما ملوك مصر وهم العبيديون الذين تسموا الفاطميين فساذكرهم بعد ان شاء الله عند التحدث على احوال تونس إن يسر الله ذلك وهم ليسوا من ذرية فاطمة ولكن من ذرية علي وسبب تسمينهم بذلك في هذا الكتاب .

ومن عجائب ما وقع في الارض جزيرة الاندلس دارت بها البحور من كل جهة وليس لها الا باب واحد من ناحية المشرق ووسعه مسيرة يومين .

ومن عجائب النيل ان جميع انهار الدنيا تجري للمشرق او المغرب ولا يجري للشمال نهر الا النيل فانه يشق خط الاستواء ويسير الى بلاد الحبشة الى بلد كوكو الى اسوان الى مصر الى ان يقع في بحر الروم من مدينة تِنِّيس ومدينة دمياط واذا قل ماء جميع الارض تقوى النيل وزاد وفاض فيخرج على الارض عشرين ميلا واكثر واقل بحسب انخفاض الارض وارتفاعها وفيه سمك كبير يمسح السمك بجناحيه ثم يلتقمه بفيه والنيل ينزل من جبال الذهب المجلوب منها التبر وتسمى جبال توتا ثم ينتهي الى جبل الاركان الى الزنج الى الحبشة الى مصر الى البحر .

واما صحاري هذه الجزيرة فعجائبها لا تسع هنا وقد شق هذه الجزيرة جبل درن وهو من اكبر جبال الدنيا الطرف الغربي منه متصل بالسوس والطرف الشرقي ينتهي الى قرب مصر وفيه معادن مختلفة من جميع احجار الارض واجناسها وقد عمرت البربر هذا الجبل من اوله الى آخره واكثرهم من ناحية المغرب الاقصى واحوال البربر من ملوكهم وقوادهم وعلمائهم وقضاتهم مما يبهر العقول .

وفد ادعى النبوءة من البربر ثلاثة صالح بن طريف * وعاصم بن جميل * وحميم بن من الله * وفد شرع لهم شرائع صلاتين غدوة وعشية وصوم الاثنين والخميس وعشرة ايام من رمضان واحل اكل الخنثى من الخنازير وامر بتذكية الحوت وحرم رؤس الحيوانات كلها وفتله الناصر الاموي وفتل كل من معه ممن خالف السنة ثم اهلك الله الجميع والبربر فد تدينوا فبل الاسلام باديان شتى فمنهم من تنصر ومنهم من تمجس ومنهم من تهود ومنهم من كان كالبهائم لادين له وانما اسلموا في خلافة معاوية بن ابي سفيان اذ بعث عفبة بن نافع الفرشي الى افريفية بعد ان فتحها المسلمون في خلافة عثمان ابن عفان .

فنزل ارض الفيروان فاختارها للعمارة وكانت لا ياويها الا الوحوش والهوام فصار يفول لها اخرجي ايها الوحوش والهوام باذن الله تعالى فبفيت ارض الفيروان اربعين سنة لم ير فيها شيء من الهوام المؤذية ولا السباع العادية ثم شرع في بناء مدينة الفيروان وفال لهم هذه اوسع لابلكم وامان عليكم من روم الفسطنطينية وافرنج الجزيرة الخضراء فتوجه عفبة الى المغرب يستفتح مدينة بعد مدينة وهو يفاتل البربر فافتتلوا فتالا عظيما فانهزم البربر فكان فتال المسلمين لهم ذريعا وانهزم البربر والمسلمون خلفهم بالفتل والسبي الى ان وصلوا الى البحر المحيط الغربي من بلد اسفي فادخل عفبة فوائم فرسه في البحر ثم انصرف راجعا لا يفدر احد ان يعترضه فلما وصل جبل اوراس بافريفية فتله كسيلة ابن كمر الاوراسي ابن المصوار بموضع يفال له تهودة وذلك سنة ثلاث وستين من الهجرة .

ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بفوة دين البربر كما روت فاطمة عنه في فصة جاريتها التي اعطتها صدفة وهي معلومة وفالت لها امضي الى السوق من يفبل منك صدفة فأتيني به فمضت وهي تفول من يفبل صدفة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ففال رجل مغربي انا موضع صدفة آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطته الصدفة وفالت له اجب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فال السمع والطاعة فلما بلغ الى الباب نظرت اليه

باطمة رضي الله عنها وبكت وفالت هذا رجل بربري وفد فال لي والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبيء حواريون وحواريو ذريتي البربر يا باطمة سيفتل الحسن والحسين ويبر اولادهم بلا ياويهم احد الا البربر بيا شؤم من بعل بهم ذلك وطوبى لمن اكرم ذريتي واعزهم اذ انهم سيفومون بهذا الدين على المنهج الواضح وكاني انظر الى البربر على الخيل الشهب على رؤسهم العمائم والنصر امام اربعين حتى يربطوا خيلهم بزيتون بلسطين ويفسمون الغربيات المنفيات ويبيعونهم بالدراهم والبلوس الى غير ذلك مما روي عنه صلى الله عليه وسلم بي جزيرة الاندلس وبحيرتها .

ومنها يخرج النيل الذي لا اعجب منه ولا اكبر منه نهرا بي الدنيا وهو من عجائب صنع الله تعالى وينبرع منه انهار الى بلاد النوبة والى بلاد جاوة وهي جزيرة وسط البحر فد دارت بها البحور من كل الجهات بمن المشرق بحر الفلزم الاخذ من باب المندب على اليمين الى مدينة الطور الى عجرود ومن جنوبها وغربها البحر المحيط الذي لا يعلم اين منتهاه الا الله تعالى ومن جهة الشمال بحر الخزر وهو بحر الابرنج الى بلد الفدس من ناحية الشام وبي وسط هذه الجزيرة صحاري السودان الحاجزة بين السودان والبربر وفد فال صلى الله عليه وسلم ان بافصى الارض جزيرة يفال لها الاندلس سيكون بيها رجال يامرون بالمعروب وينهون عن المنكر حيهم سعيد وميتهم شهيد ثم يتوارثها فوم يامرون بالمنكر وينهون عن المعروب والذي نبسي بيده كاني انظر الى نسائهم كاشبات الرؤس لا يدرون اين يهربون ولا يجدون مهربا(1) .

ومن بضائلها ما رواه آنس بن مالك رضي الله عنه انه فال فال رسول الله صلى الله الله عليه وسلم جزيرة بالمغرب منفطعة يفال لها الاندلس يسكنها افوام غرباء بي آخر الزمان رباط يوم وليلة فيها يعدل عند الله عبادة خمسين سنة النائم بيها مع عياله على براشه كالضارب منكم بالسيب بين يدي او كالصائم الفائم بي غيرها بطوبى لمن ادركه أثر

(1) كذا بي جميع النسخ

فدم فيها كأثر شهيد متشحط في دمه وشهداؤها افضل الشهداء هي الجزيرة الخضراء الزهراء وان الريح لتحمل ارواحهم الى بيت المقدس الى يوم القيامة فيبعثون مع النبيين الى غير ذلك من فضائلها .

وانما ذكرت هذه [يعني افريقية](١) لوجود النيل منها والنيل اعجب ما في مصر وفد ذكرت بعض عجائبها لان كثيرا من عامة الطلبة بل الخاصة منهم لا يعلمون عجائبها اصلا لا سيما اهل بلادنا فان علم التاريخ منعدم فيهم وسافط عندهم فيحسبونه كالاستهزاء او اشتغالا بما لا يعني او من المضحكة المنهي عنها فترى المتوجه منهم الى الله يرى الكلام فيه مسفطا من عين الله تعالى ﴿ نعم ﴾ ليس من علم يذكر اذ(٢) لا طائل فيه اصلا بل بنفس ذكره عندهم ينكر وكيف ذلك فان علم السير انما هو منه اي سير الانبياء وشمائلهم ووفائعهم وبعوثهم وسراياهم وحججهم وخصائصهم وقصصهم وفد فال تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وان في ذلك عبرة وفد ورد ان تفكر ساعة افضل من عبادة كذا وكذا سنة وفد فال صلى الله عليه وسلم حرفة العالم ستة اشياء اذا ذكر الله افتخر * واذا ذكر نفسه احتقر * واذا تفكر في آيات الله اعتبر * واذا هم بمعصية او شهوة انزجر * واذا ذكر عفو الله استبشر * واذا ذكر ذنبه استغفر * ولا شك ان هذه الاخبار تكون موعظة للمعتبرين * وتذكرة للموفنين * وتبصرة للمتفكرين * ومرتبة العلماء تزيد وتنفص بعلم التاريخ وهذا العلم يوجب للانسان فوة في المحاسن وضعفا في القبائح وبه تعلو الهمة باتصالها بالمعالي من الامور وتدنو بسفاسفها(٣) واكثر القرآن من هذا العلم ومن ذمه يخاف عليه الردة لانه يسري الى ذم القرآن اذ اكثره اخبار الماضين واحوال المتقدمين من الجبارين الهالكين واولياء الله الصالحين فلا تهمل امرك منه وصحح علمك به غير انك اعتمد على صحة الانفال من الكتب الموضوعة في ذلك كهذا المختصر وكتب السيوطي

(١) ما بين القوسين سافط في ثلاث نسخ — (٢) في نسخة ليس من عالم الا ويذكر انه وهو الاصوب — (٣) في نسخة من الامور والعبد من سفافها

وابن اسحاق والسيرة الشامية وغير ذلك من التآليف ﴿ نعم ﴾ ذكرت في هذا التاليف نبذة يستحليها المفتقر الذي ليس له علم اصلا ويتفوى بها المستبصر واني ازيد فيه اخبارا عند وصولي الى افريقية ان شاء الله تعالى .

فلنرجع الى ما كنا بصدده فان عجائب مصر لا يسعها ديوان وهو اننا ارتحلنا من احواز بولاق فنزلنا انبابة ومكثنا فيها اياما بين متردد الى مصر وراجع اليها في فضاء الاوطار ووسعا للانتظار لمن يقصد البر من الحجاج وودعنا كل من يذهب في البحر وقد ذهب اكثر الحجاج فيه ولم تبق الا حثالة قليلة فَهَمَّ شيخ الركب ان يذهب في البحر لما سمع اني راكب فيه فاجمعوا على ان لا اذهب فيه ثم تحولت الى المشي معهم فتركت ما قصدت من الركوب في البحر وآخر من ودعته سيدي احمد الطيب وجماعة من الفضلاء واني ساذكر من ذهب معنا من الفضلاء تبركا بهم .

ولما قضينا حوائجنا من ذلك المحل والحالة ان النيل قد فاض وخفنا الانقطاع بسببه قطعنا لانه يفيض على ارياف مصر كذا وكذا ميلا فلو تاخرنا لاصابتنا مشقة في القطع اذ لا يكون ذلك الا في الزوارق اعني المراكب والسفن وان الشيخ الفاضل الشيخ امنصير النجمي اتى الينا فارتحلنا لقرب بلده الذي هو الرمل قرب كفرجمام وهو بين المنصورة وكرداسة وهي قرية من ارياف مصر وفيها مسجد جمعة واما الشيخ امنصير(١) شيخ العرب فسكناه في الخيم قرب المدشر المذكور وله قوة وشوكة عظيمة على تلك المحال وهو السبب والواسطة في استخلاص مال الحجاج فما اخذه منهم فهو مباح قطعا وقد جرى مع الحجاج كثيرا جزاه الله خيرا وله عقل تام فان تكلم انصف وان سكت انصت واعرف وان تكلم فبحكمة فليس بإمَّعَة فلا يطوي الكلام غير ان ذلك سجية في بعض العرب فما احلاه لو كان عالما عاملا غير جاهل فما احسن العلم ان قارنه الحلم وما اقبح الجهل ان قارنه الظلم رضي الله عنه

(١) ما بين قوله امنصير وبين قوله امنصير ساقط في نسخة

وارضاه وجعل عافيته خيرا وجعل البركة في ذريته فمكثنا هناك مدة قريبة تقرب من شهر وهو شهر ربيع الاول .

وقد حصل لي حال عظيم وهو حال المشاهدة اذ تقوى علي الشهود فغيب عني كل ما سواه من اجل رؤيا رأيتها هناك فاضمحلت الاغراض * وذهبت الاعواض * وزالت الامراض * بجاهه صلى الله عليه وسلم وما بقي في نفسي اعتراض * وتقوى علي ذلك حتى عزمت على الصحاري والقفار * ونبذ الرجوع الى البلد والدار * وترك الاولاد والعيال في يد العزيز الجبار * غير ان الله ثبت فؤادي ومكنني من عنده في علم اليقين حتى رسخ قدمي في الوثوق بالله الى ان رجعت الى وطني ليتم الوعد الرباني في نفع عباد الله العاجزين عن انفسهم وعمن اتصل بهم ممن تعلق بهم فلم يخلفني الله لنفع نفسي فان الاسباب تعذرت علي مباشرة بحيث يتولاها بعض اهل الود من الله تعالى في السفر والحضر .

هذا واني وعدت ان اذكر من ذهب معنا من فضلاء بلادنا من عمالة الجزائر ليتنور هذا الموضع بذكرهم ولتنفع لهم الشفاعة فينا وفيهم ببركة من ذكر في هذه الرحلة منهم الفاضل العالم الود الكريم الولي الصالح الذي اخذ من كل علم بنصيب سيدي احمد الطيب والفاضلان نجلاه سيدي محمد الكبير وسيدي محمد السعيد والفاضل اخوه سيدي بلقاسم وابن عمه الكامل في احواله الفقيه سيدي الصديق وابن خاله الفاضل سيدي محمد السعيد ابن سيدي محمد الصديق والصالح المقبل على الله سيدي الهادي نجل الولي الصالح كما قيل الشيخ سيدي علي المنجلاتي الذي هو شيخ سيدي عبد الرحمن الثعالبي والعالم العلامة في كل الفنون على الاطلاق سيدي احمد عياض واخوه وابن اخيه وولده(١) والكل ادباء فضلاء والولي الصالح من غير شك سيدي الصالح الغربي(٢) المتوطن وطن قجطولة والمحب للخير واهله الفاضل الكامل محب الجميع سيدي علي البجائي المتوطن في الجزائر نجل العالم

(١) في نسخة وولداه ــ (٢) في نسخة العربي

الفاضل المحدث النحوي الفقيه النزيه قاضي بجاية ومفتيها وخطيبها سيدي عبد المومن والعلامة بالتحقيق سيدي احمد الصديق الخطيب معلم ولد السلطان في الجزائر مات في مصر حين رجوعنا من الحج يوم دخول الركب مصر او بعده بيوم او يومين والفاضل سيدي الحاج ابراهيم مات بعد رجوعنا من عرفة فاضلا عالما خيرا واما العامة من الجزائر وكذا من زواوة فعدد كثير نفعنا الله بهم وجعل البركة في ذريتنا بجاههم فقد زاد خيرهم على الفضلاء المذكورين ومنهم الفاضل الخير الشريف سلطان زواوة سيدي محمد بن بوخثوش(١) وصهره من اولاد سحنون فانه فاضل من مدشر جمعة الصهريج من بني فراوصن وهو له دار في هذا المدشر ودار اخرى في قرية الصوامع من بني بوشعايب وقد ذكرته فيما مضى .

ومنهم بعض الفضلاء من اولاد الشيخ الولي سيدي مالك اظن ان اسمه سيدي السعدي(٢) ومنهم الولي الصالح العالم الفاضل سيدي مهنأ الصنهاجي وقد مات في مصر رحمه الله كبير السن ظاهر الشان .

ومن بني عباس الفاضل الفقيه سيدي محمد السعيد بن الطالب والفقيه الفاضل الشريف سيدي محمد بن رفية مع اصحابهما .

ومن اولاد القطب الولي الصالح الواضح سيدي يحيى العيدلي سيدي الشريف وسيدي احمد بن علي ومن اولاد الولي الصالح سيدي محمد صالح سيدي المسعود وسيدي ابن بوستة وسيدي محمد بن الفقيه ومن اولاد الولي الصالح سيدي يدير بن صالح الفاضل الحاج سيدي حمود ومن مدشرهم الفاضل سيدي محمد بن عثمان وابن عمه الفقيه الفاضل سيدي ابو القاسم بن الطيب ومن اولاد الولي الصالح العالم الفاضل واظنه انه شريف حسبما رأيته في طبقات الشرفاء لابن فرحون سيدي مصباح المعلومة مدرسته في مدينة فاس والفاضلان الفقيهان سيدي محمد وسيدي عبد الكريم نجلا الفقيه الكامل سيدي ابن

---

(١) هكذا ورد هنا وانظر صحيفة ٥٣٥ وعدد ١ — (٢) في نسخة السعيد

المبارك وهما من بني يعدل وكذا جماعة من الفضلاء من قرية تفرج الحاج سيدي جودة بن معزة وطالبنا سيدي ابو القاسم بن مدور .

ومن بني يعلى الفقيه الاديب نخبة الفضلاء نجل الولي الصالح ابن الولي الصالح الزاهد العابد المتجرد المقبل على الله سيدي عبد الرحمن بن فرّي ولد الشيخ سيدي بركات ابن الشيخ سيدي محمد بن فري والفاضل القاريء سيدي ابو القاسم بن دحان وجماعة منهم .

ومن زمورة جماعة من احسن الناس وافضلهم سيدي الحاج محمد الفجوطي والحاج محمود بن طالب حسين وسيدي محمد منه .

وجماعة اخرى من بني ورقان ومن وطننا من بني و رثيلان الفاضل الورع العالم الفاضل سيدي احمد بن حمود وابن اخيه سيدي الحسين والفقيه الخير الكامل الصدوق سيدي محمد اليعلاوي بن بطيح والفاضل سيدي يحيى والطالب بن الفقيه .

ومن اولاد الولي الصالح سيدي يدير بن الحاج الفقيه الفاضل ابن المسن المتعبد ذي النسك سيدي احمد نجل سيدي محمد السعيد والفاضل سيدي محمد البهلولي منه ايضا وولد الشيخ الفقيه سيدي عبد الله ابن سيدي احمد بن علي (١) تلميذ سيدي احمد ابن حمود .

ومن اولاد الولي الصالح الفاضل الناصح سيدي عيسى بن الحبيب سيدي محمد السعيد وابن عمه تلميذنا سيدي يحيى ومن اُقِفْسَار الفاضل الحاج عمر والفاضل سيدى ابو القاسم نجل الولي سيدي عمر بن موسى المتوطن في ارض (٢)

ومن قصر الطير الفاضل سيدي محمد بن قسوم والقائد الحاج يونس بن يَلّس والفاضل الكريم سيدي عبد القادر وبعض من الكناوة وبعض الفضلاء من تفاطمة وبعض الفضلاء من اولاد موسى بن يحيى والفاضل المتعبد المقبل على الله سيدي محمد المداسي وجماعة كثيرة

---

(١) بياض لم ينبه عنه في نسخة — (٢) بياض في جميع النسخ

من فصر الطير بلاد ريغـة ومن اولاد سيدي رحاب الفاضـل الفقيه المتوجـه الى الله وفد تزوجت ابنته الفاضلة الحرة الجليلة الشريفة الطالبة عويشـة وتزوج ابني محمد اختها الفاضلـة الجليلة العابدة الطالبة فاطمـة ماتتا في تونس رحمة الله عليهما وفد حج معنا سيدي عبد الله ابن رحاب وزوجه وولده سيـدي محمد بن عبد الله والفضلاء اولاد صوشة وجماعـة من اولاد دراج وجماعة من الزاب كلهم فضلاء من اولاد جلال وغيرهم .

ومن بسكرة الفاضل الكامل سيدي بركات نجل الولي الصالح الغوث الواضح سيـــدي عبد المومن شيخ الركب فيما مضى وجماعة من الفضلاء منها وكذا من سيدي عفبة .

وجماعة اخرى من فرية مدوكال لا سيما اولاد الشيخ سيدي محمد الحاج منهم الففيه الفاضل الكامل الشيخ سيدي محمد المسعود امير ركبنا وولـده الصغير وزوجته وابـن عمـه الفاضـــل سيدي احمد بن ادريس مات رحمه الله في رجوعنا ودفن بعد ارتحالنا من مصر بمرحلتيـن في فصور الرهبان فدفناه في الفصر الطرفاني الغربي الذي يواجه الحاج ذهابـا وانا الذي صليت عليه ومثله الفاضل الكامل المتواضع سيدي احمد بن الجودي وجماعة مع الشيخ كلهم ممن يحب الخير ويسمع له .

ومن المسيلة اولاد الشيخ الفطب الغـوث سيـدي محمد بن عبد الله بن ابيّ جمليـن والفاضل الكامل الاديب سيـدي احمـد وولده وولد الشيخ سيـدي ابي الفاسـم مشهـور وجماعة كثيرة منها وكلهم فضلاء من الترك وغيرهم .

واما اهل عامر فكثيرون وفيهم علماء فضلاء كملاء مفبلون على الله كالفاضـل الففيه سيدي عبد الرحمن بن الزيغم وسيدي محمد الصحراوي وسيدي عبد الرحمن بن السخري وفد مات في الطريق وولده رجع واهل الفضل فيهم كثيرون فانهـم لا يحصون كثرة رجالا ونســاء صفاهم الله من البدع الشنيعة والخصال الدنية بمنه وكرمه لتوافق دعائهم الوافع .

وجماعة من فضـلاء اولاد ابراهيـم وكـذا من اولاد سعيد بن سلامـة وكـذا من اولاد

عبد النور وولد الشيخ سيـدي داود سيـدي احمد ومن قسنطينة كذلك وكذا اهل الخيـر والفضل والكمال اولاد خديم الله من بابور .

ومن بني سليمان جماعة فيهم المحب العارف المجذوب بالتحقيق المقبل على الله بالصدق والتصديق من بني بورمان سيدي سعيد فاني سمعت بنات فكره في الوعظ وطريق الحب بالبربرية سلب العقل يكاد ان يكون كلام ابن عطاء الله وانما فاته لما كان كلامه بغير العربية وقد علم ان المجذوبين في عمالتنا هذه وان كانوا عوامّ لهم كلام في المعرفة والمحبة والوعظ يحرك القلوب ويفتنها غير انه عليه كسوة البربر فالذي يفهمه يذوقه ذوقا معتبرا يسلب العقل .

وكذا جماعة من البليدة فضلاء كرماء وكذا من مازونة ومن غريس ومن معسكر وغيرهم .

ومن اخواننا الشرفاء الزائر لهذه الرحلة العبد الضعيف الحسين بن محمد السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن احمد الشريف نجل الشيخ الولي سيدي علي البكاء البجائي هكذا ثبت بخط جدي وهو ثقة واصله والله اعلم من تفيلالت اي من شرفائها هكذا سمعنا من اسلافنا وهم عن اسلافهم وولدنا الفاضل محمد وزوجته المذكورة وكذا زوجتي المذكورة والاخرى الفاضلة الحرة عائشة بنت الفاضل الكامل سيدي السعيد نجل الشيخ المحقق لا سيما في علم الكلام وقد سمعت ممن سمع منه انه رأى الشيخ السنوسي في نومه فقال وهو يضرب في راسي وهو يقول انت اولى بكلامي يا مسعود وقد كان حجة في علم الكلام في عصره بحيث لا نظير له فيه وقد سمعت ممن سمع من تلميذ العلامة سيدي محمد العياضي انه يتعلم عليه فقال قرانا شهرا قراءة بحث وتحقيق من اول النهار الى آخره من قوله فعلى العاقل ان يكثر من ذكرها الى آخره وهو قراءة ساعة زمانية فان قراءة الفصول قراءة تحقيق غايته يومان وهذا كله من منة الله وفضله عليه فالشيخ الخطيب سيدي المسعود ابن عبد الرحمن نجل الشيخ سيدي محمد صالح نجل الشيخ المعلوم غربا وشرقا سيدي ابي محمد صالح الدكالي تلميذ ابي مدين الغوث مع الشيخ عبد القادر الجيلاني افاض الله

علينا من بركاتهما آمين وابن عمنا الفاضل سيدي الصديق وولده العالم العلامة تلميذنا سيدي محمد صالح وابن عمنا الفاضل سيدي علي الشريف والفاضل الكامل سيدي عبد العزيز نجل خالي سيدي محمد بن الحاج الشريف ومثله الفاضل الفقيه النحوي المتكلم المنطقي الحافظ لكل شيء لا سيما الشعر ابن عمنا سيدي احمد الشريف ومثله الفاضل سيدي ابو القاسم الشريف وكذا ابن عمنا الكامل الفاضل سيدي عيسى الشريف .

ومن اخواننا في الله الفاضل العالم الصالح الصادق سيدي محمد البهلولي و بالجملة فاهل وطننا الخاصة والعامة اهل الفضل فقد ذهبوا من اغبولة ومن بني عفيف ومن بني اشبانة واولاد الخلف و بني ابراهيم كالمقبل على الله الحاج يوسف ومن بني موسى جماعة ومن بني احمد كذلك اعني عرشنا اولاد الحاج وعراصة لاسيما الفاضل سيدي احمد مداح وابن عمه سيدي يحيى احيا الله جميعنا على السنة النبوية واماتنا واياهم على الملة المحمدية بمنه وكرمه وكان لنا ولهم بالبركة في ذرية الجميع .

وانما ذكرت هؤلاء في هذه الرحلة لعل الله ان يمن علينا وعليهم بعطف محمد صلى الله عليه وسلم عطفة من عطفاته تغني الجميع وليعلم الانسان ان الزاد وان كان ركنا في الحج وشرطا فيه فالركن القوي الرفقة المامونة من وطنك وغيرهم ومن وجد مالا ولم يجد رفقة من وطنه فلا يغر بنفسه فان الرفقة خصوصا الاخوان في الله فانهم النافعون فلابد منها واحسن رفقتنا الاخ في الله والمحب من اجله العارف بالله المنفرد بالصدق في الاخوة بفضل الله تعالى سيدي محمد الشريف الطرابلسي النوفلي البلغيثي من المنشية ومعه جماعة من الفضلاء كالفقيه الفصيح سيدي محمد بن عزوز وولده سيدي محمد وغيرهما ووفق الله الكل الى صالح القول والعمل .

﴿ انعطاف ﴾ الى ما كنا بصدده فقد ظعنا من كفر حام بعد اقتضاء بعض ديون الحجاج وشرائهم ما يخصهم من العلف والزاد والخيل واخذ الخبير(١) وجميع ما يحتاجون اليه من

(١) في ثلاث نسخ الخبيز

جهازهم ومراكبهم وملابسهم وكنا نحن ننتظر سيدي احمد بن حمود ان ياتي من مصر وكذا سيدي محمد الشريف واصحابه واصهاره من مسراتة وطن الشيخ زروق فلما قدموا ارتحلنا وذلك بعد ما حصل للحجاج ضيق عظيم من شدة ما يعوزهم من العلف حتى ارادوا الارتحال بي وترك الشيخ امير الركب فلم استطع ذلك لما بيني وبينه من المحبة في الله والتقرب من اجله فارتحلنا بعد ان مات من مات من الحجاج الرجال والنساء وفي تلك المرحلة مات الحاج الطيب بن بونشادة اذ كان كثيرا ما يعارضني في الامور لما رآه مني من النكير على اهل البدع فلم يرض بذلك ﴿ نعم ﴾ اصابته غيرة وحمية على اهل بلده عامر غير انه اتصل به المرض فتشاءم بنا فكانه رأى ذلك منا كرامة فاتى الي مرارا يطلبني في الحل وقد جعلته في حل غير انه فات مني الدعاء على الاعداء في الحطيم والملتزم وعرفة وغيرها وكان هو من جملة من دعوت عليهم ولكن اسال الله الهداية لمن علم انه يهديه والا فيهلكه فكان من جملة الهلكة وكذا غيره من عامر .

ثم ان الفقيه الشريف سيدي عبد الله بن رحاب ضاع له الجمال ودينه لم يقتضه فاراد التاخر الى ان يقدم الفاسي فلم نتركه فتسلفنا من عند من فيه الخير من الركب فقدم والحمد لله على اتصال الرفقة فانفصلنا عن الشيخ امنصير فاعطاني فرسا في ديني الذي هو في المنصورة فلما رآه صاحبه يخلص او رآنا على الطريق قدم فتحركت نيته فتركته فاتى اخوه جزاه الله خيرا فقال نحن تولينا مدينتك وان لم تركب عليها فتلتها فركبت عليها وتولى غريمنا ثم قدم معنا مودعا الى ان دخلنا الرمل فبعث الينا بعض الاجناد من المنصورة بعثه الباي خليل ليجبر اهلها على اعطاء دين الحجاج فارادوا رجوع الركب فامتنعوا فقلت للشيخ ارجع انت وبعض الناس وانا اذهب مع الركب ساعة فننزل على الماء فلما انفصلوا عنا قالوا ما ليس لنا الا المشي وعدم انتظارهم فمشيت معهم حتى سكن غضب اهل الركب فامرت الغلام بالنزول انتظارا للشيخ واصحابه ممن ذهب الى المنصورة فلما مر

الثلث من الليل واذا بمن ذهبوا الى المنصورة رجعوا واتوا ببعض ديونهم واقتضى الشيخ امنصير شيئا من ديوني ولم يبق على غريمي الا القليل .

فلما اصبح الله بخير الصباح ظعنا ايضا والشيخ امنصير واصحابه معنا يودعوننا ويقتضي ما بقي له من اجرة اقتضائه الديون التي للحجاج فلما اراد الانفصال خادعه الحاج ساعد من اولاد موصلي والحاج ابن زكري فصاح بنا يا فلان قد خدعني الحاج في عنايتكم فرجعت اليه واشليته عليه هو واصحابه فلما رآني تقوى بي ورجع الشيخ ايضا لما سمع العراك فاراد الشيخ ان يضرب الحاج ساعد بالبشطولة فمسكناه وكذا الحاج ساعد اراد ان يضرب الشيخ فحجزنا بينهم فطاب قلب الشيخ الحاج امنصير ورجع طيب النفس سالم الخاطر جعل الله البركة في ذريته وكان لنا وله في الدنيا والاخرة بمنه وكرمه فسرنا كذلك الى الليل ثم ظعنا صبيحة الى ان مررنا على القصر الذي فيه النصاري اعني الرهبان فلما وصلنا الى باب القصر اشرفوا علينا فكلمناهم فكلمونا وسالونا عن مصر وكيف هي وعن حالهم فاجبناهم عما وقع بينهم وبين صالح باي الذي كان في الصعيد وقلنا لهم انتشب بينهم القتال وانهزمت طائفة مصر واملوا زوارق اخرى فنزلنا القصر الطرباني الخالي الذي دفنا به ابن سيدي محمد الحاج فبتنا فيه خير مبيت ثم ظعنا الى الاجفار فوصلنا قرب الزوال بسويعات ثم ظعنا منه سائرين الى الشمامة الى ان وصلنا بعد مرحلتين والله اعلم اذ نزلنا قربها فبلغناها صبيحة وماؤها قبيح من اقبح مياه برقة يشوي الوجوه بئس الشراب الا بعض الآبار فان ماءها قريب من العذب وهي البئر التي تلي جهة المشرق وانها تحت حجر فبتنا فيها خير مبيت الى ان وصلنا معطن الجميمة فنزلنا فيه وجميمة على وزن كريمة وماؤها مختلف فبعض لا باس به عذب وبعضه زعاق الا ان اكثر الحجاج عنده الغنى وانما يصلح للابل وكذا ماء الشمامة انما يصلح للجمال فقط الا من اضطر لشربه .

وقال شيخنا سيدي احمد بن ناصر ان سانية قربها ماؤها عذب فانا اعرفها والسؤال في حجتنا هذه متعذر لفقدان اهل برقة فان المجاعة اجلتهم من وطنهم وكذا تعدي بعضهم على

بعض حتى انه لا يطيق احد النزول في برقة من غزو بعضهم لبعض فلا تجد احدا تسأله عن المواضع فظعنا منه الى ان بلغنا معطن المدار فاستقى الناس وسقوا ابلهم فان ماءها طيب لا باس به فرفعوا الماء ثلاث مراحل الى جرجوب والعقبة الصغرى فبين معطن المدار بسويعات قليلة وفي الطريق ماؤها ملح اجاج فلا يشربه الا الابل ثم سرنا ثلاث مراحل الى نزلنا جرجوب فسرنا مراحل كل مرحلة باسمها عند اهلها من بدوها الى ان بلغنا معطن ام افرب(١) وماؤه ايضا عذب طيب لا باس به .

قال شيخنا سيدي احمد بن ناصر ما نصه «(تنبيه)» وتمر هذا البلد احسن تمر رأيناه في البلاد المشرقية حلاوة ونقاوة وكبرا يشابه تمر بلادنا وليس منه ما يحمل في ققف صغار من سعف النخل تسع كل قفة منها أزيد من ربع القنطار ويبيعونها كذلك الا باوعيتها واخبروا بانها لا تباع الا كذلك فمشتريها لا يحتاج الى حبال للشد ولا غرائر للحمل بل يشتري حاجته منها فيعلقها على بعيره فمن الابل من يحمل العشرين الخ فظعنا منه الى ان وصلنا العقبة الكبرى فصعدناها على الطريق الصعبة المعروفة المعتادة لسلوك الحاج منها غير ان السير على حسب قوة الابل الى ان خرجنا منها ثم كذلك الى ان نزلنا الطرفاوي فوجدنا ارضه زهراء طيبة الاطراف منيفة النبات واقام الركب فيه يوما ويوم الاقامة خرجت متنزها في البحر ومتفكرا في امره ومتعجبا في صنع الله تعالى لما علمت ان رؤيته تفرج الغم وتزيل الهم وكذا رؤية الاشجار والانوار والازهار تشرح الصدر وعند ذلك قلت(٢) .

ياسائلا عن الطرفاوي تذكر * رائحة النرجس فيه تعطر
فانه محل خصب للدواب * يعلم ذاك من رآه بالصواب
وعذب مائه ايضا قد اشتهر * عند الحجيج والظعين المستقر
وبحره يزهي جميع الناظرين * وهو يفرج كروب الحازنين

(١) كذا في جميع النسخ وفي الرحلة الناصرية المغرب وهو مغرب كما في صحيفة ٣٣٦ —
(٢) تنبيه * في هذه القطعة يوجد خلل في جميع النسخ

وحسبـه للمسلمـيـن مـنـــزلا * و ماؤه(١) للواردـيـــن منـهــلا
والضرع عنـده يـدر اكثـــرا * من غيـره اجل ليس يمتـــرى
وزرعـه غيـر بعيـد الخصـــب * عمـره يارب بـــه بالقـــرب
بجـاه من لبى وحج واعتمـــر * وزار طيبـة ومن بهـا استفـــر
وركبنـــا يـا رب بالامـــان * بلغـه بالنعـــم والاحـســـان
وهو ذا يعم مـن في البحـــر * من اخوان وحفظ من في البـر
ثـم الصـلاة والسـلام دائمـــا * على رسول الله خيـر من سما(٢)
وآلـــه وصحبـــه والتابعيـــن * وحـزبـه برحمـة للمحسنيـــن

﴿ قلـــت ﴾ وقد نظمت سائر المعاطن بحرفـة وبينت اوصاف مياهها غير ان الكراس الذي نظمته ضاع لي قرب الزعفران في يوم شديد البرد فرجعت انا وسيـدي احمـد بن حمود وسيدي محمد الشريف اليه فلم اجـده فتحسـرت عليـه غايـة لاني اشفيـت العليـل وابردت الغليل في بيان اوصاف المياه وبيان المراحل والمنازل .

ثم ظعنا من الطرقاوي قاصدين معطن التميمـي فسرنـا ايامـا الى ان مررنـا على عين الغزالة بساحل البحر واقول فيها كما قال شيخنـا المذكور عين فيها ملوحة تسيح من سفح جبل وتصب في بحيرة كبيرة تحتها من البحر المالح بحذائهـا القصب والعريش وانواع النبات المائي يوجد حولها صيد كثير عند خلو البلاد من كثرة المارة الخ .

﴿ قلـــت ﴾ وقد سمعت ان الحوت كله غربا وشرقا انمـا اصله منها وانمـا يتخلـف منها ولا علمت ان له اصلا من الشريعة ام لا ﴿ نعـم ﴾ فسرنا كذلـك الى ان وصلنـا الى معطن التميمي قبل ان يصل الركب اليه بعثنا الى درنـة لياتوا لنـا بالميرة منهـا وكذا الفواكه فاقمنا فيه يوما بتمامه مع يوم النـزول اذ نزلنـا فيه بكرة منتظرين ملاقـاة درنـة

---

(١) في ثلاث نسخ و حبه ــ (٢) في نسخة من انتمى

فلم يات لنا خبر منهم لانهم في هذا الزمن انفطعوا عن ملافاة الركب لكثرة الفتنة بينهم وبين اهل مسراتة والبيخة فان الحرب بينهم دائم الا ان هذا الزمن فيه العافية التامة وانما فيها المجاعة العظيمة يموت الخلق فيها كثيرا لا سيما عرب برفة ففد حكوا لنا ان بعضهم لم يذق طعاما اربعة اشهر وبعضهم ستة اشهر وانما ياكلون الحشيش والنبق وغير ذلك .

﴿ تنبيه واعلام ﴾ فال شيخنا المذكور ما نصه ﴿ تنبيه ﴾ ودرنة هذه فاعدة الجبل الاخضر مدينة على شاطئ البحر بينها وبين خانية مسيرة يوم في البحر ودرنة مدينة كبيرة فيها كثرة المياه والجنات والفواكه والاعناب وفيها السواني ذات انواع من الثمار وبها اسواق وفنادق وامر المعاش فيها سهل والعمارة فيها كثيرة اخبرني من اثق به عام عشرة ان بها من اصل مسراتة خاصة ثمانمائة رام ببنادفهم سوى ما فيها من غيرهم ولم تكن فبل بها العمارة وانما احدثت في حدود الاربعين والالف بناها الاندلس لما خرجوا من جزيرتهم ونزلوا في ذلك المكان واعجبهم وآنفهم وفجروا انهارا وغرسوا اشجارا وحفروا سوافي وبنوا وسكنوا واسكنوا واستفلوا بانفسهم ولم يكونوا تحت حكم احد ثم انهم طغوا واشتغلوا بالفساد ومدوا ايديهم الى عمالة طرابلس في زمان عثمان باشا وغاظ ذلك اهل طرابلس ووجهوا لهم عسكرا وتفاتلوا معهم واخذوهم وفتلوا من فتلوا ونفوا من نفوا ولم يبق منهم الا افل الفليل واستولى اهل طرابلس على البلدة فهي تحت ايديهم .

﴿ فلت ﴾ هذه درنة لم ارها وان كانت فريبة غير ان الاركاب لا تدخل اليها لانها ليست طريق الركب غير ان اسماعنا مملوءة من اخبارها فحصل لنا العلم بها وباحوالها ضرورة فطعنا منه صبيحة فسرنا كذلك متوجهين الى مفازة السروال وهي اشد مفازة في طريق الحج اذ سبعة ايام لا ماء فيها فكادت تزهق النفس من شدة ما استفبلها من العطش فان العطش اذا اصاب الانسان اسرع موته بخلاف صاحب الجوع فانه يطول .

فالحاصل ان هذه المفازة الفادم عليها كالفادم على الفبر ففد تفرر فيها الموت الابيض فالتدمية البيضاء محففة فيها فتحفق امر الركب انه يسلك على طريق الجبل الاخضر لما

علمت انه لا ماء في السروال الا اذا لطف الله بوجود الغدير فانهم ينتظرونه كما ينتظرون ماء السماء فسرنا مراحل ونحن في تجاه الجبل والسير بحذائه بحيث يقرب سيرنا سفح الجبل غير ان الطريق وعرة وصعبة على الابل انما الجأ اليها الضرورة .

فلما ان وصلنا تلك الشعب القريبة لجردس وتجاوزناها وجد الناس غديرات فيها ماء فاكثر الركب قد استقى منها غير ان الابل اصابها عطش عظيم وقد غَبَّتْ كثيرا فلما ظعنا من ذلك المحل وجد الناس غديرا قرب النزول في التغليس فمنهم من مر عليه من غير علم به ومنهم من سمع به فاعرض عنه غير ان الذي ظهر للناس تزاحموا عليه بالابل حتى غيروه وخوضوه فاختلط به الطين فسرنا كذلك الى ان وصلنا الى جردس فنزلنا على الماء فتفرق الناس عليه وهو ماء قليل فتزاحمت عليه الناس ازدحاما عظيما فلم يستطع احد شرب ماء وقد تعذر علينا سقي الخيل واما ملء القرب فمتعذر قطعا ﴿ نعم ﴾ بعض الناس قد استحيى منا فسقى لنا الخيل واعطى لنا ما نطبخ به والا فاكثر الناس قد بات بلا سقي ولا استقاء فلما تعذر الامر قلنا لاصحابنا دعوا السقي الى فراغ الناس منه فيتسع المجال بحيث تبقى الآبار منفردة خالية وكان الامر كذلك فلما فرغوا من السقي وجدنا الوسع فسقينا واستقينا وشربنا وشربت الابل وكذا الخيل وبقي الناس هناك بعضهم رفع وبعضهم تخلف لقضاء حاجته فلما سقينا وملانا القرب كفيناهم فماؤه طيب عذب لولا انه قليل يرشح رشحا وانما يقضي الناس مآربهم بطول المدة .

وهذا الجبل واسع الاطراف كثير الشجر عام الخصب فخصبه لانظير له فمرعاه قليل الوجود وكذا ماله اعني البقر والغنم فوالله يخاف الانسان ان ينظر فيه لطول اقامته واتساع عرضه ضخم الجثة .

وقد قالوا هذا الجبل كثير السمن كثير العسل كثير اللحم كثير الزرع والخصب لو ان فيه عافية غير ان عربه يتعدى بعضهم على بعض وهم متغلبون فالجبل لمن غلب منهم لا يرقبون في بعضهم إلًّا ولا ذمة وهم في اجلاء بعضهم بعضا الى الان وحتى الان غير انهم

وجدناهم في مجاعة عظيمة ما وجد مثلها وقد افناهم الجوع وانما تحيرنا من امر الشريعة هل وجب علينا اطعامهم واحياؤهم ام لا فان كثرتهم رفعت علينا الوجوب فانهم كالجراد المنتشر فسقطت مخاطبة الشرع باستخلاصهم مما هم فيه سلمنا يجب فانهم دام بهم ذلك فمن كلف نفسه وقع فيما وقعوا وهلك كما هلكوا .

﴿ رجوع ﴾ الى ما كنا بصدده وهو خروجنا من هذا الجبل الى ان وقعنا في البحيرة لاقانا نجع من العرب وارد على عرب آخرين ياكل بعضهم بعضا فلما واجهناهم واذا بهم ارجفوا ووقفوا على خيلهم وارادوا الانتصال والمقاتلة ظنا منهم اننا غير الحجاج فلما ركضوا من الركب الى جهتهم اجتمعوا وتحيروا من امرنا فلما علموا بنا وتيقنوا امرنا قالوا لا علينا في الحجيج وانما نريد من تعدى علينا من العرب قبل فاطمأن ما بيننا وسكن بعد ما حمي الوطيس واضطرم امر الفتنة بيننا و بينهم والحالة انهم مرتحلون بنسائهم وحريمهم ﴿ نعم ﴾ وجدنا عندهم الابل ما احسنها وقد اشتد سمنها وابل الركب ضعيفة هزيلة فصاروا يبدلون ﴿ نعم ﴾ لما علموا اضطرار الحجاج امتنعوا من التبديل وصاروا الى البيع فارتفى امر قيمتها فشفى الركب غليله منها فساروا معنا من الضحى الى وقت العصر ثم انفصلنا عنهم وان اخانا السيد محمد الشريف باع فرسه التي ركب عليها واعطيت له فرسي يركب عليها لانني اتيت بفرسين فلما ركب عليها نحو اليومين او الثلاثة تركها وقال انها رقيقة لم استطع الركوب عليها فبتنا بعد الانفصال عنهم .

ثم ظعنا فنزلنا مدينة ابن غازي على شاطئ البحر وهي مدينة طيبة فلا باس بها لكونها مرسى في قربها سبخة و فيها بساتين من ناحية اخرى وارضها طيبة المزارع بلدة طيبة مباركة تصلح للمال غير ان العرب جاروا عليها وعلى اهلها وانهم غير متفقين نعم حكم الباشا نافذ فيهم واخوه هو الباي يحكم فيها وقد امتلات بالعرب وهم اعداء فمنهم ملتجئ بها ومنهم قاصد لاخذهم فلم يرتقب من اهلها غير ان بعض اهلها سلم فيهم وتركناهم مهتمين بامر الاخذ فاتفق رأيهم ورأي اهل المدينة على ان من خرج من حريم العمارة

اخذوه وقتلوه وسلبوه ومن بقي في حريم المدينة وقع الشك فيـه فمن نظر الى اهلها كـف ومن نظر الى العداوة وخذلان بعض اهلها اراد افتراسهم والانتقام منهم فخلفناهم على هـذا السبيل وبعد ذلك سمعنا انهم لم يصر لهم باس منهم ما داموا عندهم غير ان طائفة ارتحلت منهم وظعنت معنا من الخائفين الى ان وصلنـا مسراتـة وتورغة فتفرقـوا في الاوطان عـلى المعيشة والجوع يقتلهم ويميتهم فلم يعد فيهم اطعـام الركب غير ان أهل الركـب ضجوا منهم فكل خيمة يقف عند بابها السبعون سائلا او اكثر فتراهم يردونهم بالشتـم واللعنة والخـزي وبعضهم بالضرب فلا يكادون يسمعون لتضررهم من شدة جوعهم فنادينـا في الركب ولعـل الله يسخرهم فنقسمهم على حسب الطاقة والضعـف لان ذلـك واجب علينـا فلم يسمعـوا لنا لقلة زادهـم ومدينة ابن غـازي قد غلا سعرها غلاء فاحشا بحيث لا يستطيعون شراءه واما الميرة فكثيرة الوجود لانها تاتي من بر الترك اليها ومن ارض المغرب لا سيما افريقية والغلاء والرخص جندان من جنود الله يضعهما الله حيث شاء فلا فائـدة في كثـرة الزرع ولا في قلته .

وبالجملة فاهل برقة يموتون بالجوع موتا كثيرا عند ابواب الديار وانما شانهم معهم غلق الابواب فترى السائل الكثير يصيح على الباب بالطعـام الى ان يموت عـلى عتبـة الـدار فهلك من اجله (١) كثير من الناس وقد خاصمتهم وقلت لهم من مات منهـم فاثمه عليكم لوجوب مواساتهم بما عندكم وان بقيتم مثلهم فان امر النفس في الشرع عظيم فيخاف على بلادكم الخراب والهلاك بسبب الصد عن هؤلاء الجياع واما في الطريق فلم ينصف منهـم الا الكاملان سيدي احمد بن حمود وسيدي محمد الشريف فيركبان الصغار ويطعمان الكثير مع قلة الزاد حتى اردنا الفرقة والقسمة من شـدة مواسـاة سيدي احمـد بـن حمود لهـم فرضي بالقسمة من اجل تغير الرفقة اذ قالـوا ما ياكله هؤلاء العرب فنحن اولى منهـم اذ

(١) في نسخة من اجل ذلك

نحن في الصحراء فلا مغيث لنا الا الله فان انقضى ما بين ايدينا صرنا مثلهم فنفس الانسان اولى «(نعم)» سلمنا الامر له في الظاهر فلم يقع بنا الا الخير والعافية والحمد لله واقمنا في مدينة ابن غازي يومين لشراء الزاد وعلف الخيل والبغال غير انه غال كثيرا وانا قد صليت الجمعة فيها مع بعض اصحابنا في مسجدها العتيق والله اعلم .

وقد دخلتها مرة اخرى في حجتي الاولى في الرجعة وكنت اجتمعت بقاضيها سابقا فوجدته منعزلا متغيرا حاله من شان العزل فان ذلك من الامر القديم فمنهم من يحب الولاية ومنهم من يكرهها واما العزل فبالاتفاق على بغضه و وجود الاغتمام عنده واما امر الدنيا فيحمد الله تعالى فلما اجتمعت معه وعظته وقلت له احبك الله حيث اخرجك من النار وولى عدوك و في الواقع حبيب لك من حيث ناب عنك واحل محلك في دار العذاب والهوان او كلاما هذا معناه ففهمنا عنه انه اراد ان نقول له ترجع الى محلك فيفرح اذ اني اشرت له اولا بالقضاء والله اعلم حين اجتمعت معه في مدينة طرابلس واقبلت علي جماعة ابن غازي كالقاضي الجديد والمحب في الله نجل الود الصدوق والخل الفاروق سيدي عبد اللطيف وجماعة من رؤسائها من اولاد الترك وغيرهم فتفضلوا علينا بالضيافة الطيبة والزرع وشيء من الزاد على قدر وسعهم و«(قلت)» ولو لا الجدب والمجاعة لاغنوا جماعتنا بما نريد لانهم في قوة الاعتقاد فينا وشدة حسن الظن في جانبنا وذلك وصف عمالة طرابلس فلما تبركوا بنا وبانيائنا لمحالهم واشترينا ما يخصنا من الزاد والعلف للخيل فطال بنا الامر الى ان عسعس الليل بتنا فيها .

وزرت الولي الصالح والشيخ الواضح الشيخ الوحيشي وادخلني ولده الى داره وقبر الشيخ هناك فزرته وشاهدت عنده امرا عظيما من الشهود والتجلي الذي لا يمكن التعبير عنه واجتمعت مع الفاضل الكامل الصالح سيدي (١) المغربي الذي استقر هناك

(١) بياض في جميع النسخ ولم ينبه عنه في نسخة

بعد ان كان في مدينة درنة وعليه حلاوة الايمان وطلاوته وعليه كسوة العارفين بالله فاحسن اليه سيدي عبد اللطيف المذكور وقد اشار علينا انا وسيدي احمد بن حمود بان امركم لا يكمل عند الله الا بعد ان تزوروا المغرب(١) فيكمل حالكم من هناك وقد كان ذلك من بعض العارفين قبله علينا ايضا فيقع الخاطر على الخاطر * كما يقع الحافر على الحافر * وهو من توارد الخواطر ﴿ نعم ﴾ قال ذلك لابد ان يكون عن عجل تمم الله لنا الفائدة بمنه وكرمه ونحن على ذلك من الناوين [لانواع الخير من](٢) حج وجهاد و زيارة وعلم وتعلم وافادة واستفادة وانواع الخيرات على اختلاف اصنافها وتنوع اجناسها فان عشنا فعلنا والا كفتنا تلك النية كما ذكر ذلك صاحب المدخل ابو عبد الله ابن الحاج عن بعض الفضلاء المجتهدين في اتباع آثاره صلى الله عليه وسلم واقتفاء احواله وقد قال صلى الله عليه وسلم يبلغ المرء بنيته ما لا يبلغه بعمله وقد علمت ان حكمة الجزاء بالخلود للمومنين في الجنة و بخلود الكافرين في العذاب بالنار هو انه على حسب نية كل من المومن والكافر فان المومن لو بقي على الدوام في الدنيا ما احب ان يسلب ايمانه وكذا الكافر ما احب ان يسلب كفره فكل منهما ينوي التابيد فيما حصل عنده فلا يبغي الانتقال عنه اصلا فجزاهم بالخلود في المحلين على حسب نيتهم وقصدهم و بالنية تنمو الاعمال وتزكو وقد و رد عنه صلى الله عليه وسلم ان نوم العالم خير من عبادة الجاهل لما علمت ان نوم العالم صيره طاعة بنيته مثل ان ينوي الاستراحة والنشاط لتحصيل الفرائض او النوافل وقد يجب النوم كما اذا علم من نفسه انه ان لم ينم فرط في صلاة الصبح كما قاله الشيخ زروق بل يحرم قيام الليل على من هذا شانه كما صرح به ايضا .

وقد حكى صاحب المدخل المذكور عن بعض الاشياخ انه كان يتسبب في بستانه هو وبعض تلامذته واذا بشخص يدق على الباب فاراد التلميذ فتحه فقال له شيخه كيف

(١) في نسخة المغربي — (٢) ما بين القوسين بياض في ثلاث نسخ

نويت وما نويت بقال نويت بتحه بقال له الشيخ اجلس ببتح له الباب ثم صار يعدد له النيات التي قام بها الى ان بلغ نحو الثمانمائة(١) وهو بتح الهي ووهب صمداني ومن يرد الله به خيرا يبقهه بي الدين واي بقه اعظم من هذا واي بتح اولى منه وقد قال صلى الله عليه وسلم كما رواه البخاري بي صحيحه انما الاعمال بالنيات اي صحتها وثوابها بالنية كذا قدره الجمهور باذا علمت هذا علمت ان مقام العارب عوامل ربعه حسن النية وحسن تنميتها .

وقد قال الشيخ السنوسي ان ادنى الاولياء ابعالهم دائرة بين الواجب والمندوب وانما ذلك بالنية واما الخاصة بابعالهم كلها واجبة وذلك ليس الا بنذرها بمن حصل كيبية القصد وتنميته حصل له الخير الاعظم والمقصد الاسنى وذلك بشيخ عارب او اخ ناصح او مبت محقق او بالهام رباني ووهب رحماني تبضل الله علينا وعلى ذريتنا وطلبتنا ومن تعلق بنا من الاحباب به بمنه وكرمه .

﴿ انعطاب ورجوع ﴾ الى ما كنا بصدده بلما بتنا مع الاحباب بي ابن غازي بكرنا صبيحة يومنا بوجدنا الركب قد ارتحل بادركنا آخره وودعنا من يحبنا بيه الى ان كفناه بسرنا كذلك الى ان وصلنا الى اجدابية وتجنبنا سلوكا وهو معطن عظيم ماؤه عذب وابارة متقنة لا تكاد توجد بي غير هذا الموضع واما اجدابية بكانت عمارة وآثارها باقية الى الان وبيها آبار متبرقة كثيرة المياه ارضها طيبة احسن الارضين بيها خصب وزرعها طيب لا نظير له بيما علمت وابارها سبع احجار ماؤها عذب طيب سائغ شرابه بليس كماء الصحاري كانه ماء الجبل والعيون وتلك الاحجار التي بيها الابار متصلبة ليست رخوة بقطعنا منها الى ان وصلنا معطن المنعل باللام والميم ماؤه عذب جيد قل نظيره بلا تجد مثله الا عزيزا باقمنا بيه كما اقمنا بي غيره اذ كل معطن الا كانت بيه الاقامة مصلحة

---

(١) بي نسخة خمس وعشرين نية

للابل ﴿ نعم ﴾ هذا المعطن المفازة التي بعده اصعب المفازات فالمراحل بعده خمس لا ماء فيها طيب وان وجد في سواقي او ابار قليلة فهو زعاق حرق مر يشوي الوجوه بئس الشراب لا يصلح الا بالابل .

وقد استقينا من اليهودية فلم يصلح ولو للدواب فلم تشربه وانما تتجرعه فلا تكاد تسيغه وهذه اليهودية كانت مدينة ملكتها يهودية وكانت قرى كثيرة متقاربة فيها أثر بناء خال متراكم يدل على انها كانت عمارة كثيرة واشتهر على السنة الحجاج انها مدينة كانت ملكتها يهودية في عسكرها كذا كذا من الخيل وفي الرسالة القشيرية عن بعض الفقراء انه قال دخلت مدينة اليهودية بالمغرب الى آخر الحكاية .

ذكر ابو سالم ان تلك المدينة هي هذه اذ لا نعلم مدينة بارض المغرب تسمى اليهودية الا هذه والله اعلم بحقيقة ذلك الى ان مررنا على معطن سماه شيخنا سيدي ابن ناصر وهذه المفازة ما اصعبها من مفازة فيها الحر الكثير فان وجد فيها النسيم فنعمة من الله الى ان وصلنا الى معطن الاحمر فلم ننزل به غير ان من عطش سقى منه قدر حاجته وماؤه عذب طيب تتنعم فيه الاركاب ثم سرنا كذلك الى ان وصلنا الى النعيم فما احسن ماءه واشده عذوبة وهو بارد وقل نظيره في المياه وزال العطش والهم والغم عن الناس وعن دوابهم لما مر أن المفازة التي قبله اعني الصراط صعب سلوكه في برقة فلا تجد احدا الا يشتكي منها فمن لم يستعد لها من معطن المنعل هلك والابار بينها وبين النعيم كثيرة الوجود قليلة النفع مضرة بالناس من ملوحة مائها ومرارته وذلك يعلم بالذوق فماء النعيم عذب فرات زلال الا انه لم ينفعل للهواء مع برودته قطعنا منه الى ان وصلنا معطن الزعفران بينه وبين النعيم مرحلتان وبينهما معاطن على شاطئ البحر عذبة وارض الزعفران ربوة طيبة خصبة قل نظيرها في برقة منيفة زاهرة كثيرة الانوار في الربيع يستحسنها الناظر فمن دخلها تأنس بها تصلح للاستيطان كنت اتمناها للسكنى فلا تعلم نفس ما

في هذه الارض من المنافع وهي رعي لمسراتة ينزلونها في الربيع فانها تصلح كثيرا لغنمهم ومواشيهم .

حاصله كثير الخصب فمن هذا المعطن تشم رائحة طرابلس بل رائحة الوطن فماؤه غزير عذب كثير مُنهم(١) طيب سائغ شرابه فطعنا منه فمررنا بمطراو ومطراو وماؤه غزير مستجم فيه ملوحة تميل الى مرارة سقى المحتاج دوابه منه ثم مررنا ببئر حسان وحسان الان اسم علم على موضع فيه مورد ماء فلما يوجد فيه ما يكفي الركب الا في أزمنة الخصب وكان في الاصل اسم لعامل بعض ملوك بني مروان بعثوه لغزو افريقية بعد موت عقبة ابن نافع(٢) امير افريقية وفتحها وارتداد غالب افريقية فنزل في هذا الموضع وبنى فيه قصورا تسمى الان قصور حسان وكان يغير من هناك على افريقية واقام بذلك المحل مدة وخبره مشهور مذكور في تاريخ فتوح افريقية ثم مررنا بالمسيد(٣) معطن برملة على يسار السبخة به ماء لا باس به غير انه به ملوحة ثم بالعريعرة(٤) معطن بازاء السبخة بساحل البحر به ماء عذب فرات طيب غزير من اعذب المياه يقرب من ماء وجدناه بالتميمي هذا واني تركت معطنا بعد بئر حسان وهو بئر الهويشا معلوم وهناك سبخة عظيمة مخيضة وفيها ماء ملح اجاج الا بعض الابار فلا باس بمائها يعرفها الخبير والمتوطن ولا ينبئك بها مثل خبير .

ثم مررنا على قبر ابي شعيفة فزرناه والركب مار على طريقه لبلد ولي الله باتفاق * قطب العارفين على الاطلاق * ابي العباس سيدي ومولاي احمد زروق وانصرمت مراحل برقة التي قيل فيها على السنة العوام حرقة او(٥) غرقة لا برقة فلاحت لنا اعلام العمارة * وظهرت لنا من الدنيا الامارة * وتنادى الحجيج البشارة البشارة * هذا اول(٦) العمران قد كشف لنا

---

(١) في نسختين منهمر وفي نسخة منسجم — (٢) في الرحلة الناصرية عامر — (٣) كذا في جميع النسخ وفي الرحلة الناصرية السميرة — (٤) في الرحلة الناصرية العريرة — (٥) في الرحلة الناصرية باسقاط حرقة او — (٦) في الرحلة الناصرية اوان

استنارة * فساروا مظهرين الفرح * ومسيرين الترح * ومخفيين ذعرا(١) * كانهم لم يروا العمارة دهرا * بل الفاوز سهلا ووعرا * والدنيا يبابا وقفرا * يخيل لهم ان المباني والنخيل شيء ما عرفوه * وجالت الافكار والابصار في ارجائها كانها امر ما الفوه * وكانهم نشروا * ومن المقابر حشروا * وما اسرع انقضاء سفر تنقصته الليالي والايام * فكيف بعمر مرت به الشهور والاعوام * فنسأل الله حسن الختام * بالموت على الايمان والاسلام * والعفو والعافية على الدوام * ولما زرنا ابا شعيفة قصدنا نحو الامام زروق ·

هذا وتعداد المعاطن تبعنا فيها شيخنا المذكور اقول لما خرجنا من السبخة وخضناها وخرجنا من العوينات وتركناها وراءنا وقد انقضى علينا الزاد من اجل اننا آثرنا عرب برقة بالاطعام ايثارا قويا لكن من يعرف الله منا اعتمد على الله وتوكل عليه وقد علمت ان من توكل على الله فهو حسبه ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ·

﴿ تتبع المشائخ ﴾ وجدنا الفاضل الكامل العالم العلامة الفقيه الفهامة محبنا وغاية ودنا اخانا في الله وقد لقناه شيئا من اوراد اشياخنا رضي الله عنهم ونفعنا بهم وافاض علينا من بركاتهم بمنه وكرمه سيدي محمد بن عامر مع الاخ في الله والمحب من اجله الحاج ابراهيم الشريف من شرفاء مسراتة ينتظروننا نحو اليومين لانهم خرجوا بحسب عد المنازل من مدينة ابن غازي ومراحلنا فلم يعد ذلك العدد فينا لان مشينا اقل من ذلك وضعف الابل وهزالها وبعض الاقامة على المعاطن استراحة ونشاطا للابل ومعهم جماعة من المحبين من مسراتة من الشرفاء وغيرهم بالطعام واللحم اعني والخبز ونوعا آخر يسمى عندنا بالفطير وعند بعض الناس يسمى بالمسمن والتمر الجديد بان حملوا والله اعلم على الابل فلما لقيناهم فرحنا بهم اشد الفرح من اجل المودة في الله والحب من اجله وجدونا على الجوع وغايته فاتوا الينا بالخبز واللحم عند وقت الغداء فاجتمع اصحاب

---

(١) في جميع النسخ ومخفيين المساوي والتعب

الجميع سيدي احمد بن حمود وسيدي عبد الكريم وسيدي محمد اليعلاوي وسيدي احمد بن ابي القاسم والمؤلف لهذه الرحلة واصحاب الجميع وسيدي محمد الشريف الطرابلسي واصحابه فلما اكلنا واكل من الركب من مر علينا وعند الليل قسموا ما حملوه بيننا و بين سيدي محمد الشريف وهو كثير جدا ففرقناه على اهل الركب فكل اخذ نصيبه واما نحن وسيدي عبد الله بن رحاب فقد عمنا خيرهم جعل الله البركة فيهم وفي ذريتهم الى يوم القيامة آمين وكان لنا ولهم بالغنى الظاهر والباطن و زوال الحجاب من رب الارباب اللهم لا تجعل فيهم فقير دين ودنيا بمنك وكرمك .

فذهبنا كذلك الى ان نزلنا في محل بعيد من الشيخ زروق غير انه قبالة قبره فبدانا بزيارته قبل الزوال(١) فلما اشفينا منه عليلنا وابردنا منه غليلنا جعلنا الله في زمرته وزمرة اولياء الله تعالى وكان لنا ولذريتنا وقرابتنا واخواننا في الله وطلبتنا مغيثا شفيعا وليا نصيرا وردع(٢) به اعداءنا بمنه وكرمه وقد استضافنا الاشراف بمحالهم وكذا غيرهم واما من اتى بالطعام والتمر للخيمة فلا يعد ولا يحصى لان احباءنا في مسراتة من الطلبة والعلماء والفقراء والحجاج والشرفاء وآغة الصبايحية ممن له مشيخة في مسراتة اللهم عمر مسراتة وكثر خيرها ورخص اسعارها وامن ارضها واحفظها من كل طارق يطرقها الا طارق خير واهد ولاتها وارحم بهم الضعفاء بان يكونوا رحمة لانفسهم وللامة المحمدية غيرهم وكن اللهم لهم على من ظلمهم ولا تكن عليهم يا ارحم الراحمين يا رب العالمين وامنن علينا وعليهم بالنصر والعز والرفعة والعفو والعافية والبركة والمنة في الازواج والذرية والاموال والراي والاستقامة ودوام العمارة واتباع السنة المحمدية واحفظ وطنهم من المجاعة آمين .

ومررنا على اخينا في الله سيدي الحاج احمد ودخلنا بيته حين ظعنا من الشيخ زروق واستضافنا واحسن الينا(٣) وهو قد حج معنا وكذا محل سيدي محمد بن عامر ودخلنا مسجده

---

(١) في ثلاث نسخ النزول — (٢) في نسخة درأ — (٣) في ثلاث نسخ واحسنها

الذي بناه جديدا واحسن بناءه تقبله الله منه واثابه على قدر نيته وحدنا الله له ودعونا له بالعمارة بالعلم والعمل والدين واظهار الشعائر الاسلامية فيه وتوفية الحقوق الالهية والادمية من غير مشقة ولا كلفة وان يغنيه وذريته ومعينه غنى لا يتبعه فقر ابدا بمحمد وآله وقطب الزمان وحزبه .

حاصله اقمنا فيه يومين فلما لم يحصل لي المقصود من الشيخ زروق ذهبت اليه في الليل ليكمل المرغوب ولعل الله ان يتم لنا المطلوب فاحسن الينا وكيله احسن الله اليه ثم ظعنا منه فودعنا من ودعنا من الاحباب فما اصعب منه اي من الفراق اذ لو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان فلم اعلم مصيبة اعظم من مفارقة الاحباب والاخوان والخلان والاصحاب فبتنا قرب ساحل حامد مبيت خير وعافية ثم ظعنا منه صبيحة فاشرفنا (١) على وطن الساحل فلما دخلنا البلد واذا برجل من معارف سيدي محمد الشريف لقينا بخبز ولحم وتمر جديد كثر الله خيره واحسن اليه بمنه فعرضناه في الطريق فكل من مر من الحجاج الا اكل وشبع وربما تزود فعم الخير كل الناس والناس في زيارة الحجيج كثيرون افواجا بعد افواج .

وعمالة طرابلس اهل اعتقاد ومحبة فاتانا الفاضل الكامل الفقيه النبيه المحب سيدي سالم القطيسي واخوانه وجماعته يريدون الزيارة والتماس الخير منا فعزم علينا وعلى الفضلاء اصحابنا سيدي محمد الشريف الى بيته رغبة واغتناما للبركة ومعنا جماعة من رؤساء الركب وفضلائه فانزلنا في غرفة مقدما شيئا من الرطب والطعام الخفيف كما هو السنة واللبن فلما وفينا ذلك مع حصول المقصود وسألناه الذهاب فقال حتى يتغدى جمكم فألح علينا فلما علمنا قصده وقوة رغبته وافقناه على غرضه فانتظرناه الى حصول مقصوده وتمام مطلوبه وهو لا باس به في العلوم لا سيما مسائل الفقه وبعض مسائل النحو حاصله انه عالم فاضل فقيه اخذ من كل

---

(١) بياض في ثلاث نسخ ولم ينبه عنه في نسخة

فبن بنصيب بل وجدنا فيه اكثر من الظن فلما حصل المقصود دعونا الله لهم ولاخوانهم ولاحبابهم ولذريتهم احسن الله اليهم وجزاهم عنا وعن المسلمين خيرا .

ثم زرنا القطب الصالح والغوث الواضح الشيخ عبد السلام الاسمر فانه مجاب الدعوة وقبره روضة وحريمه لا يتعدى عليه احد فمن وصل اليه سلم ونجا افاض الله علينا من نفحاته وقد رغبنا عنده فدعونا الله لنا ولاقاربنا والمسلمين والمسلمات ثم انفصلنا عنه سويعة لقينا رجل اظنه من اهل الوقت ومن اهل التصريف ثم لحقنا الركب نازلا على اطراف البلد فاتى الينا جمع من طلبة العلم كالعلامة الفقيه ولد الشيخ سيدي سالم غير المذكور وقد اجتمعت معه في الحجة الثانية ومعه فضلاء وعلماء فتكلموا معنا في العلم بحسب ملكتهم وقوة بحثهم رضي الله عنهم وارضاهم وكذلك من سبق ممن اجتمع معنا فعلماء طرابلس النحو فيهم القطر وشراحه وحواشيه تقل فيهم الالفية وشراحها وكذا يقل معهم المختصر واما التوحيد فقليل الوجود فلا تجد من يحققه من مصر الى وطننا هذا وما اشتغال مصر الا بعلم المنطق اما طرابلس وعمالتها فقد ضاقت على اهلها المعيشة وما هي الا بالكد والجد والسعي الكثير ومع ذلك فلا يستقرون على طائل فقد انعدم التدريس للعلم في طرابلس وقل الاشتغال بالعلم راسا فلا تجد مجلسا فيه وكيف يتصور العلم فيها مع أن علماءها افضل علماء الاوطان غير انهم لما انعدم التدريس منهم صاروا قاصرين لعدم انفاق العلم فان العلم يزيد بالانفاق وينقص بعدمه فلما ضعف امر البلاد قصر العلم فيها بل كاد ان ينعدم العلم راسا ومن اراد العلم فليذهب الى مصر والى تونس او الى جربة مدرسة الشياخ البركة سيدي ابراهيم الجمني فعلماؤها كثيرون غير انك لا تجد مدرسا في العلم حتى يموت غيره وذلك ان ملوكها ليس لهم رغبة فيه او انهم لا وسع عندهم حالهم حال وطنهم والا فلم اجد وطنا مثله في الفهم والاقبال على الله وكذا فيهم الاسرار النبوية والانوار المحمدية .

ثم ظعنا منه ومررنا بساحل حامد بعد ان ظعنا من زليتن وطن الشيخ عبد السلام وزرنا

قبر العالم الفاضل المؤلف الصالح المشهور سيدي الشيخ ابن (١) عبد الصادق وقد رأيت تآليفه ما احسنها وقد حررها احسن تحرير واتم تقرير وقد شرح ابن عاشر شرحا معتبرا يكاد ان يكون يغني وقد وضع كتابا في بيان البدع والرد على اهلها من عصره يكاد ان يكون المدخل فقد احسن فيه اذ بين السنة واظهرها وبين البدعة واخمدها وكذا جعل شرحا على العزية اي على النظم الذي احتوى عليها فقد نظمها بعض اصحابه وما احسنه من نظم فشرح هذا النظم ولما بلغنا محله بالغ في اكرامنا اولاده وجيرانه وما تركت زيارة هذا الشيخ ولا مقامه غير ان اولاده يتكلفون ضيافتنا وربما زادوا العلف لدوابنا ثم انفصلنا عن محله وصار يودعنا اولاده جعل الله البركة القوية والوسع والغنى والعلم والعمل في ذلك المحل الى قيام الساعة بمنه وكرمه رضي الله عنهم وارضاهم .

ثم سرنا كذلك الى ان وصلنا الى الجبل فبتنا فيه وكان يطعم بعض المرابطين فيه العصيدة وهو مشهور بها وقد لقبوا بها فلم ارهم في هذه الحجة وانما رأيتهم في الحجة الاولى وهما شيخان عظيمان مسنان في الاسلام فوجدنا عندهما عصيدة باللحم فاكل منها جميع الحجيج تبركا بهم فلما وصلت اليهما نظرا في وجهي ونحن في الطلعة فقال احدهما للاخر هذا يقعد في مصر ويتعلم وذلك الذي في قلبي وقال الاخر يرجع وينتفع به المسلمون فانه قد ورث سر سيدي عبد الرحمن افطال اعني المجذوب فوجدت سر الله فيهما ونحن لم يصلنا خبر موته غير انه مات تلك السنة في مصر بعد رجوعه من الحج ودفن فيها(٢) واما القبر الذي في تونس فقبر ثان فسموه بذي القبرين ولا يبعد حاله ممن هذا وصفه اذ لو كان ما روي عنه ذلك حال حياته لكان ما فعلوه مساعدا(٣) او انه وجد في القبر الذي في تونس فيها ونعمت(٤) وهو له قبول تام عند الناس وبركة عظيمة مجاب الدعوة لاسيما في دعاء الشر(٥) فانه

---

(١) بياض في جميع النسخ ولم ينبه عنه في نسخة — (٢) انظر هذا الكلام في صحيفة ١٧٨ — (٣) في نسخة اذ كل ما روي عنه في حال حياته مساعد لما فعلوه — (٤) في نسخة باسقاط فيها ونعمت — (٥) في نسخة في اعداء الشرفاء

مجرب يحصد الناس حصدا وقد اجتمعت به في صغري و بعد (١) وكان يحبني كثيرا وقد دعا لي بالخير .

ومما اعجبني مما سمعته انه قدم الى مسجدنا في حياة ابي وبات في المسجد و بت معه ولم يا كل طعام احد الا طعامنا ونمت معه الى الصبح وهو مستلقى على ظهره فلم يرجع لسانه عن(٢) الذكر الى ان طلع الفجر بات طربا من غير نوم الى الصبح فلم يفتر عن ذكر الله تعالى وكان صاعقة الظلام والمحرومين(٣) وانه عزم عليه شخص وهو معلمنا في القرآن سيدي يوسف بن بشران هو والولي الصالح سيدي علي الصافي فلما بلغنا الى داره وجدنا مائدة من النوع الذي يسمى المحصمة فاكلت انا معه واما سيدي علي الصافي فصائم وان الشيخ المذكور جعل السمن الكثير في القصعة فقال له الشيخ سيدي عبد الرحمن ما عندك من المعز او الضان فقال له اثنتان ليس الا وكلام الشيخ عليه حلاوة وطلاوة فقال هذا الشيء في حقك كثير بل واحدة تكفي فقلت له يا سيدي عبد الرحمن ما اشد كثرة المال عندك لاسيما الذهب والفضة وآلة الحرب فقال والله الذي كان عندي لم يكن عند سلطان الجزائر فقال والله يا بني ان الفتوحات والمنح لتاتي الي من بلاد النصاري فان بعضهم لما اسرت شاهد مني امرا عظيما وقد انعدم عنده الذكور فجعل لي فتحا كذا وكذا دينارا على انه ان ولد له ذكر فتح الله له بالذكور فقلت له فلم لا تزكي مالك فقال بنفس وصوله الي اعطيه لاخي ولاولاده فلا زكاة علي فقلت له هذا لا ينجيك من حق الله الذي اوجبه الله عليكم فقال لا ملك لي حتى تجب علي فقلت له ان رأيتهم منعوا الزكاة فلا تزد لهم شيئا فسكت عني اذ كنت بحاثا ﴿ نعم ﴾ وكل ذلك من الوهب الرباني والمنح الفرداني ثم انني تعجبت من مقالته الاولى التي قالها للمعلم فانني حملت كلامه على ظاهره من استعظامه ملكه اثنتين من المعز او الضان ثم بعد ذلك قلت

(١) بياض في جميع النسخ ولم ينبه عنه في نسخة — (٢) في نسخة يفتر عن — (٣) في نسخة المجرومين

في نفسي ان كلام اهل الله لا يفهمه الا ذووه على اني فتح لي ان استعظام الشيخ ملك الاثنتين ليس على ظاهره انما هو الدنيا والاخرة فالجمع بينهما امر كثير لا يليق بالمعلم المذكور ولذا قال واحدة تكفي يعني الاخرة وان كان لا بد فالاخرة اولى جعلنا الله من اهلها .

اقول ايضا وقد اجتمعت معه في بجاية وكان يلازمها في رمضان وهي رباط وزيارة فمررت عليه ووجدته في حانوت الحفاف واذا بالحلاق يحلق شعر راسه فلما فرغ قبل الحلاق رأسه وسأله الدعاء ثم سالته الدعاء ايضا فقال لي انت الذي تفريء الطلبة هنا في رمضان فقال لي خذ هذه الرسالة واسردها علي وكان اميا لا يقرأ ولا يكتب وانما فيض الهي فاض عليه فان الله لا يتخذ وليا الا وعلمه فلما قرأتها وجدت فيها ان فلانا قد بعث لك خمسمائة رطل من قطران لسفينتك التي استعددتها للجهاد والغنائم فقال في الجواب اللهم اسق القطران له وشبعه منه فتعجبت من كلامه فقلت له انه اعطاك وسالت له القطران فقال لي هذا جزاؤه فاعرضت عنه وذهبت وتعجبت من كلامه ﴿ نعم ﴾ فهمته على ظاهره ثم قلت في نفسي هذا سر من اسرار الله تعالى فلا يليق حمل كلامه على مقتضى الظاهر ففتح لي بعد ذلك ان المراد بالقطران الدنيا فكأنه قال اللهم شبعه منها حتى تتسع اتساعا يليق بمثله ولذا قال جزاؤه على اني رأيت عم ابي المقبل على الله بشراشرة(١) وكان يحبني في صغري ويتوسم في الخير العظيم ولم يمت حتى رأى النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فقال لي ان الله اورثك سر هذا السيد فقلت له وكذا ماله فقال لا ففهمت ان كل من كان من آله صلى الله عليه وسلم يرزق كفافا لا وسعا ومال هذا السيد يكاد ان يكون مال عبد الرحمن بن عوف لانه من الفيض وليس بكسبي اصلا فاسال عن ذلك عالما بحقيقة امره ولا ينبئك مثل خبير .

﴿ انعطاف ورجوع ﴾ الى ما كنا بصدده فانه لما ظعنا من الجبل فارقنا الركب في

---

(١) في نسخة بشراثره

جماعة من الفضلاء وثلاثة من العلماء وغيرهم من الشرفاء فتوجهنا نحو مسلاتة وهو وطن مشتمل على قرى كثيرة متفرقة وعلى زيتون عظيم لا تكاد تكون بلدة مثله فيه وزيتونه كثير الشجر عظيم الخلقة وعند كل شجرة حفرة عظيمة يجتمع فيها الماء في الشتاء ليشرب منه وما ذهب بنا اليه الا اخونا في الله سيدي محمد الشريف فان ملكه هناك ودار نزوله هناك في إبانه وله معصرة ايضا فيه وكذا اخوانه الشرفاء النوفليون لهم املاك هناك وكذلك اولاد بلغيث الشريف واما سكناهم ففي المنشية التي هي خارج باب مدينة طرابلس فوصلنا الى هذه البلدة عند الزوال او قربه بسويعات وبتنا فيها خير مبيت وانهم اكرمونا غاية الاكرام فلما اصبحنا بخير الصباح انفصلنا عنهم مع شكرهم وحمد صنيعهم عمرهم الله الى يوم القيامة فذهبوا معنا مدة ثم رجعوا عنا فرحين مسرورين بمبيتنا عندهم .

فسرنا كذلك الى ان وصلنا محل اجتماع الطرق أعني طريق الركب والطريق التي تاتي من مسلاتة فوجدنا الركب قد سبق الى وادي الرمل فلاقانا اخوان سيدي احمد الشريف اعني عمه وابنه وجميع اخوانه واولاد اعمامه بتمر جديد وكم وخبز واظن معهم كعك وذلك طعام كثير فلحقنا بالركب عند نزوله فنزلنا منفردين نحن واخواننا جماعة الطرابلسية ففرقوا الطعام لجميع الاحباب * وناولوه عامة الاصحاب * واكرمونا غاية الاكرام * وسعوا الينا بشوق واحترام * وبتنا في ذلك المحل مع جماعة كثيرة فلما اصبح الله بخير الصباح * تسابقت الناس للفلاح والنجاح * ما احسنها من غدوة زهرة اللقاح * فاستوينا على ظهور الخيل بسرور من الصدر وجذل وانشراح * ترى الافواج من الاحباب * والمشتاقين من الاصحاب * المرة بعد المرة يتبركون بالحجيج راغبين الدعاء بالغفران * والرضى من الرحيم الرحمان * فسكنت قلوبنا بعد اضطرابها * وفرج عليها بعد اكترابها .

وسرنا كذلك الى ان اشرفنا على تاجورة فخرجت الافواج من الناس يتلقون الركب ويرغبون الدعاء كما سبق غير ان مطلوب الجميع السؤال عنا والرغبة فيما عندنا اذ لنا عندهم حظ وافر ورجوعنا لهم بشارة وسرور فلقينا جميع طلبة العلم من مدرسة الشيخ

الفاضل * المدرس المحقق الكامل * لانه في تاجورة نبراس * سيدي محمد النعـاس * وقد ادركته في الحجة الاولى وزرته في مقامه * وسمعت شيئـا من كلامه * وكان فقيها مسنا في الاسلام نرغب منه الدعاء * ونطلب منه الحوائج واللقاء * بسط الله علينا وعلى اخوانه وذريته رداء ستره * ورحمنا واياه في رمسنا ورمسه وقبـره * وكان ابن اخيه هو المدرس وهو ممن يحبنا ويرغب فينـا وكذا ولد الشيخ فسألـت عنه فقيـل لي انه مريـض وهو راغـب في رؤيتنا وما منعني من الوصول الى المدرسة الا كثرة الخلق اذ لا يسعهم الا قدرة الكريم ورحمة الرحيم ولقينا الفاضل المحب والكامل المقـرب المقتني سيـدي محمد بن المقيـل وهو ممن يبالغ في اكرامنا اكرمه الله واحسن اليه * وامنه من كل فزع ورعب لديه * وسيرته معنا كسيرة اسلافه مع شيخنا سيدي احمد ابن ناصر فانه لا يعز شيئا في جانبنا بل جانبنا اقوى من نفسه واولى من روحه مع جماعة من طلبة العلم والشرفاء والعامة والخاصة لا سيما رؤساء حضرة طرابلس لا سيما العلامة المحقق والفهامة المدقق سيدي محمد ابن العالـم على الاطلاق والفاضل الورع بالاتفاق سيدي محمد العربي القرجاني الشريف .

حاصله وهذه خلاصة طرابلس وخاصة حضرتهـا وكذا اولاد الشيخ الولي الصالح والبحـر الطافح سيدي الصيد نفعنا الله به وافاض علينا من بركاته قبل وصولنا الى تاجورة وان شيـخ الركب ايضـا كان قريبا لهم قرب رحم لتقـرر النسب بينهم وثبـوت الود لديهم فكانـوا معه ذهابا وايابا وذلـك ديدان اسلافه وشان اجداده مع اسلاف الشيخ امير الركب وان ركب مدوكال لا ينزل الا في هنشير الشيخ فرحب كرمهم وعرصـة اطعامهم اوسع من فناء ارضهـم (بكسر الفاء) وهذا مشهور لدى الخاصة والعامـة غير ان الدنيا كادت ان تقل عندهم فلم يبق الا رفع هممهم وعلو منازلهم فجمحت انفسهم ان ترى بغير كرم وعزت ان تعلم بغير سخاوة زادهم الله رفعة وقدرا وجاها وهداهم ووفقهم الى اهدى سنن واعز طريق بمنه وكرمه .

ثم لما توجهنـا الى آخر تاجورة زرنا المحـب في الله والاخ من اجله كريم النفس رحيـم الغريب ذا الفضائل والفواضل فان عوامل رفعه دائمة العمل * وبناء جوده راسخ في الكمل *

وكذا عوامل جزمه في الحب وحسن الظن والاعتقاد في الفعل المضارع والمشابه في التخلق والتعلق بالسكون والطمانينة لله تعالى لا تتحول ولا تتبدل * سيدي عبد الحفيظ نجل الشيخ سيدي الصيد المذكور لانه جده وقد سبق الود بيننا في الحجة الاولى والثانية وهو زائد الاكرام لدينا حتى كاد ان يسلم اهله في جانبنا غير انه الان كبر سنه ووهن عظمه وقربت منيته فتارة يغشى عليه وتارة ينتبه وقد ثقل سمعه وضعف بصره وانقطعت مادته وهو ملقى على الفراش * وربما اصابه التحرك والارتعاش *(نعم)* الان قوي عند الله حظه وعلت مرتبته * وعظمت رفعته * بلا قدح ولا انتفاش وما اعلى رفعته واعلى منزلته بموت ولده سيدي علي ظلما وعدوانا فعزعليه الصبر * واحنى(١) عليه الكبر * فعظمت مصيبة ابنه * وثمرة كبده وقرة عينه * فليس ينساه على الدوام * اذ يكثر فيه اللهج وهو سبب في الاغتنام * فلم يكن يخدم عليه * ويجري بين يديه * الا حفيده ولد بنته ولا شك انه قريب عند الله رحيم الامة ما دام فيهم مجاب الدعوة سريع الاجابة وقد ثبت العهد بيننا وبينه فلله الفضل والمنة فسالنا الدعاء منه واخبروه بان هذا فلان قد اقبل من الحج ففرح وسر * ومسك على يدي وكر * فانهمرت عينه فعند ذلك كثر الدعاء منه وبها قد در * الى ان اشفينا عليلنا منه وابردنا غليلنا لديه فعلمنا ان نصيبنا من الله وافر * وحظنا لديه من الخير حاضر * وسعدنا نحوه سابق ظاهر * ثم انفصلنا من عنده * وقلوبنا ملتفتة(٢) لديه * ما اصعب الفراق * فان ناره اشد من نار الاحتراق .

هذا وان الخلق قد فاض علينا * وكثر لدينا * فغاب علينا من نعرفه والتبس لدينا الفاضل من المفضول فجدير ان من قصد الركب راغبا هو منهم اذ مقصود الجميع سؤال المغفرة لهم ولجميع الامة رضي الله عنهم فلما استقر بنا الحال ذهبت انا وجماعة من الفضلاء ونزلنا في دار الاخ في الله سيدي محمد المذكور(٣) فاقبل علينا الناس بالبشرى لقدومه ولقدومنا واما

---

(١) في ثلاث نسخ وحن — (٢) في نسخة متعلقة — (٣) زاد في نسخة وهو الشيخ محمد الشريف النوفلي البلغيثي الطرابلسي

اصحابنا فقد نزلوا تلك الليلة مع الركب وبعد ذلك اتى بهم الى داره بخيولهم وابلهم وافام بجميعنا اكلا وشربا وعلفا بل تكرم على الجميع غاية الاكرام * واهتم بامرنا غاية الاهتمام * فليس الا الكسكس واللحم صباحا ومساء ومع ذلك ان الطعام كاد ان لا يشترى من كثرة غلائه فترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن الفحط غمهم(١) وغشيهم ما غشيهم من الجوع «نعم» دخلنا في وفت جذاذ التمر فكثرت انواع نعمه علينا فان النفس اخذت ما تشتهيه من الرطب والبلح والتمر والرمان الجيد والخبز الطري واللحم والسمن وانواع الفواكه والمياه البادرة فشكرنا الله على نعمه وسالناه ان يمن على اهلها بها على الدوام بفضله وكرمه وذلك كله بفرح وسرور .

ومع ذلك ان السلطان الافخم * والامير الاعظم * محب الصالحين * والعلماء العاملين * صغير السن * كبير الشان كثير المن * السيد علي باشا فدم في الولاية على افرانه * بفضل الله وامتنانه * فهلكت اعداؤه من غير حرب ولافتال من اعوانه * وانما كيدهم رجع عليهم فاهل الله عروته الوثفى * وانهم جنة له وبهم الاستسفاء وبهم صعد في المعالى وارتفى * امدنا بطعام وما ينوب الجميع من ادام وعلف فلم يرض اخونا سيدي محمد ان يكون طعاما لنا وانما اطعمنا من عنده وامدنا بمده رعيا للحلال اذ هو رجل او رع الناس * واثبتهم للباس * صادق في المعاملات * خال عن الشبهات * محافظ للاوفات * راع للميفات * في جميع احواله * وسكونه وانتفاله * وكفه واشتغاله * ولاحرث الا منفى * ولازكاة عليه تبفى * ولا مطمع له في احد غربا وشرفا * يدق في الاخلاص * ويراعي مراتب اهل الاختصاص * فيحق به الافتداء * ويعتبر في الارشاد والاهتداء * ويسد باب الخلق ادبارا وافبالا ومدحا وذما عليه سدا * يختار للصحبة اهل الحق ومن ينهض حاله * ويدل على الله مفاله * جدا واجتهادا * فما احسنه خلة وصداقة وصحبة وودا * ورعاية واعتبارا ووداد * غير ان من لا يعلمه * وليس على الحفيفة يفهمه *

(١) في نسخة عمهم وفي نسختين عماهم.

يظن ضد ما ذكرناه فيه ويصد عنه صدا * وربما طغى لسانه * وتدلى عنانه * وقال ما سولت له نفسه وجد ما عليه من الصدق والتصديق بناؤه بسوء طويته وقبح ظنه وقوة حسده هذا * رضي الله عنه وقد اطعم كثيرا عند وصوله نحو السبعين مائدة من العيش كل مائدة تطعم كيت وكيت من الناس * وخيره ظاهر بلا التباس * يحصل منه بلا مشقة ولا كلفة ولا باس * وربما من رأى ظاهره من انقباضه وعدم بسطه واقباله قال بكونه بخيلا * وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وانما هو كريم النفس تنزلا وتنفلا * غير انه يختار لاحسانه اصلا وفرعا وحالا ومآلا * وعلما وعملا وورعا وهيبة واجلالا * فما ادقه في الباطن * واعرفه بالكمائن * واعلمه بالوقائع والضغائن * فنعم الرجل من يعتمد عليه * فيسلك وينتهي اليه * اذ هو حي دائما * متيقظا فاهما * لا يامن النفس في مرعاها * يحق له التحقيق * ولا يسلك الا احسن طريق * فنمطه بين * واخذه سهل لين * يكبر على المتكبرين * ويعلو على المتجبرين * وهو عبد للمتواضعين * وخديم لاهل الصدق والحق والتمكين * يرفع نعالهم * ويبلغ مامولهم ويجبر عليلهم * ولاهل الحيرة والريب دليلهم * ليته ظهر للخلق بحقيقة ما عليه * وينجلي وصفه بين العامة من خلق الله في ارضه وسمائه * قد خفي بوصف الله * وظهر بنور الله * عزيز في الوجود * ونظيره في الخلائق مفقود * احمد الله على معرفته * واشكره ان جعلنا من اهل مودته * فليس يملك معنا شيئا بل يقدم نفوس الاخوان * عند الحاجة والاضطرار بلا امتنان * فلا يمن فعله * ولا يكثر لهجه وقوله * فقوله حق * وكلامه صدق * تقصر العبارة عن كماله بالنطق * حاله احوال الصديقين * ونعته نعوت المتقين * ادام الله اشراقه * وادام انفاقه * واعز صعوده * وارتقاءه * وجعل البركة في ذريته على الدوام * واناله ما نال ابوهم بلا كد ولا اهتمام * وانما هو فضل من الله ورحمة مع اكرام واحترام * بمنه وكرمه .

اقول لما نزلنا في دار سيدي محمد الشريف النوفلي البلغيثي وكانت ثيابي رثة * بالية الجثة * متوسخة الاطراف * اضناها السفر وعدم التبدل فيها والاختلاف * اتى الينا

المحقق الفاضل * والاخ الكامل * سخي النفس * صادق عند الضر والبأس * الموفي بالعهود * ونظيره في الناس غير موجود * الاديب على الاطلاق * المحب بالاتفاق * مغني الانام * المبدئ بالاحسان والسلام * فاذا احسن اغنى * النخبة المختار الاسنى * فليس يرجع في وداده * فان رأى محبا تقوى له في استعداده * فان لم يصبه وابله فطل من امداده * وكذا ابوه واجداده فهم رحب الكرام * ودار احسان لاهل الاسلام * محلهم لاهل الله دار راحة ومقيل * السيد الشيخ محمد بن مقيل * كساني بثياب جديدة حائكا جديدا وقميصا كذلك وبشماقا وقلنسوة كساه الله واولاده كسوة العارفين بالله تعالى وادام علينا وعليهم ستره وحلّانا واياهم بحلية اهل الانابة من المتقين * ثم اعتنى بنا بالاحسان * وجد في امورنا بالفعل واللسان * دائما لا يغيب عنا * وعلى الدوام يدور بنا * دوران الخديم بالسادات * مكنه الله وايانا مع ذرية الجميع من اعلى الدرجات * فان احتجنا شيئا وكان في داره اعطاه * والا فمن السوق سأل عنه واشتراه * فلا يبخل بالطعام * ولا يغتم بكثرة المجتمعين من الانام * واسع الموائد * كثير الفوائد * كريم بما تشتهي النفوس * وتلذ به الارواح من المعاني والمحسوس * مادة الكتاب عنده في كل علم لا تعد ولا تحصى ومن اجل ذا وفوة هذا اهله رؤس * فكل فن الا وفيه عدة من الكتب متكررة * تراها تمد لك المرة بعد المرة * جعل الله داره مرسى * وحياة لكل علم وسنة تنسى * اذ انهم قرى للضيف * ونزل لابن السبيل والضعيف * فيميزون بين الوضيع والشريف * لا قطع الله عنهم مادة الصيف والخريف * دائما له ولذريته من غير مشقة ولا تكليف * وكذا الربيع والشتاء بلا تكييف * وهل جزاء الاحسان الا الاحسان من الله عليهم بالفضل والرحمة بلا سبب ولاجد ولاكد ولاسيف * وكذا كان ابوه معي في الحجة الاولى * اغنى الله اولاده في الاخرة والاولى * فهم جنة للغرباء * رحمة للاقرباء * وجنة (بضم الجيم اي وقاية) لاهل الخوف والرعب وقانا الله واياهم من اوصاف اهل سبا * فاذا بتنا في داره جمع الخاصة من العلماء والفضلاء والادباء والاساتيذ

الفراء * يكرم نزولهم * وينفصل بالاحسان لديهم فاصدا حصول البركة منا لهم * وازالة الوحشة عنا بهم * وحصول المدد لنا بسبب معرفتهم * وفوة انفعالنا بكيفية اجتماعهم * فانهم كنوز تستعد لضرورية الاحوال * وتمتد عند الاضطرار بالنوال * فربما زال عنا النوم في تلك الليلة رأسا بالفاء الفوائد بالحكم النبوية * والفوائد النفلية * والافهام الوهبية * والعلوم اللدنية * والاشعار الادبية * والحكايات السنية * والفصص الماضية * فيزهر المجلس بالانوار * وكيف لا وهي روضة من المفربين الكمل والاخيار * تدور بهم كؤس العاشفين * ونفائس اهل المحبة من المتفين * وحلل المعاني والاذواف من ثياب العارفين * ولو تراها تفول هي جنة عدن يغشاها روح وريحان * وفد فال صلى الله عليه وسلم لا سَمَر الا بالعلم والمسامرة التحدث بعد العشاء بالعلم والفهوم * والاعتناء بالعبودية بالذكر والفيام والتهجد لله الحي الفيوم * فدام احسانه معنا * وارتفى به احوالنا * كان الله لنا وله بالاسعاد * ومن علينا وعليه بالامداد * بفضل الله الوهاب الجواد .

وفد تزين مجالسنا بوجود الفاضل الكامل * والعبفري الهمام الكامل * نبراس وطنه وفريد عصره * وحيد في وفته * ورع في حاله * زاهد في ماله * رفيب لاجله فاذا تكلم اغرب * وبين واعرب * لا نظير له في زمانه * متمكنا في المعالي في اوانه طريفه الصفاء * وعهوده بالوفاء * فلا ينعكس ابدا * ولا ينتكس سرمدا * علمه بالميزان ومجلسه بالامان * فلا يلمز ولا يغمز بالهوان * يشم من الحفيفة * ويرتوي بالشريعة * فلا يتبحر في احداهما * ولا يتجاسر على اهلهما * حسن الاعتفاد * خال عن البحث والانتفاد * ينطق بالحسن والجمال * ويغض عن العيوب والسؤال * ريحانة العارفين * ويسلك مناهج المتفين * فابن ابي جمرة وصاحب المدخل ديانته * والفرآن والسنة هدايته * فلا يعلو عن اهل الهدى * ويتكبر عن اهل الاعتدا * وان خالطهم فعلى طرف اللثام * وليس بجد واعتناء واهتمام * وانما هي جنة لعرضه * ووفاية عن شره * وضره يصرفه لمن يشاء يكاد سنا برفه * فلا يزعم اذا تحدث * فيوفي بالعهد ولا ينكث *

منور السريرة * فوي البصيرة * عفله وافر كامل * وهو حافـظ ونافـل * لا يخلـو عـن حكمة وفائدة * ولا عن منة وعائدة * يراعي الاخوان * ولا يسرع بالهوان * ولــذا لا ينكر الاحسان * ولا ينفطع عن السنة والاستنان * دائم الفكرة * فوي العبـرة * حسن العبارة * يفنع بما وجد * ولا يختل اذا فقد * فيشكر الانعـام * ويرضـى بضـده بمـا يصيبه من الالام * منذ عرفته يزداد لدي وداده * ويصعب علي ابتعاده * ما احسنــه والطفه * وارحمه وارأفـه * تفصر العبـارة عن اوصافه * اذ الكرم والجـود في معـدن اسلافه * شريف النسب * فوي الادب * السيد النورانـي * الشيخ محمد العربـي الفرجاني * اعزالله رفعته * وادام نعمته * وانفذ في الخلق كلمته * ونفـع به امتــه * رضي الله عنه وامد بالعلم ذريته * واحسن في الخلق سيرته *(نعم)* اجتماعنا رحمـــة * وافترافنا عذاب ونقمة * جمع الله بيننا في الجنة مع النظر الى وجهه الكريم .

وفد اجتمعنا ايضا بالفاضل * والعالم الكامل * والسيد الجليل * والففيه النبيل * ذي الارادة والاوراد * والعدة والاستعداد * وذلـك موروث عن الاباء والاجـداد * الشيخ النوراني * والمحفف الصمداني * والسيد الفرداني * الشيـخ محمد السودانــي * كان الله له دينا ودنيا بمنه وكرمه .

وكذا اجتمعنا بمن له حلاوة في اللسان * الموصوف بالحفظ والاتفان * المشتغـل دائما بتفسير الفرآن * فريـدة الاوان * وعائــدة الزمـان * العالـم النوراني * السيـد محمد الصكلاني * كما اجتمعنا معه فبل وكـذا من اصحابنا * وفرة اعيننا وثمرة فؤادنا * ومن على الله وعليه اعتمادنا * المحب على الدوام * خير زماننا من الانام * الفاضل الرباني * الصدوف النوراني * الود والخل الفاني * عن نفسه وعن كلية احواله في حب المثاني * الذي هو جنتي وحرزي * سيدي محمد بن الشيخ البركة المعزي .

وكـذا اجتمعنـا مع العلامـة النوراني * والفهامـة الفرداني * الفاضـل في تحفيـف المباني * الفصيح البليغ في بيان المعاني * نظمه سلس عليه حلاوة * وجواهـر الفاظـه

لها طلاوة * وهو مقبول عند كل الناس * وخالص من الالتباس * كانه خارج بلا كلفة * فيه التوحيد واحكامه صرفة * الظاهر عليه فضل الباري * الشيخ المنور النوري * امدنا الله واياه بالعلم النافع حتى يصير الكل ضروري .

ومن اصحابنا ايضا الود الصادق * والكل في الله الرازق * وخيرة الناس والخلائق * نور ايمانه شارق * خديم الاخوان * عبيد الرحمان * ذو الجود والامتنان * وذلك بفضل الله المنان * فليست افعاله الا لوجه الخالق * سيدي عبد الخالق * اذاق الله لنا وله حلاوة التقوى * وادخلنا واياه جنة المأوى .

واما غير هؤلاء من الاشراف والمريدين والمحبين وطلبة العلم فلا احصي عددهم ولا اؤدي حقهم ومُقَدَّمهم كان الله لنا ولهم بالعطف والعناية آمين .

وممن بالغ في حبنا واكرامنا * وتعظيم جانبنا * كاتب الحضرة السلطانية ايده الله وحفظه من شر الزمان * السيد محمد بن عثمان * لا خيب الله قصده * ومن كل خير امده * آمين .

وممن بالغ في حبنا ايضا المعظم الاجل الانفع محب الصالحين * والعلماء العاملين * وزير السلطان يوسف الكاخية فانه يعظم جانبنا * ويقضي حوائجنا * فلا يعز عليه شيء من امورنا * جعل الله البركة في ذريته مع حفظه من كل طارق يطرقه الا طارق خير .

واما الامير الفاضل * والمعظم الكامل * ايده الله ونصره * وامده واعانه * المجاهد في سبيل الله * المنصور بعون الله * الغالب والمحفوظ بالله * محبنا * وغاية ودنا * رفع الله قدره * وآمن بجاه النبي صلى الله عليه وسلم شره * خلد الله الملك في ذريته * وكان لنا وله بالتوفيق والحفظ في ولايته * اسعد الله ايامه * السيد علي باشا * ايقظه الله للسنة النبوية * وطهره من كل اثم وجريمة * والهمه العدل والانصاف * وطهارة النفس بالاستعفاف * فانه قد اجاد في حبنا * وبالغ في تعظيمنا واكرامنا وخدمتنا * وقد تركنا عنده فرسنا الحمراء وقد احسن بها غاية الاحسان وقد تعجب الناس حين اخرجناها

من داره وذلك كله من حسن اعتقاده * وغاية وداده * بجده واجتهاده * وقد علمت منه انه لا يحب مفارقتي وانا كثير الحياء وانما منعني من الاجتماع معه كثرة الحجابين واهل الحضرة من الدولة اعني المماليك والقواد والعمال وغيرهم من رؤساء العسكر واهل الوجوه من اهل البلد فمهما مررت عليهم الا ظننت انني مكشوف العورة والا فهو صغير الرأس لين الجانب لا يتعاظم على جليسه مبسوط الوجه غير منقبض مرتب الكلام ولا يطيش بعقله ليس بلعان ولاسباب رحيم بالمؤمنين مقيل العثرات * ومقبل الشفاعات * غير انه لاتصل اليه الشكوى لقوة حجابه وعدم ظهوره فلا يصل المكروب الى محله ولا المظلوم الى موضعه وقد قلت له عند اجتماعي به فلابد ان تجعل محلا يصل اليك جميع الناس يبثون اليك شكواهم ولان تنظر الظالم من المظلوم فتنصره والظالم تقهره والسائل تجود عليه والعالم تعزه وتوقره فترى الناس وما هم عليه من الظلم والهرج والمكر والخديعة والصدق والكذب والديانة وغيرها فتباشرهم وتتولاهم على ما هم عليه واما الان فلا يراك الا اهل دولتك فربما اظهروا لك غير ما كان شرا او خيرا فتساعدهم فيهلك الناس او تترك الاحكام بحيث تترك الناس على اغراضهم فتظن ان ذلك حلم بهم وشفقة عليهم وانت راع وكل راع مسؤل عن رعيته فلا تشتغل بشهوات النفس مع ازواجك وخدامك ومماليكك وتترك الناس على الاهمال فاتق الله في نفسك و فيهم وقم بحقهم وازجر الظالم عن المظلوم وكن حليما عليهم بلسان الشرع اذ كل حق يضيع فانت ضامن شرعا فلا يمسك تقصير وتفريط فسمع حينئذ ما قلت له .

وقلت له ايضا انك اهملت العلم واهله وقصرت في حقهم ما استطعت وقد فقد تدريس العلم من مدينة طرابلس بحيث لا ترى مجلسا من العلم الا من الهمه الله من الطلبة ان يدرس من غير امر منك ولا معونة تكون لهم من بيت المال بسببك فرضيت ان يكون بيت المال تنتفع به وحدك ويأكله اليهود والنصارى ومن لا معنى فيه فان اعطيت شيئا منه لمن يستحقه جعلته مزية عليه واظهرته لديه وكل ذلك يصغى له لانه ذو عقل ولب

يحفظ ما الفي اليه واوصيته ايضا بانك لابد ان تبني مدرسة للعلم وتحبس عليها احباسا معلومة للمعلم والمتعلم كل بحسبه فرضي بذلك غير انه اراد ان يجعلها خارج المدينة لينزل فيه الغريب والفقير يعين الكل على ذلك ولا ادري ايدوم ذلك به او ينساه غير ان جلساءه وفواعده غير مشتغلين بذلك والسلطان مذهبه على مذهب جليسه .

حاصله لا باس به وهو يستمد الخير من اهله ويرغبه باسبابه وان العلماء ايضا يجتمعون معه كل يوم الاثنين او يومين في الاسبوع اطلاعا على بعض الخصومات بين يديه وهم جماعة خيرهم الفاضل المذكور سيدي محمد السوداني وسيدي محمد العربي الفرجاني يبحثون عن الوافعة على الحق ما ظهر لهم مع حضور القاضي والمفتي وفد حضرت لهم مرة واحدة من غير فصد مني ولا منهم فانه امر اتفاقي اذ بعث لي السلطان رغبة فينا ومحبة في اجتماعنا وفدر الله بالاجتماع بعد الظهر الى صلاة العصر فافترفنا ومرة اخرى بعث لي وسيدي محمد الشريف حين رجوعنا من الحج فجلس معنا واوصيناه بتفوى الله تعالى والعلم والاعانة والاجتهاد في امور المسلمين ففال لسيدي محمد انت صعب وفد اهلك الله بك فلانا وفلانا وسيدي محمد ساكت .

وبالجملة فانه صاحب خير وان له حسن اعتفاد في اهل الخير اذ فال لما تركت فرسي عنده وهي في داره فاتى النصارى الى بلد طرابلس ياخذونه او يهدمونه نعم لا طافة لهم بذلك فاهتم الناس بالخروج الى المنشية خوفا من ضربة المدفع والبونبة فال ففلت لهم والله لا خرجت اذ فرس الشيخ الفلاني عندي وانا اخرج او يمسني منهم الهلاك فمكثوا مدة على شاطئ البحر حتى انزل الله الصلح بينهم والامان التام وهذا كله ونحن في المشرق فرآها كرامة وانما الشفاعة من اهل التصريف واهل وطنه .

وفد فال بعض العارفين اذا اراد الله ان يتفضل عليك خلق الفعل ونسبه اليك كان الله لنا وله بالعافية التامة الدائمة الشاملة بمنه وكرمه مع التوفيق والرحمة والبركة في الذرية والموت على حسن الخاتمة على فراش العافية آمين .

ومدة اقامتنا في طرابلس مشتغلين بزيارة الاحياء والاموات فزيارة الاحياء اكثرهم زرناهم في دار سيدي محمد في زيارتهم لنا واما زيارة الاموات فقد زرناهم في قبورهم بالوصول اليهم كالولي الصالح سيدي محمد بن سعيد وقد رأيت كلامه ككلام الشيخ محيي الدين سيدي عبد القادر وغيره من العارفين والشيخ الصيد وتكرم علينا اولاده باكثر من طاقتهم والشيخ ابن جابر والشيخ المرغني والشيخ المعزي وقد ادركته وهو حي وانتفعت به اتم انتفاع وقد اوفيت الكلام عليه فيما سبق .

وكذا زرت الاشياخ الذين في المدينة وقد اخبرنا العلماء بهم ممن يعرف تاريخهم وطبقاتهم وكذا من كان خارج المدينة بعضهم بالتفصيل وبعضهم على سبيل الجملة افاض الله علينا من بركاتهم وجعلنا في زمرتهم وممن كان هناك الشيخ الحطاب أعني ابا الحطاب الذي حشى خليلا اذ له دار بمكة والاخرى بطرابلس ولذا نشا ولده المحشي الحافظ مكيا .

ذكر خروجنا من طرابلس

حاصله اقمنا بها نحو السوقين في اكرام من اهلها وتعظيم لنا وللحجاج فظعنا على خير وخرج معنا اكثر اهلها من العلماء والطلبة والفقراء واهل النسبة و بعض رؤس الدولة والاكثر من العامة واعيان البلد من باب المدينة وخرج الركب صبيحة ونحن ننتظر بعض الحوائج والاشياخ الذين يصلون للتوديع من اهل المحبة والاعتقاد ليتم سعينا ونغتنم بركاتهم عل الله ان يزيل الحجاب عن قلوبنا بجاههم عند الله وكذا اهل المنشية من المحبين جميع الاشراف والطلبة والفقراء واهل الاعتقاد فخرجنا من طرابلس عند الضحى الاعلى فمنهم من رجع واما اكثر العلماء من المحبين والفضلاء ركبوا معنا فمررنا بقرقاش بلدة فيها زيتون كثير فزرنا من فيها على الجمال والناس في اثارنا اتوا الينا للتوديع من نعرفه ومن لا نعرفه جزاهم الله خيرا و وفق الله الكل الى صالح القول والعمل .

ثم مررنا كذلك الى وقت الظهر فصليناه عند بعض الصالحين عند شاطئ البحر وكان

مجاب الدعوة تقضى الحوائج عنده ثم مررنا بزنزور بلدة واسعة فيها زوايا وارض ومزارع وفيها مدرسة من احسن المدارس التي في تلك السواحل وعلى بابها قبر رجل من الصالحين قريب العهد قيل انه يسمى بالعريفي .

قال شيخنا المذكور ما نصه (١) قال ابو سالم واخبرني من اثق به ان هذا الصالح كان يجلس عند زيتونة عند قبره حين كان حيا فجاء رجل بعد موته فجلس في ذلك المحل وشرب فيه الدخان فلما نام ذلك الرجل في الليل جاءه ووقف عليه وضربه على رأسه وقال له مكان كنت اجلس فيه فجئت اليه فنجسته فاصبح الرجل اعمى وهذا يدل على خبثه اي الدخان وحرمته والاكثر على التحريم كالشيخ ابراهيم اللقاني وشيخه الشيخ سالم السنهوري وغيرهما من محققي المتاخرين من المغاربة .

وممن الف في اباحته الشيخ ابو الحسن الاجهوري ورد كلامه الشيخ الفقون ردا بليغا نقضه عروة عروة وكذا اباحه سيدي احمد بابا التنبكتي السوداني وقد اخبره السكتاني انه راجعه في كثير من ادلته على الاباحة فلم يجد عنده تحقيقا ايضا قال وغاية امره انه ليس من اخلاق الصالحين وقال ايضا رأيت في شانه نحوا من ثلاثين تأليفا بين محلل ومحرم ولا ارتضي شيئا منها وانما مذهبه التوقف وعدم الجزم فيه قال ومن اظلم ممن قال ان الله حرم هذا او احله من غير نص شرعي او قياس مقبول مسموع الا انه جهلت الاحكام فيه الى الان وقد علم انه لا يجوز للمرء ان يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه اذ لم يتضح فيه شيء يثلج له الصدر ويطمئن به القلب الا ان بعض الصالحين يقول اني رأيت في درعة بلد الشيخ في النوم وتناولت شيئا منها ليلة الخميس عند اجتماع الطلبة فيها كما هي عادتهم زمان تعطيل القراءة اذ جاءني في عالم النوم رجلان بيد احدهما حربة فاخذا يضرباني ويعذباني وانا اعتذر لهما واقول لهما لا علم لي بشانه ولا يقبلان عذري وعذباني

(١) في هذا النقل عن الرحلتين العياشية والناصرية حذف كبير يصعب تداركه هنا في اسفل الصحف

عذابا شديدا حتى استيفظت ووجدت اثر الضرب شديدا وبفيت من اجل ذلك نحوا من سبعة اشهر مريضا ولا شك في صدق الرؤيا .

﴿ نعم ﴾ ان غالب المتورعين من الفقهاء لا يستعملونه واذا اختلف الفقهاء في حكم وكانت الصوفية في جانب واحد فالحق معهم لان الله صفى قلوبهم من الاكدار فلا ينطقون الا عن حق وصواب .

واما علماء المشرق فيتساهلون فيه فضلا عن عوامهم فكثيرا ما يستعملونه في المساجد وهو شنيع كبير اذ يجب تعظيم المساجد وتقديسها من هذه الرائحة الكريهة فانه يحرم كل ما يخل بتعظيمها ويقتضي اهانتها حتى الثوم والبصل مع الاتفاق على اباحتهما ولو اضطر اليهما الآكل للدواء الا ان اهل المشرق في الغالب يخلون بتعظيم المساجد ياكلون فيها ويشربون ويحلقون رؤسهم وينامون اه كلام الشيخ ابي سالم باختصار وتغيير .

ثم قال شيخنا ﴿ قلت ﴾ واما شيخنا قطب الزمان ＊ وعلامة الاوان ＊ الجامع بين الشريعة والحقيقة ＊ الى ان قال سيدي محمد بن ناصر نفعنا الله به واعاد علينا من بركاته فطريقه فيه طريق المتورعين مع عدم التفوه فيه بشيء على انه شديد النكير على متعاطيه ويامر بالضرب بالنعال واليد لشاربه واتى بعض الباعة يوما به فامر به فاحرق وغرم له قيمته ولا يترك احدا يشربه في اماكنه ومحاله رضي الله عنه ويقول لا حظ لشاربه في طريقنا ولا يشم له رائحة اعاذنا الله من ذلك وهكذا راي متحققي علماء الامة والسنة اه كلامه باختصار .

﴿ فنعود الى ما كنا بصدده ﴾ فلما بلغنا زنزورا واذا بمحب الصالحين وخادمهم الفاضل الكامل محبنا وغاية ودنا قائد عمورات قائد زنزور[1] مشهور بالفضل ورغبة في الخير وهي خير وقد بنى مدرسة عظيمة مربعة وفيها بيوت كثيرة ومسجد جيد وعرصة طيبة يستحسن ذلك جميع

(1) كذا في جميع النسخ

الناظرين فلا يكاد من يريـد القراءة والتحنث بالعبـادة ان يخرج منها وفيها طلبـة القرآن والعلم وقد رتب لها مدرسـا ويجـري بعض المعيشـة عليهم وقد حبس عليهـا املاكا واوقافـا اكثرها المحاذي لها تقبل الله منه جميع ذلـك بمنه وكرمه فعزم علينـا فبتنا عنده مع جميع من ودعنا كسيدي محمد الشريف وسيدي محمد بن مقيل وجميع المحبين وقد تكرم واحسن ضيافتنا وهو ليس له خدمة الا على الزاويـة المذكورة فانه يطعـم من كان فيهـا اذ ليس له ذرية اصلا فبتنا عنده خير مبيت الى ان صلينـا الصبح وانفصلنا عنه على خير وكرامة وحـب وتعظيم فسالنا الله حسن الخاتمة وبلوغ المامول(١) ﴿ فان قلت ﴾ كيف يفلح من بنى مدرسة من مال المسلمين لينه تركها عندهـم وقد قال صلى الله عليه وسلم في الزانية تتصدق ليتهـا لم تزن ولم تتصدق فكذلـك هو لينه لم ياخـذ مال الناس ولم يبن وقد سمعنا من المنكر عليه انه لم يقصد بذلك الا التفاخر والمدح والرفعة عند اهل الدولة واقبال الخلق عليه لاسيمـا من لا يعرف الاحكام ممن يظهر الصلاح ويدعيه فتجده يمد لسانه في مدحه وينسب له ما لا يليق بمقامه اذ يجب على اهل العلم زجره والرد عليه بان يقولوا له لا تاخذ اموال النـاس ظلما وان اخذتها يجب عليك ردها لاربابها فانها(٢) في ميزانك وفي ميزان من ولاك فان هو قبل فهو ذاك والا فليس هناك ﴿ قلت ﴾ الامر كما ذكرت الا ان العلماء ينبغي ان لا يثبطهم ويقعدهم عزائمهم عن هذه الفضائل فان الظالم والمتسلط اذا حسنت نيته واراد ان يبني قنطرة او مسجدا او غير ذلـك مما فيه النفع الدائم والثـواب المستمر غير انه يبنيه من مال المسلمين الذي لا يحـل اخذه وعلم انه لو لم يصرفـه في ابواب الخير صرفـه في المحرمات واما رده لاربابه فلا كيف يحل لعالم او صالـح ان يقول لمن هذا وصفه فلا تفعل فان المال ليس لـك واما ما تبنيـه فوبال عليك لان من شرط الثـواب ان يكون من مال الانسان فترى من عزم على ذلـك تقاصـرت نيته وضعفت همته و بطل عزمه فكانـه اشـلاه

---

(١) في نسختين زيادة وقوة النفقة — (٢) في نسخة لان اثمها

على اتلاف تلك الاموال في المحرمات وعامة الشهـوات فيصير كمن بنى قصرا وهدم مصرا بل الحـق ان علم انه اي الظالـم لا يرد الاموال لاهلهـا ولا يستحلها من اربابهـا ان يجعلها في سبيل الخيـرات ومصارف البركات ومغانم المثوبـات فان الحاصل من ذلـك حصول بركة الدعاء من عامة المسلميـن وخاصتهم وقد قال صاحب المدخـل ان المدرسة اذا بنيت من مال حرام وجهلت اربابه فيجوز للعالم ان ياخذ منها بوجه العلم انتهى فترى انه لو لم يكن ذلـك الفعل لما توصل اليها ذلـك العالم ولا كانت سبيل الخير .

وقد قال الشيخ عبد الكريـم الزواوي في شرح الوغليسيـة ما هو حاصله ان المتبـرع من الولاة بمال المسلمين الذي جمعه ظلما وعدوانا من غيروجه شرعي ثم صرفـه في مصـارف الخير لاسيما الدائم نفعه كالقناطر والاوقاف الجاريـة له اجر الدعاء و بركة النفع من المسلمين وثواب ادخال السرور عليهم وان لم يكن ماله فترى الظالم يثاب من وجه ويعاقب من آخر فهو اولى من العقاب المحض والمحرم الصرف فليس لاحد ممن لا يعرف احكام الشريعة ولا اصول الحقيقة ان يقول للظالم اياك ان تصـرف تلـك الاموال في باب الخير فانـه مسدود عليك * ومغلق لديك * فيو يسه من رحمة الله و يقنطه من كرمه فربما انسد الباب على هذا القائل وكان من القانطين اراد ان يتورع * فشرب كاس الاياس وتجـرع * هـذا وان صاحب النور يعرف ما ياتي وما يذر اذ رب معصية اورثتك ذلا واحتقارا * خير من طاعة اورثتك عزا واستـكبارا * فلا كبيرة اذا واجهك فضله * ولا صغيرة اذا قابلك عدله ﴿ نعم ﴾ المال اذا جهلت اربابه سبيله سبيل الفيء ان كان منتظما بحيث يصرف في ابواب الخير والا فهو للفقراء والمساكين فان فضلت منه فضلة تصرف في منافع المسلمين كما ذكرناه آنفا وايـاك ان تسمع لمتفقهة الزمان * وصلحـاء الاوان * الذيـن هم المعجـزة عند الاختبـار والامتحان * فانـك تراهم يتناسبون على صدور الخير باللسان * وقد تبت(١) ايديهم عن

---

(١) في نسخة تثبطت

صنيع المعروف وموارد الاحسان * يذمون الكريم على كرمه * ويمدحون اللئيم على تكبره واعظامه * فقضايا الخف على عكس اهل العصر * ومواطنهم ليست مواطن النصر * وقال صلى الله عليه وسلم لولا الحمقى ما عمرت الدنيا فناهيك باهل الخفائق فشد يدك عليهم لاسيما المتمكنين في الشريعة رضي الله عنهم وارضاهم وجعل الجنة مثواهم .

﴿ انعطاف ﴾ الى ما كنا بصدده تعلم ان فائد عمورات المتحدث عليه لما انفصلنا عن محله وشكر صنيعه واغتنام البركة من اهل الفضل من المسافرين ومن اهل بلده ركب مركوبه بعد ان ودعنا من في المدرسة من الطلبة واهل الفضل منها ومن اهل المحل يودعنا مع رؤساء من ارباب دولته وهو رجل كبير السن زاد لحمه وشحمه عن وضع الاعتدال ذهب معنا اميالا بالتشييع ومتاسفا على المفارقة بالتوديع غير انه تحرك ليلعب على فرسه ممتثلا لما عسى ان يكون مرويا عنه صلى الله عليه وسلم من ركب فرسا ولم يلاعبها او لم يعرفها ففيه نزغة يهودية او كما قال ﴿ نعم ﴾ لما مدها بالجري مع كاتبه سقط عنها وكان ملقى على الارض ففزعنا منه وظننا انه مات او كاد فلما وصلنا اليه وجدناه متيقظا نشيطا فقام من حينه فاخبرناه عن عزمه(١) ودينه فكان منه ما كان غير انه لم يتغير بالجنان فقلنا له الان تم امرك وصح مقصودك اذ من صنع معروفا فاصيب عنده كان مقبولا في معروفه ففرح وسر حسبما ورد في الحج انه اذا كان مقرونا بالمصائب والمشاق عظم اجره عند الله وقبل والا فلا .

وقد ورد عن بعض الفضلاء واظنه ابا الفضل النحوي انه حج ورجع ولم ينكد ولم يصب في ماله ولا بدنه فعظم ذلك عنده وقال ان حجي لم يقبل فخطر ذلك في باله عند قربه من وطنه وهو في نواحي نفزاوة فلم يلبث الا وخرج جمع من المحاربين وثلة من المتعدين فاخذوا مالهُ وسلبوا ما عنده فقال الان تم الامر وعظم الاجر وقبل الحج

(١) في ثلاث نسخ حزنه

وقضي الوطر وفرح عند ذلك الا ان كاتبه خاف منه وتروع قلبه اذ ربما عاقبه على ذلك فسأل الشجاعة منا ان يجعله في حل فكان الامر كذلك وبعد ذلك بسويعات عند قربنا من بلدة السيد الفاضل سيدي عبد الخالق في المائة محل سكناه رجع عنا من كان يودعنا من اصحابنا وبقي البعض ثم قائد عمورات بعد الالحاح في الدعاء له ولمن كان معه بالمغفرة والرحمة ودوام النعمة .

ثم مررنا باهل الفاضل الكامل الاخ في الله سيدي عبد الخالق فنزلنا عندهم صبيحة فاطعمونا بالكسكس واللحم كثر الله خيرهم فدعونا لهم بقريحة قلب وقوة اهتمام وعزم ومعنا الذي يقول في طرابلس انا قطب بمجرد لسانه وعلامة القطب ليست عليه وغايته ان يكون من جملة المومنين بل اذا سمعت قوله تقول انه صاحب التصريف الكامل غير انه تعكر عليه بعض الكوائج ظاهرا وباطنا فلا يساعده الا قيل اصله (١) او انه خفي علينا حاله فيتكلم قهرا ويطغى عليه امر الوارد جهرا الا انه من لم تكن عنده شريعة فليس عنده دقيقة فضلا عن الحقيقة والحقيقة لا شريعة معها زندقة والشريعة لا حقيقة معها تعطيل وفسق وقد قال امام دار الهجرة مالك من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق .

وقال الامام عز الدين ابن عبد السلام كل حقيقة لا شريعة معها فهي باطلة وكل شريعة لا حقيقة معها فهي عاطلة (٢) انتهى فاذا يجب عليك ان تنظر من تتخذه لدينك ولا تغتر بكل ناهق وناعق فتسلم في دينك وتكون من خاصة الله في عباده بعد حسن الظن في الله وجميع المسلمين فتعلى همتك وترفع منزلك وقد نزهنا هذا الانسان عن القطابة لعدم تمكنه وانما سلط عليه اللبس والالتباس * فلم يفرق بين الحق والوسواس * واذا زجرته زاد في العكس والانتكاس * ومع ذلك انه يظن في نفسه ما لا عين رأت ولا اذن سمعت

---

(١) كذا في نسختين وفي نسخة قبل بدل قيل وفي نسخة ما ادعاه — (٢) في نسخة عاطلة ...... باطلة

ولا خطر على قلب بشر فتجد العلماء يضحكون عليه ويستهزئون به ويجعلونه مسخرة فبعضهم يرد عليه وينكر خصوصيته وبعضهم يوافقه ويساعده ليسلم من شره اذ يعتقد ان كل ما صار في العالم فهو على يديه ونحن اعتقادنا فيه اقل مما يدعي واسلم مما يعتقدون فيه من الزندقة وما به الا غلبة الحال والوارد مخلطا ومفترنا بطغيان النفس ووساوس الشيطان اللعين فمن يفرق بين الخواطر زل قدمه واللسان تابع لما هنالك واختل عقله ببعض الاطعمة والاشربة فصار في محل الاهمال فيتصرف بتلك البضاعة الضعيفة او غلب عليه طبع السوداء فيتكلم جبرا * ويتحرك قهرا * ويصيح اضطرارا * فتتخيل له صور المغيبات * ويزعم انه يطلع على سر المكونات * وما ذلك الا الحكم الوهمي وانقلاب الطبيعة وتغيير حال الاعتدال وهذا معلوم عند اهل الطريقة ﴿ نعم ﴾ لا تزال طائفة ظاهرة على الحق ترد الباطل وتحقق الحق وما دام ذلك لا ينقطع الخير عن هذه الامة ما زلتم بخير ما دام يرد بعضكم على بعض بشرط ان يكون الراد سالما من العلة النفسية وهتك حرمة المسلم باظهار المعائب واخفاء المحاسن وانما يقصد القيام بالسنة واظهارها واخماد البدعة وابطالها وليس حسدا وبغضا وعنادا واسقاطا له من البرية ويسقط حظه عند الخليقة ولذلك ترى الكثير ردوا عن باب الله باعتراضهم على الخلق وان كانوا محققين في اعتراضهم انظر الشيخ زروق في القواعد .

هذا واني انفصلت عنه على خير وسلامة قلب وقد اشار لنا باشارات بعضها يدق على الافهام * ويعزعن الالتئام * فما وافق السنة قبلناه وما كان متشابها طرحناه عن الاعتبار * ووكلنا امره الى العزيز الجبار * اذ عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو سبحان من اوقف العباد * فيما اراد * فمن نظر الى الشريعة اعترض * ومن نظر الى الحقيقة سلم وفوض * فمن اراد الجمع بينهما فليقم بالسنة والشريعة ظاهرا بلسانه ان كان عالما او بيده ان كان سلطانا ويسلم بقلبه لعلم الله بالواقع والحقيقة فالاعتقاد بالقلب ولاية * والانتقاد به جناية * اذ لو كشف عن نور المؤمن العاصي لملا ما بين الخافقين واحرق ما بين السماء والارض

فكيف بالمؤمن المطيع حاصله قد عز الطبيب الرباني * وذو الترياق الفرداني * بل قد انعدم رأسا والا فالمؤمن لاخيه كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وهذا الباب واسع المجال * رحب المقال * كثير التفعل والانفعال * فلا يسلم منه الا اقل القليل * بفضل الوهاب الرحيم الرب الجليل .

ثم مررنا بالزاوية الغربية وهي بلدة عظيمة قد جمعت ووعت اجناس الخلق واصنافه من العرب واولاد الترك وقبائل شتى فلما فسد رايهم وتقوى فيهم الاهمال وضعف فيهم حكم السلطان اضطرمت فيهم الفتنة وعظم فيهم الهرج وصاروا الى القتال انقسمت عليهم الاعراب او ان السلطان رأى لهم ذلك لان فيهم العمال والقواد وارباب الدولة وهذه البلدة(١) كثيرة النخل واسعة الاطراف قوية(٢) الاكناف وقد كثر فيها اهل الخير من الصالحين اهل الانصاف الاحياء والاموات ينبت فيها الصالحون كالشجر فلا تجد ناحية الا و فيها فقراء والمزارات بحيث ان كل ناحية تجد فيها مزارا حيا او ميتا فان عليهم سيمة وعلامة تعرفهم بسيماهم وذلك معلوم بالضرورة وقد ودعنا جماعة من اصحابنا من طرابلس وبقيت معنا جماعة منهم كالاخ في الله سيدي محمد الشريف واصحابه ثم تلاقينا عند صلاة الظهر بجماعة من المحبين وجم غفير من الصالحين ومن العلماء العاملين وجماعة من عامة المومنين كلهم راغبون في الخير ومشتاقون الينا فانهم وقفوا معنا وقوفا عظيما وقياما لائقا جزاهم الله عنا احسن جزاء فمنهم من تكرم علينا بالشعير والطعام واللحم ومنهم من اتى برؤس من الضان .

حاصله انهم اهل كرم وود ومحبة واعتقاد زائد واحوال صادقة وواردات ظاهرة ومواجد عظيمة بينة يظن الانسان ان الخير مقصور على هذه الزاوية وهي بلدة ذات فواكه واشجار ومزارع وعمارة كبيرة لا تحيط به العبارة وتقصر عليه الاشارة افاض الله علينا بركة اهلها بمنه

---

(١) في ثلاث نسخ الدولة — (٢) في نسخة قريبة

وكرمه ثم تلاحقنا بالركب فلم ندركه الا عند العشاء وذلك مع اصحابنا من طرابلس واخواننا من الزاوية حتى امتلات الخيمة فلم تتسع لهم بل باتوا خارجها فاطعمنا الجميع بفضل الله تعالى وبتنا هناك معهم خير مبيت الى الصباح فظعنا والاصحاب معنا الى الضحى الاعلى فاستودعناهم الله واستودعونا كذلك فلما حان الانفصال وتقارب الرجوع والانتقال [تكدر القلب وتغير وحزن فاصابه قلق والله كادت الروح ان تزهق وهي تطير](١) وانما مسكها قفص البدن فلو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان فعند ذلك تألمت(٢) الاجباح * وبدا منا البكاء والصياح * فلم يبق شيء لدى الفراق من انواع الارباح * فعزت النفوس ان تذهب مغربة وكذا انفسهم جمحت ان تذهب مشرقة فامتنع الجميع من المطاوعة ان تكون مفارقة فغربت شمس الاجتماع * وكسف نور المشاهدة والانتفاع * وانما اقبل ليل البين وظلمة الاقصاء والانقطاع * تتجافى جنوبنا عن مضاجع الانس وضاقت بنا الوحشة(٣) في جميع البقاع * فربما اصيب البعض منا بالمرض * وبرهة من الزمن متصل بالقبض * هذا وان الركب قد ذهب علينا وغاب عنا ونحن في التوديع فنرجع الى ما كنا بصدده ثم بعد الفراق ذهبنا نلحق الركب فلم نلحقه الا قرب الزوال فمررنا بالزوارة الشرقية فسقينا منها واستقينا وماؤها عذب بارد وتسمى الزوارة الكبرى .

قال شيخنا المذكور ما نصه وتسمى كوطي بضم الكاف وكسر الطاء المهملة وهي قرية اضخم من الزوارة الغربية واكثر غابة وفي اهلها شجاعة وحدة(٤) نفس وكانت طاعتهم للعرب مشوبة بعصيان ومنتهاها قرية ولول وبينهما عشرون ميلا وهما قريتان متشابهتان عذوبة ماء وخراب بناء وولول هذه منتهى ارض الزوارات من ناحية المشرق وسميت بذلك لان اقواما من الاعراب يعرفون ببني ولول نزلوا بها وكذلك تعرف في القديم بارض بني ولول وهي اكثر بقاع الارض ظباء ولاهلها دربة في صيدها باشراك ينصبونها

---

(١) ما بين القوسين ساقط في نسخة وفيها عوضه وفقدت الروح الاصطبار — (٢) في ثلاث نسخ تمالت — (٣) في نسخة النفوس — (٤) في الرحلة الناصرية وعزة

لها تميزوا بذلك عن غيرهم واما الزوارة الغربية فتسمى الصغرى وتعرف ايضا بوطن بلد المرابطين وهي قرية ذات نخل كثير باسق الارتفاع وماؤها في غاية العذوبة وقد استولى الان الخراب على هذه القرية فليس العامر منها الا بعض العامر وامام هذه القرية بمقربة منها قصر يسمى وزدر بكسر الواو وسكون الزاي وكسر الدال المهملة قد امتحى رسمه وبقي اسمه وتخرب اكثر البناء الذى يعجب به ولم يبق من اهله الا اناس قليلون وهذا الموضع المشهور اهله ببيع من يجتاز به من الحجاج وغيرهم للنصارى ولم تزل الاركاب تحترس اذا مرت به خوفا من اهله وخوفهم على سرقة الرجال اكثر من خوفهم على سرقة الاموال فاذا جازوا ولم يفقدوا احدا هنأ(١) بعضهم بعضا بذلك وكان هذا الفعل كثيرا فيهم شائعا ذائعا فيما تقدم واما الان فقد قل ذلك لقلة العامرين به .

ومن هذه القرى كان الابتداء بسلوك منازل البربر المتمسكين بمذاهب الخوارج المستحلين لدماء المسلمين واموالهم [وهذا المذهب هو الغالب على جميع البقاع التي بين طرابلس وقابس خصوصا اهل الساحل منهم فهم](٢) بهذا المذهب المذموم يتقربون ببيع من يجتاز بهم من المسلمين الى الروم فتجد الناس لاجل ذلك يتحامون الانفراد في قراهم ويجتنبون ايواءهم وقِرَاهم من بقايا الشرذمة الضالة التي قام بها ابو يزيد مخلد بن كيداد في افريقية فانه لما اظفر الله به واراح البلاد والعباد منه تفرقت اتباعه في الاقطار فسكنت هذه الشرذمة بهذه المواضع وسكنت طائفة اخرى بجبل بجاية وقسنطينة وما والاها الى بونة ومالت طائفة اخرى الى بلاد الجريد فاستوطنت نفطة ونفزاوة وما والاهما من البلاد وكلهم خوارج غلاة في مذهبهم مكفرون للعصاة على ما هو معروف من مذهب الخوارج لا(٣) كمذهب المعتزلة في اشاعتهم(٤) من اطلاقهم اسم الكفر على من واقع كبيرة ولم يتب منها

(١) في رواية هنا (بغير همز) إلا نبّه — (٢) ما بين القوسين ساقط في الرحلة الناصرية — (٣) في الرحلة الناصرية باسقاط لا وفي نسخة ولكن يخالف مذهب المعتزلة — (٤) في الرحلة الناصرية امتناعهم

فان المعتزلة لا تسميه كافرا ولا مومنا وتسميه متوسطا بان توسطوا(١) في هذا بين مذهب اهل السنة ومذهب الخوارج والمتصلحون منهم لا يتماسحون بثيابهم ثياب احد ممن ليس على مذهبهم ولا يؤاكلونه في آنيته وان استقى عابر سبيل ماء من بعض ابارهم استخرجوا ماء البئر كله فماحوه وثياب الجنب عندهم لا يقربها طاهر وثياب الطاهر لا يقربها جنب .

قال التجاني وقد شاهدت منهم من كان على طهر اذا احب غسل ثوبه الذي اجنب فيه يرفعه بعصا او محجن ثم يلقيه في البحر فيخضخضه بعصاه ساعة ثم بعد ذلك يتناوله بيده ويوجبون على انفسهم الغسل صباح كل يوم اجنبوا او لم يجنبوا رجالا ونساء يتوضؤن ثم يتيممون وقد شاهدت هذا منهم كثيرا و يشترطون في وضوئهم غسل الايدي من الاكتاف الى غير ذلك من ارائهم الواهية ﴿ قال ﴾ والافعال التي حكينا عنهم منها ما شاهدناه وهو ما نصصنا عليه ومنها ما حكاه الشريف في كتاب المؤلف للجان و رأيت منهم اقواما قد نحلت من العبادة ابدانهم واصفرت الوانهم باقين في ذلك على اصلهم الفاسد من تكفير العصاة واظهروا شيخا يعرف بعبد الرحيم الزواري وجميعهم يعظمه ويقدمه رياسة وسنا وصلاحا بزعمهم اجتمعت به فرايته شيخا مجتهدا في العبادة حسن السمت الا انه باعتقاده الفاسد قد ضيع اعماله وخسر حاله ومآله وتوسمت في احد ممن وصل معه الطلب فتكلمت معه فوجدته قد شارك في طرف من العلم وانجر الكلام معه من التحدث في اهل المعتقد الى التحدث في مسألة المسح على الخفين في الطهارة فشنع بها على مثبتيها كثيرا وفاقا لمذهب الخوارج فذكرت له بعض الاحاديث الواردة في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها بالجملة وقال هذه اخبار احاد لا يجب العمل بشيء منها قال وقد نص لنا سيدي ابو يزيد مخلد بن كيداد على بطلان ما كان من الاحاديث ينافض اصلا من اصولنا فلعنت النص ومن نصه .

---

(١) في الرحلة الناصرية وتسميه فاسقا على حكمهم بتخليده في جهنم وتأبيد عذابه وكأن المعتزلة بزعمهم توسطوا —

وقد وافقت الخوارج على انكار المسح على الخفين اضدادهم من الشيعة مستندين في انكاره الى ما رووه عن علي رضوان الله عليه انه كان لا يرى المسح وذلك غير صحيح عنه فان حديث التوقيت في المسح وهو حديث صحيح يروى وقد تغالى الشيعة في هذا واتخذوه شعارا حتى ان الواحد من غلاتهم ربما تألّى فقال برئت من ولاية امير المومنين(١) ومسحت على خفي ان كان كذا والى هذا اشار الشاعر بقوله لما حبسه الحسن بن زيد بن الحسين ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكان واليا على المدينة من قبل ابي جعفر المنصور وكتب له من السجن

اشكو الى الله(٢) ما لقيت * احببت قوما بهم شقيت(٣)
لا اشتم الصالحين جهرا * ولا تشيعت ما بقيت
امسح خفي ببطن كفي * ولو على جيفة وطيت(٤)

قال فاطلقه واكرمه واما الخوارج فوقفوا في انكار المسح مع نص الكتاب ولم يروا نسخه بالسنة ورويت عن مالك رحمه الله في ذلك رواية شاذة لا ينبغي ان تحمل على ظاهرها وقد تاولها عليه من صححها عنه .

وبالجملة فالعلماء مجمعون على خلاف هذا القول وقد نصوا على تفسيق من قال به وقول هذا الزواري ان هذا من اخبار الاحاد ليس كذلك فقد نص العلماء على ان الحكم مما ارتفع عن رتبة خبر الاحاد وارتفع الى رتبة التواتر اه كلامه .

وفي هذا المنزل ايابنا عام عشرة ودعنا من شيعنا من اهل المحبة من طرابلس وتذاكروا مذهب هؤلاء الخوارج فانشد الفقيه سيدي عبد السلام بن عثمان لنفسه كان الله له

لقد قبح الله الزوارة كلها * وألبسها من درن اربابها شينا(٥)

(١) في الرحلة الناصرية ولاة المومنين — (٢) في نسخة اشكو اليك ما — (٣) في نسختين احببت قوما بهم شقيت — (٤) كذا في الرحلة الناصرية وفي ثلاث نسخ بياض وفي نسخة ولو على اني اموت — (٥) في نسخة أنسبها من دون وفي اخرى وألبسها من درن

وحق لمن قد جاور القبح ان يرى * قبيحا خبيثا ليس تلقى له زينا
فيا رب دمرها دمارا مؤبدا * ولا تبقين من كل اثارها عينا

وقال عبيد الله تعالى حسين بن محمد بن علي بن شرحبيل البوسعيدي اخذ الله بيده

وتبّرهم تتبير عاد والبسوا * سرابيل خزي كلما انتحلوا مينا
ونظمهم في سلك عنقا فلا يرى * لهم عقب الا وجرعه حَينا(١)
عدا السالكين منهج الحق واقتفوا * سبيل رشاد وافتنوا بينهم(٢) لينا

وقال ابو الحسن سيدي علي النجار(٣) الطرابلسي لطف الله به

واخرجهم من ارضنا وبلادنا * واهلكهم حتى يقال لهم اينا
واخزاهم خزيا يكون بجمعهم * محيطا ولا وَقَي كالاله لهم دَيْنا(٤)

وقال شيخنا سيدي احمد المستوتي(٥) وفقه الله

وزاد لاهليه الخسارة والردى * واظلم احشاء وزاد لهم رَيْنا
سوى منهم من كان ذا سنة النبي * فلا زال من تباعه مقرا عينا

اه كلامه هذا وان الزوارة الى قرب جربة واكثر جربة وجبال طرابلس الى قابس الى نواحي نفزاوة كلها على هذه المذاهب الفاسدة كاد ان يظهر امرها في مدينة طرابلس اذ كلمتهم فيها نافذة وما ذلك الا لكثرة مالهم وقد علت به منزلتهم اخلى الله منهم الارض واسقط حظهم عند المولى .

فلما خرجنا من الزوارات(٦) وحكمها تلاقينا مع اصحاب سلطان طرابلس في هيئة عظيمة ونشاة كبيرة توجهوا من سلطان تونس القادمين بالهدية منها وهي هدية عظيمة قد سروا بها وان ذهبوا بهدية اليه فهذه الهدية اكبر واعظم واجسم واحلى واكرم فلما عرفونا نزلوا الينا

---

(١) في نسختين الا وقرعه قينا — (٢) في الرحلة الناصرية منهم — (٣) كذا في الرحلة الناصرية وفي ثلاث نسخ عبد النجار وفي نسخة عبد الجبار — (٤) كذا في الرحلة الناصرية وفي ثلاث نسخ بياض وفي نسخة محيطا ولا ابقى منهم ابا ولا ابنا — (٥) كذا في جميع النسخ وفي الرحلة الناصرية الهشتوكي — (٦) في نسخة زوارة

وعظموًنا وتبركوا بنا وبشرونا بوصول سيدي احمد الطيب واصحابه وولدي وعيالنا الى تونس حرسها الله من ايدي الاعداء وشهوب(١) التبديد والعداء فسالناهم عن كيفية احوالهم فقالوا خرجوا على خير وسلامة بعد ان عذبوا بانكسار المركب الا انه انفصل وتبدد بعد نزولهم منه في المرسى وانهم سكنوا دارا في تونس ينتظرون قدومكم واما سيدي احمد الطيب فقد انفصل الى بلده استعجله الحجاج وارادوا تعجيل الاوبة .

ثم مررنا كذلك الى ان وصلنا الى قصر الملح وهي سبخة قريبة منه تحمل منه السفن وملحها مفضل على سائر السباخ ومنها يمتار اهل البلاد النصرانية وكانه ضرب من السبخة التي بتوزر واهل ذلك الموضع يزعمون انهم اذا رفعوا ما على وجهها من الملح ووصلوا الى تراب الارض احتفروا فيه قليلا فوجدوا طبقة اخرى وكذلك الى سبع طباق وهم يحفرون الى الطبقة السابعة لان النصارى يتغالون في شرائه منهم ويذكرون ان له عندهم منافع عديدة الى غير ذلك انظر رحلة شيخنا المذكور .

ثم ظعنا من ذلك المحل فسرنا في بلاد النوائل وهي طائفة صعبة كادت ان تكون كالقبر فلا يمر عليهم احد الا متروع اذا سلم منهم(٢) ونحن قد وجدنا البعض منهم ظاعنين فلما راونا فرحوا بنا وصاروا يلعبون على خيولهم طلبا للدعاء واغتناما للبركة اذ سمعوا بنا في غير هذه الحجة وعلموا بعض احوالنا باخبار مرابطيهم واعلام صلحائهم اولاد مريم فانهم افضل الناس واجودهم واكرمهم واعلمهم واهداهم ولهم همة عالية ورتبة زاكية فكانهم لم يسكنوا البادية ولا ياكلون المتشابه ولا ياخذونه فضلا عن الحرام على غاية السنة والقيام بها فما رأيت احدا احفظ بها منهم ولا لصون دين الله ارفع منهم فابلهم ومالهم يرعى وحده في الصحاري من غير راع تلد(٣) الناقة وحدها نحو الشهر والشهرين وهو في ربوة الصحاري لا يتعدى عليه احد ومع ذلك اهل هذا الوطن ليس يوجد أظلم منهم ولا اعدى وهم سالمون وقد تكرموا علينا

(١) كذا في جميع النسخ ولعله شُهُب — (٢) في نسخة لا جرّدوه — (٣) في نسخة تترك

في الحجة الثانية وكذا في الطاعة في هذه الحجة وقد ذهبوا معنا في الرجعة الثانية من بيوتهم قرب الزوارات(١) الى ان بلغونا الى قابس مسيرة ستة ايام او خمسة ونحن في طعامهم وشرابهم وعلفهم الى ان وصلنا الى قابس بل زادوا رحلة معنا بعد قابس الى روضة الشيخ سيدي مهمل(٢) واما في هذه فوجدناهم بعداء عن بيوتهم متحيرين اشغلهم امر الظلمة اذ تعدى عليهم بعض من اولع بالتغلب والتفرعن من هؤلاء المتمردين المذكورين وسبب ذلك انشاء العداوة والفتنة بين النوائل وورغمة فان ورغمة من منتهى عمل تونس الشرقية والنوائل من منتهى عمل طرابلس الغربية فلما التقى الجمعان نشأ بينهم الحرب والفتنة والاخذ والموت فانجلى النوائل من بلادهم اجلوهم من جهة المغرب وورغمة ومن نحا سبيلهم من حليفهم ومن جهة المشرق العجيلات والزوارات(١) وغير ذلك ممن يحالفهم وكان المرابطون اعني اولاد مريم والحمارنة مع ورغمة فوقع لهم بعض التعدي بسبب مجاورتهم ومحبتهم اياهم .

واما الحمارنة فمن اجود العرب واكرمهم نسبا لديهم وشرفا عندهم قد جملهم الله برشاقة القد وحسن الخد وهيئة الركوب وزينة الملابس وسعة البيوت ولهم جاه عظيم عند سلاطين تونس فان محلة الاعراض اعني محلة زواوة(٣) التي تاتي الى نواحي قابس على ايديهم والحكم فيها حكمهم .

حاصله قد دخلنا ارضهم متبركين بنا ومغتنمين ما كان لدينا(٤) فانهم محل بركة ايضا قد نوينا زيارتهم ايضا فان لهم اصلا في كل المعالي وكذا الحمارنة قد انعقد لهم لواء العز واشتهروا بامر الفضل وقد علمت ان كل وطن لا وجعل الله فيه نورا يستضاء به وسيفا يقهر به عباده فلا يزال العصر دائم الامداد بهؤلاء القاهرين للعباد وانما الفرق قلتهم وكثرتهم بحسب الزمان واهله وان انعدموا رأسا في وطن من الاوطان خرب وهلك وقد قال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فان العلماء

---

(١) في نسخة الدويرات — (٢) في نسخة مهلهل وفي نسخة امهذب — (٣) في نسخة زوارة — (٤) في نسخة متبركين بهم ..... لديهم

والفضلاء خيار هذه الامة وهذه الامة خيار الامم ولذلك ارتفع المسخ اي مسخ الظاهر واما مسخ القلب فقد بقي لم يرتفع فتجد طبائع الانسان على طبائع الحيوانات فمنهم من يكون كالثعبان ومنهم كالخنزير ومنهم كالقرد ومنهم كالذئب فكل معصية تستدعي كسوتها لقلب فاعلها هذا ان لم يدم عليها والا مات على سوء الخاتمة والعياذ بالله لان كثرتها تورث ذلك غالبا انظر المدخل هذا وانا مررنا ببلد الحمارنة الى ان وصلنا الى عرام فانه محل اجدادهم وموضع خزائنهم يسكنها من لا يقدر على البادية منهم .

وهي قرية طيبة ذات مياه عذبة ونخيل ومزارع وبساتين ومن مات منهم دفن فيها وفيها مزارات كثيرة وروضات مبنية تراها كالنجوم في السماء ومررنا عليها صبيحة عند الضحى الاعلى فمات عندنا الفاضل الكامل الفقيه النبيه محبنا ومعتقدنا قاضي محروسة بسكرة فدفناه هناك وقد اجتمع عليه جمع كثير وجم غفير وذلك من علامات سعادة الميت ولذا قال احمد بن حنبل بيننا وبينكم الجنائز وقد اسلم عند موته بين اليهود والنصارى ثمانية آلاف وقد انغلقت الدكاكين والاسواق شهرا لعزائه وقد صلى عليه من الناس نحو الثمانين الفا وغير ذلك من فضائله جعل الله هذا القاضي من اهل الجنة وغفر لنا وله بمنه وكرمه ثم ان اهل عرام اتوا الينا بالتمر الجديد اليابس والرطب بارك الله فيهم وجعل الصلاح في ذراريهم آمين يا رب العالمين .

ثم ذهبنا من عرام الى ان وصلنا قرب قابس فبتنا هناك خير مبيت فطعنا صبيحة فنزلنا خارج قابس عند الباب الشرقي في فسحة عظيمة تجاه (بضم التاء) ابي لبابة بعيدا منه من جهة البحر فلما قربنا النزول ذهبنا قبله على خيولنا لزيارة ابي لبابة الصحابي المعلوم وقد ذكرته في الطلعة وما قيل فيه عن ابن ناجي انه الصحابي المعلوم دفن هناك وعليه مدرسة عظيمة ومسجد كذلك فيه طلبة علم يتعلمون فيها وفيها امام فاضل عالم عامل ممن يخشى الله ويتقيه وهو من خصوصية اصحابنا قديما اذ عرفني في الحجة الاولى مع جماعة من الفضلاء منها وهو سيدي عمر اذ هو المدرس فيه وهو ممن يفهم عن

الله ومتعلق بمن يراه من اهل الله زاده الله رفعة وقدرا وجاها ومنزلة اجتمعت معه في الطلعة وفي هذه مع صلحاء قابس و فضلائها وعلمائها وقد اجتمعوا معنا وطلبوا منا البحث في بعض النوازل من مشكلات الفنون وقوانين العلوم فاسعفتهم على ذلك بحسب ما فتح لي من الوهب الرباني والمنح الفرداني فزادهم ذلك حسن ظن واعتقاد وعجبا من الله حيث لم ينقطع مادة الفتح والوهب اللدني لاسيما لما راوا بعض المؤلفات لنا فزادهم تحركا لهممهم وتعاظما لمقاصدهم غير انهم استقلوا مدة الاقامة عندهم ليشفوا غليلهم و يبردوا غليلهم فلم ترتفع وحشة الاتصال من قلوبهم خوفا من الفرقة فقالوا نعم الملاقاة لو طالت وهذا وصف كل من اجتمعت معه في كل بلد مكة والمدينة ومصر وطرابلس اذ الكل يتاسفون على عدم طول المدة ويتحسرون على عدم قضاء الوطر والحاجة .

وقد اجتمعت ايضا هناك مع جماعة من الفضلاء وجم من النجباء اولاد الجمني الذين هم في نفزاوة فاستفادوا منا واستفدنا منهم .

وكذا بعض الفضلاء منهم من جربة القريبين لسيدي ابراهيم الجمني الكبير الذي اخذ عن الشيخ الخرشي وهو شيخ شيوخنا وكذا سيدي ابراهيم الصغير ولهم مدرسة في جربة عظيمة معلومة تكاد ان تكون من المواسم المعلومة غير اني ما دخلتها ولكن ناو دخولها ان شاء الله وفضائل سيدي ابراهيم الجمني من زهده و ورعه وتواضعه وتهجده ونصحه للطلبة وتحمله الاذى من خوارج جربة وصبره وتصبره على اظهار السنة واخماد البدعة وغير ذلك من اخلاقه السنية كثير لا تعد ولا تحصى ولا تضبط ولا تستقصى وقد انفعلت سريرته واثرت همته في اصحابه الاخذين عنه كما هو مشهور عن اشياخنا كالعلامة الفاضل المحقق الكامل سيدي عبد الله السوسي ومثله سيدي يحيى بن حمزة وبعض الفضلاء في تونس ممن كان حيا الان يحكي لي عنه اشياء عند اخذه علي بعض الفنون من العلم كالمعالم للامام الفخر الرازي والفتوحات لابن عربي وعقيدة ابن الحاجب وقد ختمها علي وغير ذلك من العلوم ايده الله ونصره وهو كبير السن ظاهر الفضل والشان .

واما الصالح على الاطلاق * والعالم العارف بالاتفاق * سيدي موسى الجمني الذي توخذ الان عنه(١) العلوم والفنون شتى تاتيه الطلبة من كل البلاد * وتشد اليه الرحال من جميع العباد * وقد ظهر فضله وانتشر علمه وثبت حلمه عند كل الناس في تلك الاقطار * وتبين فضله في جميع القرى والامصار * فحقيق به لانه اهل لذلك * وموصوف بما هنالك * وقد قال صلى الله عليه وسلم ألسنة الخلق اقلام الحق وقد قال الشيخ زروق لكن ان كان ذلك فيك فاشكر الله على ذلك وان لم يكن ذلك فيك فانهض لذلك والا سلب عنك ذلك فافهم او كلاما هذا معناه ﴿ نعم ﴾ اني لم اره ولم اجتمع معه مع رغبة الجميع منا ومنه في الاجتماع والزيارة واغتنام البركة لان زيارة الحي متفق على فضلها لما فيها من الفائدة والاستفادة والتربية بالهمة وغير ذلك من فوائدها بخلاف الميت فقد اختلفوا في زيارته فمنهم من انكرها ومنهم من جعلها كالحي [غير انه للاعتبار ونزول الرحمة عند قبره فالراجح مطلوبيتها كالحي](٢) وقد قال صاحب المدخل فانهم قوم لا يشقى بهم جليسهم لانهم احياء في قبورهم يغيثون ويشفعون فيمن اتاهم وذلك معلوم عند ارباب القلوب فلا يمكن انكاره ولا استتاره .

﴿ نعم ﴾ مكثنا في قابس نحو اليومين واليوم الثالث ظعنا منه غير ان طريقنا وبعض الركب يريد(٣) تونس وهو من كان من نواحي قسنطينة كاولاد عيسى واهل ابن ضيف الله واولاد ابراهيم وغيرهم جعلنا ركبا مستقلا وسيدي محمد المسعود واهل الصحاري الى قصر الطير ذهبوا ركبا مستقلا غير ان طريقهم توزر ونفطة الى سيدي عقبة الى بسكرة فقد اجتمعنا عند الارتحال وتوادعنا فعز علينا الافتراق * لوجود الاتفاق * ورحمة الارتفاق * فكلنا بالبكاء والتباكي والزعق والحزن * والكآبة على مصيبة البين * غير ان الله قدره وجعل كل واحد منا اخاه في حل غفر الله للجميع وتولاهم برضاه فذهبوا وذهبنا كل على طريقه هذا كله بعد الاقامة بقابس

(١) في ثلاث نسخ الذي كان حيا الان توخذ عنه — (٢) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٣) في ثلاث نسخ باسقاط يريد

وزيارة من تحق له على الجملة والتفصيل من الاحياء والاموات لا سيما ابي لبابة وقد زبرت شيئا من هذه الرحلة في مقامه اغتناما لبركته وكنت املي على بعض فضلاء جربة وعلمائها وهو يكتب وما قطعنا عن ذلك الا زيارة اهل بلدنا اعني زواوة الذين قدموا عسكرا في محلة الاعراض وقد نزلت هناك امدهم الله بالتوفيق واعانهم على سلوك الهداية بالتحقيق .

ثم ان بعض الناس ممن استوطن قابس من بني عباس وكان فاضلا كريما معتقدا محبا لنا تكرم علينا بانواع من النعم فاتى بها الى الخيمة مع اولاده يطلب لهم العلم والقرآن ايدهم الله به ومن علينا وعليه وعليهم بالفضل والامتنان آمين وكذا تكرم علينا غيره جزاهم الله خيرا وقرية قابس فيها مياه كثيرة وبساتين من نخل ورمان وعنب وتين وفواكه جمة فانها بلدة عظيمة وعمارة متسعة وفيها اسواق كثيرة ودكاكين عظيمة كثيرة المساجد والمزارع كثيرة الحناء بحيث لا تساويها في ذلك بلدة وهي مشهورة بها حاصله انها جمعت فاوعت افاض الله علينا من بركات اهلها وجعلنا من اهل السنة بمنه وكرمه فانفصلنا عن قابس ومعنا الشيخ المسن في الاسلام الفاضل من الانام الشيخ الحمروني وابن عمه يريدان توديعنا وتشييعنا الى ان خرجنا وتباعدنا الى قرب اشرافنا على روضة الشيخ سيدي مهمل فرجعا وان لقلبهما التفاتات الينا وحزنهما علينا كان الله لنا ولهما في الدين والدنيا آمين .

ثم مررنا كذلك الى ان نزلنا بالمبيت قرب الشيخ المذكور فظعنا منه ومررنا عليه عند الضحى فصلى من صلاها وتغدى من تغدى فزار الجميع منا الشيخ المذكور وانفصلنا عنه ثم ذهبنا كذلك الى ان قربنا القرية التي على شاطيء البحر فبتنا ومررنا عليها عند الضحى وهي قرية صغيرة وليس بها ماء الا ماء المطر فلا يشربون ولا يسقون ولا يستنسقون الا منه فتعجبنا منها وفيها ماجن عظيم يجتمع فيه ماء المطر قل نظيره فالله يرحمهم بمطره ولا يقطع مدده عنهم آمين فمررنا عليها ذاهبين الى مدينة صفاقس فنزلناها بعد الزوال والله اعلم .

وفيها قبر اللخمي المعلوم الذي ذكره الشيخ خليل في الخطبة وهو الذي تنسب اليه

مادة الاختيار وشهرتـه تغني عن ذكر طبقته وهي مدينـة قديمة طيبة عليها سور جيد وفيها مسجد عظيم تجتمع فيه القراء والعلماء للتدريس وقد باحثت البعض في علم الكلام لاني وجدته مدرسا فيه فلم يستطع فهم الاشكال فضلا عن الجواب وعلى تقدير فهم الاشكال فلا يقدر على الجواب لضعف ملكته ثم انتقلت الى مجلس آخر في الفقه غير ان صاحبه منصـف وافر بالعجز والتقصير وقد علمت ان لا ادري علـم وهو جنة (بضم الجيـم) العالم اي حصـن ووقاية له اذا وقع له ريب فلا ينافي العلم .

ثم انتقلت الى مجلس آخر في النحو غير انه تادب معي وهو يقرأ ويسأل ويسمع مني وينقل الى ان شاع امري ذلـك اليـوم في مدينة صفاقس فصار الطلبـة يخرجـون الى الخيمة يقصدون الاستفادة في العلم والاختبـار على حسب قصـد كل ولكل امريء ما نوى ثم اشترينا بعض الكتب منها فاشتريت حاشية على البيضاوي من بعض اهلها غير انها ليست للشهـاب وانما هي للقاضي زكريـاء وقد اورد علي سؤالا المشتـرى منـه في النحـو اعني اعراب مالـك يوم الدين على انه اسم فاعل او صفة مشبهـة وغير ذلـك من وجوه اعرابـه وهي مسألة غميضة غير انه لم يبسط نفسه معنا وانما قصد التعجيز والعنـاد وازالة بعـض ما وقع لنا من البحث مع طلبة صفاقس فقلت له ريض نفسك لتسمع العلم فان كنا عالميـن فتستفيد منا والا استفدنـا منك فبينت له بعض وجوه اعرابه فرآه حقـا وانما مراده استقصـاء جميع انواعه مع كونه غير متمكن من جميعها وانمـا رآه في حواشي البيضاوي وقد رأيتـه بعد ذلـك بجميع انواعه مع تمام البيان فكنت على ذروة من علمه وشرافة بيانه .

هذا وان في تلـك المدينة مزارات كثيرة وزرناها على سبيل الجملة والتفصيـل وزرنـا اللخمي من بعدُ وكذا الشيخ النوري وقد ادركت بعض تلامذة النوري وهو ضريـر في الحجة الثانية كبير السن سبعي ضرير(1) ومدينة صفاقس على شاطيء البحر وفيها بساتيـن

---

(1) في نسخة باسقاط سبعي ضرير

عظيمة وجنات كثيرة يستحليها الناظرون ويستحسنها المسافرون جمعت بين البر والبحر تجتمع فيها الخيرات وتعمها البركات افاض الله علينا من بركات اهلها وصنعة الكتان فيها كثيرة وهو معلوم عند الناس ومشهور لديهم ﴿ نعم ﴾ ظلم الفواد والعمال اضر بهم وباهل الساحل جميعا واما اهل الخير فيه اي الساحل واهل الصلاح والعلم الاحياء والاموات لا يضبط عدهم ولا يستقصى حدهم جعلنا الله في زمرتهم ومن علينا ببركاتهم آمين .

ثم ظعنا منها بعد ذلك اليوم واهلها طالبون الاقامة منا والحجاج متعجلون فذهبنا عند صلاة الضحى واما اول الركب فقد سار عند بيان الوجوه فسرنا كذلك الى ان قربنا الى قرية مشهورة فيها قصر عظيم وبناء جسيم حكيم البنيان متقن الصنعة عريض المتن له ابواب كثيرة طبقة على طبقة واسع المتن طويل البناء ولا اعلم من بناه واظنه من بناء المتقدمين من الجهال وحوله قرية مستديرة به كثيرة الزيتون خارج عن العادة عدا وسعا وكبر جثة طويل الفروع فلا تكاد ان ترى الشمس من خلاله واظنها انها سميت بجمال فبتنا دونها ومررنا عليها عند الضحى الاعلى فسبقنا الركب لننظر ذلك القصر فنزهنا فيه العيون وريضنا فيه الافكار وفيه غاية الاعتبار قل نظيره فلا تحصى ما فيه من العجائب والغرائب ثم انفصلنا عنها متعجبين غير ان اهلها من الضعفاء يظهر ذلك من سوقهم وسيمتهم تشهد بذلك ثم سرنا كذلك الى الليل فبتنا دون سوسة وتجنبنا طريق جمال وقد دخلتها في الرجعة من الحجة الثانية وجمال قرية عظيمة متسعة العمارة فيها سوق وحوانيت ولا سور محيط بها كجميع القرى الخالية عنه وفيها زيتون كثير وبساتين عظيمة نفعنا الله ببركة اهلها آمين .

ثم نزلنا سوسة وهي بلدة طيبة قريبة من حاضرة تونس لها سور عظيم وبنيانه جسيم وهي محكمة منضبطة على شاطىء البحر فيها مرسى مثل صفاقس وفيها العلماء مثل الفاضل المحقق والعلامة المدقق الشيخ الهادي وقد سمعت قبل ذلك جواهر لفظه وفوائد بنات فكره مرتب القراءة في تعليمه من غير تلجلج ولا كثرة اختلاط مع تمام البيان ووضوح التبيان

يـده تجول في كل العلوم وله قوة وتصرف في سائر الفنون وقد سألت عنه فقيل لي انـه لا يخرج ولا ادري ما منعه منه ولو علـم بي لخرج ولو بالتكلـف و بعـد ذلـك سمع بـي فتأسف على عدم الملاقاة وكان يسأل عنا كثيرا ويطلب الدعاء منـا وهو مظهر لحبنا ومعتقـد في جانبنا وقد اجتمعت معه في تونس لان علي باشا اميرها اغتاظ عليه ومن عادته انه اذا ضاق على احد من العلماء حبسه في المسجد للتدريس ثم انه يجري عليه النفقة وما يستحقه وان كان صالحا او عابدا حبسه في دار او خلوة للعبادة وقد حبسه في جامـع الزيتونة فـي الواقع واما في الظاهر فلم يكن عليه اثار السجن وقد علمت ذلـك ممن يقبـل منه في تونس .

هذا وان سوسة محل الصالحين والعلماء العاملين احياء واموانـا ظاهرة البركة بلدة طيبـة [واسعة البساتين كثيرة الفواكه طعامها جيد وخبزها طيب][1] واسعة الارزاق * حلوة المذاق * يستحسنها الناظر * ويتمناها المقيم والمسافر * تصلح ان تكون قاعدة من قواعد الملك فهي ظريفة شريفة * طيبة منيفة * تعدل جميع ما رأيناه * وهي اولى مما علمناه وابصرناه * الا انها قد وقع الظلم على اهلها وسبب ذلـك تبدل الدول فمنهـم من يحبها ويتخذها حصنا ومنهم من يبغضها ويذلها فازال منها جميع المعنى فقد اشرأبّ فيها اعناق الحجاج لشراء بزها لا سيما الكتان فقد اشتروا منه كثيرا هذا واني لم ادخل مدينة عظيمـة قوية البركة عظيمـة في الزيارة لاحتوائها على طبقة العلمـاء المؤلفيـن واشتمالها على اهل الترجيـح من المجتهديـن كالامام المازري وابن يونـس وغيرهما فان الوفود تاتي اليهـا من كل جانب وهي مدينـة علم وبركة عظيمة .

وقد نقلنا من بعض المؤلفات ما نصه ويقـال ان بافريقية بلدة يقال لها المنستير مشهورة البركة غير اني لم ادخلها قط ورجوت الله ان لا يحرمني من بركة اهلها وان يدخلني اليها

---

(1) ما بين القوسين ساقط في نسخة

مع النية الصالحة والهمة الرافعة وقد زرناهـا بالنية من بعد قطعنا من سوسة و بتنا قرب الحمام من غير دخول اليه ثم ظعنا منه ونزلنا في عمارة دون حمام الانف وظعنا منه ثم مررنا بحمام الانف عند الضحى فتحممنا فيه بنية التبرك والشفاء من كل سقم ووصم دينا ودنيا وحرارة مائـه وسخنه من غير سبب حسي وانما هو من الله تعالى ليس الا .

وقد سمعت ان بعض الناس يحكـي عن بعضهم ان الجنـون التي امرها سليمان عليـه السلام بتسخين الماء فلم يستطيعوا خلافه غير انهم لا يسمعون ولا يرون فظنوا بقاءه الى الان والذي رأيته في التفسير ان الجنون استمروا على العمـل بعد موت سليمان سنة فعلمـوا به وتركوه اي العمل وهذا الحمـام في غاية الاتقان فيه موضـع معد للنساء وموضـع آخر معد للرجال وهما مستوران ﴿ نعم ﴾ هو معلوم البركة والشفاء فتجد اهل العلل فيه دائما لا يخلو عنهم وقد سكن فيه بعض النـاس غير انه كثير الفتنـة من كثرة النساء وهن يرعن من فتـن نعم تونس من لم يكن على حذر فيها من النسـاء زل في مهواة الضلال وسقط في مفـازة الهلاك فلما غسلنا واغتسلنا وقضينا وطرنا منه ذهبنـا الى تونس فنزلنا خارج السـور قرب مقر العسكر واستقراره ونزوله اعني برجهم المعلوم وهي القصبة تحت المدفع قرب الشيـخ الغوث الولي الصالـح سيدي عبد الله الشريف افـاض الله علينا من بركاته وكان لنـا ولذريته بجاه محمد وآله آمين يا رب العالمين .

ذكـر وصـولنـا الى تـونـس

حاصله خيمتنا نزلت مع الركب وفيها اصحابنـا وانا قد ذهبت الى الدار التي نزل بها ولدي مع زوجته وعيالي حين خرجوا من البحر ينتظـرون وصولي فقام الناس في تونـس اعني الراغبين في الخير لضيافتنا بالكسكس واللحم كثر الله خيرهم بحيث تـكرموا علينا غاية الاكرام وزادوا على المعتاد بشيء كثير حتى عم ركبنا وفضل داخل المدينة وخارجها ﴿ نعم ﴾

الشيخ البركة والمنور القدوة الشيخ الوحداني * والفيض(١) الصمداني * سيدي محمد الغرياني * زاد في الاكرام * بحيث خالف العادة في الاكرام * وقد اخرج كذا وكذا مائدة اغناه الله غناء الدارين وجعل البركة في ذريته .

حاصله اقبل الناس من كل ناحية بالاطعام والاكرام ما دمنا نازلين بتونس ثم ان اكثر العلماء والصلحاء ومن فيه رائحة خير ياتون بالطعام الى دارنا ثم يذهبون بنا الى بيوتهم قصد نزول البركة في محالهم من جميع من فيها حرسها الله آمين .

وممن اجتمعنا معه في بيته الفاضل الكامل * المفتي الحافظ النافل * الفقيه السيد ابن محجوبة(٢) والعلامة الفاضل ولده محبنا سيدي محمد وهو ممن له زائد اعتقاد فينا * وعلى الدوام معتينا بجانبنا * وممن اجتمعنا معه ايضا الكامل على الاطلاق * الاديب بالاتفاق * ونظيره قليل عزيز * سيدي حمودة بن عبد العزيز * وقد اكرمنا ايضا وكان ابوه ايضا شيخنا سيدي محمد بن عبد العزيز وكان من المحققين وممن اجتمعنا معه من الحنفية الذي علت همته * ورفعت منزلته * وتحققت خصوصيته * العالم الفاضل الاديب النحوي اللغوي المحدث سيدي حسن الترجمان .

وممن اجتمعنا معه ايضا وكان من الفضلاء والنجباء والاخيار العلماء محدثا فقيها نحويا اصوليا بيانيا منطقيا سيدي الكبير الشريف ومنهم ايضا الفاضل الفقيه النبيه الكامل المحدث الاصولي الكلامي النحوي الناسك المجتهد سيدي احمد بن عبد الصادق .

ومنهم من له التصرف الكامل والبسط الجليل المحقق والعلامة المدقق ذو الابحاث الشريفة والنكت المنيفة والفوائد الظريفة والادبيات المستظرفة المعقولي على الاطلاق سيدي صالح الكواشي(٣) ومنهم الفقيه العدل والمحقق الفضل ذو الفضائل والفواضل المقبل على الله سيدي ناصر القابسي ونجلاه الفاضلان الاديبان الكاملان سيدي محمد واخوه سيدي

---

(١) في نسخة القطب — (٢) في نسخة محجوب — (٣) في نسخة الكواش

(١) ومنهم الفاضلان الجليلان العالمان المتمسكان بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدي محمد الوسط وسيدي احمد نجلا شيخنا وثمرة فؤادنا سيدي عبد الله السوسي [ومنهم النحوي (١) اللغوي الفاضل النصوح سيدي احمد السوسي](٢) ومنهم الحافظ الفقيه النزيه النبيه الخلاصة المرتضى والعالم الخالص الاحظى محبنا سيدي احمد التجاني ومنهم الكريم على الاطلاق والفقيه بالاتفاق سيدي محمد المغربي .

ومنهم ايضا صاحب الاوراد * ذو الفضل والمدد والامداد * المجد والمجتهد المعتني للاستعداد * المنور الزاهي * سيدي احمد الباهي * وكذا الفاضل ولده * والكامل الذي هو فؤاده * الشيخ اسماعيل. ومنهم الفقيه النبيه الجليل المحب سليل الاخيار ونخبة المتقين المقربين ذوي الانوار سيدي نصر(٣) واما غير هؤلاء من العلماء فكثير والصلحاء والطلبة والفقراء واهل النسبة والدين مما لا يحصى ضبطا فكثير وكذا العلماء واهل الدولة فاوصافهم تجل عن العد والاحصاء وكذا المجتمعون في جامع الزيتونة للاقراء والتدريس فتقصر العبارة عنهم وعن عدهم(٤) .

﴿ نعم ﴾ الذي ياخذ العلم الظاهر من غير سلوك للطريق الجادة بان ياخذ ما يتعلق بالحرف الدنية(٥) والصنائع الخسيسة من غير تمكين في الباطن كثير جدا فهي اما زندقة * او دعوى غير محققة * فان الجامع المذكور قد انتشرت عليه الانوار * وانبسطت عليه الاضواء والمعارف والعلوم والاذكار * كاد ان يكون جامعا للفنون ومحتويا للعلوم فما احسنه من جامع اكرم به الطلبة الباحثين فشمس انوار الفهوم فيه مشرقة * وفوائده وعوائده محققة ومدفقة * فهو جنة العارفين * وخلوة للمتعبدين الناسكين * ومزارة للراغبين المشتاقين * فالذائق لطعم الايمان فيه لا يشتهي طعاما ولا شرابا ولا نكاحا لا تقر عينه الا بتلك الازهار * وتتفكه باحسن الفواكه والذ المشتهى من تلك الثمار * اذ فيه ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين من محاسن

---

(١) بياض في جميع النسخ ولم ينبه عنه في نسخة — (٢) ما بين القوسين ساقط في نسخة — (٣) في نسخة ناصر — (٤) في نسخة وعن أوصافهم — (٥) في نسخة الدنيوية

العزيز الجبار * لا فيه غول مـن اسباب الدنيا * ولا نصب من العوارض والقواطع من المراتب العليا .

﴿ نعم ﴾ ان سلاطيـن تونس وامراءها واصحـاب الدولة فيهـا صرفوا هممهم الى العلـم واقاموا منائر عزه فبنوا المدارس واوقفوا الاحباس * وأعزوا العلماء واغنوا للدرس الجلاس(١) * فاسهموا كلا على قدر همته واشتغاله فاذًا كان كل شيء على اصله و فصله ومنواله فمن لم يصبه منهم كثير وصل اليه نزر قليل لمثل العلم فليعمل العاملون فمن تمكن من تونس ووجـد معينا على العلم تعليما وتعلما بان ساعده الزمان والاقبال فرجع من غير قضاء وطـره (٢) انتهاب والانتحال(٢) لا سيما ان وجد من يخشى الله ويتقيه وكان محققا للعلوم ومدققا للفهوم ناصحا للضعفاء من الطلبة فليشد يده عليه من غير عجلة بل يتوانى حتى تحصل له الملكة القوية في كل العلوم .

حاصله تونس نعمـة لمن اقبل على الله واشتغل بما يعنيه علما وعملا وحالا فلا (٣) يطمئن الصادق فيها من الوصول الى الله تعالى و بلوغ المامول لان الاعانة في المعالي على حسب مخالفة النفس وشهواتها لا سيما موضع كثـرت فيه اللذات وتواترت فيه الطيبات على قدر نبذها وطرحها من القلب تسرع اليه الاجابة بالوصول الى مرضات المولى فيزول الحجاب عنه مقدار طرفة عين اذ الصديق من كثرت اعداؤه وشهواته فلم يبـال بها ﴿ نعم ﴾ ولذلك كثرت فيها البله الذين لا يهتمون بأنفسهم ولا يميزون الجيـد من غيره لغيبتهم عن حسهم فسلب الله لهم ما يجنون به على انفسهم من عقل التكليف فلم يبق لهم الا عقل التعريف فترى اهل العلم يتزاحمون ويتراكمـون لديهم فيستمعـون الاشارة منهم فضلا عن العبـارة لديهم وقـد شاهدت منهم امرا عظيما .

---

(١) في نسخة وعزوا من العلماء وفي نسخة وأغنوا بالدرس الجلاس فليحرر – (٢) بياض ولم ينبه عنه في نسخة وفيها بدل انتهاب وانتحال فذلك محروم — (٣) في نسخة باسقاط فلا

وبالجملة فالعالم العامـل او صادق التوجه من الطلبة منور دائمـا مقبول عند الخاصـة والعامة واما من له حرفة بعلمه وغرض دنيوي لا سيما ان لاحـظ الزنا واللواط فهو مكسـوف الانوار منعكس الخفائق في هذه الدار وفي تلـك الدار فعلمه وبال عليه ونقمة من الله لديه وهذا اشتغاله بالعلم ليقال فقد قيـل وانما يسحب على وجهه للنـار(١) ان لم يتفضل الله عليه بالمغفرة لان العاصي من المسلمين في مشيئة الله تعالى فلا ينفـذ فيه الوعيد حتما لان القـدر الذي ينفذ فيه الوعيد حتما من الموحدين قدر مبهم(٢) فيجب على كل مكلف اعتقاده .

﴿ تنبيـه ﴾ تونس قريبة الاستبا (٣) طاعة ومعصية لكثرة اهلها وتيسير اسبابها فلا ينبغي لضعيف العقل وان كان شائبا او صغير السن استيطانهـا ولا التغول في استقصـاء اسواقها وجامتها ودكاكينها بل ولا مقابرها فان الفتنة قد عمت جميع محالها وتشعبت مواضع الخير بها فبدلت والعياذ بالله بالشـر حتى استنكف اهل الجرائـم عن مخالطة من سلم منها فتجده مشتت الذهن طائش العقل غائب القلب متحير الفكر ليلا ونهارا فعنوان قراءته في الظاهر فقط ولو وصلت الى الباطن لاثرت فيه الخشوع والخشية لله تعالى اذ العلم ان قارنتـه الخشيـة فهو لـك والا فعليـك لكن ليس من شرط العلم العمـل اذ العلم شريف والجهـل مذموم وقد قال تعالى لا يستـوي الذين يعلمون والذين لا يعلمـون فمن وفق الى العلـم ووفق الى العمل لا تترك العلم لاجل عدم النهوض الى مقتضاه فلينهض الى العلم لان التوفيق الى العلم والهداية اليه نعمة واي نعمة اشرف منه فكل عمـل بر بالنسبة الى الجهاد كبزقة في بحر وعمل البر والجهاد بالنسبة الى العلـم كبزقة في بحر وقال صلى الله عليه وسلـم الناس عالم ومتعلم وغيرهما همج وقال صلى الله عليه وسلم الدنيـا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما وغير ذلـك من فضائل العلـم ولولا العلم واهله لصب البلاء على

---

(١) في نسخـة في النار (٢) في نسخـة قدر حرمهـم (٣) كذا في ثلاث نسـخ وفي نسخة قريبة الاستحصال طاعة الخ

تونس صبـا لظهور المعاصي فيها من غير نكير غاية من مر على اصحابها يقول اللهم الطف بصاحبها وارزقه الهداية او كلاما هذا حاصل معناه .

وقد علمت ان العالم اذ رأى منكرا ولم يغيـره فعليه لعنة الله(١) ﴿ نعم ﴾ لتغيير المنكر مراتب اقلها تغيير القلب ولا بد من وجوده من هؤلاء الفضلاء حاصله نور العلم والطاعة على انواعها اخمدت ما فيهـا من نار المعاصي رحم الله الجميـع بمنه وكرمه وعلى قدر كثرة النـاس يكثر فيهم المطيع والعاصي وقد رفع الله المسخ لوجـود الذاكرين والمستغفرين منهـم وقد قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانـت فيهم وما كان الله معذبهـم وهم يستغفـرون الاية فاذا تمهد هذا فاعلم ان الذي تانست به هو الفاضل العالم الموفق المنـور حسن الخلق والخلـق لا يسأم الانسان من مخالطته ولا يمجه بطبيعته تعلوه البشرى اذا توجه اليك اذا ما خامر قلبه فعلى وجهه يلوح آثاره أَسِرَّتُهُ تدل على سريرتـه ينطق بالحـق اذا تكلم فهو من اهل النصيحة والوفاء سيرته سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم رحمـة لاهل زمانه وغيث في اوانه كريم النفس سخي الطبيعة لا يدوم اذا غضب فيرجع اذا استرجـع آئس مما في ايـدي الناس لا رغبة له في الدنيا الا ما يعمر وقته بحيث لا يشغله عما هو فيه من بث العلم لمستحقه رحمة لابن السبيل ومحل للضعيف والغريب اعتقاده كامل في جميع المسلميـن لا سيما من تحققت له الخصوصية وثبتت له الفضيلة والمزية فقد انسلخ عن جميع البشريات بانعكاسها روحانيات فهو بشر في ظاهره روحاني في باطنه اذ غاب عن الاكوان بمشاهدة المكـون فكل ما يخرج منه دواء بلا لبس(٢) واخلاص بلا عوض ليته ظهر بسرّ الاسماء والصفات .

و بالجملة ففضل الشيخ الغرياني علما وعملا وحالا وقبضا و بسطا وهيبة وانسا وخوفا و رجاء واجلالا وتعظيما ما عظمته الشريعة كثير لا يـكاد يخفى على اعدائه « والحسـن ما شهدت بـه الاعداء » وهو فقيه محدث نحوي تصريفي منطقي اصولي متكلم عروضي مفسر ليس فظا غليظ

---

(١) في نسخة فهو ملعون — (٢) في ثلاث نسخ دواهو بلا نفس

الفلب وهو ايضا رحيم للامة المحمدية لا سيما غرباء الطلبة ياخذ بيد الضعيف فاذا استغنى انـدره وجحده غايته يفر بصلاحه واما علمه فيجحده وهو كما فال الشاعر

اعلمه الرماية كـل يـوم * فلما اشتد(١) ساعد رماني

وهذا شان خبثاء الطلبة ولذا لم يظهر عليهم سر العلم ولا نور الولاية فتجد اكثرهم مكسوف الانوار يخبط خبط عشواء * ويركب متن عمياء * فلم يفع للعلم اثر ولا للحكمة نور * ولا لفهمه طائل ولا نشور * وانما يتجاذبون الالفاظ والاوضاع * وهم عن حضـرة الله بالانفطاع * وما تخفي صدورهـم اكبر وهذا معلوم في جميع البفاع * ولو تراهم لفلت انهـم شياطين * في صورة العلماء العاملين * وانما هم شياطين الانس(٢) يوحـي بعضهـم الى بعض زخرف الفول غرورا وانه علم ينتفع به فليس ثم الا تلبيس وفتن * وتخليط ومحن * فاللسـان لسان العلماء * والفعل فعل(٣) المردة العظماء * اياك وصحبة من هذا وصفه فان ضره اكثر مـن نفعه * وجره للفساد اكثر من رفعه * فلا تـكن معولا لهذه العوامل التي تفطع عن الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما العلم وسيلة الى الوصول الى الله وعامـل في رفع النفـس والهمـة الى حضرته والا خرج في سلـك(٤) اهل دائرته والوصـول الى التخلق باخـلاق(٥) المفربين من اخيار امتـه فاكرم نفسك بتحفيـق ما عليهم ثم اكسها بكسوة اسرارهم فانهـم بشـر لا كالبشر من حيث الصفاء * والاخـذ بالوفاء * والتخلق بالرحمة وعدم الجفاء * فان الشيخ حفيق به هذه الاوصاف بلا خفاء .

فاذا علمت هذا علمت ان الشيخ تضلع من علم الشريعة وتمكن من علم الحفيفة كما يليق جعلنا الله من اهل وده وهو صدوق لنا والحمد لله عـلى صحبـة مثلـه ومعرفة نظيـره فان مثله يكون شفيعا لمثلنا .

ولو نعطى الخيار لما افترفنا * ولكن لا خيار مع الزمان

---

(١) كذا في جميع النسخ وفد رواه اللسان استـد بالسيـن المهملـة من فولهـم استـد الشيء اي استفام — (٢) في نسخـة زيادة والجن — (٣) فـي نسخـة والعمل عمـل — (٤) في نسخة وان لا تخرج في سلك وفي اخرى والا تخراج في سلك واخرى والاخـراء في سلوك فليحـرر — (٥) فـي ثلاث نسخ باوصاف

كان الله لذريتنا ولذريته وللاخذين عنا وللاخذين عنه بهذه الاوصاف الطيبة وامدنا واياهم بامداده الوهبية الربانية اللدنية الفردانية آمين آمين آمين يا رب العالمين .

على ان(١) شيخنا المحقق والعلامة المدقق الفقيه الاصولي النحوي المنطقي المتكلم الفرضي المحدث المفسر العروضي العبقري الهمام ذا الفضائل والفواضل المتصوف الزاهد المتخلي عن الدنيا الشاكر لفقدانها المشتغل بالله المقبل عليه المدبر عمن سواه القائم بسنة نبيه الراغب فيمن تخلق باوصاف المتقين الناصح لعباد الله العاجزين وهو ممن يصح الاقتداء به نظيره(٢) سيدي عبد الله السوسي فكلاهما من فحول الرجال وقطبي(٣) الكمال انفعلت سريرة اشياخهما فيهما وظهر فضلهم عليهما وانبسط سرهم على انفسهما فلا يبغضهما الا شقي ولا يحبهما الا سعيد تقي وقد تفضل الله علينا بمعرفتهما وصحبتهما .

وكذا معرفة الفاضل الكامل العدل المقبل على الله بجميع شراشره المتبتل اليه بكليته المنيب الى الله بجميع شؤنه المتعبد على الاطلاق فلا يهمل اوقاته فانه يعمرها بما ورد عنه صلى الله عليه وسلم تعميرها من ذكر وصلاة وتلاوة قرآن وتهجد وصيام فلا تراه الا مقبلا على الله مطمئنا بذكره لا يفتر عن طاعة الله السخي بنفسه القوي بأنسه لا يبخل بالطعام وهو كريم لجميع الانام صدوق في المحبة موف بشروط الاخوة يزيد في النسك والعبادة والتزود بزاد الاخرة وهو في غاية الخوف والمراقبة كرمت نفسه ان تسأم من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة اهل الكمال من خيار الامة المحمدية لا يعامل الكل الا بصدق المحبة يغيث المضطر عند اضطراره ويؤثره على نفسه وعياله واولاده ومن تجب نفقته عليه وقد تداين كثيرا انفقه في محبة الله ومرضاته واستعان به على اطعام الطعام في مقامه وزاويته وهو مشهور في اهل قربه وولايته لا يستطيع ان يصد عن مكروب وملهوف في محنته سيدي محمد بن الحاج نجل

---

(١) كذا في ثلاث نسخ وفي نسخة ومثله — (٢) كذا في ثلاث نسخ وفي نسخة لا نظير له — (٣) فيها ايضا وقطب

البركة الفدوة والرحمة للامة والنعمة العظيمة سيدي احمد المجذوب نجل الشيخ البركة سيدي عمر العجيسي ثم الزموري من مدشر بوعزيز فرية من فرى بني برفان من وطننا نعم اني رأيت بي وائق الاشراب ان عجيسة شرباء والله اعلم .

ولا شك ان اوصاب الشيخ سيدي احمد المجذوب واولاده لا تكون الا بي الاشراب بانهم بي غاية الكرم اورث الله مفامهم لاولادهم بمنه وكرمه والباضل سيدي عبد الرحمن فام مفام ابيه بلاشك وفد ظننا بي الله انه يجعل البركة بي جميعهم اكثر من اسلابهم وفبر سيدى احمد المجذوب معلوم مشهور يزار له حرمة عظيمة عند ملوك ابريفية وامرائها بي جبل ماطر .

وبالجملة بيها من الاحياء والاموات ما لا يحصى ولا يعد * ولا يضبط ولا يحد * لا سيما البله من اهل الاشارات بانهم غابوا عن احساسهم بلم يجدوا لانبسهم اثرا * ولا لعفولهم خبرا * بلا تكليب عليهم * ولا حكم لديهم * اذ لا يحكم لهم ولا عليهم بان عفولهم فد زالت بحفيفة الاهية * لا امور وهمية * ولاماهية شيطانية * بانهم غابوا بي ذات المكون بلما تجلى لهم تلاشى كل شيء سواه عندهم بلم تبق لهم حركة تمييز * ولا امر عزيز * بنبوسهم اننن عندهم من الجيبة بل طبائعهم طبائع البهائم تراهم بي المزابل والاسواق والازفة ممتهنين محفورين لا ينظرون * وبي المهمات لا يشاورون * طبائعهم منافضة لطبائع العفلاء بلا تجد احدهم الا منبوذا مطروحا سافطا من اوباش الناس تكره نبوس اهل المروءة ان تنزل بساحتهم وتتعلق باذيالهم وتتحاشى ان يكونوا بي مجالسهم وهم امناء لهذه الامة لولاهم لوفع المسخ والعذاب غير ان الله تبضل علينا بهم وان كان لا نبع بيهم بحسب الظاهر اذ لم يبثوا علما ولا نشروا بهما ولا اصلحوا بسادا ولادرؤوا ضرا ولا جلبوا نبعا بانهم عالة على الخلق معيشتهم تاتي بلا كلبة ابا ض الله علينا من بركاتهم وسفانا من بحر بضلهم وجودهم وكملت لنا السعادة برؤيتهم والاجتماع بهم .

هذا وان اولياء الله بي تونس كالنجوم الاموات والاحياء وفد زرنا من يعتد بزيارته من

الاموات كالشيخ محرز بن خلف وسيدي علي بن زياد والشيخ المرجاني وما كان في الزلاج كابن عبد السلام وابن عرفة والبُرْزُلي وابن هارون وابن راشد القفصي ومغارة الشاذلي ومحل الاربعين من اصحابه وغيرهم من العلماء والصلحاء ممن لا يمكن احصاؤه من المؤلفين وارباب الاحوال العارفين .

وكذا زرنا الشيخ سيدي ابا سعيد الباجي والشيخ الغبريني ثم سيدي علي الحطاب وسيدي سالم الدباس (1) واصحاب الشاذلي الظاهرين * وغيرهم من الاشياخ والمريدين * وهؤلاء سلاطين البلد * وعليهم في جميع الامور يعتمد .

وكذا زرنا الفاضلة الصالحة المنورة التي يستجاب الدعاء عندها السيدة المنوبية وكان شيخنا سيدي عبد الله السوسي يزورها كثيرا ويغتنم بركاتها ليلا ونهارا اعاد الله من بركاتها وبركاتهم علينا وعلى ذريتنا وعلى جميع من تعلق بنا من الطلبة والجيران وكذا جميع الاصحاب والاخوان .

حاصله لا يمكن استقصاء ما فيها من النجباء والفضلاء والصلحاء ممن اجتمعنا معه واجزناه بالاذكار والعلوم ايد الله الجميع بمنه وكرمه .

وقد مكثت فيها نحو خمسة اشهر ونيف وانا في تعمير الاوقات بتدريس الفنون وضبط القواعد من العلوم فان تونس قاعدة من قواعد العلم * ومدينة من مدن الفهم * غير ان اهلها ينكرون البراني * بلغ ما بلغ في القرب والتداني * فان ما وقع بالامام ابن مرزوق منهم اعني الابي وغيره دائم فيهم الى الان ازال الله منهم ذلك * وطهرهم مما هنالك * من التنافس والحسد والبغض وحب الرياسة وعلو الصيت والاغراب على الاقران والادعاء والتطفيف في الاعتقاد بان يعتقدوا في انفسهم الكمال وفي غيرهم النقص والتزخرف

(1) في نسخة التباسي

بالزخرف الغار والتلهي بالملاهي والخوض في المهلكات من الموبقات التي هي الكبائر والمسامرة في المبطلات والاشتغال بما لا ينبغي من الفضولات آمين يا رب العالمين .

وبالجملة فان تونس خيرها عظيم * وحالها كريم * ووصفها نعيم * وطبعها نسيم * حلوة المذاق * عزيزة الفراق * كثيرة الاشتياق * قوية الاسواق * ممدودة الارفاق * واسعة الانفاق * جالبة الارزاق * كثيرة الفواكه في جميع الاوقات بلا كلفة ولا مشاق * جامعة لاجناس الخلائق * فيها جميع الاصناف من اهل الحقائق * روضة للمطيع والعاصي * والرحيم والقاسي * والمنيف والناسي * لكل احد جليسه * ولكل محب انيسه * فما تشتهي بين يديك * فزت فيها ان انتهيت عن حديك * والا طرحت في مزابل نفسك * وهوان جدك وعهدك * فلا توافق فيها امر نفسك وضدك * والا هلكت بقرينك وندك * كريمة للكرماء * طيبة لذوي الخشية من العلماء * مهلكة للفسقة والظلمة من الارض والسماء * فلا تعجب من نمر ودها * ولا تفرح بسعودها * ولا تعتمد على جدودها * ولا تفتتن بحسن خدودها * ولا تغتر برشاقة قدودها * ولا تستحسن ما كان من قواعدها * فان ذلك كله غرة * وبلية وضرة * ومع ذلك لا تخلو عن بعض العدل الى قيام الساعة كما اخبر به غير واحد من العلماء .

وقد قال صاحب الادلة السنية النورانية على مفاخر الدولة الحفصية ما نصه .

﴿ الباب الثاني في التعريف بمدينة تونس وما يتصل بذلك ﴾ وهي مدينة اسلامية احدثت عام ثمانين من الهجرة وكان ابو جعفر المنصور العباسي اذا قدم عليه رسول امير افريقية(١) يقول ما فعلت احدى القيروانيين يعني تونس تعظيما لها وهي اليوم قاعدة البلاد الافريقية وام بلادها وحضرة السلاطين من الخلفاء الحفصيين ومهاجر أهل الاقطار من الاندلس والمغرب وغيرهما فكثر خلقها واتسع بشرها و رغب الناس في سكناها واحدثوا بها المباني والكروم

---

(١) في ثلاث نسخ رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم

والبساتين حتى بلغ ذلك النهاية حتى لا يوجد في غيرها وبينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة ايام وبينها وبين البحر نحو اربعة اميال وبينها وبين قرطاجنة نحو عشرة اميال وبين تونس ومرساها بحيرة(١) يقال انها كانت كثيرة الجنات والمياه والزروع (٢) طيبة الفواكه فغلب عليها ماء البحر .

ولمدينة تونس سور يدور بها ويقال ان دورها اربعة وعشرون الف ذراع وجامعها مليح الصناعة حسن الوضع مطل على البحر بناه عبيد الله بن الحجاج هو ودار الصناعة سنة اربع عشرة ومائة وانفذ اليها البحر وتونس في سفح جبل .

قالوا وهي دار علم وفقه وعلى نحو عشرة اميال منها نهر مجردة وهو على الطريق الى المغرب ويقال ان من شرب منه قسا قلبه فاكثر الناس يجتنبون الشرب منه وسميت تونس لان المسلمين كانوا لما افتتحوا افريقية ينزلون بازاء صومعة ترشيش ويانسون براهب هناك فيقولون هذه تونس فلزمها هذا الاسم .

ونزل عليها عبد المومن بن علي سنة اربع وخمسين وخمسمائة فحاصرها ثم دخلها عليهم واختلفت عليها ولاة الموحدين الى ان نزل عليها علي بن اسحاق الميورقي فحاصرها ثم ملكها وغرم اهلها مائة الف دينار وعنف نوابه الناس في تفاضيها ثم اخرج عنها لما بلغه تحريك صاحب المغرب اليها ابي عبد الله محمد بن يعقوب المنصور وولى عليه الهزائم كبير اصحابه المولى ابو محمد عبد الواحد المرة بعد المرة .

ومن تونس الشيخ علي بن زياد الفقيه صاحب مالك بن آنس رضي الله عنه وقبره بداره بباب المنارة ومنها الامام العابد محرز بن خلف ذو المناقب الشهيرة وقبره بداره بداخل باب السويقة ويقال ان تونس تقصم الجبابرة وينشد على ذلك شعر .

---

(١) في نسخة جزيرة — (٢) بياض في نسختين ولم ينبه عنه في غيرهما وفي نسخه باسقاط الزروع وفي ثلاث نسخ الزرود وجملة العبارة موجودة في كتاب المؤنس في اخبار افريقية وتونس ص ٦

وكل جبار اذا ما طغى * وكان في طغيانه يسرف

ارسله الله الى تونس * فكل جبار بها يقصف

ودور بحيرتها اكثر من اربعة وعشرين ميلا وفي وسطها جزيرة تسمى شكلي في مقدار ميلين تنبت الكلخ وفيها اثر قصر خرب وتونس في سفح جبل يسمى ام عمرو بقبلي مدينة تونس جبل يعرف بجبل النوبة ما ينبت شيئا وهو المسمى اليوم بجبل الزلاج و يقال ان القرية التي استطعم اهلها مدينة برقة وعن بعضهم انها الجزيرة الخضراء وعن بعضهم الايالة وبالقرب من رادس وادي ميلان وعليه القنطرة الشهيرة ضخامة واتساعا والتونسيون يزعمون انها بنيت من مال رجل من المغرب كان يتكفف الناس و يتصدقون عليه ولا يعلمون حاله وسعة ماله الى ان توفي فوجدوا له مالا ممدودا فامر المولى ابو زكرياء رحمه الله ان يصرف في بنائها فابتنيت منه اه .

وقد قال ايضا ما نصه .

﴿ الباب الاول في حد المغرب وافريقية وما ورد في فضلها ﴾ وذكر اهل التاريخ في كتبهم ان حد المغرب من ضفة النيل التي تلي بلاد المغرب الى مغرب الشمس وحده مدينة سلا ينقسم اقساما فقسم منه من الاسكندرية الى مدينة طرابلس الى حد بلدة قسطيلية وهي التي يقال لها افريقية ويلي هذه البلاد المذكورة من الزاب الاسفل المذكور وحد هذه البلاد مدينة تيهرت ويليها بلاد الغرب يقال ايضا انها مدينة طنجة بل بلادها وحدها الى آخر المغرب مدينة سلا وبلاد الاندلس من المغرب وداخلة فيه لاتصالها به (١) الاعظم الذي يسمى بحر الزقاق وحد افريقية من مدينة طرابلس الى مدينة طنجة .

ومدينة طرابلس مدينة كبيرة ازلية على ساحل البحر يضرب في سورها ماء البحر

---

(١) بياض في ثلاث نسخ وفي نسخة ويحيط بها من جهة البحر الاعظم

وهو من حجر جليل من بناء اول(١) ومن طرابلس الى جبل نفوسة ثلاثة (٢) ومن جبل نفوسة الى القيروان ستة ايام .

ومدينة طنجة مدينة بالمغرب قديمة على ساحل البحر فيها آثار كثيرة كبيرة وبينها وبين سبتة في البر ثلاثون ميلا وفي البحر (٣) واول من افتتحها عقبة بن نافع وقتل رجالها وسبى من فيها وهي على شاطيء بحر الزقاق على القنطرة المعروضة الى ساحل الاندلس التي لم يكن في العالم مثلها وكانت تمر عليها القوافل والعساكر من ساحل طنجة الى ساحل الاندلس فلما كان قبل فتح الاسلام طغى ماء البحر وزاد وخرج من بحر المحيط الى بحر الزقاق وأغرق هذه القنطرة وكان طولها اثني عشر ميلا واسعة المجاز اليوم في موضعها ثلاثون ميلا وتبدو هذه القنطرة لاهل المراكب يتحفظون منها ويقال انها ستنكشف آخر الزمان وانه يجوز عليها الناس والله اعلم .

ومسافة ما بين طنجة والقيروان الف ميل وهي طنجة البيضاء المذكورة في التواريخ وقيل ان عمل طنجة مسيرة شهر في مثله وان ملوك المغرب من الروم وغيرهم (٤) من كانت دار مملكتهم والدليل عليه ان خراب طنجة اذا حفرت وجد فيها اصناف الجواهر .

واما بلاد قسطيلية(٥) فان مدنها مدينة توزر والحامة وقفصة ومدينة توزر هي ام مدائن قسطيلية وهي مدينة كبيرة عليها سور مبني بالحجر والطوب وفيها جامع محكم البناء واسواق كثيرة حولها رياض واسعة فهي مدينة حصينة لها اربعة ابواب كثيرة النخل والبساتين والثمار الا ان قصب السكر لا يصلح فيها وكذلك اللوز وحولها سواد

---

(١) في نسخة الاول — (٢) بياض في ثلاث نسخ وفي نسخة مراحل — (٣) بياض في ثلاث نسخ وفي نسخة يوم وليلة — (٤) بياض في ثلاث نسخ ولم ينبه عنه في نسخة بل حذف صاحبها لفظة من واوصل العبارة الموجودة بعدها بالتي قبلها — (٥) في ثلاث نسخ واما بلاد فلسطين قسطيلية

عظيم من النخل وهي اكثر بلاد افريقية تمرا وشربها من ثلاثة انهار وتخرق من الرمال كالدرمك رقة وبياضا ويأخذ(١) من مدينة توزر في بعض الايام الف جمل تمرا موفورة واكثر فلا يعلم في بلد من البلاد مثل اترجها(٢) جلالة وحلاوة وبها الزنجبيل والمخبط (٣) ولا يعلم في قسطيلية الا الرمال وسعر طعامها غال في اكثر الاوقات لانه يجلب اليها وبينها وبين الحمراء مرحلة ووراءها صحراء في قبلتها لا يقدر احد ان يدخلها .

ويقال ان بتلك الصحراء واديا يجري مجرى الماء من الرمل وهذا مستفيض واهلها من بقايا الروم الذين كانوا بافريقية قبل الفتح وكذا اكثر اهل قسطيلية ومنهم من العرب الذين سكنوها عند افتتاحها ومنهم من البربر الذين دخلوها في قديم الزمان عند خروجهم من بلادهم من فلسطين بالشام .

واما ما ورد في فضل المغرب ما نقل عن سفيان بن عيينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشر عشرة اجزاء فتسعة بالمشرق وواحد بالمغرب والخير عشرة اجزاء فتسعة اجزاء بالمغرب وواحد بالمشرق وعن سفيان بن عيينة ايضا يروي ان بابا مفتوحا للتوبة مسيرة اربعين خريفا لا يغلقه الله تعالى حتى تطلع الشمس من المغرب وان بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة كما قيل رواية عامة وفي فضله قال الشاعر

الغرب شيء(٤) عظيم * ولي دليل عليه
البدر يطلع منه * والشمس تغرب فيه(٥)

واما ما ورد في فضل افريقية مما نقله الراوي قال روي عن عبد الله بن وهب مرفوعا ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية في سبيل الله فلما رجعوا ذكروا شدة برد

---

(١) في ثلاث نسخ يخوض — (٢) كذا في جميع النسخ ولعله أترجها او اترنجها — (٣) بياض في نسختين ولم ينبه عنه في غيرهما وفي نسخة اسقاط المخبط ولعله المخيط كما في تذكرة داود الانطاكي او المخاطة كما في كتاب النبات والشجر للاصمعي وهو السبستان — (٤) كذا في نسخة وفي ثلاث نسخ قصر — (٥) هكذا ورد هذان البيتان هنا والمشهور « الغرب شيء مليح * ولي دليل عليه » « البدر يرقب منه * والشمس تجري اليه » كما في جذوة الاقتباس لابن القاضي

أصابهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن افريقية اشد بردا واعظم اجرا ويقال ان بافريقية ساحلا يقال له المنستير المذكور شهر بالبركة وبافريقية جبل يقال له (١) باب من ابواب جهنم وهذا الجبل هو المعروف بوسلات وفي الحديث يمر (٢) على ساحل افريقية رجال حتى تسير الجبال بهم فيسمع دوي ويقال ما هذا فيرسلون من يختبر لهم الامر فيرجع اليهم فيقال لهم هذه الجبال قد سيرت فيخرون لله سجدا فلا ينزع اطمارهم عنهم الا ازواجهم من الحور العين وفي الحديث يحشر من افريقية سبعون الف شهيد وجوههم على صورة القمر ليلة البدر وعنه صلى الله عليه وسلم ان البرد الشديد والاجر العظيم لاهل افريقية (٣) .

وذكر القاضي زياد بن عبد المنعم (٤) قاضي القيروان في حديث رواه قال ينقطع الجهاد في آخر الزمان من البلاد ويعود الى افريقية وليضربن القبائل اكباد الابل من جميع الافاق الى الجهاد بافريقية لعدل امامهم ورخص اسعارهم وذكر في حديث ولَيُبَاعَنَّ بمصر قفيز بعشرة دنانير ثم ليباعن بخمسين دينارا من حرص الناس على الجهاد بافريقية وكاني اسمع صرير المحامل على عقبة التيه الى ارض افريقية لطلب الجهاد والعدل فيها وليملكن ارض افريقية رجل اسمه يوسف يعدل فيها اثنتين وعشرين سنة .

ثم قال ايضا ما نصه .

﴿ الباب الاول في التعريف باول من غزا افريقية من الصحابة رضي الله عنهم وما يتصل بذلك ﴾ واول من غزا افريقية عمرو بن العاص ذكر الليث بن سعد (٥) قال غزا عمرو بن العاص مدينة طرابلس وهي حد افريقية على ما سبق سنة ثلاث وعشرين ونقل في سنة اثنتين وعشرين فنزل القبة التي على المشرف في شرقها فحاصرها شهرا لا

---

(١) بياض في جميع النسخ ولم ينبه عنه في نسخة — (٢) بياض في جميع النسخ ولم ينبه عنه في نسخة وفي ثلاث نسخ لمرا عوض يمر — (٣) انظر هذه الاحاديث في معالم الايمان لابن ناجي ج ١ وص ٣ ط تونس سنة ١٣٢٠ — (٤) كذا في جميع النسخ — (٥) في ثلاث نسخ سعيد وانظر هذه الحكاية في ص ١٤٥

يفدر منهـم على شيء بخرج رجـال من بني مدلج ذات يـوم من عسكر عمرو يتصيدون بي سبعة نفر بمضوا غربي المدينة حتى بعـدوا عن العسكر ثم رجعـوا باصابهم الحر باخـذوا راجعين على ضبة البحر وكان البحر لاصفا بسور المدينة ولم يكن بيما بين المدينة والبحر سور وكانت سبن الروم شارعة(١) بي مرساهـا الى سور المدينة(٢) بنظـر المدلجي وأصحابـه باذا البحر فد غاض وحصروا من ناحيـة المدينـة ووجـدوا مسلكا اليها من الموضـع الـذي غاض منه بدخلوا منه حتى اتوا من ناحية الكنيسة بكبروا بلم يكن للفوم مبزع الا الى سبنهم ثم افبل عمرو من جوب المدينـة بجيشه حتى دخل عليهم بلم يبلت الروم الا بما خب لهم بي مراكبهم وغنم عمـرو ما كان بي المدينة ثم استشار عمرو بن العاص عمر بن الخطاب بي غزو ملـوك ابريفية بابى عليه وفال له رد علي جيشي ثم غزاها بعده عبد الله ابن ابي سرح كاتب الوحي لرسـول الله صلى الله عليه وسلم بي خلابة عثمـان بن عبـان رضي الله عنه .

فال الواحدي(٣) عن عبد الله بن الزبير فال اغزانا ابن عبان ابريفية وبها بطريف يدعى بجرجير سلطانه من طرابلس الى طنجة واميرنا عبد الله [بن سعد] ابن بي سرح وكان جملة من معه من المسلمين عشرين الفا وكان جرجير بي مائة وعشرين الفا بالتفى المسلمون والكبار واضطرمت بينهما الحرب وضاف بالمسلمين الامر واختلبوا بي الرأي عن ابن سعد بدخـل عبد الله بن الزبير بسطاطه يبكر فال برأيت جرجير على برذون اشهب خلب اصحابه منفطعا عنهم ومعه جاريتان تظللانه بريش الطواويـس من الشمس باتيت بسطاط عبـد الله ابن سعد بفلت لحاجبه استاذن لي عليه بابى وفال امرنـي ان احبس الناس عنه حتـى يدعوني فال بدرت من وراء البسطـاط برفعته برأى وجهـي باومـأ الي بالدخول برأسـه بدخلت وهو مستلف على براشه يبكر ببزع من مدخلي بفال ما جاء بك يا ابن الزبيـر

---

(١) بي نسخة شاتية ـــ (٢) بي ثلاث نسخ تميم ـــ (٣) كذا بي جميع النسخ ولعله الوافـدي

فقلت كُلُّ أَزَبَّ نَفُورٌ (١) اي لان الازب يظن كل شيء عدوا فهو شارد ابدا قال ما الخبر قال قلت رأيت غرة من عدونا فظننت ان تكون فرصة هياها الله وخشيت الفوت فاخرج فاندب الناس فخرج فرأى ما رأيت فقال يا أيها الناس انتدبوا مع ابن الزبير فتسارعت جماعة فاخترت منهم ثلاثين رجلا من الفرسان وقلت لهم اني حامل فاحموا ظهري ساكفيكم ما امامي ان شاء الله فحملت في الوجه الذي هو فيه ودبوا عني واتبعوني حتى خرقت الصفوف الى ارض خالية (٢) بيننا وبينه فوالله ما حسب الا اني رسول اليه حتى رأى ما في من اثر السلاح فثنى برذونه راجعا وادركته فطعنته فسقط ورميت نفسي عليه والقت جاريتاه عليه انفسهما فقطعت يد احداهما وأجهزت عليه ورفعت رأسه على رمح وجال اصحابه وحمل المسلمون في ناحيتي وكبروا فقتلوهم كيف شاءوا وثارت الكمائن من كل ناحية وسابت خيول المسلمين ورجالهم الى حصن ارنيطلة(٣) ومنعوهم من دخوله وركبهم المسلمون يمينا وشمالا في السهل والوعر فقتلوا انجادهم وفرسانهم واكثروا منهم الاسارى حتى لقد كنت ارى في الموضع الواحد الف اسير قيل له لما نزل المسلمون لقتال جرجير ابرز جرجير بنته وقد كانت من اجمل النساء فقال من يقتل عبد الله بن سعد فله نصف ملكي وازوجه ابنتي فبلغ ذلك عبد الله بن سعد فقال انا اصدق من العلج واوفى منه بالعهد من يقتل جرجير فله بنته فقتله عبد الله بن الزبير فدفع اليه عبد الله بن سعد ابنته ويقال انه اتخذها ام ولد ابن الزبير .

وقيل لما نزل عبد الله بن سعد على المدينة فحاصرها حصارا شديدا حتى فتحها فكانت توضع بين ايدينا اكوام الذهب والفضة [فقال للامارق(٤) من انزلكم هاهنا فجعل

---

(١) بياض في جميع النسخ ولم ينبه عنه في نسخة وفي نسخة ارب لي نعوز به قال ما الخبر وفي غيرها ارب وكل ازب نفور مثل من امثال العرب ذكره الميداني وقال الازب هو البعير الذي يكثر شعر حاجبيه فيكون دائما نفورا لان الريح تضربه فينفر يضرب في عيب الجبان الخ — (٢) بياض في جميع النسخ ولم ينبه عنه في نسخة — (٣) كذا في جميع النسخ — (٤) في نسخة للاماريق وليحرر

رجـل منهم يلتمس في الارض حتى جـاء بنواة زيتون فقال مـن اين هذا لان اهل هذا البر(١) ليس لهم زيـت فكانوا يشترون منا وكان يسلم الفارس آلاف دينار ويسلـم الرجـل الف دينار](٢) ثـم قال لابن الزبيـر ما احد احق بالبشارة منـك فامض فبشـر اميـر المومنيـن والنـاس فقال حبا وكرامة فقيـل وصل من فسطيلية(٣) الى المدينة في ثمانية عشر يوما وقيل في اربعـة وعشرين يوما وانصرف العسكر بعـد اقامته بها سنة اشهر الى مصـر بعـد ان صالحـوا المسلميـن على ثلاثمائة قنطـار ذهبا ياخذونها منهم و يخرجون من بلادهم انتهى .

اقول اخبار افريقية لا تضبط و فيها تواريخ لا سيما الادلة البينـة(٤) النورانيـة على مفاخـر الدولة الحفصية وكذا النبذة المحتاجة في ملوك صنهاجة ترى العجائب .

هذا واني زرت فيما مضى مدينة ماطر وهي مدينة صغيرة ذات مزارع ويسكن في نواحيها العرب والبرابر من ناحية بجاية وجبالها والذي حذوهـا ودورانهـا هو المسمـى بافريقية والا فقد علمت حد افريقية فيما سبق على ان عمالة قسنطينـة من افريقيـة الى الجزائر الى تلمسان ثم ما يحاذيهـا كلها افريقية وكذا دخلت مدينة بنزرت فيمـا مضـى وهي مدينة ظريفة طيبة شريفة مليحة المرسى فيها بساتين لا سيما العنب وانواع الفواكه وخير البر والبحر مجتمع فيها واني زرت ايضا ولي الله على الاطلاق * وصاحب البركة بالاتفاق * سيدي عبد الواحد مشهور بالزيارة * ومعلوم الصـلاح والانارة * افاض الله علينا من بركاته * وجعلنا من اهل محبته وشفاعته .

واني زرت ايضا تلـك الجبال فان الناس يعتقدو ن فيها البركة كثيرا ولما مكثـت فـي تونس مدة ثم جئت منها على احسن الخيرات واتم البركات نعم تركـت اهلي هنـاك اخذا بخاطر من فيها من العلماء والصالحين ممن بالغوا في محبتي واشتياقا في اقامتـي

---

(١) في نسخة البحر — (٢) ما بيـن القوسيـن ساقط في نسخـه — (٣) كذا في جميـع النسخ — (٤) كذا في جميع النسخ وقد مر في ص ٦٦٩ السنية فليحرر

ناويا الرجوع اليها والتوطن فيها رغبة في نشر العلم وبثه لكثرة الاخذين فيها مع عدم الكلفة للطلبة الاخذين بخلاف وطننا فانه لابد من كلفة الطلبة والاقامة بمؤنتهم والا انفطع مادة العلم غير اني افول كما فال المامون[1] حين بنى فصره بفرطبة المعلوم وصنع فيه جابية لم يسبق بمثلها ولما اكمله نام فاتاه آت في نومه وانشد فائلا بيتين

اتبني بناء الخالدين وانما * بفاؤك فيها لو عفلت فليل
اما كان في ظل النبات كفاية * لمن كل يوم يفتضيه رحيل [2]

فلما انتبه مرعوبا بكى بكاء عظيما وكان بارعا بليلغا فانشد يفول متمثلا لنفسه

تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت * وتحدث من بعد الامور امور
وتجري الليالي باجتماع وفرفة * وتطلع فيها انجم وتغور [3]
فمن ظن ان الدهر يعطي[4] سروره * فذاك محال لا يدوم سرور [5]
عفا الله عمن صير الهم واحدا * وايفن ان الدائرات تدور

ولم يعش بعد ذلك الا اياما يسيرة .

ولما خرجت من تونس ودعني اكثر علمائها * وجم فضلائها * وعامة طلبتها * كالفاضل المحفف * والكامل المدفف * سيدي محمد الغرياني ومن لا يحصى عددا الى سيدي عبد الله الشريف فاجتمعوا هناك فما اصعبه من فراف * واضره من احتراف * ففد ففدت

---

(١) المراد بالمأمون هنا يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة وفد بنى الفصر المذكور بطليطلة لا بفرطبة حسبما ذكره ابن بدرون في شرحه على فصيدة ابن زيدون ص ٢٧٧ — (٢) في كتاب تنبيه المغترين للشعراني ط مصر ١٣١٠ ص ٤٦ عزا البيتين للشيخ عبد الفادر الجيلي وروى مفامك عوض بفاؤك وروى البيت الثاني هكذا « لفد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كان يوما يفتفيه رحيل » وفي شرح ابن بدرون الاراك بدل النبات — (٣) في كتاب المخلاة للعاملي ط مصر ١٣١٧ ص ١٢٦ ويطلع فيها النجم ثم يغور — (٤) في ثلاث نسخ يفضي وفي المخلاة باق — (٥) في العفد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ٢٢٨ ط مصر ١٣٢١ « ويطمع ان يبفى السرور لاهله * وهذا محال أن يدوم سرور» وفيه تفديم وتأخير في الابيات

السلوى * ولم ابث الشكوى * ولم اجد طبيبا بالدواء * لا الصبر لذي(١) الفدرة والفوى * وما احسن ما فيل

وددت ان السبع البحار لي مداد * وان جسمي دموعا كلها همل
لاتهدمنها وسيط ذلك الجبل * الهجر والبين والواشون والابل
* طلائع يتراءى بينها الاجل(٢) *

وفال الاخر

ما راعنى فط شيء مثل ففدهم * حتى استفلت وسارت بالدمى الابل
اني على العهد لم انفض مودتهم * يا ليت شعري و بعد البين ما فعلوا

افول لم استطع فرافهم غير انه لا بد من فراق * وان كان في الفؤاد نار واحتراق * ايد الله الجميع بمنه وكرمه آمين وفد انشد بعضهم ففال

ان فتشوني فناحل الجسد * او فتشوني فابيض الكبد
ضعف وجدي وزاد في سفمي * ان لست اشكو الهوى الى احد
وضعت كفي فؤادي من * داء الاسى وانطويت فوف يدي
آه من الحب آه من كمدي(٣) * ان لم امت في غد فبعد غد(٤)
كان على(٥) فلبي اذا ذكرتكم * فريسة بين يدي اسد

وفال الاخر

ما افتل البين للنفوس وما * اوجع ففد الحبيب للكبد
عرضت نفسي من البلاء لها * اضرم في(٦) مهجتي وفي جلدي
يا حسرتي ان اموت معتفلا * بين اعتلاج الهموم والكمد
في كل يوم تفيض معولة(٧) * عيني لعضو مات من جسدي

---

(١) في ثلاث نسخ لذوي — (٢) كذا في جميع النسخ وفي نسخة باسفاط طلائع يتراءى بينها الاجل — (٣) في نسخة كمد — (٤) في نسخة وضعت كف فؤادي بعفد غد — (٥) في نسخة باسفاط على — (٦) في نسخة أضر — (٧) في نسخة معزلة

وقـال الاخـــر

واری المحنـة ليس ينفعهـا * صبـر ولا يفـي بهـا الجلـد

ويوم الموت اعظم منه واعظم من الجميع يوم النشور وقد انشد بعض فقال

فلـو انـا اذا متنـا تُرِكْنَـا * لكان الموت راحـة كل حي

ولكنـا اذا متنـا بُعِثْنَـا * ونُسْأَلُ بعده (١) عن كل شي

ثم سرنا بعد التوديع فمن واقف هناك ومن راجع بعد ومن مشيع لنا الى سيدي علي الحطاب فبتنا عنده مع جمع كثير من تونس ومن تبربة (٢) فكثر انواع الاطعمة وانواع الطبائخ بان ذبح سبعة اكباش وثورا اهل تبربـة ومن كان مـن اصحابنـا من اهل تونس كثر الله خيرهم و وسع ارزاقهم بمنه وكرمه واقول في نفسي وهؤلاء ما قال القائل (هو علي بن الجهم)

هي النفس ما حملتها تتحمـل * وللدهـر ايـام تجـور وتعـدل

وعاقبة الصبـر الجميـل جميلـة * واكرم اخلاق الرجال التفضل (٣)

ولا عار ان زالت على المرء نعمـة * ولكـن عارا ان يزول التجمـل

وما المال الا حسرة ان تركته * وغنـم اذا قدمتـه متعجـل

وقـال الاخـر

تحمل عظيم الذنب ممن تحبـه * ولو كنـت مظلوما فقـل انا ظالـم

فطوبى لمن اغفى من الليل ساعة * سليـم الفـؤاد ان ذاك لنـاعـم

فلما اصبح الله بخير الصباح ظعنا منه وودعنا من بات معنـا وودعناهم والشوق يتزايد * والغرام يتعاهد * والصبر ينفاقد * فرجع الجميع الى ان بقي الود الصدوق * والاخ الفاروق * الحاج ابراهيم فودعنـا ووصيناه على اهل دارنا واكدنـا عليه الوصية واني تركت الصهر الفاضل والفقيه الكامل سيدي عبد الله بن رحاب وعمنا سيدي عبد العزيز ولذلك سكنت النفس *

---

(١) في نسخـة بعدهـا — (٢) في نسخـة اتْبَرْبَـا — (٣) في الاغانـي ج ٩ وص ١٠٤ وأفضـل ..... التحمل

واطمانت من كل فتنة الانس * واندفع حينئذ الضرر والبؤس * وانفصلنا عليهم احسن الانفصال * والقلوب على اتم الاتصال * فلم يبق معنا الا المحب الشيخ اسماعيل رحمه الله وغفر له والشيخ الفاضل والصالح الكامل سيدي الونيس ساروا معنا سويعات ثم بعد ذلك افترقنا وللقلوب التفاتات الى الاحباب * وتقلب مع ضرب من الشوق الى جميع الاصحاب * لكن الافتراق لا بد منه وقد قال القائل

اللـه يعلـم والـدنيـا معرفـة * والعيـش منتقـل والدهـر ذو دول
لانت عندي وان ساءت ظنونك بي * احلى من الامن عند الخائف الوجل
وكيف يفـرح بالدنيـا و زينتهـا * والنـاس تحكم للاعـداء بالابل(١)

ثم سرنا كذلك الى ان بتنا في تسنور وهي قرية عظيمة تقرب من المدن الصغار * اهلها اهل سر واعتبار * وكرم وعز واقتدار * وفرح وسرور وابتشار * فاحسنوا الينا * وتادبوا لدنيا * واجملوا ضيافتنا * واحسنوها جزاهم الله عنا خيرا * ووقاهم بؤسا وضرا * وضاعت لبعض الاصحاب مكحلة صغيرة في الوادي فبعث شيخ البلد في استقصائها فردها من بعض الناس وارسلها الينا في مرحلة اخرى كان الله معهم واقام الخير لديهم وجعل البركة في وطنهم وكان كثير اهلها اهل الاندلس واهل الاندلس مامونون من الضر والقبح والبوس .

وهذه القرية لا سور فيها ذات بساتين ومزارع كثيرة وفواكهها(٢) قليلة الوجود فلا نظير لها ابدا فمن رآها استعظمها وتعجب منها يستحليها الناظر * ويتمناها المقيم والمسافر * فلا يرضى بعد الخبرة بها احد فراقا * بل يزداد المرء اليها اشتياقا * نعم الموت هاذم اللذات فالمقيم يسير به الموت * ويطلبه الاجل والفوت * وقد قال بعضهم

ومن أعجب(٣) الاشيـاء انـك قاعد * على الارض في الدنيا وانت تسيـر
وسيـرك يا هـذا كسير(٤) سفينـة * بقـوم قعـود والقـلاع تطيـر

(١) في نسخة بالامل — (٢) في نسخة زيادة كثيرة — (٣) في ثلاث نسخ عجب — (٤) في ثلاث نسخ سير

كذلك ايام الحياة باهلها * تمر وامال الرجال كثير
ولم يبق آثار لمن كان قبلنا * يموت ويبقى بعد واثير
اتتهم مناياهم وصاروا الى البلى * ونحن بلا شك كذاك نصير

وقال الآخر (١)

عش ما تشاء اليس الموت آخرما * ترجو ولابد ان ياتي لك الاجل
هذا شبابك قد مرت بشاشته * وفي انتهاز المنايا للفتى شغل
كم قد مضى سلف في اثره خلف * وكم مضت دول من بعدها دول
قضوا لباناتهم حتى اذا انقرضوا * لم يبق الا حديث كان او مثل
فاندب حياتك يارهن الممات فقد * بدا بوقديك(٢) آيات لمن عقلوا

ثم سرنا كذلك الى ان وصلنا قرية تبرسق قرية ذات بساتين ومياه ومزارع كثيرة . حاصله فيها زرع وضرع كثير وسوق في الاسبوع ياتي اليه الناس من بعد عامر ممتلىء فيه ما يباع كثيرا وقد لقينا ولد المحب في الله والاخ من اجله محب الصالحين والعلماء العاملين قائد بنور قائد تلك القرية واحوازها وما ينسب اليها وما عُدّ(٣) منها غير انه هو في تونس وقدم ابنه على هذا المحل ونبّه(٤) عليه فبعث اليه لما اردنا السفر من تونس نعم اكرم نزولنا واحسن الينا في الضيافة إحسانا تاما واعد لنا اجود الاطعمة واطيب الطبائخ .

حاصله قام بضيافتنا قياما تاما واحسن الينا إحسانا كاملا من طعام وعلف الا اني اصابتني الحمى وبت في مسجدها المعلوم الذي فيه الطلبة واما اصحابي كلهم قد نزلوا في دار القائد وقد تأدب معنا غاية احسن الله اليهم وحوى(٥) الخير لديهم آمين فقطعنا منها صباحا بعد ان طلبنا الله له ولابيه بدوام الخير والبركة والحفظ والغنيمة والسر في الذرية والازواج والقرابة كان الله لنا ولهم بالعافية وعموم المغفرة والرحمة والعناية .

(١) هذه الرواية مخالفة لرواية الثعالبي في العلوم الفاخرة ج ١ ص ١١٣ — (٢) كذا في جميع النسخ ولعله بفوديك — (٣) في نسخة قرب — (٤) اي أنابه عنه — (٥) في نسخة أجرى

ثم سرنا كذلك الى ان وصلنا الى مدينة الكاف وهي مدينة متوسطة ليست كبيرة جدا ولا صغيرة فهي مليحة ذات مزارع كثيرة فهي حد مدائن تونس ولا مدينة بعدها وانما هي الفصل بين تونس وعمالة الجزائر في زماننا هذا لان قاعدة الملك مدينة الجزائر وقاعدة الملك تونس وغيرها من المدن انما فيها القواد والعمال ليس الا غير ان تونس تكاد ان تكون تحت ولاية الجزائر لما وقع فيها من الحرب العظيم والقتال الكبير الذي مات فيه اكثر الناس وقد مات فيه سلطان تونس اعني العلامة الفاضل والفهامة الكامل علي باشا واولاده(١) محمد باي واولاده ثم صار الملك لاولاد الكامل محب الصالحين والعلماء العاملين حسين بن علي رزق الله لهم العدل وادام لهم الملك والمملكة مع التوفيق والهداية والرحمة والتوبة واللطف في السياسة والسيرة والرحمة لانفسهم وللامة المحمدية تمم الله لنا ولهم العافية بمنه وكرمه .

وهذه المدينة قد كان لها سور عظيم محكم البنيان متقن غاية وفيها قصبة عظيمة يكون فيها عسكر وفيها آغا يحكم في اهل الوطن غير ان سورها الان انهدم ولم يبق فيه الا القليل ومع ذلك كثير الثلمات من وقعة سلطان الجزائر مع اهل تونس فامر بهدم بنائه لحكمة وهو امتناع كونه حصنا لاحد ففيها طلبة القرآن والعلم وعلماؤها لابأس بهم .

وقد تكلمنا معهم في بعض مسائل العلم فوجدنا بعضهم على شرفة من الفهم غير ان الوطن خال من الاعتناء بالعلم لما فيه من شياطين الانس يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ومكرا وخديعة وغيرة وحسدا وظلما وعدوانا فان ارادوا اهلاك احد من العلماء وشوا به الى امير تونس وسعوا به اليه بقولهم ان فلانا اراد التهجريس(١) الى تونس وابنه في قسنطينة والجزائر وقد علمت ان كل شيء يكذبه السلطان الا من يخلط عليه مهما سمع شيئا من احد قبله كان حقا او باطلا(٢) وتيقن به وتوثق به فهم كالضرائر والتيوس وما اهلك

(١) كذا في جميع النسخ — (٢) في ثلاث نسخ زيادة الا قبله

الناس في تونس الا هذا الامر العظيم فهي لانظيـر لها في هذه الصفة المذمومة التي حيرت الناس وشتتت امرهم وان اهل تونس ايضا معلومون بالخوز(١) والغدر والخديعة والمكر للسلطان فما اخذت تونس في الغالب الا بهذا الوصف لان اهلهـا مشهورون بالعكس والانتكاس والنقض والرفض والتخليط والالتباس من دولة الحفصيين الى الان ولولا الاطالة لذكرنا مـن أوصافهم نبذة ومن اخبارهم ووقائعهم وحروبهم وغدرهم ومكرهم ومخالفتهـم للسلطان وتاخرهم عنـه بعد مبايعتهم اياه واظهار مودتهم له ثم ينقضون العهد ويجاوزون الحد ويمدون للعدو مدا جملة فيهلـك الله جميعهم وكذا الامير اذا طغا فيها كما تقدم .

حاصله ان الفجور والمعاصي والظلم والعناد اذا ظهـر في تونس ابتلاهم الله بعذاب يعـم جميعهم الا من نجاه الله بفضله حسبما وقع ذلـك بالباشا اعني علي باي حتى صار النهب والسلب والقتل والفتك في ديار تونس وهو بلاء عظيم وامر مليم يكاد ان لا يقـع الا بالامـم المتقدمة والاعصر السالفة وسبب ذلك ان السلطان واهل حضرته اذا اشتغلوا باللهو واللعب وصرفوا اموال المسلمين في شهواتهم المحرمة نادى الله عليهم بالويل والعذاب والهلاك فلم يراع فيهم الطائعين ولا اهل الفلاح من المتقيـن وقد قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبـن الذين ظلموا منكم خاصة بل تصيب الظالم والمظلوم على من جعل لا من المفسريـن غير صلـة اي ليست زائدة لان المنـكر اذا اشتهر في الامة ولم يغيره الناس وقع العذاب بالجميع لان من شهـد المنـكر ولم يغيره فهو وفاعله سيان في الاثم ووقوع العذاب وقد قال الشاعر

اذا تـرى ملكـا باللهـــو مشتغـلا * فاحكم على ملكه بالزيـل والخَـرَب
او ما ترى الشمس في الميزان ساقطة * اذ كان ذلـك بيت اللهـو والطـرب

﴿ انعطاف ﴾ الى ما كنا بصدده وقد ضربنا خيمتنـا خارج المدينة قرب الطريق التـي تسلك الى المغرب ولما سمع بنا اهل الفضل والعلم من المدينة خرجوا الينا قاصدين التبرك

(١) اي المعاداة

والاستفادة وقالوا لنا لم لا تنزلون بالمدينة فلنا لهم قد نزل اصحابنا بدار الضيافة فال لهم النائبون عليها والقائمون بوظائفها من اصحاب المخزن هل اتيتم بامر من السلطان اذ لا ينزل بها الا من امرنا بنزوله فيها وانتم لما لم تكونوا مامورين بالنزول فلا تنزلوا فقالوا لهم الله اولى واحق ان تكونوا باضيافه قائمين راغبين فلما ثقل عليهم الامر خرجوا ومع ذلك اني لم احضر ولم يسمعوا بي فشكرنا الله على ذلك وحمدناه على ما هنالك من عدم المبيت فيها وقد علمت ما في ذل العلماء للملوك على دنياهم وكذا تواضعهم للاغنياء على غناهم ومن الفضل والعصمة ان لا تجد موجبا للهلاك وسببا لغضب الرب فلما سمع المتولي للضيافة ندم غير ان الله سخر العلماء والفضلاء من المدينة اتوا الينا بطعام كثير حتى فضل عن الرفقة كثر الله ارزاقهم وقوى في العلوم مددهم وجعل البركة والعلم في ذريتهم آمين ورزق العز والهداية والتوفيق لاهلها فان بعض المدرسين في المدرسة المعلومة فيها قد وشي به الى سلطان تونس اذ قيل له ان هذا العالم وجماعة ارادوا ان ياخذوا بيد ابن يونس واظنه كذب فرفعه الى تونس حين كنا فيها فشفعنا فيه عنده ليرده الى اهله فامتنع قال وانما اجعل له راتبا في تونس يدرس فيها وكان الامر كذلك اصلح الله الكل .

ذكر دخولنا قسنطينة

ثم ظعنا منه صباحا فسرنا اياما في عافية الى ان وصلنا الى مدينة قسنطينة وهي مدينة في وطننا وقاعدة من قواعد بلادنا وان لم يكن فيها السلطان ففيها نائبه السيد الباي وهي مدينة قوية ليست كبيرة جدا ولا صغيرة ايضا وعليها سور كبير وفيها ابواب ثلاثة باب الوادي وباب الجابية وباب القنطرة وفيها بويب صغير يخرج منه الادمي وفيها اسواق كثيرة ودكاكين طيبة ومساجد للجمعة نحو الخمسة وبعضها في غاية الاتقان كمسجد الباشا في طرابلس واظن ان صانعهما واحد وهذه المدينة مبنية على كهف وجرف عظيم يكاد من سقط منه ان

يهلك بل يموت فطعا وفيها فصبة عظيمة وعسكر من الترك بفدر حالها وباي سطوته عظيمة وحاله كبير وعساكره كثيرة تنفذ منها للجزائر اموال عظيمة من المغرم ومددها فوي وظلمها كثير وسعرها رخيص واسعة الارزاف كثيرة الارتفاف ممدودة الانفاف كثير فيها اللحم والسمن والفمح والتين ما احسنها من زرع ودرع وضرع تاتيها الفوافل من كل النواحي فليلة الفواكه كثيرة المزارع محصنة تحتها واد كبير وماؤه عذب منه يشربون اذ ينفلون ماءه الى الديار وفيه يسفون ويستسفون ويغلسون ويغتسلون وعليه بنيت المدينة من فديم الزمان .

وفد سمعنا انها من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام لم يطفأ لها سراج ولا استفر فيها امير دائما هي لنائب السلطان وهي من افريفية واحسن عمالتها اذ لا تجد ارضا طيبة ولا ربوة عظيمة للمال والحرث احسن منها فانها لا يفل رزفها اصلا ولا يدوم فيها الغلاء لا تخلو عن العلم غير ان تدريسه فيها انما يكون في بعض الاوفات كالشتاء واول الربيع واما سائر الاوفات فلا فليس فيها العلم الغزير ولا انعدامه رأسا فليس يفقد جملة ولا يستمر كلية فولاتها لم يشتغلوا ببناء المدارس ولا بكثرة الاوفاف والاحباس لما علمت انها ضيفة وملكها ليس كملك تونس .

وفد سمعت من الفاضل الكامل السيد علي الخزناجي صاحب الرحمة والدولة الشاملة ذي اللطف(١) واللين وعدم الظلم المبين دولة محمد باشا الذي فتله غرناؤوط ليتولوا امره فلم يرجعوا اصلا فَفُتِلُوا كما فَتَلُوا فتولاها علي ابو الاصبع بعد موت السلطان والخزناجي يفول ان ما يدخل تونس في يوم يعدل ما يدخل الجزائر في العام بل ما يدخل تونس أكثر بل فالوا انما يدخل الجزائر في عام يدخل تونس من عصر يوم واحد الى الغروب والله اعلم فلم تكفهم الاموال ولان مادة البحر في الجزائر اوسع من مادة البر وعلى تفدير وجود الاموال ففد صرفها اهلها في شهوات انفسهم كالملابس والمآكل والمشارب بل بنوا

---

(١) في نسخة الشاملة التي ذات اللطف وفي اخرى باسفاط التي فليحرر

الحصون بها والابراج والاسوار والثغور واقاموا العساكر والنوبات في كل محل مخوف كثغر بجاية وجيجل والقل وبونة وغير ذلك مما يحتاج اليه الحفظ من العدو كذلك المحال التي طغت فيها العرب وزاغت فيها اهل البدو كتبسة وزمورة وبسكرة وجزة وبُوغني وسَبَاو وكذا ثغور المغرب امدهم الله بمدده وايدهم بجنوده ونصرهم على العدو برا وبحرا وجوفا وقبلة مع التوفيق والعدل والاستقامة والفضل وحفظهم من الظلم البين وازال منهم المناكر البينة والمعاصي الظاهرة الصغائر والكبائر ليكونوا على ذروة الدوام وقصبة التمام والا فالظلم مهلك لصاحبه قل ان يسلم صاحب الفجور ومظهر اللواط والزنا والخمور وقد قال صلى الله عليه وسلم لم يكن شيء اسرع بصاحبه كالظلم فكل واقعة من وقائع الهلاك الا كان سببها الظلم والتعدي ما احسن العلم ان قارنه الحلم وما اقبح الجهل ان قارنه الظلم .
وهذه المدينة غير خالية من العلماء ولا من الفضلاء والصلحاء غير انها سريعة باهل الصلاح فمن ظهر فيها بالقبول والفضل الا اسرعت بهلاكه فيقبض ساعتئذ وهذا معلوم عند اهلها إما لاساءة ظن اهلها فلا ينتفعون بمن ظهر فيهم او لانها كثيرة الملذوذات فقل فيها اهل الفضل من اصحاب الخيرات وانما يظهر اهل الخير واستمرارهم للنفع في محل ضيق المعيشة كثير المحن قليل الاحسان والامتنان ومواهب الاله وارادته انما تكون لمن يستحقها ومن هو اهل لها وليس ذلك الا للفقراء وقد قال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها فما ضاق محل بالمعيشة الا ظهر فيه الفضل(١) والعناية وقد جرت عادة الله بهذا وما كثر رزق واتسع بمحل الا كثر فيه الافتخار والتجبر والعناد وقل الصلاح والزهد والعبادة(٢) لان مخالفة النفس في ملذوذاتها اصل من اصول الطريق لا سيما من لم يجد الوسع اصلا كارض تهامة اعني مكة وما حاذاها وكذا طيبة اي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وما قاربها فقد انعدمت فيها المزارع والاجنة وان كثرت الارزاق فيها فقد غلا سعرها فلا يصل الانسان

(١) في نسخه فما ضاق بالمعيشة الاظهر فيه اهل الفضل — في نسخة العباد

الى شهوته الا بعد تعبه ومشقته اذ ربما لا يصل اليها الا بعد حتف انفه وهلكته فكان طريق الاخرة فيها اسهل وسبيل الخيرات ايسر ما توجه الانسان فيه الى الله والى المقصود الاسنى الا قلت خطواته ووصل بقرب فيزول الحجاب عن حضرة رب الارباب وفي لحظة من الزمان فيكون مجذوبا في ذلك الاوان وقد قيل ان المجذوب يصل في ساعة ما لا يصله العابد والسالك في سبعين سنة .

حاصله ان كثرة المذاق * توجد للقلب النفاق * وقلة الارزاق * تيسر الطريق الى الله بالاتفاق * وذلك معلوم عند اهل الحقائق فقسنطينة لما كثر رزقها واتسع انفاقها عسر الوصول فيها الى الله لقلة المساعد * وكثرة المتكبر المعاند * وان وجد فيها الصلاح فمن البله وقلة المعتني بنفسه فيها حتى لا يظهر فيها صالح اصلا وعلى تقدير ظهوره فتسرع فيه المنية لانه عذاب وهلاك لمن خالف طبعه واساء ظنه وقد قال صلى الله عليه وسلم عن الله من عادى لي وليا فقد آذنته بالمحاربة(١) فيكون هلاكه وسرعته رحمة باهل وطنه فلا يتاتى اظهار ولي فيها لان ظهوره يكون سببا لرجوع اهل وطنه الى الله فيكثر فيهم اهل الصلاح وذلك مناقض للحكمة الالهية في ان الفراعنة المتمردة لا تكثر الا في وطن كثر رزقه وضاقت حقوقه وانكسف نوره واشراقه فتنتقل منه الاولياء ويدوم فيه اهل السمعة والكبر والرياء .

وقد علمت ان مثل هذا الوطن يقل فيه الحلال ويكثر فيه الحرام والمتشابه وقد قال صلى الله عليه وسلم من اكل الحلال اطاع الله شاء ام ابى ومن اكل الحرام عصى الله شاء ام ابى مع ان اهل الشهوات من اهل الملابس والمفاخر(٢) والاسرة والحلل قد صاروا الى ما صاروا فقد انشدوا شعرا (وهو منسوب للامام علي كرم الله وجهه كما في ديوانه)

باتوا على قلل الاجبال (٣) تحرسهم * غلب الرجال فلم ينفعهم القلل (٤)

---

(١) في نسخة بالحرب — (٢) في نسخة الملابس الفاخرة — (٣) في ثلاث نسخ الامال — (٤) في ثلاث نسخ اغلبتهم الفيل وفي نسخة اغنت

واستنزلـوا بعـد عز عـن معاقلهـم * واستودعوا حفرا يابئس ما بدلوا(١)
ناداهم صـارخ من بعـد ما دفنـوا * اين الاسـرة والتيجـان والحلـل
اين الوجوه التي كانت منعمـة(٢) * من دونها تضرب الاستار(٣) والكلل
فافصح القبـر عنهم حيـن سالهـم(٤) * تلـك الوجوه عليها الـدود ينتقـل
قد طال ما اكلوا يومـا وما شربـوا * فاصبحوا بعد ذاك(٥) الاكل قد اكلوا

نعم هي بلدة طيبة يستحليها الناظر * ويستحسنها المقيم والمسافر * فليست كثيرة الصفاء * ولا بعيدة الجفاء * ولا قوية الوفاء * عامتها بين اعتقاد وانتقاد * وخاصتها بين رغبة وغبطة وحسد وعناد * لا يتم الفضل فيها * ولا ينقص الحال ولا الكمال عند اهل الفضل منها * فالسب فيها كثير والقبح واللعنة جار في اسواقها لا يسكن اضطرامها ازال الله منهم ذلـك ومحى فيهم ما هنالك * ولذا كثر الظلم فيها فهو مكفر لذنوبهم لان المومن لا يخرج من الدنيا حتى لا تبقى عليه سيئة لان كل تعب وظلم يقع له فهو كفارة له واما الكافر فلا يخـرج مـن الدنيا حتى لا تبقى له حسنة غير ان الولاة من الامراء(٦) تجب طاعتهم اذا كانوا يصلـون ما لـم يامروا بمعصية فان امروا بها فلا يسمع منهم .

وقد قال في الادلة البينة المذكورة ما نصه

﴿ الباب الخامس في وجـوب طاعـة ولاة الامر في غير معصية وما في معنى ذلـك ﴾

روى مسلم والبخاري من طريـق عبـد الله بن عمـر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم(٧) السمع والطاعة وعن ابن عمـر رضي الله عنه قال سمعـت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خلع يدا من طاعـة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس في عنقـه بيـعة مات ميتـة جاهليـة رواه مسلـم وروى البخـاري مـن

(١) في الديوان « الى مقابرهم يابئس ما نزلوا » — (٢) في الديـوان محجبـة — (٣) في ثلاث نسخ الاسـور — (٤) سالهم بحذف الهمـزة لغة في سأل بالهمـز وفي نسخـة سائلهم ولعله ساءلهم من المساءلة — (٥) في الديوان بعد طول — (٦) في نسخـة ولاة الامر — (٧) في نسخة باسقاط المسلم خلافا لما في الصحيحين

طريق انس رضي الله عنـه فال فال رسول الله صـلى الله عليه وسلـم اسمعوا واطيعـوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة وعن ابـي هريـرة رضي الله عنه فال فـال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليـك بالسمـع(١) والطاعـة في يسـرك وعسـرك ومنشطـك ومـكرهك واثرة عليك رواه مسلم بن الحجاج وعن عبد الله رضـي الله عنه فال فال رسـول الله صلى الله عليه وسلم في حديث طويل فال في آخره ومن بايع امامـا فاعطاه صفقـة يمينه(٢) وثمرة فؤاده(٣) فليطعه ان استطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الاخر رواه مسلم وروى البخاري(٤) ومسلم من طريق عبد الله بن مسعود رضـي الله عنه فـال فـال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ستكون بعدي اثرة وامور تنكرونها ففالوا يا رسـول الله كيف تامـر من ادرك منا ذلـك فـال أن تؤدوا الحـق الذي عليكم وتسألـوا الله الذي لكـم وروى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه فال فال رسول الله صلى الله عليه وسلـم من اطاعني ففد اطاع الله ومـن عصاني(٥) ففد عصى الله ومن يطع الامير ففـد اطاعني ومـن عصى(٦) الامير ففد عصاني وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فال من كره من اميره شيئا فليصبر عليه فانه ليس احـد من الناس يخـرج من السلطـان شبرا فمات عليه الا مـات ميتة جاهليـة رواه البخاري ومسلم وعن ابي بكر(٧) رضي الله عنه فال فال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفول من اهان السلطان ففد اهان الله(٨) رواه الترمذي وفال فيه حديث حسن (غريب) وعن ابـي هريرة رضي الله عنه فال فال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانـت بنـو اسرائيل تسوسهـم الانبياء كلما هلـك نبي مـن الانبياء بعث اليهم آخر وانه لا نبي بعدي وسيكون بعدي خلفاء فيكثرون فالوا فما تامرنا فال

---

(١) في صحيح مسلم السمع — (٢) في صحيح مسلم يده — (٣) في صحيح مسلم فلبه — (٤) انظر رواية البخاري في كتـاب الفتن — (٥) في صحيح مسلم يعصنـي — (٦) في صحيح مسلم يعص — (٧) في صحيح الترمذي بكـرة — (٨) كذا في جميع النسـخ وفي صحيح الترمذي من أهان سلطان الله في الارض أهانه الله

فوا بيعة الاول ثم اعطوهم حقهم واسألوا الله الذي لكم فان الله سائلهم عما استرعاهم رواه البخاري ومسلم رحمهما الله وقد رويناه في صحيح البخاري عن جابر وجرير .

ومن الباب الخامس فيما يجب تعظيم ولاة الامر وحقهم على رعيتهم ووجوب طاعتهم في غير معصية ما رويناه في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة والسمع والطاعة لكل مسلم .

ومن تاليف الشيخ الامام صدر الدين الشافعي المآري(١) تكميلا للاربعين للشيخ زكي الدين ابي محمد عبد العظيم المنذري قال سئل كعب الاحبار عن السلطان فقال ظل الله في ارضه من ناصحه اهتدى ومن غشه ضل وقال الفضيل بن عياض لو ان لي دعوة تستجاب ما صيرتها الا في الامام العادل لاني لو جعلتها لنفسي لم تجاوزني ولو جعلتها للامام كان صلاح الامام صلاح البلاد والعباد .

وقد قالت العلماء رضي الله عنهم ان طاعة الامام هدي لمن استضاء بنورها والخارج من الطاعة منقطع العصمة بريء من الذمة وان طاعة السلطان حبل الله المتين ودينه القويم وجنته الواقية واياكم والخروج من انس الطاعة الى وحشة المعصية ومن اسر غش السلطان ذل وزل ومن اخلص المحبة والنصح حل من الدين ارفع محل .

ثم اعلم ان اشرف الولاية واعظمها ولاية امور المسلمين لانها موضوعة للخلافة النبوية في حراسة الدين وحفظ منهاج المسلمين وتمكنهم في العلم والعمل وجعل الله بهداه الارزاق ودفع المظالم الى غير ذلك من الامور التي يعظم نفعها ويعم قدرها مما لا يقوم به غير الامام وشرح ذلك ان شاء الله حلوله(٢) دارين دار الدنيا ودار الاخرة التي هي دار الحق وبالسلطان العادل قيام الدين وعلى قدر النعمة يكون وليس فوق السلطان العادل منزلة

---

(١) كذا في جميع النسخ — (٢) في نسخة خلود وفي اخرى حلو

الا نبي او رسول او ملك مقرب رواه ابو نعيم وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لَعَمَلُ الامام العادل في رعيته يوما واحدا افضل من عمل العابد في اهله مائة عام وخمسين عاما ومن حديث ابن سيرين عن ابي هريرة رضي الله عنه رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة اه .

اقول وبالله التوفيق ان قسنطينة هذه قد اجتمعنا فيها مع الفضلاء والنجباء والصلحاء واعيان الوقت السالمين ان شاء الله بسببهم من المقت منهم العالم الفاضل والصالح الكامل والورع العدل شيخنا وعمدتنا الولي الصالح والبدر الواضح سيدي يحيى العلاوي ومثله في الفضل والعلم والادب النحوي اللغوي الفقيه سيدي احمد الزين اما سيدي يحيى فتلميذ جدنا سيدي الحسين الشريف واما سيدي احمد الزين فتلميذ ابي ومثلهما صلاحا وعلما وحالا وورعا وفقها وفهما سيدي فرج وسيدي علي الزموري وسيدي خليفة الشارف وسيدي احمد العلمي وسيدي عبد الله التومي وسيدي علي بن سعيد وسيدي السعدي الصدراتي وسيدي الطاهر بن بعداش(١) وسيدي مبارك بن بوفرانة وسيدي محمد الشليحي وسيدي محمد بن نزار وسيدي علي الشريف بن منصور والعلامة الفاضل الكامل سيدي علي الشريف الذي هو المفتي الان وقاضي الجماعة النحوي المتكلم الاصولي المنطقي البياني المحدث المفسر صاحب الابحاث الشريفة والفوائد المنيفة سيدي عبد القادر الراشدي ونظيره فيما ذكر اخوه سيدي علي او اعظم منه حفظا واتقانا ومثله في العلم والفضل القاضي الان سيدي ابراهيم الضرباني قاضي المالكية وكذا العالم على الاطلاق والاديب بالاتفاق سيدي شعبان بن(٢) جلول قاضي الحنفية والاخذ من كل علم بنصيب العلامة الكامل والفهامة الفاضل سيدي عبد العزيز الزادي ونظير من ذكر تحقيقا في العلم ويقينا في الفهم المدرس سيدي احمد الزراري وهي الان فيها افاضل في العلم والصلاح والورع والزهد

---

(١) في نسخة زيادة الصدراتي — (٢) في ثلاث نسخ باسقاط بن

وفد اجتمعنا بهم في محل نزولنا عند الولي الصالح والقطب الواضح سيدي سعيد السفري(١) نفعنا الله به آمين فكل من كان في فسنطينة ممن فيه رائحة علم وفضل وخير وصلاح الا اجتمع بنا ورغب فيما عندنا ونحن اكثر رغبة منهم فيهم .

وكذلك اعيان الحضرة السلطانية والمملكة الشرفية من الكتاب وارباب الدولة من اهل العلم وكذا ائمة المساجد لا ولد المحب الشيخ الفاضل الكامل سيدي بدر الدين ابن سيدي عبد الكريم الفقون(٢) امير الركب الحجازي(٢) فاني ذهبت الى داره واجتمعت معه هناك ففال لي وانما لم اخرج اليك لاني ظننت ان تنزل بداري ففلت لو فدمت باهلي لنزلت عندك «(نعم)» اشفقت عليك لكثرة الخلق معي وكان ذلك بعد صلاة الجمعة وذلك مع جماعة من العلماء وثلة من الفضلاء وعزة من الادباء رضي الله عنهم وارضاهم وكان لنا ولهم في الدارين .

وكذلك اجتمعت مع الفقيهين الفاضلين سيدي احمد بن الاحمر والعلامة على الاطلاق والفهامة بالاتفاق سيدي احمد بن وادفل وكذا مع الولي الصالح والفقيه الواضح المحلى بالفضل والفبول حسن الاعتقاد كامل الاجتهاد في العبادة والتصبر والصبر عن مصادمة الاوقات الغني عن التكلف والكلف والمشقات سيدي علي بن الكيرد وكذا صاحب الفضل والميل الى الصلاح والفوز بالنجاح الراعي للاوقات سيدي محمد العنتري وغير هؤلاء ممن لا يعد كثرة من العامة والخاصة كالفاضل الاخ في الله سيدي الطيب الزراري وسيدي احمد بن زبوش لانهما ظاهرا الصلاح والفوز والنجاح ففد علمت اني لم اهمل التفصيل وان اهملت البعض ففط في التجميل .

هذا واني زرت الجميع على سبيل الجملة والتفصيل ممن اظهره الله واخفاه من العامة والخاصة واهل الحرف والاكتساب والكسب واهل الصفة من التجريد والاسباب من اهل

(١) في نسخة الصفراوى — (٢) في ثلاث نسخ باسقاط الفقون والحجازي

التمييز والبله ممن ظهر بالاشارات او بانواع النطق والعبارات بي كل وطن ودخلته او حاذيته او رأيته او ذكر لي الا كنت زائرا لجميع ذلك وناويا لمن هنالك .

ثم اني لم اهمل الاموات واني فصدت جميعهم بي كل وطن مشيته وكل بلد اتيته الا ان فسنطينة كل مسجد بيها من مساجد الصلاة الا وبيه شيخ ولي صالح دبن بي المسجد وينسب اليه ويفال مسجد بلان كسيدي احمد بن عين الناس وسيدي ابي عبد الله الشريف وسيدي عبد المومن وسيدي الرماح وسيدي مبرج وسيدي عمر الوزان وسيدي عبد الكريم البفون وسيدي عبد اللطيف وغيرهم ممن لايحصى عددا افاض الله علينا من بركات جمعيهم ومن علينا وعلى من انتمى الينا من الذرية والفرابة والجيران بالانوار والشفاعة والعطب منهم .

واما سلطان العاربين سيدي سعيد السبري بفد نظمته ومن دبن معه من الصالحين بي كدية عاتي ممن ظهر امره واشتهر خبره وعلم فبره او خبي الا زرناه وسالنا الله عندهم حسن الخاتمة والعابية ودوام العابية والشكر على العابية والغنى عن الناس وحسن العافبة وزوال الحجاب عن حضرة رب الارباب والدخول بي الزمرة النبوية واتباع السنة والموت على الملة ودخول الدائرة الربانية وكمال المعربة وتمام النعمة وشمول العبو والمغبرة وغير ذلك مما يصلح للخليفة لان الدعاء مخ العبادة ولو لم يكن بيه الا اظهار البافة واللجا والاضطرار وابداء العبودية واحضار الرب المسئول بي الدنيا والاخرة لكان امرا عظيما يجب الحمد عليه والشكر لديه ابفظ الله الجميع للسنة النبوية مع الاستفامة ظاهرا وباطنا آمين يا رب العالمين .

ثم ظعنا منها ناويا زيارة الود الصدوق والخل الباروق سيدي ابي الفاسم الـزواوي الجالس بى الباب بانه من الصالحين وحكايته مشهورة معلومة مع اهل الخير من رجال الغيب كما سمعت ذلك من الولي الصالح سيدي محمد العيدلي وكان هو الواسطة والرسول من رجال الغيب اليه وكان هذا الجالس بي الباب خارجا بي الرحبة منبوذا مطروحا

يجتمع عليه الذباب من كثرة الاوساخ فمن رآه ربما تغير قلبه مما فيه من الاوساخ ونتن الرائحة وهو لا يتحرك من موضعه ينتظر ما يجرى عليه من النفقة والصدقة من المحسنين من اهل الخير فلبث في ذلك مدة عظيمة ثم امروه بالانتقال الى قرب الباب خارجا وكان هناك كالحجر الصمت لا يتحرك ايضا منبوذا مطروحا يجتمع عليه الذباب ومحقرات الحيوانات من الهوام والخنافس وغير ذلك فلبث فيه مدة ايضا واظنه انه ايوبي الطريقة ولذلك صار محلا للبلاء ومستعدا للاذاية فلا يفهمه الا ذووه فلما لبث مدة طويلة امروه بالدخول الى الباب والجلوس على الدكان الذي هو فيه وهو على ذلك الوصف من عدم التحرك والذباب والاوساخ عليه الى آخر ما سبق فلما لبث ايضا مدة طويلة قالوا له تزوج وهو لم يكسب درهما ولا دينارا ولا ثوبا ولا خمارا غايته ان يكون مستور العورة يلقمه الناس باللقمات فيعجب من ذلك الامر اذ لم يجد ما يقتات به فضلا عن التزوج لكن امرهم من قوله تعالى اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون بين الكاف والنون وهو من عالم الامر الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين والاولياء اذا ارادوا اغنوا وعزمهم امضى من السيف فلما ثبت الامر وتحقق الاذن اتت امراة تسأله الدعاء وتشتكي بعض الاذاية ممن هو قريب لها فقال لها الجالس مع الشيخ هل ترضين بالنكاح فقالت وكيف لا ارضى به فاني مقطوعة الاحباب لا مسند لي الا الله تعالى فقال لها ذلك الشخص المرسل تزوجي بالشيخ فقالت رضيت وعينوا لها بعض الصداق وكان بعض الحاضرين هناك اشترى لها من عنده ما تحتاج اليه مما يصلح بالزفاف ثم ان الشيخ اتت له ثياب حسنة ساعتئذ فازال الثياب المتقدمة المتوسخة ولبس الفاخرة من الثياب فعقدوا على المرأة فذهبت وقالت ان لي دارا وما فيها من احوالها (١) فلا تتكلف بشيء وقد ذهبت تستعد امورا تصلح بالزفاف والدخول فلما قرب الليل حملوه على مركوب لبيتها

(١) في نسخة زيادة ولوازمها

فزال عنه كل هم وغم وقد علمت ان مع العسر يسرا ومع الضيق وسعا وقد قال صلى الله عليه وسلم لن يغلب العسر يسرين فاليسر نكرة وهو غير الاول والعسر معرفة وهو عين الاول فالنكرة اذا اعيدت فهي غير الاولى والمعرفة اذا اعيدت فهي عين الاولى فلم اجده في الباب(١) نعم سبق الود بيني و بينه الود القديم والعهد الصميم الذي لا ينقطع .

وقد سمعت هذه الحكاية من الرسول المذكور ومنه ايضا وهذا الرسول ممن اعرفه في صغري حياة ابي وقد اتى الى محلنا زائرا وقد اجتمعت معه في دار الفقير الصادق المتقي الفائق ظاهر الصلاح معلوم النجاح الصبور لايكاد يشتكي من قلة ذات يده المرابط محمد بن غرسة و زوجته فاطمة بنت خيشان وكلاهما من اهل الصلاح وقد شاهدت من هذا الفقير امورا عظيمة وخوارق بينة وهو ممن يطلع على الغيب .

وقد سمعت منه انه قال لي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة في مسجدنا في صلاة المغرب قال وقد صلى خلف والدك فقال نوره صلى الله عليه وسلم انعكس فيه نور السراج بل خفي فلما سلم الوالد من الصلاة خرجنا من الصلاة اردت ان آمر جميع من في المسجد بالقيام اليه صلى الله عليه وسلم فلم استطع النطق ثم كذلك الى ان صلى الوالد الرواتب بعد المغرب فخرج من المسجد وخرج معه صلى الله عليه وسلم .

واما زوجته المذكورة فقد شاهدت منها امورا عظيمة وقد سمعت منها انها قالت كنت اولا قد ملكني الحال وغلبني فالان ملكته وغلبته وكانت تجتمع مع رجال الغيب وقالت ايضا فمهما صدر مني ما لا يحل من كلام او اشارة او رؤية الا وبعث الله لي احدا من خلقه فلا اعلم انه من الملائكة او صالح الجن يضربها(٢) ضربا على قدر ما خالفت به فيكفر

(١) قال ابن الاثير في النهاية في « عسر » ومنه حديث ابن مسعود أنه لما قرأ فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا قال لن يغلب عسر يسرين قال الخطابي قيل معناه ان العسر بين يسرين إما فرج عاجل في الدنيا وإما ثواب آجل في الاخرة وقيل اراد ان العسر الثاني هو الاول لانه ذكره معرفا باللام وذكر اليسرين نكرتين فكانا اثنين تقول كسبت درهما ثم انفقت الدرهم فالثاني هو الاول المكتسب اهـ — (٢) كذا في جميع النسخ

لها ذنبها وغير ذلك من اوصافها الممدوحة وخصالها الكريمة وكانت جماعة من اهل وطننا على هذا الوصف .

﴿ نعم ﴾ هذا الرسول رأيته ايضا في احواز قسنطينة كان يسأل عني من غير اخبار احد بي فعزم علي بالذهاب لداره لاجتمع مع اصحاب الوقت فمنعني مقدم القافلة فقال والله لا يذهب الى مكان لان والده قد اوصاني على حفظه والموضع الذي اتاني اليه هو ذراع الطبال فتاسفت عما فاتني منه وقد اشتدت رغبتي الى المشي معه غير ان الرجل وصفه وصف البدوي وشعر رأسه قد غشي وجهه وكان اغم فلم يظهر عليه اثر الصلاح لتقشفه واهانته نفسه كاد ان يكون من الاسقاط فخاف علي من في القافلة فمنعوني منعا موزرا وانا كنت اعرفه واتيقن حقيقته فلم يتيسر لي غير ان ما في الغيب مفاتحه عند الفتاح فل بفضل الله و برحمته ولعل عنايتهم كانت معنا وقوة بركاتهم حاضرة لدينا وسعدهم عامل في احوالنا ونعوتنا سدد الله الجميع و وفق الكل الى صالح القول والعمل .

﴿ انعطاف ﴾ الى ما كنا بصدده قد خرجنا وظعنا من سيدي سعيد السفري فودعنا جميع من كان في المدينة من اهل الخير والرغبة والفضل والمنة فرجع من رجع وذهب من ذهب الى ان وصلنا عين ابن الحاج بابا فصلينا العصر بالعلامة المحقق والفهامة المدقق سيدي عبد القادر الراشدي .

وقد وقعت بينه وبين طلبة قسنطينة مخاصمة عظيمة ومنازعة كبيرة حتى رموه بالتجسيم بل بعضهم كفره ومن الاسلام اخرجه وذلك امر عظيم في الدين وقد قال الشيخ زروق ادخال الف كافر في الاسلام بشبهة اسلامية اهون عند الله من اخراج مسلم واحد الى الكفر(١) بشبهة كفرية وكيف لا وهو امر عظيم وذلك من تلامذته ومحبيه وهذه المسألة قوله تعالى لما خلقت بيدي فقال هو في اليد انها يد حقيقة ومع ذلك انها ليست جارحة

١) في نسخة باسقاط الى الكفر

ولاجسما بل يستحيل ذلك لانه يؤدي الى الحدوث والامكان وفدح في التاويل بالفدرة او صفة زائدة يخلق الله بها الاشراف من الخلق لان التاويل محوج الى الدليل والخروج من الحفيفة الى نوع من المجاز فلم يكترث بالتاويل اذ البفاء مع الحفيفة هو الاصل ولان التاويل وان كان صحيحا ففيه ابتغاء الفتنة وانما تنتفي على التسليم لصحة التاويل وان كان في علم الله كذلك لان المصيب في العفائد واحد وفد اتفق اهل السنة فاطبة على نفي الجارحة وما يؤدي الى الامكان والحدوث و(٢) التجسيم فمنهم من فال ان له يدا حفيفة فالعلم بها موكل الى الله تعالى فلا يستلزم هذا التجسيم لان الاصل في الاطلاق الحفيفة فكيف يلزم به مع انه نفى التجسيم الذي يستلزم ما لا يليق به جل جلاله فانى او كيف او متى يلزمه وانما هو تحامل عليه سببه الحسد والبغض والتنافس او(٣) انما رموه بذلك لما علموا منه من كونه طويل اللسان عليهم بالعلم بل وفد نسبوا له كثرة الرشوة وغير ذلك مما لا يناسبه بل سمعت من بعضهم انه فال صرح بالتجسيم غير ما مرة ففلت له حين اجتماعي بهم مجرد هذا الاطلاق لا يلزم عليه شيء اذ عليه اكثر الامة ومنهم من اولها بالفدرة ومنهم من توفف فلما اراني الرسالة الموضوعة لهذا الكلام رأيتها منفحة سالمة من سوء الاعتفاد خصوصا التجسيم غايته يبطل ادلة المؤول ويصحح من يفول باليد حفيفة غير انه لا يعلمها الا الله لكن هذا كله بعد نفي التجسيم وما يشعر بالامكان والحدوث ففد بالغوا في تضليله الى ان ارادوا الفتك به عند السلطان فسلم والحمد لله ونجا من شرهم غير انهم اخرجوه عن الموضع المعد له من الفضاء وصيروه لانفسهم بالتعلق بمن تمكن من السلطان ﴿ نعم ﴾ فلبي سالم من جميعهم ومحب في جانبهم وراغب فيما عندهم ومعظم مما هو لديهم وفد فال خليل ولا عالم على مِثْلِهِ فانهم كالتيوس فبينهم فدح وعلى غيرهم لا فدح ولا جرح فان كانت الشريعة لم تفدح فيهم فكيف بمثلي ان يجعلهم غرضا لسهام الناس

---

(١) في ثلاث نسخ من — (٢) في نسخة و

يرمونهم بالاغراض الخسيسة والخصال الذميمة طهرهم الله من تلك الاوصاف ونزههم من هذه الاخلاق الخسيسة .

ثم انفصلنا عن الجميع(١) بالتوديع مع التاسف على قلة الاجتماع وقصر المدة اذ ورد علينا عيد الاضحى فعجلنا الاوبة للاهل فبتنا في بئر البقرات ثم ظعنا صبيحة فمررنا على اولاد المحب الحاج بن ابي زيد بن ابي التقى فرغبوا في الرجوع الى وطنهم وحضوا السوال في ذلك جمع الله بينهم وبين وطنهم مع التوفيق والهداية .

ثم سرنا كذلك اياما الى ان وصلنا زمورة فلما سمعوا بنا لقينا من بها من العامة والخاصة فرحين مسرورين ببنادقهم وغير ذلك من انواع الفرح فكل يعزم علينا ويرغب في المبيت عنده الى ان وصلوا الى الفتنة والهرج بسبب ذلك غير ان اولاد عبد الواحد حملوني قهرا لاني قريب من مدشرهم فكانوا امكن منا فبتنا عندهم خير مبيت كثر الله خيرهم وبعد غد بتنا في الحفرة في الذراع تحت القصبة في دارنا المعلومة فكثروا الطعام كالمدشر الاول او اعظم وكذا اولاد ابي الهوشات فاجتمعنا مع فضلاء زمورة وخاصتها وعلمائها واهل الفضل منها وكذا مع صلحائها كالقرّومي والعلامة سيدي محمد السعيد بن فري وامام الجمعة سيدي محمد الصغير والفاضل على الاطلاق والعالم بالاتفاق سويداء القلب وغاية الحب سيدي محمد بن عبد الله نجل الشيخ سيدي محمد المبارك والفضلاء اولاد البواب فانهم صلحاء محبوبون راغبون في الخير

ورغبة في الخير خير وعمل * بريزين (وليفس ما لم يفل)

وكذا اولاد الشيخ سيدي محمد المبارك وكذا اولاد سيدي خروف وكذا الفقيهان الفاضلان سيدي احمد الشوثري وسيدي المبروك وجميع الفضلاء من الخاصة والعامة من جملة عرش بني قرفان قدموا الينا ورغبوا في المبيت عندهم وسع الله ارزاقهم ووفقهم الى ما يحبه ويرضاه وجعل ماوى الجميع جنة الفردوس العالية .

---

(١) في نسخة ثم عممنا الجميع

وهذه البلدة كثيرة الارزاق فوية الانفاق طويلة البنيان كثيرة المياه فيها مزارع كثيرة واهلها اهل شوكة وتعد وظلم لبعضهم بعضا وهي فرية مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذافها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون فغالب اوفاتهم الفتنة بينهم والفتل لديهم التي فال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها الفاتل والمفتول في النار اذ فتالهم بلا تاويل وانما هو مجرد تعصب وحمية جاهلية وانفة شيطانية فلا يحكم عليها حاكمها اعني فائدها وكذا آغا برجها الا بالمكر والخديعة في السوق او في الطريق لفسنطينة او الخروج للحرث فانهم ربما اخذهم وربطهم في هذه المواضع حتى ينتفم منهم بالمال .

وفد علمت ان التخطئة بالمال في الحدود البدنية ممنوعة شرعا وان اجازها البعض كالبرزلي وفد رد عليه جماعة حتى كادوا ان يكفروه غير ان ذلك في حق من يفدر على الحدود النفسية واما من لا يستطيعها فيجوز من غير خلاف لان المراد الزجر والمنع من الوفوع فيما لا يرضي الله باي امر كان والنفس عندها المال اعظم من كل شيء واي زاجر ومانع ومردع اخوف من المال .

وفد فال بعضهم يجوز للامام ان يفتل الثلث من الخلق ليصلح الثلثان كما ذكره الشيخ عبد البافي فالذي تميل اليه النفس وتستأنسه من غير خلاف التخطئة بالمال لمن لا يستطيع على الحدود البدنية والله اعلم .

فهذه البلدة كثيرة السمن واللحم والفمح والمياه الباردة والديار الواسعة والثياب الحسنة الرفيفة من الصوف والكتان وكل ذلك منافض للخشية واوصاف العبودية وانما هو مثير للشهوات والمخالفات من اظهار المعاصي وفد كان ذلك فيها فتجد النساء الطيبات المتبرجات كانهن في ليلة الزفاف بهن في الازفة والعيون مكشوفات العورات باديات المستحسن منهن كالصدر والثدي وتحت الابط والساق والفخذ ومع ذلك انهن اجمل خلق الله من رآهن من العباد فضلا عن اهل اللهو واللعب افتتن بهن اذ يفزع ويرعب

عند رؤيتهن ومشاهدة محاسنهن غير محجوبات بل كلهم او جلهم يفتخرون بذلك فقد ضلوا واضلوا فلا يسمعون ان وعظتهم ولا يرجعون ان ذكرتهم وقد اشتدت القسوة على قلوبهم وهي اشد قسوة من الحجارة وقد الفوا ذلك من آبائهم واجدادهم قبح الله رايهم (١) فان انكرت عليهم او تغيرت بسببهم ربما عادوك ورموك بما لا يليق بك وهذا ظاهر منهم بيّن الى الان وحتى الان وفقهم الله الى زوال ذلك والتنزه عما هنالك والا اخلى الله منهم الارض .

حاصله اهل هذه البلدة متصفون بالبدع الشنيعة والاحوال الخسيسة من الرذائل المنهي عنها شرعا وزادوا مع ذلك انهم لا تاخذهم الاحكام اذ ياكلون التراث اكلا لما ويحبون المال حبا جما فلا تجد احدهم الا متمسكا بالعوائد المحدثة واحكام الطاغوت والله يقول والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ﴿ نعم ﴾ اتخذوا رؤساء جهالا فافتوهم بغير علم فضلوا واضلوا فانكحتهم ومعاملاتهم جلها مبنية على احكام الطاغوت فلم ينصفوا بالحق وانما الغالب عليهم الباطل وقد اعتنيت بهم اعتناء عظيما ليرجعوا الى السنة وترك البدعة فلم يرجع منهم الا القليل وعلى تقدير رجوعهم فلم يزالوا متمسكين ببعض العوائد فصاروا يؤمنون ببعض القرآن ويكفرون ببعضه يريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا مكننا الله منهم ومن غيرهم لقوله تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور فيتمحضون للسنة المحمدية بمنه وكرمه حاصله اوصافهم وطبائعهم خارجة عن طرق اهل الصلاح فلا تحسن معاشرتهم ولا السكنى معهم لان الطباع تسرق الطباع والمرء على دين خليله فلا يبكون من خشية الله ولا يتباكون من خوف الله فلا ترى فيهم صاحب حال رباني ولا ذا وارد الاهي فلا يخرج معهم الا صديق لا يبالي بهم او زنديق(٢) يكون على هواهم وقد رأيت وطنهم لانهم لا ياتيهم

---

(١) في ثلاث نسخ زيادة ليترك — (٢) في نسخة فلا يخرج منهم صديق ينكر عليهم الا زنديق

الولي الصحيح(١) صاحب المحبة بالصدق والدين والملة باكحق وان جاءهم فلا ينتفعون به وعلى تقدير النفع فمقصور على الدنيا وانما الكثير ورود الزنادقة واهل الدعاوي الكاذبة الذين يريدون(٢) التوصل الى الاغراض الفاسدة فكثيرهم جليسهم الفسقة من الرجال ومن يخدع من النسوان حتى ينفضح وينكشف اذ المرء ان سكت فمن يومه وان تكلم فمن حينه ما كان فيك ظهر على فيك كل اناء بما فيه يرشح .

وبالجملة فاسأل الله تعالى ان يمن علينا وعليهم بالتوفيق والهداية والمغفرة والتوبة الصادقة العامة لكلهم ﴿ نعم ﴾ لا نزال نطلب الله تعالى الرجوع لجميعهم الى الله والانابة اليه والله يقول ان تنصروا الله ينصركم ولينصرن الله من ينصره .

وقد انفصلنا عن وطنهم مع الدعاء لهم وقد وددت والله ان يكونوا على احسن طريق واكمله مع زوال الخصال المنافضة للشريعة المحمدية وسلكنا طريق ابي خميس فوجدنا أكثر الاحباب منتظرين من وطننا ووطن بني يعلى اذ فرحوا بقدومنا وسروا برجوعنا العامة والخاصة احياهم الله على السنة واماتهم على الملة المحمدية فاستفرغت الوسع في الدعاء لهم والسؤال عن كمية احوالهم لا سيما اصلاح ذات بينهم كان الله لنا ولهم في المُقام والرحيل ووفقنا واياهم الى صالح الاعمال وحسن النية بالتمام والكمال فامتلأ الوعر والسهل والغيضة وغيرها بالناس الذين رغبوا في رؤيتنا واغتنام البركة منا من كل فج عميق لتشهد احوالنا وتقتبس انوار اصحابنا(٣) اذ الحاج مجاب الدعوة اربعين يوما بعد وصوله الى داره فضلا عن ملاقاته في الطريق بروح وريحان لمن جاء بالصدق والتصديق بالوعد الحق رحم الله الجميع بمنه وكرمه وعصمنا واياهم من عذاب النار وهول القبر والحشر والنشر والميزان والصراط الى الجنة يا ارحم الراحمين يا رب العالمين .

هذا واني مررت على موضع الاولياء والصلحاء ومعدن الخير والبركات مستقر القطب

(١) في نسخة الصالح — (٢) في نسخة الذين قصدهم — (٣) في نسخة ليشهدوا احوالنا ويقتبسوا انوارا لاصحابنا

الواضح سيدي الجودي العلمي واولاده وكذا محل اولاد سيدي مالك واولاد الشيخ البركة سيدي محمد بن فري افاض الله علينا من بركاتهم وجعلنا في زمرتهم و زمرة اوليائه بمنه وكرمه .

فلما بلغت ضريح الولي الصالح والكوكب الواضح سيدي محمد بن يحيى عزم علي اهل مدشر فترات برمتهم عزما بتلا قطعا فاجتمع من وطن بني يعلى وبني ورثيلان ما يكاد ان يكون سوقا كبيرا فذهب الكل الى المدشر المذكور فبتنا فيه وقد ذبحوا ما يكاد ان يخالف العادة عمرهم الله الى يوم القيامة وعمر سوقهم على لسان الشريعة المحمدية رضي الله عنهم وارضاهم وهي ضيافة عظيمة اذ فيها المئون من الخلق .

وقد لقينا المحب في الله والاخ من اجله العلامة الفاضل والمحقق الكامل المدرس الفقيه الصالح سيدي الحسن نجل الشيخ سيدي احمد زروق بن مصباح اذ اراد ان يضيف الكل فاهل المدشر المذكور قاموا بالكل كثر الله خيرهم وجعل البركة حاضرة لديهم آمين .
فلما اصبح الله بخير الصباح صنع اهل مدشر اهل اغلاذانصلاح طعاما فزاد الخلق بحيث لا يكفيهم الا الخالق غير انهم لما اخرجوا الطعام جعل الله فيه البركة العظيمة اظنه ولو اجتمع عليه الناس كلهم لفضل عنهم .

وان الولي الفاضل والصالح الكامل الفقيه الاجل سيدي عبد الرحمن بن فري لما رأى الخلق والطعام خجل من كثرة الخلق وقلة الطعام فقلت له لا تخف فان الطعام صُنِعَ لله تعالى و فرحا بوفود زواره واغتنام بركة المجتمعين فحضرت بركة من اجتمع حتى بقي الطعام وتعجب من حضر وهو ليس من بركتنا وانما ذلك من بركة المجتمعين الحاضرين و بركة صانعيه فلا تعلم نفس ما كان من الخير في هؤلاء الجموع الاتين بنية صالحة وهمة عالية وقلب سليم من كل اثم وكذا بركة من رجع من عند النبي صلى الله عليه وسلم ومن بيته الشريف .

فمررنا على دار الولي الصالح المحقق الورع المدقق سيدي بركات وزرت الصالحة الطيبة الحرة الفاضلة فهرتي زوج سيدي بركات نفعنا الله به آمين وافاض علينا من بركاته .

وكذا مررت بدار الاخ المذكور سيدي الحسن ودخلت بيته اغتناما بغبرة الراجع من بيت الله وحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الله البركة فيه وفي ذريته الى قيام الساعة بمنه وكرمه .

ثم انفصلنا من جبل بني يعلى على خير وحسن اعتقاد ورغبة في الحب في الله والشوق من اجله فكيف لا يفلح الجميع جعلنا الله من اوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا و في الاخرة الاية .

وسرنا الى ان وصلنا الوادي فلقينا اهل إيلهاين فاطبة مكنهم الله من الخيرات وهداهم الى سبيل النجاة ووفق كلمتهم الى طريق السنة المحمدية ففرحوا وسروا واظهروا ذلك بضرب البارود حسبما فعل اهل زمورة وبنو يعلى فسألنا الله لهم ولنا العافية التامة والمغفرة العامة الشاملة ثم انفصلنا عنهم فلقينا جميع من كان بعرشنا من بني احمد اجمع واما بنو عشاش فقد لقينا جمع منهم الى بني يعلى والكل فرحون مسرورون .

وبالجملة فالجموع من وطننا رجالا ونساء هذا يتصل بنا وهذا ينفصل عنا الى ان وصلنا الى مقامنا ودارنا ليلة الجمعة وليلة العيد ويوم عرفة عام ١١٨١ احد وثمانين ومائة والف فلما أصبح الله بخير الصباح اجتمعنا كالعادة لصلاة عيد الاضحى فرآنا من لم يرنا عند الوصول(١) فتمت النعمة وعظمت المنة علينا وعلى جميع الناس لا سيما الضعفاء من الناس الذين لا يقدرون على الوصول الى حقوقهم كالمستضعفين من الرجال والنساء فسألنا الله لنا ولهم المغفرة والتوبة الصادقة والرحمة الكاملة والمنة العظيمة واتفاق الكلمة على الطريق المحمدي والعصمة من الفتنة فان اشر الشرور في وطننا الفتنة والقتال بينهم فليس امر اشر من هذا .

﴿ نعم ﴾ الشيطان استولى عليهم ولم يترك لهم حقا الا بدلوه وغيروه بان جعل لهم رسوما وحدودا لا يتعدونها فلما جئت اليهم فسخت لهم احكامه ونقضت رسومه وابطلت

---

(١) في ثلاث نسخ باسقاط عند الوصول

عهوده بان رددتهم(١) الى الشريعة المحمدية والاحكام النبوية فلم يملك نفسه الملعون ان يصبر وتغير ونادى بالويل والثبور على اصحابه والحسرة في ناديه المنكر والرجوع عن تلك الخصال التي اسسها لكم هذا العَبْدُ المبطل لاحكامي واحكامكم فما لنا الا العداوة معه ومع عرشه غير انهم لا يستطيعون النفوه بهذا لانه شريعة ودس لهم اللعين دسائس اخر بان قال لهم عندكم طلبة وعلماء تمسكوا بهم وكونوا على رأيهم وعظموا علماءكم كما عظمه اهل وطنه لينشيء العداوة وما علموا بهذه الدسيسة فقاموا من غير اذن من الله ولا نور نبوي عندهم فوافقوهم على هواهم فعظموهم في الظاهر وليس مرادهم الى نبذ الاحكام الشرعية واسقاطها راسا او انها تكون على وفق رؤس الجهال ليضلوا انفسهم ويضلوا غيرهم فعند ذلك انشئوا الفتنة واضرموا نارها والعياذ بالله اخمد الله كيد اللعين وابطله بمنه وكرمه .

ثم انه بعد ذلك تاتي الينا الوفود من كل وطن تارة الفا وتارة اكثر من ذلك نحو الالف واربعمائة ثم كذلك على حسب القلة والكثرة الى ان انقطعوا في مدة طويلة نحو الشهرين جعله الله حجا مبرورا * وسعيا مشكورا * وتجارة لن تبور * وصير جمعنا جمعا مرحوما * وتفرقنا تفرقا معصوما * وكان لنا ولهم بالاستقامة ظاهرا وباطنا من غير فتنة مضلة ولا محنة دينا ودنيا آمين يا رب العالمين .

﴿ خاتمة ﴾ ينبغي لنا ان نذكر شيئا من شروط قيام الساعة ليكون الناظر فيها على حذر وليستعد لها ايضا ما يصلح ان يكون زادا فقلت وعلى الله اعتمدت ﴿ قال ﴾ صاحب كتاب الجمان في مختصر اخبار الزمان ما نصه ولنختم ان شاء الله هذا التاليف المختصر بالعلامات التي تكون بين يدي الساعة الى انقراض الدنيا واعلم انه لا خلاف بين اهل العلم ان مبعثه صلى الله عليه وسلم من علاماتها الكبرى لقوله تعالى وخاتم النبيين ثم انشقاق القمر من علاماتها الكبرى واما الصغرى فكثير ذكرها صلى الله عليه وسلم في احاديث(٢) كثيرة مختلفة .

---

(١) في نسخة رددتها — (٢) في نسخة واما الصغرى فقد ذكرت في احاديث

واما العلامات الكبرى فثمانية قال الله تعالى فهل يَنْظُرُون إِلاَّ الساعةَ أَنْ تاتِيَهم بغتة فقد جاء اشراطها فبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحن ننتظر الستة وهي الدجال ونزول عيسى وخروج ياجوج وماجوج وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة والزلزلة والدخان .

واما الصغرى فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا غاب الحق وظهر الباطل وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا وظهرت البدع واستبيحت الفواحش واكل الربا وخرج النساء متبرجات وحبست الزكاة وقلت الصدقات واهين العلماء واكرم الشعراء فحينئذ تحبس السماء مطرها وتحبس الارض عطرها وترفع البركات وتقل الارزاق ولا تنال المعيشة الا بالشبه فياتي زمان يكون فيه قوم يصلون ويقرؤون القرآن ويتمردون على الرحمان لا تجاوز قراءتهم حناجرهم أقوالهم احلى من العسل وافعالهم انتن من رائحة البصل قلوبهم مسودة وسرائرهم خبيثة يكون فيهم عمال ظلمة وشهود يشهدون الزور وحكام يشربون الخمر ويجلدون عليها وياتون الفواحش ويحدون عليها يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية الغش فاكهتهم والغيبة مجالستهم يرفعون في المساجد بحديث الدنيا اصواتهم قوم لا يرحم غنيهم فقيرهم ولا يوقر صغيرهم كبيرهم يشيدون البناء (١) يكون فيه الامير كالاسد والقاضي كالذئب والتاجر كالثعلب والفاسق كالكلب والمومن كالشاة ثم بكى صلى الله عليه وسلم وقال يا لها من شاة بين اسد وذئب وثعلب وكلب عندها يتوفى الناس (٢) بهم الارض ويوقع الله الفتنة بين الخلق فيقتل بعضهم بعضا ويسبي بعضهم بعضا فينتقم الله من الكل وهو دليل انقراض الدنيا .

ثم قال صلى الله عليه وسلم زمان لا تتم فيه تجارة الرجل ولا تنجح حوائجه الا بالايمان

---

(١) هكذا بياض في ثلاث نسخ وفي نسخة وياتي زمان – (٢) بياض في ثلاث نسخ وفي نسخة لم ينبه عنه وفيها اسقاط عندها يتوفى..... بهم الارض

الكاذبة واولائك هم الخاسرون الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة ثم قال صلى الله عليه وسلم يا أباهريرة اذا رأيت الناس يوم عيدهم في زيهم فحدث نفسك بان ذلك كله خرقة تبلى وكم ياكله الدود ياأبا هريرة لولا ان الله خلق الموت وكتبه على العباد لادّعت الناس كلهم الربوبية ولولا جهنم ما سجد لله ساجد وقال صلى الله عليه وسلم يذهب الصالحون الاول فالاول وتبقى حثالة كحثالة التمر والشعير لا يبالي الله بهم في اي واد من العذاب اهلكهم .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مسك بيده حلقة الكعبة وهزها وبكى بكاء شديدا فقال له ابو بكر الصديق رضي الله عنه مم بكاؤك يا رسول الله فقال وكيف لا ابكي وهذه آخر حجة لي وقد ابكاني فراق الكعبة وتوديع المسلمين يا أبابكر ليبلغ الحاضر منكم الغائب عني ان مثلكم كمثل ورق بلا شوك الى سبعمائة سنة ثم تكون امتي ورقا وشوكا الى تمام مائة سنة ثم تكون امتي شوكا بلا ورق ان تركتهم لم يتركوك وان فررت منهم جذبوك لا ترى فيهم الا سلطانا جائرا وغنيا بخيلا او عالما راغبا في الدنيا اوعابدا مرائيا او فقيرا كذابا او تاجرا فاجرا او صانعا خائنا او شيخا غافلا او شابا فصيحا او امرأة لا حياء لها .

قال عكاشة صف لنا ذلك الزمان يا رسول الله فقال زمان يكون فيه المومن ذليلا والفاجر عزيزا تركب فيه الفروج السروج وتاكل الام من فرج ابنتها فاذا شاعت المنكرات وقلت الطاعات ارسل الله القحط على الارض ثلاث سنين يزرع الناس ولا يحصلون شيئا فيخرج الدجال وله شراب وطعام يفتن به الناس يغرس بيمينه ويجني بيساره وتضرب البقرة وتلد في يومها فيفتن الناس فينهض اليه اهل التوحيد ويحاربونه ويسألون النصر من الله تعالى فينزل عليهم عيسى بن مريم عليه السلام واهل التوحيد قد اجتمعوا على الامام المهدي فيقتل عيسى عليه السلام الدجال وتنهزم جنوده والمومنون خلفهم فلا يختفي كافر خلف حجر ولا خلف شجر الا ناداه ذلك يا ولي الله تعلم فان خلفي عدو الله الا شجر الغرقد فانه

يكتم عليهم وهي شجرة العوسج وعيسى عليه السلام في ذلك اليوم على فرس كميت اصهب طويل والدجال على حمارة كانها الكلب اذا لهث لهثت اجراؤها في بطنها تضع رجلها مد بصرها والامام المهدي رجل شريف عالم ناسك صالح اذا ظهرت العلامات يبايعه الناس رغما على انفه وهو كاره وعلامته كسوف القمر ثلاث ليال في شهر واحد ولم يشاهد ذلك قط يكسف ليلة ثلاثة عشر وليلة اربعة عشر وليلة خمسة عشر فيبايعه الناس ويخرجون لقتال الدجال وينزل عيسى فيقتله على باب بيت المقدس بالشام ومع المهدي يومئذ الف مقاتل من المومنين فاذا انهزم الكفار اخذ الفاطمي اموالهم ويخرج الى رومة فيفتحها في ايام ابن مريم عليه السلام وهي اربعون سنة اليوم فيها كالساعة والشهر يوم والسنة شهر لا يعدو في ايامه شيء على شيء .

وقال وهب بن منبه وعلامة خروج الدجال تهب ريح كانها ريح عاد وصفته رجل طويل عريض الوجه مطموس اليمنى مكتوب بين عينيه كافر بالله يخرج من قرية بالمشرق يقال لها سرادين[1] يطوف الارض شرقا وغربا كلمح البصر يخرج اليه الخضر عليه السلام من مدينة يثرب يقول له الى اين يامعلون يا كذاب ياساحر فيقتل الخضر ويقسمه على نصفين ثم يحييه ثم يقتله ولم يستطع ان يحييه ثم ياتي المدينة فترميه الملائكة بالنيران فيفر الى بيت المقدس فترميه الملائكة بالنيران فيخرج لناحية الشام فيلقاه عيسى عليه السلام فيقتله ويرفع الله البلاء عن اهل الارض .

قيل يا رسول الله المسلمون في زمانه يعبدون الله قال يصومون ويصلون وهم في غاية الهم والغم فاذا قتل الدجال ارسل الله على المشركين ريحا عقيمة تقتلهم ولا تضر اهل الايمان وينزل الله مع عيسى تسعين الفا من الملائكة وعلى رأس عيسى يومئذ عمامة خضراء وفي يده حربة وقد تقلد سيفين وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل يامن زمانه جميع الخلق

---

(١) كذا في ثلاث نسخ وفي نسخة سراديب او سراديف ولعله السرداب كما في تاج العروس

وترعى الغنم والذئاب وتلعب الغلمان بالحيات وتحج المرأة وحدها من اقصى الارض ويظهر الله تعالى للخلق كنوز الارض فلا يبقى فقير على وجهها والامام المهدي مع عيسى يومئذ يقيمان دين الله ويتبعان سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فبينما الناس في تلك النعمة الشاملة اذا بياجوج وماجوج قد خربوا السد وخرجوا على الارض حتى لا يجد الطائر موضعا خاليا يلقي فيه افراخه فياتون بيت المقدس ويرمونه بالسهام فيقاتلهم عيسى عليه السلام والامام المهدي في بيت المقدس فهم يرمون المومنين حتى تعمل سهامهم الظل على الخلائق فيدعو عليهم عيسى عليه السلام ويؤمن المهدي ومن معهما من المسلمين فيرسل الله عليهم ريحا عاصفة تهلكهم فاذا ماتوا انتشر الناس وتكمل الاربعون التي لعيسى عليه السلام في الارض فاذا اراد الله قبض روح عيسى عليه السلام ارسل الله ملك الموت في صفة شاب حسن الوجه طيب الرائحة فيقول له عيسى عليه السلام من انت ايها الشاب فيقول عبد الله تعالى اردت ان اسيح معك في الارض فيخرج عيسى عليه السلام وملك الموت الى المدينة من بيت المقدس ومعهما الامام المهدي فياتون المدينة ويصلون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول ملك الموت يا روح الله احي لنا بعض الموتى فاني رأيتك في بني اسرائيل تحيي الموتى باذن الله تعالى لنسألهم فيقول عيسى او كنت أنت في بني اسرائيل فيقول نعم ورأيت اباك آدم وادريس ونوحا وهودا وابراهيم وموسى وسليمان وجميع بني آدم فيقول له من انت يا هذا الذي رأيت جميع بني آدم فيقول له ان احييت لنا بعض الاموات اعلمتك من انا فيناديهم يا اهل القبور قوموا باذن الله فتنشق الارض ويخرج ثلاثة اناس وجه احدهم كالقمر ليلة كماله والثاني كلون الزعفران والثالث كالنار فيسألهم عيسى من انتم وما حالكم فيقول الاول يا روح الله كنت في الدنيا فقيرا صابرا * ولربي في كل حال شاكرا * فلما مت وجدت عند الله الغنى الاكفى ونسيت الدنيا وكربها فطوبى للمتقين * وويل للمتكبرين * (1) ويقول الثالث

(1) بياض في جميع النسخ وفي هامش نسخة ما نصه بياض قدر سطرين

يا روح الله كنت في الدنيا من اهل الكفر والعصيان ملكتني الغفلة عن الموت وانستني شفوتي ذكر الله تعالى فها انا اليوم لا الافالة اجدها ولا العفوبة افارفها فيفول عيسى عليه السلام عودوا الى فبوركم الله اعلم فيسفطون موتى كما كانوا اول مرة وتبتلعهم فبورهم ثم ياتي عيسى عليه السلام وملك الموت الى الروضة الخضراء عند فبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم و يسألان الله من فضله ثم يفول ملك الموت لعيسى عليه السلام يا روح الله انما اطلعتك على هؤلاء الموتى لتعلم ان الموت لا ينجو منه مخلوق حي ابدا ولو نجا منه احد لنجا منه صاحب هذا الفبر يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يغيب ملك الموت فياتي بمشمة من الجنة في اسرع من طرفة العين رائحتها تسل الارواح وتطير نحو باريها فاذا رآها عيسى في يده اعجبته بحيث لا يملك نفسه عنها فيفول له ملك الموت يا روح الله انا ملك الموت وهذه المشمة امرني الله ان افبض روحك بها فياخذها عيسى ويشمها وهو يعلم ان الموت فيها لكنه لا يفدر ان يمنع نفسه فاذا شمها سفط ميتا للارض فيغسل عيسى عليه السلام ويدفن في الموضع الذي خلف ابي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفبة الخضراء فاذا فرغوا من دفن عيسى عليه السلام وخرجوا من عنده وجدوا رائحة تلك المشمة فد انتشرت في الارض وسارت بها الرياح في جميع الارض رائحتها كأطيب ما يكون من المسك الاذفر فلا يشمها مؤمن على وجه الارض الا افتلعت عروف فلبه فمنهم من يموت من ساعته ومنهم من يومه ومنهم من بعد ايام فليلة ولا يجد تلك الرائحة كافر ولا منافق ولا عاص فاذا مات الاخيار وبفي الاشرار ارتفع الفرآن وصارت الخلائق يموج بعضها في بعض كالبهائم لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيامر الله الشمس ان تطلع من مغربها و يامر الله اسرافيل ليلة الجمعة بالنفخ في الصور وهو تمام الدنيا والملك والدوام والبفاء لله الواحد الفهار .

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفوم الساعة حتى يغزو سبعون الفا من

بني اسحاق مدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر قال ابن جُزَي(١) في كتاب تناقس الحكمة له هي القسطنطينة وبنو اسحاق هم بنو العيص بن اسحاق ولد لاسحاق ولدان يعقوب والعيص فالعيص هو الاصفر ذريته هم الروم وسموا بني الاصفر لصفرة كانت في وجه العيص ومن ظن الروم هم النصارى فقد غلط وانما الروم الترك الذين اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فكان يقول اتركوا الترك ما تركوكم فان الساعة لا تقوم الا وان اكثر الناس الروم .

ثم قال الامام بن جزي في قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض اي في بيت المقدس والشام وكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه وقوله تعالى في بضع سنين اي بضع العشرات وهو سبعون اسبوعا وهي ثلاثمائة وخمسون سنة(٢) فلما انقضت غلب الروم المسلمين وانتزعوا من ايدي المسلمين اكثر ثغور الشام وقواعدها ثم انتهم الاغزاز من بلاد المشرق من بلاد فارس فاخرجوهم من جميع الثغور وافتتحوا جل بلاد ارمينية وتمت مدة الروم من بلاد الشام سنة تسع واربعمائة وهو قوله تعالى ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله .

وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود اذا اتبعوا الدجال فيقتلهم المسلمون مع عيسى عليه السلام يقتلهم على آخرهم وذلك ان اليهود ليس لهم رجعة عن دينهم لان الله تعالى قد غضب عليهم فلا ترتجى لهم رحمة ابدا بدليل قوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا الى قوله نصارى وقال تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين فالمغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى فالضال ترجى هدايته والمغضوب عليه مأيوس منه .

وقال صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال في امتي يمكث فيهم اربعين يوما فيتبعه من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم الطيالسة والدجال اجلى الجبهة ممسوح العين عريض

(١) في ثلاث نسخ ابن جرجي — (٢) كذا في جميع النسخ

المنخر يفول للناس انا ربكم الاعلى والرب سبحانه ليس باعور ثم يرسل الله ريحا من فبل الشام تفبض كل من في فلبه مثفال ذرة من الايمان ويبفى اشرار الخلق لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيامرهم الشيطان بعبادة الاوثان حتى لا يبفى على الارض مومن فيامر الله اسرافيل فينفخ في الصور [نفخة الصعق فيموت كل مخلوق فال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم ينفخ نفخة](١) البعث فاذا هم فيام ينظرون فيامر الله مناديا ينادي ايها الناس هلموا الى ربكم فيجمع الخلق كلهم في صعيد واحد ثم يفول اخرجوا ابعث النار فيخرج من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون وذلك فوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهفهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون .

﴿ صلاة التسبيح مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴾(٢) عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فال لعمه العباس يا عباس يا عماه الا اعطيك الا أمنحك الا احبوك الا أفعل بك عشر خصال اذا انت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله واخره فديمه وحديثه خطأه وعمده صغيره وكبيره سره وعلانيته عشر خصال أن تصلي اربع ركعات تفرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من الفراءة في أول ركعة وانت فائم فلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع وتفول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر عشر مرات ثم تفوم وتفولها عشر مرات ثم تسجد وتفولها عشر مرات ثم تجلس وتفولها عشر مرات ثم تسجد وتفولها عشر مرات فمجموع ذلك خمس وسبعون مرة في كل ركعة تفعل ذلك الى تمام الاربع ركعات فإن استطعت أن تفعل ذلك في كل يوم فافعل والا ففي كل جمعة والا ففي كل شهر والا ففي كل سنة مرة والا فمرة واحدة في العمر فان الله يغفر لك ذنوبك كلها .

---

(١) ما بين الفوسين سافط في ثلاث نسخ — (٢) فد اورد الشيخ هذه الصلاة في صحيفة ٥١٤ برواية مخالفة لهذه الرواية فليحرر

شعر في فضل صيام التطوع

ايـــا راغبـــا فضـل الصيـام تطـوعـــا * عـلـيـك بـايـــام روتـهـــا الاوائـــل
وعـدتـهـا سـبـع مـن الـعـام كلـه * ففي صـومهـا للصـائـمـيـن فضـائـل
ففي النصف من شعبان جاءت مناقب * مـن الخيـر والاحسـان هـي شـوامـل
فمـن قـام فـي ليـل واصبـح صائمـا * تلقـى امـانـا لم تصبه الـقـوافـل
ومـن قعـدة خمـس وعشريـن فاحتفـظ * بـه انـه يـوم جـلـيـل وفـاضـل
ومـن حجـة يـوم اتـى وهـو ثامـن * وتـاسعـه ايضـا كذلـك حـاصـل
وثـالـث ايـام الـمحـرم انـه * جـلـيـل وعـاشـوراء فـيـهـا أفـاول

﴿ وجد في أصل نسختين من النسخ المعتمد عليها في التصحيح ما نصه ﴾

انتهت الرحلة المباركة تأليف الشيخ الصالح * والقطب الواضح * شيخ الطريقـة * وامام اهل الحقيقة * شمس العقول * الجامع بين المعقول والمنقول * ذي النور الرباني * والوهب الصمداني * الشيخ سيدي الحسين بن محمد السعيد الشريف الورثيلاني * بلغنا الله واياه جميع الاماني * وكان الفراغ من نسخها ضحى يوم الاثنين الفاتح لشهر شعبان عام ١١٨٢ اثنين وثمانين ومائة والف رزقنا الله خيره وخير ما بعده ووقانا شره وشر ما بعده آمين نسختها للشيخ المذكور من مسودته مريدا التقرب والتزلف لديه والاغتراف من بحر علمه وسره وانواره والفيض من بركاته عطفه الله علينـا عساه ان يذوقنا من ذواقـه سقانا الله من بحر سره وانواره وافاض ذلك علينـا وعلى ذريتنـا الى غابر الدهر وما ذلك على الله بعزيز على يد كاتبها العبد الفقير الذليل الحقير المقر بالعجز والتقصير سعيد بن احمد بن يدير العباسي القلعي دارا ومنشأ غفر الله له ولوالديه ولاشياخه ولاحبابه ولجميع قرابته وجيرانه ولجميع المسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الفهـرس الاول لابـواب الكتـاب



الفهرست الثاني

لاسماء الرجال والنساء والقبائل

حرف الباء

حـــرف الـتـــــاء

حـــرف الـثـــــاء

حـــرف الجـــيـــم

حرف الحاء

حـــرف الخــــاء

حـــرف الـــدال

حـــرف الـــذال

حـــرف الـــراء

حـــرف الـــزاي

حـــرف الســين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حـــــرف الــطـــاء

حـــــرف الــظـــاء

حـــــرف الــعـــيـــن

حـــرف الـغـيـــن

حرف الفاء

حرف الـقــاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حـــرف الـنـــون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف اليـاء



الفهرست الثالث

لاسماء الاماكن والبلدان والجبال والانهار

حرف الالف

حرف الباء

حـــرف الـتـــاء

حـــرف الثـــاء

حـــرف الجيـــم

حــــرف الحـــاء

حـــرف الخـــاء

حـــرف الـــدال

حـــرف الـــذال

حـــرف الـــراء

حـــرف الـــزاي

حـــرف الـســيــن

حـــرف الـشـــيـــن

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حـــرف الـفـــاء

حـــرف الـقـــاف

حـرف الـكـاف

حرف اللام

حرف الميم

حــرف الــنــون

حــرف الــهــاء

حــرف الــواو

حـــرف الـيـــاء



الفهرست الرابع

لأسماء الكتب

﴿ ص ﴾

الفهرست الخامس

للقوافي

بيان الخطأ والصواب في مطبوع هذا الكتاب

تـنـبـيـــه ❀ قد أجرى المؤلف رحمه الله تبعا لشيخه سيدي احمد ابن ناصر الدرعي الاعلام المسبوقة بلفظة سيدي او بلفظة السلطان مجرى المركّب واستعمل ايضا ولا سيما بحذف « ولا » او بحذف « و » وغير ذلك مما هو جائز عند المغاربة

ص	س	خطأ	صواب
٦	١٥	ايا جملين	ابا جملين
٧	٣	وجهم	وجبهم
١٠	٨	وادم	ودام
١٢	١٧	وحسد	وحسدا
٢٠	١٨	رجع رجع	رجع
٢٣	١٣	تاطلبه	تطلب منه
٢٦	١٨	تؤالفه	تآليفه
٣٤	١٩	غليه	عليه
٣٥	١٧	الكلاء	الخلاء
٣٧	١٠	مفتيون	مفتون
٣٩	١٠	المفتيون	المفتون
٣٩	١٣	بالبراعة	بالبراكة
٤١	١٤	مخالفا	مخالف
٤١	٩	فصطنصينية	فسطنطينية
٥٠	٤	واستيظت	واستيقظت
٥١	١١	ببحرها	بهجرها
٥٨	١٧	غايه	غاية
—	١٩	وظاهرة احواله	ظاهرة واحواله
٦٠	٩	انشرب	شرب
٦١	١٥	فسمطينة	قسنطينة
—	٢٢	الشرية	الشريعة
٦٢	٢	سيدي	سيد
—	٦	فد فانها	وفدانها
٦٨	٢	اليولي	الولي
٦٩	٢١	الزوا	الزواد
٧٣	٨	الحسن	ابي الحسن
٨٥	١٢	مدكال	مدوكال
—	١٧	—	—
—	١٩	—	—
٨٦	٦	او باجمله	وباجملة

ص	س	خطأ	صواب
٩١	٦	اولاده	اولاد
—	١٧	سيد	سيدي
١٠٣	٧	الخاربة	الخربة
—	١٩	فارسان	فرسان
—	٢٢	مالكة	ماكة
١٠٥	١١	مدكال	مدوكال
١١٢	١٦	الاستنباء	الاستيباء
١١٣	٦	انى	اتى
—	١٢	الضريج	الضريح
١١٤	٥	طير	طيور
١١٧	٦	المحبوبين	المحبوبين
١٢٦	١٠	العصائل	العصل
١٢٧	٨	فرائسي	فرائصي
١٢٨	٩	الصاحبي	الصحابي
١٣٥	١١	اخد	اخذه
١٣٧	١٣	تيفننا	تيفنا
١٤٠	٥	يجح	يحج
١٤٩	١٦	فطوط	فطاط
١٥٠	٥	ها	اه
١٥٤	١٧	المحجوب	المحجوب
١٥٩	١١	خاطهم	خالطهم
١٦٠	١١	المبززين	المبرزين

ص	س	خطأ	صواب
١٦١	٧	الاحدابي حيثما	الاجدابي حيثما
١٦٢	١٨	العفية	العفيه
١٦٧	١٨	فينما	فبينما
١٧٤	١٣	فاموا	افاموا
١٧٥	١٦	كسرد	كصرد
١٧٧	٨	واد يُنُّوت	وادي يَنُّوت
١٨٣	١٤	واظهرهم	اظهرهم
١٩١	٢٠	وصورته	وصوّر له
١٩٣	٢١	النعيمة	الناعمة
١٩٤	١٨	ورثلان	ورثيلان
١٩٥	٢	—	—
١٩٦	١١	مالك	مالكاً
١٩٧	٤	الطنابير	والطنابير
٢٠١	٤	الشتملت	اشتملت
٢١٠	١٥	اذا	اذ
٢١١	٨	فبضوا	فضوا
—	١١	لمرورته	لمرارته
٢١٣	٣١	استخبينا	استخففنا
٢١٤	١	تمرها	تمر
—	١٥	وكانه	وكأنه
٢١٦	٦	الخضر	الخضرة
٢١٧	١١	مرورته	مرارته

ص	س	خطأ	صواب
٢١٩	٨	بعلم	يعلم
٢٢٠	١٠	الغياظ	الغياص
—	٢١	ساكنها	ساكنيها
٢٢٢	١٨	اوجلة	اوجيلة
٢٢٣	١٥	خالعهة	خالعها
٢٢٤	٨	العروف	العاروف
٢٢٧	١٦	و وجوده	وجودة
٢٣٠	٨	يخبل	يبخل
٢٣٢	١	توفضوه	توفظوه
—	—	ايفضتموه	ايفظتموه
٢٣٦	٩	بحجل	يحصل
٢٣٩	١٧	للعدومات	للمعدومات
٢٤٣	١٨	الضباء	الظباء
٢٤٤	٢٠	تبدو	تبد
٢٤٧	١٣	يشوفه	يسوفه
٢٥٢	١٣	حال	إخال
٢٥٩	٢	معيظ	معيص
٢٦٠	١٠	كالبرز	كالبزر
٢٦٢	٩	الكسورة	الكسوة
٢٦٤	٣	للامير	لامير
٢٦٦	١٤	معرفة	مرفعة
٢٧١	١٤	الجف	الخف
٢٧٤	١٠	اليزان	الميزان
٢٨٦	١٠	رائته	رأيته
٣٠٧	٥	كالاصليين	كالاصوليين
٣٠٩	١٧	وتجبر	وتحير
٣١٤	١٢	العفليلة	العفلية
٣١٧	٤	الكاملين	الكاملون
٣١٩	٣	ثلاثة	ثلاث
٣٢٤	٢٢	بلغة	بغلة
٣٣١	٢١	للصور	للصوم
٣٣٣	٧	امامعم	امامهم
—	١٠	الصري	المصري
٣٣٤	٢٠	و فيه	وفيها
٣٣٥	٦	زرفى	زرفاء
٣٣٦	٥	تمييرها	تمييزها
—	١٤	عليه	عليها
٣٤٤	١٧	هواها	هوائها
٣٤٧	١٦	بواد العفوف	بوادي العفوف
٣٥١	١٧	جارجة	خارجة
٣٥٢	٨	نشبته	نشتبه
٣٦٠	٩	بالشملل	بالمشلل
٣٧١	٩	فلله الحمد لله والمنة	فلله الحمد والمنة
—	٢٠	سبيل	اسطبل

ص	س	خطأ	صواب
٣٧٢	٩	مرورته	مرارته
—	١٢	—	—
٣٧٥	٧	الى	الى أن
٣٨٠	١	عظيمة	عظيما
٣٨٢	١٧	لا بر	لا يرى
٣٨٥	١٣	تكثرت	تكترث
٣٨٧	١٢	علمتم	علمتهم
٣٩٣	٨	فلغناها	فبلغناها
٣٩٤	١٥	فد نفلناه	نفلناه
٣٩٥	١٠	وافقا	وافقا
٤٠٤	١٧	الكلاف	الكلاف
٤١١	٢٢	وجهر	وجهرا
٤٢٥	١١	فيفعان	فعيفعان
٤٢٦	٦	غاري	غازي
٤٢٨	٢	اخذه	اخذ
٤٢٩	٢٢	ابن زروف	ابن زرفون
٤٣١	١٩	ومن	وعن
٤٣٣	٢١	المكوي	ابن المكوي
٤٣٦	٢٠	المفابير	المفابر
٤٣٨	١٩	اتخدوا	اتخذوا
٤٤١	١	الحجازة	الحجارة
—	٩	تلفعنا	تلفعنا
٤٤٧	١٢	ملى	على

ص	س	خطأ	صواب
٤٦٤	٩	وجاءو الى	وجاءوا الى
٤٦٨	١٩	سعيد	سعد
٤٧٢	١٥	صلى	صل
٤٧٤	٦	معاذ بن سعد	سعد بن معاذ
٤٨١	١٥	ابلتني	ابتلي
٤٨٢	٦	الجزائري	الجزائر
٤٨٨	٩	فاسحوا	فافسحوا
٤٩٤	١١	ولد	والد
٤٩٦	٢	سعيد	سعد
٥١٣	٦	اسباسب	اسباب
٥١٦	١٤	الخمد	الحمد
٥٢٦	١٦	ابن شيبة	ابن ابي شيبة
٥٢٧	١	—	—
٥٢٨	١٤	الصدبق	الصديق
٥٣٥	٨	فاخفرني	فاخبرني
٥٤١	١٥	المزارة	المزورة
٥٤٨	٦	تائيها	تانيها
—	١١	ربالات	ريالات
٥٦٨	٢١	دبياج	ديباج
٥٩١	٢	الحادم	الخادم
٥٩٩	٥	بحاهه	بجاهه
٦٠٧	٣	فبن	فبل
—	٥	الى	الى أن

ص	س	خطأ	صواب
٦٠٩	٩	اصل	اهل
٦١٧	٤	وماؤه	ماؤه
٦٢٥	٢٠	تاجورة	تاجوراء
٦٢٦	١	—	—
—	١٤	—	—
—	٢١	—	—
٦٢٩	٩	المتحفيق	التحفيق
٦٣٠	٢٢	بننا	بتنا
٦٣٥	٢١	الذربة	الذرية
٦٤٨	١٩	ألسبها	ألبسها
٦٦٥	٣	ساعد	ساعده
٦٩٠	١٣	حد	احد




AZROU · S. MNRII · XIII · REGIS · de TIOUMLILINE

